موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

الحديث الشريف

كتاب الترغيب والترهيب

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١٦-٠٠١) : كتاب الإخلاص - الترغيب في الإخلاص والصدق والنية الصالحة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٢-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

السنة هي الأصل الثاني لهذا الدين العظيم:

أيها الأخوة الكرام، من كتب الحديث المعتمدة الترغيب والترهيب، ولهذا الكتاب اختصارات كثيرة، وتهذيبات كثيرة، من بين هذه التهذيبات تهذيب الترغيب والترهيب لحبيب الرحمن الأعظمي. اخترت هذا الكتاب لندرس أحاديثه حديثاً حديثاً، فالسنة كما تعلمون الأصل الثاني لهذا الدين العظيم، كتاب الإخلاص، الترغيب في الإخلاص.

الأمة أربعة نفر:

ـ رجل آتاه الله مالاً وعلماً:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مثل هذه الأمة كأربعة نفر، رجل آتاه الله مالاً وعلماً، فهو يعمل بعلمه في ماله، فينفقه في حقه))

[أخرجه الترمذي وصححه، وأحمد وابن ماجه واللفظ له عن أبي كبشة الأنماري]

أي يكسبه من طريق مشروع، وينفقه في الوجه المشروع، هو عالم وغني ينفق المال وفق ما أراد الله، ويكسبه من الطرق التي سمح الله بها.

٢ ـ و رجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً:

((ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فهو يقول لو كان لي مثل هذا لعملت فيه مثل الذي يعمل قال عليه الصلاة والسلام: فهما في الأجر سواء))

[أخرجه الترمذي وصححه، وأحمد وابن ماجه واللفظ له عن أبي كبشة الأنماري]

أن تتمنى أن تعمل عملاً صالحاً، صادقاً، مخلصاً، هذه النية الطيبة كأنك فعلت هذا العمل، رجل آتاه الله علماً، ولم تؤته مالاً، يقول:

((لو كان لي مثل هذا لعملت فيه مثل الذي يعمل))

ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم: " لو كان لي مثل أحد ذهباً لأنفقته في ثلاثة أيام في سبيل الله".

أحياناً كثيرة تنوي أن تعمل عملاً طيباً لا يتاح لك أن تعمله، يجب أن تتأكد أن الله كتب لك هذا العمل، عملته أو لم تعمله، هذا فقط عند الله، أما عند الناس لا يمكن أن تأخذ ثمن شيء إلا إذا قدمته، يكفي أن أقول لكم: لو وضعت قدمك في أول طريق الإيمان وجاءت المنية كأنك وصلت إلى آخره. زيد الخير تمنى أن يغزو الروم، بين إسلامه وبين موته أقل من يومين، يقول له النبي الكريم: لله ذرك أي رجل أنت ؟ ما وصف لي رجل فرأيته إلا رأيته دون ما وصف إلا أنت يا زيد، فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله، الأناة والصمت.

٣ ـ و رجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً:

الرجل ثالث:

((ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقه))

[أخرجه الترمذي وصححه، وأحمد وابن ماجه واللفظ له عن أبي كبشة الأنماري]

والمال من دون علم خطر جداً، لأنه يزيد العاصي معصية.

للإمام الشافعي كلمة أعجبتني، قال: " السفر يزيد التقي تقى، والفاجر فجوراً .

إذا سافر إنسان تقي فيلتقي بالعلماء، يتسع أفقه، يتعلم منهم، يطلع على نشاطات لا يعرفها هو، يزداد علمه، ويزداد أفقه اتساعاً، وتزداد معرفته، وقد يعطي، وقد يأخذ ، يعطي، ويأخذ، فالسفر زاده تقى، وزاده علماً.

بل إن الإمام الشافعي يقول: " من لم يعهد منه سفر لم يعهد منه علم ".

الإنسان إذا سافر يرى موقعه الحقيقي من بين المواقع الأخرى، يرى وضع بلده من بين البلاد الأخرى، يقتبس، يعطي، ويأخذ، قال: " والسفر أيضاً يزيد الفاجر فجوراً " ببلده يوجد رقابة، بينما في السفر لا يوجد رقابة، لو فعل شيئاً منكراً في بلده شوهت سمعته، أما هناك لا أحد يعرفه، فالسفر يزيد التقي تقى، والفاجر فجوراً، قال:

((هذا ينفق ماله فهو يخبط في ماله))

معنى يخبط أي يتصرف فيه تصرف الأحمق، ينفقه في الباطل، من صفات أهل الدنيا أنهم ينفقون الألوف المؤلفة، بل والملايين المملينة ـ إن صحّ التعبير ـ على شهواتهم، أما إذا دعوا إلى عمل صالح أحجموا، إن أمسكوه أمسكوه بخلاً وتقتيراً، وإن أنفقوه أنفقوه إسرافاً وتبذيراً.

٤ ـ ورجل لم يؤته الله علماً ولا مالاً:

((قال فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقه ورجل لم يؤته الله علماً ولا مالاً فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال فهم في الوزر سواء))

[أخرجه الترمذي وصححه، وأحمد وابن ماجه واللفظ له عن أبي كبشة الأنماري].

لا علم ولا مال، لكنه يتمنى أن يعمل كما يعمل هذا الفاسق، قال: فهم في الوزر سواء.

أخطر شيء في حياة كل إنسان هو التمني:

لذلك: من شهد معصية فأنكرها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عن معصية فأقرها ـ رغب فيها ـ كان كمن شهدها، يجوز ألا تصدق، قال لك إنسان: هناك شخص يعيش بكندا، يفعل من المعاصي ما يشتهي، والله دبر حاله فهنيئاً له، أنت هل تعرف أنك بهذه الكلمة التي لا تعبأ بها كسبت مثل وزره تماماً، لأنك أقررته على ذلك، وتمنيت أن تكون مثله، هناك الكثير من المعاصي والآثام في بلاد الغرب، الفاسق يتمناها، والمؤمن يقول: معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين.

((قال: فهما في الوزر سواء))

[أخرجه الترمذي وصححه، وأحمد وابن ماجه واللفظ له عن أبي كبشة الأنماري]

معنى ذلك أنك إذا تمنيت طاعة كتبت لك طاعة، وإذا تمنيت معصية كتبت لك معصية، فالتمني خطير.

حظوظ الدنيا إن وظفتها بالحق فهي نعمة وإن وظفتها بالباطل فهي نقمة:

الشيء الثاني، ما أجمل العلم والمال إذا اجتمعا، وما أخطر المال إذا انفرد من دون علم، لأن صاحبه يتكبر، يتكبر من جهة أن صاحبه يكتسب نفسية مقيتة، ثم إنه ينفقه في الوجوه التي لا ترضي الله عز وجل.

أنا أقول لكم دائماً: إياكم أن تظنوا أن المال إكرام من الله، إلا في حالة واحدة إلا إذا مكنك الله من إنفاقه في الحق، ينقلب إلى نعمة، وقبل أن تنفقه بالحق ليس نعمة وليس نقمة، هو حيادي، اسمه ابتلاء، المال ابتلاء، أُنفق في المعصية صار نقمة، أُنفق في الطاعة صار نعمة، وقس على هذا كل حظوظ الدنيا، الزوجة الجيدة إذا أخذت بيدها إلى الله ورسوله أصبحت نعمة، وإن أطلقتها و فعلت

ما تشاء، أو أرخيت لها الحبل، حققت منها مصالحك، ولم تعبأ بدينها، انقلبت إلى نقمة، فكل حظوظ الدنيا سمّها ابتلاء، إن وظفتها بالحق فهي نعمة، وإن وظفتها بالباطل فهي نقمة.

لذلك عندما قال قارون:

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً)

(سورة القصص)

لمجرد أن تقول: يا ليتني مثل فلان يمكن أن تأخذ صفراً بالإيمان، إذا فلان فاسق لكنه غني، رأيت إنساناً غنياً، ماله كله حرام، يسكن في أجمل بيت، يركب أجمل مركبة، يلبس أجمل ثياب، يأكل أطيب الطعام، إذا قلت هنيئاً له ، هذا كلام يقوله معظم الناس: ليتني مثله.

دققوا أيها الأخوة، تعرف أن ماله حرام، كسبه حرام، باني ثروته على الربا، من طريق غير مشروع، من معاصٍ وآثام، يقول لك: انظر هذا البيت ـ صاحبه عنده ملهى ـ والله هذا البيت جميل، هنأه الله، لا، هذا من مال حرام، اسكن بغرفة برأس الجبل من مال حلال تهنأ بها، لا تطمع بالحرام أبداً، أما المؤمن يغبط مؤمناً آخر، يغبط مؤمناً ماله حلال لا يوجد مشكلة، يا ليتني مثله لا يوجد مانع، لعل الله يرزقني مثلما رزقه، إذا كان المؤمن دخله حلال، وإنفاقه حلال، وتمنيت أن تكون مثله لا يوجد مانع، هذه اسمها غبطة.

الله تعالى كَتَبَ الحسناتِ والسيئاتِ ثم بيَّن ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجل:

((إنَّ الله تعالى كَتَبَ الحسناتِ والسيئاتِ، ثم بيَّن ذلك، فمَنْ هَمَّ بحسَنَة فلم يعملْها كَتَبها الله له عنده حسنة كاملة))

[متفق عليه عن ابن عباس]

أي لم يندم على أنه غير رأيه، لا، لم يتح له أن يعملها.

((فَمَنْ هَمَّ بحسَنَة فلم يعملْها كَتَبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هَمَّ بها وعَمِلها، كَتَبَها الله له عنده عَشْرَ حسنات إلى سبعمائة ضِعْف، إلى أضعاف كثيرة، ومَنْ هَمَّ بسيئة فلم يعملْها))

[متفق عليه عن ابن عباس]

لم يستطع أن يفعلها.

((كَتَبَها الله له سيئة واحدة))

لكن ندم، راجع نفسه، قال: معاذ الله، أنا كنت على خطأ.

((ومنْ هَمَّ بسيئة فلم يعملْها، كَتَبَها الله عنده حسنة، وإن هو هَمَّ بها فعَمِلها كَتَبَها الله له سيئة واحدة))

[متفق عليه عن ابن عباس]

دقق في همومك، هممت بحسنة لم تعملها، لم يتح لك أن تعملها، كتبت حسنة، إن عملتها كتبت عشر حسنات، هممت بسيئة ـ لا سمح الله ـ ندمت على هذا، استرجعت واستغفرت، كتبت لك حسنة، هي سيئة، لأنك استحييت من الله، لأنك خشيت الله، لأنك راجعت نفسك، لأنك ندمت على ما فعلت كتبت حسنة، أما في حال إذا همّ الإنسان بسيئة فلم يتح له أن يعملها، ذاهب لصفرة حمراء، أصدقاؤه لم يأتوا، والبيت مغلق، عليه وزر كأنه فعلها، فلم يعملها خوفاً من الله، مراجعة لنفسه، توبةً، ندماً، قال:

((وإن هو هَمَّ بها فعَمِلها، كَتَبَها الله له سيئة واحدة))

[متفق عليه عن ابن عباس]

الحكمة من جعل ملك اليمين أميراً على ملك الشمال:

آخر فكرة، أن الله عز وجل جعل ملك اليمين أميراً على ملك الشمال، فالحسنة لمجرد أن تعملها كتبت حسنة، أما لو عملت سيئة لا يكتب ملك الشمال هذه السيئة إلا إذا أمر ملك اليمين، ملك اليمين ينتظر هل ندم على فعله ؟ هل استرجع ؟ هل استغفر ؟ هل أقلع هل استحى من الله ؟ لم يسترجع، ولم يستغفر، ولم يستح، ولم يندم، وذكرها للناس، بل افتخر بها عندئذٍ يقول ملك اليمين لملك الشمال اكتبها عليه سيئة.

الإخلاص عبادة القلب:

موضوع اليوم الإخلاص، الإخلاص عمل القلب، الإخلاص عبادة القلب.

(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ)

(سورة الزمر)

الجوارح تعبد، تصلي، تصوم، تحج، تزكي، الجوارح تغض البصر، تضبط اللسان، هذا عمل الجوارح، أما القلب تبتغي بهذا وجه الله عز وجل.

(وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى)

(سورة الليل)

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصل في الحساب هو الفعل وهذا من رحمة الله عز وجل بالعباد:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في باب الإخلاص، من كتاب الترغيب والترهيب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يقولُ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد عبدي أنْ يَعْمَلَ سيئة، فلا تكتبوها عليه حتى يَعْمَلَها فإن عَمِلَها فاكتبوها بمثلها وإن تَركَها من أجلي فاكتبوها له حسنة))

إذا همّ بسيئة فلم يعملها من أجل الله عز وجل خوفاً، أو استحياء، أو خجلاً ، أو خشية فاكتبوها له حسنة.

((وإذا أراد أن يَعْمَلَ حسنة فلم يَعْمَلْها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها بعَشْرِ أمثالها إلى سبعمائة))

[متفق عليه، واللفظ للبخاري عن أبي هريرة]

أي من خلال هذا الحديث يتضح أنك كل شيء تحدث نفسك به لا تحاسب عليه إلا إذا فعلته، فإن كان حسناً كُتب بعشرة أمثال، وإن كان سيئة كُتب بمثل واحد، بعض العلماء قال: إذا همّ عبدي، أي إذا أراد، قالوا:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا

يليه هم فعزم كلها رفعـــت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

***

هاجس، خاطر، حديث نفس، همّ، عزم، كلها داخلية، لكن كلها متدرجة في الشدة، جاءه هاجس أقل من خاطر، يليه الخاطر، يليه حديث النفس، يليه الهمّ، همّ أن يفعل شيئاً، يليه العزم، فبين الهاجس، والخاطر، وحديث النفس، والهمّ و العزم، هذه كلها داخل النفس، لا تحاسب عليها، لا تحاسب إلا على السادسة، أن تتحرك، أن تعمل.

وفي رواية لمسلم قال الله عز وجل:

((إذا تحدَّث عبدي بأن يَعْمَلَ حسنة فأنا أكتُبها له حسنة ما لم يعمَلْها فإذا عملها فأكتُبُها له بعشر أمثالها))

[مسلم عن أبي هريرة]

فهذا الحديث والذي قبله يبيّن أن الأصل في الحساب هو الفعل، وهذا من رحمة الله عز وجل، أما النية تدخل في الأعمال الصالحة إذا كانت في صالحه، هممت بحسنة فلم تعملها، أو هممت بسيئة فخشيت الله عز وجل.

إذاً هناك نقطة دقيقة، الشيء الداخلي، يبدأ من هاجس، إلى خاطر، إلى حديث نفس، إلى همّ، إلى عزم، هذه لا تحاسب عليها أيها المؤمن إن كانت ليست في صالحك، وتحاسب عليها حساباً إيجابياً إذا كانت في صالحك، أما الأعمال السيئة لا تحاسب عليها إلا إذا فعلتها.

الترغيب في الإخلاص:

و:

((من أتى فِرَاشَهُ وهو يَنْوِي أن يقومَ يُصلِّي من الليل فغلَبَتْه عينهُ حتى أصبح كُتِبَ له ما نوى))

أي صادق، نوى أن يستيقظ لصلاة الفجر، أو لصلاة قيام الليل، غلبته عينه يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((له ما نوى))

[رواه النسائي وابن ماجه، وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء]

هذا الترغيب في الإخلاص.

الترهيب من الرياء:

أما الترهيب من الرياء، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَن سَمَّعَ سَمَّعَ الله به وَمَنْ رَاءَى رَاءَى الله به))

[متفق عليه عن جندب بن عبد الله]

ما معنى سمّع ؟ أي هو يذكر الله في قلبه، دخل إنسان للمسجد فرفع صوته ليلفته إليه، أنا أذكر الله، سمعه، أحياناً الإنسان يسمع الناس بأعماله الطيبة، يسمعهم، يتحدث عن أعماله، يقصد بها أن يتباهى، يقصد بهذا الحديث أن يظهر ورعه، أن يظهر عبادته.

((مَن سَمَّعَ))

طبعاً سمّع من التسميع، والاسم السمعة، من السمعة، وهي مثل الرياء، إلا أن السمعة خاصة بالسمع، كرفع الصوت بالذكر و الإظهار للناس، والرياء خاصة بحاسة البصر، إن فعلت شيئاً ليراك الناس، هذا رياء، وإن قلت قولاً ليسمعك الناس هذا التسميع، إن قلت قولاً ليسمعك الناس، لتنتزع إعجابهم، هذا تسميع، وإن فعلت شيئاً ليراك الناس هذه مراءاة.

يرائي الله به أن يطلعهم في الدنيا أو في الآخرة على أنه فعل ما فعل لوجههم لا لوجهه، هو أراد أن ينتزع إعجاب الناس، فالناس يعلمون ذلك، يرائي الله به، يظهر رياءه، يسمّع الله به، يظهر رياءه بالتسميع، التسميع لحاسة السمع، والمراءاة لحاسة البصر، الإنسان إذا سمّع الناس بأفعاله، الله جلّ جلاله أظهر للناس تسميعه، يظهر هنا التناقض، يظهر فلتات لسان، يظهر بوضع آخر لا يرضي، معنى ذلك أن هذا ليس لله عز وجل، في النهاية:

(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)

(سورة آل عمران الآية: ١٧٩)

لا بدّ من أن يظهر هذا العمل.

((مَن سَمَّع سَمَّعَ الله به وَمَنْ رَاءَى رَاءَى الله به))

[متفق عليه عن جندب بن عبد الله]

العبادات النافلة دعها بينك وبين الله لا تسمع بها ولا ترائي بها:

حديث آخر:

((من صلى وهو يرائي فقد أشرك، ومن صام وهو يرائي فقد أشرك، ومن تصدق وهو يرائي فقد أشرك))

[أخرجه البيهقي عن شداد بن أوس]

أي الإنسان إذا أراد أن يصلي ليعرف الناس أنه يصلي، أو أراد أن يصوم ليعرف الناس أنه يصوم، مثلاً الإنسان إذا صام نفلاً، يطبل الدنيا بهذه الصيام، ألم تصوموا اليوم ؟ اليوم عاشوراء، أنا صائم اليوم و الحمد لله، هذه أصبحت مراءاة، إن أردت بهذا الصيام وجه الله صم واسكت، نفل الصيام، هناك إنسان له وضع خاص يتحرش بالناس، ليريهم أمه صائم، يقول لهم مثلاً: كيف الترتيب ؟ هل يوجد صيام اليوم ؟ يريد أن يفتعل مشكلة، هذا صيام الرياء، هناك صلاة الرياء، وهناك تصدق الرياء.

((ومن صام وهو يرائي فقد أشرك))

[أخرجه البيهقي عن شداد بن أوس]

الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ كانوا مع رسول الله في سفر، في رمضان، وكان السفر شاقاً، بعضهم صام، وبعضهم أفطر، لا الذين أفطروا أخذوا على الذين صاموا، ولا الذين صاموا أخذوا على الذين أفطروا، هذه قضية شخصية مع الله عز وجل.

مرة الذين أفطروا كانوا أقوى فقاموا، وطبخوا، ونحروا الجزور، وهيئوا الطعام، ونصبوا الخيام، فقال عليه الصلاة والسلام:

((ذهب المفطرون اليوم بالأجر))

[البخاري عن أنس]

العبادات النافلة هذه دعها بينك وبين الله، لا تسمع بها، ولا ترائي بها.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

((إياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر قال يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر))

[أخرجه ابن خزيمة عن محمود بن لبيد]

أي يتقن الإنسان صلاته أمام الناس، ولا يتقنها في بيته، إتقان الصلاة أمام الناس نوع من الشرك، إذاً عليك أن تتقنها في البيت أيضاً، الحل ألا تتقنها، أنا لا أشرك، لن أتقنها أمام الناس، اتقنها أمام الناس وفي بيتك لم يعد هناك مشكلة.

الأعمال لا تقبل إلا بشرطين ؛ الإخلاص و الصواب:

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة كان من الصحابة فقال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه والطبراني عن أبي سعيد بن أبي فضالة]

أحياناً أنت تعمل عملاً لإنسان ضعيف، إنسان لا يستطيع أن يكافئك عليه، فيخيب ظنك، فالعمل لغير الله، غير الله ضعيف، فقير، لئيم أحياناً تخدمه خدمات لا تحصى، لا يذكرها أبداً، ينساها، قد يسيء إليك، والذي أراه أن الذي يشرك هذا الذي أشركه مع الله هو قد يكون أفضل من ذلك إلا أن الله يلهمه أن يكون لئيماً، كي تنقطع عنه وتتصل بالله عز وجل.

حديث آخر:

((يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدي الله، فيقول الله للملائكة: ألقوا هذا واقبلوا هذا))

[ابن عساكر عن أنس بن مالك]

أعمال طيبة كلها بصحف.

((فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا إلا خيرا فيقول وهو أعلم إن هذا كان لغيري ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ابتغى به وجهي))

[ابن عساكر عن أنس بن مالك]

هناك أعمال طيبة إلا أنها ليست وجه الله، ألقوها.

طبعاً لا زلنا في باب الإخلاص، لذلك الفضيل بن عياض يقول: الأعمال لا تقبل إلا بشرطين ؛ إلا إذا كان العمل خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة.

الشرك الخفي يوجب الاستغفار و الشرك الجلي يوجب النار:

وعن أبي علي ـ رجل من بني كاهل ـ قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال:

((يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون. فقال بل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال له من شاء الله أن يقول وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه))

[أحمد عن أبي علي و هو رجل من بني كاهل]

و:

((أدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل))

[صحيح الحاكم عن عائشة]

إنسان نصحك بأدب أزعجك، هزّ لك مكانتك، جرحك، أغضبك، لقد أشركت نفسك مع الله، أخذتك العزة بالإثم، أنت أشركت الآن.

أو إنسان له انحراف، جاءك منه نفع، تغاضيت عن انحرافه، وأثنيت عليه، فعندما أثنيت عليه فقد مدحته، وإن الله ليغضب إذا مدح الفاسق، وأدنى مراتب الشرك أن تحب على جور وأن تبغض على عدل.

والحقيقة الشرك الخفي منتشر كثيراً لقول الله عز وجل:

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

(سورة يوسف)

الشرك الخفي، أما الجلي ـ والعياذ بالله ـ شرك للكبائر، أي يوجب النار، أما الشرك الخفي يوجب الاستغفار، فالإنسان يستغفر الله من شرك يعلمه، ومن شرك لا يعلمه.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٠٣-١١٦) : كتاب السنة - الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٢-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

علامة إيمانك أن تقبل سنة رسول الله ملء السمع والبصر:

أيها الأخوة الكرام، في كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري رحمه الله تعالى كتاب السنة، قال عليه الصلاة والسلام:

((من رغب عن سنتي فليس مني))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

النبي عليه الصلاة والسلام جاء بسنة قولية، وعملية، وإقرارية، فكل أقواله تشريع، وكل أفعاله تشريع، وكل إقراراته تشريع، فالذي يرفض في نفسه توجيه النبي، وأمر النبي عليه الصلاة والسلام، ونهي النبي، وسنة النبي، فليس من المسلمين.

((من رغب عن سنتي فليس مني))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أن تقول: اللهم صلِّ على رسول الله كلما ذُكر، وأن تخالف سنته، هذا القول لا يقدم ولا يؤخر، يجب أن نبقى في جوهر الدين، حينما تحتفل خلاف السنة، حينما تتاجر خلاف السنة، حينما تسافر خلاف السنة، حينما يكون البيت خلاف السنة، حينما تكون الحركة اليومية خلاف السنة، حينما تقلد الأجانب، حينما ترفض ولو بنفسك توجيه النبي و لا ترى أنه التوجيه المناسب لهذا العصر.

((من رغب عن سنتي فليس مني))

علامة إيمانك أن تقبل سنة رسول الله ملء السمع والبصر، والحديث متفق عليه ويجب أن نعلم ما معنى متفق عليه ؟ أي أورده البخاري ومسلم، والبخاري ومسلم أصح كتابين بعد كتاب الله، إذا اجتمع البخاري ومسلم فهو أعلى نص على الإطلاق بعد القرآن الكريم.

((من رغب عن سنتي فليس مني))

لا يمكن أن تقبل توجيه إنسان يخالف توجيه النبي و إلا لست مؤمناً، لأنك تعتقد ضمناً أن هذا الإنسان أكمل من سلوك النبي، والله سبحانه وتعالى قد عصم النبي، عصمه عن أن يخطئ في أقواله، وفي أفعاله، و في إقراره، فإذا اتبعت توجيهاً أملاه عليك العرف الغير منضبط بالشرع، أو

المصالح، أو تقليد الأجانب، أو إنسان غير متبصر بالسنة، أعطاك توجيهاً خلاف توجيه رسول الله، واتبعت هذا التوجيه اعلم أنك لست من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

((من رغب عن سنتي فليس مني))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أي إذا رفضت السنة رفضاً قولياً، أو سلوكياً، أو نفسياً.

المبتدع لا يقبل الله منه صلاةً ولا صياماً ولا حجاً لأنه أحدث في أمر هذه الأمة ما ليس فيها:

وعن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث هذا وزاد عليه:

((فعليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ الراشِدينَ المهديِّينَ تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجِذِ وإياكم ومُحدثاتِ الأمور فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدْعة وكل بدْعَةٍ ضَلاَلَة، و كل ضلالة في النار))

[أبو داود عن العرباض بن سارية]

طبعاً الدين عقائده وعباداته لا يزاد عليها أبداً، إلا أن تشريعاته يمكن للمجتهدين على مرّ العصور أن يستنبطوا أحكاماً فرعية من نصوص كلية، هذا الهامش المسموح من رسول الله، استنباط أحكام تفصيلية فرعية من نصوص كلية، هذا في المعاملات فقط، وفيما لم يرد فيه نص، أما العقائد والعبادات هذه منتهية، لا يزاد عليها أبداً.

((فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بدْعة وكل بدْعَةٍ ضَلاَلَة وكل ضلالة في النار))

لم يكن على عهد النبي تكييف في المساجد فرضاً، لم يكن تكبير للصوت، هذا ليس من البدعة، هذا في شؤون الدنيا، في شؤون الدنيا نقبل كل جديد متوافق مع منهج الله، يسرنا على المصلين الماء الساخن في الشتاء، الماء البارد في الصيف، الإضاءة الجيدة ، تكبير الصوت، أضرب أمثلة منتزعة من المسجد، هذا من شؤون الدنيا، هذه تحسينات ، هذه ليست بدعة، أو إن صحّ التعبير هذه البدع الحسنة.

((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[الطبراني في الكبير عن واثلة بن الأسقع]

هذه سماها العلماء بدعة في اللغة، بدعة لغوية، أما أن تضيف في العقيدة شيئاً ما ذكره العلماء السابقون، أو أن تضيف في العبادة شيئاً ما سنّه النبي عليه الصلاة والسلام أنت مبتدع، والمبتدع لا يقبل الله منه صلاةً، ولا صياماً، ولا حجاً، المبتدع الذي أحدث في أمر هذه الأمة ما ليس فيها، أي جعل الإسلام إسلاميين، أو الإيمان إيمانيين، ابتدع شيئاً جديداً ففرق الأمة.

(الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)

(سورة الأنعام الآية: ١٥٩)

إذاً:

((فعليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ الراشِدِينَ المهديِّينَ تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجِذِ وإياكم ومُحدثاتِ الأمور فإنَّ كلَّ مُحدثةٍ بِدْعة وكل بِدْعَةٍ ضَلاَلَة))

[أبو داود عن العرباض بن سارية]

من تمسك بكتاب الله فهو في رعايته و حمايته و توفيقه:

حديث آخر:

((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً))

[الطبراني في الكبير عن أبي شريح الخزاعي]

حبل طرفه بيد الله، وطرفه الآخر بأيديكم، فتمسكوا به، فإن تمسكتم به فأنتم مع الله، إن تمسكتم به فإنكم برعاية الله، وحماية الله، وتوفيق الله، ونصر الله.

((إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً))

لذلك ورد في القرآن الكريم:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية: ٣٣)

النبي مات، انتقل إلى الرفيق الأعلى، العلماء قالوا: ما دمت يا محمد سنتك في بيوتهم، في تجارتهم، في كسبهم، في لقاءاتهم، في أفراحهم، في أتراحهم، لن يعذبوا.

عقد قران مختلط هذا خلاف السنة، أيعقل ! التصوير في الأعراس، هذه معصية كبيرة جداً، نساء المسلمين كاسيات عاريات، في أبهى زينة، تأخذ الشريط وترى هؤلاء جميعاً، أنت في البيت ؟ هذه زوجة فلان، وهذه كذا، أي معصية أشد من هذه المعصية ؟ بيت مسلم تصوير ! لابد من التصوير، وقد يكُنّ محجبات في الطريق، وهذا التصوير ماذا نفعل به ؟ قال: للذكرى، وأية ذكرى هذه ؟ هذا شريط يراه كل الناس، يطبع منه مئات النسخ، يمكن أن ترى نساء المسلمين بأبهى زينة وكأنهن كاسيات عاريات.

فكل إنسان يقول: اللهم صلِّ على النبي ويزيده صلاة، ويصلي عليه، ويخالف سنته، هذا كلام لا يقدم و لا يؤخر، يجب أن تطبق منهج النبي في احتفالاتك، بأفراحك، بأحزانك، بتجارتك، ببيعك، بشرائك، آلاف الأساليب في البيع غير شرعية.

((إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً))

[الطبراني في الكبير عن أبي شريح الخزاعي]

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

(سورة الأنفال)

أنت في بحبوحتين، بحبوحة تطبيق السنة فأنت في أمان من عذاب الله، وفي بحبوحة الاستغفار، غلطت، لا يوجد مانع، المؤمن مذنب تواب، سريع التوبة، عندك حالتين إما أنك مع السنة، أو تستغفر، أما لست مع السنة ولا تستغفر، لا تنتظر من الله إلا التأديب.

مَنْ أكلَ طيباً تمتع بأعلى درجة من الصحة و القوة و النشاط:

أيضاً قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ أكلَ طيبا))

[الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

النبي عليه الصلاة والسلام يلح على أكل الطيب، أي عملت عملاً صحيحاً مخلصاً، لا كذب فيه، لا غش فيه، لا تدليس فيه، لا احتكار فيه، لا احتيال فيه، لا استغلال فيه، عملت عملاً صحيحاً وفق السنة مئة بالمئة، كسبت مالاً، هذا المال اشتريت به طعاماً هذا الطعام طيب، الطعام الذي تأكله، والذي اشتريته بمال حلال نتيجة عمل صحيح، هذا هو الطعام الطيب، فقال:

((مَنْ أكلَ طيبا وعَمِلَ في سُنَّة وأمِنَ الناسُ بوائِقهُ أي غوائله وشروره دخل الجنة))

[الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

التقيت مع أشخاص كثيرين بالسادسة و التسعين، و الثامنة و التسعين، و المئة، الذي لفت نظري أن هؤلاء عاشوا هذا العمر المديد، وتمتعوا بهذه الصحة لأنهم لم يأكلوا حراماً، الغريب هناك شخص توفي ـ رحمه الله ـ زرته وهو في السادسة و التسعين، هو والد صديق، قال لي: أنا أجريت تحليلات من يومين والحمد لله كل النسب طبيعية، بالسادسة و التسعين وكله طبيعي ؟! لا يوجد معه أسيد أوريك ؟ ولا كلسترول ؟ ولا سكر ؟ قال لي: والله ما أكلت قرشاً حراماً في حياتي، والله هذا الكلام سمعته من عشرات أشخاص، وهم في ريعان شباب الشيخوخة، يمكن إنسان بالتسعين صحته كاملة ؟.

سألت أحد أخواننا الأطباء ـ وهو طبيب أسنان ـ هل يوجد عندك مريض أسنانه سليمة مئة بالمئة ؟ قال لي: والدي، والده من أخواننا يحضر معنا، في الخامسة و الثمانين، أقسم لي بالله أنه عمل بالصناعة أربعين سنة، و لم يشرب كأساً من الشاي مسخن على سخان الكهرباء من المدرسة. تجد شخصاً يتمتع بأعلى صحة، وبأعلى قوة، ونشاط، لأنه ما أكل حراماً، هذه:

((مَنْ أكلَ طيبا))

الابتعاد عن الحرام و الشبهة:

الحرام مهما كان كثيراً اركله بقدمك، ودرهم حلال في بركة، في خير، أفضل لك، يقول لك: الدخل لا يكفي، هناك شيء لا تراه بعينك، ما يسمى بالبركة، الله جلّ جلاله يخلق من الشيء القليل الخير الكثير، كيف ؟ لا أعرف، لكن فيه بركة، أكل، شرب، نام، استمتع بكل شيء ودخل كبير، كيف ؟ على الحسابات لا تصح، على الآلة الحاسبة صعب أن تصح، لكن هناك بركة، الله يبارك له في هذا الدخل الحلال، فلا تبحث عن دخل كبير فيه شبهة، ارضَ بالدخل الحلال الصافي.

((مَنْ أكلَ طيبا وعَمِلَ في سُنَّة وأمِنَ الناسُ بوائِقهُ، دخل الجنة))

أبسط مثل إنسان يضطر أن يضع على صحته مئات الألوف بل ملايين، فإذا الله أعفاه من شؤون صحته، أقل حركة بمئات الألوف، يحتاج مرنان بثلاثة عشر ألفاً، يحتاج طبقي شعاعي بخمسة آلاف، أقل حركة بمئات الألوف.

فلذلك:

((مَنْ أكلَ طيبا وعَمِلَ في سُنَّة، وأمِنَ الناسُ بوائِقهُ دخل الجنة))

[الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

المؤمن الصادق لا يقبل شيئاً خلاف السنة ولا يرفض شيئاً وفق السنة:

الحديث الأخير: رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال:

((إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه))

[الحاكم في المستدرك عن ابن عباس]

الحقيقة المؤمن الصادق لا يقبل شيئاً خلاف السنة، ولا يرفض شيئاً وفق السنة، فإن قبلت شيئاً خلاف السنة فهناك خلل في إيمانك، وإن رفضت السنة ففي إيمانك خلل.

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)

(سورة آل عمران الآية: ٣١)

الله في القرآن الكريم جعل علامة محبتك لله اتباع سنة نبيه

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)

جعل علامة محبتك لله اتباع السنة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٠٤-١١٦) : كتاب السنة - الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٢-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أخطر ما في الدعوة إلى الله أن نحافظ على أصل الدين دون أن نزيد عليه أو نحذف منه:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في كتاب السنة، وفي باب الترغيب في الاتباع والترهيب من الابتداع، وصلنا يوم الاثنين الماضي إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم :

((مَنْ أحْدَثَ في أمرنا هذا ما لَيْسَ منهُ فهو رَدٌّ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود. عن عائشة أم المؤمنين]

أي هذا الدين دين الله، أخطر ما في الأمر أن يضاف عليه أو أن يحذف منه، فإن أضيف عليه أو حذف منه سيشوه حقيقته، وصرنا في آخر الزمان إلى فرق، وطوائف، وملل، ونحل، وتمزق الدين.

(الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)

(سورة الأنعام الآية: ١٥٩)

لذلك أن نحافظ على أصل الدين دون أن نزيد عليه، ودون أن نحذف منه، هذا أخطر ما في الدعوة إلى الله، إذاً:

((مَنْ أحْدَثَ في أمرنا هذا ما لَيْسَ منهُ فهو رَدٌّ))

يجب أن نرده، والله سبحانه وتعالى لا يقبل لصاحب بدعة توبة.

الابتداع لا يغفر لأن صاحبه لا يتوب و يرى أنه على حق وخلافه على باطل:

ذكرت البارحة فكرة دقيقة جداً: أن الإنسان إذا كان مبتدعاً لا يتوب من ذنبه، لأنه يتوهم أنه على حق، يظن بدعته حقاً، أما إذا كان عقيدته صحيحة، وإدراكه سليم، ذنبه يغفر، يعلم أنه ذنب فيتوب منه، وضربت على ذلك مثلاً:

الخطأ في الوزن، والخطأ في الميزان، الخطأ في الوزن لا يتكرر، أما الخطأ في الميزان لا يصحح.

فالخطورة أن يكون الخطأ في العقيدة، الخطورة أن نعتقد شيئاً ليس من الدين، أن نعتقد شيئاً زائداً على الدين، أن نلغي من الدين شيئاً.

فلذلك الفرق الضالة دينها رأيها، ودينها هواها، تبحث في النصوص، فإن وافق هذا النص ما تهوى قبلته وروجته، وإن خالف ما تهوى أهملته أو أنكرته، إذاً هو صاحب دين جديد.

(كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)

(سورة المؤمنون)

سيدنا الصديق قال: "إنما أنا متبع، ولست بمبتدع.

وقال بعض الحكماء: "ثلاث حكم تكتب على ظفر: اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، الورع لا يتسع .

((مَنْ أَحْدَثَ في أمرنا هذا ما لَيْسَ منهُ فهو رَدٌّ))

لا ينبغي أن نبجل مبتدعاً، لا ينبغي أن نوقر مبتدعاً، لا ينبغي أن نرحب بمبتدع، إنسان يدخل على الدين ما ليس منه، أو يلغي منه ما هو فيه، يجب ألا نتساهل في هذا الأمر، الخطأ يغفر، الذلة تغفر، أما الابتداع لا يغفر، لأن صاحبه لا يتوب، يرى أنه على حق، وخلافه على باطل.

أخطر عمل على الإطلاق إضافة أو حذف شيء من كتاب الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من أعز الله ويعز به من أذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي))

[ابن ماجه عن عائشة]

هؤلاء الستة لعنهم الله، وتلعنهم الملائكة، ويلعنهم الناس أجمعين، من أضاف على كتاب الله ما ليس منه، إما أن يأتي بمعنى ما ورد، أو أن يضيف ما يتوهم أنها آية وليست من كتاب الله، والله سبحانه وتعالى تولى حفظ كتابه.

لذلك لا يعني هذا أنه لم تجر محاولة، جرت محاولات كثيرة ولكنها لم تنجح، طبعت مئات آلاف النسخ بزيادة حرف، أو حذف حرف، من هذا التعديل:

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)

(سورة آل عمران الآية: ٨٤)

طبع بالعهد العثماني خمسين ألف نسخة من كتاب الله حذفت غير

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)

فأي إضافة، أو أي حذف على كتاب الله هذا عمل من أخطر الأعمال.

مما يتبع هذا العمل أن تأتي بمخالفة للغة، كما نسمع من قراءات معاصرة أن تأتي بمعنى ما أراده الله عز وجل، ولا أراده حفاظ كتاب الله، ولا ورد في اللغة، إما أن تدعي أنها آية محذوفة ترجعها إلى مكانها، أو أن تدعي أن هناك معان ليست موافقة لما هم عليه علماء المسلمين منذ أن ظهروا، منذ أن جاءت هذه الدعوة وإلى الآن.

لا يقع في ملك الله إلا ما أراده الله:

((الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله))

[ابن ماجه عن عائشة]

أي إن لم تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى أنت تكذب بالقدر، إن جعلت مع الله آلهة أخرى، إن جعلت الإنسان يفعل أفعاله، يخلق أفعاله، أنت كذبت بقدر الله تعالى، إن أعطيت الإنسان أن يفعل شيئاً بإرادة مستقلة عن إرادة الله، أنت كذبت بالقدر، لأن الله عز وجل:

((ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يشأْ لم يكن))

[أخرجه أبو داود عن بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم]

لا يقع في ملك الله إلا ما أراده الله.

((والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من أعز الله ويعز به من أذل الله))

[ابن ماجه عن عائشة]

من إجلال الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المسلم:

كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ من إجلالِ اللهِ عز وجل إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلم))

[أخرجه أبو داود عن أبي موسى الشعري]

إنسان متقدم في السن مسلم، إن من إجلال الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المسلم، فإذا أذلّ الإنسان مسلماً، إنسان له مكانته، من أهل العلم، أو إنسان متقدم في السن نشأ في طاعة الله، وأمضى حياته في طاعة الله، إذلال هذا الإنسان يهتز له عرش الرحمن، بل إنه من إكرام الله عز وجل أن تكرم ذا الشيبة المسلم، لذلك:

((ما أكرم شاب شيخا لِسنّه إلا قيّضَ اللهُ لهُ مَن يُكرمهُ عندَ سِنّه))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

((والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من أعز الله ويعز به من أذل الله))

[ابن ماجه عن عائشة]

بالتاريخ القريب المعاصر في الصومال أحد طغاتها، جمع العلماء في ساحة المدينة وأحرقهم بالبنزين، وقال: سأصحح القرآن بالقلم الأحمر، وقُتل هذا بالصومال.

إكرام أهل بيت النبي من إكرام النبي:

إذاً:

((والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من أعز الله ويعز به من أذل الله والمستحل لحرم الله عز وجل))

[ابن ماجه عن عائشة]

هناك حدود يستحلها، لا يعبأ بها، يجترئ على الله عز وجل.

((والمستحل من عترتي))

كلمة عترتي ترد كثيراً في النصوص الصحيحة، شرحت على الشكل التالي: عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب، وقيل: هم أهل بيته المقربون، وهم أولاده وأولاد علي و أولاد أولاده، وقيل: هم الأقربون والأبعدون من رسول الله.

ولبعض العلماء رأي آخر جليل، يقول: "عترتي هم أهل بيتي، ومن اتبع سنتي وعمل شريعتي إلى يوم القيامة"، وهذا من أدق التعاريف، عترة النبي هم أهل بيته، ومن اتبع سنته، ومن عمل بشريعته إلى يوم القيامة.

أنا أذكر قبل عشرين أو ثلاثين عاماً كان هناك ما يسمى بنقيب الأشراف، عندنا مفتي، وعندنا قاضي القضاة، وعندنا نقيب الأشراف، وهذا الذي ينتهي نسبه إلى النبي عليه الصلاة والسلام له مكانه خاصة، ومعاملة خاصة.

إذاً إكرام أهل بيت النبي من إكرام النبي.

من أحبّ الله اتبع سنة نبيه:

((والتارك لسنتي))

النبي له فعل، والشيء الدقيق جداً أن الله ربط محبته باتباع سنة نبيه، هناك علاقة ترضية:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)

(سورة آل عمران الآية: ٣١)

فالذي لا يتبع النبي بالتأكيد لا يحب الله، فمن أحب الله اتبع سنة نبيه.

((والتارك لسنتي))

[ابن ماجه عن عائشة]

وقد قال الله عز وجل:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية ٣٣)

لو كانت سنتك مطبقة في حياتهم

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ)

ولو أن النبي انتقل إلى الرفيق الأعلى، الآن إذا كانت السنة مطبقة في بيتنا، بأعمالنا، باحتفالاتنا، بأفراحنا، بأتراحنا، أما إذا كان هناك عرس و فيه تصوير فيديو، والنساء كاسيات عاريات، وهذا الشريط متداول، أي سنّة هذه ؟ هذه مخالفة كبيرة، إذا كان الصرعات الحديثة في الأزياء يطبقها المسلمون، أو المسلمات، ويبرزن مفاتهن في الطرقات، أي سنّة هذه ؟ هذا الإنسان إذا صلى وخالف السنة نقول له: اتبع سنة رسول الله من أجل أن تتصل بالله، أما هذه الصلاة لا تجدي.

((والتارك لسنتي))

فالإنسان ينتبه هل يحيي سنة النبي في بيته، في عمله، في زواجه، في احتفالاته ؟ أم يأتي ببدع ما أنزل الله بها من سلطان ؟ يعمل عيد ميلاد للأولاد، اعمل عيد مولد هذا أقوى، واجمع أصدقاء ابنك، أو صديقات ابنتك، واعمل احتفالاً واقرأ المولد، ووزع الحلوى، وأطعمهم الطعام، عرف هؤلاء برسول الله، لعل المسلمين يهتمون بعيد الميلاد وهذا انحراف خطير.

سكوت المسلمين نوع من الإجماع السلبي لأن الأمة لا تجتمع على خطأ:

وعن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده قال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم ومن هوى متبع ومن حكم جائر))

[مسند البزار عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده]

طبعاً قالوا: لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل حسام نبوة، وقد قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم بمفرده، بينما أمته معصومة بمجموعها، معنى ذلك أن الإنسان إذا تكلم الحق سكت الناس، أما إذا تكلم غير الحق لا ينبغي أن يسكت أحد، فإن تكلموا، وانتقدوا، وبينوا فالأمة بخير، الآن عندنا ما يسمى بالإجماع السكوتي، إنسان ألف كتاباً، لم يتكلم أي إنسان كلمة معناها صحيح، إنسان ألقى خطبة، عمل مقالة بمجلة، قُرئت المقالة لم يتكلم أحد، و لم يعلق أي إنسان أي تعليق، معنى هذا أن هذا الشيء صحيح، هذا من نعمة الله.

((لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ))

[أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك]

هكذا قال عليه الصلاة والسلام:

((لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ))

إنسان أتحفنا بشيء جديد، قراءات معاصرة، سمح للبنت أن يراها أبوها كما خلقها الله، سمح لها أن تسبح في البحر بثياب السباحة الفاضحة، وهذا من الدين مثلاً، لم يسكت أحد، الكل تكلموا، ونددوا، وبينوا، إذاً لم يعد هناك إجماع سكوتي، سكوت المسلمين نوع من الإجماع السلبي، لأن الأمة لا تجتمع على خطأ، فلذلك:

((إني أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم))

[مسند البزار عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده]

نحن عندنا قاعدة ذهبية، نحن لا نعرف الحق بالرجال نعرفهم بالحق، الحق هو الأصل، فإذا تكلمت الحق فعلى العين والرأس، و إن تكلمت خلاف كتاب الله صححنا لك.

إنسان ابتدع أن هناك إعجازاً رياضياً بالقرآن، مقبول، لا يوجد مشكلة، لكن هداه فكره إلى أنه قد حدد يوم القيامة فخالف آية كريمة.

(وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)

(سورة الزخرف الآية: ٨٥)

أحياناً الإنسان يغلط غلطة كبيرة، فإذا سكت الناس كانت الأمة ليست على خير أما إذا تكلموا ولم يقبلوا هذا الكلام فنحن في صحة جيدة.

((إني أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم ومن هوى متبع))

[مسند البزار عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف عن أبيه عن جده]

هناك صرعات بالعصر، نقتبسها، ونعتني بها، ونأتي بها إلى بيوتنا، ونسهر حتى الساعة الخامسة بعد صلاة الفجر، وقد ننسى أن نصلي الفجر، ونتبع هذه الصرعات، وهذه المحطات، التي تبث عبر الفضاء ويقول: نحن نستخدم الحضارة الحديثة، هذا كلام فارغ.

((ومن هوى متبع ومن حكم جائر))

من جاء بفكر مناهض للفكر الإسلامي فلن تقبل صلاته و لا صيامه و لا حجه و لا زكاته:

حديث آخر:

((قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْماً وَلَا صَلَاةً وَلَا صَدَقَةً وَلَا حَجّاً وَلَا عُمْرَةً وَلَا جِهَاداً وَلَا صَرْفاً، وَلَا عَدْلاً يَخْرُجُ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا تَخْرُجُ الشَّعَرَةُ مِنْ الْعَجِين))

[ابن ماجه عن حذيفة]

لو صلى، ولو صام، إذا جاء بفكر مناهض للفكر الإسلامي، إذا جاء بعقيدة زائغة، إذا جاء بتصور، أحياناً تسمع كل يوم شيئاً جديداً خلاف القرآن، خلاف السنة، هؤلاء البنات لسن بنات النبي، لما قال:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأحزاب الآية: ٥٩)

هذه الآية غلط ؟ أما قال:

(قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ)

بنات النبي متبنيات كلهن يخرج معنا كل يوم شيء جديد، لم يرد في القرآن، لم يرد في السنة، من أفكار أناس ضعيفي التفكير.

((لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْماً وَلَا صَلَاةً وَلَا صَدَقَةً وَلَا حَجّاً وَلَا عُمْرَةً وَلَا جِهَاداً وَلَا صَرْفاً وَلَا عَدْلاً يَخْرُجُ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا تَخْرُجُ الشَّعَرَةُ مِنْ الْعَجِين))

[ابن ماجه عن حذيفة]

الحرص على سنة النبي الكريم و التمسك بها و رفض كل بدعة أو ضلالة:

الحديث الأخير:

((رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث يوماً: اعلم يا بلال قال: ما أعلم يا رسولَ الله ؟ قال اعلم أنَّ من أحيا سُنَّة من سُنَّتي أمِيتَتْ بعدي كان له من الأجر مِثْلُ مَنْ عمل بها مِنْ غير أن يَنْقُص ذلك من أجورهم شيئاً ومن ابتدَع بِدْعَة ضلالَة لا يرضاها الله ورسولُه كان عليه مِثْلُ آثام مَنْ عمل بها لا ينقصُ ذلك من أوزارِ الناس شيئاً))

[أخرجه ابن ماجه والترمذي عن عمرو بن عوف]

يتضح من هذه الأحاديث أننا يجب أن نحرص على سنة النبي، وأن نتمسك بها، وأن نتبعها، وأن نرفض كل بدعة، وكل ضلالة، وفي نهاية المطاف الحديث الشريف:

((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))

[أخرجه مسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله]

طبعاً البدعة هنا المقصود بها في الدين، في عقيدة المسلمين، أو في عباداتهم، أما أن تأتي بجديد في شأن الدنيا لا يوجد مانع، كبرنا الصوت لا يوجد مانع، دفأنا المسجد، كيفنا المسجد، استعملنا

الماء السخان في أيام البرد الشديدة، الماء البارد في أيام الحر الشديدة، هذا ليس بدعاً في الدين، هذا من أمور الدنيا، مطلوب في الدنيا أن نحسن دنيانا، أن نطورها، أن نعتني بمساجدنا، ليس هذا هو المقصود، المقصود أن تأتي في العقيدة، أو في العبادة بشيء لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٠٥-١١٦) : كتاب السنة - الترغيب في البداءة بالخير ليستن به والترهيب من البداءة بالشر خوف أن يستن به

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٢-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يوجد شيء أحبّ إلى عز وجل من التعاون و التكاتف:

أيها الأخوة الكرام، جاء في كتاب الترغيب والترهيب في فصل الترغيب في المسارعة إلى الخير، والبداءة به ليستن به، والترهيب من عكسه.

فقد أخبرنا المنذر بن جرير عن أبيه فقال:

((كُنَّا في صَدْرِ النهار عِنْدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عُرَاة مُجتابي النِّمار أو العَباءِ مُتَقَلِّدي السيوفِ عامَّتُهم من مُضَرَ بل كلُّهم مِنْ مُضَرَ - فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة))

[مسلم عَن المُنْذِرِ بْن جَرِير عَنْ أبيهِ]

ثيابهم أثمال، جلدهم مفتقر إلى الطعام والشراب، في العين المجردة رأى النبي بأسهم، رأى النبي فاقتهم وفقرهم.

((فتَمَعَّرَ وَجْهُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تغير لونه لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خَرَجَ فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلَّى ثم خَطبَ فقال))

يتضح قبل أن نتابع الحديث أنه كاد الفقر أن يكون كفراً، وأنه ما ذهب الفقر إلى بلد إلا قال الكفر خذني معك، وأن الله سبحانه وتعالى ما أرادنا أن نكون هكذا، لذلك العلماء فرقوا بين فقر الكسل، وفقر القدر، فقر القدر محترم، وننهض جميعاً لمساعدته، لكن فقر الكسل ليس محترماً، هو كسل، وتسيب، وتسويف، فقال:

((فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ تصدَّق رَجُل مِن دِينارِهِ من دِرْهَمِهِ من ثوبِهِ من صاع بُرِّه من صاع تَمرِهِ حتى قال ولو بشِقِّ تمرة))

أي لا يوجد شيء أحب إلى عز وجل من التعاون، لا يوجد شيء أحب إلى الله من أن يكون المؤمنون أسرة واحدة، ينهض قويهم بضعيفهم، غنيهم بفقيرهم، الذي كفاه الله عز وجل لمن هو محتاج إلى أخيه.

((ولو بشِقِّ تمرة قال فجاء رَجُل من الأنصار بصُرَّة كادت كَفُّه تعجِزُ عنها بل قد عَجَزَتْ قال ثم تتابع الناسُ حتى رأيتُ كَوْمَيْنِ من طعام وثياب حتى رأيتُ وجهَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تَهَلَّلَ كأنه مُذْهَبَة أي مذهب))

أول الأمر تمعر وجهه، ثم أصبح وجهه مذهبة، بلون الذهب من شدة فرحه.

الدين لا يحتمل أن نضيف عليه شيئاً لأن الله أكمل هذا الدين وأتم نعمته على عباده:

الحقيقة الحديث تتمته، فقال:

((فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حَسَنَة فله أجرُها وأجرُ من عمل بها من بعده، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة كان عليه وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عمل بها من بعده، من غير أن ينقُصَ من أوزارهم شيء))

[مسلم عَن المُنْذِرِ بْن جَرِيرٍ عَنْ أبيهِ]

الآن هناك مشكلة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))

[أخرجه مسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله]

هذا البارحة مرّ بنا، اليوم هناك شيء جديد:

((ومن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة))

كيف نوفق بين الحديثين ؟ العلماء قالوا: هناك بدعة في الدين، وهناك بدعة في اللغة، كل شيء جديد بدعة، الدين لا يحتمل أن تضيف عليه شيئاً، لأن الله أكمل هذا الدين وأتم نعمته على عباده، أكمله عدداً ونوعاً، أي عدد القضايا التي عالجها الدين تام عدداً، لا يحتمل الإضافة، ولا يحتمل الحذف، وطريق المعالجة كاملة، فكيف نقبل سنة جديدة ؟ العلماء قالوا: هذه السنة في اللغة شيء لم يكن من قبل.

ذكرت البارحة: إنسان دفأ مسجداً، أنار مسجداً، كبر الصوت، وضع سجاداً موحداً، عمل ماء ساخناً، عمل ماء حاراً، عمل ماء بارداً في الصيف، طبع كتاباً، عمل مصحفاً مرتلاً، أي شيء جديد يتعلق بالعقيدة والعبادة هذا نضعه تحت مظلة البحث، أي شيء جديد، فإما أن يوافق حكماً شرعياً، فهو على العين والرأس، وإما أن خالف حكماً شرعياً فهو مرفوض، وإما أن يكون هذا الشيء

حيادياً، حكمه موقوف على طريقة استعماله، التصوير بالأعراس يخالف حكماً شرعياً هذا لم يكن من قبل، هذا مرفوض، محرم تحريماً كلياً، تكبير صوت بالمسجد، المسجد فيه أبهاء كثيرة، نقلنا الصوت لكل الأبهاء، اتسع إلى خمسة أضعاف حجم الحرم بنقل الصوت، هذا شيء يتوافق مع نشر الحق، آلة تسجيل هذه موقوفة، إن استخدمت في سماع القرآن ودروس العلم حلال، أما إذا استخدمت في سماع الأغاني الساقطة وغير الساقطة فحرام.

صار كل شيء جديد اسمه بدعة في اللغة لا في الدين، هذا تنطبق عليه الأحكام الشرعية الثلاثة، إما الإباحة، وإما التحريم، وإما أن يكون واجباً أن نفعله.

من سَنَّ في الإِسلام سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة:

((ومن سَنَّ في الإِسلام سُنَّةً حسنة))

لا بالعقيدة ولا بالعبادات، أنا سمعت بإفريقيا إذا توفي الإنسان فكل إنسان يعزي يدفع مبلغاً من المال لهذه الأسرة، توفى الرجل ترك أولاداً أيتاماً، أثناء التعزية تجمع مئة ألف، ثلاثمئة ألف، نصف مليون، هذا المبلغ يكون أساس استمرار الأسرة، بمحل تجاري، بعمل، بمشروع، بتأمين زواج، العرف هناك لو أن المتوفى غني أو مكتف هذا المبلغ يوزعه على روح المتوفي، يأخذه إن كان بحاجة إليه، يوزعه إن لم يكن بحاجة إليه، فصارت مناسبة الوفاة مناسبة مساعدة، الجميع ينهضون بهذا الذي ترك هذه الأسرة، هذا شيء لم يكن من قبل، سنة حسنة، في التعاون.

عملنا جمعية تأسيس بيوت للفقراء، عملنا جمعية تزويج للشباب، عملنا جمعية خيرية، عملنا ميتماً، دار أيتام، يمكن أن يتفتق ذهننا عن آلاف المشاريع التي هي لصالح المسلمين، يمكن أن نعمل جمعية تعاونية، يمكن أن نعمل جمعية تضامن، يمكن أن ننشئ بكل حي مستوصفاً، يمكن أن نوزع مواد تموينية، يتفتق ذهن الإنسان عن آلاف الأعمال الصالحة، هذا من السنة الحسنة، أما أن يتفتق ذهنك عن أن تضيف شيئاً في العقيدة، أن تدعي أن أب النبي نبي، وأن أمه نبية، ولا نبية في الإسلام، هناك أشياء تضاف على الإسلام ليست من الدين، هناك أشياء تضاف على العقيدة ليست من العقيدة.

التفريق بين البدعة في الدين و البدعة في اللغة:

إذاً: فرقوا بين البدعة في الدين، والبدعة في اللغة، البدعة في اللغة نفحصها إن وافقت نصاً شرعياً نقبلها، إن خالفت نصاً شرعياً نرفضها، إن لم يكن هناك نص يؤيدها ولا نص يحرمها نقول: الأصل في الأشياء الإباحة، البدعة في اللغة الشيء الجديد، الذي لم يكن من قبل.

أنا زرت بلبنان مسجداً، مساحته صغيرة جداً تقريباً ربع هذا المكان، بحي كثيف جداً، المسجد أربعة طوابق، بكل طابق وضعوا أجهزة تنقل الصورة، في أي مكان أنت في المسجد ترى الخطيب يخطب، والأجهزة كبيرة جداً تنقل الصورة، شيء جميل أن نستخدم التكنولوجيا، في التحايل على مساحة صغيرة، عملنا لها طوابق، هذا لم يكن من قبل على عهد النبي، لم يكن هناك مسجد أربعة طوابق، والذي يجلس في الطابق الأسفل يرى الخطيب كما هو بأجهزة كبيرة جداً، واضحة جداً، لا يوجد مانع إن استخدمنا التكنولوجيا في مساجدنا، في بيوتنا، طبعاً من دون أن يكون هناك شيء آخر يناقض هذا الشيء.

إذاً البدعة في اللغة موقوفة على الأحكام الشرعية، إما أن توافق حكماً شرعياً مبيحاً، وإما أن تخالف حكماً شرعياً محرماً، وإما أن يكون حكمها حكم موقوف على نوع استخدمها، يمكن أن نستخدم شيئاً استخداماً شرعياً، أما في الدين، في العقيدة:

((كل محدثة بدعة))

لأنك عندما تضيف تتهم الأصل بالنقص، كأنك استدركت على الله، أي أن الله نسي هذه القضية فأنت أضفتها، أنت حينما تضيف في عقيدة الإسلام، وفي عباداته كأنك استدركت على الله، وكأنك اتهمت الدين بالنقص.

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً)

(سورة المائدة الآية: ٣)

المشقة في الإسلام ليست مطلوبة لذاتها:

إذاً نوفق بين الحديثين:

((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))

هذا في العقائد والعبادات، أما في أمور الدنيا، الآن هناك أجهزة حديثة، أنا لا أحرم ولا أحلل، هناك جهاز يمكن أن يسخن الطعام بثوان معدودة، لعل فيه خطراً لأنه قائم على الإشعاعات، لو فرضنا ثبت أنه ليس خطراً، إنسان مستعجل سخن الطعام بثانية، والصحن بارد بعده، فإن كان هناك شيء يقدم خدمة، ويريح الناس لا يوجد مانع، نحن لسنا ضد الجديد، لكن ضد البدعة في الدين، النبي قال:

((أصلحوا دنياكم و اعملوا لآخرتكم))

[السيوطي عن أنس]

يمكن أن تحل مشكلات كثيرة، يقول لك: تدفئة مركزية، تسخين ماء على الأشعة الشمسية، كل شيء جديد يتوافق مع الجو العام للإسلام لا يوجد مانع، الإنسان ينتقل من مكان لمكان بدابة، ينتقل بسيارة، ينتقل بطائرة، ينتقل بباخرة، ينتقل بقطار سريع، هذا شيء ليس له علاقة، تطوير الحياة الدنيا بالإسلام معه وليس ضده، من دون أن نخرج عن منهج الله عز وجل، هناك أشياء كثيرة بالبيت مريحة تحل مشكلة.

ذكرت البارحة نقطة دقيقة، المشقة في الإسلام ليست مطلوبة لذاتها، قاعدة.

النبي رأى رجلاً يقف في الشمس، فعجب من أمره، قال: ما شأن هذا ؟ قال نذر أن يقف في الشمس، شمس الحجاز وليست شمس دمشق، شمس الحجاز درجة الحرارة تقدر بست و خمسين درجة تحت الشمس، و أحياناً تقدر بستين درجة، شيء لا يحتمل، دقائق يصاب الإنسان بضربة شمس فيموت، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ مُرْهُ فَلْيَرْكَبْ))

[النسائي عن أنس]

المشقة لا تطلب لذاتها إنما تطلب لطاعة الله و لطلب الجنة:

المشقة في الإسلام ليست مطلوبة لذاتها، الآن يمكن أن تحج بالطائرة بساعتين إلى جدة، والمشي أربعة أشهر، هل تصدقون الآن أن الله لا يقبل من الحاج أن يأتيه ماشياً لأن هناك طائرة وهو ميسور الحال، هناك سيارة، هناك قطار مثلاً، هناك باخرة، أما يوم كان الحج مشياً فقط، هذه مشقة، طريق إجباري وحيد عندئذٍ هي مقبولة، حينما تكون المشقة طريقاً واحداً إلى طاعة الله نرحب بها.

مثلاً، ليس هناك أغلى من الوطن، والدليل:

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)

(سورة النساء الآية: ٦٦)

ومع ذلك لو أنك في مكان مجبر على معصية، مجبر ألا تقيم شعائر الله ، الإسلام يقتضي أن تضحي بمسقط رأسك، وأن تذهب إلى مكان تعبد الله فيه.

(يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)

(سورة العنكبوت)

هناك مشقة، طبعاً إنسان اقتلع من جذوره، ترك بيته، ترك تجارته، ترك مكانته، صار بمكان آخر إنساناً غريباً، مشقة كبيرة جداً، لكن لأن هذه المشقة طريق إجباري إلى طاعة الله نرحب بها، المشقة لا تطلب لذاتها، تطلب لطاعة الله، تطلب للجنة، أما أن نطلبها لذاتها غير مقبول إطلاقاً.

((من سنّ في الإسلام سنة حسنة))

شيء ريح الناس، الآن هناك أشياء كثيرة تريح الناس، لم يكن على عهد النبي كهرباء، إذاً أطفئوا النور و أحضروا الشمع، هذا الكلام غير معقول إطلاقاً، بكبسة زر تجد أن كل الجامع قد أضاء، يجب أن نعود إلى السراج، وإلى الشمع ؟ مستحيل هذا الكلام، على عهد النبي لم يكن هناك سيارة فلن نركب السيارة، هذه ليس لها علاقة بالدين، بالعكس هذه تصلح لنا دنيانا، تجد شخصاً من أطراف الدنيا، هناك أخوان يأتون من مكان بعيد ليصلوا الفجر، لا يستطيع أن يأتي مشياً في الصباح، فجاء بهذه السيارة، إذاً:

((ومن سَنَّ في الِسلام سُنَّة سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة))

الدال على الخير كفاعله:

أما الشيء اللطيف:

((مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فله أجرُها وأجرُ من عمل بها من بعده، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء))

[مسلم عَن المُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أبيهِ]

من دون أن نكون مبالغين، لو فرضنا أن إنساناً قال: أين أستثمر مالي ؟ قيل له: هذه الجهة تعطيك أرباحاً طائلة، وضع هذا المال في هذه الجهة، هذه الجهة التي تعطي أرباحاً طائلة أعطت مثل هذا الربح لمن دله على هذه المؤسسة، معقول ؟ تعطيك مليون ومليون لمن دلها عليك، فكل إنسان يدل على الخير له أجر مثل فاعل الخير، والدال على الخير كفاعله.

فأنت إذا اعتنيت بإنسان حتى اهتدى إلى الله أعماله كلها، صدقاته كلها، صلواته كلها، زكاته كلها، أعماله الصالحة، بيته، أسرته عاش عشرين أو ثلاثين سنة هدى مئة إنسان، وكل إنسان هدى عشرين، ليوم القيامة وجد وراءه خمسمئة ألف، كلهم في صحيفتك ومن دون أن ينقص من أجره شيء، هذا عطاء كبير.

أيها الأخوة، صدقوني، أي شركة ضخمة في العالم، إذا إنسان امتلكها يكون أكبر غني في العالم ؟ أنا مرة قرأت خبراً صغيراً، شركة سيارات بألمانيا عندها فائض نقدي لا تجد أين تستثمر ألف مليون دولار، شركة سيارات، هذه الشركات الضخمة.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: يا علي:

((فوَ اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

((يَا عَلِيُّ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِك رَجُلًا خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ))

[أخرجه الطبراني عن أبي رافع]

((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها))

[متفق عليه عن سهل بن سعد]

أن تعتني بإخوانك، تتفقدهم، أحياناً إنسان يغيب شهراً لا أحد يسأل عنه، معنى هذا أنه ليس له قيمة، أنت تفضلت وخبرته، اتصلت به هاتفياً، زرته، أين أنت يا فلان ؟ والله اشتقنا لك، الأخوان سألوا عنك، تنعشه، معنى هذا أنا غال على أخواني، و عندما غبت عنهم افتقدوني، هذا عمل عظيم، تفقدت أخوانك، سألت عنهم، مرض عدته، افتقر أعنته، بحاجة إلى شيء عاونته، اعتنيت به، فوجد عطفاً، و اهتماماً، و متابعة، و إحساناً، فقال لك: أنا أريد أن آتي معك، فالتزم، واستقام، وتاب، كل هذا بصحيفتك، أحياناً إنسان يضطر أن يتابع إنساناً، يزوره، يعتني به، يعطيه شريطاً، يجلس معه، يخدمه أياماً بأمور الدنيا، إلى أن يميل قلب هذا الإنسان إليه، فينضم إلى جامعه، ويستقيم، ويتصل بالله، هذا أحسن من أن تملك أضخم شركة بالعالم، فائضها النقدي ألف مليون دولار، لأن هذا المال يترك عند الموت، أما هذا العمل معك إلى الجنة.

من دعا إلى ضَلالَة كان عليه من الإثم مِثْلُ آثام من تَبِعَهُ:

الحديث الأخير:

((مَنْ دعا إلى هُدى كان له من الأجر مِثْلُ أجور مَنْ تَبِعَهُ، لا ينقصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضَلالَة كان عليه من الإثم مِثْلُ آثام من تَبِعَهُ، لا يَنْقُص ذلك من أوزارهم شيئاً))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

شبهة روجتها، جهاز عممته، فيه فسق، فيه فجور، فيه سهر للساعة الخامسة صباحاً، فيه مناظر إباحية، الابن رآه بالليل خلسة، بغياب الأب، الأب اضطر أن يسافر الابن علق فيه، ترك صلاته، وترك دينه، وترك حفظه لكتاب الله، ولحق الأمور الجنسية من وراء هذا الجهاز، هذه عمل خطير جداً.

((ومن دعا إلى ضَلالَة كان عليه من الإثم مِثْلُ آثام من تَبِعَهُ، لا يَنْقُص ذلك من أوزارهم شيئاً))

هناك ضلالات فكرية، كتاب، أنا أحياناً أعجب كيف أن هناك مكتبة تبيع كتاباً كله ضلالات، أخي هذا عملنا، صاحب المكتبة المؤمن لا يبيع إلا كتاب حق، و إلا فهو آثم، يروج كتاباً فيه ضلالات، أحياناً دور نشر تطبع كتاباً كله ضلالات، تريد أن تربح، يقول لك: أريد أن أعيش، هذا غلط كبير.

((ومن دعا إلى ضَلالَة))

ولو طفيفة، إياك أن تكون سبباً في معصية، أحتاج أستاذاً لابنتي، على عيني عندي أستاذ جيد جداً، اخترت له أستاذاً جلس مع ابنته على انفراد، هذه خلوة، أستاذ رياضيات جلس مع طالبة بكلوريا بغرفة لوحدهم، هذه خلوة، إن صار شيئاً أنت مسؤول، وأغلب الظن يصير ألف شيء، ما دام جمعت بين شاب وشابة في خلوة فأنت مسؤول، والله أنا نصحتهم بأستاذ ممتاز بالرياضيات، لا يوجد أرقى من هذا، لكن صار هناك خلوة بالنصف.

إذا كان في معصية، في شبهة، أحياناً يدلك على تجارة لكن البضاعة محرمة لها إشكالات كثيرة جداً، يقول لك: هذا عملنا.

الدعوة إلى الله أعظم تجارة على الإطلاق:

إذاً هذين الحديثين خطيرين جداً:

((مَنْ دعا إلى هُدى ومن دعا إلى ضَلالَة مَنْ دعا إلى هُدى كان له من الأجر مِثْلُ أجور مَنْ تَبِعَهُ))

هذا شيء يدفع الأخوان الكرام أن يبحث كل واحد منهم عن إنسان من أقربائه، من جيرانه، من زملائه، أولاده، من يلوذ به، أولاد خالته، أولاد عمته، يعتني بهم، يزورهم، يتفقدهم، يسمعهم شريطاً، يلقي عليهم كلمة، يهديهم هدية أحياناً، يستجلب قلبهم، حتى يهتدوا ويستقيموا، هذه أعظم تجارة على الإطلاق، أنا أحياناً أقول للإخوان: هذا الأخ الذي اعتنيت به حتى اهتدى إلى الله، والله خير لك من ألف مليون دولار، لأن هذا المبلغ الضخم تتركه في الدنيا وتذهب وحدك إلى الآخرة، أما هذه الهداية تذهب معك إلى الجنة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٠٦-١١٦) : كتاب العلم - الترهيب من المراء والجدال والمخاصمة والمحاجة والقهر والغلبة والترغيب في تركه للمحق والمبطل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٢-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من أنشأ خصومة بين المسلمين و فرّق شملهم فقد كفر:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إنَّ أبغض الرجالِ إلى اللّه تَعَالَى: الألَدُّ الْخَصِمُ))

[متفق عليه عن عائشة]

هذا الذي ينشئ خصومة مع الناس، هذا الذي يفرق شمل المسلمين، هذا الذي الذين يجعل الدين شعباً وأحزاباً وطوائف، هذا الذي يفتت وحدة المسلمين، هذا الذي يقيم خصومة على فروع الدين لا على أصوله، أعداء المسلمين يتعاونون على عشرة بالمئة من المتفق عليه، والمسلمون يقيمون خصومة على تسعين بالمئة من المتفق عليه، على عشرة بالمئة خلاف تقام خصومات لا تنتهي، هذه الخصومة سماها الله عز وجل في القرآن كفراً.

مرةً غاظ اليهود أن يتفق الأوس والخزرج، بعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام فجاء أحدهم بقصيدة قيلت في أيام الجاهلية في هجاء للأوس، فدفعها إلى غلام من الخزرج ليلقيها على مسامع الأوس، ونشبت خصومة، وتلاسن الطرفان، وأخذتهم حمية الجاهلية ، ثم سلوا سيوفهم وكادت تقع فتنة، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر فخرج غاضباً وقال: أفتنة وأنا بين أظهركم ؟ ثم نزل قوله تعالى:

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ)

(سورة آل عمران الآية: ١٠١)

فَسَمّى الله سبحانه وتعالى هذه الخصومة الجاهلية كفراً.

ما كل من وقع في الكفر وقع عليه الكفر:

بالمقابل أي إنسان ينشئ خصومة بين المسلمين، لو أن إنساناً خرج عن أصول الدين، وجاء ببدع ما أنزل الله بها من سلطان، لا مانع أن نخاصمه، أما إذا كنا متفقين على تسعين بالمئة من الدين،

وهناك خلافات في عشرة بالمئة لا يبغي أن نفتت وحدة المسلمين من أجل هذه الخلافات التي هي في فروع الدين.

الإمام الشافعي في هذا المقام له مقال رائع، يقول: " نتعاون فيما اتفقنا ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا".

بل إن أحدهم عدَل هذه المقولة فقال: "نتعاون فيما اتفقنا، وينصح بعضنا بعضاً فيما اختلفنا ".

لذلك بعض العلماء يقول: " نحن لا نُكفّر بالتعيين، لا يجوز أن تقول فلان كافر من كَفّر أخاه فقد كفر، ومن كَفّر أخاه فقد باء بالكفر أحدهما ".

ماذا تقول ؟ من قال كذا فقد كفر، من اعتقد كذا فقد كفر، دون أن تُعين، لا تعيين، ولبعض العلماء مقولة أخرى: ما كل من وقع في الكفر وقع عليه الكفر.

هذا البدوي الذي ركب ناقته وعليها زاده وشرابه، وانطلق بها في الصحراء فلما جلس بها ليستريح أخذته سنة من النوم، فاستيقظ فلم يجد الناقة، فبكى حتى كاد يهلك من شدة البكاء، لأنه أيقن بالهلاك فغفل لحظة فأفاق فرأى الناقة، فقال: يا رب أنا ربك وأنت عبدي، يقول عليه الصلاة والسلام: "لله أفرح بتوبة عبده من ذلك البدوي بناقته".

هذا الذي قال: أنا ربك وأنت عبدي ألم ينطق بالكفر ؟ هل وقع الكفر عليه ؟ لم يقع.

فما كل إنسان يقول كلمة لا يقصد مضمونها لك أن تكفره.

مرة قال لي أحدهم: لله رجال إذا أرادوا أراد، سمع هذه المقولة إنسان يحضر هذه الجلسة، فقال: هذا كفر، فقلت له: لعله أراد أن يقول رجال مستجابو الدعوة، إذا دعوا ربهم استجاب لهم، ولك أن تؤول تأويلاً آخر، لك أن تقول إذا كان لهؤلاء الرجال إرادة مستقلة عن إرادة الله هذا كفر طبعاً، التمس أخيك عذراً، حاول أن تؤول كلامه، أما أن نأخذ الكلام على ظاهره وأن نُكفّر الناس و نقيّمهم وكأننا أوصياء عليهم فهذا لا يجوز.

تقييم الناس ليس من شأن الإنسان هذا من شان الله عز وجل:

هناك فرق إسلامية ـ والعياذ بالله ـ أي إنسان لو قال: يا رسول الله يقولون: هذا مشرك، يوزعون ألقاب الشرك والكفر على الناس بغير حساب.

هذا الذي يضيق على الناس، ويجعل نفسه وصياً عليهم، ويوزع ألقاب الكفر والشرك كما يريد، هذا يفتت وحدة المسلمين، نحن لا نُكفّر أهل القبلة، أي إنسان يقف باتجاه القبلة ويريد أن يصلي لا

نُكَفّره، لا نُكَفّر أهل لا إله إلا الله، أي إنسان شهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله لا نُكَفّر، بل إن الأصوب من ذلك أن تقييم الناس ليس من شأن الإنسان، هذا من شان الله عز وجل، أنت لست مؤهلاً أن يقيم الناس، لأن الله عز وجل يقول:

(وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً)

(سورة الإسراء)

المؤمن الصادق يكون عوناً لأخيه على الشيطان ولا يكون عوناً للشيطان على أخيه:

لذلك أيها الإخوة، الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق من الله تعالى.

ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى.

هناك إنسان وظيفته مع الناس قناص، ما معنى قناص ؟ يقرأ الكتاب لا ليفهم ما فيه بل ليبحث عن أخطاء مؤلفه فقط، إن جلس إليك لا ليستفيد منك، يبحث عن كلمة لا تروق له فيقنصها، وينقلها عنك ليشهرك بين الناس، هذا الإنسان قناص هو الألد الخصم، الذي يبغضه الله عز وجل.

((الأَلَدُّ الْخَصِمُ))

النبي عليه الصلاة والسلام بكماله الخُلقي أحد أصحابه وهو حاطب بن بلتعة، هذا الصحابي ارتكب في العرف الدولي والسياسي والإداري في كل الأنظمة على مرور الدهور والعصور ما يسمى بالخيانة العظمى، أرسل كتاباً إلى قريش يقول فيه: إن محمداً سيغزوكم فخذوا حذركم، جاء الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأطلعه على فعل حاطب، أرسل النبي سيدنا علي بن أبي طالب، إلى المرأة التي كانت تحمل هذا الكتاب، إلى مكان اسمه الروضة فيما بين مكة والمدينة، طبعاً هذا الكتاب استخرج من المرأة، أُخذ من ظفيرة شعرها، وقد كتب فيه: من حاطب بن بلتعة إلى قريش، إن محمداً سيغزوكم فخذوا حذركم، سيدنا النبي استدعى حاطب وسأله: ما حملك على ما صنعت ؟ سيدنا عمر واقف، قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: لا يا عمر إنه شهد بدراً، أرأيتم إلى وفاء النبي ! أرأيتم إلى اتساع صدر النبي ! أرأيتم إلى رحمة النبي ! قال: والله يا رسول الله ما كفرت، ولا ارتددت، اغفر لي ذلك يا رسول الله، إنني لصيق في قريش، ولست منهم، أردت بهذه المبادرة أن أحمي أهلي ومالي، النبي عليه الصلاة والسلام ما كان منه إلا أن قال: "إني صدقته فصدقوه، ولا تقولوا فيه إلا خيراً ".

قال كُتّاب السيرة: لقد نظر سيدنا عمر لذنب حاطب فرآه خيانة عظمى، فأراد أن يضرب عنقه، ونظر النبي إلى صاحب الذنب، لا إلى الذنب، فرأى هذا الذنب ضعفاً أصاب هذا الإنسان في بعض اللحظات، فبدل أن يسحقه في قدمه أنهضه، وأعانه على شيطانه.

والمؤمن الصادق دائماً يكون عوناً لأخيه على الشيطان، ولا يكون عوناً للشيطان على أخيه.

((الْأَلَدُّ الْخَصِمُ))

الذي ينشئ خصومات، الذي ينشئ عداوات، الذي يفرق بين المسلمين، الذي يفتت جمعهم، يفرق وحدتهم، هذا ممن يبغضهم الله عز وجل.

أكبر جريمة أن تجعل المسلمين شيعاً وأحزاباً:

لذلك أنا أقول دائماً: لا يجوز أن تنتمي لجماعة صغيرة وتعادي بقية المسلمين، ينبغي أن تنتمي لمجموع المؤمنين، يجب أن تشعر أن كل أخ مسلم أخوك في الله، من أية جماعة أخرى ما دامت عقيدته صحيحة، ومنهجه صحيح، في الكليات لا في التفاصيل، في التفاصيل قد نختلف.

يقول الإمام الشافعي: " أنا على حق، وخصمي على باطل، وقد أكون مخطئاً " ويقول: " أنا على حق، وخصمي على باطل، وقد يكون مصيباً ".

اجعل احتمالاً للصواب عند خصمك، واجعل احتمالاً للخطأ عندك، بهذا تقف موقفاً معتدلاً، ما من جريمة أكبر من أن تجعل المسلمين شيعاً وأحزاباً، ما من جريمة أكبر من أن تفرقهم، وتشتتهم، وتفت في عضدهم، فإن هذا يضعفهم، قال تعالى:

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)

(سورة الأنفال الآية: ٤٦)

ويا أيها الإخوة الكرام، ما من محنة أصابت المسلمين على ضعفهم، وعلى كثرة أعدائهم، وعلى هجمة خصومهم، أشد من تفرقهم.

التقيت في مصر قبل شهرين أو أكثر بعالم كبير، وداعية كبير هناك، طرحت عليه هذا السؤال، قلت له: هذه الصحوة الإسلامية ما سببها ؟ قال: التفرقة، التفرقة بين الدعاة، لأنه بهذه التفرقة يسقط الدعاة جميعاً من نظر الناس، أما إذا تعاونوا، وتناصروا، وأثنى بعضهم على بعض، وعرف بعضهم قدر الآخر، وكَمّل بعضهم بعضاً، حببوا الناس بالدين.

كنت أقول دائماً: النبي صلى الله عليه وسلم معصوم بمفرده، بينما أمته معصومة بمجموعها، أي أن كل واحد من أمة النبي يحتاج إلى أخيه، تفوق في جانب وغاب عنه جانب، والثاني تفوق في جانب، وغاب عنه جانب، مجموع أمة النبي لا تخطئ، ماذا يقول عليه الصلاة والسلام ؟

((لا تجتمع أمتي على ضلالة))

[أخرجه الطبراني والإمام أحمد عن أبي نصرة الغفاري]

مجموع الأمة معصوم، أما النبي وحده معصوم.

إذاً بدل التنافس نتعاون، بدل التنافس نتناصح، بدل التنافس يستمع الواحد منا لأخيه.

الدعوة إلى الله و الدعوة إلى الذات:

لذلك أقول دائماً: هناك دعوة إلى الله خالصة، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله، أخطر دعوة أن تدعو إلى ذاتك، وأن تغلف هذه الدعوة بدعوة إلى الله، هذا الذي يدعو إلى ذاته يبتدع ولا يتبع، لأنه إن لم يبتدع ماذا سيقول ؟ صار واحداً من المسلمين، أما إذا ابتدع يقول: أنا وحدي على حق، وما سواي على باطل.

لذلك قالوا: اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، الورع لا يتسع.

سيدنا الصديق يقول في أول خطبة له: لقد وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، إنما أنا متبع، ولست بمبتدع.

فالذي يدعو إلى الله بإخلاص يتبع ولا يبتدع، إذا اتبع لم يعد له ميزة كبيرة جداً.

تقريباً منهج اللغة العربية في القطر، في كل المحافظات، في كل المدارس، أية مدرسة في هذه المحافظات العديدة، الكتاب واحد، أما المدرسون يختلفون، كل مدرس له أسلوبه، أما الموضوعات واحدة، الصفحات واحدة، وكذلك المسلمون منهجهم واحد، كتابهم واحد، نبيهم واحد، سنتهم واحدة، عقيدتهم واحدة، هدفهم واحد، كل داعية له أسلوب في الدعوة يتميز به، هذا لا ينبغي أن يجعل البقية على ضلال، أو على خطأ، لكن يتفاوت الدعاة في إخلاصهم، وفي أساليبهم، وفي قدراتهم على نقل الحقائق للناس.

الابتعاد عن الغلو في الدين:

لذلك أيها الإخوة، هذا حديث خطير جداً:

((إنَّ أبغض الرجالِ إلى اللّه تَعَالَى: الألَدُّ الْخَصِمُ))

[متفق عليه عن عائشة]

الألد بالتشديد، الشديد في الخصومة، لذلك ما هو الغلو في الدين ؟ الغلو في الدين أن تأتي بفرع من فروع الدين وتجعله أصلاً، وأن تحارب من أجله، أن تأتي بقضية فرعية لا تقدم ولا تؤخر، فتجعلها أساساً في الدين وتخاصم من أجلها.

بالمناسبة لا يجوز أن تنكر شيئاً فيه خلاف بين الصحابة، إنسان صلى وقد أسبل يديه، فعل هذا النبي، لا ينبغي أن تنكر عليه ذلك، الشيء الذي اختلف فيه العلماء، ليس موضعاً للإنكار، أما شيء أتفق عليه فإذا خرج عليه الإنسان يمكن أن ننصحه، أما في الخلفيات ليس هناك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لأن كل عبادة وافقت أحد المذاهب المتعمدة فهي صحيحة عن علم أو عن غير علم.

خصائص الفرق الضالة:

لو أخذنا القواسم المشتركة لتوحدنا، وكنت أقول دائماً: الفرق الضالة في العالم الإسلامي منذ العصر الأموي وحتى الآن، الفرق الضالة تجمعها خصائص ثلاث، أول خصيصة أنها تعتمد على أحاديث ضعيفة أو موضوعة، نصها غير موثق، لو ألغيت الأحاديث الموضوعة والضعيفة، لاتفقنا جميعاً، لأن الصحاح تجمع و لا تفرق، لذلك في الدعوة إلى الله ابتعد عن الأحاديث الموضوعة والضعيفة:

((ومن كذبَ عليَّ مُتعمِّداَ فلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ من النار))

[البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((مَنّ حدَّثَ عنِّي بحديث يرُى أنه كذب فهو أحد الكاذّبين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن المغيرة بن شعبة]

الشيء الثاني: أي فرقة ضالة يكبر فيها الشخص على حساب المبدأ، نحن في عالمنا الإسلامي ليس عندنا رجل كلامه دليل، إلا أن يأتي بدليل على كلامه، المنهج إن كنت ناقلاً فالصحة، مبتدعاً فالدليل، فالدليل أساس ديننا، لولا الدليل لقال من شاء ما شاء.

الشيء الثالث: تخفيف التكاليف، تخفف التكاليف، ويؤله الأشخاص، ويعتمد على نصوص موضوعة أو الضعيفة، لو درست الفرق الضالة من العهد الأموي وحتى الآن لما وجدت الفرق تخرج عن هذه الخصائص الثلاث.

الآن أهل السنة والجماعة يعتمدون على النصوص الصحيحة والمبادئ أكبر من الأشخاص، والشيء الثالث ما هو ؟ بالمقابل المبادئ أكبر من الأشخاص، والنصوص صحيحة، والتكاليف كاملة، هؤلاء هم على حق.

على كل إنسان أن يبتعد عن الخصومات التي تضعف المسلمين ليرقى عند الله تعالى:

على كلِ الإنسان دائماً حينما يعتدل حتى في خصومته يرقى عند الله عز وجل، يعتدل.

((أَحْبِبْ حبيبَك هَوْنا مَّا، عسى أن يكونَ بَغِيضَكَ يوماً مَّا وأبْغِضْ بغيضَك هَوْنا مَا عسى أن يكونَ حبيبَك يوماً ما))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

((الأَلَدُّ الْخَصِمُ))

الألد بالتشديد الشديد في الخصومة، هو الشديد في الخصومة.

فلذلك الآن نحن بحاجة ماسة إلى أن نبقى في المتفق عليه، أنا أقول لكم: بإمكان كل داعية في العام الإسلامي أن يدعو إلى الله خمسين عاماً دون أن دون أن يتعرض للخلفيات، ابقَ في المتفق عليه. هذا الأعرابي الذي قال للنبي: عظني ولا تطل، قال له:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

قال كُفيت، إذاً آية واحدة كفت أعرابياً، فقال عليه الصلاة والسلام: "فقه الرجل " فما قولكم في قرآن يتلى علينا صباحاً و مساءً ؟

أنا أتمنى على كل أخ كريم أن ينفتح على الناس لا أن ينغلق، لا أن يدعي على أنه على حق والناس على باطل، لا يدعي أن جامعه هو الأوحد وما سوى ذلك كله هراء بهراء، هذا موقف غير أخلاقي، وغير موضوعي، والله عز وجل يحب عباده جميعاً.

أحياناً الإنسان يتوهم في ساعة جهل أن الله له وحده، وأن الجنة له وحده، مع أن الله فضله عميم، والله لكل عباده، ولكل الناس، فهذه النظرة الضيقة تنشئ خصومات، وتضعف المسلمين، وتفتت في عضدهم، هذا الحديث الشريف:

((إنَّ أبغض الرجالِ إلى اللَّه تَعَالَى الأَلَدُّ الْخَصِمُ))

((غفرَ الله لرجل كان قبلكم سهلاً إذا باع سَهلاً إذا اشترى سهلاً إذا اقتضى))

[أخرجه البخاري والترمذي عن جابر بن عبد الله]

وقس على ذلك حتى في أية علاقة أخرى، وحينما أثنى الله على نبيه الكريم أثنى عليه بخلقه العظيم، والدين هو حسن الخلق، ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٠٧-١١٦) : كتاب الطهارة - الترهيب من التخلي في طرق الناس أو ظلهم أو مواردهم والترغيب في الانحراف عن استقبال القبلة واستدبارها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٢-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ملعون عند الله من يؤذي المسلمين:

أيها الأخوة الكرام، في كتاب الطهارة وذكر أبوابها، الترهيب من التخلي في طرق الناس وظلهم، وغير ذلك من آداب الخلاء، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ قيل وما اللاَّعِنانِ قال الذي يَتَخَلَّى في طريق الناس أو ظِلِّهم))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

من هذا الحديث ننطلق من أن الذي يؤذي المسلمين ملعون عند الله، لا بد من وقفة متأنية عند قاعدة أصولية، وهي أن النبي حينما قال:

((لا يقضي الحكم بين اثنين وهو غضبان))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي بكرة]

العلماء حملوا على الغضب ثلاثاً وثلاثين حالة، ما علة نهي النبي أن يقضي القاضي وهو غضبان؟ العلة أن الحكم يأتي غير صحيح، لو أن ابنه مريض مرضاً شديداً ينبغي ألا يقضي، لو أنه واقع في مشكلة مالية ينبغي ألا يقضي، أي شيء يتحد مع الغضب فيجعل الحكم مضطرباً منهي عنه حكماً، هذا فهم في أصول الفقه.

القياس إذا حرم النبي شيئاً، أو إذا حرم الله شيئاً، مثلاً الخمر، أي شيء يتحد مع الخمر في الإسكار فهو محرم، لم يرد في القرآن الكريم تحريم المخدرات، هذه التي نسمع بها الآن، هي محرمة حكماً، بالقياس، ما دامت علة تحريم الخمر السِكر، فأي شيء آخر يفعل في الإنسان فعل الخمر تماماً فهو محرم، ما دام النبي نهى على أن يقضي القاضي وهو غضبان، أية حالة تلامس القاضي، أو تتحد معه، فتؤذي أو فتجعل الحكم مضطرباً منهي عنها حكماً.

أي شيء يؤذي المسلمين في أي مجال يستحق لعنة الله عز وجل و لعنة الناس:

مثل آخر: حينما قال النبي: تجب الزكاة في القمح والشعير والتمر والزبيب.

لو أخذت ظاهر الحديث كل الإنتاج الزراعي على وفرته وتنوعه، إن لم يكن قمحاً، أو شعرياً، أو زبيباً، أو تمراً، لا زكاة فيه، هذا شيء مستحيل، ما علة هذه المحاصيل ؟ أنها محاصيل أساسية، وتخزن، وهي قوت للناس، إذاً أي محصول آخر يلتقي مع هذه المحاصيل في أنها أساسية، الرز مثلاً، الرز عليه زكاة؟ الرز ما ورد في الأحاديث، فالعلماء قالوا: تجب الزكاة لا في عين هذه العناصر الأربعة بل تجب في علتها، علتها محصول أساسي يخزن وهو قوت للناس، العدس ؟ تجب فيه الزكاة الحمص ؟ تجب فيه الزكاة.

من هذه المقدمة نصل إلى هذا الحديث:

((اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ قيل وما اللاَّعِنانِ قال الذي يتَخَلَّى في طريق الناس أو ظِلِّهم))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

أي أحياناً يكون هناك مكان جميل، شجرة، وارفة الظلال، يأتي إنسان ويتخلّى تحت الشجرة في هذا الظل، صار أي إنسان آخر إذا جاء ليجلس هنا يهرب، لا يستطيع، هذا استحق لعنة الله، ولعنة الناس، هذا الذي عمل عملاً يستحق عليه اللعنة، فأنت إذا فهمت الحديث فهماً واسعاً بمعنى أي شيء يؤذي المسلمين في أي مجال، وفي أي مكان، وفي أي زمان، وفي أية طريقة، هذا الشيء يستحق لعنة الله عز وجل، لو أن المسلمين فهموا هذا الحديث فهماً عميقاً، وحرصوا حرصاً بالغاً على ألا يؤذوا أحداً، أحياناً إنسان يؤذي إنساناً بإلقاء القمامة أمام بيته، ممكن، هذا مما يؤذي المسلمين، من يضيق على المسلمين الطريق، هذا مما يؤذيهم، فأنت فكر أي شيء يؤذي هؤلاء الجيران، أو يؤذي هؤلاء المسلمين هذا مما يستوجب لعنة الله عز وجل، أحياناً إنسان يصدر أصواتاً تقلق راحة الناس، هذا ملعون أيضاً، هناك مريض، هناك عاجز، أحياناً يوجد احتفال و هناك أناس لا يستطيعون النوم لارتفاع الأصوات، إلى مسافة كيلو متر من كل الجهات، هناك مريض، هناك مشكلة، هناك مصاب.

الحياة لن تستقيم إن لم يكن هناك خوف من الله عز وجل:

هذا الحديث لا ينبغي أن نقف عند جزئياته فقط، كيف أننا تجاوزنا النص الدقيق:

((لا يقضي الحكم بين اثنين وهو غضبان))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي بكرة]

تجاوزنا إلى ثلاث وثلاثين حالة تتحد مع الغضب في تشويش الحكم، كيف أننا تجاوزنا هذه المحاصيل الأربعة إلى أي إنتاج زراعي يعد محصولاً وقوتاً وذا قيمة، ففرضنا فيه الزكاة، أيضاً ينبغي أن نتجاوز هاتين الحالتين:

((الذي يتَخَلَّى في طريق الناس أو ظِلِّهم))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

إذا إنسان فرضاً نزل إلى مسبح، وبال في المسبح، هذا يستحق لعنة الله عز وجل، أحياناً الإنسان يعمل في مطعم، لا يعتني بالنظافة، ولا أحد يراه إلا الله، هو لا يبالي بهذه المعصية، فالإنسان إذ لم يعتن بطعام الناس يلعنه الله عز وجل، فلو أردنا أن نطبق هذا الحديث بالمفهوم الواسع لوجدنا أن كل شيء يؤذي المسلمين يستحق صاحبه اللعنة.

هناك صناعات غذائية كثيرة، يوجد صرصور، يوجد حيوان، تموت فأرة، يباع المحصول، ويباع الزيت، يسوق هذا الطعام، أحياناً بالقمح يكون هناك قوارض يُطحن، لا يوجد أي ضمانة، إن لم يكن هناك دين فلا يوجد ضمانة.

سمعت عن بعض البلاد أن بعض العمال عجنوا العجين ببولهم، وأطعموا الناس هذا الخبز، فإن لم يكن هناك رادع داخلي، وازع داخلي، وخوف من الله الحياة لا تستقيم.

الدين استقامة:

الآن كلنا مستسلمون في بعض الأشياء التي نشتريها من السوق، أحياناً يضعون بالطحينة اسبيداج، مادة مؤذية جداً تبيض اللون، هذا عمل حرام، طبعاً إذا كان لونها فاتحاً فسعرها أغلى، فحتى نأخذ السعر الأعلى نضع في هذه المادة الغذائية مادة مسرطنة، أو سامة.

الدين ما هو الدين ؟ الدين أن تستقيم في عملك، عندئذٍ إذا صليت ارتقيت إلى الله عز وجل، الدين استقامة، فكل واحد من الأخوان الكرام فهم الدين ـ لا سمح الله ـ صلاة وصوماً، وحجاً، وزكاة، لم يفقه من الدين شيئاً، الدين يدخل إلى أدق التفاصيل في حياتك، يدخل إلى أدق التفاصيل في عملك، يدخل إلى التفاصيل في كسبك للمال، في إنفاقك للمال.

فإذا تخلى الإنسان في طرق الناس، أي قضى حاجته في الطريق، أو تخلى في ظلهم، الظل ثمين جداً، هذا الحديث قاله النبي وهو في الصحراء، الصحراء لاهبة محرقة، إذا فيها نخلة، هذه النخلة واحة تهيئ للمسافر مكاناً يستريح فيه من ضوء الشمس المحرقة، فهذا الإنسان إذا قضى حاجته في هذا المكان فقد عمل أذى كبيراً.

إيذاء الناس بأي شكل من الأشكال محرم عند الله عز وجل:

أنت إذا قرأت هذا الحديث عليك أن تقيس عليه كل شيء، أي شيء يؤذي المسلمين، أحياناً مدخنة لحمام سيء جداً، هذا الدخان يؤذي كل الجيران، أحياناً إنسان يغسل نوافذه وتحته طابق أرضي، يضع مواد غذائية، المسلم إنسان كالملك لا يؤذي الناس لا بماء تنظيفه، ولا بأصوات أجهزته، ولا بقمامته، أي شيء يؤذي المسلمين محرم، لو طبقنا نحن جميعاً هذا الحديث لما وجد شيء سيئ

بحياتنا، وإلا أصحاب الطوابق العليا يؤذون أصحاب الطوابق السفلى، الذي عنده فرح يؤذي كل الجيران، أحياناً يكون هناك تفلتاً إذا كان للبيت شرفة، يتفلت الجار، يرتدي ثياباً داخلية أمام جيرانه، هناك فتيات، هناك شابات، فالإنسان كلما كان قريباً من الله صار كتلة خير، لا يؤذي أحداً، لا بصوته، ولا برائحة طعامه، النبي قال: " ولا تؤذه بقتار قدرك ".

مثلاً إنسان يركب سيارة يريد أن يأكل، هناك طفل صغير، هذا الرجل كان قد اشترى موزاً، وموالح، و فستقاً، هذا الطفل يشتهي، طفل صغير تأكل أمامه فاكهة طيبة، تأكل أمامه أشياء طيبة، يجب أن تضيف.

((وإذا اشتريت فاكهة فأهدِ له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك))

[القرطبي عن معاذ بن جبل]

هناك طعام له رائحة، عمل لحمة مشوية، والجيران كلهم جالسون، وقد يكون في حي فقير، أو الجيران في حالة يرثى لها.

((ولا تؤذه بقتار قدرك حتى تغرف له منها))

[القرطبي عن معاذ بن جبل]

المسلمون أسرة واحدة و لهم حقوق و عليهم واجبات:

أين حقوق الجيران ؟ حقوق المسلمين ؟ المسلمون أسرة واحدة، حتى تكون دقيقاً جداً، حتى يقاس هذا الحديث على إنسان يعطي ابنه عندما يذهب إلى المدرسة أنواعاً من الحلويات غالية جداً، هناك قطع ثمنها خمس وثلاثون ليرة، خمسون ليرة، ستون ليرة، أكثر الطلاب هذه الأشياء غير موجودة عندهم، فالطفل لا يملك إمكانية ليكون كاملاً، طفل يأكل هذه الحلويات الغالية المستوردة أمام أصدقائه الصغار، تُخلق مشكلة، هل تصدقون أن إنساناً يعطي ابنته بالحضانة خمسمئة ليرة لتصرفها ؟! طفلة عمرها أربع أو خمس سنوات يكون معها خمسمئة ليرة ! كيف تنفقها ؟ هذا نوع من الأذى، إذا أغدقت على ابنك شيئاً غير معقول أو فواكه نادرة جداً أو مبلغاً من المال كبير، صار هناك فتنة في المدرسة.

((ولا تؤذه بقتار قدرك))

إذا كنت تريد أن تفهم الحديث فهماً أصولياً ؛ أي شيء يؤدي إلى إيذاء المسلمين فهو محرم، نكون بحالتين في طرق الناس وتخلقهم، نصبح بالمذياع، هذا يؤذي المسلم بالأغاني، هذا يؤذي المسلم بالمدخنة، هذا يؤذي المسلم بتنظيف البيت، أي شيء يؤدي إلى إيذاء المسلم فهو محرم، فالمسلم

ملك.

أحياناً الإنسان يلقي بعض الأشياء، يأكل فواكه، يلقي قشورها في الطريق راكب سيارة، إنسان يأكل موزة، يرميها، هذا إيذاء، يمكن أن يتزحلق بها إنسان ويقع فتكسر رجله، والإنسان إذا كان فوق الستين أو السبعين عنده هشاشة بعظامه، يكسر عظمه لأتفه سبب، فيمكن أن تسبب قشور بعض الفواكه كارثة، وإذا كسر العظم عند عنق الفخذ عمره سبعون سنة، هذا ضرر كبير، يضعون صفيحة، الصفيحة غير متقنة، تعمل إنتانات، تعمل التهابات، بعدها تصبح غرغرين، يمكن أن تقطع رجله من قشرة موزة ؟.

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ)

(سورة يس الآية: ١٢)

الآثار.

من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم:

أيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم))

[رواه الطبراني عن حذيفة بن أسيد]

أحياناً يريد أن يمد خط مياه من طرف إلى طرف آخر بالشارع، فيحفر الزفت و ينشئ حفرة، هذه الحفرة سببت إشكالاً في السير، أكثر المركبات تنطلق بسرعة، الحفرة كبيرة، حفر مدّ الخط وارتاح، حلّ مشكلته، ومشكلة هؤلاء الذي يقطعون الطريق بسرعة عالية كم دفعوا ثمن عطب في سيارتهم ؟ هذا آذى المسلمين، ديننا دين حياة وليس دين ممات، ليس دين معاملات، أحياناً حفرة قد يقع فيها إنسان، قد يقع فيها طفل، قد يقع فيها كبير في السن، أنت في حالة حفرت حفرة غير صحيحة، بمكان غير صحيح، هذه تسبب عشرات الحوادث.

قال لي إنسان: هناك تحويلة لطريق، المهندس غير متقن لعمله، فأربعة عشر إنساناً ماتوا في هذه التحويلة، أي عقب طريق مستقيم وطويل، والسرعة عالية، والتحويلة بعد منعطف، فلم يهيئ الإنسان نفسه للخروج من الطريق بهذه السرعة، فأنت إذا لم تضع إشارات عالية جداً، أنت آذيت المسلمين في طرقهم.

سيدنا عمر بن الخطاب قال: " لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها، لِمَ لم تصلح لها الطريق يا عمر .

هناك أخطاء في تحويلات الطرق، وفي شق الطرق، يذهب ضحيتها مئات، لخطأ في عدم وضع الإشارة، أو عدم وضع لافتة.

أعرف طريقاً إلى بعض المحافظات الجنوبية فيه منعطف حاد، تسعون درجة عقب طريق مستقيم، والطريق ضيق، حدثوني أنه كل سنة هناك ما يقدر بعشرين أو ثلاثين حادثاً، صححوا الآن، و صار المنعطف مفتوحاً في زاوية منفرجة، كان بزاوية قائمة، أي خلال عشر سنوات مئات الحوادث، سيارات يختل توازنها أثناء السير في هذا الطريق، هذا يحاسب عنه الإنسان.

أحياناً بموضوع الكهرباء أيضاً أخطاء قاتلة، مثلاً قبل شهر تقريباً، أو ثلاثة أسابيع إنسان ركب صحناً، هناك موجة رياح شديدة فالصحن طار من مكانه، وقع فوق طفلة في عمر الورود، والطفلة بنت صديقي، فقتلها، بنت مصدر سعادة البيت كله، مهذبة جداً، تحفظ كتاب الله، فهذا الذي ركب الصحن وضع أربعة براغي من ثمانية، مستعجل، على أي سرعة رياح طار الصحن جاء فوق طفلة فقتلها، هذا البيت الذي فيه هذه الطفلة، التي هي مصدر سعادة والديها، تموت لسبب تافه ! ذهبت لتأتي بأخيها من المدرسة وهي في الطريق وقع الصحن فوقها، فأزهق روحها، طبعاً هذا آذى المسلمين، طبعاً محاسب صاحب البيت، والذي ركب الصحن، هذا غير موضوع معصية الصحن، تركيب الصحن وحده عليه مسؤولية،

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ)

((من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم))

[رواه الطبراني عن حذيفة بن أُسيد]

المنهج الإلهي وصل إلى أدق شيء في حياة الإنسان:

حديث آخر:

((من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها في الغائط كتبت له حسنة ومحي عنه سيئة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

ما هذا المنهج الإلهي ؟ يصل المنهج الإلهي إلى أدق شيء في حياة الإنسان، إن أراد أن يقضي حاجة ينبغي ألا يستقبل القبلة، وألا يستدبرها، الآن إذا إنسان أنشأ بيتاً، أو صمم بيتاً ولم يكن متعمقاً بالفقه قد يجعل المرحاض باتجاه القبلة، أو باتجاه عكس القبلة الشمالية، كلاهما لا يجوز، إذا إنسان قضى حاجة في هذا البيت، إما أنه يستقبل القبلة أو يستدبرها، وكلاهما لا يجوز، تعظيماً لهذه القبلة.

(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)

(سورة الحج)

هذه شعائر الله عز وجل.

((من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها في الغائط كتبت له حسنة ومحي عنه سيئة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٠٨-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

كل إنسان على وجه الأرض له عند الله مكانة بحجم عمله :

أيها الأخوة الكرام، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

[الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة]

أول شيء أيها الأخوة أن الإنسان في جبلته طموح، وأن الإنسان في جبلته يحب الأفضل، والأكبر، والأجمل، والأكمل، والأعلى، والأرقى، هذه جبلته.

وشيء آخر هو أن كل إنسان على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة له عند الله مكانة بحجم عمله تماماً، قال تعالى :

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية : ١٣٢)

فالإنسان العاقل يسعى في الدنيا إلى عمل ليس له سقف.

أضرب لكم مثلاً : إنسان اشترى صفقة وباعها وربح، ربحه محدود، أما إنسان معه وكالة، كل من يشتري من هذه الشركة في هذه المنطقة لوكيل هذه الشركة ربح ثابت، من دون جهد، من دون حركة، من دون أن يتحرك حركة، من دون أن يرسل فاكس، يأتي الربح جاهزاً، عندما صار وكيل شركة أرباحه أصبحت غير محدودة، هناك أعمال كثيرة فيها طبيعة التفجر، التوالد.

فالنبي عليه الصلاة والسلام ينصحنا أنه إذا مات الإنسان انتهى عمله، له عدة أعمال قام بها في الدنيا، يسعد بها لا شك، لكن لأن الجنة غير محدودة، لها درجات لا تنتهي، فهناك أعمال في الدنيا تستطيع أن تصل بها إلى أعلى درجات الجنة، هذه الأعمال هي التي لا تنتهي عند موت صاحبها، إنسان أسس معهداً شرعياً ومات، هذا المعهد خرّج عشرات بل مئات بل ألوف الطلاب، وكل طالب استلم منبراً، وألقى خطبة، ونصح الناس، وعمل عملاً طيباً، فكل هؤلاء الذين تخرجوا من هذا

المعهد، ونفعوا الناس، ودعوا إلى الله، وبينوا الحق، ورسخوا قيم الإسلام، في صحيفة هذا الذي أنشاه.

الله عز وجل يريدنا أن نربح عليه :

إذا كان الإنسان طموحاً، وإذا كان غيوراً على مصالحه، وإذا كان يحب الجنة في أعلى مرتبة، فسبيل بلوغ أعلى الدرجات أن يكون لك عمل متوالد، هناك عمل منقطع، وهناك عمل متوالد، من هذه الأعمال المتوالدة، الصدقة الجارية، ساهم إنسان ببناء مسجد، لكن هذا بيت الله، كل صلاة تعقد فيه، كل ذكر يعقد فيه، كل مجلس ذكر يعقد فيه، كل توبة تنعقد فيه، في صحيفة كل من ساهم في البناء فيه، وأرسى بنيانه، ويسر أموره.

النقطة الدقيقة : الله عز وجل يريدنا أن نربح عليه، الآن عقليتنا كلها تجارية يقول لك : هنا بالـ% ٣٠ أربح لي، هنا بالـ%١٥ قليل، بالـ% ٢٨ كثير، فالإنسان إذا أراد أن يستثمر ماله يبحث عن جهة تعطيه أعلى ربح، الله عز وجل يريدنا أن نربح عليه.

والله أيها الأخوة، أتكلم ولا أجد لهذا الكلام تطابقاً مع ما أتمنى أن أقوله، هناك بنك يعطي على الليرة مليون و كل سنة ؟ لا، كل شهر ؟ لا، كل يوم ؟ لا، كل ساعة ؟ لا، كل دقيقة ؟ لا، مليون، هل من الممكن أن تستثمر مالك بالمئة ثلاثة أو أربعة أو خمسة، وتترك البنك الذي يعطيك كل دقيقة على الليرة مليون ؟ شيء مستحيل، كلام فلكي، أرقام فلكية، هكذا الله عز وجل.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

(سورة الصف)

تاجر مع الله.

من ابتغى بعمله وجه الله عز وجل و ترفع عن الدنيا أعطاه الله فوق ما يستحق :

أحياناً الإنسان يعمل عملاً يبتغي به وجه الله، يترفع عن أجر في الدنيا، هذا يعطيه الله :

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

مرة حدثني أخ كان مقطوعاً بطريق، يبدو أن الطريق أول صعود حاد، وكل السيارات تنطلق تأخذ مجالاً لتنطلق بأعلى سرعة، قال لي : ساعة، ساعتين، لا أحد يقف لي، معه أهله، بعدها توقف إنسان و أعطاني رافعة كنت بحاجة لها وعندما أعطاني الرافعة وأنا أستخدمها حدثت نفسي بهذا

الإنسان العظيم الذي وقف وعطل وقته، وغلب عليه روحه الإنسانية، بعدما انتهينا، قال : أريد خمس ليرات، هذه قصة قديمة، قال : والله لو طلبت مئة ليرة لأعطيتك، لكن لا ليتك لم تطلب هذه الخمس ليرات، بين أن يكون لك عمل صالح له عند الله أجر ليس له حدود، بين من استنفذه بخمس ليرات.

لي قريبة مقعدة، ولها مبلغ بدائرة حكومية، والوكالة قدر المبلغ، فذهبت إلى الموظف، وقلت له : هل من الممكن أن تأتي معي إلى البيت ؟ قال لي : على عيني، أنا استغربت ! قلت : أنا آتي وآخذك، قال : لا، أنا آتي لوحدي، أعطني عنوان البيت، ما قبل أن آتي وآخذه بالسيارة، أخذ عنوان البيت، أذكر أن الحادثة كانت في رمضان، طرق الباب عند العصر، وسلم المبلغ، وأخذ التوقيع، قال لي : أريد أن أصلي العصر عندك، صلى، ثم قلت له : هل من الممكن أن أوصلك ؟ قال : لا تنزع علي عملي، أنا ابتغيت بهذا العمل وجه الله.

فالإنسان إذا كان له عمل لوجه الله لا يريد شيئاً، هذا أغنى إنسان، وأقوى إنسان، وأرفع إنسان عند الله، فأنت اختار، هناك أعمال أجرها محدود، لماذا هناك أناس لا يحبون الوظيفة، دخلها محدود، لها سقف، لماذا يحبون التجارة ؟ ليس لها سقف، فالإنسان إذا توفق فيها ليس لها سقف، يربح أرباحاً كثيرة جداً.

يقولون الآن : هناك إنسان في أمريكا يملك ثلاثة و عشرين مليار دولار، شاب عمره اثنتان و أربعون سنة، يملك الميكرو سوفت، لو موظف يلحقهم ؟ لا يلحقهم.

الأعمال الصالحة لا تعد و لا تحصى :

تاجر مع الله، النبي يقول :

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية))

بناء، فرش، كهرباء، مرافق عامة، تدريس، الحياة متكاملة، فيجب على الإنسان أن يسعى للجنة، الذي يتكلم بالجامع له أجر، والذي بنى له أجر مثله، والذي أسس له أجر، والذي جاء لك برخصة له أجر، والذي نظف له أجر، نحن بتفكيرنا الساذج نصنف الناس أن هذا كبير عند الله، كبير ؟ لا، الذي ينظف المسجد له أجر كبير عند الله، وإذا كان مخلصاً بعمله لعله يسبق الذي يتكلم، لا تعرف، عند الله مقاييس نحن لا نعرفها، و منها مقياس الإخلاص.

أنا أعرف مسجداً، شيء يحير العقول، لو عملت مسابقة بين بيوت دمشق من حيث النظافة لا تجد بالشام بيتاً نظافته كهذا المسجد، إن دخلت إلى مرافقه شيء عجيب كأن الرخام رُكب الآن، يعمل

ليلاً نهاراً، مرة التقيت معه، كبر بالسن ـ توفي رحمه الله ـ قال لي : أنا أستمد الحماس في تنظيف المسجد من قوله تعالى :

(أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ)

(سورة البقرة الآية : ١٢٥)

النبي الكريم قال

(طَهِّرَا بَيْتِيَ)

الذي نظف المسجد، الذي زينه، الذي فرشه، الذي دفأه، الذي هواه، كل من ساهم في بنائه، بتأسيسه، بمرافقه العامة، بتنظيفه، بالتدريس فيه، نحن أسرة، كل إنسان يقوم بعمل لا ينافس فيه الآخر، مسجد، ميتم، دخلنا لميتم مثل بيوتنا، النظافة، والترتيب، والفرش، والأسرّة، والطعام الطيب، والنظام، والتوجيه الديني، خمسمئة طالب، هؤلاء الذين ساهموا بالميتم ماتوا ؟ لا لم يموتوا، لم يموتوا أبداً لأنهم تركوا عملاً مستمراً، معهداً شرعياً، ميتماً، مسجداً، أحياناً مستشفى الغاية منها خدمة المجتمع لا ابتزاز الأموال، أي عمل صالح.

فأي حلّ مشكلة، زوج شاباً، شاب في أول حياته، عندما تزوج انضبط، لزم مسجداً، أنجب ذرية صالحة، وجهها توجيهاً دينياً، الذي زوجه وربطه بالدين هذا له أجر كبير.

يقول لي شخص : دخلت لمسجد و كان أبي قد اشترى لي حذاء جديداً، فسرق، فخرجت هائماً على وجهي، ومتألماً أشد الألم، رآني رجل أخذني واشترى له حذاء جديداً، يقول لي هذا الرجل : والله منذ هذا الحادث لم أترك الصلاة أبداً، لأنه صلى سُرق حذاءه، جاء شخص قدر فيه هذه الصلاة، فأمن له حذاءً جديداً.

من ترك علماً يُنتفع به فله أجر عظيم عند الله عز وجل :

هناك أعمال صالحة كبيرة جداً أيها الأخوة تبدأ من المسجد، من المعاهد الشرعية، من المياتم، مستشفيات، خدمات عامة، أعمال متواردة، أنت أغنى الأغنياء.

((صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به))

مرة فتحت تفسير القرطبي وجدت فيه آية جميلة جداً، مشروحة شرحاً رائعاً، عملتها خطبة فتأثر الناس تأثراً بالغاً، وبعدما انتهت هذه الخطبة، صاحب هذا التفسير جالس بالقبر، لكن انظر نفعه إلى أين وصل، أنا قرأت الموضوع وتأثرت، وعملته خطبة، وقد تأثر الناس به كثيراً.

الإمام الغزالي ترك الإحياء، كم إنسان قرأ الإحياء ؟ كم خطيب قرأ الإحياء ؟ كم أستاذ قرأ الإحياء ؟ كم إنسان قرأ الإحياء واستفاد منه ؟.

والغزالي كان بعصره عالماً كبيراً، وداعية كبيراً، له دروس، وبدرسه كان أربعمئة لفة، لكن الإحياء أهم من دروسه كلها، هو بالإحياء لم يمت، مهما كان عظيماً، فألّف كتب تفسير، كتب حديث، كتب فقه، وهناك كتب مشهورة جداً.

الإمام النووي، عاش أقل من خمسين سنة، ترك رياض الصالحين وهو من أفضل الكتب في حياتنا، ترك الأذكار، ترك المحتاج، ترك شرح صحيح مسلم، ترك كتب أعمدة في العلم و قد عاش أقل من خمسين سنة.

الإمام السيوطي من المفسرين الكبار.

القدماء تركوا كتباً و خيرات لا يعرفها إلا الله، فالإنسان لا يعرف قيمة التأليف الذي له تأثير كبير جداً، وله أثر الديمومة والاستمرار، فالشريط له دور، والكتاب له دور، فهذا ترك علماً ينتفع به. مرة كنا بالجامع الأموي، أحد علماء دمشق توفي ـ رحمه الله ـ هو خطيب الأموي، اجتمع بالتعزية نخبة البلد، وأنا جالس قام أحد عرفاء الحفل وقدم ابن هذا الخطيب ليلقي كلمة رائعة، ارتجالية، لغة، حكمة، و كان أبوه قد تعب عليه كثيراً، الوزير كان موجوداً، قال : أنا سوف أعين فلاناً ابن المرحوم في الأموي مكان والده، ظهرت مني كلمة معنى هذا أن الأب لم يمت، لأن العمل استمر من بعده.

التعليم والدعوة إلى الله على خطين ؛ إما أن تؤلف القلوب وإما أن تؤلف الكتب :

الذي عنده ابن بقدر ما يعتني به فله أجر، هذا الابن يحتاج إلى جهد، والتربية صعبة جداً، تأمين الطعام سهل، تأمين اللباس على العيد سهل، تؤمن له الطعام، والشراب، واللباس، القضية سهلة جداً، يفعلها الناس جميعاً، أما تخرجه عالماً ؟ هذا عمل كبير جداً، يأتي معك إلى المسجد، تعتني به، تجلس معه، تقنعه، تعرف من رفقائه، أين يذهب ؟ يلتزم بالشرع، إن رأيته وهو شاب يصلي، إن رأيته يقرأ القرآن، يدخل على قلبك من السرور ما لا يوصف، هذا الولد استمرار لك، جزء منك، الذي عنده ولد رباه تربية إسلامية لن يموت.

فالحديث هو :

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

[الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة]

مرة كنت بحفل ألقى أخ كريم كلمة أعجبتني جداً، قال : إما أن تكون داعية و إما أن تتبنى داعية، شاب علمه على حسابك، طالب علم أجنبي أم عربي، هذا عمل عظيم جداً، إنسان جاءك ضيف، قدم له شيئاً، اعتن به، يشعر أنه جالس ضمن أهله، فإذا علمته، وذهب إلى أهله، دعا إلى الله، تسلم منبراً، كل أعماله بصحيفتك، عطاء ليس له حدود، وثلاث قنوات، صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له، والعلم ليس له نهاية، أو تطلب العلم وتعلم، أو تطلب العلم وتؤلف، والتعليم والدعوة إلى الله على خطين، إما أن تؤلف القلوب وإما أن تؤلف الكتب، تأليف القلوب أعمق أثراً وأقصر أمداً، تنتهي الدعوة بموت صاحبها، تأليف الكتب طبعاً أقل أثراً وأطول أمداً، فحياتنا محدودة أخواننا الكرام، انظر إلى النعوات، مات انتهى، انتهى بيته، انتهت مركبته الفخمة، انتهت زوجته، انتهى أولاده، انتهى كل شيء، له مكتب مكيف، له مكانة اجتماعية، الموت ينهي كل شيء، إلا إذا كنت من أصحاب هذا الحديث، ما انتهى شيء، بالعكس، الآن يبدأ التوالد.

أنا سمعت عن شيخ الأزهر السابق مشى في جنازته ستة ملايين إنسان، دخل الناس إلى بيته بعد الوفاة و اجتمعوا على طول مئة متر، ومعه التهاب مفاصل، كتبه بالصناديق لأنه لا يملك مكتبة، طاولته عادية جداً، وتحت يده مئات الملايين، بحسب التصور لم يدخل له جنيه واحد، وفتواه صحيحة، وموقفه جريء، ستة ملايين، انتهى، مات.

وسمعت عن إنسان آخر وهو على فراش الموت يرفع يديه متبرئاً من كل فتوى أفتاها، هناك فرق.

كل شيء في الحياة لا قيمة له إلا صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو لك :

كل شيء ماض، نظرت إلى هذه الجلسة من باب الاحتياط بعد خمسين سنة، بعد مئة سنة، لا يوجد أي واحد منا، فكل شيء ماض، ماذا أكلت ؟ ماذا شربت ؟ أين سكنت ؟ ماذا ركبت ؟ كله ماض، يبقى هذا.

((صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

فكلما كنت أعقل تبحث عن عمل يتوالد، تحتاج وكالة لا تحتاج صفقة، ليس لها قيمة ربحها محدود، ربحت، وأنفقت الربح، وانتهى الأمر، أما وكالة كل من يشتري من هذه البضاعة لك منه نصيب.

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

[الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة]

فالإنسان إذا كان عاقلاً يتحرك على الخطوط الثلاثة، يعتني عناية بالغة بأولاده، فإذا أنفقت كل إمكانيتك، وكل وقتك، وكل طاقاتك، وكل مالك على أولادك حتى يصبحوا دعاة إلى الله أنت أعقل إنسان، هناك إنسان يبخل على ابنه، هذا بضعة منك، هذا جزء منك.

أنا أعرف أخاً من أخواننا، كل شيء يملكه دفعه في سبيل تزويج أولاده الثلاثة، كل واحد أخذ له بيتاً، هو تاجر متوسط أو أقل، لكنه أمّن أولاده كلهم، فلاحظت أن أولاده أمامه كجندي أمام لواء، فأنت عندما أمنت له بيتاً، زوجته، سررته، ارتبط بك، و لا يتمنى وفاتك، يتمنى بقاءك، هناك فرق كبير، الأب البخيل يتمنى أقرب الناس وفاته، إذا جاء الطبيب وقال لهم : الحالة عرضية إن شاء الله ينزعجون كثيراً، لا نريدها عرضية نريدها خطيرة، إياك أن تجعل أولادك يتمنون موتك، هم بضعة منك، كما قال النبي عليه الصلاة و السلام :

((إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها))

[المعجم الكبير عن ابن الزبير]

كل متاعب الإنسان أو ملذاته تنسى أمام النتائج التي يحصل عليها :

الابن ولد صالح، لا نريد ولداً لا يعرف الله، غني فقط، الآن هناك أشخاص يقولون لك : ابني يعمل بالمنصب الفلاني، دخله كذا، بيته في المكان الفلاني، ليس هذا القصد، نريد ابناً عالماً، نريد ابناً داعية إلى الله، نريد ابناً يخدم الناس، فالابن أحد أكبر أسباب الجنة، الجنة التي ليس لها حدود، والعلم، والصدقة الجارية، والأعقل أن تعمل على كل الخطوط معاً، هناك جهد كبير، وهناك بذل لكن الله يعوض و يكرم.

مثلاً إذا أمضى الشخص كل وقته في دراسة جادة، لم يسهر مع رفقائه، و لم يذهب نزهة حتى إنه لم يجلس مع أهله، عندما يأخذ درجة عالية في الثانوية العامة، و يدخل إلى الجامعة بفرع مرموق ينسى كل تعبه، والذي أمضى أوقاته في السهر مع أصدقائه عندما يرسب، ينسى أيضاً كل ملذاته، الملذات تنسى والمتاعب تنسى أمام النتائج.

فنحن يهمنا أن يكون هذا الحديث شعاراً لنا :

((صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

تَبَنى داعية، تبنى طالب علم، ارعَ طالب علم، أنا أقول لكم : من أعظم الأعمال على الإطلاق أن تتبنى طالب علم، أحياناً هو بحاجة للكتب، بحاجة للمساعدة، بحاجة للرعاية، بحاجة إلى تدريس، بحاجة إلى أن ينضم إلى جامع، إلى معهد، أعن طالب علم، وبناء مسجد، وتوابع المسجد :

((أو ولد صالح يدعو له))

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٠٩-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم والعابد:

أيها الأخوة الكرام:

((ذُكِرَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم فقال عليه الصلاة والسلام فضلُ العَالِم على العَابدِ كَفَضْلِي على أدْناكم))

[الترمذي عن أبي أمامة]

هو سيد الخلق، هو في قمة المجتمع البشري، هو في قمة ولد آدم، وانظر إلى أدنى إنسان في الأرض، المسافة بين رسول الله وبين أدنى إنسان هي المسافة نفسها بين العالم والعابد، كل إنسان طبق أوامر الله فهو عابد، فكل إنسان تعرف إلى الله فهو عالم، العابد مقاومته هشة، امرأته تفتنه، تهديد يخرجه عن طاعته لله، فتنة تصرفه عن الدين، مقاومته هشة جداً، إذا أفلح العابد قبل مئة عام يوم كان الناس منضبطين، يوم كان الناس على شيء من الدين، العابد الآن لا يفلح أبداً، لأن الفتن مستعرة، والشهوات متقدة، والباطل له جولة كبيرة، فالتقليد لا ينفع الآن لو أردت أن تقلد أهل الدنيا لرأيتهم غارقون فيها.

فَضْلُ العالِم على العَابدِ كَفضل القمر على سائر الكوَاكِب:

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام فرّق بين العابد والعالم، وقال:

((فضلُ العَالِم على العَابدِ كَفَضْلِي على أدْناكم))

[الترمذي عن أبي أمامة]

((وَإن فَضْلَ العالمِ على العَابدِ كَفضل القمر ليلة البدرِ على سائر الكَوَاكِب))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

أضرب لكم مثلاً: حاجب أو آذن في جامعة، يقف على مدخل الجامعة، مهمته أن يبقى على الباب، كل يوم يدخل بعض الأساتذة، يقف لهم، ويرحب بهم ويجلس، هذا الأستاذ الكبير يدخل إلى القاعة ويلقي درساً، أنا أوازن بين طالب يستمع إلى دروس الأستاذ وبين الآذن الذي يقف على الباب، كلاهما يحترم الأستاذ، لكن الآذن سنة، وسنتان، وثلاث سنوات يقول لك: أنا بالجامعة من ثلاثين

سنة، لكن معرفته بهذا الأستاذ لا تزيد ولا شعرة، هو أديب مع الأستاذ، وكلما دخل يقف له، أما هذا الذي يستمع إلى محاضراته، محاضرة تلوى المحاضرة، يرى من علمه الغزير، من فهمه العميق، يرى من ثقافته العالية، يرى من دقة محاكمته، يرى من عمق تفكيره، يرى من صواب آرائه، يرى من سعة إطلاعه، إذاً الموازنة كبيرة بين كل طالب يتلقى كل يوم علماً جديداً من هذا الأستاذ، ويزداد حجمه عنده، وبين المستخدم الذي يرحب به كل يوم، ولا يزيد علمه شعرة ولا درجة، طوال ثلاثين عاماً.

قلت لكم من قبل: إن النبي عليه الصلاة والسلام ما حبذا أن يقبع الإنسان في المسجد ليصلي ويدع العمل، فلما رأى شاباً يصلي، سأله من يطعمك ؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك.

النبي الكريم وقف موقفاً يناقض هذا الموقف مع إنسان آخر، إنسان اشتكى للنبي أن شريكه لا يقدم الجهد الكافي، شريكه كان طالب علم، فقال عليه الصلاة والسلام: لعلك تُرزق به، كأنه رحب بهذا الذي يطلب العلم، ووعد الشريك الذي يتعب أن رزق هذه الشركة بسبب هذا الطلب، لعلك ترزق به، بينما لم يرحب بالأول الذي قبع في المسجد وترك العمل.

إذا أردت الدنيا والآخرة معاً فعليك بالعلم:

أيها الأخوة الكرام:

((ولفقيه واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابد))

[ابن عساكر عن أبي هريرة]

يروى أن رجلاً أراد أن يبين للناس هشاشة العبادة وعمق العمل، فارتدى جبة ولفة خضراء، وطرق باب أحد العباد، قال له: من أنت ؟ قال له: أنا الخضر، فهذا العابد اختل توازنه، وبكى، وفرح، قال له: أنا أعطيك بشارة أولى رفعت عنك الصلاة، فازداد إعجاباً، وازداد بكاء، وازداد ثناء، فلما ذهب هذا الرجل ذي العمامة الخضراء إلى بيت العالم وقال له: رفعت عنك الصلاة، ذهب وأتى بقضيب ليضربه.

الدجال يضحك على مليون عابد، ولكن لا يستطيع أن يمرر كذبة واحدة على عالم، لا أقول أن يكون كل واحد منا عالماً بالمعنى المألوف، لا، يجب أن يفقه أمر دينه، يجب أن يعرف أن أحداً في الأرض لا يستطيع أن يلغي أي عبادة.

أحياناً تذهب إلى بلاد طويلة عريضة ألغيت فيها عبادة من العبادات الكبرى التي ودر فيها صفحة في كتاب الله، لأنه لا يوجد علم، صفحة في كتاب الله تقرر عبادة أساسية تلغى ؟ يلغيها إنسان ؟ العلم لا بد منه.

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.
تجد العابد أحياناً يحكي ألف قصة كلها ليس لها أصل إطلاقاً، تتناقض مع كتاب الله، لأنه لم يطلب العلم، الآن يأتي إنسان ويفتري فرية في الإسلام، يصدقها عامة الناس، يقول: هكذا قال فلان من الناس، أما الميزان الدقيق، معك كتاب، معك سنة، الكتاب يفهم وفق علم الأصول، السنة تفهم وفق علم الفقه، أما كل من قال كلمة في الدين نصدقه ؟.

العالِم قلّما يخطئ لأنه لا يقبل شيئاً إلا بالدليل ولا يرفض شيئاً إلا بالدليل:

أنا أقول مرة: لو جمعنا ما قيل في الإسلام منذ أن ظهر وحتى الآن، لوجدنا ركاماً من المقولات ـ لا أقول حقائق ـ لا تحصى، كيف السبيل إلى معرفة الصواب منها ؟ تحتاج مقياساً، العلم يعطيك المقياس، هذه القصة ساقطة لأنها تناقض هذه الآية، هذا العمل خطأ لأن النبي نهى عنه، فأنت حينما تعلم الكتاب والسنة تملك المقياس، المنهج، يسمى منهج التلقي لا تقبل إلا حقاً، ولا تصدق إلا حقاً، لا تقبل إلا بالدليل، ولا ترفض إلا بالدليل.

فلذلك أيها الأخوة، العالم قلّما يخطئ لأن معه منهجاً، والعابد قلّما يصيب لأنه بلا منهج، يتحرك بحركة عاطفية هوجاء انفعالية، عندنا مشكلة، يأتي شخص إلى مسجد يتأثر تأثراً لا حدود له، ويبكي، ويصلي، وينتكس فجأة، ينتكس فيدع الصلاة، وينغمس في الملهيات، ما تفسير ذلك ؟ هذا عابد وليس عالم، العالم لا يتأثر.

أنا أعرف إنساناً لأنه وقعت له مشكلة مع أخ في المسجد ترك الدين كله، ترك الاستقامة، هذا عابد، أدق كلمة العابد هش المقاومة، سريع العطب، أقل ضغط يخرجه عن طاعته لله، أقل إغراء يخرجه عن استقامته.

((ولفقيه واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابد))

[ابن عساكر عن أبي هريرة]

((فضلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْناكم))

[الترمذي عن أبي أمامة]

((وَإن فَضْلَ العالمِ على العَابِدِ كَفضل القمر ليلة البدرِ على سائرِ الكَوَاكِبِ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال:

أيها الأخوة، العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

أنا سمعت قصة عن سائق سيارة استوقفته امرأة، و عندما وقف سألها إلى أين تريدين أن تذهبي ؟ قالت: إلى حيث تريد، فهم، وقضى حاجته، وأعطته ظرفين، بالأول رسالة، وفي الثاني مبلغ من المال كبير، خمسة آلاف دولار، هذا لجهله، ولأنه لم يطلب العلم، ولأن العلم الذي ينبغي أن يطلبه يحرسه، فرح فرحاً شديداً قضى حاجته منها، ونال هذين الظرفين، في الأول مبلغ كبير، ذهب ليصرف المبلغ فإذا به مبلغ مزور، فأدخل إلى السجن، أما الرسالة الثانية تقول له: مرحباً بك في نادي الإيدز، المرأة مصابة، هذا لو طلب العلم، لو عرف حدود الإنسان، لو عرف أن الزنا محرم، كان قد ركلها بقدمه، العلم يحرس، الآن تجد أكثر من في السجن خالف منهج الله عز وجل، لو لم يخالف لما وقع في هذه المشكلة.

التزام منهج الله عز وجل يقود الإنسان إلى الجنة:

الآن أكثر الخيانات الزوجية سببها مخالفة لمنهج الله، أطلق لها العنان، يغيب عنها كثيراً، لا يلتفت إليها، يأتي بأصدقائه إلى البيت، يجلسون معاً، فصار هناك خيانة، العالِم في حصن حصين، أقول العلم الحقيقي، تعرف الحدود، الحلال والحرام، الخير والشر، الآن أكثر الناس يدخل عليهم موضوع الاستثمار بربح ثابت، ربا مئة بالمئة، ماذا تعطيني على الألف ؟ مرتاح، قال لي: أنا لا أحب الحسابات، أنا أريد مبلغاً ثابتاً، لو طلب العلم يوماً واحداً بالسنة لرفض هذا الأسلوب، لأن هذا ربا، كالبنك تماماً، ساعة ربح ثابت، ساعة اختلاط، هذه مثل أختي إن شاء الله، من قال لك مثل أختك ؟ هل أنت مشرع ؟ في العلاقات الاجتماعية هناك تجاوزات، هذه تنتهي بالطلاق، بالخيانة الزوجية، لأن هناك جهل، أو ينتهي بكسب المال الحرام، أما العالم:

((ولفقيه واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابد))

[ابن عساكر عن أبي هريرة]

الدرس الذي قبل البارحة، الإنسان عندما يلبس ثيابه، ويخرج من بيته، ليرتاد أحد مساجد الله ليطلب العلم، هو لا يدري أن هذا الطريق ينتهي به إلى الجنة، له تفسير دقيق لأنك تطلب العلم، تحب ذاتك، تحب وجودك، تحب سلامة وجودك، هذه حرام، هذه حلال، هذه تجوز، هذه لا تجوز، وأنت لا تدري، تلاحظ مؤمناً قديماً في المسجد، كلامه مضبوط، بيته مضبوط، هناك استقامة، و سرور، و سعادة، ناتجة من طلب العلم، الإنسان من دون علم بهيمة، أو دابة فلتانة، إذا كان دابة فلتانة، أو بقرة مجنونة ماذا يفعل ؟

لذلك عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال:

((ذُكِرَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال عليه الصلاة والسلام فضلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْناكم))

[الترمذي عن أبي أمامة]

من طلب العلم أحبّ ذاته و وجوده و سلامة وجوده:

مثلاً النبي قال:

((الحَمْوُ: الموتُ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عقبة بن عامر]

الآن معظم الناس لا يعبؤون بهذا، الأقارب، المرأة القريبة الأجنبية أشد خطراً من المرأة البعيدة الأجنبية.

أنا حدثني رجل قال لي: أخي ترك أخوين له، وزوجته، وسافر إلى مصر، الأخ الصغير يكاد ينفجر من شدة القلق، قال لي: أخي الكبير يأتي إلى غرفة زوجة أخيه الذي سافر إلى مصر بالليل كل يوم والزوجة شابة، هذا يجهل كل شيء عن الدين.

أنا أذكر، وقلت هذا كثيراً: أول ما خطبت في هذا المسجد، عقب إحدى الخطب استوقفني رجل وصار يبكي، لفت نظري بكاؤه، قال لي: زوجتي تخونني منذ خمس سنوات قلت: مع من ؟ قال: مع جاري، قلت له: كيف عرفت هذا الجار ؟ قال: مرة زارنا فقلت لها: تعالي واجلسي معنا، هذا الجار كأخيك، من هنا بدأت المشكلة، قلت له: لو حضرت مجلس علم لما وقعت في هذا، لو عرفت أن هذا لا يجوز لما فعلت هذا، فالبارود بارود، والنار نار، فإذا قربت النار من البارود صار هناك انفجار، والناس يركبون رؤوسهم.

معرفة كلام الله و سنة النبي واجب على كل إنسان:

فيا أيها الأخوة الكرام، معرفة كلام الله، معرفة سنة النبي، معرفة أحكام الفقه، هناك ألف طريق لكسب المال الحرام.

البارحة سألني أخ، أنه يبيع سلعة ديناً بثمن مرتفع، ثم يشتريها نقداً بثمن منخفض، السلعة هي هي، وهو مرابٍ بأسلوب شرعي، سجادة يبيعها بألف ليرة ديناً ويشتريها بثمانمئة نقداً، سجل ألف ودفع ثمانمئة، هذا إنسان مرابٍ، يقول: هذا بيع وشراء، هو فعلاً بيع وشراء، لكن هذا البيع والشراء أراد منه القرض الربوي، الحاجة نفسها والبيع شكلي، فالبيع ليس حقيقياً.

آلاف الفتاوى، آلاف الأخطاء، في الزواج، في كسب المال، في العلاقات الاجتماعية، في السفر، في البيع والشراء.

الآن تجد إنساناً يصلي، يحرم البنات، ما قيمة عبادتك طول عمرك ؟ ستون سنة تعبد الله، لماذا حرمت البنات ؟ أنت خالفت منهج الله عز وجل .

اتصلت بي زوجة، قالت: لا أسامح أبي، أتمنى له كل شر، لأنه حرمها كلياً وأعطى أولاده الشباب، بنت هذه لها حق عندي، هناك جهل، الأب يصلي و يحرم ورثته؟!

الشرع من عند خالق الإنسان وهو وحده الخبير به فالإنسان عليه أن يطبقه كي يسلم:

يا أيها الأخوة، عليكم بطلب العلم كما قال الإمام الشافعي: "إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل".
أنا كان عمري بالعشرين سنة تقريباً، صاحبت رجلاً من أقربائنا و هو إنسان راقٍ جداً في مسير، وصلنا إلى بيت ابنه، طرق الباب، فخرجت زوجة ابنه، قال لها: هنا فلان ؟ قالت له: لا، فمشى، والطريق طويل، أنا تمنيت أن ندخل لنرتاح، بيت ابنه، قال لي: لا يجوز أن ندخل في غيبة ولدي، أنا ما عرفت، هذا بيت ابنه ! وهذه امرأة ابنه ! ثم قرأت في كتب الفقه أنه لا يجوز الخلوة بالصهرة الشابة، ثم بلغني عن بعض الأشخاص أنه يتحرش بزوجة ابنه في غيبته، فالفقهاء عندما يجتهدون أن هذا الشيء لا يجوز فهذا لحكمة بالغة، إذاً هناك محارم كالأم، والأخت، والبنت، هؤلاء صنف، وهناك محارم من صنف ثان، لكن لا يجوز الخلوة بها.

أحد أخواننا قال لي: أنا كل يوم آتي وأصلي الفجر عندك ـ القصة قديمة ـ وابني يخونني مع زوجتي، طبعاً زوجته الثانية، كل يوم، ما هذا الكلام ؟ لأن الابن شاب، والزوجة شابة، والزوج كبير، و صلاة الصبح ثابتة، وقت مضمون، طبعاً طلقها، هناك خلوة، الخلوة خطيرة جداً، فزوجة الأب، زوجة الابن، هذه محارم، لكن من نوع ثان، ليست مثل الأم، والأخت، والبنت، هذه لا يجوز الخلوة بها.

أنا لا أريد أن أعطي تفاصيل، أريد أن نعلم أن هذا الشرع من عند خالق الإنسان، وهو وحده الخبير به، فالإنسان عليه أن يطبقه كي يسلم، قلت كلمة: تطبق الشرع فتسلم، تقترب من الله فتسعد، السعادة بالقرب منه، والسلامة بتطبيق أمره، هناك شخص يطبق أمره لكن لا يسعد، مشغول في الدنيا ومهموم، مستقيم، تطبيق شرعه تسلم من كل عطب، والقرب منه تسعد أيما سعادة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في سماع الحديث وتبليغه ونسخه والترهيب من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

علامة اتباعك لرسول الله أن تدعو إلى الله في حدود ما تعلم ومع من تعرف :

فصل فيما جاء في تبليغ العلم حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((نَضَّرَ الله امرأ سمع منَّا شيئاً فبلَّغَهُ كما سمعه، فَرُبَّ مُبَلَّغ أوْعَى من سامع))

[أخرجه أبو داود وصححه الترمذي وابن حبان ولفظه رحم الله امرأ عن ابن مسعود]

أيها الأخوة، يوجد رواية رحم الله امرأ، ويوجد رواية نضّر الله امرأ، الرحمة مطلق عطاء الله، بدءاً من الصحة وانتهاءً بالجنة:

((رحم الله امرأ))

أي الذي يبلغ الحق يستحق رحمة الله في الدنيا والآخرة، يستحق السلامة والسعادة في الدنيا والآخرة.

((نَضَّرَ الله امرأ))

هذا تعبير دعائي، فالنبي عليه الصلاة والسلام يدعو لهذا الإنسان الذي امتلأ قلبه رحمة على الخلق، فالذي عرفه من الحق نقله إلى الآخرين بطريقة أو بأخرى، لمجرد أن تنقل الحق إلى الآخرين هذا دليل رحمتك بالخلق، هناك أناس كثيرون حينما يهتدي إلى الله يكتفي، لا يشعر بحاجة إلى أن ينصح الناس، مثل هذا الإنسان لم يبلغ الإيمان الذي ينجيه، لأنه كما قلت قبل أسابيع: الدعوة إلى الله فرض عين إن كنت متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو إلى الله.

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

[سورة يوسف الآية: ١٠٨]

علامة اتباعك لرسول الله أن تدعو إلى الله، في حدود ما تعلم ومع من تعرف.

راوي الحديث يجب أن يتمتع بالضبط والعدل :

((نَضَّرَ الله امرأ سمع منَّا شيئاً ، فبلَّغَهُ كما سمعه))

طبعاً سمع من رسول الله، وبكل عصر هناك من ينوب عن النبي في إلقاء الحق، فأنت حينما تسمع حديثاً ممن أناب عن النبي في تبليغ العلم، وكما قال عليه الصلاة والسلام:

((العُلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

في تبليغ العلم.

((فبلّغهُ كما سمعه))

المنهج العلمي الإسلامي: إن كنت ناقلاً فالصحة، مدعياً فالدليل، إن أردت أن تنقل عن النبي الشرط الوحيد أن يكون النقل صحيحاً، الدين في الأصل نقل، وأخطر ما النقل صحته، ما الذي فرق المسلمين وجعلهم شيعاً وأحزاباً؟ النقل الضعيف، أو الأحاديث الموضوعة، أو الضعيفة، فحينما تتحدث في أمر الدين أخطر شرط فيه صحة النقل، إن اعتمدت الحديث الصحيح الذي انتهى علماء الحديث من التدقيق في صحته فلا شيء عليك، أما حينما تروي الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، هؤلاء المسلمون يتشرذمون، كل حديث موضوع يغطي فئة، كل حديث موضوع يغطي رأي، كل حديث موضوع يغطي هوى، فإذا تناقلنا الأحاديث الموضوعة مزقنا الأمة:

((مَن كذب عليَّ مُتعمِّدا فليتبوأ مقعدَهُ من النار))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن علي بن أبي طالب]

((مَنّ حدّث عنِّي بحديث يُرى أنه كذِب، فهو أحد الكاذبين))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن المغيرة بن شعبة]

الدين في الأساس نقل وحي السماء، وتبيان النبي، الوحي هو القرآن، والتبيان هو السنة، هذا النقل خطاب الله إلى الإنسان، أخطر شيء في هذا الخطاب صحة هذا الخطاب.

لذلك يقول الإمام الغزالي: "العوام لأن يرتكبوا الكبائر أهون من أن يقولوا على الله ما لا يعلمون". " إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، دينك، دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا ".

بلغه كما سمعه دون زيادة أو نقصان، لذلك راوي الحديث يجب أن يتمتع بالضبط والعدل، الضبط صفة عقلية، والعدل صفة نفسية، يجب أن يتمتع بأعلى صفات الإخلاص للحقيقة، أعلى صفات الأمانة، الولاء للحق، هذا العدل، أما الضبط أن تكون له ذاكرة قوية، فراوي الحديث ينبغي أن يتمتع بالضبط و العدل في وقت معاً، بلغه كما سمعه.

أخطر شيء في الدين أن يحذف منه أو أن يضاف عليه :

الآن ننتقل إلى موضوع دقيق، هو قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((آفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيَانُ))

[أخرجه الدرامي عن الزهري]

الإنسان ينسى، متى يحفظ؟ الإنسان يحفظ ما يهتم به، وكل إنسان باختصاصه وعمله يحفظ أشياء عن ظهر قلب، لأنه مهتم بها، أو لأن رزقه متعلق بها، أو لأن مكانته أساسها هذا الاختصاص، فيحفظ، فالإنسان حينما يهتم يحفظ، وإذا أراد أن يحفظ فليكتب، وإذا أراد أن يثبت فلينطق، فثلاثة أشياء، تهتم، وتكتب، وتثبت ما تكتب بالإلقاء، فإنسان يحضر مجالس علم من أمد طويل، أليس من الواجب أن يحفظ أشياء كثيرة؟ يقولون في فن التعليم: لا يوجد معلم ماهر إلا ويستطيع أن يقول في موضوع ما حديثاً ممتعاً طويلاً من ذاكرته، لا بد من أن تحفظ شيئاً.

فلذلك الإنسان إذا حضر مجلس علم حتى يستفيد منه فائدة كبرى بعد الدرس عليه أن يجلس خمس دقائق ليكتبه، مثلاً هذا الدرس فيه ثلاث نقاط، قيل عن الحديث كذا وكذا وكذا، لمجرد أن يكتب يحفظ، الشيء الذي تحفظه تملكه، لأن الإنسان يتعلم ليُعلم، يتلقى ليُلقي، يهتدي ليهدي، يتعرف إلى الله ليُعرف بالله، فكل إنسان يكتفي بالتلقي دون الإلقاء، بالتعرف دون التعريف، بأن يهتدي دون أن يهدي، هذا إنسان أعرج لأنه لم يستقر الإيمان في قلبه، لو استقر لعبّر عن ذاته بذاته بحركة نحو هداية الخلق.

((نَضَّرَ الله امرأ سمع منَّا شيئاً فبلَّغَهُ كما سمعه))

هذه دقة النص، والدين أخطر شيء فيه أن يحذف منه، أو أن يضاف عليه، إن أردت لهذا الدين أن يستمر كما بدأ، كيف بدا الدين متألقاً، كيف أن أصحاب رسول الله عليهم رضوان الله وصلت راياتهم إلى المشرقين والمغربين، هذا الدين يحتاج إلى دقة، دقته أن تحافظ على نصوصه، دون أن تزيد عليها، ودون أن تنقص منها، لو مررنا في أرجاء العالم الإسلامي لوجدنا العجب العجاب، أشياء كثيرة جداً جداً ليست من الدين في شيء، احتفالات المولد النبوي في مصر لا تمد للدين بصلة إطلاقاً، أكثر المعاصي ترتكب في هذه الاحتفالات، ليس هذا هو الدين، الدين يجب أن نحافظ عليه، دون أن نزيد عليه، ودون أن ننقص منه، بلغه كما سمعه.

أربح تجارة هي التجارة مع الله عز وجل :

ثم يقول عليه الصلاة والسلام :

((فَرُبَّ مُبَلَّغ أوْعَى من سامع))

قد يبلغ الإنسان عن رسول الله حديثاً، هذا الذي بُلغه قد يعقله أكثر مما يعقله المبلغ، لذلك الناقل له أجر كبير جداً، الناقل غير الواعي له أجر كبير، أنت انقل هذا النص كما سمعته، الآن هناك شخص أحياناً يُسمع شخصاً شريطاً، لحكمة يريدها الله عز وجل هذا الشريط يكون مفتاح هدايته، فحينما يهدي الله على يديك إنساناً كل أعماله في صحيفتك، ولو بلغته تبليغاً بسيطاً، لو دللته على مجلس علم، لو دللته على كتاب، أو على شريط، أو على صديق، أنت حينما تنقل الحق لك كل أجر نتائجه.

الحقيقة كَرَم الله عز وجل لا يصدق، الحقيقة كلنا لنا عقلية تجارية نشتري ونبيع، أما أربح تجارة على الإطلاق هي التجارة مع الله.

أحياناً أقول لأخ كريم: كل تجارتك وكل حجمك المالي لا يساوي أن تهدي إنساناً واحداً، يقول: لماذا ؟ أقول: لأن كل هذا المال تتركه عند الموت، أما هذا الذي هديته إلى الله ذخرك إلى الجنة، هذا الذي هديته إلى الله زادك إلى جنة عرضها السماوات والأرض، أما هذه الأموال الطائلة التي حصّلتها هذه تنتهي عند الموت، أغنى أغنياء البشر يموت يوضع في قبره لا شيء معه.

أعظم تجارة مع الله أن تكون سبباً في هداية الناس :

هذا الحديث للنبي عليه الصلاة والسلام يدفعنا دفعاً شديداً إلى نقل الحق للآخرين، أنا كنت أقول هذا الاقتراح الدائم: أنت بتلقي العلم في مجالس، مجالس تفسير، مجالس حديث، مجالس سيرة، مجالس فقه، لابد من أن تذاكر الدروس، المذاكرة مهمتها تثبيت الحقائق، وأنت حينما تذاكر تحفظ، وحينما تحفظ تملك، وحينما تملك تدعو، فأول ملاحظة لا بد من أن تسجل النقاط الأساسية في الدروس، حينما تسجل تحفظ، الآن أنت بدور الإلقاء، ما من إنسان إلا وله مناسبات كثيرة يلتقي بها مع الناس، كل أسبوع هناك عشر مناسبات، عيادة مريض، التوفيق بين شخصين، حضور وليمة، حضور عقد قران، زيارة قريب، عيادة مريض، لقاء عفوي، لقاء في سفر، لقاء في حضر، ماذا تقول في هذه اللقاءات؟ هذا الذي سمعته ألقه على الناس بطريقة لطيفة، بطريقة متواضعة، بأسلوب شيق، فهذه أعظم تجارة مع الله، أن تكون سبباً في هداية الناس.

((نَضَّرَ الله امرأ سمع منَّا شيئاً ، فبلَّغهُ كما سمعه ، فَرُبَّ مُبَلَّغ أوْعَى من سامع))

هذا الناقل الغير واعٍ كل نتائج النقل بصحيفته، وهذا كرم كبير من الله عز وجل.

حجم الإنسان عند الله بحجم الذين اهتدوا على يديه :

الرواية الثانية:

((رحم الله امرأ))

ورحمة الله هي عطاؤه المطلق، لما الله عز وجل قال لسيدنا موسى:

(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)

[سورة طه]

ما معنى

(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)

؟ أي هيأتك، ما دام أنت طلبت هداية الخلق أنا هيأتك لهذا العمل العظيم، وأحياناً الإنسان يسخر كل طاقاته، وكل إمكاناته، وكل وقته، وكل عضلاته، وكل طاقاته، وكل طلاقة لسانه، وكل إمكاناته الاجتماعية في سبيل خدمة الخلق وهدايتهم، هذا يمشي على أثر الأنبياء، الدعوة إلى الله صنعة الأنبياء، ويمكن أن تكون عند الله أمة، أنت حجمك عند الله بحجم الذين اهتدوا على يديك.

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)

[سورة النحل الآية: ١٢٠]

كل هؤلاء الذين اهتدوا على يديه هم من أتباعه، وهناك إنسان يكتفي لوحده، وكما قلت لكم من قبل:

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

[سورة العصر]

هذه آية تشير إلى أن أحد أركان النجاة التواصي بالحق، فعلى الإنسان ألا يبقى صامتاً.

الله عز وجل أمر الملائكة أن يهلكوا قرية، قالوا: يا رب إن فيها صالحاً؟ قال: به فابدؤوا، لِمَ يا رب؟ قال: لأنه كان لا يتمعر وجهه إذا رأى منكراً، هو اهتدى فقط.

التناصح يُسبب المودة :

الآن تلتقي بإنسان هناك تفلت كبير في بيته، يقول لك: أصلحهم الله، لا يتحرك، لا يوجد عنده غيرة إطلاقاً، أهله، أولاده، بناته، زوجته، هو اهتدى، هو يصلي بالمسجد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة سادسة، وكل إنسان ترك هذه الفريضة يستحق عقاب الله.

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

[سورة هود]

ما قال صالحون، قال:

(مُصْلِحُونَ)

أنت حينما تنكر المنكر وتأمر بالمعروف تكون قد أديت ما عليك.

أعتقد مروان بن الحكم أحد خلفاء بني أمية، صعد المنبر ليخطب قبل صلاة العيد فأمسكه بعض النابعين ـ وأظن أنه سعيد بن المسيب ـ من ثوبه، وقال: إن رسول الله لم يفعل هذا، فما سمع منه، تابع صعوده إلى المنبر، وخطب قبل صلاة العيد، فقال أحدهم: أما هذا فقد أدى الذي عليه.

أنت انصح، كل إنسان حوله أقرباء، له أخوات، له أخوات بنات، له بنات أخوات، بنات أخوة، إذا كان هناك تفلت تكلم، انصحهم، بيّن لهم، إذا نصحت أديت الذي عليك، والحقيقة التناصح يسبب المودة، هناك شخص يقول لك: أصلحهم الله، لا يبالي، أما المؤمن يبالي ويعلق أهمية كبيرة، وينصح، ويقنع، ويحمل على الطاعة.

هذا الحديث أخواننا الكرام من أساسيات الدعوة إلى الله:

((نَضَّرَ الله امرأً سمع منَّا شيئاً ، فبلَّغَهُ كما سمعه ، فَرُبَّ مُبَلَّغ أوْعَى من سامع))

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في إكرام العلماء وإجلالهم وتوقيرهم والترهيب من إضاعتهم وعدم المبالاة بهم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إكرام ذي الشيبة المسلم من إكرام الله عز وجل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إنَّ من إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلم وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ وإكرامَ ذي السلطانِ المُقسِطِ))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

هذا الحديث أيها الأخوة يبين أنه حينما تكرم إنساناً شابَ في الإسلام، مسلم لا أقول عالم، مسلم، لكن مسلم ذو شيبة، أي باعه طويل في الإسلام، أمضى حياته في طاعة الله، إن أكرمت هذا الإنسان إكرامك لهذا الإنسان جزء من إكرام الله تعالى، لأن الله عز وجل يحب أن يُكرم هذا الإنسان الذي أمضى حياته في طاعة الله، والنبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث أخرى يقول:

((ليس منا من لم يبجل كبيرنا))

[البُخَارِيُّ فِي كِتَابِهِ المُفْرَدِ فِي الْأَدَبِ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ]

طبعاً الكبير في الإسلام، الأمة بأكابرها، الأمة بعلمائها، الأمة بأصحاب الفضل فيها، والأعمال الصالحة واسعة جداً، فكل من تفوق في هذا الأعمال له مكانته، هناك إنسان مكانته في إنفاق المال، و إنسان مكانته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و إنسان مكانته في توفير خدمات للمسلمين، و أسرة كل فرد فيها يقوم بمهمة، هذه المهمات متكاملة.

فالنبي عليه الصلاة والسلام يجعل إكرام ذي الشيبة المسلم من إكرام الله عز وجل.

النهي عن الغلو في الدين

شيء آخر:

((وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه، ولا الجافي عَنهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

عندنا منزلقان ونحن نحمل كتاب الله عز وجل، أن نغالي فيه، الغلو في الدين نهى عنه النبي، الغلو أن تأخذ فرعاً من فروع الدين وأن تجعله محل الأصل، هذا غلو في الدين، الفقيه أحياناً يقول لك: الدين كله فقه، هذا غلو، المفسر: الدين كله تفسير ، المحدث: الدين كله حديث، المجود: الدين كله تجويد، إن أخذت أحد فروع الدين وأحللته محل الأصل فقد غاليت، كأنك أغفلت فضل الآخرين، كأنك أغفلت الجوانب الأخرى من الدين، والعادة أن الإنسان يحترم اختصاصه، أو يعتبر اختصاصه أساسي، هذا شيء فطري بالإنسان، لكن هذا الإنسان إن حمله هذا الاعتزاز باختصاصه على أن يحتكر اختصاصات الآخرين فقد غالى في الدين، فيجب أن يحترم الفقيه المفسر، والمفسر المحدث، والمحدث عالم العقيدة، وعالم العقيدة المجود، والمجود عالم المواريث، أما كل واحد إذا أتقن فرعاً من فروع الدين وجعله الأصل وازدرى الفروع الأخرى إذاً وقع في الغلو.

((وحاملِ القرآنِ غير الغالي فيه))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله:

يجوز للإنسان أن يعد قراءة القرآن شيئاً أساسياً في الدين، هي شيء أساسي، أساسي جداً لكن ليست كل شيء، هناك إنسان لا يتقن قراءة القرآن، لكن له أعمالاً صالحة كالجبال، فنحن عندما نعطي كل شيء حقه لا نقع في الغلو.

((ولا الجافي عَنهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

هذا الذي يحمل كتاب الله ولا يطبق أحكامه في حرفته، هذا شيء مؤلم، أن ترى الذين يحفظون كتاب الله عز وجل يتراكضون إلى المكاسب مادية، وكأن القرآن بضاعة بين أيديهم، إذا أراد إنسان أن يتابع معاملة وفاة، يجد وراء السيارة أكثر من عشرين أو ثلاثين شخصاً يلهثون، ويركضون، ويعرضون عليه أن يقرؤوا القرآن في هذه الأمسيّة، هذا الذي يحفظ كتاب الله لا ينبغي أن يركض وراء مركبة لينال دريهمات معدودة في التماسي، حفظ القرآن الكريم يجب أن يكون بمستوى أرقى بكثير، فحال:

((وحاملِ القرآنِ غير الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

هناك غلو، تطرف، مبالغة، تضخيم، فالغلو منهي عنه، والمجافاة منهي عنها، المجافاة ألا تطبق أحكام القرآن الكريم، فحامل كتاب الله لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا أن يسفل مع من يسفل،

ولا أن يهبط مع من يهبط، ينبغي أن تحترم مع هذا الذي تحمله، وهناك سلوك معين يليق بحامل القرآن الكريم، لذلك قالوا: من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظمه الله.

الإنسان إذا كان يعرف كلام الله، يتقن قراءته، يتقن تفسيره، ورأى إنساناً من أهل الدنيا أعطاه الله الدنيا، وقال: ليتني مكانه، فقد حقر ما عظمه الله تعالى، أي أن الله عز وجل يحب من الإنسان إذا آتاه الحلم والحكمة أن يعتز بهما، وأن يرى أن هذا أعظم فضل لله عليه.

سُئل الحسن البصري: ما سر هذه المكانة التي حباك الله بها ؟ قال: باستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي.

أحياناً ترى إنساناً الناس مستغنون عن علمه، وهو بحاجته إليهم سقطت مكانته.

لا يقبل إحسانك إلى أبيك إلا بيدك مباشرة إكراماً له:

إذاً الحديث:

((إنَّ من إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشَّيْبَة))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

((ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا سخر الله له من يكرمه عند سنه))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

الملاحظ في المجتمع المسلم أن الصغار يحترمون الكبار، بالمجتمعات المتفلتة المسن الكبير ليس له قيمة إطلاقاً، والحقيقة المتقدم بالسن أقول لكم ملَّ من الدنيا، أكل، وشرب، وسافر، كل شهواتها ملَّها، وكل لذائذها عافها، له حاجة واحدة، الكبير في السن أن يوقر، أن يرى أولاده حوله، أن يرى أخوانه يوقرونه، أن يرى الناس مهتمين به فقط ، حاجاته الكبيرة حاجات نفسية ومعنوية، فإذا الشاب أغفل هذه الناحية، أنه أنا أطعمه وأسقيه و ليس له شيء عندي ؟ هو الأب، غني عن إطعامك وإسقائك له، هو يتمنى أن تكون أنت معه.

ذلك استفادوا العلماء من هذه الآية:

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)

(سورة النساء الآية: ٣٦)

الباء للإلصاق، لا يقبل إحسانك إلى أبيك إلا بيدك مباشرة، إكراماً له.

على الإنسان إكرام السلطان المنصف و احترامه و توقيره:

((إنَّ من إجلالِ اللهِ: إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلم وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِطِ))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

إنسان له منصب، مدير ناحية فرضاً، رجل منصف، نظيف، يده نظيفة، يقيم العدل بين الناس، الضعيف عنده قوي حتى يأخذ الحق له، القوي عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه، هذا الإنسان المقسط، المنصف، العادل، يجب أن تحترمه، عندنا سلوك غير لائق أي نحن يجب أن نبجل القوي، لا، غلط، فالقوي إذا كان منصفاً يجب أن تبجله، لأن الله جعله سلطانه في الأرض، ما من داع أن يبني الإنسان سعادته على الانتقاص من الآخرين، هناك شخص يتلذذ في أن يضعضع مكانة إنسان أقامه الله بمكان عال، ما دام منصفاً، ما دامت يده نظيفة، ما دام محسناً، يجب أن نزيده إكراماً.

واجب على كل إنسان إكرام ذي الشَّيْبَةِ المسلم وحاملِ القرآنِ وإكرام ذي السلطانِ المُقْسِطِ:

هذا الحديث يعلم آداباً اجتماعية كثيرة، مثلاً مديرة مدرسة، مدير مستشفى، إنسان بمنصب رفيع، لكنه منصف، يده نظيفة لا تمتد إلى الحرام، يسعى لإقرار الأمور بشكل صحيح، منصف بين الناس، هذا يجب أن يُدعم، يجب أن يُحترم، أنت تدعم النظام بهذه العملية، و إذا كان هناك إنسان بمنصب رفيع، ويده نظيفة، ومنصف، وعمله طيب، وأنت احترمته، ونفذت أمره، معنى هذا أنك أنت دعمت النظام العام، هذا جزء من النظام العام.

((إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلم وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِطِ))

[أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري]

هؤلاء الأشخاص الثلاثة ينبغي أن يوقروا.

أخطر شيء بالعالم الإسلامي أن تهتز المثل العليا:

حديث آخر: قال عليه الصلاة والسلام:

((البركة مع أكابركم))

[المستدرك عن ابن عباس]

البركة الخير، من هم الأكابر ؟ جمع كبير، الكبير في خبرته، الكبير في تجربته، إنسان له خبرة، الشباب أحياناً عندهم اندفاع قوي، أما الشيوخ عندهم خبرات متراكمة، فالشاب عليه أن يحترم خبرة الكبير لأنه قد يقع في أخطاء فاحشة، وقاتلة، فما أجمل أن يتعاون الشاب المندفع مع الشيخ الكبير،

هذا المجتمع المتكامل نستقي من الشيوخ حكمتهم، وخبرتهم، وعلمهم، ونستقي من الشباب اندفاعهم، وقوة اندفاعهم إلى الأعمال الطيبة، لذلك النبي يقول:

((البركة مع أكابركم))

[المستدرك عن ابن عباس]

الأكابر جمع كبراء، أو جمع كبير، أي مجتمع لا يوجد فيه رؤوس هذا مجتمع منهار، وأساساً أعداء الدين أو الطرف الآخر في مهمة تخريبية في الدين، يحطم كل إنسان كبير في الدين، هذا يبحث له عن فضيحة، وهذا يطعن بأمانته، وهذا يطعن بعلمه، فالمجتمع عندما يفقد الثقة بالأكابر انتهى المجتمع، المجتمع له قدوة، مجتمع بلا قدوة مجتمع متدهور، وأخطر شيء بالعالم الإسلامي أن تهتز المثل العليا، ليس لك مصلحة تجلس جلسة تطعن بأشخاص بجلسة معينة، لست متأكداً، لا يوجد عندك معلومات دقيقة، وأهل الدنيا يتمنون أن يبحثوا عن أخطاء لرجال الدين، أنت ليس لك مصلحة إطلاقاً أن تهتز مكانة الحق بنظر عامة الناس، ليس لك مصلحة ما بين هؤلاء من خصومات أن ينتشر بين العوام، العوام يبحثون عن هذه القضايا بحثاً شديداً.

((البركة مع أكابركم))

[المستدرك عن ابن عباس]

فالأمة التي ليس لها أكابر ليست أمة، تلاحظ الأمم الغربية هناك قائد مثل نابليون فتح أوربا، ارتكب ظلماً لا يعلمه إلا الله، ومع ذلك يبجل، ويقدس، وهنا بيته، وهنا مكتبته، وهنا مكانته، هذا التعظيم للأبطال يجعل الأمة تعتز بماضيها، فنحن ليس لنا حق.

مرة إنسان استلم منصباً، والد هذا الإنسان عالم جليل، فأحد كبار الموظفين في هذه الدائرة أراد أن يسمي شارعاً باسم والد هذا المحافظ، فسمّى شارعاً باسمه، هذا المحافظ أقام النكير عليه، من والدي ؟ ماذا فعل والدي ؟ ماذا قدم للأمة ؟ يحتقر والده العالم الجليل، كان مفتي الديار الشامية، ما كان من هذا الموظف إلا أن قال له: يكفي أنه قدمك للأمة.

أمة بلا أكابر أمة هالكة، أمة بلا رؤوس، بلا قيادات، لا قيمة لها، أعداء الدين من طموحاتهم أن يهزوا الرؤوس، وأن يهزوا المثل العليا، هذه مشكلة كبيرة جداً، ما كل قصة صحيحة، أنا لا أدافع عن هؤلاء إطلاقاً، لكن ما كل قصة تقال صحيحة.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)

(سورة الحجرات)

من لم يعرف حق العالِم فقد تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وعن عبادة ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ))

[أحمد عن عبادة بن الصامت]

وفي رواية كما وردت عند الحاكم:

((ليس منا من لم يبجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه))

لأن العلم عطاء كبير، إن لم تعرف له حقه يزهد في العلم، ويلتفت لشيء آخر، أنا سمعت عن إنسان له عمل في الدعوة، افتقر إلى درجة أنه لم يجد قوت يومه، فاضطر أن يفتح محل سمانة في بعض الضواحي، وانتهت دعوته، إن لم يكن هناك نوع من التعاون بحيث أن هذا الإنسان تضعه في مكانة علية مشكلة كبيرة.

المجتمع المسلم مجتمع منضبط والعطاء هو أحد أسباب سعادة المؤمن:

الحديث الأخير:

((ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر))

[أحمد عن ابن عباس

المجتمع المسلم مجتمع منضبط، متجمع فيه مراتب، مجتمع فيه نظام، النظام تسلسلي، الآن إلى فترة بسيطة كان لكل أسرة كبير، هذا الكبير مرجع، حكم بين أفراد الأسرة، الأسرة عبارة عن عدة أولاد، والأولاد لهم زوجات وأولاد، لهذه الأسرة كبير يُرجع إليه، هو الحكم لهؤلاء، هو الحكم الذي يدعم هؤلاء الأطراف، هذا شيء مريح جداً، الآن لو سألت قاضياً بقصر العدل آلاف القضايا بين الأم وابنها، بين الأب وابنه، بين الأخ وأخيه، أما بوجود كبراء في الأسر يكون هذا الشيء مستحيل، هناك شخص يُرجع إليه عند الكل، كلمته نافذة بين الكل، له عطاؤه، له خدمته للكل، فالكل ينصاع لأمره.

أحياناً كان في الأحياء وجهاء، هذا الوجيه يحل كل مشاكل الحي، كانت المحاكم مرتاحة، كان لكل أسرة كبير، ولكل حي وجيه، الوجهاء هم حكام، وقضاة، وخُدام، والإنسان كلما ارتفع يخدم قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((سيد القوم خادمهم))

[ابن ماجه عن أبي قتادة]

كلما ارتفع بين الناس ليعطي لا ليأخذ، إنسان نقل كلمة عن رئيس جمهورية لأمريكا قديماً، قال: تعالوا نفكر فيما ينبغي أن نعطي لا فيما ينبغي أن نأخذ، فالإنسان إذا رفعه مجتمعه رفعه لا ليأخذ منه بل ليعطيه، والعطاء هو أحد أسباب سعادة المؤمن.

إذاً:

((ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر))

[أحمد عن ابن عباس]

هذه الأحاديث الأربعة في فصل عنوانه: الترغيب في إكرام العلماء.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٢-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين -٣

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم فرض لسلامة الإنسان وسعادته:

الترغيب في طلب العلم، وتعلمه، وتعليمه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كملقد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب))

[ابن ماجة عن أنس]

أول شيء في هذا الحديث :أن كلمة فريضة تعني أن قوام الشيء يعتمد على شيء، نقول مثلاً: تنفس الهواء فريضة على كل إنسان، أي تقوم حياته على التنفس، فلو منعنا عنه الهواء مات، هذا معنى الفرض، شرب الماء فرض على كل إنسان، فلو مُنع من الماء لمات، تناول الطعام فرض على كل إنسان، أما أن يأكل بعض أنواع الفواكه ليس هذا فرضاً، لأن حياته تقوم وتستمر من دون هذه الفاكهة، أما أن يرتدي ثياباً معينة غالية الثمن هذا ليس فرضاً، لأن حياته تقوم وتستمر من دون هذه الثياب.

فكلمة فرض تعني أن وجود الشيء متوقف عليه، نحن حينما نعتقد أن هناك حياة لهذا الجسم تقوم على الهواء، والماء، وتناول الطعام والشراب، والمأوى، هناك من يموت من البرد إذا كان بلا مأوى، هذا الجسم يحتاج إلى هواء، وماء، وطعام، وشراب، ومأوى، هذه فرائض وجوده، وفرائض استمرار وجوده.

لو انتقلنا إلى النفس، هذه النفس التي خلقها الله عز وجل، هي ذات الإنسان التي لا تموت، تذوق الموت ولا تموت، هذه النفس العلم فرض لها، لأنه أودع الله فيها شهوات هذه الشهوات تدفعها في حركة عشوائية، من دون علم الشهوات مهلكة.

الإنسان ليس كهذه الطاولة، الطاولة سكونية، الإنسان كمركبة فيها محرك ألف حصان، فمن لوازم هذا المحرك القوي جداً الذي يدفعها بسرعة جنونية مقود، وإلا فالهلاك حتمي، هذا مثل دقيق جداً، محرك قوي جداً يدفع هذه المركبة في سرعة جنونية، المقود الذي يوجه السيارة ويبقيها على

الطريق فرض لسلامتها، أو فرض لبقائها، ولولا ذلك لتدهورت وانتهت، لأن الإنسان أودع الله فيه الشهوات.

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)

(سورة آل عمران الآية: ١٤)

هذه الشهوات التي أودعها الله في الإنسان تجعله ينطلق بسرعة هائلة، العلم فرض لسلامته، أي تتوقف سلامته على العلم، العلم فرض لسعادته، تتوقف سعادته على العلم، لأن أمامه خيارات كثيرة جداً، بعض الخيارات مهلك، بعضه سالم، فلو أن هذا الإنسان تحرك حركة بلا علم بدافع من شهواته لشقي وأشقى، وهلك وأهلك.

طلب العلم أجلّ عمل على الإطلاق:

إذاً لا يوجد عمل أجلّ على الإطلاق من أن تطلب العلم، تطلب العلم لا ليكون وردة تزين بها صدرك، لا، تطلب العلم لتحافظ على وجودك، وسلامة وجودك، واستمرار وجودك، وسعادتك، هذا معنى كلمة طلب العلم فريضة، بالفرائض لا يوجد خيارات.

الآن ترتفع الأسعار كثيراً، والإنسان له دخل محدود، يلغي أحياناً الأشياء الثانوية، يلغي الولائم، يلغي الرحلات، يلغي الاحتفالات، يلغي العزائم، لكن لا يستطيع أن يلغي الطعام والشراب هذا الشيء ليس لك فيه خيار أبداً.

فحينما أقول: طلب العلم فريضة، أي ليس لك خيار إطلاقاً في طلب العلم، لأنه مع العلم يوجد سلامة وسعادة، من دون علم يوجد شقاء وهلاك، والدليل أمامكم يمكن أن تسمع في اليوم مئة قصة، شقاء، جريمة، خيانة، زنا، انهيار شركة، سببها الجهل، لأن هناك رغبة في حب المال من دون علم، في حب النساء من دون علم، فالإنسان يندفع من دون موجه، يندفع من دون نور يريه الحق من الباطل.

فلذلك لا تظن أن هناك عملاً أجلّ في حياة الإنسان، وأخطر من أن تأتي إلى بيت من بيوت الله تطلب العلم الشرعي الذي ينجيك.

ما كل علم ممتع نافع وما كل علم نافع مسعد:

الحقيقة ادخل إلى أي مكتبة الآن قد تجد كتباً لا يعلمها إلا الله، الكتب بالملايين، أنت بحاجة إلى علم من عند خالق الكون، إلى علم يتعلق بأصول تشغيل هذه الآلة المعطلة التي هي أنت، أصول التشغيل والصيانة، وحسن المردود، فما كل علم بنافع.

كل علم ممتع، على الإطلاق أي علم ممتع، لكن ما كل علم ممتع نافع، الآن هناك علم ممتع نافع، إنسان معه اختصاص نادر، ويدر عليه مبالغ طائلة، هذا علم ممتع ونافع في الدنيا، لكن ما كل علم نافع مسعد، العلم الممتع، النافع، المسعد هو الدين، لأنه متعلق بسلامتك.

الآن مثلاً إنسان يقتني سيارة، يمكن أن يقرأ عن تاريخ الشركة، أهم شيء يقرأ عن خصائص هذه المركبة، وعن طريقة تشغيلها، واستعمالها، هناك معلومات كثيرة جداً لا تعنيك، فلو طلبتها لن يستفيد منها، ذلك علم لا يضر من تعلمه، ولا من جهل به، ما كل علم نافع، ما كل علم ممتع نافع، وما كل علم نافع مسعد.

فنحن نختار من بين كل العلوم، وكل الكتب، وكل المؤلفات، وكل البحوث والمقالات، ماذا تقرأ كل يوم؟ الذي يطبع لا تستطيع أن تقرأ واحد بالمليار منه، إذاً وقتك محدود، ماذا ينبغي بك أن تقرأ ؟ يجب أن تقرأ كل ما له علاقة بسلامتك وسعادتك، إذاً هو منهج الله عز وجل، الكتاب والسنة، لا يوجد إنسان سعد في الدنيا إلا بمعلومات مترسخة في ذهنه، لا يوجد إنسان سلم من مطبات الحياة إلا بالعلم.

طلب العلم الشرعي يبعد الإنسان عن المعاصي:

أنا أذكر لكم قصتين سريعتين، عندما خطبت في هذا المسجد أذكر أنه جاءني رجل صار يبكي، قلت له: خير إن شاء الله ؟ قال لي: زوجتي تخونني، وعندي منها خمسة أولاد، وأنا رجل تاجر، وعندي بيت بأرقى أحياء دمشق، ودخلي كبير، سألته مع من ؟ قال: مع جارنا، قلت له: كيف تعرفت عليه ؟ قال: والله أنا عرفته عليها، قلت له: كيف ؟ قال: كان عندنا فدعوتها أن تجلس معنا والليل طويل، قلت لها: إنه مثل أخيك، قلت له: لو أنك طلبت العلم الشرعي، وعرفت أن الاختلاط محرم في الإسلام ما وقعت في هذا.

الثاني سائق تكسي ركبت معه فتاة، قال لها: إلى أين ؟ قالت له: إلى حيث تشاء، فهم وقضى حاجته منها، ثم أعطته رسالة قالت له فيها: مرحباً بك في نادي الإيدز، لو أن هذا السائق يعرف الله، له مجلس علم لركلها بقدمه، طبعاً سببت له الشقاء.

لا يوجد كلمة أروع من كلمة سيدنا علي، " يا بني العلم خير من المال، لأنك تحرس المال و العلم يحرسك ".

أنت بالعلم محروس، بيتك محروس، زوجتك، أولادك، اختصاصك، مهنتك، ما دمت مستقيماً فأنت مطمئن، لا تغش، لا تكذب، لا تدلس، لا تحتال، صادق، أمين، لك مكانة كبيرة، لك سمعة طيبة، الناس يثقون بك، يعطونك أموالهم.

فالقضية قضية خطيرة مصيرية، الآن أكثر الناس يظن والله هناك درس علم ممتع، ما هذا الموضوع ؟ الموضوع أخطر من ذلك، ليس موضوع درس العلم وردة تتزين بها، درس العلم أساسي في سلامتك، وسعادتك.

هناك علم ينبغي أن يُعلم بالضرورة وهو فرض عين على كل مسلم

إلا أنني أريد أن أوضح لكم: أن هناك علماً ينبغي أن يُعلم بالضرورة، هو فرض عين على كل مسلم، تقول: أنا طالب، أنا مهندس، أنا طبيب، أنا نجار، أنا صانع، كن من شئت، كن في أي درجة علمية، في أية حرفة، هذا العلم لا بد منه، هو الحد الأدنى لسلامتك وسعادتك، هو ما ينبغي أن يعلم بالضرورة.

أنت تاجر، أحكام البيوع يجب أن تعرفها، أنت زوج أحكام الزواج يجب أن تعرفها، أنت أب واجبات الأب ينبغي أن تعرفها.

تماماً كما لو أقول لإنسان خذ هذه السيارة، أنت لست مكلفاً أن تعرف كيف تُصنع، لو أنك أردت أن تنشئ معمل سيارات ينبغي أن تعلم كيف تُصنع، لست مكلفاً أن تعرف ما المادة التي صنعت منها المكابح، لا يلزمك، لكن عليك أن تتعلم كيف تستعمل المكابح، كيف تطلق بها، كيف توجهها، هناك مجموعة حقائق في المركبة يجب أن تعرفها وإلا تدهورت، هذه المعلومات الحد الأدنى لسلامة هذه المركبة، أما هناك ألف سؤال بالمركبة لا ينبغي أن تعلمه، وتركبها، وتنتفع بها، وتسعد بها، من دون أن تعرف هذه الأسئلة.

عندنا نوع من العلم فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الكل، ونوع من العلم فرض عين، فالنبي فيما أعلم الذي أراده من هذا الحديث ما كان ينبغي أن يُعلم بالضرورة، أركان الإيمان، أركان الإسلام، العقيدة الصحيحة، الإيمان بالله، الإيمان باليوم الآخر، بالملائكة، بالكتاب، بالنبيين، بالإسلام، الشهادة، الصوم، الحج، الزكاة، الآن بالعمل أحكام البيوع، بالزواج أحكام الزواج، هذا هو العلم الذي ينبغي أن يُعلم بالضرورة، إن علمت هذه المعلومات نجوت من هذا الخطأ ومن الهلاك في الدنيا.

طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة:

بقي شيء ثان: إذاً طلب العلم فريضة، المقصود في الفريضة ما تتوقف سعادة الإنسان عليه، والمقصود بالعلم ما ينبغي أن يعلم بالضرورة، العلماء قالوا: على كل شخص مسلم ـ وهذا كلام دقيق وخطير ـ أي ذكر كان أو أنثى، المعنى هذا مفروغ منه، لا يوجد عليه خلاف أبداً، المرأة كالرجل تماماً في التكليف، والتشريف، والمسؤولية.

لذلك أكبر جريمة في حق الفتاة أن تبقيها جاهلة، لأنها إنسان، لأنها إذا عرفت ربها أطاعته، وأحبته، وسمت إليه، وسعدت بقربه، فكل إنسان يهمل زوجته وبناته، كأنها للخدمة، جاهلي، هذه الزوجة يجب أن تعرف، إما أن تعلمها، وإما أن تسمح لها أن تتعلم، لأنها إن عرفت ربها أسعدتك، عرفت حقك عليها، إن عرفت ربها كان أحد أسباب سعادتك بها أنها تعرف الله، عرفت حق الزوج، عرفت حق الأولاد، عرفت مسؤوليتها أمام الله عز وجل، عرفت خطورة عملها في البيت، أما إذا أبقيتها جاهلة تصبح عبئاً عليك، تطالبك بشيء غير طاقتك، تريد مظاهر، تريد احتفالات، تريد بيوتاً فخمة، ولو بالمعاصي، تصبح الزوجة الجاهلة عبئاً على زوجها، دائماً يسعى لإقناعها بالحق وهي لا تريد ذلك، علّمها، عرفها بهويتها، بشخصيتها، بمكانتها عند الله، بدورها كأم.

مثلاً قال النبي:

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

لن تسعد بامرأة جاهلة، لن تفلح إذا أبقيت ابنتك جاهلة، وزوجتها، عبء على زوجها، تتعبه كثيراً لأنها جاهلة.

معرفة القرآن الكريم وسنة النبي وسيرته فرض عين على كل مسلم

لذلك الحديث فيه ثلاثة أشياء، العلم الذي ينبغي أن يعلم بالضرورة، المواريث علم، علم دقيق جداً، لكن الإنسان يحتاجه بعمره مرة، هناك علماء، هناك خبراء، يمكن ألا تتعلمه، يمكن أن تسأل عنه أي عالم، التجويد يمكن أن يعلمك إياه إنسان، أما إن كان هناك إشراك بالله فهناك هلاك، إنسان ضغط عليك، خفت منه فعصيت الله من أجله، إذاً أنت انتهيت، التوحيد علم أساسي، معرفة كلام الله منهجك، و معرفة سنة النبي منهجك، و معرفة سيرة النبي منهجك، فقد قال الله عز وجل لك:

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)

(سورة الحشر الآية: ٧)

إذاً معرفة القرآن الكريم، وسنة النبي، وسيرته، فرض عين على كل مسلم، أركان الإسلام، أركان الإيمان، الأحكام الفقهية المتعلقة بحرفتك، متزوج ؟ إذا عليك أن تعرف أحكام الزواج، لك أولاد ؟ أحكام الأبوة، هذا علم وهو فرض عين، هذا ما ينبغي أن يعلم بالضرورة، هذا الحد الأدنى، فهذا معنى العلم، والفرض ما تقوم الحياة به، والمسلم أي على كل شخص مسلم، فكل إنسان يعد المرأة للمتعة، للبيت، للغسيل، وللطبخ، الله بعث له زوجة صالحة، إنسان جاهلي.

تربية الأولاد أعظم عمل تقوم به المرأة:

أنا ذكرت لكن في درس الاثنين شيئاً مذهلاً، النبي عليه الصلاة والسلام وقفت معه السيدة خديجة، وثبتته، ودعمته، وأنفقت مالها عليه، و واسته، و خففت عنه متاعبه، وتحملت معه كل مضايقات قريش، وتحملت معه القطيعة، وتحملت معه التكذيب، وصدقته وكذبه الناس، وآمنت به وكفر به الناس،و واسته بمالها وحرمه الناس، فالنبي ما عدّ المرأة للمتعة، اعتبرها شريكة حياته، وعندما فتح مكة لم يسمح الله للسيدة خديجة أن تكحل عينيها بنتائج النصر، ماذا فعل النبي الكريم ؟ نصب راية النصر على قبر خديجة، إكراماً لها، وتطميناً لها، ما اعتبرها زوجة للمتعة، اعتبرها شريكة للدعوة.

كلما كبرت عند الله ترى المرأة عظيمة، وكلما صغرت تحتقرها، المرأة يمكن أن تهز العالم إذا هزت سرير ابنها، ما أعظم عمل لها ؟ تربية أولادها، تعطي المجتمع أولاداً مهذبين، تربيتهم عالية، أخلاقهم عالية، أحياناً تجد شخصاً ناجحاً جداً بحياته، السبب تربيته المنزلية جيدة جداً.

لذلك هذا الحديث

((طلب العلم فريضة على كل مسلم))

[ابن ماجه عن أنس]

أي على كل مسلم ومسلمة، طلب العلم فريضة، أي الحد الذي ينبغي أن يعلم بالضرورة، معنى فريضة، ما لا تقوم الحياة إلا به، فلذلك أجلّ عمل يعمله الإنسان أن يطلب العلم، لأنه دائماً على صواب ولا يوجد خطأ عنده.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٣-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين-٤

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم شيء ثمين لا يوضع عند غير أهله و لا يبذل لغير طالبه :

أيها الأخوة الكرام، حديث البارحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ))

[ابن ماجه عن أنس بن مالك]

((الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المؤمن))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

من منعها أهلها فقد ظلمهم، ومن منحها غير أهلها ظلمها، إما أن تظلم المتعلم إن منعت عنه الحكمة، وإما أن تظلم الحكمة إن بذلتها لغير أهلها، من هذا القبيل قول الله عز وجل:

(فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى)

[سورة الأعلى]

العلم شيء ثمين لا يوضع عند غير أهله، لا يبذل لغير طالبه، لذلك الشيء الثمين إذا بُذل قلّت قيمته، من هنا قال الله عز وجل:

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)

[سورة العنكبوت الآية: ٦٩]

لا بد من البذل، قال بعضهم: العبقرية ٩٩% عرق - أي جهد - و١% إلهام، معنى ذلك أن الإنسان يجب أن يحفظ قيمة العلم.

سُئل الإمام الحسن البصري بِمَ نلت هذا المقام؟ قال: باستغنائي عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي، حينما استغنى عن دنيا الناس كرم العلم، حينما احتاجه الناس، احتاجوا علمه بذله، أما إذا طمع في دنياهم سقطت قيمة العلم، فالعالم ينبغي أن يترفع.

لذلك قيل: الورع حسن لكن في العلماء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والتواضع حسن لكن في الفقراء أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن.

إذاً:

((وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ))

[ابن ماجه عن أنس بن مالك]

عطاء الله عز وجل عطاء مطلق لا ينتهي :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة))

[الطبراني عن ابن عباس]

أيها الأخوة، في الحياة الدنيا ما لم تدفع الثمن لا تأخذ المبيع، عند الله قانون آخر إن كنت في طريق طويل، لمجرد أن تضع رجلك في هذا الطريق، أو على هذا الطريق، ويأتي الأجل تعطى ثواب من سار كل الطريق، هذه نقطة دقيقة جداً في عطاء الله عز وجل، إنسان سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، بحياتنا الدنيوية لا بد من أن تدفع الثمن كاملاً لتقبض المبيع كاملاً، أما عند الله عز وجل يكفي أن تضع رجلك على أول الطريق لتأخذ ثمرة الطريق كله، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((من جاءه أجله وهو يطلب العلم))

[الطبراني عن ابن عباس]

قد يطلب ربع العلم، قد يطلب جزءاً من العلم، آية من كتاب الله، حديثاً من رسول الله، والعلم بحر ومع ذلك إذا جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله عز وجل وكأنه حصّل العلم كله، أنت لست آمناً إلا مع الله.

أحياناً إنسان ينشئ بيتاً، قبل أن يضع اللمسات الأخيرة يأتيه ملك الموت، إنسان ينشئ تجارة قبل أن يفتتح محله التجاري يأتيه ملك الموت، إنسان يخطب فتاة قبل العرس يأتيه ملك الموت، بحسب مكتسبات الدنيا كل هذا الشيء الذي حصّله ذهب أدراج الرياح، أما عند الله إذا طلبت الآخرة، طلبت الحق، في اللحظة التي يأتي بها الأجل كأنك قد وصلت إلى نهاية الطريق، وكأنك نلت كل المطلوب، الطريق مع الله آمن فقط.

((من جاءه أجله وهو يطلب العلم))

[الطبراني عن ابن عباس]

هناك أخوة كثيرون جاء أجلهم وهم في المسجد، هم يصلون، هم في مجلس علم، هم يطلبون العلم، هذا دليل رضاء الله عنهم.

درجة النبوة هي اتصال بالله عز وجل أما درجة الإيمان فإقبال وفتور :

((من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة))

[الطبراني عن ابن عباس]

الحقيقة درجة النبوة أن تكون متصلاً بالله عز وجل اتصالاً مستمراً.

سيدنا رسول الله حينما جاءه سيدنا الصديق مع سيدنا حنظلة، وقد لقي الصديق حنظلة في الطريق يبكي، قال له: ما لك تبكي ياحنظلة؟ قال: نافق حنظلة، قال: ولِمَ يا أخي؟ قال: نكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين، فإذا عافسنا الأهل ننسى، قال له الصديق رضي الله عنه بتواضع جم: وأنا كذلك يا أخي، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقا إليه وحدثه ما جرى بينهما، فقال عليه الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة، لو بقيتم على الحالة التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة، ولزارتكم في بيوتكم.

معنى ذلك أن درجة النبوة هي اتصال بالله عز وجل، درجة الإيمان إقبال وفتور، ساعة وساعة، ساعة إقبال، وساعة فتور، لكن بعض الناس يفهمون هذا على نحو آخر، بعض الناس يفهمون أن الإيمان ساعة طاعة، وساعة معصية، لا، ساعة إقبال، وساعة فتور في الإقبال، أما إذا اقترفت المعاصي صار هناك انقطاع، وصار مع الانقطاع بعد ، وقسوة قلب، فالمؤمن يقبل ويفتر في إقباله، أما في كل أحواله مطيع لله عز وجل.

المنهج الإلهي الذي جاء به الأنبياء منهج واقعي يسع الناس جميعاً :

صار معنا شيء ثان: المنهج الإلهي الذي أمر به النبي أن يبينه لنا، المؤمن طبقه والنبي طبقه، يبدو أنه المؤمن لا يكذب والنبي لا يكذب، المؤمن يحسن النبي يحسن، إذاً :

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

لكن مقام النبي في إقباله على الله شيء آخر، المؤمن سلوكه كسلوك النبي.

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

المنهج الإلهي الذي جاء به الأنبياء منهج واقعي، هذا مكلف به أن يطبقه كل الناس، لو كان غير واقعي نقول: هذا خاص بالأنبياء، المنهج الذي جاء به الأنبياء منهج واقعي، يسع الناس جميعاً، لأن الله عز وجل يقول:

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)

[سورة البقرة الآية: ٢٨٦]

يؤكد هذا:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)

[سورة هود الآية: ١١٢]

يؤكد هذا قول النبي:

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

أحيناً ملك يقود سيارة، وأحياناً أقل إنسان في البلد يقود سيارة، حاجب، قواعد تحريك السيارة وإيقافها واحدة، لو قادها ملك ولو قادها حاجب واحدة، لأن هناك قواعد عامة، قواعد السلامة، وقواعد تحريك السيارة، وقواعد إيقافها، وصيانتها، وقواعد المحرك والزيت، والكهرباء، وما إلى ذلك.

الإنسان ليس نبياً لكنه مأمور أن يطبق شرع الله عز وجل :

إذاً المنهج الإلهي دقيق جداً جاء به الأنبياء ليكون منهج الخلق جميعاً، أول كلمة يقولها الجهلاء: أنا لست نبياً، من قال لك أنك أنت نبي؟ المنهج الذي جاء به النبي لك، يجب أن تطبقه، فكل إنسان يدّعي ويحتج أنه لا يستطيع أن يطبق الشرع لأنه ليس نبياً نقول له: بالتأكيد أنت لست نبياً، لكنك مأمور أن تطبق شرع الله عز وجل.

((من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة))

[الطبراني عن ابن عباس]

هو النبي بمقامه عند الله، وإقباله العالي، أما أنت فبطاعتك لله، وتنفيذ منهج النبي، أنت كالنبي من حيث التطبيق، والنبي له عليك فضل درجة النبوة، والإقبال على الله، والمكانة العلية.

لو فرضنا أننا كلفنا دكتور بالجامعة أن يلقي درساً في التعليم الثانوي، الدكتور الذي حصّل شهادة عليا يلقي هذا الدرس كما يلقيه مدرس في التعليم الثانوي، لكن مقام الأستاذ الجامعي في حقل العلم أعلى بكثير من أستاذ في التعليم الثانوي.

إذاً يجب أن يكون المقام غير الأداء، أو بالعكس، أحياناً نكلف رتبة دنيا أن يقود لواء، أو أن يقود كتيبة، نقول: هذه القيادة مكانتها لواء، لكن لا يوجد عندنا الآن رائد يقوم بهذه المهمة.

من طبق منهج الله عز وجل سار على المنهج الذي جاء به النبي :

هذا الحديث يؤكد أن الإنسان عندما يطبق منهج الله عز وجل، سار على المنهج الذي جاء به النبي، بعضهم يشطح ويقول: إن الخلق كله خلق من أجل محمد، هذه شطحة ليس لها أصل في الدين.
لكن مرة كنت في العمرة، عالم جليل في مكة المكرمة له محبة كبيرة برسول الله عليه الصلاة والسلام، ألف كتاباً عن رسول الله سماه:" الإنسان الكامل"، فلما وصل إلى هذه النقطة خرجها تخريجاً رائعاً، قال: إن الله خلق الخلق ليكونوا على شاكلة محمد، جعله قدوة، جعله هدفاً، وجعل كل الناس يقتدون به.
إذاً أنت مكلف أن تفعل ما فعله رسول الله، بالتفصيل، في حله وترحاله، في مرضه وصحته، في إقامته وسفره، في زواجه، في غضبه، في رضاه، في عمله، في أفراحه، في أتراحه، منهج كامل، أما له عند الله مقام كبير جداً فلا يوجد علاقة بين المقام والمنهج، المنهج واحد للأنبياء ولغير الأنبياء، أما مقام النبي عند الله عز وجل مقام رفيع.

((من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله ولم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوة))

[الطبراني عن ابن عباس]

وأوضح دليل على هذا الحديث:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)

هذا القرآن.

الحديث:

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

المثل العملي قيادة المركبة لها قواعد، لو ركب هذه المركبة ملك يتقيد بهذه القواعد، لو ركبها خفير يتقيد بهذه القواعد، مقام الملك غير قيادة المركبة، لكن القيادة لها قواعد موحدة.

على كل إنسان أن يكون عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً :

حديث آخر:

((من علّم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء))

[أخرجه ابن ماجة عن سهل بن معاذ ابن أنس عن أبيه]

أخواننا الكرام، رواد المساجد كثيرون، يتلقون، نقول لهم: متى تلقون؟ أنتم تتعلمون، متى تُعلمون؟ أنتم تأخذون، متى تُعطون؟

((من علّم علماً فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل شيء))

[أخرجه ابن ماجة عن سهل بن معاذ ابن أنس عن أبيه]

مرة صادفت إنساناً، وجد نفسه أنه ليس أهلاً أن يلقي العلم، فاشترى شريطاً وقدمه هدية، راقت له هذه الطريقة، صار يدرس وضع الإنسان، هذا الإنسان عقله علمي يقدم له شريطاً متعلقاً بآيات كونية، هذا عقله انفعالي يقدم له شريطاً فيه قصة مؤثرة، فصار يوزع هذه الأشرطة بدل أن يلقي العلم، سبحان الله! بعد حين وجدت حوله عشرين أو ثلاثين إنساناً، كلهم جاؤوا إلى المسجد عن طريقه، والتزموا، وصاروا من المؤمنين المتفوقين.

فالإنسان عندما ينوي أن يعلم يمده بمدد يعينه، فأنت تكلم، أو أعطِ شريطاً، اجلس وكن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكون الخامس فتهلك.

على كل إنسان أن ينتقل من طور التلقي إلى الإلقاء حتى يستفيد مما تعلم :

إذاً يجب أن ننتقل من طور التلقي إلى الإلقاء، ومن طور التعلم إلى التعليم، ومن طور الأخذ إلى العطاء حتى نستفيد مما تعلمنا.

((من علم علماً فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل شيء))

[أخرجه ابن ماجة عن سهل بن معاذ ابن أنس عن أبيه]

في حالات كثيرة جداً كل إنسان له مفتاح تشغيل، أحياناً آية تدعه يغير مئة و ثمانين درجة، أحياناً حديث، أحياناً قصة.

أنا مرة زارني أخ كريم ـ كنت في الطاووسية ألقي درساً ـ وقال: أنا الآن جئت من أمريكا، من عند أخي، قلت له: ماذا يعمل أخوك ؟ قال: يعمل في إنتاج الأفلام الإباحية، أي لا يوجد عمل أدنى عند الله من هذا العمل، قلت: ما قصته؟ قال لي: والله سمع شريطاً من أسماء الله الحسنى، أقسم لي بالله ـ وهو صادق عندي ويعمل أمين سر دار الأيتام ـ قال لي: والله سمع هذا الشريط خمسين مرة، وكانت توبته على هذا الشريط، وتاب من عمله، والتجأ إلى الله عز وجل، وأقلع عن هذا العمل، وهو الآن يبحث عن عمل آخر.

لا تعرف كل إنسان متى يصحو، أحياناً على شريط، على شيء معين، على نصيحة، على خطبة، خطبة إذاعية.

مرة قال لي صديق لي: هناك شخص شارب خمر، متفلت، لا يصلي، عقيدته بالله مهزوزة، يركب مركبته وفي طريقه إلى بلده في الشمال، له منصب رفيع، يقول لإنسان صديق له: أنا كانت توبتي على يد خطبة إذاعية سمعتها في الإذاعة، أقلع عن الخمر واستقام.

فالإنسان لا يزهد، قد تجد إنساناً منغمساً بالمعاصي، أما إذا اصطلح مع الله بدل الله سيئاته حسنات، فالقصد أن الإنسان عليه أن يغير من التلقي إلى الإلقاء، من السماع للإعطاء، من التعلم للتعليم.

((من علّم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء))

[أخرجه ابن ماجة عن سهل بن معاذ ابن أنس عن أبيه]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٤-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين -٥

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلق حركة الإنسان في الحياة بتصوره :

أيها الأخوة، لا زلنا في طلب العلم، وتعلمه، وتعليمه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنْ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ))

[رواه ابن ماجه وإسناده حسن عن أبي ذر]

أيها الأخوة، الإنسان حركته في الحياة متعلقة بتصوره، وكلما كان التصور أرقى جاء العمل أعلى.
الدليل: أن الإنسان حينما يصاب بالعمى القلبي يرتكب جريمة، حينما ارتكب الجريمة اعتقد أنه سيجني منها خيراً كثيراً، بعد أيام ألقي القبض عليه، ثم أُعدم.

فالإنسان حركته في الحياة متعلقة بتصوره، الإنسان الذي يأكل المال الحرام لماذا يفعل هذا؟ لأنه يرى أنها طريقة سهلة وجهد قليل، لو كان تصوره صحيحاً أن هناك إلهاً سيحاسب ما فعل هذا.

مشكلات الإنسان تُعزى إلى قصور في فهمه أو في تصوره :

إذاً ممكن أن نُعزي كل مشكلات الإنسان إلى قصور في فهمه، أو في تصوره، فالإنسان إذا كان معلوماته عن الله محدودة، سلوكه منحرف، أو مقاومته هشة، أو لأدنى ضغط يخرج عن طاعة الله، أو لأدنى إغراء يخرج عن طاعة الله، أو لأدنى شبهة يخرج عن طاعة الله.
فالإنسان حينما تكون معلوماته محدودة، تصوره غير صحيح، إدراكه غير محدود، في الأعم الأغلب سوف يقترف المعاصي، ليس بالضرورة الآن، لكن تحت أي ضغط أو إغراء.
والدليل، تجد إنساناً من رواد المساجد فتنته امرأة، وأخرجته عن طاعته لله عز وجل، أو مبلغ من المال جعله يخرق استقامته، ويقع في شر عمله.
فالإنسان يغدو ويتعلم آية من كتاب الله، يصحح تصوره، يرفع مستوى معلوماته، يرفع مستوى علمه، يحسن معرفته بالله عز وجل، فمن لوازم ذلك طاعته لله عز وجل، و الإنسان حينما يعرف الله بالتعريف الشائع يعد للمليون قبل أن يعصيه، إن عرف الله سعى إلى طاعته، خاف ناره، خطب

وده، ابتغى رضوانه، فإذا لم يعرفه يزهد في طاعته، لا يخطب وده، ولا يرجو جنته، ولا يخشى ناره.

الإنسان طاعته لله بقدر معرفته له :

لذلك عندنا سلوك علمي، وسلوك تعبدي، الإنسان صلى الظهر، دخل إلى مسجد وجد هناك مجلس علم، يا ترى ينفرد بجانب المسجد ويصلي عشر ركعات نفل أم يحضر هذا المسجد؟ النبي عليه الصلاة والسلام يفضل أن تحضر هذا المجلس.

((يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنْ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ))

[رواه ابن ماجه وإسناده حسن عن أبي ذر]

أضرب لكم مثلاً: حاجب على باب أستاذ في الجامعة، وليكن عميد الكلية، هذا الحاجب في هذا المكان منذ ثلاثين عاماً، كلما دخل أستاذ وقف له، فإذا خرج وقف ثانية، يقف ويجلس، يقف ويجلس، مئات المرات، آلاف المرات، ثلاثون سنة عنده في الجامعة، أما معرفة هذا الحاجب بهذا الأستاذ لا تزيد ولا شعرة، إلا أنه أديب جداً معه، كلما دخل وقف، وكلما خرج وقف، وحياه أحلى تحية، وأثنى عليه.

ولكن هذا الطالب الذي يجلس في درس هذا العميد، كلما ألقى هذا العميد درساً كبر حجم معلوماته، ازداد تقديراً له، فهناك فرق كبير جداً بين هذا الحاجب وبين هذا الطالب، هذا الطالب كل درس تزداد معلوماته بهذا الأستاذ.

فالإنسان طاعته لله بقدر معرفته له، محبته لله بقدر معرفته له، شوقه إلى الله بقدر معرفته له، إقباله على الله بقدر معرفته له، انصياعه لأمر الله بقدر معرفته له، فإذا كان هناك نمطان الأول يزيدك معرفة بالله، والثاني لا يزيدك، من باب أولى من البديهي أن تسلك سلوك المعرفة، وهناك موقف عملي للنبي هو أنه دخل إلى المسجد فوجد حلقة علم، وحلقة ذكر، فانضم إلى حلقة العلم، لأنه:

((فَقِيه واحِد أشدُّ على الشَّيْطانِ من ألْف عَابِد))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

العابد كما قلت قبل قليل: هش المقاومة، أدنى ضغط يخرجه عن طاعة الله، أدنى إغراء يخرجه عن طاعة الله، أدنى شبهة تخرجه عن طاعة الله، أما العالم يعبد الله عز وجل في السراء والضراء، في إقبال الدنيا وإدبارها، في الصحة والمرض، في العلو والانخفاض، في كل أطوار الحياة يعبد الله.

الفرق بين العلم والعبادة :

العالم يزداد معرفة بالله عز وجل، ورد في بعض الأدعية أن:

"لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً"

هناك إشارة لطيفة:

((لَأَنْ تَغْدُوَ))

الغدو الذهاب إلى العمل قبل طلوع الشمس، فإذا لم يتمكن الإنسان أن يفتتح يومه بصلاة الصبح في المسجد مع درس علم، هذا نفذ هذا الحديث.

((لَأَنْ تَغْدُوَ))

لا أن تذهب، لأن تغدو، أي أنت خرجت من بيتك قبل الشمس لطلب العلم.

((وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنْ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ))

[رواه ابن ماجه وإسناده حسن عن أبي ذر]

قصص كثيرة جداً تروى عن الفرق بين العلم وبين العبادة، النبي الكريم شكا له رجل أن شريكه لا يؤدي واجبه، شريكه طالب علم، فقال له: "لعلك ترزق به"، تعاطف مع شريكه طالب العلم، لعلك ترزق به، فلما دخل المسجد ورأى إنساناً يصلي في غير أوقات الصلاة، سأله: من يطعمك؟ فقال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، العابد لم يعذره، أخوك أعبد منك، أما طالب العلم فعذره قال له: "لعلك ترزق به" هذا موقف، والنبي الكريم يقول:

((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم))

[أخرجه الترمذي عن أبي أمامة]

تصور مقام رسول الله، ومقام أدنى إنسان في الأرض، المسافة كبيرة جداً هي نفسها بين العالم والعابد.

الشيء الثالث:

((وَإن فَضْلَ العالمِ على العَابدِ كَفضل القمر ليلة البدرِ على سائر الكَوَاكِب))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

إذا كان القمر بدراً، حجم القمر، وتألق القمر، وإضاءة القمر، غير نجمه صغيرة.

إذاً يجب أن نطلب العلم:

" لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علماً، ولا بورك لي في طلوع شمس لم أزدد فيه من الله قرباً "

اليوم الذي ليس فيه علم جديد، وعمل صالح جديد، يوم خاسر، فإن لم يكن هناك قفزة في معرفتك بالله، وقفزة في عملك الصالح، وقربك من الله، فهذا اليوم خسارة محققة.

من انغمس في الدنيا و ملذاتها ابتعد عن الله عز وجل :

أيها الأخوة:

((الدُّنيا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ ما فيها، إلا ذكرُ الله، وما والاهُ، وعَالِمٌ، ومُتَعَلِّمٌ))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

اللعن: الإبعاد، لعنه أبعده، فلان ملعون أي مطرود، اللعن الإبعاد:

((الدُّنيا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ ما فيها))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

معنى ذلك أنك إذا انغمست في الدنيا ابتعدت عن الله عز وجل، مثلاً: نقطتان وأنت بينهما، كلما اقتربت من أحد النقطتين ابتعدت حكماً عن الثانية، كلما ابتعدت عن إحدى النقطتين اقتربت حكماً من الثانية.

أقول لكم هذه الحقيقة: في بلاد فيها بحبوحة، غنى فاحش، دخول كبيرة جداً، هذه الدنيا العريضة، هذا الرفاه البالغ، هذه الأمور المسيرة، المركبات رخيصة جداً، البيوت فخمة جداً، الدخول كبيرة جداً، هذه الدنيا لأن النبي قال:

((الدُّنيا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ ما فيها))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

تعد حجاباً بين الإنسان وربه، وغارق في النعيم، ومحجوب، وفي أماكن أخرى الدنيا خشنة، الأمور صعبة، كسب المال صعب، هذا الضيق يبدو حافزاً إلى الله.

الإمام ابن عطاء الله السكندري قال: "ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك" أحياناً المنع عين العطاء، يعطيك وقعت في الغفلة والبعد عن الله، وقسا قلبك، وهلك الإنسان، أحياناً يمنعه، محتاج إلى ألف موضوع، هذا المنع يكون حافزاً إلى الله ورسوله.

((الدُّنيا مَلْعُونَةٌ))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

كل شيء متألق في الدنيا يبعد الإنسان عن الله عز وجل :

في الدنيا متع وعلم، متع و طاعات، متع وذكر، كل شيء متألق في الدنيا يبعدك عن الله عز وجل.

((حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمّ))

[أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء]

الآية الكريمة:

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)

[سورة ق الآية: ٢٢]

هذا الغطاء من صنع يديك، غطاءك

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)

الإنسان أحياناً من انغماسه في الدنيا يصنع غطاء يحول بينه وبين الرؤية الصحيحة.

((الدُّنيا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُون ما فيها، إلا ذكرُ الله))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

من بعض الخبرات المتواضعة هناك بلاد فيها رفاه، فيها بناء، فيها أعمال، فيها مركبات، فيها محلات للبيع لا تصدق، ما تجلس مع إنسان إلا ويشكو الضيق النفسي.

((لأن الدُّنيا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُون ما فيها))

بهذه العين المناظر لا تصدق، ما جلست مع إنسان مقيم في بلاد غنية، فيها بحبوحة، فيها رفاه منقطع النظير، إلا وشكا الضيق النفسي، تجلس في بلد آخر الحياة خشنة، الأمور صعبة، البيوت غالية، الحاجات عزيزة، تجد الناس في راحة كبيرة، لأنهم يذكرون الله عز وجل، لا يعرف مجالس العلم إلا من حُرمها، قيمة البلد المسلم فيه أذان، فيه صلاة، فيه موت تراه كل يوم، وهناك أماكن تجلس فيها سنة لا ترى جنازة، لا ترى نعوة، ممنوع أن ترى مظاهر الموت، كل يوم عندنا خمسة إعلانات أو ستة في المئذنة، منظر الجنازة، النعوة، هذه تذكر بالدار الآخرة، وفي بلاد أخرى ممنوع كل هذا، لا يوجد نعوة، ولا إعلان، ولا جنازة، كأن الموت غير موجود هناك، لكن هناك مظاهر فخمة جداً، صارت الدنيا تحجب عن الله عز وجل.

من اقترب من الدنيا ابتعد عن الحق :

((الدُّنيا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُون ما فيها، إلا ذكرُ الله، وما والاهُ، وعَالِمٌ، ومُتَعَلِّمٌ))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

إنسان يعمر مسجداً، يجلب الحجارة، والرمل، والبحص، والإسمنت، والبلاط، وإذا كان الحائط مائلاً يصلحه، لكن في النهاية هذا العمل لذكر الله عز وجل، إنشاء ينشئ مستوصفاً، العمل مادي، لكن هذا المستوصف مآله لطاعة الله عز وجل، إنسان يعلم ابنه رياضيات، الرياضيات ليس لها علاقة بالدين، لكن الرياضيات لا بد منها لنيل شهادة، أراد أن يكون ابنه إنساناً متعلماً، فاعتنى به.

يمكن أن تفعل كل شيء بشرط أن يقربك إلى الله عز وجل، بالنهاية ليس في الكون إلا الله، أي شيء يقربك من الله هو الحق، وأي شيء يقربك من الدنيا، ومن الشهوات، ومن الأهواء، هو الباطل.

مرة قلت لكم: كنت بافتتاح مسجد في حرستا، كان إلى جانبي مدير أوقاف الريف، قلت له مداعباً:

اشكر الله أنك تفتح مساجد، البارحة هناك إنسان فتح ملهى، وقصوا الشريط.

هناك عمل يقربك، و هناك عمل يبعدك، هناك كلمة تقربك، وهناك كلمة تبعدك، هناك نظرة تقربك، وهناك نظرة تبعدك، هناك موقف يقربك، وهناك موقف يبعدك، فأنت بين شيئين، بين خطوة تتقرب بها إلى الله، وبين خطوة تبتعد بها عن الله، الدنيا هنا، والحق هنا، قلت كلاماً ابتعدت عن الحق اقتربت من الدنيا، أو بالعكس، كلما اقتربت من الدنيا ابتعدت عن الحق.

على الإنسان أن يكون في ذكر الله أو فيما يوالي الله :

((الدُّنيا مَلعُونَةٌ، مَلْعُون ما فيها، إلا ذكرُ الله، وما والاهُ))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

وما أدى إلى ذكر الله، هناك آلاف الأعمال مظهرها غير ديني، لكن مآلها إلى الله، إنسان عمل جمعية خيرية، نأتي بحاجات أساسية، نوزع مواد تموينية، نعمل قوائم، نعمل محاسبة، هذه المحاسبة، والقوائم، والهويات، والتسجيل، والإعلانات، أعمال مادية كلها لكن مآلها لخدمة الخلق، فأنت يجب أن تكون في ذكر الله، أو فيما يوالي الله.

((وعَالِمٌ، ومُتَعَلِّمٌ))

الناس رجلان، عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما، خمسة آلاف مليون إنسان رجلان ناجيان، عالم ومتعلم.

يا بني الناس ثلاثة، عالم رباني، معنى رباني أي حسن العلاقة مع الله، بطاعته، وإخلاصه، وحبه، وشوقه، وانضباطه، وورعه، هناك عالم غير رباني، يحصن بالذكاء، إنسان ذكي جداً، يقرأ، يطالع، دخل جامعة، أخذ دكتوراه، احتل منصباً دنيوياً رفيعاً، جعل الدين مطية للدنيا، هذا علم أيضاً.

أما: "يا بني الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، و همج رعاع أتباع كل ناعق".
مثلاً مصمم أزياء يهودي بفرنسا صمم ثياباً، يكشف كل عورات المرأة المسلمة، الهمج الرعاع اتبعوه، مسلمة هذه! أنت مسلم، وهذه ابنتك، يقول لك:هكذا الموضة.

"الناس ثلاثة؛ عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وأتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، فاحذر يا كميل أن تكون منهم".

لا لجأ إلى العلم، ولا كان عالماً، ولا أخذ رأي عالم، سيدي هذه ما حكمها؟ يقول له:لا تفعلها يا بني، لأن هناك آية كريمة صريحة، هذه حق أو باطل؟ لا باطل، هذه الآية، وهذا الحديث، فأنت إما أن تكون عالماً، أو تستعير علم العالم ، لن تستطيع أن تستعير علم المحامي إلا بالأتعاب، لن تستطيع أن تستعير علم الطبيب إلا بالأتعاب، بمبلغ تدفعه من المال، إلا أنه بإمكانك أن تستعير علم أكبر عالم ديني بسؤال فقط، وليس هناك أي أجر.

((الدُّنيا مَلعُونَةٌ، مَلعُون ما فيها، إلا ذكرُ الله، وما والاهُ، وعَالِمٌ، ومُتَعَلِّمٌ))

[رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة عن أبي هريرة]

والحديث معروف:

((كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك))

[أخرجه الطبراني عن أبي بكرة]

عالم، متعلم، مستمع، محب، ولا تكن الخامسة فتهلك.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٥-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين -٦

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يليق بالإنسان إلا أن يطلب العلم:

فصل في الرحلة في طلب العلم ؛ فعن صفوان بن عسال قال:

((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على بُرد له أحمر فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال عليه الصلاة والسلام: مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب))

[أحمد والطبراني عن صفوان بن عسال]

أولاً أيها الأخوة، الإنسان ميزه الله عز وجل على كل مخلوقاته بأن أودع فيه قوة إدراكية، فإذا لم يهتم بها أو عطلها من تلقاء نفسه وباختياره هبط بمستوى لا يليق به، لا يليق بالإنسان إلا أن يطلب العلم.

العلم جسر ينقل الإنسان من شاطئ الجهل والشقاء إلى شاطئ المعرفة والسعادة:

النقطة الثانية: أن الإنسان مجبول على خصائص واحدة:

(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)

(سورة النساء الآية: ١)

أي حرصك على وجودك، وعلى استمرار وجودك، وعلى كمال وجودك عند البشر سواء، بماذا يتفاوت البشر ؟ بالمعرفة، فالذي عرف ينطلق من خلال معرفته، لذلك والإنسان في النار يذوق ألوان العذاب ويقول:

(لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

(سورة الملك)

الفرق بين إنسان يُعذب بالنار، ويتنعم بالجنان، فرق العلم فقط، لذلك لا يوجد طريق إلى السلامة والسعادة إلا والعلم أول مرحلة فيه.

بالمناسبة: العلم وسيلة وليس غاية، العلم جسر ينقلك من شاطئ الجهل والشقاء إلى شاطئ المعرفة والسعادة.

لذلك الإنسان إذا تباهى بالعلم واتخذه حرفة ليستعلي به على الناس، ليجادل به العلماء، ليماري به السفهاء، كان وبالاً عليه، لأنه في الأساس وسيلة وليس غاية، الغاية أن تسمو إلى الله، الغاية أن تزكو النفس.

العلم وسيلة وليس غاية و العلم بالله علم نافع ومسعد في الدنيا والآخرة:

لذلك لا يوجد عمل بحياتك أشرف، ولا أخطر، ولا أجل، وليس هناك من عمل يليق بك أكثر من أن تطلب العلم، أي علم هذا ؟ النبي عليه الصلاة والسلام دعا فقال:

((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ويقول في آخر ذلك اللهم إني أعوذ بك من هؤلاء الأربع))

[أخرجه ابن ماجه وابن حبان عن أنس بن مالك]

دخل النبي عليه الصلاة والسلام إلى مسجد فرأى رجلاً تحلق الناس حوله سأل سؤال العارف قال: من هذا ؟ قالوا: هذا نسابة، قال: وما نسابة ؟ قال: يعرف أنساب العرب، قال عليه الصلاة والسلام: ذلك علم لا ينفع من تعلمه ولا يضر من جهل به.

العمر محدود، والمهمة خطيرة، يجب أن تختار من بين الكتب الكتاب المقرر، يجب أن تنفق الوقت القليل في العلم الغزير، والعلم كما أقول لكم سابقاً: هناك علم ممتع، وعلم ممتع نافع، وعلم ممتع نافع مسعد، الآن أي علم ممتع على الإطلاق، أما هناك علم غير عملي لا يدر عليك مالاً، مثلاً إنسان اختص بتاريخ الإغريق، لا يوجد أي وظيفة في البلد تحتاج إلى هذا الاختصاص، أما إذا الإنسان اختص بعضو من أعضاء الإنسان الحساسة القلب مثلاً، أو كان معه اختصاص نادر يمكن أن يأتيه باليوم عشرة آلاف، باليوم الواحد يكون دخله قريباً من المئة ألف، هذا صار علماً نافعاً، أما ليس مسعداً، لا يسعدك إلا إن عرفت الله.

فالعلم بالله علم، ونافع، ومسعد في الدنيا والآخرة، أي علم مهما كان خطيراً ينتهي عند الموت، ألم تقرأ بعض النعوات ؟ قد يكون عالماً كبيراً في أمور الدنيا، بالفيزياء، بالكيمياء، بالرياضيات، بالفلك، خبير وحيد متفوق، حينما يأتيه ملك الموت انتهى علمه، أما الذي عرف الله في دنياه يقطف كل الثمار بعد الموت، يقطفها جميعاً.

من طلب العلم تكفل الله له برزقه:

فلذلك أيها الأخوة، النبي الكريم يقول:

((مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها))

[أحمد والطبراني عن صفوان بن عسال]

أقول لكم هذه الكلمة:

((مَن شَغَلَهُ قراءةُ القرآن عن مسألتي أعطيتُهُ أفضلَ مَا أعْطِي السائلين))

[أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

من طلب العلم تكفل الله له برزقه، بمعنى أن الوقت الذي تنفقه في طلب العلم هذا وقت مبارك فيه، الله عز وجل يبارك لك ببقية وقتك.

كيف أنك إذا أنفقت زكاة مالك حفظ الله لك بقية مالك، وبارك لك في بقية مالك، إذاً هناك حفظ وبركة، لا يوجد تلف مال.

((ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

مصادرات، حرائق، تلف، دمار، إتلاف المال سببه حبس الزكاة.

هناك شيء آخر: الإنسان إذا أدى زكاة ماله حفظ الله ماله، وبارك له فيه، مال قليل يفعل شيئاً كثيراً، هذه البركة، شيء قليل ينتج عنه شيء كثير، يقاس إنفاق الوقت في طلب العلم على إنفاق المال، فمن أنفق بعض وقته الثمين في طلب العلم، حفظ الله له بقية وقته وبارك له فيه، تجد إنجازه غير معقول، ينجز في وقت قليل الشيء الكثير، لأنه طلب العلم، ومن طلب العلم تكفل الله له برزقه.

رتبة العلم أعلى الرتب:

لذلك رتبة العلم أعلى الرتب، دائماً العالم له أعلى مرتبة في أي مكان بالعالم، الآن الدول العظمى التي تنفرد في قيادة العالم اليوم، كيف يتخذ القرار في أعلى مستوياتها ؟ برأي الخبراء، لا يوجد إنسان بمنصب خطير إلا وحوله خبراء وعلماء، حوله مستشارون يقدمون له الحقيقة، فالعالم في الحقيقة هو الذي يحكم العالم، إذاً هذا في الدنيا أما إذا أردنا أن نصل إلى الله لا بدّ من العلم.

أحد علماء دمشق حدثني، له والد توفي قبل عامين أو ثلاثة ـ رحمه الله ـ يقول له يا بني حينما كان صغيراً: والله لو علمت أن كيس القمامة يوصلك إلى الله لجعلتك زبالاً ولكنني أعلم علم اليقين أن العلم وحده يوصلك إلى الله، العلم وحده، لا يوجد غيره، أي طريق آخر طريق غير شرعي، لأن النبي يقول:

((إنما العلم بالتعلم))

[أخرجه الطبراني عن معاوية]

فأنت حينما تتعلم تعرف من أنت، تعرف أنك المخلوق الأول، تعرف أنك المخلوق المكرم، تعلم أنك المخلوق المكلف، ما التكليف ؟ طاعة الله.

على الإنسان أن يطلب العلم بالله حتى يطيعه والعلم بمنهجه حتى ينفذ طاعته:

الآن من مظاهر الجهل في العالم الإسلامي أن هذا الدين العظيم الذي هو سبب رقينا جميعاً انكمش وصار صوماً، وصلاة، وحجاً، وزكاة فقط، وتؤدى هذه العبادات والمعاملات بشكل غير إسلامي، البيوت غير إسلامية، والتجارة غير إسلامية، والاحتفالات غير إسلامية، والتعازي غير إسلامية، كل حركة الإنسان غير إسلامية، أما يصلي، يصوم، ويحج، ويزكي، أما المنهج عبارة عن مئة ألف بند، مليون بند، كل حركة، وكل سكنة بحياتك لها حكم شرعي، فالإنسان عندما يطلب العلم يطلب العلم من الله أولاً، والعلم بمنهج الله ثانياً، يطلب العلم بالله حتى يطيعه، ومنهجه حتى ينفذ طاعته. فلذلك أيها الأخوة، الإنسان عندما يتوهم أنه أضاع من وقته وقتاً ثميناً لأنه حضر مجلس علم يكون في حضيض الجهل، لأنك عندما تحضر مجلس علم، تعرف من أنت ؟ ولماذا أنت هنا ؟ وماذا كنت من قبل أن تأتي إلى هنا ؟ وماذا بعد أن تنتهي الحياة ؟ كيف تتزوج ؟ كيف تتاجر ؟ في أي بيت تسكن ؟ كيف تربي أولادك ؟ هذا كله يحتاج إلى علم.

أنا أذكر السلف الصالح قبل خمسين سنة أو أكثر، لا يوجد تاجر في الشام إلا وله مجلس علم من العصر إلى المغرب، أو من المغرب إلى العشاء، مجلس علم يومي والعشاء يكون في بيته، لا يوجد إنسان يتحرك من دون علم.

العلم سلاح الإنسان و حارسه:

النقطة الدقيقة أنك لست إنساناً سكونياً، أنت كائن متحرك، ما معنى متحرك ؟ أي يوجد فيك شهوات، وهناك شهوات قوية جداً، هناك شهوة الطعام والشراب، وشهوة النساء، وشهوة العلو في الأرض، والشهوات موجودة في كل إنسان، هذه تجعلك كائناً متحركاً، فإن لم يكن هناك مقود فالهلاك حتمي، حركة الإنسان نحو أن يقضي شهوة البطن أو شهوة الفرج من دون منهج بالسجن، الآن أي شخص يرتكب جريمة من أجل المال يُحكم بالإعدام، يزني من أجل أن يقضي شهوته يُفضح وينتهي، فكل إنسان يتحرك بلا منهج يتحرك نحو هلاكه، فالعلم هو السلاح، والعلم هو الحارس.

قال: يا بني العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، المؤمن بالعلم يتوقى كل المعاصي، إذاً يسلم، يهديهم سبل السلام، الآن على مستوى قوانين دولة ؛ المواطن الذي يلتزم بالقوانين كلها مواطن حر، طليق، محترم، في أي مجتمع، والإنسان عندما يخالف القوانين التي وضعها إنسان يفقد حريته، يفقد مكانته أحياناً، فأنت مع إنسان إذا طبقت الأنظمة والقوانين تشعر بحرية وطلاقة.

المؤمن يقتطع من وقته الثمين وقتاً لمعرفة الله وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذاً قال تعالى:

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً)

(سورة الفرقان الآية: ٦٣)

ببطء، مع أن النبي الكريم كان يمشي بسرعة، كان إذا مشى كأنه ينحط من صبب، سيدنا عمر كانت تقول عنه السيدة عائشة: " رحم الله عمراً ما رأيت أزهد منه، كان إذا سار أسرع، وإذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وإذا قال أسمع ".

فبحسب السنة والسيرة الصحابة الكرام والنبي على رأسهم كانوا إذا ساروا أسرعوا، والآية عكس ذلك

(يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً)

معنى

(هَوْناً)

أي لا يسمحوا لمشكلات الحياة أن تستهلكهم، يقف، يتأمل، هناك شخص كأنه يعمل بلا تفكر، عمل، عمل، عمل، يأتي ملك الموت فجأة فيندم أشد الندم، وهناك إنسان يفكر إلى أين ؟ ماذا أفعل اليوم ؟ يعمل توازناً، يقتطع من وقته الثمين وقتاً لمعرفة الله، يقتطع من وقته الثمين وقتاً لتربية أولاده، يقتطع من وقته الثمين وقتاً لحضور مجالس العلم، يقتطع من وقته الثمين وقتاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقتطع من وقته الثمين وقتاً لتلاوة القرآن، يقتطع، أي يمشي هوناً، أحياناً الإنسان بساعة غفلة تستهلكه الحياة، يصبح كماً مهملاً، رقماً لا معنى له.

والله قال لي إنسان: يا أستاذ من ثلاثين سنة لا أعرف غير معملي وبيتي، والله يعمل عملاً أنا أخجل أن أقول لكم، كالدابة، ليعطي أهله الأموال الطائلة كي يلبسوا، و يتفلتوا، ويذهبوا إلى أي مكان يشاؤون وهو يعمل لا يفكر أنا أعمل لمن ؟ من أجل أن يرتكبوا المعاصي والآثام ؟ لا يعرف

شيئاً اسمه راحة، قال لي: يومياً عنده نظام، بمحله وقت، بمعمله وقت، ببيته وقت، لا يملك وقتاً إطلاقاً ليتحرك حركة لحضور مجلس علم، أبداً، حتى يؤمن لأهله هذا الدخل الكبير، هذا ما مشى هوناً الحياة استهلكته، أحياناً الإنسان يعجب بعمله، يتفوق فيه لدرجة أنه عبد عمله، جعل عمله إلهاً، ونسي صلواته، ودينه، وآخرته، وأعماله الصالحة، الإنسان يجب أن يكون دقيقاً لا ينزلق، لا يصبح كماً مهملاً، أو يصبح غلطة إنسان، الخلاص في العلم، لا العلم بذاته العلم كوسيلة، هنا النقطة دقيقة الخلاص في العلم كوسيلة لا كغاية، كغاية أصبح انحرافاً ثانياً.

وعامل بعلمه لم يعملن معذب من قبل عبد الوثن

***

مَن سَلَكَ طريقا يَطلُبُ فيه علماً سَلَكَ الله بِهِ طريقا من طُرُق الجنَّة:

إذاً: عن صفوان بن عسال قال:

((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر فقلت له يا رسول الله إني جئت أطلب العلم فقال عليه الصلاة والسلام مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب))

[أحمد والطبراني عن صفوان بن عسال]

وهناك حديث آخر يدعم هذا الحديث:

((مَن سَلَكَ طريقا يَطلُبُ فيه علماً سَلَكَ الله بِهِ طريقا من طُرُق الجنَّة))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

إذا الإنسان خرج من بيته، وارتدى ثيابه، وذهب إلى بيت من بيوت الله ليطلب العلم، هذا الطريق ينتهي به إلى الجنة، أوله من بيته، وأول محطة في المسجد، وآخر محطة في الجنة، بيته، المسجد، الجنة.

((مَن سَلَكَ طريقاً يَطلُبُ فيه علماً سَلَكَ الله بِهِ طريقا من طُرُق الجنَّة))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

لأنه سيتعلم، وأنت لا تستهين بالعلم، الإنسان يحب نفسه، يحب ذاته، وحريص على سلامته، فعندما يعرف أين سعادته يسلك هذا الطريق، أنت فقط تعلم، تتراكم المعلومات والحقائق، أنا أقول لكم: كميزان في الكفة الأولى يوجد الشهوات، و في الكفة الثانية المعلومات، كلما تراكمت المعلومات غلبت الشهوات، افرض الشهوة خمسة كيلو، والمعلومات خمسة غرامات، قرأ كتاباً، قرأ صفحة قرآن، فكلما علمه تراكم، تراكم، أصبح يرافق شهواته، لذلك الإنسان حينما يطلب العلم يقوى على نفسه، والصحابة الكرام كانوا قدوة لنا.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٦-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في نشر العلم والدلالة على الخير

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٧-٠٣-١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل الصالح أثمن شيء في الحياة الدنيا :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الدَّال على الخير كفاعله))

[أخرجه البزار وصحح ابن حبان، بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله عن ابن مسعود]

أيها الأخوة، الإنسان في علاقته مع الله أمام نشاطين، يستقيم على أمره ويعمل الأعمال الصالحة، باستقامته على أمر الله يسلم، وبالأعمال الصالحة يسعد، من ترك الكذب، والغش، والخيانة، والكبر، والاستعلاء، وأكل أموال الناس بالباطل، من استقام على أمره يسلم من كل عطب، لأنه طبق تعليمات الصانع، ومن عمل صالحاً يسعد، فإن كنت في ضيق اقرأ قوله تعالى :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

(سورة الكهف الآية : ١١٠)

اقرأ قوله تعالى، الإنسان حينما يأتيه ملك الموت يندم على أثمن شيء في الحياة الدنيا.

(رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

(سورة المؤمنون)

علة وجودنا بعد طاعة الله العمل الصالح :

مخلوق أنت في الدنيا من أجل أن تعمل صالحاً، فالمؤمن لا يشغله إلا شيئان، إلا أن تأتي حركته وفق منهج الله، مستقيم، وأن يتقرب إلى الله بإنفاق ما أعطاه الله.

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)

(سورة القصص الآية : ٧٧)

ابتغ، أنفق من علمك، وأنفق من مالك، وأنفق من خبرتك، وأنفق من جهدك، وأنفق من وقتك، فلذلك ربنا سبحانه وتعالى، لأننا مخلوقون للعمل الصالح، لأن علة وجودنا بعد طاعة الله العمل الصالح، حتى إن بعض العلماء فسر قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، العمل الصالح إن جاء مفرداً يشمل الاستقامة والعمل الصالح، أما حينما تأتي مفسرة :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)

(سورة فصلت الآية : ٣٠)

ثم يقول الله عز وجل :

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً)

(سورة فصلت الآية : ٣٣)

إن جاء العمل الصالح مفرداً أي أنك استقمت على أمر الله وعملت الصالحات، فلذلك لأن الإنسان مخلوق لعمل صالح يصلح للعرض على الله.

تصور إنساناً خلقه الله عز وجل، منحه نعمة الوجود، منحه نعمة الإمداد، منحه الهدى والرشاد، أعطاه مالاً، أعطاه صحة، أعطاه أولاداً، سخر له كل ما في الكون، فجاء يوم القيامة صفر اليدين، أنفق ماله كله من أجل أن يعلو في الأرض، أنفق ماله على المتع الحسية ولم يعمل صالحاً، قال عليه الصلاة والسلام :

((يا بشير لا صدقة ولا جهاد فبمَ تدخل الجنة))

[رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط عن بشير بن الخصاصية]

حجم كل إنسان عند ربه بحجم عمله الصالح :

هناك سؤال كبير : ماذا فعلت من أجلي يا عبدي ؟ أقول لكم : لو أنك استقمت على طاعة الله أنت بهذا ضمنت سلامتك، ضمنت راحة بالك، ضمنت راحة قلبك، ولكن ماذا فعلت من أجلي يا عبدي ؟ كنت صادقاً ارتقيت عند الناس، كنت أميناً وثق الناس بك، تركت الحرام سلمت من تدمير المال، تركت النظر إلى النساء سلمت من تشويش القلب، ولكن ماذا فعلت من أجلي ؟ استقامتك لك، استقامتك ضمنت سلامتك، ولكن ماذا فعلت من أجلي ؟ ماذا بذلت ؟ هل بذلك من مالك ؟ هل بذلت من علمك ؟ هل بذلت من وقتك ؟ هل بذلت من خبرتك ؟ هل مشيت مع إنسان لتحل له مشكلة ؟.

((مَن نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُربة من كُرَب يوم القيامة))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

ماذا فعلت من أجلي ؟ لأنك مخلوق في الدنيا من أجل أن تعمل صالحاً يصلح سبباً لدخول الجنة وليس ثمناً لها، وفرق كبير بين السبب والثمن، أنت بإمكانك أنت تشتري مفتاحاً بعشر ليرات تفتح به بيتاً، ثمنه خمسون مليوناً، فكل أعمالك الصالحة في الدنيا مثل مفتاح البيت سبب لدخول الجنة وليس ثمناً لها، الجنة فضل من الله، بفضل الله ورحمته، أما عملك الصالح كله واستقامتك كلها هي مفتاح.

فيا أيها الأخ الكريم، لأن الإنسان مخلوق في الدنيا للعمل الصالح، بل إن حجمه عند الله بحجم عمله الصالح، قال تعالى :

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية : ١٣٢)

كل معصية عقبة في الطريق إلى الله عز وجل :

دائماً اسأل نفسك ماذا قدمت لله عز وجل ؟ بأول الطريق يا رب أنا غضضت بصري، جيد، يا رب أنا ضبطت لساني، ضبطت جوارحي، ضبطت دخلي، الاستقامة كلها سلبية، والأصح من ذلك أن الطريق إلى الله فيه عقبات، وكل معصية عقبة.

الآن إنسان يركب سيارة، وجد على عرض الطريق مكعباً من الإسمنت ارتفاعه ثلاثة أمتار على عرض الطريق، الطريق مسدود، مغلق.

كل معصية عقبة في طريقك إلى الله، فلو أزلت كل العقبات، واستقمت على أمر الله كله ماذا زدت أنت؟ ما زدت عن أن زلت العقبات من الطريق، بقي أن تتحرك الحركة وهي العمل الصالح، فكل إنسان يستيقظ صباحاً، ويهتم بأمر دنياه فقط خاسر خسارة كبيرة.

((من أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله و لم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له))

[الترمذي عن أنس]

أي أنت في اليوم هل عدت مريضاً ؟ هل شيعت جنازة ؟ هل أنفقت من مالك ؟ هل أطعمت جائعاً ؟ هل واسيت بائساً ؟ هل حللت مشكلة ؟ هل وفقت بين زوجين ؟ هل وفقت بين أخوين ؟ هل علمت الناس آية ؟ هل علمتهم حديثاً ؟ ماذا فعلت ؟.

لذلك الإنسان إذا جمع المال الكثير في الوقت القليل ولم يكن له عمل صالح يرقى به فهو أكبر خاسر، من هذه المقدمة، يقول عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))

[مسلم عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ]

أو :

((الدَّال على الخير كفاعله))

[أخرجه البزار وصحح ابن حبان، بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله عن ابن مسعود]

فاعل الخير خير من الخير وفاعل الشر شرّ من الشر :

هذا ينقلنا إلى موضوع آخر، هذا الموضوع ذكره سيدنا علي بكلام بليغ قال : "فاعل الخير ـ دققوا ـ فاعل الخير خير من الخير، وفاعل الشر شر من الشر".

نبدأ من الشر، هذا الذي ألقى على اليابان قنبلة ذرية، في نهاية الحرب العالمية الثانية، وفي ثوانٍ معدودات أزهق أرواح ثلاثمئة ألف إنسان، ولا تزال آثار هذه القنبلة على الأرض والبيئة والحيوانات إلى وقت قريب...إلخ.

هذا الشر استمر مئة عام، استمر خمسين عاماً تقريباً، بعد خمسين عاماً من لم يمت مات الآن، لو أن هذه القنبلة لم تلقَ الآن الكل يموتون، الشر مهما كان كبيراً ينتهي مع الزمن، أما الذي أراد أن يزهق هذه الأرواح، سيخلد في النار إلى أبد الآبدين، الشر ينتهي وفاعل الشر لا ينفذ عذابه، فاعل الشر شرّ من الشر، الآن أكبر جريمة ارتكبت قتل إنسان مئة شخص، بعد مئة سنة لو لم يقتلهم لماتوا حتف أنفهم، أكبر شر ينتهي، الحرب العالمية الثانية ذهب ضحيتها خمسين مليون إنسان، بعد مئة سنة بالضبط لو لم تقم هؤلاء الناس الذين ماتوا بالحرب سيموتون حتف أنوفهم، إذاً أكبر شر بالأرض ينتهي، ما الذي يبقى؟ فاعل الشر، هذا يتعذب بشره الذي أراده إلى أبد الآبدين، بالمقابل فاعل الخير، أنت أسست ميتماً ضمّ ألف يتيم، بعد مئة سنة، بعد مئتي عام، هؤلاء الأيتام أصبحوا كباراً وعملوا وتزوجوا وانتهى يتمهم، لأن النبي الكريم يقول :

((لا يُتْمَ بَعْدَ احتِلام))

[أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب]

ماذا الذي بقي ؟ بقي هذا الذي أراد خدمتهم، ورعايتهم، هذا يسعد في عمله إلى أبد الآبدين.

حينما تقوم القيامة كل شيء ينتهي إن كان خيراً و إن كان شراً :

الأنبياء جاؤوا بالهدى، وأكفر كفار الأرض عند الموت يهتدي، لكن يهتدي بعد فوات الأوان.

(الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ)

(سورة يونس الآية : ٩٠)

الشر ينتهي والخير ينتهي، أو الأصح من ذلك حينما تقوم القيامة كل شيء ينتهي، الأعمال الجليلة التي جاء بها الأنبياء تنتهي، الحقيقة انكشفت، تصور نبياً كريماً يدعو قومه ألف عام، سيدنا نوح :

(أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً)

(سورة العنكبوت الآية : ١٤)

انتهى، حتى الهدى ينتهي، الهدى ينتهي عند الموت، لأنه لو لم تكن مهتدياً لعرفت الحقيقة.

(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)

(سورة ق الآية : ٢٢)

الهداية تنتهي، وإطعام الطعام ينتهي، ومعالجة المرضى تنتهي، ورعاية الأيتام تنتهي، أجل الأعمال الصالحة تنتهي يوم القيامة، والأعمال الشريرة تنتهي، ماذا يبقى ؟ يبقى فاعل الخير يسعد بخيره إلى أبد الآبدين، وفاعل الشر يشقى بشره إلى أبد الآبدين، فاعل الخير خير من الخير، وفاعل الشر شرّ من الشر.

التجارة الرابحة هي التجارة مع الله عز وجل :

الموضوع الأخير : إذا كان دللت إنساناً على صفقة يعطيك بالمئة واحد، هذه عمولته، الآن مندوب المبيعات بالمئة واحد، والدلال بالمئة اثنان، كل الوسطاء بالعرف التجاري من واحد لاثنين بالمئة، أحياناً يستكثروها يقول : غير معقول أعطيك مئتي ألف على دلالة بيت، إذا كان ثمن البيت ثلاثين مليوناً أخي تأخذ خمسة آلاف وتمشي لا يقبل بالمئة واحد، أما ربنا عز وجل أعطك بالمئة مئة، فأنت إذا عملت عملاً صالحاً هذا العمل لك مثل أجره فاعله، إذا دللت على خير، طبعاً إذا فعلت الخير موضوع ثان، إذا دللت على خير.

قال له إنسان : أين أصلي ؟ قلت له : صلِّ بهذا المكان، والإنسان استفاد من هذا المكان، واستقام، وسعد، كل إنسان بصحيفة من دله على خير، تشجيعاً للعمل الصالح.

لذلك النتيجة يجب أن نتاجر مع الله، الأرباح مذهلة، إذا إنسان أراد أن يعطي ثلاثين بالمئة فتأتيه أموال بشكل مخيف، إذا كانت النسبة سبعين بالمئة يبيعون بيوتهم ويعطونه، وإذا كان مئة بالمئة، وإذا كان ألف بالمئة، وإذا مليون بالمئة، وإذا مليار بالمئة، الله عز وجل كريم.

على الإنسان ألا يجعل الدنيا أكبر همه و لا مبلغ علمه :

لذلك :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

(سورة الصف)

تاجر مع الله عز وجل، أنا مرة كنت في تعزية، صاحب البيت الذي كنت أعزيه بأمه، مجدد بيته، لكن هذا التجديد كلفه مبالغ فلكية، كأنه شعر بمشكلة، فسألني : ما حكم الشرع في هذا ؟ قلت له : دعك من حكم الشرع، وخذ الأمر بعقلية تجارية، أنت معك كتلة نقدية، لو استهلكتها كلها في الدنيا لن تكون عاقلاً، لو استهلكت حاجتك والباقي وظفته عند الله، وكل قرش بمليار تكون أعقل بكثير،

لو استهلكتها كلها، على رفاهك، وبيتك، ومركبتك، وأكلك، وولائمك، وسفرياتك، ونزهاتك، كلها استهلكتها، ثم جئت الله عز وجل يوم القيامة صفر اليدين لا تملك عملاً صالحاً، أما لو استهلكت يعضها على أمور دنياك، والباقي وظفته عند الله بربح خيالي تكون أعقل الناس.

فالإنسان لا ينبغي أن يجعل الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، والدنيا لها سقف، إذا كنت تملك مبلغاً ضخماً، وأردت أن تأكل، هل تأكل بحجم مبلغك أم بحجم معدتك ؟ بقدر ما تملك من المال، وجبتك محدودة، بقدر ما تملك من المال نومك على سرير واحد بقدر ما تملك من المال ترتدي ثياباً واحدة، البذلة الغالية بثلاثة أكمام أم بكمين ؟ بكمين، فالفوارق تكون كلها فوارق شكلية، لا تقدم ولا تؤخر.

كل إنسان يحتسب عملاً لله عز وجل له أجر لا يعلمه إلا الله :

يقولون أن كل الحضارة عملت أطراً جميلة، والمضمون واحد، أي طعمة الفول والحمص من ألف سنة للآن واحدة، استمتع بها الفقير، الطعوم التي أودعها الله فيها، الغذاء والفائدة، طعمها واحد، تقريباً الأمور متشابهة جداً.

يقولون : إن والي دمشق كان مركز ولايته بالمنزل بالمرجة، دخل عليه موظف كبير عنده، وجده يقف على نافذة ومستغرق في التفكير، فلما انتبه لوجوده التفت ووجد على خده دمعة، قال له : خير إن شاء الله ؟ قال له : تعال وانظر، جاء إنسان من الريف ينتظر سجيناً كان المبنى الأرضي هناك سجن، يبدو أنه لم يسمح لهذا الإنسان أن يلقى السجين، و قد جاع من الانتظار، فجلس على الأرض لا يملك إلا بصل وخبز، ضرب رأس البصل بيده وكسره وأكل، قال : أتمنى أن أكون مثل هذا الفقير وآكل بهذه الشهية.

مثلاً شركة ضخمة، الحاجب المستخدم فيها أعطاه الله صحة مثل الحصان، وكبار الموظفين يوجد بجسمهم خمسون علة، فالله عنده مجموع ثابت، حظك من الصحة، مع الأولاد، مع الزوجة، مع المكانة يصبحون مئة، لكن الحظوظ موزعة توزيع تفاوت بين الناس والمجموع ثابت.

فلذلك يجب أن نتاجر مع الله، لأن الربح غير معقول إطلاقاً، أنا كنت أضرب مثلاً بشكل مبسط :

ملك قال لمعلم : علم ابني دروساً و إياك أن تأخذ منه شيئاً، فهذا المعلم ضيق الأفق، ألقى الدرس على الابن، وطلب منه الأجرة، والأجرة مئتا ليرة، خمسمئة، ألف، الأب كان مهيئاً له بيتاً وسيارة، مقابل عدد من الدروس، و لكن عندما أخذ مئتي ليرة على كل درس وانتهى لم يعد له شيء.

فالإنسان عندما يطلب من إنسان أجره يكون أحمقاً، يكون ضيق الأفق، وعندما يطلب أجره من الله يحتسب هذا العمل لوجه من الله.

أنا أذكر أن هناك أشخاصاً كثيرين إذا قلت له ما يلزم ؟ يقول : دعني وربي، فكل إنسان يحتسب عملاً لله عز وجل له أجر لا يعلمه إلا الله.

إذاً ملخص هذا الدرس تاجر مع الله، لا إذا فعلت الخير إذا دللت عليه لك مثل أجر فاعله، فكيف إذا فعلته هذا شيء ثان.

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مضامين الذكر هي التسبيح والتكبير والحمد والتمجيد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن لِله ملائكة يطوفون في الطُّرُق يَلْتَمِسُونَ أهل الذِّكْر فإذا وجدوا قوما يَذْكُرُنَ الله تَنَادَوْا هَلُمُّوا إلى حاجتكم فيَحَفُّونَهُمْ يحفونهم أي يحفظونهم بأجنحتهم إلى السماءِ الدنيا قال فيسألُهم ربُّهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي في هذه المجالس ؟ قال يقولون يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ))

[البخاري عن أبي هريرة]

يسبحونك أي ينزهونك عن كل ما لا يليق بك، ويمجدونك يتحدثون عن كمالاتك، ويكبرونك يقولون: الله أكبر، مضمون الله أكبر، أي أن الله أكبر من كل شيء، يؤثرون ربهم على كل شيء، يؤثرون طاعته على كل شيء، ويحمدونك على نعمك كلها ويمجدونك، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام يبين مضامين الذكر، التسبيح، والتكبير والحمد، والتمجيد.

((قال فيقول هل رأوْني ؟ قال فيقولون لا والله ما رَأوْك قال فيقول كيف لو رأوني))

نحن على الغيب.

((كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوْك كانوا أشَدَّ لك عبادة وأشدَّ لك تمجيدا وأكثرَ لك تسبيحا قال فيقول فما يسألون ؟ قال يقولون يسألونك الجنَّةَ قال فيقول: وهل رأوْها ؟ قال يقولون لا والله يا ربِّ ما رَأوْها قال: يقول: فكيف لو رأوها ؟ قال: يقولون: لو أنَّهُمْ رَأوها كانُوا أشدَّ عليها حِرْصا، وأشدَّ لها طلبا، وأعظمَ فيها رَغْبَة قال: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ))

[البخاري عن أبي هريرة]

انظر، ماذا يقولون ؟ ماذا يسألون ؟ ممَ يتعوذون ؟ مضامين مجالس العلم، يجب أن تسأل الله الجنة، وأن تتعوذ به من النار، وأن تسبحه، وأن تحمده، وأن تكبره، أن تقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، هذه كلمات يرددها المسلمون، ولكن مضامينها كبيرة جداً.

كل شيء ينتهي عند الموت من الدنيا وكل شيء يستمر تأثيره بعد الموت من الآخرة:

المشكلة أن الإنسان في أول عهده بالإسلام، هذه الكلمة لها معان كبيرة جداً، لكن مع تقدم الأزمان قد تفقد هذه الكلمات معانيها، تصبح كلمات يرددها المسلم ترديداً أجوفاً، أي ملخص الدعوة إلى الله كلها هي:

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)

(سورة الكهف الآية: ٤٦)

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة الكهف الآية: ٤٦)

الآية دقيقة جداً

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ)

أموال بلا بنون، وبنون بلا أموال شيء لا يحتمل

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ)

عندما قال ربنا

(وَالْبَاقِيَات)

معنى ذلك أن الأولى هي الفانيات

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَات)

معنى ذلك أن المال يفنى، وأن أمجاد الدنيا كلها إلى زوال، لكن هذه سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر هي الباقية.

لو أن الإنسان عمل مقياساً لنفسه، كل شيء ينتهي عند الموت من الدنيا، وكل شيء يستمر تأثيره بعد الموت من الآخرة، فذكر الله عز وجل، وطلب العلم، وتعليم العلم، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والدعاء، وتلاوة القرآن، والعمل الصالح، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، هذا كله يبقى، هذا الذي إذا فعلته لم تكن خاسراً، لأن الله عز وجل يقول:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

(سورة العصر)

الخاسر الحقيقي أن مضي الزمن يستهلك الإنسان، فأنت بضعة أيام، كن من تكن أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، لكنك إن عرفت الله، وعملت في سبيل التقرب منه عملت عملاً يبدأ بعد مضي الزمن، قال:

((فمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قال يتعوَّذون من النار قال فيقول: وهل رأوها ؟ قال يقولون لا والله ما رَأوها قال فيقول فكيف لو رأوها ؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِرَارا وأشد منها مَخَافة قال فيقول هنا موطن الشاهد أشْهِدُكم أنّي قد غفرتُ لهم قال يقول مَلَكٌ من الملائكة فيهم فلان ليس منهم، إنما جاءَ لحاجةٍ قال عز وجل: هم الجُلَسَاءُ لا يَشْقى جَلِيسُهم))

[البخاري عن أبي هريرة]

الإنسان حينما يتعرف إلى الله عز وجل يفوق الملائكة المقربين:

الحقيقة قد تتساءلون، الله يسأل، هو لا يعلم حتى يسأل ؟ هو يعلم، لكن ألم يقل الله عز وجل:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة البقرة)

فكانت هذه المجالس تأكيداً للملائكة أن الله يعلم ما لا يعلمون، الإنسان حينما يتعرف إلى الله عز وجل يفوق الملائكة المقربين، الإنسان مركب من عقل وشهوة، إن سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله كان دون الحيوان.

فلذلك ربنا عز وجل يؤكد للملائكة الذين رأوا الجن، يسفكون الدماء، ويفسدون في الأرض، قالوا

(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

أي أن تتعرف إلى الله، وأن تذكره، وان تسمو بنفسك عن سقوط المادة، هذا يرفعك أعلى من الملائكة.

من بنى عمله على استقامة على أمر الله فسيرقى به عمله هذا إلى الله عز وجل:

أيها الأخوة، وعن أم أنس رضي الله عنها قالت:

((يا رسول الله أوصني قال اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد))

[الطبراني عن أم أنس]

الإنسان قد يعمل أعمالاً صالحة كثيرة، لكن إذا كان متلبساً بمعصية، هذه المعصية تحجبه عن الله عز وجل، وكأنه ما استفاد من كل أعماله الصالحة، أما إذا بنى أعماله الصالحة على استقامة على أمر الله، أي عمل مهما بدا قليلاً يرقى بك إلى الله عز وجل.

((اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد وأكثري من ذكر الله فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره))

[الطبراني عن أم أنس]

الإكثار من ذكر الله عز وجل:

((إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني))

[الطبراني عن أبي هريرة]

كثرة ذكر الله عز وجل، وذكر الله واسع جداً، أنت مخير تقرأ القرآن، تسبح، تهلل، تكبر، تستغفر، تدعو، تطلب العلم، تقرأ حديث رسول الله، تقرأ السيرة، تُعلم، تتعلم، تذكر الله في نفسك، تذكره لغيرك، هذا حديث يدور مع الإنسان في كل شؤون حياته، أنت إذا دعوت الله وأنت في طريقك إلى العمل فأنت تذكره.

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

(سورة المعارج)

أي:

(أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

(سورة آل عمران الآية: ١٠٢)

قال بعض العلماء

(اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

أن تذكره فلا تنساه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تطيعه فلا تعصيه، هذه معنى

(حَقَّ تُقَاتِهِ)

ما كل إيمان ينجي صاحبه، ما كل ذكر ينجي صاحبه، لا بدّ من أن يكون الذكر كثيراً.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)

(سورة الأحزاب)

هناك مقولة لطيفة: لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير، بالخير لا يوجد إسراف، في الأساس لا خير في الإسراف، أي إسراف انحراف، لكن لا إسراف في الخير، إنسان أنفق، كلما زاد في إنفاقه يرقى عند الله، كلما أكثر من ذكره كان أرقى عند الله، كلما تشدد في طاعته لله كان أكرم عند الله.

إذاً:

((اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد وأكثري من ذكر الله فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره))

[رواه الطبراني عن أم أنس]

مجلس العلم يفضي بالإنسان إلى الجنة:

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال:

((قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر))

[أحمد عن عبد الله بن عمرو]

الإنسان أحياناً يوضع بين خيرات عديدة، سهرة مع أصدقائه، سهرة مع أهله، لقاء، نزهة، مجلس ذكر، جاء إلى المسجد، طبعاً الجلسة غير مريحة، لا يوجد ضيافة، لا يوجد شيء في المسجد إلا هذا الذكر، فإذا وضع الإنسان بين خيارات عديدة ليذكر هذا الحديث:

((قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟ قال غنيمة مجالس الذكر الجنة الجنة))

هذا المجلس وأي مجلس آخر يفضي بالإنسان إلى الجنة، والجنة فيها:

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إذا مَرَرتُم برياضِ الجنَّة فارتَعُوا قالوا وما رياضُ الجنة ؟ قال حَلَقُ الذِّكر))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

مجلس علم، لأن العلم ذكر لله عز وجل.

إكرام الله لمن يحضر مجلس الذكر لا يقدر بثمن:

النقطة الدقيقة أنه قلت: لا يوجد ضيافة في المسجد، لكن أنت دخلت إلى بيت من بيوت الله، وهل يعقل أن صاحب البيت لا يقدم لك شيئاً ؟.

((إن بيوتي في الأرض المساجد وإن زوارها هم عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيتي ثم زارني وحق على المزور أن يكرم الزائر))

[ورد في الأثر]

إكرام الله لمن يحضر مجلس الذكر أحياناً لا يقدر بثمن، هذه الطمأنينة التي يلقيها في قلب المؤمن لا تقدر بثمن، هذا الشعور بالرضا بما نالك من الله عز وجل لا يقدر بثمن، لأن الإنسان إذا سخط، وإذا ضجر، وإن لم يرضَ عن الله عز وجل وقع في شرّ عمله.

فشعور المؤمن الذي يحضر مجالس الذكر أن الله راضٍ عنه، وأن الله يحبه، وأن الله معه، ولن يتخلى عنه، وسيحفظه، هذا شعور لا يقدر بثمن.

((إذا مَرَرتُم برياضِ الجنَّة فارتَعُوا قالوا وما رياضُ الجنة قال حَلَقُ الذِّكر))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

وفي درس قادم إن شاء الله نتابع أحاديث الذكر، فالذكر هو نهاية العمل، نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل أن تذكر الله عز وجل.

((ألاَ أُنَبِّئُكُمْ بخير أعْمَالِكُمْ وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وخَيْرٍ منْ إعْطاءِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وأن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ ويَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ قالوا ماذا يا رسول الله؟ قال: ذِكْرُ الله))

[أخرجه الحاكم عن أبي الدرداء]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٨-١١٦) : كتاب العلم - الترهيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه ويقول ولا يفعل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٣-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

على كل إنسان أن يحاسب نفسه على كل صغيرة و كبيرة لأنه سيسأل عنها يوم القيامة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيمَ أفناه ؟ وعن عِلْمِهِ ما عمِلَ به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي]

الإنسان أيها الأخوة ، حينما يوقن أن جهة قوية ستسأله ، لا بد من أن يفكر في كل شيء يفعله ، إذا كان هناك سؤال ، والسائل قوي ، وأنت في قبضته ، ولا تستطيع أن تقول كلمة خلاف الواقع ، فلو أن كل إنسان درس هذه الأسئلة ، وتحرك في حياته اليومية محاولاً أن يجيب عن كل سؤال يُسأل عنه يوم القيامة :

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيمَ أفناه ؟))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي]

الإنسان أحياناً يعيش عمراً ، ستون ، خمسة وستون ، اثنان وسبعون ، ثلاثة وثمانون ، أربع وخمسون، ثمانية وأربعون ، كل واحد منا له عمر ، هذه السنوات ، هذه الأيام ، هذه الأشهر ، هذه الأسابيع كيف أمضاها ؟ السهرات أين أمضاها ؟ مع من ؟ موضوع الحديث هل فيه معصية ؟ هل فيه اختلاط ؟ هل فيه مشاهدة أعمال فنية ساقطة ؟ هل فيه غيبة ؟ نميمة ؟ افتراء ؟ ملء العين من الحرام ؟ النهار كيف أمضاه ؟ في دكانه ، في مكتبه ، في يمين كاذبة ، في بهتان ، في تصرف سيء ، الأيام والليالي تمضي ، كل حركة وكل سكنة سوف تُسأل عنها ، تُسأل عن العين هل غضت البصر ؟ تُسأل عن الأذن هل استمعت إلى محرم ؟ تُسأل عن اللسان هل نطق بغير الحق ؟ تُسأل عن اليد هل بطشت ؟ تُسأل عن هذه الرجل هل تحركت في معصية ؟.

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيم أفناه ؟))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي]

العمر يستهلك ، لا يوجد إنسان يتمتع بصحته إلى ما شاء الله ، يضعف جسمه ، ينحني ظهره ، يضعف بصره ، يغير أسنانه ، يشيب شعره ، تضعف قوته .

((عبدي كبرت سنك ، وشاب شعرك ، وضعف بصرك ، وانحنى ظهره ، فاستح مني فأنا أستحي منك))

[ورد في الأثر]

من أمضى حياته في القيل و القال و كثرة السؤال ندم أشد الندم :

العمر يصعد في خط صاعد ، ثم يستقيم الخط ثم ينحدر ، الإنسان حينما ينحدر خطه البياني ، وكان قد أمضى حياته في طاعة الله هذه سنة الله في خلقه ، أما حينما ينحدر خطه البياني وكان قد أمضى حياته في معصية الله ، أو في القيل والقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، أو في سفاسف أو ترهات لا ترضي صاحبها شيئاً ، عندئذٍ يندم أشد الندم ويتألم أشد الألم .

((عن عُمُره فيم أفناه ؟))

الإنسان أحياناً يمضي حياته في النزهات ، في المباحات ، لكن همه طعامه وشرابه ، همه المتعة ، همه أن ينغمس فيما أباح الله له ، هذا الاستمتاع في المباحات ليس له رصيد ، لآتيكم بمثل قريب : اجلس في حمام ساخن مريح ، ساعة ، ساعتين ، ثلاثة ، هل تصبح بعد هذا الاسترخاء في الماء الساخن طبيباً ؟ هل تصبح تاجراً ؟ هل تصبح عالماً ؟ الاستمتاع ليس له رصيد مستقبلي ، أما السعي والكد له رصيد مستقبلي .

لو أن طالباً أمضى حياته الدراسية ، في النوم ، والاستلقاء ، واللعب مع أصدقائه، ولعب النرد ، و مشاهدة الأفلام ، هل ينجح ؟ هو مستمتع الآن ، والمتعة في وقت العمل جريمة ، نحن في الدنيا ، في دار عمل ، نحن في دار سعي ، في دار كسب ، في دار إعداد ، نحن في دار الدنيا إعداد لدار عليا ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

((إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين))

[أخرجه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل]

الإنسان حينما يجعل النعيم هدفاً له ، يعيش ليأكل ، يعيش ليستمتع ، يعيش ليحتفل، يعيش ليفتخر ، يعيش لينغمس في الملذات ، أنا أقول المباحة الآن ، دعونا من المعاصي والآثام ، إنسان يعيش ليستمتع بما أعطاه الله ، هذا الاستمتاع ، وهذا الاسترخاء ، وهذا القعود ، وهذا الكسل ، هذا ليس له رصيد مستقبلي .

العلم وسيلة إن لم ينقل الإنسان إلى السمو فلا فائدة منه :

لذلك دائماً أقول : إن استقمت على أمر الله سلمت ، أما إن بذلت من مالك ، ومن وقتك ، وجهدك ، سعدت ، لا بد من أن تبذل من أجل أن تتصل بالله عز وجل .

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيم أفناه ؟ وعن عِلْمِهِ ما عمِل به؟))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي]

لا يوجد مسلم إلا ويعلم الحقائق ، من الآيات ، من الأحاديث ، من الأحكام الفقهية، من السيرة النبوية ، ألف ضعف عما يفعله ، العلم ليس سبباً بذاته ، العلم وسيلة ، إن لم ينقلك العلم إلى السمو فلا فائدة منه .

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن .

***

العلم من دون عمل شجر بلا ثمر ، كل علم وبال على صاحبه ما لم يعمل به ، العلم حجة لك أو حجة عليك ، العلم وسيلة .

العبرة ليست في التعلم بل في التطبيق و ليست في جمع الحقائق بل في تطبيقها :

((وعن عِلْمِهِ ما عمِل به ؟))

هذا الأعرابي الساذج الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام : عظني ولا تطل ؟ تلا عليه قول الله تعالى:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

قال : كُفيت ، اكتفى بآية واحدة ، القرآن فيه ستمئة صفحة ، فيه آلاف الآيات ، اكتفى بآية واحدة ، فقال عليه الصلاة والسلام : فقه الرجل ، أي صار فقيهاً .

نحن لا نحتاج إلى علم كثير ، نحتاج إلى تطبيق كثير ، عاهد نفسك ، هذه الحقيقة قطعية الثبوت ؟ قطعية الثبوت ، قطعية الدلالة ؟ قطعية الدلالة ، ماذا عملت فيها ؟

والله أيها الأخوة ، إذا كل مسلم ألزم نفسه أن يطبق واحد بالألف مما يعلم لكنا جميعاً في حال غير هذا الحال ، واحد بالألف مما يعلم فقط ، أن تعامل الله عز وجل ، تعامل خالق الكون ، هذه العين هل صنتها عن معصية ؟ اللسان ، العين ، الأذن ، القلب ، اليد ، الرجل .

((وعن عِلْمِهِ ما عمِل به ؟))

على كل إنسان أن يسأل نفسه أين هو من آيات كتاب الله عز وجل ؟

دائماً اسأل نفسك ، مرة أحد التابعين قرأ قوله تعالى :

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ)

(سورة الأنبياء الآية : ١٠)

بدأ يقرأ القرآن ، مرّ بآيات الصالحين قال : أنا لست منهم ، القصة أنه أين أنت من هذه الآيات ؟.

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)

(سورة المؤمنون)

أين أنت من هذه الآية ؟ .

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ)

(سورة النور الآية : ٣٠)

أين أنت من هذه الآية ؟ .

(إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً)

(سورة النساء)

أين أنت من هذه الآية ؟ اقرأ القرآن ، واسأل نفسك أين أنا من هذه الآية ؟ هل أنا مطبق لها ؟ هل أنا مقصر ؟ هل أنا سبّاق إليها ؟ لا يعنيك أن تتعلم ، يجب أن يعنيك ماذا فعلت فيم علمت ؟.

لو فرضنا كما كنت أقول دائماً : أنت بحاجة إلى الشمس من أجل شفاء من مرض جلدي ، وقلت :

الشمس ساطعة ، ولم تتعرض إلى أشعتها ، ما قيمة هذه المقولة ؟ هي ساطعة ، إن قلت : ليست ساطعة لا أحد يصدقك ، وإن قلت : ساطعة ما فعلت شيئاً ، أبداً تحصيل حاصل ، حقيقة صارخة بادية للعيان أنت ذكرتها ، أما حينما تذهب إليها وتعرض نفسك لأشعتها فتشفى ، الآن أنت إنسان منطقي .

فالعبرة ليست في التعلم في التطبيق ، ليست في جمع الحقائق ، في تطبيق الحقائق، هذه الأسئلة كلها الله عز وجل سربها إلينا من خلال النبي عليه الصلاة والسلام ، لو فرضنا إنسان جاءته الأسئلة انتهى ، يهيئ الأجوبة ، النبي عليه الصلاة والسلام أعطاك الأسئلة ، يوم القيامة هناك خمسة أسئلة .

كل شيء مسجل على الإنسان فليتخذ حذره :

((عن عُمُره فيمَ أفناه ؟))

الأيام ، والليالي ، والأسابيع ، والشهور ، والسنوات ، والعقود ، كيف مضت ؟ السهرات خلال خمس و خمسين سنة أين أمضيتها ؟ في النهار ، في الصيف ، في الشتاء ، في الربيع ، في الخريف ، هناك سهرات في الشتاء ، و سهرات في الصيف ، هذا البيت من دخل إليه ؟ ما الموضوعات

التي طرحت فيه ؟ هذه الجلسة في الليل مع الأهل عن أي شيء تكلمتم ؟ ماذا شاهدتم ؟ ماذا فعلتم ؟ كل شيء مسجل عليك ؟

والله الإنسان إذا عرف أن خطه مراقب يحسب ألف حساب ، يعد للألف قبل أن ينطق بكلمة واحدة .

وأنت مراقب من قبل الله عز وجل ، مراقب وسوف تُسأل ، وأي إنسان إذا جاءته ورقة : تعال إلينا يوم الخميس ، لا ينام ثلاثة أيام بالليل ، والله لم أفعل شيئاً ، ماذا في السؤال ؟ ثلاثة أيام لا ينام الليل ، أما إن سألك إنسان عادي ، وقال لك : تعال لعندنا لا شيء عليك ، فكيف إذا سألك خالق الكون الذي لا تخفى عليه خافية ؟

العاقل من هيأ جواباً لله عز وجل قبل فوات الأوان :

هذا كلام دقيق أيها الأخوة ، كلام فيه مسؤولية كبيرة :

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع :عن عُمُره فيم أفناه ؟))

أي إن أعطيت لماذا أعطيت ؟ هل أعطيت محاباة ؟ هل أعطيت ظلماً ؟ إذا منعت لماذا منعت ؟ إذا ابتسمت لماذا ابتسمت ؟ إذا عبثت لماذا عبثت ؟ إذا وصلت لماذا وصلت ؟ إذا قطعت لماذا قطعت ؟ إذا طلقت لماذا طلقت ؟ كل شيء سوف تُسأل عنه ، أنا أقول دائماً هذه الكلمة : هيئ لله جواباً ، دعك من العباد ، هيئ لرب العباد جواباً ، هذه المرأة الضعيفة التي عندك في البيت أنت أقوى منها ، كيف عاملتها ؟ هل كنت منصفاً لها ؟ هل أعطيتها حقها ؟ هذا الشريك هل كنت منصفاً معه ؟ هل أعطيته حقه ؟ هذا الذي جاء إلى دكانك ، أو إلى عيادتك ، أو إلى مكتبك ، وهو واثق منك هل نصحته أم غششته ؟ هناك آلاف المهن أو الحرف لا يستطيع الطرف الآخر أن يناقشها .

قال الطبيب للمريض : أنت بحاجة إلى تخطيط ، من الذي يعرف بالضبط إذا كان هذا التخطيط ضرورياً أم غير ضروري ؟ هناك تخطيط ، و إيكو ، و طبقي محوري ، ومرنان ، المرنان بثلاثة عشر ألفاً ، يا ترى ضروري ؟ أم هناك اتفاق مع صاحب المرنان ؟ لا يعلم بهذا إلا الله ؟.

محامي ! يا ترى الدعوى رابحة أم خاسرة ؟ خاسرة سلفاً وتقول : رابحة ، وتأخذ الأتعاب ، من يعلم هذا ؟ هذا هو الدين ، مكشوف عند الله عز وجل ، لا يخفى عليه شيء ، فأنت حينما تتعامل مع الله عز وجل فاحذر .

أحياناً تكبر الوهم على إنسان لتبتز من ماله ، بدعوى أنك شاطر ، وتحسن كسب المال ، لا ، هذه جريمة ابتزاز أموال الناس معصية كبيرة ، كل إنسان بحكم عمله يكون عنده مهنة راقية و عنده أسرار الإنسان يصدقه ، افعل يفعل ، لا تفعل لا يفعل ، هذا الذي جاءك مصدقاً لك .

((كبُرتْ خيَانة تحدِّثَ أخاكَ حديثاً هوَ لك بُه مُصدِّق ، وأنتَ له به كاذبُ))

[أخرجه أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي]

من فهم الدين فهماً خاطئاً تخلى الله عنه :

عندك جرأة أن تقول الحق ولو كان مراً ؟ وأن تقول الحق ولو كان على نفسك ؟ ولو كان على أهلك ووالديك وأقرب الناس إليك ؟ هذا الإيمان ، أنا أستغرب ، هذا الدين العظيم الذي فيه مئة ألف بند ، مسخ عند المسلمين إلى خمسة بنود ؛ صلى ، وصام ، وحج ، وزكى ، وانتهى الأمر ، وبيعه غير شرعي ، علاقاته غير شرعية ، احتفالاته غير شرعية ، أحزانه غير شرعية ، لماذا تأخر المسلمون ؟ لماذا يبدو تخلى الله عنهم ، لماذا مليون يتحدون مئة مليون ؟ يتغطرسون ، ويستعلون ، ويقتلون ، ويذبحون ، ويكسرون العظام ، لماذا ؟ لأننا فهمنا الدين فهماً خاطئاً ، فهمناه عبادات شعائرية ، فهمناه صلاةً ، وصياماً ، الدين صدق ، الدين أمانة ، الدين التزام ، الدين معاملة للخالق.

الناس لا يلتفتون إلى الدين إلا بالتطبيق :

إذاً :

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيم أفناه؟ وعن عِلْمِهِ ما عمِل به؟))

أي مقدار التطبيق مما تعلم ، والله قد يكون واحداً بالألف ، قد يكون واحداً بالعشرة آلاف ، قد يكون واحداً بالمئة ، قد يكون واحداً بالعشرة ، قد يكون واحداً من اثنين ، لا بدّ من أن تجعل كل شيء تعلمه مطبقاً حتى يرضى الله عنك .

((وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟))

سبحان الله ! معقول أن الدين كله ينتهي في النهاية إلى الكسب الحلال .

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

كيف يكون الطعام طيباً ؟ إذا كان الكسب حلالاً ، إذا الكسب حلال صار الطعام طيباً .

قال لي شخص ـ توفي رحمه الله ـ هو والد صديقي ، زرت صديقي في البيت في العيد ، فإذا بوالده قد خرج إلينا ، قال لي : عمري ست و تسعون سنة ، أجريت تحليلاً كله طبيعي ، قال لي : والله ما أكلت درهماً حراماً في حياتي ، من عاش تقياً عاش قوياً .

الإنسان حينما يصدق ، الناس لا يلتفتون إلى الدين إلا بالتطبيق ، إنسان صادق ، قال له : عندك بيض؟ قال له : نعم عندي ، فسأله هل البيض طازج ؟ قال له : لا ليس طازجاً ، الآن جاري أحضر بيضاً طازجاً ، هذا الإنسان بقال في زملكا ، عليه إقبال ، لأنه لا يكذب ، كان من الممكن أن يقول له : هذا البيض طازج ، و يعطيه ما يريد ، قال : لا ، أنا البيض عندي من ثلاثة أيام التي .

((وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟))

سألت مرة طبيب أسنان هل يوجد عندك مريض لا يوجد عنده أي مشكلة بأسنانه؟ قال لي : والدي ـ هو من أخواننا ـ قال لي : عمر والدي خمسة و ثمانون عاماً لا يوجد عنده أي مشكلة بأسنانه ، سألت وتحققت ، فإذا بوالده نموذج نادر جداً ، لم يشرب أي كأس من الشاي أثناء المراقبة بحياته ، لم يغلِ الشاي على سخانة المديرية ، ورع إلى درجة تفوق حدّ الخيال ، فمتعه الله بصحة أيضاً تفوق حدّ الخيال ، طبعاً أنا لا أقول إن كان للإنسان أسنان محشوة معنى هذا أن له مشكلة ، لا ، هناك ظواهر عجيبة ، كل إنسان الله عز وجل يعطيه شيئاً يتناسب مع وضعه .

((وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيمَ أبلاه ؟))

من استهلك عمره في الطاعات فلا شيء عليه :

الإنسان بعد عمر مديد يحنى ظهره ، يشيب شعره ، يضطر إلى نظارة ، يضطر إلى قطع تبديل ، يضطر لأن يضع شرياناً من مكان ينقله إلى مكان آخر ، هذا الجسم استهلك، فيمَ استهلك ؟ إذا استهلك في الطاعات والله لا يوجد مانع ، هذه سنة الله في خلقه ، لا يوجد إنسان ينجو من هذا ، الأنبياء ، الأنبياء ماتوا ، الأنبياء مرضوا .

(وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً)

(سورة مريم الآية : ٤)

نبي ، لا يوجد مشكلة إذا الإنسان كبر في السن ، وانحنى ظهره ، و ضعف بصره ، و وهنت قوته ، شيء طبيعي جداً ، لكن العبرة كيف أمضيت هذا العمر ؟ في الطاعات ، في الصلوات ، في خدمة الخلق ، في الصدق والأمانة ، في الإخلاص في عملك ، شيء جميل جداً .

أخواننا ، هذا الحديث من أخطر الأحاديث ، خمسة أسئلة تنتظرنا جميعاً يوم القيامة ، هذه الأسئلة سُربت إلينا ، النبي سربها لنا ، جاهزة ، هيئ أجوبة .

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيم أفناه ؟ وعن عِلْمِهِ ما عمِل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟))

[رواه الترمذي وصححه عن أبي برزة الأسلمي]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٩-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين -٧

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٤-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في طلب العلم وبيان فضله:

أيها الأخوة الكرام، في كتاب العلم، وفي الترغيب في طلب العلم وبيان فضله من كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري، عن معاوية بن أبي سفيان، قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خيراً يُفقّهُه في الدِّين))

[متفق عليه عن معاوية بن أبي سفيان]

فقِه، بالكسر، بمعنى فهم، وفقُه أي صار عالماً فقيهاً .

ورد في الحديث الشريف أن أعرابياً جاء النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يا رسول الله عظني ولا تطل ؟ فتلا عليه النبي الكريم قوله تعالى:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

فقال هذا الأعرابي: كُفيت، اكتفى بهذه الآية، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن قال: فقُه الرجل، أي صار فقيهاً، آية واحدة اكتفى بها، ورآها منهجاً في حياته.

فقِه بمعنى علم، أو فهم، وفقُه بمعنى صار فقيهاً عالماً، فالإنسان كل آية من آيات الله عز وجل تكفيه منهجاً كاملاً طوال حياته، فكيف بكتاب كريم فيه منهج تفصيلي ؟.

قيمة الإنسان في علمه و عمله:

أيها الأخوة، الجماد شيء يشغل حيزاً، وله أبعاد ثلاثة، وله وزن، لكن النبات شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة، وله وزن، وينمو، والحيوان شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة، وينمو، ويتحرك، أما الإنسان شيء يشغل حيزاً وله أبعاد ثلاثة، وينمو، ويتحرك، ويفكر، فإذا ألغينا فكر الإنسان وعقله، ألغينا وجوده الإنساني .

لذلك رتبة العلم أعلى الرتب، هناك قيم تواضع على أنها قيم مرجحة بين بني البشر القرآن الكريم أغفلها كلها إلا قيمة العمل وقيمة العمل، قال تعالى:

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية: ١٣٢)

هذه قيمة العمل .

وقال:

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر الآية: ٩)

هذه قيمة العلم، ما سوى ذلك قيم تواضع الناس على أنها قيم مرجحة لكن القرآن الكريم ما أغفلها، فالإنسان قيمته فيما يعمل، وفيما يعلم، علمه وعمله .

ورد أن رجلاً من التابعين كان قصير القامة، أحنف الرجل، مائل الذقن، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، كان إذا غضب غضبَ لغضبته مئة ألف سيف، لا يسألونه فيمَ غضب ؟ وكان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه، هذا الرجل هو الأحنف بن قيس، إذا غضب غضبَ لغضبته مئة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب ؟

من عظم أرباب الأموال و الأقوياء فقد ضاع و ضلّ سواء السبيل:

معنى ذلك أن الإنسان في التقييم الصحيح يُقيّم من خلال علمه، ومن خلال عمله، وأية أمة تحل قيماً أخرى، وموازين أخرى غير هذا الميزان ضلت سواء السبيل .

((من تضعضع لغني ذهب ثلثا دينه))

[البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود] .

إذا عظّم الناس أرباب الأموال، وعظّم الناس الأقوياء، ولم يوقروا أهل العلم هؤلاء قد ضاعوا وضلوا سواء السبيل .

((ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه))

[أحمد والطبراني والحاكم عبادة بن الصامت]

فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خيراً يُفقّهُهُ في الدِّين))

[متفق عليه عن معاوية بن أبي سفيان]

أي الإنسان حينما يتعلم يؤكد إنسانيته، يظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل، كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك، طالب العلم آثر الآخرة

على الدنيا فربحهما معاً، والجاهل آثر الدنيا على الآخرة فخسرهما معاً، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً .

التعرف إلى الله عز وجل علم من أرقى العلوم:

الحقيقة كل علم ممتع، هناك علوم بفروع دقيقة جداً، لكن هناك علماً ممتعاً نافعاً، لو إنسان اختص اختصاصاً نادراً لجاءه دخل كبير جداً، لأنه متعلم إلا أن علمه نادر، ينفع الأمة فانتفع هو بهذا العلم، فكل علم ممتع، لكن هناك علماً ممتعاً نافعاً، أما هناك علم ممتع نافع مسعد، العلم بالله هو العلم، الممتع، النافع، المسعد في الدنيا والآخرة، لو إنسان معه اختصاص نادر جداً، وجاءه ملك الموت انتهى اختصاصه، وانتهى دخله، أما إذا تعرف إلى الله عز وجل هذا علم من أرقى العلوم، وفضل الذي يعرف الله عز وجل عمن يعرف خلقه كلكم يعلم أن هناك علماً بالله، وأن هناك علماً بخلق الله، وأن هناك علماً بأمر الله، العلم بخلق الله هذه العلوم الكونية، الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والتاريخ، والجغرافيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الذرة، وعلم الفلك، هذا علم بخلق الله، وأن تعرف الحلال، والحرام، والخير، والشر، وأحكام الطلاق، وأحكام البيوع، وأحكام التجويد، ...إلخ هذا علم بأمر الله، العلم بخلق الله وأمر الله يقتضي المدارسة، ما لم تجلس على ركبتيك، وتقرأ الكتاب، تمحص، تراجع، تسأل، تذاكر، تكتب، تلخص، تقرأ ملياً، لن تتعلم، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقال:

((إنما العلم بالتعلم))

[أخرجه الطبراني عن معاوية]

العلم بالله يقتضي المجاهدة والعلم بخلقه وبأمره يقتضي المدارسة:

إلا أن العلم بالله شيء آخر، يقول بعض العلماء: جاهد تشاهد، العلم بالله يقتضي المجاهدة، أما العلم بخلقه وبأمره يقتضي المدارسة، بخلقه وبأمره يجب أن تقرأ، يجب أن تذاكر، أن تراجع، أن تلخص، أن تؤدي امتحاناً، هذا علم بخلق الله وبأمر الله، إلا أن العلم بالله يقتضي أن تجاهد نفسك وهواك، العلم بخلق الله وأمر الله يحتاج كما قلت إلى مدارسة، ولكن هذه المعلومات تبقى بالدماغ، ولا علاقة لها بالنفس، قد تجد إنساناً متخصصاً بأعلى اختصاص ولا يصلي، أو يرتكب بعض الفواحش، أو يشرب الخمر، وأنت إذا أتيت طبيباً رفيع المستوى في اختصاصه، لا تطالبه أن يكون مستقيماً، لك منه علمه، أما إذا أردت أن تصل إلى الله مع عالم لا تقبل منه إلا أن يكون مطبقاً لعلمه، فقط عالم الدين لا تقبله أنت إلا إذا كان مطبقاً لما يقول:

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

***

أما العالم بالله هذا العلم لا يبقى في ذهنه يسري إلى نفسه، فلابدّ من أن ينعكس على نفسه تواضعاً، وأدباً، ورحمة، العلم بالله يسمو بالإنسان، وثمنه باهظ إلا أن نتائجه باهرة .

العلم والحكمة يعطيهما الله عز وجل لمن يحب فقط:

كلكم يعلم أن الله أعطى المال لمن لا يحب، وأعطاه لمن يحب، أعطاه لقارون وهو لا يحبه، أعطاه لبعض الصحابة الكرام وهو يحبهم، سيدنا ابن عوف، وسيدنا عثمان، وابن عوف كما تعلمون سمع السيدة عائشة تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً، فقال رضي الله عنه: والله لأدخلنها خبباً، وما عليّ إذا كنت أنفق مئة في الصباح فيؤتيه الله ألفاً في المساء .

فلذلك أعطى المال لمن يحب، وأعطاه لمن لا يحب، أعطى القوة والسلطان لمن يحب ولمن لا يحب، أعطاها لسيدنا سليمان وهو نبي كريم .

(وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)

(سورة ص الآية: ٣٥) .

وأعطى الملك لمن يحب، إلا أن العلم والحكمة يعطيهما لمن يحب فقط .

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

`(سورة القصص)

الإنسان لينظر هل حظوظه في الدنيا من جنس حظوظ الذين لا يحبهم الله عز وجل أم من جنس الذين يحبهم ؟ فإذا سمح الله لك أن تعرفه، وسمح الله لك أن تدعو إليه، فهذا شرف عظيم، ورتبة العلم أعلى الرتب .

طلب العلم فريضة على كل مسلم:

والحقيقة أن الأقوياء في العالم كيف يحكمون ؟ يحكمون برأي العلماء والخبراء، وفي النهاية تبقى مرتبة العلم أعلى مرتبة في الأرض .

لذلك طلب العلم فريضة على كل مسلم، أي على كل شخص مسلم .

((مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خيراً يُفقّهْهُ في الدِّين))

[متفق عليه عن معاوية بن أبي سفيان]

كلمة يفقهه في الدين في الأصل لها معنى عميق جداً، ثم اصطلح على أن هذه الكلمة تعني معرفة أحكام الدين الفرعية، هناك للدين أصول وله فروعه، نحن الآن نتفق أو نحن الآن نفهم أن فلاناً فقيه، أي يعرف تفاصيل الأحكام المستنبطة من كليات الدين، إلا أن كلمة فقه الرجل، وفلان فقيه، ويفقه في الدين، تعني عند رسول الله المعنى اللغوي الأصلي هو الفهم، أو التعمق في الفهم، فالإنسان إذا فهم حقيقة الدين سعد في الدنيا والآخرة، والشيء الثابت أن هناك عابد، وهنالك عالم .

((ولفقيه واحدٌ أشد على الشيطان من ألف عابد))

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

والنبي عليه الصلاة والسلام ـ وفيما تعرفون ـ عندما رأى رجلاً يصلي في المسجد في غير أوقات الصلاة سأله من يطعمك ؟ قال: أخي، فقال: أخوك أعبد منك، وحينما أمسك يد صاحبي جليل وقد كانت خشنة رفعها وقال: هذه اليد يحبها الله ورسوله، فالنبي الكريم يؤكد قيم العمل .

لكن حينما شكا رجل شريكه الذي لا يعمل كثيراً معه، وكان طالب علم قال عليه الصلاة والسلام: "لعلك ترزق به"، اختلف الوضع، لأن العابد لنفسه لكن طالب العلم لغيره، فالذي يتعلم ليعلم و لينقذ الناس .

الدعوة إلى الله فرض عين ولكن في حدود ما تعلم ومع من تعرف:

الحقيقة الدقيقة: أن الإنسان حينما تستقر حقيقة الإيمان في قلبه لا يمكن إلا أن تعبر عن ذاتها بحركة نحو خدمة الخلق، وتعريفهم بالله، لا يوجد إنسان يستقر في قلبه الإيمان ويبقى ساكتاً، بل إن الناس يغفلون عن أن الدعوة إلى الله فرض عين، ولكن في حدود ما تعلم، ومع من تعرف، هناك دعوة إلى الله فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، مأخوذ هذا من قوله تعالى:

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)

(سورة آل عمران الآية: ١٠٤)

وهناك دعوة إلى الله دعوة عين:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا)

(سورة العصر)

التواصي بالحق أحد أركان النجاة، بل إن إتباعك للنبي يعني أن تدعو إلى الله والدليل:

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

(سورة يوسف)

(أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

لابد من أن تدعو إلى الله ولكن دعوة بشكل مبسط .

((بلِّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

في حدود ما تعلم، حضرت خطبة جمعة سمعت تفسير آية، أعجبك هذا التفسير نقلت هذا للناس، سمعت تفسير حديث نقلته للناس، سمعت حكماً فقهياً نقلته للناس، سمعت موقفاً لصحابي جليل نقلته للناس، هذه الدعوة التي هي فرض عين، في حدود ما تعلم وفي حدود من تعلم، تعلم حقيقة، وحولك أناس يلوذون بك هم كما وصفهم النبي خاصة نفسك .

وهذا الحديث متفق عليه، وكما تعلمون أن الحديث المتفق عليه هو أعلى أنواع الأحاديث على الإطلاق، لأن كتاب البخاري ومسلم هما أصح كتابين بعد كتاب الله، فإذا اجتمعا على حديث واحد فهذا من أرقى الأحاديث .

السلامة والسعادة مطلبان أساسيان لكل إنسان:

لذلك أنتم حينما تطلبون العلم، وتفهمون حقيقة الدين، هذا خير كبير، بل إن الإنسان يتحرك وفق تصور، الذي يقدم على سرقة لماذا سرق ؟ لأنه رأى رؤيا شيطانية أن السرقة فيها دخل كبير وجهد كبير، فإذ وقع في العدالة وسيق إلى السجن يدرك خطأه الكبير، لكن العلم حارس لك .

سيدنا علي يقول: "العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال " الإنسان إذا كان طلب العلم أي يطبق تعليمات الصانع، و يعيش حياة هادئة وادعة سليمة، يهديهم:

(سُبُلَ السَّلَام)

(سورة المائدة الآية: ١٦)

الإنسان إذا طلب العلم، وطبقه، اهتدى إلى طريق سلامته في الدنيا والآخرة، وإلى طريق سعادته، وكلكم يعلم أن السلامة والسعادة مطلبان أساسيان لكل إنسان، السلامة في تطبيق منهج الله، والسعادة في القرب من الله، وليس هناك طريق آخر، لا تسلم إلا إذا طبقت أحكام الشريعة، ولا تسعد إلا إذا اقتربت من الله عز وجل بشكل أو بآخر .

طلب العلم أحد أسرع الطرق إلى الله عز وجل:

الله عز وجل أرادنا أن نقبل عليه، لذلك جعل لنا طرقاً إليه، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، أي العمل الصالح طريق، وتلاوة القرآن طريق، وإنفاق المال طريق، وطلب العلم طريق، فكل شيء يقربك من الله عز وجل مغطى بكلمة الوسيلة:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)

(سورة المائدة الآية: ٣٥)

وطلب العلم أحد أسرع الطرق إلى الله .

((فضلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْناكم كفضلة القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))

[أخرجه الدرامي عن الحسن البصري]

لابد من أن تكون على صلة بشكل أو بآخر بالعلم، كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، وهذا الذي يأتي إلى بيت من بيوت الله ليطلب العلم .

((وَإِنَّ الملائكة لَتَضع أجنحَتَّها لطالبِ العلم رضا بما يصنع))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

((وَمَنْ سَلَكَ طريقاً يَبْتَغِي بِهِ الْعِلْمَ))

[أخرجه الدرامي عن عبد الله بن عباس]

أحياناً الإنسان يرتدي ثيابه ويخرج من بيته ليتاجر، ليعقد صفقه، ليحضر حفلة، ليلبي دعوة، أما حينما ترتدي ثيابك وتخرج من بيتك لتعرف الله، لتعرف كتابه، لتعرف سنة نبيه، لتعرف أحكام دينه، أنت بهذا الخروج من البيت تسلك طريقاً ينتهي بك إلى الجنة، فهذا الحديث من أمهات الأحاديث:

((مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خيراً يُفقّهْهُ في الدِّين))

[متفق عليه عن معاوية بن أبي سفيان]

من طلب العلم كي يتفقه في الدين فقد حقق وجوده الإنساني:

أنت حينما تطلب العلم كي تتفقه في الدين تحقق وجودك الإنساني، هناك وجود حيواني، الإنسان يأكل ويشرب، هذا وجود حيواني، ينام وجود حيواني، يعمل وجود حيواني، يستريح حيواني، أما حينما يطلب العلم حقق وجوده الإنساني، ورتبة العلم أعلى الرتب، وما من شيء تسمو إليه كأن تطلب العلم الصحيح، لكن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع))

[أخرجه ابن ماجه وابن حبان عن أنس بن مالك]

وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم مرة إلى مسجد فرأى أناساً تحلقوا حول رجل، قال: من هذا ؟ قالوا: نسابة، والنبي عليه الصلاة والسلام حكيم في تصرفاته، قال: وما نسابة ؟ هو يعرف من هو، ولكن هذا السؤال كما يقول بعض العلماء: سؤال العارف، قالوا: هو رجل يعرف أنساب العرب، فقال عليه الصلاة والسلام: "ذلك علم لا ينفع من تعلمه، ولا يضر من جهل به ".

وما أكثر العلوم التي نتعلمها ولا تنفعنا، فالنبي استعاذ من علم لا ينفع، أنت لك عمر محدود، والآخرة مديدة، يجب أن تقرأ الكتاب الذي ينفعك في آخرتك، تصور إنساناً عنده مكتبة أربعة

جدران، من الأرض إلى السقف كلها كتب، وعنده بعد يومين امتحان أي كتاب ينبغي أن يقرأه ؟ الكتاب المقرر، الذي سيؤدي به الامتحان، والذي سيكون مصير نجاحه في هذا الامتحان، يجب أن تعلم أنت أي كتاب ينبغي أن تقرأه في الدنيا، إنه كلام الله وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه .

من طلب العلم و عمل به نفعه هذا في قبره:

لذلك طلب العلم شيء أساسي جداً، وأنا أتألم أشد الألم حينما يقول أحدهم: والله لا يوجد عندي وقت، نقول لك: لماذا لا يوجد عندك وقت ؟ أي شيء أعظم في الحياة الدنيا من أن تعرف الله، لا يوجد عندي وقت، عندك وقت كي تخوض مع الخائضين ؟ عندك وقت تبدده في توافه الأعمال ؟ عندك وقت تبدده بشيء ينقضي عند الموت ؟ .

كنت أقول لكم: الموت ينهي كل شيء، ينهي غنى الغني، وفقر الفقير، وقوة القوي، وضعف الضعيف، وصحة الصحيح، ومرض المريض، ينهي كل شيء، إلا أنك إذا طلبت العلم وعملت به نفعك هذا في قبرك، فالقبر صندوق العمل .

((مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خيراً يُفقّهْهُ في الدِّين))

[متفق عليه عن معاوية بن أبي سفيان]

إذا إنسان طلب العلم، وتفقه في الدين، معنى ذلك عرض نفسه للخير، كأنه قال: يا رب أنا أريد الخير منك، أنا أريد فضلك، والعلم ثمين جداً، وأثمن منه أن تطبقه .

((اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ بَعْدَ أَنْ تَعْلَمُوا فَلَنْ يَأْجُرَكُمْ اللَّهُ بِالْعِلْمِ حَتَّى تَعْمَلُوا))

[أخرجه الدرامي عن معاذ بن جبل]

وكل علم وبال على صاحبه ما لم يعمل به .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢٠-١١٦) : كتاب العلم - الترغيب في الرحلة في طلب العلم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٤-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعظم النشاطات وأقدس المهمات للإنسان أن يطلب العلم:

لا زلنا أيها الأخوة في كتاب العلم، وفي الترغيب في طلب العلم، وبيان فضله، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما من رجل سلك طريقا يطلب فيه علماً إلا سهل الله له به طريق الجنة))

[مسلم عن أبي هريرة]

هذا الحديث يحتاج إلى شرح، الإنسان له نشاطات كثيرة في حياته الدنيا، قال تعالى:

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى)

(سورة الليل)

الإنسان له حركة في الحياة، طبعاً هناك دوافع، هناك دوافع إلى الطعام والشراب، دوافع إلى الطرف الآخر، دوافع إلى تأكيد الذات، هذه الدوافع التي في داخل الإنسان تدفعه إلى الحركة، الإنسان حركي، وليس سكونياً، حركته سببها الدوافع التي في داخله، تدفعه إلى أن يأكل، وإلى أن يشرب، وإلى أن يتزوج، وإلى أن يؤكد ذاته، فبسبب الدوافع الإنسان له حركة، هذه الحركة من أجل هذه الحركات، من أعظم النشاطات، من أقدس المهمات أن يطلب العلم، أن يخرج من بيته لطلب العلم، العلم بالله، العلم بحقيقة العلم، العلم بحقيقة الحياة الدنيا، العلم بحقيقة الإنسان، العلم بالشيء الذي ينفعه بالدنيا والآخرة، العلم بالكليات، بالجزئيات ميسر، كل إنسان عنده حرفة، عنده اختصاص، يحمل شهادة، هذا طبيب، هذا صيدلي، هذا مهندس، هذا مدرس، هذا العلم الذي تعلمه ليكسب قوته هذا نوع من الحرف، أما العلم الذي يعرفه بحقيقة الكون، بحقيقة الإنسان، هذا هو العلم الحقيقي .

طاعة الرحمن أهم شيء في الدين بعد الإيمان:

((ما من رجل سلك طريقاً يطلب فيه علماً))

[مسلم عن أبي هريرة]

خرج من بيته، بحث عن خطبة جمعة ليستفيد منها، هناك أناس كثيرون يريد أن يؤدي الفريضة، ولو في الركعة الثانية من صلاة الجمعة، وانتهى الأمر، ولا يعنيه أن يستفيد من هذه الصلاة شيئاً، لو إنسان بحث عن مسجد لينتفع من خطبته، بحث عن مجلس علم لينتفع مما يلقى فيه من علم، بحث عن إنسان يعينه على معرفة دينه، بحث عن عمل صالح، البحث عن علم يعرفك بذاتك، هذه:

((ما من رجل سلك طريقاً يطلب فيه علماً))

فكيف إذا طريق ينتهي به إلى الجنة ؟ الذي يحصل أنت في هذا الدرس عرفت أن الإنسان مخير، بهذا الدرس عرفت أن الإنسان مكلف، بهذا الدرس عرفت أن الإنسان عليه أن يعبد الله، بهذا الدرس عرفت أن أهم شيء في الإيمان، أهم شيء في الدين بعد الإيمان طاعة الرحمن، فكلما عرفت حقيقة، وقنعت بها، وتعمقت في نفسك، انقلبت إلى عمل، بعد حين دون أن تشعر، دون أن تدري، السلوك انضبط، النوايا سمت، الأعمال الصالحة بدأت، هذا الذي تفعله من استقامة، وعمل صالح، وذكر، وقرب من الله، هذا الذي تفعله ينتهي بك إلى الجنة .

الموت يأتي فجأةً والقبر صندوق العمل:

تصور إنساناً خرج من بيته ليتعلم، تصور طريقاً مستمراً، أوله في بيتك وآخره في الجنة، الإنسان يأتيه الأجل، وهذا الأجل لا مرد له من الله .

البارحة كنت في تعزية، صديق لي، وبيننا علاقة طيبة جداً قديمة وحميمة، جالس في مكتبه في وزارة، فجأة انحنى رأسه وسلّم الروح إلى الله عز وجل، هو في الخمسينات، الموت شيء مخيف، أن الإنسان يغادر الدنيا فجأةً، يا ترى أنهى حساباته ؟ أنهى الذمم ؟ هل هو مستعد لهذه الساعة ؟ الموت يأتي فجأةً، والقبر صندوق العمل .

ذكرت مرة طرفة: أن شركة طيران ـ سأتصور لهذه الشركة خصائص نادرة جداً ـ عرضت عليك أنك إذا اشتريت بطاقة طائرة فيها، لن تستطيع أن تسترجع الثمن إن لم تسافر، لو أنك لم تسافر لخطأ ما لن تستطيع أن تسترجع ثمن البطاقة، والبطاقة إلى أمريكا، ثمنها مئتا ألف، وهذا الشركة هي التي تأخذك من بيتك، ولا يقف سائق السيارة إلا دقيقة واحدة، المواعيد من الثامنة صباحاً وحتى الثامنة مساء، تصور هذه الشركة ! المبلغ مئتا ألف، وأنت إنسان بحاجة إلى هذا المبلغ، وإن تخلفت عن الرحلة لن تسترد هذا المبلغ، هم يأخذونك من البيت، هم لا ينتظرون إلا ثانية، ولا دقيقة واحدة، والموعد من الثامنة صباحاً وحتى الثامنة مساء، شيء بديهي جداً أن تقف وراء الباب الساعة الثامنة صباحاً، وبيدك حقائبك .

هذا معنى الآية الكريمة:

(أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

(سورة آل عمران)

ما دام الموت لا نعرف متى يأتي، من هذه اللحظة، وفي أي وقت آخر يأتينا ملك الموت، والإله العظيم يأمرنا أو ينهانا عن أن يأتينا الموت إلا ونحن مسلمون، إذاً يجب أن تكون مستعداً في عباداتك، في معاملاتك، في ذممك، في علاقاتك، لملاقاة الله عز وجل، فالإنسان إذا حضر مجلس علم، تعلم تفسير كلام الله عز وجل، عرف سنة رسول الله، كلما عرف شيئاً، وتعمق في فهمه، وقنع به، وتبناه، من دون أن يدري انقلب هذا الشيء إلى عمل .

الانضباط يفضي بالإنسان إلى العمل الصالح و منه إلى القرب من الله عز وجل:

الملاحظ أن الإنسان يساق إلى مجلس علم دون أن يشعر، يسمع كلاماً، يسمع توجيهات، تعليقات، أحكاماً، طموحات، أهدافاً، لو أنه راقب نفسه، والأصح لو أن غيره راقبه، لرأى أن هناك أمور قد تركها، و كلمات لم يعد ينطق بها، ونظرات غضّ بصره عنها، ودخل تركه، دون أن يشعر، انضبط، بعد الانضباط هناك عمل صالح، بعد العمل الصالح هناك قرب من الله، دون أن يدري سلك طريقاً ينتهي به إلى الجنة .

من أخطر الأعمال أن ترتدي ثيابك، وأن تخرج من بيتك لتعرف الحقيقة، أقدس عمل، أجلّ عمل، قد تنشئ أكبر جسر في العالم .

ذكرت لكم في اسطنبول جسر بين قارة أوربا وآسيا، أحد أضخم الجسور في العالم، جسر عملاق، والذي أنشأه أحد عدة مهندسين في العالم، محمول على حبال، وهو عال جداً، وأربع حارات، حارتان للمشاة، ارتفاعه خمسة و ستون متراً، وتمر تحته أكبر باخرة، وكل حباله فولاذية معلقة، ومع ذلك هذا الذي صممه، وأشرف على تنفيذه، يوم الافتتاح ألقى بنفسه من الجسر إلى البحر فنزل ميتاً، ذهبوا إلى الفندق فإذا به قد كتب رسالة قال فيها: لقد ذقت الحياة كلها، فلم أجد لها طعماً، أردت أن أذوق طعم الموت، هذا لم يسلك طريقاً يلتمس فيه علماً، لم يعرف سرّ وجوده، لم يعرف أن عليه رسالة ينبغي أن يؤديها، لم يعرف قيمة الحياة الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، لم يعرف أن هذه الحياة حياة دنيا، وهي إعداد لحياة عليا، لم يعرف الله عز وجل، ذاق كل شيء أكل، وشرب، والتقى بنساء، وعلا في الأرض، وتألق، ولكنه لم يجد للحياة طعماً فأراد أن يذوق طعم الموت .

على الإنسان أن يعرف الغاية من وجوده:

فيا أيها الأخوة الكرام، احرصوا على طلب العلم، احرصوا على معرفة الحقيقة، احرصوا على معرفة سرّ وجودكم، احرصوا على معرفة كتاب الله، وسنة رسول الله، احرصوا على معرفة غاية وجود الإنسان، هذا إذا الإنسان :

((سلك طريقاً يطلب فيه علماً))

[مسلم عن أبي هريرة]

هذا الطريق أوله من بيتك، وآخره في الجنة، ما عليك إلا أن تسلك هذا الطريق؛ طريق العلم، انعكس هذا على بيتك، أنت اسأل زوجة أحد أخواننا الكرام، اسأل الزوجة كيف حال زوجك قبل أن يعرف الله؟ لأجابتك بأنه لا يحتمل، فظاظة، قسوة بالغة، انحراف، كلام لا يليق به، كسب للمال عشوائي، إنفاق للمال عشوائي، علاقات لا ترضي الله عز وجل، اسأل هذه الزوجة كيف حال زوجك بعد أن عرف الله؟ لأجابتك: صار ملكاً، انضبط، أصبح هناك قيم و مبادئ تحكمه، و يسعى إلى هدف مقدس .

الذي يلفت النظر أيها الأخوة أن المؤمن شاب، بالتسعين شاب، هدفه كبير، غير المؤمن جالس في المقهى يلعب النرد، حتى ساعة متأخرة من الليل، جالس يتابع الأشياء الساقطة على الشاشة، حياة الإنسان تافهة جداً من دون معرفة لله عز وجل .

الحياة من دون دين لا تعاش، من دون هدف سامٍ لا تعاش، من دون مبادئ لا تعاش، من دون قيم لا تعاش، من دون كتاب لا تقرأه وتتفاعل معه لا تعاش، من دون قدوة عظيمة تتبعها كالنبي الكريم لا تعاش .

الدين أصل في الحياة الدنيا:

أهل الدنيا إن تركوا الدين كل شيء يمُل في الحياة، يدخل إنسان فقير لبيت غني، يتصور أن الغني غارق في السعادة، وقد يكون بيت الفقير هو المليء بالسعادة .

حدثني أخ قبل يومين وهو عندي صادق، دخل على رجل، له حجم مالي لو دفع زكاة ماله لكفى نصف أهل الشام، زكاة ماله فقط، بمئات، لا أقول مئة واحدة بل مئات الملايين، لا من الليرات بل من الدولارات، ومع ذلك شكا له همه، ضيق، سقم، ضجر، ملل، لا يدري ماذا يفعل، في بيته غير مرتاح، في عمله غير مرتاح، ذكر أشياء غير معقول أبداً، قال هذا الأخ الكريم: في الوقت نفسه، في اليوم نفسه، جاءت إلى محله امرأة فقيرة، تطلب منه مساعدة ألف ليرة بالشهر، قال لها: من أين

أنت يا أختي؟ قالت: أنا من داريا، لي زوج، ولي أولاد، وزوجي يكسب رزقاً حلالاً، ورزقه يكفي مصروفنا، نحن بحاجة إلى أجرة البيت، فأخذ عنوان البيت، كان عنده اجتماع بداريا لجمعية خيرية فحضر هذا الاجتماع وأعطاهم الاسم، وطلب إليهم أن يدفعوا لها ألف ليرة كل أسبوع، قال: نحن لا بد من التحقيق، فذهبوا إلى التحقيق وكان معهم هذا الأخ الكريم، يصف لي هذا البيت، البيت غرفة ثلاثة أمتار ونصف بثلاثة أمتار ونصف، ملحق بها مكان اسمه تحت الدرج بلا باب، وهناك موقد و طاولة، وبعض الحاجات، هذا هو البيت، والزوج كان مريضاً مضجعاً في سريره، و في البيت أربعة أولاد، الذي لفت نظره الأدب الجم في هذه الأسرة، كيف حالكم يا أختي ؟ قالت: الحمد لله ؟ نحن سعداء جداً، نحن مقصرون في شكر الله، شيء غير معقول، قبل ساعات كان مع رجل زكاة ماله تحل مشكلات نصف فقراء دمشق، وهذه امرأة تسكن في غرفة واحدة، ومطبخها تحت الدرج، وتملك حاجات خشنة جداً، فطلب من اللجنة أن تعطيها ألفي ليرة في الشهر، قالت: لا، نريد ألفاً، أعطوا الألف الآخر لغيرنا، لعله أكثر استحقاقاً .

عمل موازنة، معقول أسرة بغرفة واحدة، شاكرة، حامدة، سعيدة، لكن ينقصها ألف ليرة، أعطوها ألفاً ثانية لم تقبل ؟!

الإنسان لا يحيا و لا يرقى إلا بالعلم:

أخواننا الكرام، الإنسان بالعلم يحيا، بالعلم يرقى، بالعلم يسمو عمله، بالعلم يعرف حقيقة وجوده، بالعلم يصبح إنساناً راقياً جداً، هذا الحديث دقيق جداً:

((ما من رجل سلك طريقاً يطلب فيه علماً إلا سهل الله له به طريق الجنة))

أنا أحياناً والله أخجل من بعض الأخوان، يأتون من مكان بعيد، من أطراف المدينة، من خارج دمشق، ليحضروا صلاة الفجر .

واحد من الصحابة الكرام يسكن في مكان بعيد، فتاقت نفسه أن يسكن إلى جانب المسجد النبوي، فعرض على النبي رأيه، أنه أنا سأبيع هذا البيت، وسأشتري بيتاً إلى جانب المسجد ؟ عليه الصلاة والسلام بَشَّر كل هؤلاء الذين يأتون من مكان بعيد قال: " مكانكم تكتب آثاركم ".

ابقَ في مكانك و لك أجر مضاعف حينما تأتي تلتمس بهذا المجيء علماً .

على الإنسان أن يلتمس العلم بالله والعلم بأمر الله والعلم الذي ينفعه في الدنيا والآخرة:

أيها الأخوة:

((ما من رجل سلك طريقا يطلب فيه علماً إلا سهل الله له به طريق الجنة))

لكن ما كل علم يلتمس، النبي عليه الصلاة والسلام استعاذ من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن أذن لا تسمع، ما كل علم يلتمس، التمس العلم بالله، والتمس العلم بأمر الله، والتمس علماً ينفعك في دنياك وفي آخرتك، والتمس علماً يعرفك بالله، المقصود العلم النافع بالدين، حتى في الدين هناك علوم في الهامش، بعيدة جداً غير عملية، العمر محدود، يجب أن تضع يدك على أصل الدين، وعلى جوهر الدين، وعلى الأصول قبل الفروع، وعلى الأشياء العملية قبل النظرية .

الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام:

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له))

[أخرجه مسلم وابن خزيمة عن أبي هريرة]

ولعلنا غداً إن شاء الله نقف عند الحديث وقفة متأنية إن شاء الله .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢١-١١٦) : كتاب الطهارة - الترهيب من إصابة البول الثوب وغيره وعدم الاستبراء منه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٤-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

النظافة من الإيمان وتبدأ بالتنزه من البول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((عامة عذاب القبر في البول فاستنزهوا من البول))

[رواه البزار والطبراني عن ابن عباس]

لا بدّ من وقفة متأنية عند هذا الحديث، يفيد هذا الحديث أنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، الإنسان حينما يعلم أن هذه مخالفة لمنهج الله ويفعلها عمداً ويصر عليها، هذه المخالفة التي تبدو صغيرة هي عند الله كبيرة.

شيء آخر: للنبي عليه الصلاة والسلام منهج صحي، منهج للحفاظ على الصحة، أحدث إحصاء أن هناك في العالم ثلاثمئة مليون إنسان مصاب بأمراض القذارة، هؤلاء مرضى القذارة، عدم الاستنزاه من البول يسبب العدوى بالأمراض له ولغيره، فالإسلام نظيف، والنظافة لا تتجزأ، النظافة وحدة لا تتجزأ، تبدأ بنظافة الجسم، إلى نظافة الثوب، إلى نظافة المكان، إلى نظافة السريرة، إلى نظافة الخلق، إلى نظافة اليد، النظافة وحدة لا تتجزأ، والنظافة من الإيمان، وتبدأ بالتنزه من البول.

((عامة عذاب القبر في البول فاستنزهوا من البول))

والبول مكان الأمراض، طبعاً الإنسان ماذا يطرح ؟ يطرح السموم، يطرح كل شيء يؤذيه، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما يدخل الخلاء يقول:

((الحمد لله الذي أذْهَبَ عني الأذى وعافاني))

[أخرجه زيادات رزين عن أبي ذر الغفاري]

هذا الذي يؤذي لا ينبغي أن يكون إلا في مكانه الصحيح، أما لا يتنزه الإنسان من البول، معنى ذلك أنه أصاب ثوبه، أو أصاب جسمه، أو أصاب غيره.

الاستقامة حدية والانحراف نسبي:

الذي أريد أن أقوله: إن هذا المنهج كامل، فعندما يتساهل الإنسان ببعض بنوده هذا التساهل يقوده إلى بنود أخرى، فكلما تساهل في صغيرة فعل صغيرة أكبر، وأكبر إلى أن يقع في الكبائر، الاستقامة حدية، أما الانحراف نسبي.

هذا كلام دقيق، مثلاً مستودع للوقود السائل، إذا قلنا: المستودع محكم، أي له حالة واحدة محكمة، تضع فيه ألف لتر يبقى سنوات وسنوات، إن لم تستهلكه، أما إذا كان قلنا الوعاء غير محكم، عدم الإحكام نسبي، قد نخسر بعضه في ساعة، في ساعتين، في شهر، في شهرين، فالإحكام حدي، وعدم الإحكام نسبي.

الله عز وجل أمرنا بالاستقامة والاستقامة حدية، والدليل:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا)

(سورة هود الآية: ١١٢)

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

معرفة الأحكام الشرعية وسيلة الإنسان للتقرب من الله عز وجل:

الناس يتفاوتون في محبتهم، في إخلاصهم، في إقبالهم، في ذوقهم، أما المؤمنون لا يتفاوتون في استقامتهم، لأنهم جميعاً يطبقون منهجاً تفصيلياً، في أدق العلاقة، في أخص الخصوصيات هناك حكم شرعي.

ذكرت البارحة كلاماً دقيقاً، الإنسان إذا بلغت معرفته بالله الحد الذي يحمله على طاعته، هناك معرفة لا تحمل على طاعة، كل من قال لهذا الكون إله فهو مؤمن، أما حينما تتنامى معرفتك بالله إلى درجة تحملك على طاعته أنت الآن في أمس الحاجة إلى الأحكام الشرعية، أنت الآن في أمس الحاجة إلى أن تعرف الحلال والحرام، لأنك لا تستطيع أن تتقرب إلى الله و تعبده إلا بتنفيذ أمره، وترك ما نهى عنه، في هذه الطريقة تعبده.

لذلك حرص المؤمن على معرفة الحكم الشرعي حرصاً بالغاً لحرصه على التقرب إلى الله عز وجل، لا تستهن بالحكم الشرعي، لا تستهن بالأحكام الفقهية، إنها بعد معرفة الله روحك ودمك، لأنها وسيلتك إلى الله عز وجل، وسيلتك إلى القرب من الله.

١ ـ نضح الثوب الداخلي ببعض الماء لقطع باب الوسوسة:

لذلك: من هذه الأحكام التفصيلية التنزه من البول، لكن يقابل التنزه من البول الوسوسة، والوسوسة مرض، وهناك أناس كثيرون يصابون بهذا المرض.

لذلك النبي حلّ هذا الموضوع ؛ أمرنا أن ننضح ثوبنا الداخلي ببعض الماء، فإذا شعرنا ببلل فهو منا، نحن صنعناه، قطعاً من باب الوسوسة، والدخول بالمتاهات، أي أصابني شيء من البول، أو لم يصبن، انضح ثوبك الداخلي بالماء، واقطع باب الشيطان وباب الوسوسة، هناك إنسان متساهل، وإنسان موسوس، كلاهما حالات غير طبيعية، الحالة الطبيعية أن تدع الوسوسة، وأن تكون ورعاً.

٢ ـ عدم إهمال الغسل و استمراء هذه العادة:

شيء آخر: عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن علي]

الإنسان إذا أصابته جنابة، وأهمل الغسل، أخره، واستمرأ هذه العادة، كلما أصابته جنابة أخر الغسل، قد يفوته فرض صلاة، قد يفوته ذكر الله، قد تفوته قراءة القرآن، لذلك المؤمن الورع لمجرد أن يصاب بجنابة يغتسل، لكن مسموح للإنسان في الليل أن يؤجل الغسل إلى ما قبل الفجر، أما أن يهمل الغسل إلى فترة طويلة، هذا مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ عدم الاحتفاظ بصورة على سبيل التعظيم أو كلب لغير حاجة:

ووصف أن الملائكة هؤلاء المخلوقات التي تذكر الله دائماً، لا تدخل بيتاً فيه صورة على سبيل التعظيم، صورة كاملة على سبيل التعظيم.

((لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة، ولا كلب))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن علي]

لغير حراسة، أو حاجة، أو صيد، قد تقتني كلباً لحراسة مزرعتك، أو قد تقتني كلباً لصيد، أما اقتناء الكلب لغير الصيد والحراسة منهي عنه، ولا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، أو صورة كاملة على

سبيل التعظيم، قد نقتني بساطاً عليه صورة غزال، ما دمنا ندوس هذا البساط العلماء أجازوا ذلك، أما صورة معلقة على الحائط على سبيل التعظيم كاملة هذا منهي عنه في الشرع.

الابتعاد عن التعظيم الذي يقود صاحبه إلى الشرك:

طبعاً لأن تعظيم الأشخاص انتهى ببعض المجتمعات إلى تأهيلهم، أنا الذي أراه أنه ما من إنسان على وجه الأرض أحب إنساناً كما أحب الصديق رسول الله، وحينما مات لا يوجد إنسان ظهر التوحيد عنده جلياً كسيدنا الصديق، قال:

" من كان يعبد محمداً ـ باسمه ـ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ".

الإنسان أحياناً التعظيم الذي يتجاوز الخط الأحمر يقوده إلى الشرك، التعظيم يقود صاحبه إلى الشرك، فسيدنا الصديق أحب النبي حباً لا حدود له، ومع ذلك ما عبده من دون الله، ولا ألهه، حينما مات، قال:

" من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ".

فبيت فيه صورة على وجه التعظيم، هذه مرحلة أولى إلى الشرك.

سيدنا الصديق أمر السيدة عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشكره بعد أن نزلت آيات التبرئة من حديث الإفك، فقال: قومي إلى رسول الله فاشكريه، قالت: والله لا أقوم إلا لله، تحت سمع النبي وبصره، فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال: عرفت الحق لأهله.

فالكلب منهي أن يقتنى لغير الحراسة والصيد، وصورة على سبيل التعظيم قد تقود إلى التأليه، وقد تقود إلى نزعات الجاهلية، والجنب هو الذي أصابته جنابة، لا يستطيع قراءة القرآن، ولا ذكر الله، ولا الصلاة، فإذا أهمل الإنسان غسل الجنابة كأنه أهمل قربه من الله، كأنه ابتعد عن الله عز وجل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة]

كل إنسان مسلم يتوضأ ويصلي طوال حياته في وجهه نور وتألق:

الحقيقة القاعدة الأصولية أنه: ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، الوضوء فرض لكن حكمة النبي عليه الصلاة والسلام في فهم آيات الوضوء، أي الدلك مثلاً، والغسل ثلاثاً، والاستنشاق،

والمضمضة، وغسل الوجه من منبت الشعر إلى أسفل الذقن، ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن، هذه التفاصيل التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام هو فهمه الدقيق لآية الوضوء.

والذي يقوله الأطباء: إن للإنسان شبكة من الأوعية الدموية المحيطية، هذه الشبكة المحيطية حينما تتوضأ بالماء تنبه الأعصاب فتتسع الأوعية، وحسن التروية علامة صحة تامة في الإنسان.

فالذي يتوضأ ترى وجهه متألقاً من الوضاءة، الوضوء من الوضاءة، وكل إنسان مسلم يتوضأ ويصلي طوال حياته في وجهه نور، في وجهه تألق، في وجهه بريق، في وجهه وضاءة، هذا من تطبيق هذا المنهج الإلهي.

((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة]

السواك نبات خلقه الله عز وجل خصيصاً لتنظيف الأسنان:

الآن مشكلة الأسنان مشكلة كبيرة جداً، هناك أشخاص يهملون أسنانهم، ويدفعون الثمن باهظاً، أي مهما تقدمت صناعة الأسنان فرق كبير جداً بين السن الطبيعي وبين السن الآخر، إن كان مركباً تركيباً مؤقتاً، أو دائماً، أو مزروعاً، كل أنواع الأسنان الصناعية بينهم وبين السن الطبيعي مسافة كبيرة، فالنبي عليه الصلاة والسلام أمرنا بالسواك، وحول السواك موضوع طويل، وهناك أبحاث علمية لا تنتهي في الحديث عن السواك، بعض هذه الأبحاث تقول: إن هناك سبعين مادة موجودة في عود الأراك، مواد معقمة، ومطهرة، ومنشطة، ومنعشة، ومن منهج الله عز وجل، نبات الله عز وجل خلقه خصيصاً لتنظيف الأسنان، والخلة لتنظيف ما بين الأسنان، وكل شيء الإنسان بحاجة له هناك شيء يغطيه بأصل الخلق.

إذاً: قال عليه الصلاة والسلام:

((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة]

طبعاً كل صلاة بوضوء، ولعل هذا فيه مشقة على الكبار في السن، أما إذا كان الإنسان نشيطاً، والماء ميسر، ويطبق لكل صلاة أكمل، و إذا هناك تيسير سوك أسنانه مع كل وضوء، و هذا أفضل.

التحقيق و التصديق:

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال:

((أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فدعا بلالاً، فقال: ' يا بلال ! بم سبقتني إلى الجنة ؟ إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي '. فقال بلال: يا رسول الله ! ما أذنبت قط إلا صلَّيت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ' بهذا))

[أخرجه ابن خزيمة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه]

وهذا من أسلوب النبي البليغ، يشبهه قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل ؟ قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم))

[الأدب المفرد للبخاري]

((بم سبقتني إلى الجنة إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك))

[أخرجه ابن خزيمة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه]

بالمناسبة: موضوع الجنة والنار موضوع إخباري، نحن نؤمن بالله تحقيقاً، نؤمن بكتابه تحقيقاً، برسوله تحقيقاً، عن طريق الأدلة العقلية، ولكننا نؤمن بالآخرة تصديقاً، نؤمن بالملائكة تصديقاً، بالجن تصديقاً، بما أخبرنا النبي عنه يوم القيامة تصديقاً، بالماضي السحيق تصديقاً، بالمستقبل البعيد تصديقاً، بما أخبرنا الله عن ذاته تصديقاً لا تحقيقاً، إذاً هناك جانب تؤمن به تحقيقاً، وهناك جانب تؤمن به تصديقاً.

فالإيمان باليوم الآخر عندنا إيمان إخباري، إلا عند النبي عليه الصلاة والسلام لكرامته على الله في الإسراء والمعراج أطلعه الله رأي العين على أحوال أهل الجنة، وأحوال أهل النار، فإيمان النبي وحده بالجنة والنار إيمان شهودي، تحقيقي.

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت قوماً يفعلون كذا وكذا، رأيت قوماً في الجنة يتنعمون، و رأيت قوماً في النار يتعذبون، هذا من باب التحقيق لا من باب الإخبار.

الوضوء سلاح المؤمن:

وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال:

((أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فدعا بلالاً فقال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة))

[أخرجه ابن خزيمة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه]

سيدنا بلال عبد أسود، حبشي، سيدنا عمر خرج وهو خليفة المسلمين لاستقباله إلى ظاهر المدينة، أحياناً يأتي رئيس جمهورية، من طريق البر، يُستقبل من نادي الرماية تكريماً له، فسيدنا عمر

رضي الله عنه عملاق الإسلام، خليفة المسلمين، يخرج إلى ظاهر المدينة لاستقبال سيدنا بلال، سيدنا الصديق عندما عتقه وضع يده تحت إبطه، وقال: هذا أخي حقاً، هذا الإسلام، الإسلام فيه سواسية، لا طبقية فيه، كل مسلم أخ لكل مسلم.

لذلك شاءت حكمة الله عز وجل أن يكون بلال حبشي، وسلمان فارسي، يقول عليه الصلاة و السلام:

((سلمان منا أهل البيت))

[أخرجه الحاكم عن مصعب بن عبد الله الزبيري]

وسيدنا بلال في أعلى درجة عند رسول الله، قال: وقف مرة أبو سفيان بباب عمر، فلم يؤذن له، وبلال يدخل ويخرج، فحينما دخل أبو سفيان عتب على سيدنا عمر وقال له: أبو سفيان زعيم قريش يقف ببابك ساعات طوال، وبلال وصهيب يدخلان بلا استئذان ؟ قال له: أنت مثلهما ؟.

بالإسلام لا يوجد انتماء، لا يوجد تعظيم لمرتبة معينة دنيوية، لنسب معين، الناس سواسية كأسنان المشط.

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)

(سورة الحجرات الآية: ١٣)

هذا الحديث يبين أن بلالاً كلما أذن صلى، وكلما توضأ تسوك، والوضوء سلاح المؤمن. أنتم جربوا، الإنسان إذا خرج من بيته متوضئاً، ودخل وقت الصلاة هو جاهز فوراً للصلاة، أحياناً الإنسان يكون في بيت غير ميسر أن يتوضأ فيه، بيت ضيق وفيه أشخاص كثيرون، مكان الوضوء مع المطبخ، يحدث حرجاً كبيراً في وضوئه، أما إذا كان متوضئاً الصلاة سهلة جداً.

إذاً ينبغي على المؤمن أن يخرج من بيته متوضئاً، فالوضوء سلاح المؤمن، هذا من السنة، ما دام متوضئاً فالصلاة سهلة بأي مكان، بأي طريقة، بأي هيئة.

الفرق بين العادات والعبادات بالتسمية والنية:

آخر حديث: قال عليه الصلاة والسلام:

((لا صلاة لمن لا وضوءَ له، ولا وضوءَ لمن لم يذكر اسم الله عليه))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

لأن هناك فرقاً بين أن تغسل يديك وأعضاءك على سبيل النظافة، وبين أن تعبد الله متوضئاً، الفرق بين العادات وبين العبادات التسمية والنية، مثلاً إنسان في أيام الشتاء القصيرة لا يأكل صباحاً، ولا يحتاج إلى أن يشرب ماء، منهمك في عمله، وعاد إلى البيت بعد المغرب فأكل هل هو صائم ؟ أبداً،

عملياً ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات، من طلوع الفجر إلى غياب الشمس، هل هو صائم ؟ لا الصيام عبادة يحتاج إلى تسمية، وإلى نية، فهنا النبي عليه الصلاة والسلام جعل مستلزمات الصلاة من الصلاة، فالوضوء عبادة، ويحتاج إلى أن تذكر اسم الله عليه، بسم الله الرحمن الرحيم، هذه التسمية، والتسمية التقرب إلى الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٢٢-١١٦) : كتاب الطهارة - الترغيب في الوضوء وإسباغه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤-٠٤-١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الطهور شطر الإيمان:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الطُّهور شَطْرُ الإيمان والحمدُ لله تملأُ الميزان وسبحانَ الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاةُ نور والصدقةُ بُرْهَان والصبرُ ضِياء والقرآنُ حُجَّة لكَ أو عليكَ كلُّ الناس يغدو، فبائع نَفْسَهُ فمعتقُها أو مُوبِقُها))

[أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي مالك الأشعري]

أيها الأخوة الكرام، الطهور شطر الإيمان.

هناك كلمات في اللغة تسمى المشترك اللفظي، المشترك اللفظي كلمة تتسع معانيها فتشمل حالات كثيرة، فإذا قلت الطهور المادي، أي أن الإنسان طاهر البدن، هذا الطهور مما تعنيه هذه الكلمة. الآن طاهر القلب، قلب سليم، من الغيبة، والحقد، والغش، والكبر، والاستعلاء، والأنانية، أيضاً هذا المعنى تشمله هذه الكلمة.

نفس طاهرة من الشرك، والشك، أيضاً هذا المعنى تشمله هذه الكلمة.

للإسلام شطر سلبي هو الطهور وشطر إيجابي هو العمل الصالح:

إذاً: الإسلام تخلية وتحلية، تطهير وتعطير، استقامة وعمل صالح، هناك جانب سلبي، وجانب إيجابي، الجانب السلبي ابتعاد المسلم عن كل خطيئة، الجانب الإيجابي العطاء، العمل الصالح.

((الطُّهور شَطْرُ الإيمان))

[أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي مالك الأشعري]

معنى ذلك أن تطهير النفس من كل خطيئة، وتحليتها بالكمال الإنساني، إذا الإنسان اكتفى أنه قال: أنا لا أكذب، لا أسرق، لا أفعل هذه المعاصي، نقول: هذا شطر الإيمان، أما شطره الثاني أن تقول: ماذا فعلت ؟ ماذا قدمت ؟ بأي شيء ضحيت ؟ ما العمل الذي تقدمه بين يدي الله عز وجل ؟

فالإسلام كما قلت لكم شطر سلبي، وهو الطهور، وشطر إيجابي وهو العمل الصالح، شطر فيه امتناع عن فعل المنكرات، وشطر فيه بذل وتضحية، بعض العلماء عبر عن هذا بالتطهير والتعطير، بالتخلية والتحلية، بالاستقامة والعمل الصالح.

ما الذي يحدث أحياناً ؟ عمل صالح مبني على سلوك غير مستوٍ، غير سليم، هذا العمل الصالح إذا بني على انحراف في السلوك لا تستطيع أن تستغله أعلى استغلال، العمل الصالح لا تستطيع أن تقطف ثماره إلا إذا بني على استقامة، هناك أناس كثيرون، لهم أعمال طيبة ليس هناك انضباط في سلوكهم، لا يستطيع أن يقبل على الله عز وجل من خلال هذا العمل الصالح، لأن الانحراف، والتقصير، والاختلاط، والمصافحة، والكذب، والغيبة والنميمة، هذه تحول بينك وبين الاتصال بالله.

معرفة الله عز وجل طريق الإنسان إلى الاستقامة و العمل الصالح:

إذاً يمكن أن نقول: الطهور شطر الإيمان، والعمل الصالح شطره الآخر، وكلاهما شطر لازم غير كافٍ، لا يقبل منك أن تكون مستقيماً بلا عمل صالح، ولا أن يكون لك عمل صالح دون أن تكون مستقيماً، الاستقامة تطهير الطريق إلى الله من العقبات، والعمل الصالح تحرك في هذا الطريق.

((والحمدُ لله تملأ الميزان))

[أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي مالك الأشعري]

ما دام الأمر كله بيد الله، ما دام ربنا جلّ جلاله قيوم السماوات والأرض، مادام الله قادراً على كل شيء، ما دام كل شيء يعود إليه، إذاً لمجرد أن تحمد الله عز وجل فالله عز وجل يعطيك ما تتمنى، فميزان الحسنات متى يمتلئ ؟ إذا عرفت الله، وعرفت أنه رحمن رحيم، وعرفت أنه يحمد على كل شيء.

من حمد الله عز وجل أعطاه فوق ما يتمنى:

قلت لكم من قبل: أحياناً الإنسان يجد تقنيناً في مواد قليلة، هناك تنافس على حطام الدنيا، أمطار قليلة، إنتاج زراعي قليل مثلاً، هذا التقنين كله تقنين تأديب، لا تقنين عجز، الإنسان إذا قنن يقنن تقنين عجز.

الملخص لا بدّ من أن تصل إلى أن الله سبحانه وتعالى يحمد على كل شيء.

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة البقرة)

فكر قليلاً ما دام الأمر كله بيد الله، إذاً العطاء عين المنع، والمنع عين العطاء، ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك.

إنسان حاقد، إنسان يحار في أفعال الله عز وجل، إنسان يشعر بظلم شديد، إنسان يرى هذه الفروق الكبيرة بين مستويات الناس، يقول: ماذا أقول ؟ هذا لم يعرف الله بعد، لا تعرف الله عز وجل إلا إذا حمدته على كل أفعاله، هذا شيء أساسي، تجد شخصاً يصلي لكن عنده حيرة، عنده نقمة أحياناً، يرى المآسي، والأمراض، والحروب، والقهر الاجتماعي، والظلم، هذا ينبغي أن يفسر تفسيراً يليق بكمال الله عز وجل.

أصل الدين أن يسبح الإنسان في كمال الله و يمجده و يعظمه:

آية البارحة التي قلت فيها:

(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)

(سورة الأنعام)

أنا أتمنى على كل أخ ألا يروي قصة إلا إذا عرف كل فصولها، و إلا يقع في ورطة شديدة، كأنه يشير إلى ظلم الله عز وجل، قصة لا تعرف كل فصولها لا تسهم في روايتها، إنك ترويها وتوقع الناس في حيرة، وأحياناً الشيطان من دون أن نشعر يدفعنا إلى أن نروي قصة يبدو فيها ظلم شديد، أو قهر شديد، أو إنسان على استقامته دمره الله، وإنسان على فجوره قواه الله عز وجل، تعمل إرباكاً.

((والحمدُ لله تملأ الميزان))

إذا أنت حمدت الله عز وجل انطلقت إلى العمل الصالح، أما إذا لم يكن هناك حمد لله ترتبك أنت، ماذا تفعل ؟

((والحمدُ لله تملأ الميزان وسبحانَ الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض))

[أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي مالك الأشعري]

هو أصل الدين أن تسبح في كمال الله، والتسبيح كما أقول لكم دائماً: هو التنزيه عن كل ما لا يليق بكمال الله، والتمجيد والخضوع لله عز وجل.

((والحمدُ لله))

أن ترى أن الفعل كله بيد الله، وثانياً: أن النعم كلها من الله، وثالثاً: أن يمتلئ قلبك امتناناً بنعم الله، ورابعاً: أن يكون عملك في خدمة خلق الله.

فأن تعرف أن الأمر بيده، وأن تعزو النعمة إليه، وأن تعمل عملاً تعبر عن شكرك لله عز وجل.

((والصلاةُ نور))

طبعاً هذا الحديث تؤكده آيات كثيرة، من هذه الآيات:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ)

(سورة الحديد الآية: ٢٨)

فالمؤمن باتصاله بالله يرى الحق حقاً والباطل باطلاً، يرى الحق حقاً فيتبعه، والباطل باطلاً فيجتنبه.

والحقيقة حركتك في الحياة أساسها رؤيا، إن رأيت الحقيقة سعيت إليها.

الآن المجرم لماذا يرتكب الجريمة ؟ لأنه رأى أن الجريمة أقصر طريق إلى ما يبتغي، غفل عن أنه سوف يلقى القبض عليه وسوف يعدم.

أخطر ما في الحياة أن تكون خاطئ الرؤيا، الذي يأكل المال الحرام ماذا يرى ؟ أنه كسب مكسباً كبيراً، الذي يظلم الناس ماذا يرى ؟ أنه علا في الأرض، كل الأعمال الشريرة أساسها رؤيا مغلوطة، أساسها عمل في القلب، فإن صحت رؤيتك صحّ عملك، وصحة الرؤيا أساسها الاتصال عز وجل، الصلاة نور، هناك أعمال لا تعبر عن صدق إيمانك، إلا أن تناقض العمل مع طبعك يعبر عن صدق إيمانك، الإنسان طبعه أن يأخذ المال، فإذا أنفقه عبّر عن صدق إيمانه.

((والصدقةُ بُرْهَان))

هناك أعمال تتوافق مع طبع الإنسان، يقول لك: الزواج سنة، صح، أما الزواج محبب.

إنفاق المال غير محبب، المحبب قبض المال، غض البصر غير محبب، المحبب إطلاق البصر، فالإنسان حينما يفعل شيئاً خلاف طبعه يرقى، من هذه الأشياء التي يفعلها خلاف طبعه الصدقة

((والصدقةُ بُرْهَان))

كتاب الله عز وجل حجة لنا أو حجة علينا:

((والصبرُ ضِياء))

كما قال عليه الصلاة والسلام: الصادق له عند الله درجة، إنسان جاءه مكروه القضاء فصبر، حينما يصبر يشعر أن الله يحبه إن تحمل هذا في سبيل الله.

(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

(سورة الزمر)

((والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ))

الإنسان يقرأ القرآن قد يقرأ آية ويخالفها، قد يقرأ آية ولا يطبقها، قد يقرأ قصة و لا يتعظ بها، قد يمر على آية كونية و لا يعظمها، في هذه الحالة صار القرآن حجة عليه، أما أن يكون حجة له إذا طبق أحكام القرآن.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه))

[ورد في الأثر]

((مَا آمَنَ بِالقرآنِ مَن استحلَّ مَحَارِمَهُ))

[أخرجه الترمذي عن صهيب الرومي]

دائماً وأبداً كتاب الله عز وجل حجة لنا أو علينا، حجة بين أيدينا، أو حجة ندان بها يوم القيامة.

الإنسان رهين عمله:

((كلُّ الناس يغدو))

أي غدا يغدو إلى عمله مبكراً، وراح أي عاد إلى بيته متأخراً، الغدو والرواح نحن نظن أن راح أي ذهب من البيت، راح: عاد إلى البيت، لو شخص طرق الباب، وسأل ابنه الذي فتح له الباب، والدك موجود ؟ فيقول له: والله راح، قال له: سلم عليه، ماذا قال الابن ؟ راح أي أتى، كلمة راح تعني أتى، غدا وراح.

((كلُّ الناس يغدو فبائع نَفْسَهُ فمعتقُها أو مُوبِقها))

أي أنت رهين عملك.

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ)

(سورة المدثر)

أنت رهين عملك، فإذا كان عملك طيباً، أعتقت نفسك من النار، وإذا عملك سيئاً ـ لا سمح الله ـ جعلتها رهينة لك.

الإخلاص أساس أي عمل يفعله الإنسان:

((كلُّ الناس يغدو فبائع نَفْسَهُ فمعتقُها أو مُوبِقها))

[أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي مالك الأشعري]

أيها الأخوة، هذا الحديث الشريف من الأحاديث الجامعة المانعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إني قد أوتيت جوامع الكلم))

[أخرجه أبو يعلى عن عمر بن الخطاب]

فالصدقة برهان، أحياناً الإنسان يشك في صدق إيمانه، إن دفع الصدقة ولم تعلم شماله ما أنفقت يمينه هذه الصدقة برهان له على أنه مؤمن ورب الكعبة، أما هناك أعمال يفعلها أمام الناس، ربما افتخر بها، ربما جاء الشيطان وقال له: فعلت ليقال عنك كذا، وأخطر ما في الموضوع أنه يوم القيامة يقول: يا رب تعلمت العلم في سبيلك وعلمته، يقال له: كذبت، تعلمت العلم ليقال عالم وقد قيل، خذوه إلى النار.

العالم، والقارئ، والمجاهد، هذه الأنواع الثلاثة قد تنتهي بصاحبها إلى النار من دون إخلاص.

شعور الإنسان أنه واحد من مجموع شعور يعينه على طاعة الله:

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إسباغ الوضوء في المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلاً))

[مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب]

((إسباغ الوضوء في المكاره))

[مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب]

أحياناً يكون الماء بادراً، والبرد شديد، فإذا توضأ الإنسان توضأ وضوءاً سريعاً، أي لا يبلغ الماء إلى كل أعضائه، هذا الوضوء أقل درجة من إسباغه أن تدلك أعضاءك، وأن يصل الماء إلى كل أطراف الأعضاء، قال عليه الصلاة والسلام:

((إسباغ الوضوء في المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد))

[مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب]

هناك إنسان بعيد عن المساجد، والمساجد بيوت الله عز وجل، الإنسان يصلي في بيته، لكن الصلاة في المسجد غير صلاة البيت، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

[ورد في الأثر]

كلمة جماعة أنت ارتبطت بمسجد، ارتبطت بإخوة كرام، الجماعة لها روح، يجوز أنه قد نام الساعة الثالثة، لكن كونه ألزم نفسه أن يصلي الفجر في جماعة، هذا يدفعه إلى أن ينهض في

فراشه، شعورك أنك أنت واحد من مجموع، ولا بدّ من أن تكون معهم، وأن تأنس بهم، هذا شعور يعين على طاعة الله.

الصلاة عماد الدين و غرة الطاعات:

لذلك:

((يَدُ اللهِ مع الجماعةِ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

((عليكم بالجماعةِ وإيَّاكُم والفُرْقة فَإنَّ الشيطانَ مع الواحد وهو من الاثنين أبعدُ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر]

((فإنما يأكلُ الذِّئبُ من الغنم القاصية))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي الدرداء]

((وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلاً))

[مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب]

تقول السيدة عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم: " كان إذا حضرت الصلات كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه "

من شدة اهتمامه بالصلاة، والصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته كلها.

((وجُعِل قُرَّةُ عَيْني في الصلاة))

[أخرجه النسائي عن أنس بن مالك]

ولا خير في دين لا صلاة فيه، والصلاة عماد الدين، فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد ترك الدين، والصلاة غرة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات.

((إسباغ الوضوء في المكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلاً))

[مسند أبي يعلى عن علي بن أبي طالب]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٢٣-١١٦) : أحاديث مختلفة في تربية الأولاد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

العناية بالأطفال من أخطر أعمال الآباء والأمهات :

أيها الأخوة الكرام ، في عقد قران وزع كتاب لطيف عنوانه : منهج التربية النبوية للطفل ، وأنا أتصفحه هذا اليوم وجدت فصلاً لطيفاً ، هذا الفصل مكتوب فيه الأربعون النبوية لا النووية ، الأربعون النبوية للأطفال ، مؤلف الكتاب جمع أربعين حديثاً صحيحاً تتعلق بالطفولة ، وما من بيت في الأعم الأغلب من بيوت المسلمين إلا وفيه طفل ، وهذا الطفل فلذة كبد الأب والأم ، ويسعد الأب بسعادة ابنه ، ويشقى بشقاء ابنه .

لذلك تعد العناية بالأطفال من أخطر أعمال الآباء والأمهات ، فبالعناية بهم يسعدون ، وبإهمالهم يشقون.

أول هذه الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن))

[الطبراني عن علي]

الطفل بحاجة ماسة إلى مثل أعلى ، فإن لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام مُثلاً عليا لابنك ، فالممثلون ، والممثلات ، ولاعبو الكرة ، والساقطون ، والساقطات ، هم المثل العليا لابنك ، الابن في طور التقليد ، في طور التطلع إلى من هو أكبر منه ، فإن لم تملأ هذا الفراغ بصحابي ، بالنبي، بخلق النبي ، بشجاعة النبي ، بكرم النبي ، برحمة النبي ، باستقامة النبي ، بعدل النبي ، بأخلاق أصحابه الأطهار ، تعلق هؤلاء الصغار بأناس ساقطون ، منحرفون ، يعلمون هؤلاء الصغار كل نقيصة ، وكل انحراف ، لذلك هذا الحديث خطير .

((أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال : حب نبيكم))

[الطبراني عن علي]

تطبيق الحديث السابق يكون بتعريف الأولاد بشمائل النبي الكريم و أخلاقه :

طبعاً من السذاجة أن تفهموا هذا الحديث أن يا بني حب رسول الله ، الطريقة لتطبيق هذا الحديث أن تُعرفه بشمائله ، أن تُعرفه بأخلاقه ، ما الذي يمنع أن تجلس مع أولادك بالأسبوع مرة ؟ أن تقرأ

لهم فصلاً من سيرة رسول الله ؟ أنت لا تدري ماذا يحصل بنفس هذا الطفل الصغير ، هكذا كان النبي ، هكذا كان رحيماً ، هكذا كان يصغي الإناء للهرة، يوجد طفل كلما شاهد حيوان يؤذيه هكذا ، من دون فهم ، أما حينما تعلم ابنك أن يصغي الإناء للهرة ، أن يطعم الهرة الجائعة ، أن ينقذ النملة من الغرق ، أن يرحم الحيوان ، أن يعطف على الصغير ، هذه أخلاق .

حدثني أخ عن طفل بأمريكا يتلذذ بالقتل الجماعي ، قتل آنسته وأربعة طلاب ، بلا سبب .

فلذلك هذا الحديث فيه أمر ، والأمر يقتضي الوجوب .

((أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن))

معنى ذلك لا بد من أن تجلس مع أولادك لتعلمهم سيرة النبي ، أمتع جلسة في البيت ، أمتع جلسة بينك وبين أولادك حينما تحدثهم بالعلم ، حينما تجلس جلسة ليس لها علاقة بتنظيف البيت ، ولا بمشكلات البيت ، ولكن لها علاقة بالعلم ، هذا الشيء مؤنس .

القرآن ربيع القلوب و تلاوته وحفظه و فهمه و تطبيقه عبادة :

((وتلاوة القرآن))

هذا القرآن ربيع القلوب ، تلاوته عبادة ، حفظه عبادة ، فهمه عباده ، تطبيقه سعادة ، منهجنا المقرر ، هذه ثلاث فقرات للمنهج النبوي .

((أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه))

لا يوجد شيء أروع في الطفل من أن يتقن القرآن ، يتقن تلاوته ، يتقن فهمه ، يتقن العمل به ، وهذا معنى قوله تعالى :

(يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)

(سورة البقرة الآية : ١٢١)

أن تقرأه قراءة صحيحة ، وأن تفهمه فهماً صحيحاً ، وأن تطبقه تطبيقاً صحيحاً ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

((كنتُ خَلْفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقال لي : يا غلام ، إني أعَلِّمك كلمات احفظ الله يحفظك))

[الترمذي عن ابن عباس]

والله هذا الحديث للصغار والكبار ، احفظ أمر الله يحفظك من كل مكروه ، أنت في أمن ، أنت في سلامة ، أنت في سعادة ، أنت في رضا ، أنت في طمأنينة .

((احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تَجِدْهُ تُجاهَكَ))

[الترمذي عن ابن عباس]

تقع في مأزق ، يا رب ، يقول لك : لبيك يا عبدي ، إن عرفتني في الرخاء أعرفك في الشدة .

((إذا سألتَ فاسأل الله))

لا تسألن بني آدم حــاجة واسأل الــذي أبوابه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حينما يُسأل يغضب

* * *

الإنسان يكبر بأخلاقه لا بماله :

إنسان قال : يا رب إن أعطيتي سأعمر مسجداً ، قال له إنسان ساخراً : من أين لك أن تكون غنياً ؟ هذا شيء من سابع المستحيلات ، قال له : هل أنت أكرم من الله عز وجل ؟ قصة في بلد إسلامي ، إنسان متواضع فقير ، يعيش يوماً بيوم ، يكسب قوت يومه ، فجمع بعض المدخرات المالية ، واستدان ، واقترض ، وكان هناك مولدات كهربائية رائجة جداً في هذا البلد ، فاشترى أربعين مولدة بكل ما يملك مع الديون والقروض ، بعدما اشترى مولدات أسست شركة كهرباء في هذا البلد ، فهذه المولدات لا تباع ، ولا تشترى ، أين يضعها ؟ اشترى أرضاً بعيدة ، ووضع فيها المولدات ، وسورها بشريط شائك، نسي الموضوع كلياً ، حتى أقسم بالله أنه قد نسي الأرض والموضوع كله ، شيء انتهى بيعه ، كان هناك شركات خاصة تنور المدينة ، فلما أسست شركة كهرباء عامة ، فهذه المولدات لا قيمة لها إطلاقاً ، بعد عشر سنوات وصل العمار إلى هذه الأرض ، وأصبحت منظمة باعها بأربعين مليون ريال، وعمر مسجداً ضخماً .

الله إذا أعطى أدهش ، الإنسان أحياناً يسمع قصة يشعر نفسه صغيراً .

حدثني أخ طبيب : أنه يوجد عنده بالمشفى طفل معه مشكلة في قلبه ، يحتاج إلى عملية جراحية ، لأن هناك خلل في قلبه ، والعملية تكلف مئتين و خمسين ألفاً ، وأهل الخير كُثر ، فأُخبر الطبيب أن هذا الإنسان عمليته مغطاة من أحد المحسنين ، الطبيب فرح ، فلما أبلغ هذا الإنسان رفض أن يأخذ هذا المبلغ ، هذا الإنسان ماذا يعمل ؟ عنده ورشة أحذية بالجبل قال له : أنا عندي شيء أبيعه ، أنا أبيع هذه الورشة وأعود صانعاً في صنع الأحذية ، ودع هذا المبلغ لمن لا يجد ما يبيعه ، يقول لي الطبيب : ما وجدت إنساناً عنده شهامة ، وعنده عفة كهذا الإنسان ، وباع الورشة ، ورجع صانعاً ، وعالج ابنه .

القصة الثانية سمعتها اليوم ، آذن فقير جداً ، ورث أرضاً بأحد أحياء دمشق المتطرفة ، ورجل محسن أحب أن ينشئ مسجداً هناك ، كلف مهندساً من أخواننا بأن يبحث له عن مكان مناسبة ، وجد

أرضاً مناسبة ، صاحبها هذا الآذن الذي ورثها من فترة ، ساومه على شرائها كان الثمن ثلاثة ونصف مليون، وكتب شيك ، فلما علم صاحب الأرض أنها من أجل مسجد مزق الشيك وقال : أنا أولى أن أقدمها لله عز وجل ، يقول هذا الرجل الميسور الذي معه مئات الملايين : بحياتي ما صغرت أمام إنسان كما صغرت أمام هذا الإنسان .

الإنسان يكبر بعمل ، ويصغر بعمل ، يكبر حتى تجد أنه لا نهاية لكبره ، هذا القلب يكبر ويكبر حتى يتضاءل أمامه كل كبير ، يصغر ويصغر حتى يتحاقر عليه كل حقير، هناك إنسان دنيء ، وهناك إنسان كبير ، لا يكبرك مالك ، يكبرك أخلاقك ، إنسان في أمس الحاجة لهذا المبلغ قدمه لوجه الله عز وجل ، لبيت من بيوت الله ، الآن المسجد أنشئ وكلف عشرات الملايين ، وصاحب أرض هذا المسجد إنسان فقير ، وهذا الذي رفض أن يأخذ مئتين و خمسين ألفاً قال : أنا عندي شيء أبيعه ، ابق هذا المبلغ لمن لا يجد ما يبيعه .

((إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستَعِنْ بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَتِ الأقلام ، وجَفَّتِ الصُّحف))

[الترمذي عن ابن عباس]

تدريب الطفل على الصلاة في سنٍّ مبكرة :

قال أيضاً عليه الصلاة والسلام :

((مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشْر وفرِّقوا بينهم في المضاجع))

[أخرجه أبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

لاحظ الأب إذا جاء إلى البيت في المساء يسأل زوجته : الأولاد أكلوا ؟ تقول له : أكلوا ، كتبوا وظائفهم ؟ كتبوا ، فقط ، أما صلوا ؟ قلما يسأل عن هذا السؤال ، أما النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا دخل بيته يسأل : الأولاد هل صلوا العشاء ؟ يسأل عن أولاده الصغار أيضاً ، هذا الحرص.

سيدنا عمر طُعن ، وهو إمام ، أغمي عليه ، نزف منه الدم ، فلما أفاق قال : هل صلى المسلمون الفجر؟ لذلك :

((مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشْر وفرِّقوا بينهم في المضاجع))

[أخرجه أبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

سأقول لكم حقيقة ثمنها باهظ : لا تستطيع أن تربي ابنك بالخامسة عشرة إن لم تبدأ تربيته بالخامسة، لا تستطيع السيطرة عليه بعد ذلك ، لا تغفل وتصحو بعد فوات الأوان، لا تهمله وهو صغير ، يكتسب عادات سيئة ، يتعلم كلمات بذيئة ، بعد ذلك تتألم أشد الألم .

أخواننا الشباب الذين عندهم أولاد صغار يجب أن تعتني بابنك من سن الخامسة ، حتى يتشرب الدين ، يتشرب حب الله ورسوله ، يتشرب المسجد ، يتشرب الكلام الطيب ، العفة ، قد يقول أحدكم: هذا أمر تكليفي ، لا ، أمر تأديبي ، عندنا شيء بالفقه اسمه أمر تأديبي ، الطفل إذا بلغ فهو مكلف بالصلاة تكليفاً شرعياً ، الطفل مستحيل أن يصلي فجأة ، لابد من أن تؤدبه على الصلاة من سن مبكرة ، بالسابعة يوجد أمر ، بالعاشرة يوجد ضرب .

احترام شخصية الطفل :

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

((جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : إني أريد هذه الناحية ، الحج ، قال : فمشى معه رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال : يا غلام زودك الله التقوى، ووجهك الخير ، وكفاك الهم))

[المعجم الأوسط عن ابن عمر]

عظمة رسول الله ! كبير ، صغير ، طفل صغير ، غلام :

((فقال : إني أريد هذه الناحية ، الحج ، قال : فمشى معه رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال: يا غلام زودك الله التقوى ، ووجهك الخير ، وكفاك الهم ، فلما رجع الغلام سلم على النبي صلى الله عليه و سلم ، فرفع رأسه إليه ، وقال : يا غلام قبل الله حجك وكفر ذنبك وأخلف نفقتك))

هناك شيء بالتربية اسمه احترام شخصية الطفل ، الأشخاص العظماء تلقوا تربية راقية جداً ، أحياناً الأب يضرب ابنه أمام أصدقائه ، هذا شيء صعب جداً ، هذا إجرام بحق الطفل ، الطفل له مكانة ، له كيان ، عندما ضرب أمام رفاقه حطمته ، وسحقته ، يجب أن تعد للمليون قبل أن تضرب ابنك أمام أولاد خالته ، أمام أولاد عمته ، أمام رفاقه ، تحطمه ، فيما بينك وبينه حاسبه ، وأدبه ، واضربه أحياناً لا يوجد مانع ، لكن احترم له شخصيته ، أحياناً أم يأتي رفيق ابنها لعندها ، فتعمل له عشاء ، هذا العمل يدخل على قلب الطفل من السرور الشيء الكثير ، لا تعرف ، شيء لا يقدم ولا يؤخر ، قال لها :

اعملي لنا عشاء ، فقالت له : تكرم يا بني .

هناك قصة حكاها لنا أخ مقيم بأمريكا ، له ابن و هذا الابن له صديق زنجي ، زاره مرة صديقه الزنجي ، زنجي وثني ، فلاحظ هذا الزنجي أن الابن قبّل يد والده ، وقف باحترام بالغ أمامه ، وعندما عرفوا أهله أن معه صديقه صنعوا له طعاماً وقدموه له ، هذا الشاب الزنجي الوثني أعجبه هذا الدين ، أعجبه احترام الابن للأب ، وأعجبه عناية الأب بصديق الابن ، هيؤوا طعاماً وقدموه له.

أنت بالبيت عليك أن تحترم أصدقاء ابنك المنضبطين ، و عليك أن تكون لطيفاً مع ابنك أمام أصدقائه ، أن تثني عليه ، و تشجعه ، عليك أن تأخذه معك دائماً ، الحياة تحتاج إلى عناية فائقة بالأطفال ، حتى إذا كبر يعجبك ، حتى إذا كبر يكون قرة عين لك .

لذلك أحد أكبر مبادئ التربية احترام شخصية الطفل ، لا تهينه ، لا تحطمه ، الضرب المبرح ، الضرب على الوجه ، السُباب ، الشتائم ، هذه تحطم الطفل ، تجعله مشاكساً، وكل أخ له علاقة بالتعليم، بالمدارس ، الطفل المشاكس المزعج ، المؤذي ، البذيء، هذا طفل يعيش في بيت منهار ، البيت المنهار يفرز أطفالاً سيئين ، والبيت المتماسك يفرز أطفالاً متوازنين .

التعليم خير من التعنيف :

طفل سأل النبي الكريم ، قال له : أريد الحج ، فقال له :

((يا غلام زودك الله التقوى ، ووجهك في الخير ، وكفاك الهم ، فلما رجع الغلام على النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا غلام قبل الله حجك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك))

[المعجم الأوسط عن ابن عمر]

كأنه كبير ، لي قريب له كلمة تعجبني ، قال : هذا الصغير هو كبير لكن قياسه صغير ، عامله ككبير ، احترمه ، دلّه ، اقنعه ، ابنك غلط اقنعه أنت غلطان ، بيّن له ، دعه يكون صادقاً معك ، لا تكن عنيفاً فيكذب عليك بعدها ، عليك أن تشعره أنه يمكن أن يقول لك كل شيء ، يقول لك كل شيء فعله ، اسمع منه ونبهه لا تعيدها .

((علموا ولا تعنفوا ، فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

((إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيء إلا زَانَهُ ، ولا يُنْزَعُ مِن شيء إلا شانَهُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عائشة أم المؤمنين]

مرة سمعت عن طالب بعثه أبوه من أمريكا إلى الشام حتى يتعلم الدين واللغة ، التحق بمعهد ، فغلط غلطة فرفعوه فلقة ، وأهانوه ، كلما يذكر اسم سوريا وهو بأمريكا يرجف تعني هذه البلد أن هناك فلقة .

أحياناً معلم اللغة العربية يكون قاسياً فيكره الطلاب مادته ، أحياناً أستاذ الرياضيات يكون قاسياً فيكره الطلاب مادته ، ينشأ عند الطفل عقدة .

انظر أخلاق النبي قال له :

((يا غلام زودك الله التقوى ، ووجهك في الخير ، وكفاك الهم ـ بعدها قال : ـ قبل الله حجك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك))

[المعجم الأوسط عن ابن عمر]

محبة الأطفال واحترامهم جزء أساسي من التربية :

و عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال :

((خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، حتى إذا رأيت أنني فرغت من خدمتي قلت : يقيل رسول الله ـ أي نائم الآن رسول الله ، يقيل أي من قال يقيل ، نام بعد العصر ـ فخرجت إلى صبيان يلعبون ، قال : فجئت أنظر إلى لعبهم ، قال : فجاء النبي عليه الصلاة والسلام فسلم على الصبيان ، وهم يلعبون ، فدعاني النبي عليه الصلاة والسلام فبعثني إلى حاجة له ، فذهبت فيها ، وجلس النبي الكريم في فيء ـ في ظل ـ حتى أتيته ، واحتبست عن أمي عن الإتيان ، الذي كنت آتيها فيه ، فلما أتيت قالت : ما حبسك ؟ قلت : بعثني رسول الله في حاجة ، قالت : ما هي ؟ قلت : هو سر رسول الله فقالت أمه : فاحفظ على رسول الله سره ، قال ثابت : قال لي يا أنس : لو حدثت فيه أحداً من الناس ، أو لو كنت محدثاً أحد به لحدثتك به يا ثابت))

[البخاري وأحمد ومسلم عن أنس]

أي أعجبه أنه يحفظ سرّ رسول الله ، والله تجد أطفالاً في عهد النبي والصحابة الكبار شيء لا يصدق .

سيدنا عمر يمشي في الطريق فرأى أطفالاً ، عندما رأوه هربوا ، وقف واحد بكل أدب فلفت نظره، قال له : يا غلام لِمَ لم تهرب مع من هرب ؟ قال له : أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك ، ولست مذنباً فأخشى عقابك ، والطريق يسعني ويسعك ، ذكاء ، وأدب، وفهم .

عبد الملك بن مروان ، جاءه وفد للتهنئة ، يتقدمهم غلام ، فغضب ، فوبخ حاجبه و قال له : ما شاء أحد أن يدخل علينا حتى دخل ، حتى الصبيان ؟ فابتسم الغلام ، قال له : أيها الأمير إن دخولي عليك لم ينقص من قدرك ، ولكنه شرفني ، أنت بمقامك بقيت ، وأنا تشرفت بالدخول ، قال له : أصابتنا سنة أذابت الشحم ـ ذاب شحمنا من الجوع ـ وأصابتنا سنة أكلت اللحم ـ أصبحنا جلدة وعظمة ـ وأصابتنا سنة دقت العظم ، أول سنة أذابت الشحم، والسنة الثانية أكلت اللحم ، و الثالثة

دقت العظم ، ومعكم فضول أموال ، فإن كانت لنا فعلامَ تحبسوها عنا ؟ وإن كانت لله فنحن عباده ، تصدقوا بها علينا ، قال : والله ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة عذراً ، أي حاصره .

دخل وفد ثانٍ من الحجاز على سيدنا عمر بن عبد العزيز يتقدمهم طفل صغير ، انزعج ، قال له : اجلس وليقم من هو أكبر منك سناً ، قال له : أصلح الله الأمير ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس ، فأعجبه .

إذا ربيت الطفل ، واحترمت شخصيته ، أعطيته ثقة ، أنا سأقول لكم كلمة : لا يوجد طفل لا يغلط، الأب المربي يوطن نفسه على خطأ ابنه ، لكن البطولة ألا يعاد الخطأ ، يجب أن ترفع هذا الشعار ، ليس العار أن تخطئ ، العار أن تبقى مخطئاً ، العار أن تجهل ، العار أن تبقى جاهلاً .

الملاحظ أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحترم الأطفال ، ويحبهم ، ومحبة الأطفال واحترامهم جزء أساسي من التربية .

الخلق الحسنأكبر مزية يعطيها الأب لابنه :

و عن أنس رضي الله عنه أنه قال :

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلُقا ، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير - وهو فطيم - كان إذا جاءنا ، قال : يا أبا عمير ، ما فعل النُّغير))

[البخاري والترمذي ومسلم وأبو داود عن أنس]

كان له طير اسمه النغير ، فكان عليه الصلاة والسلام يداعبه و يقول :

((يا أبا عمير ، ما فعل النُّغير ؟))

أخواننا الكرام ، صدقوني ، إذا دخلت إلى بيتك ، بيت صغير متواضع ، أكل متواضع ، أثاث متواضع، زوجة وسط ، تستطيع أنت تعمل به بهجة ، بنفسيتك الطيبة ، بمرحك ، بابتساماتك ، بعطفك ، بإيناسك لأطفالك ، وهناك بيت قطعة من الجحيم ، كله شجار، وتكسير ، وكلام بذيء ، أنت بإيمانك ، واستقامتك ، ونظرك البعيد تجعل من البيت جنة ، السعادة لا تأتي بالمال ، لا تأتي من البيت الواسع ، لا تأتي من الأثاث ، لا تأتي من الطعام الطيب تأتي من الود ، والحب ، يمكن أن تأكل أكلاً خشناً مع أولادك ، وهم راضين مسرورين .

((يا أبا عمير ، ما فعل النُّغير))

يقول عليه الصلاة والسلام :

((ما نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً من نَحْلٍ أفضل من أدبٍ حَسَنٍ))

[أخرجه الترمذي عن مرسل سعيد بن العاص]

أي أكبر مزية يعطيها الأب لابنه الخلق الحسن ، إذا قلت : هذا طفل خلوق ، هذه من آلاف الملاحظات، آلاف التوجيهات ، آلاف المتابعات حتى أصبح مهذباً ، والطفل المهذب شيء لا يقدر بثمن.

أنا لا أرى ولا أعتقد أن في الأرض أب أسعد من أب يرى ابنه صالحاً ، النبي عليه الصلاة والسلام علمنا فقال :

((أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ فقال له : يا فلان من هذا معك ؟ ' . قال : أبي . قال : فلا تمش أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تدعه باسمه ، ولا تستسب له ، ولا تدعه باسمه))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

توجيه دقيق ، إذا كنت تمشي أنت وابنك ، فعلى الابن أن يمشي وراء أبيه ، دخلتم إلى غرفة على الابن ألا يجلس قبل أن يجلس والده ، ولا يعمل عملاً يتسبب له بمسبة ، ولا يناديه باسمه ، هذه قاعدة علموها لأولادكم .

قواعد هامة على الطفل أن يتعلمها :

و كان عليه الصلاة والسلام يقول :

((ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

نظر إلى أبيه هكذا ، زوره ، هذا عاق لوالديه ، أقل إساءة تعد عقوقاً .

(فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا)

(سورة الإسراء الآية : ٢٣)

لو أغلقت الباب بعنف كأنك قلت له : أف ، على الهاتف يحدثك ، تضايقت لأنك طلبت منه مبلغاً فقال لك : ليس معي نقود فطبقت السماعة هذا عقوق له ، يجب أن تودعه ، أما أن تطبق السماعة أمامه ! هذه إساءة بالغة جداً .

((ما بر أباه من سدد إليه الطرف بالغضب))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه))

[أخرجه الطبراني عن عبادة بن الصامت]

نفى عنه أن ينتسب إلى أمة محمد .

((من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا و يعرف لعالمنا حقه))

وكان النبي يعلم الصغار إذا قرعوا الباب أن يعطوا ظهرهم للباب ، يدق الطفل أمام الباب هكذا ، كأنه يراقب البيت ، تفتح المرأة مستعجلة رآها كما هي ، فالسنة إن طرقت الباب أن تعطي ظهرك للباب ، يمنة أو يسرة .

على الأب و الأم تجنب الكذب أمام أولادهم :

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال :

((كنتُ غُلاما في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يَدي تطيشُ في الصحفة ـ يعني يصل إلى محل بعيد ـ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلامُ سَمِّ اللَّه ، وكلْ بيمينك ، وكلْ مما يلَيك))

[متفق عليه عن عمر بن أبي سلمة]

هذا أدب الأكل ، نحن عملنا سابقاً ثلاثين درساً في تربية الأولاد في الإسلام ، من فضل الله لاقوا قبولاً حسناً في كل الأوساط ، هناك قسم عن التربية الإيمانية ، وقسم عن التربية الأخلاقية ، والتربية العقلية، والتربية الجسمية ، والتربية النفسية ، والتربية الاجتماعية ، والتربية الجنسية ، وكلها آيات وأحاديث رائعة جداً تبين ماذا ينبغي على الآباء أن يفعلوا في تربية أولادهم ؟

وقال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ قالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فهيَ كَذْبَة))

[أحمد عن أبي هريرة]

لي قريب مقيم بأمريكا جاء بالصيف ، معه ابن عمره خمس سنوات ، يبدو أنه لعب زيادة في النهار ، فقالت له جدته : اركن وسآخذك في المساء إلى الحديقة ، فصدقها ، في المساء لم تأخذه ، فقال لها : أنت كاذبة ، بصراحة ، لا تكذب على ابنك .

((مَنْ قالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فهيَ كَذْبَة))

[أحمد عن أبي هريرة]

دقق ، بابا قل له : لست هنا ، معنى هذا أن الأب كاذب ، بابا يقول لك : ليس هنا.

تخرج مع ابنتها إلى مكان ما ، و يعودون إلى البيت عند الظهر ، يسألها زوجها أين كنتم ؟ تقول له : لم نخرج ، فالبنت الصغيرة رأت أمها تكذب ، خرجت ، ورجعت ، وهي مع أمها ، قالت له : ما خرجنا، هذه أخطاء كبيرة جداً .

الجنة لمن ربى بناته أو أخواته و تعهدهم بالرعاية و الحنان :

كان عليه الصلاة والسلام من أحسن الناس خلقاً :

((خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، والله ما قال لي أفّ قط ، ولا قال لشيء : لم فعلت كذا ، وهلا فعلت كذا ؟))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنهم]

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خُلُقا فأرسلني يوماً لحاجة . فقلتُ : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجتُ حتى أمُرّ على صبيان ، وهم يلعبون في السوق فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بقفاي - من ورائي - فنظرت إليه وهو يضحك . فقال : يا أنيس ، ذهبتَ حيث أمرتك ؟ قال : قلتُ : نعم ، أنا أذهبُ يا رسول الله . قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ، ما علمته قال لشيء صنعته : لم صنعت كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هَلا فعلت كذا وكذا ؟))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنهم]

ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام يعد كل أب عنده بنات ، قال :

((مَنْ كان له ثلاثُ بَنَاتٍ ، أو ثلاثُ أخواتٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري]

بنت فاتها قطار الزواج مصيرها عند أبيها ، الأخت أحياناً تكون عبئاً على أخيها أما المؤمن ليست عبئاً عليه ، الحديث هذا : الجنة لمن ربى بناته أو أخواته ، قال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ كان له ثلاثُ بَنَاتٍ ، أو ثلاثُ أخواتٍ أو بِنْتان ، أو أختان ، فأحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ ، واتَّقى الله فيهنَّ ، فله الجنة))

أخت ، أو بنت ، هذه إضافة رائعة ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول :

((أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

وكان عليه الصلاة والسلام :

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَصُفُّ عبد الله وعبيد الله وكثيراً بني العباس ثم يقول : من سبق إلي فله كذا وكذا قال : فيستبقون إليه ، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم))

[أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن الحارث]

يصفهم ويقف بعيداً ، ويقول : تعالوا إلي تسابقوا ، من شدة السرعة يقعون على ظهره وعلى صدره ، فيقبلهم ، ويلتزمهم .

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مع الصغار :

أردت من هذا الدرس أن تقفوا في أخلاق النبي مع الصغار ، لا يوجد بيت إلا و فيه صغار ، بهدوئك ، وحلمك ، ومحبتك ، وعدلك بين أولادك ، وأنت اتصالك بالله يعمل عندك قوة جذب وإشعاع ، الانقطاع عن الله يسبب جفوة ، فالبيت يمكن أن يكون قطعة من الجنة ، بابتسامة لطيفة ، ومداعبة ، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً ، كان يقول :

((أكرموا النساء ، والله ما أكرمهن إلا كريم))

[ورد في الأثر]

البنات الصغار ، المؤنسات الغاليات ، يمكن أن يكون بيتك جنة ، بأي مستوى مادي ، بأي موقع ، بأي مساحة ، بأي دخل ، بأي أكل ، بأي أثاث ، فبإيمانك ، واستقامتك ، ومحبتك ، هؤلاء الصغار يصبحون أصدقاءك ، وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يحب الصغار ، ويحترمهم ، ويسلم عليهم ، حتى في بعض الأحاديث أنه كان يتسابق معهم ، شيء لا يصدق ، و في بعض الأحاديث كان يركبهم أمامه على الناقة ليفرحوا .

أيها الأخوة :

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)

(سورة الأحزاب)

اعتن بالصغار قدر ما تستطيع ، ودللهم ، وأحبهم ، وأكرمهم ، حتى ينشؤوا مؤمنين طاهرين ، حتى يكونوا قرة عين لك ، حتى يكونوا صدقة جارية من بعدك .

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له))

[أخرجه مسلم وابن خزيمة عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢٤-١١٦) : كتاب الطهارة - الترغيب في المحافظة على الوضوء وتجديده

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستقامة على أمر الله سرّ المفارقة العجيبة بيننا و بين أصحاب الرسول:

عن ربيعة الجوشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((استقيموا ونعما إن استقمتم وحافظوا على الوضوء فإن خير أعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وإنه ليس أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

أيها الأخوة، لو وازنت بين أصحاب رسول الله رضي الله عنهم أجمعين، وبين أمة النبي عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، وجدت مفارقة عجيبة، كانوا قلة، وقد نصروا على أعدائهم، ونحن كثرة كثيرة، وليست كلمتنا هي العليا، كانوا قلة متحابين ونحن كثرة متخاصمين.

الحقيقة لا بدّ من أن نبحث عن سر، السر هو الاستقامة، أي بيدنا معلومات الآن أضعاف مضاعفة عما كانت بين أيديهم، العلم ميسر جداً، كتاب حديث في كل شيء، الأحاديث مضبوطة ومشروحة، القرآن الكريم ميسر كتابة، وسماعاً، وشريطاً، وتعليماً، التيسير العلمي الآن بالعالم الإسلامي يفوق حدّ الخيال.

سمعت عن برنامج لشرح الأحاديث، كتاب البخاري شرحه فتح الباري، يقدر بأربعين جزءاً، كتاب مسلم شرحه الإمام النووي، التسع كتب الصحيحة مع شروحها، وكل شرح أربعون جزءاً، على شريط واحد، أي كلمة من حديث مع شرحه، الأمور ميسرة، ما بال هؤلاء المسلمين على كثرتهم هم ضعاف، مشتتون، للكافر عليهم ألف سبيل وسبيل ؟!

بطولة الإنسان أن يكون مستقيماً أميناً و عفيفاً:

مفتاح الموضوع هو الاستقامة، أصحاب النبي عليهم رضوان الله استقاموا، والمسلمون المتأخرون عبدوا الله، العبادات الشعائرية، صلوا، وحجوا، وزكوا، أما العبادات التعاملية الصدق، والأمانة، والاستقامة، والعفة، هذه تساهلوا بها كثيراً، فكأن هذا الدين تفلت من أيديهم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((استقيموا ونعما إن استقمتم))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

للتوضيح: إنسان يقول ألف مليون، ما هذا الرقم ؟ لم يجد بيتاً بالجبل، لم يستطع أن يزوج ابنه، ألف مليون يحلون كل مشاكله بشكل مادي، بين أن تنطقها وبين أن تملكها، مسافة كبيرة كثيرة، أفقر الفقراء ينطقها، لكن ما كل إنسان يملكها.

فالدين إن تكلمت به ولم تكن مستقيماً النطق به سهل، أما غض البصر غير سهل، أن تكون صادقاً مئة بالمئة هنا البطولة، أن تكون أميناً، أن تكون عفيفاً.

الوضوء سلاح المؤمن:

إذاً:

((استقيموا ونعما إن استقمتم وحافظوا على الوضوء))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

أي الوضوء سلاح المؤمن، شعوره أنه في عبادة، وعلى عبادة، وجاهز للصلاة، و إن أحب أن يقرأ القرآن فهو طاهر، و إن أحب أن يمسك المصحف فهو طاهر، أدركه الوقت، كان في الطريق، كان عند أناس، أذن المؤذن، دخل فصلى.

الصلاة خير أعمال الإنسان من أجل الاتصال بالله:

((وحافظوا على الوضوء فإن خير أعمالكم الصلاة))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

الآن هناك نقطة: الصلاة من أجل الاتصال بالله، الصيام للاتصال، الحج للاتصال، الزكاة للاتصال، غض البصر للاتصال، ضبط اللسان للاتصال، تحرير الدخل للاتصال، ضبط البيت للاتصال، كل الذي تعمله من أجل أن تتصل بالله.

((فإن خير أعمالكم الصلاة))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

وإذا الإنسان لم يتصل بالله لم يفعل شيئاً، فالتاجر إن لم يربح في تجارته فكل نشاطه الآخر ليس له معنى، إن مارس ألف نشاط و لم يربح فهو ليس بتاجر، اشترى محلاً لا يهم، زينه لا يهم، عين موظفين لا يهم، استأجر مستودعات لا يهم، ربح صار تاجراً.

اتصل بالله: معناها مسلم، معناها قطف ثمار الدين، معناها شعر بالسكينة، معناها شعر بالطمأنينة، معناها شعر بتفاهة الدنيا، وعظمة الآخرة، هذه الصلاة.

لذلك: لا خير في دين لا صلاة فيه.

المنافق:

(وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى)

(سورة النساء الآية: ١٤٢)

المستقيم الصلاة عنده خير أعماله:

لاحظ أنت دائماً ما دام ليس لك أية مخالفة، تحس كأنك قريب من الله دائماً، وجاهز، وحينما تنعقد الصلاة تعرج نفسك إلى الله عز وجل.

أحد الشيوخ له تمثيل جميل ـ قبل الكهرباء كان في البيوت كازات ـ قال: المؤمن المستقيم مثل كاز مستودعه ملآن، وفتيلته مقصوصة، وبلورته ملمعة، وجرسه مجلس، لمجرد أن يقرأ القرآن، أو يتصل بالله، أو يصلي، تعرج نفسه إلى الله، أما المنافق المستودع فارغ، والجرس معطل، والفتيلة محروقة، والبلورة متسخة، فالأمور غير ميسرة.

مادمت تشاهد الأفلام لمنتصف الليل، و تسهر على أشياء ساقطة، صار عندك شعور أنك لست مع الله عز وجل، لو صليت تصلي بتكاسل

(وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى)

فالإنسان ما لم يضبط بصره، أي ينظر، يحكي، يصافح، يملأ عينه من الحرام، يغتاب الناس، أحياناً يصغي إلى قصص الناس، لا يهتم بإقامة الدين في بيته، تجد الصلاة صارت عنده شكلية. فأنت عندما تصلي بشكل صحيح، أنت ديّن صحيح.

((فإن خير أعمالكم الصلاة))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

الحقيقة هذه الكلمة فيها معنى مختلف، معناها أنت مستقيم، ما دامت الصلاة خير أعمالك معنى ذلك أنت مستقيم.

إخبار الأرض يوم القيامة عن أعمال الإنسان كلها:

((وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وإنه ليس أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)

(سورة الزلزلة)

أثقال الإنسان، الإنسان المخلوق الأول.

(وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)

(سورة الزلزلة)

أي الأرض التي فيها الإنسان سوف تخبر عن كل أعماله.

المؤمن عمله طيب كيفما تحرك الناس يلهجون بالثناء عليه والأرض تتبارك به:

الشيء الجميل أيها الأخوة: المؤمن عمله طيب، أي كيفما تحرك الناس يلهجون بالثناء عليه، الأرض تتبارك به.

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)

(سورة الدخان).

المعنى المخالف، المؤمن تبكي عليه السماوات والأرض، مثلاً مات عالم فخرج في جنازته مليون إنسان، لماذا خرجوا ؟ لم يسوقهم أحد، ولم يجبرهم أحد على الخروج، لكن محبة، معنى هذا أن عمله طيب.

عندما الإنسان تكون صلاته صحيحة معنى هذا أنه مستقيم:

((وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وإنه ليس أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

العجيب أن هذا الأعرابي الذي سأل النبي أن ينصحه، وأن يعظه، وأن يوجز، " قال له: عظني و لا تطل ؟ تلا الرسول الكريم عليه قوله تعالى:

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ)

(سورة الزلزلة)

قال: كُفيت، فلما قال: كُفيت، قال: فقُه الرجل ".

طاعة الله و إزالة المنكرات أساس صلاح العلاقة مع الله عز وجل:

إذاً: الإنسان يصلح علاقته مع الله بطاعته لله عز وجل، و بإزالة المنكرات:

حدثنا أخ بكلام طيب، له اختصاص نادر، وتعاقد مع شخص على حلّ مشكلة في معمله، فقال له أثناء المساومة على الأجر: أنت بحاجة لي، أنا لست بحاجة لك، هذه الكلمة فيها شيء من الاعتداد بالنفس، اختصاصه نادر، وصاحب المعمل فاوضه على السعر، قال له: أنت بحاجة لي، وأنا لست بحاجة إليك، لا تريد مع السلامة، فطبعاً رضخ صاحب المعمل، قال لي: اشتغلت سبعة أيام بأكملها

والطريق مسدود، لم يصل إلى العطل، فقال: عندي مشكلة ـ هذا الأخ موحد ـ ثم ترك العمل وجاء إلى البيت، سبعة أيام، وكل يوم ثماني ساعات، و المشكلة لم تحل، وليس هذا من عادتي، أي بيوم أو يومين تحل مشاكله كلها، راجع نفسه مرحلة، مرحلة، وقف عند هذه الكلمة أنه: أنت بحاجة لي أنا لست بحاجة لك، هذه الكلمة فيها اعتداد، عندما الصحابة قالوها الله ما نصرهم، وعندما قالوا:

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

نحن كثر، فالله خذلهم بحنين، قال:

(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ)

(سورة التوبة)

استغفر الله عز وجل، باليوم الثامن ذهب إلى المعمل خلال دقائق كشفت الأمور ونجح بعمله.

محاسبة الإنسان لنفسه أساس صلته بالله عز وجل:

الإنسان إذا عنده هذه المحاسبة معنى هذا أنه وصل إلى شيء ثمين، إذا كان يراقب كلماته، يراقب حركاته وسكناته، يراقب أقواله، يراقب بصره، سمعه، لقاءاته، أحزانه، أفراحه، إذا شخص لا أقول مطلقاً لكن قدر إمكانه يمشي بشكل صحيح، ضمن معلوماته لا يوجد غلط، و لم يرتكب معصية وهو يعلم أنها معصية، كلنا نخطئ لكن عن غير قصد، أما يعلمها معصية ويفعلها ؟ مستحيل أن يكون له صلة بالله عز وجل، هذه معنى الاستقامة.

لذلك:

((وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وإنه ليس أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

كنا من يومين عند شخص تكلم لنا عن حجته مع رئيس فوج، مدحه كثيراً، أثنى عليه كثيراً، أثنى على نزاهته، مثله مثل أي إنسان آخر، أدى المناسك بشكل جيد، و بعدما انتهى هذا الرجل من حديثه، قلت له: كلفك أن تمدحه، قال: لا، قلت له: رأيت الاستقامة كيف تظهر ؟

من دون أن يشعر أمضى الوقت بالحديث عن رئيس الفوج، وعن نزاهته، واستقامته، وعن حجمه، وعن قيادته، وعن عفته، قلت له: هو كلفك أن تمدحه ؟ قال: لا والله، لماذا تمدحه ؟ قال: بشكل غير شعوري.

المستقيم والطاهر يرفع الله ذكره بين الناس:

إذاً: عندما تكون بشكل مستقيم، تكون طاهراً، تكون عفيفاً، تكون منضبطاً، تجد الله يرفع ذكرك.

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

(سورة الشرح)

أينما ذكرت تتعطر بك المجالس، هكذا فلان فعل، الإنسان يموت لكن له أعمال طيبة جداً، أينما وحيثما يُذكر تذكر أعماله، وهذا العمل إذا عند الناس هكذا فكيف عند الله عز وجل ؟.

حدثني شخص استورد بضاعة، ابنه في أمريكا هو الذي هيأها له، وصلت للجمرك، فتحوها بالجمرك، فحصوها، وصدقوها، و لكن عندما فتحها الأب وجد تحت البضاعة كتباً ثمينة جداً، فالابن كان قد وضع الكتب بأرض هذه الكراتين، وفوقها البضاعة، فعندما كشفوا عن البضاعة لم ينتبهوا للكتب، فالأب إنسان مستقيم عندما اكتشف الكتب، قال لهم: أعيدوها إلى الجمرك، ونبهوهم إلى الكتب التي لم ندفع عليها.

هذه القصة من عشرين سنة، من عشرين سنة إلى الآن لا يمكن أن تفتح بضاعة هذا الإنسان، وثقوا به، ما دام البضاعة خرجت وانتهى الأمر، وأعادها لهم، ودفع عن بعض البضاعة التي لم يأخذوا قيمة لرسومها من عشرين سنة إلى الآن بضاعة فلان مستحيل أن تفتح، فهذا مع إنسان هكذا فكيف مع الواحد الديان؟.

الاستقامة أساس الدين:

هناك شخص تؤمنه على روحك، تؤمنه على عرضك، تؤمنه على مالك، مطمئن، مالك عنده كأنه بجيبك، هذا شيء ثمين جداً، لو نحن نعيش بهذه الحالة الواحد منا يرتاح كثيراً.

أنا مرة أحد أخواننا يعمل بالدهان، لا أستطيع أن أجلس معه، بعثت الأهل لبيت أهلهم، وأنا بعملي، هذا البيت لا يوجد فيه شيء مغلق عليه، الجيران استغربوا هذا، لأن هذا الإنسان مؤمن لا يمكن أن يفتح درجاً، و لا يمكن أن يعمل عملاً خلاف الأصول.

إذا شخص يعيش مع أخوان مؤمنين و مستقيمين فالحياة قطعة من الجنة، في محبة، في طمأنينة، في شعور بالأمن، الناس مع بعضهم مثل الذئاب، ينام بعين ويفتح عيناً يخاف أنه إذا أغمض الاثنتين قضي عليه.

فدائماً هناك معركة، فالاستقامة مفتاح التشغيل للدين.

((استقيموا ونعما إن استقمتم وحافظوا على الوضوء فإن خير أعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وإنه ليس أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به))

[رواه الطبراني في الكبير عن ربيعة الجوشي]

النبي قال:

((تركتكم على بيضاء نقية، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك))

[أحمد عن العرباض بن سارية]

الله يلهمنا الاستقامة.

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)

(سورة هود الآية: ١١٢)

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢٥-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في بناء المساجد في الأمكنة المحتاجة إليها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

أخطر الأعمال إيجاباً أو سلباً هي الأعمال التي تستمر بعد الموت :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً كراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته))

[رواه ابن ماجه واللفظ له وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وإسناد ابن ماجة حسن والله أعلم]

أيها الأخوة ، العمر محدود ومهما طال ، الأعمال التي تتم في عمرك المحدود تنتهي عند الموت ، ولكن هناك أعمالاً لو أن الإنسان مات هي مستمرة بعد موته ، وهذا من فضل الله الكبير ، هناك أعمال لا تنقطع ، لو أن إنساناً بنى مسجداً ، أو ساهم في بناء مسجد ، أو أسس مسجداً ، أو حقق منافع لمسجد، أو عمر مسجداً بوجوده ، وصلواته ، وذكره ، يعني أي شيء يتصل بالمسجد هذا عمل متصل بعد الموت .

والعلماء قالوا : إن أخطر الأعمال إيجاباً أو سلباً هي التي تستمر بعد الموت فالذي أسس ملهى ، ومات ، وهذا الملهى قائم ، فيه كل المنكرات ، هذا كله في صحيفته بعد موته ، والذي أسس مسجداً بشكل أو بآخر ، بقسط أو بآخر ، بطريقة أو بأخرى ، أي له خدمات لمسجد ، هذا العمل لا ينتهي عند الموت بل يستمر بعد الموت .

أعظم عمل على الإطلاق أن تخلف ولداً صالحاً يدعو إلى الله من بعدك :

الحديث التالي من أجمع الأحاديث المتعلقة بالأعمال التي لا تنقطع بأعمال صاحبها ، وهو معروف عندكم جميعاً :

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

أنا مرة حضرت تعزية لأحد علماء دمشق الأفاضل ، و التعزية كانت في الأموي ، فبعد أن قبل أهل المتوفى العزاء من أكثر الناس جرى احتفال ، فقام الخطباء واحداً تلو الآخر يثنون على المتوفى ، وعلى جهاده ، وعلى عمله ، وعلى خطبته ، ثم قام ابن المتوفى ، فألقى كلمة لفتت الأنظار ، لأن الأب قد اعتنى به عناية كبيرة ، وكان من بين الحضور وزير الأوقاف ، فارتجل هذا القرار وأمر أن يكون ابنه مكانه في جامعه نفسه ، والله أنا بكيت ، قلت : معنى ذلك أنه لم يمت، هذا الذي خلف هذا الشاب ، يخطب مكان أبيه ، يدعو إلى الله ، وله سمت حسن ، ولغة فصحة ، وتربية عالية .

إذاً الإنسان عندما يعتني بأولاده هذا عمل مستمر .

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

يبدو أن أعظم عمل على الإطلاق أن تخلف ولداً صالحاً يدعو إلى الله من بعدك ، وهذا يحتاج إلى جهد، فالحديث الجامع المعروف عندكم :

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الإنسان البطل هو الذي يدع أثراً من بعد موته :

أنا مرة أفتح تفسير القرطبي حول آية كريمة أذكرها :

(أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ)

(سورة فاطر الآية : ٣٧)

الإمام القرطبي فسر هذه الآية تفسيراً جميلاً ، قال : هذا النذير هو القرآن الكريم ، وهذا النذير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا النذير سن الربعين ، وهذا النذير سن الستين ، وهذا النذير اكتمال العقل ، وهذا النذير الشيب .

((عبدي كبرت سنك وانحنى ظهرك وضعف بصرك وشاب شعرك فاستح مني فأنا أستحي منك))

[ورد في الأثر]

وهذا النذير المصائب ، وهذا النذير موت الأقارب ، أذكر أنني أخذت هذا التفسير وجعلت منه خطبة مفصلة ، وتركت أثراً طيباً ، ثم فكرت ، قلت : هذا الذي ألف هذا التفسير هو الآن تحت أطباق الثرى ، لكن كتابه ينطق بعمله ، وهأنذا أخذت منه بعد ألف عام .

إذاً الإنسان البطل هو الذي يدع أثراً من بعد موته ، علم ينتفع به .

خير الأعمال علم تنتفع به و تنشره في حياتك و يبقى أثره بعد مماتك :

الإحياء ، الذي ليس عنده الإحياء ليس من الأحياء ، هكذا قالوا ، خذ الإحياء ودع اللحية .

إذاً كتاب الإحياء من أعظم الكتب التي ألفها الإمام الغزالي ، درسه انقضى بموته ، لكن كتابه لم ينقض، إما أن تؤلف القلوب وإما أن تؤلف الكتب ، أن تدع أثراً من بعدك ، جامع بنيته ، مستشفى أسستها ، دار أيتام عمرتها ، ولد صالح تركته ، علم ينتفع به ، كتاب علم ديني راج واستفاد الناس منه، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره))

[أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة عن أبي هريرة]

علمه في حياته ، ونشره في حياته ، واستمر أثره بعد موته .

البارحة في درس السبت ، أردت أن أداعب طلابي مرة ، قلت لهم : من يذكر منكم اسم تاجر كبير عاش في الشام في عام ١٨٧٥ وله مئة درجة ؟ فكر الطلاب جميعاً ، و لم يتكلم أحد بكلمة ، قلت لهم : وأنا مثلكم لا أعلم ، من منا لا يعرف أبا حنيفة ؟ الشافعي ؟ ابن حنبل ؟ سيدنا صلاح الدين ؟ سيدنا عمر بن الخطاب ؟ ذكرت أسماء أعلام كلهم يعرفونهم ، هؤلاء تركوا أعمالاً جليلة بعد موتهم ، سيدنا صلاح الدين والله كلما مررت أمام قبره أشعر بقشعريرة ، أرسلت أوربا له سبعة و عشرين جيشاً ، وكل جيش قائده ملك ، وسيدنا صلاح الدين ردّ هؤلاء الجيوش ورفع رأس المسلمين عالياً إلى يوم القيامة .

القدوة قبل الدعوة والإحسان قبل البيان والترغيب قبل الترهيب :

أخواننا الكرام ، رب الصحابة ربنا ، إلههم إلهنا ، الحياة هي هي ، الظروف هي هي ، بإمكانك أن تدع علماً ينتفع به بعد موتك ؟

أقول لكم بصراحة : هناك شيء متاح لنا جميعاً ، ولا يوجد عليه إشكال إطلاقاً ، أن تتعلم وأن تعلم، والله عز وجل سمى هذا جهاداً كبيراً ، قال :

(وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)

(سورة الفرقان)

والهاء هنا به تعود على القرآن الكريم ، الإنسان إذا طلب العلم ، وإذا علم العلم وإذا ساهم في هداية الناس ، العمل يحتاج إلى صبر ، وإلى هدوء ، وإلى نفس طويل ، هناك إنسان لا يوجد حوله

أشخاص، بشر حوله بشر ، الكلمة الطيبة صدقة ، الزيارة صدقة ، المتابعة ، التفقد ، الإحسان ، الهدية ، هؤلاء الذين حولك لهم عليك حق ، ولك إليهم سبيل ، تفتح قلوبهم بالإحسان ، و تسكتهم بالقدوة ، أما بالكلام لا تسكتهم ، القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، والترغيب قبل الترهيب.

الإنسان لا يعلم ، أحياناً الإنسان يستغرب ، شركة من شركات السيارات ، فائضها النقدي قبل عامين ألف مليون دولار ، و هي شركة عادية بألمانيا ، عندها فائض نقدي ، غير مستثمر ، ليس له وجه للاستثمار ، إذا إنسان يملك هذه الشركة أيعد فقيراً ؟ لو ملك كل شركات السيارات الكبرى، لو ملك كل شركات الطائرات الكبرى ، وثمن الطائرة ثلاثمئة أو أربعمئة مليون ، تصنع في ثمان و أربعين ساعة، لو أنك تملك هذه الشركة كم هو حجمك المالي ؟ .

النبي لا ينطق عن الهوى ، وكلامه حق :

((يا علي لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس))

[أخرجه الحاكم عن أبي رافع]

لك مشاهدة ، يجب أن تسعى ، تجمعه مع أهل العلم ، تعطيه شريطاً ينصحه ، تنقل له درساً ، تخدمه ، تزوره ، تتفقده ، تتصل به هاتفياً ، حتى يشعر بالعطف ، و يشعر بالاهتمام .

أعظم عمل على الإطلاق أن يسمح الله لك بهداية إنسان :

أنا الذي أراه أن أعظم عمل على الإطلاق أن يسمح الله لك بهداية إنسان ، فكيف إذا كان أكثر من مسلم، النبي عليه الصلاة والسلام كل من اهتدى إلى الله من آدم إلى يوم القيامة في صحيفته .

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

(سورة الأنبياء)

للآية تفسير طويل ، أنه كيف يهتدي به من أتى قبله ؟ لأن الأنبياء صلوا وراءه وارتقوا بأممهم ، وكل من عرف الله ، وكل من أسلم وجهه لله في صحيفة رسول الله ، الله إذا أعطى أدهش ، عطاء الدنيا ليس بعطاء ، هذه الدنيا لأنها تنتهي بالموت ليست عطاء ، الله عز وجل يعطي المال لمن لا يحب ، أعطاه لقارون ، يعطي الملك لمن لا يحب ، أعطاه لفرعون ، ولمن يحب ، أعطاه لسليمان ، أعطاه لعبد الرحمن بن عوف ، لكن ليس مقياساً ، لا عطاءً ولا منعاً .

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

(سورة القصص)

نشر العلم يمتد إلى ما بعد الموت :

الحديث الجامع :

((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً تركه أو مسجداً بناه))

[أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة عن أبي هريرة]

يخطر في بالي أحياناً الإمام النووي ، ترك رياض الصالحين من أبرك كتب الأحاديث على الإطلاق ، كتاب فيه أحاديث صحيحة مختارة من موضوعات رائعة ، و هذا المنذري ترك الترغيب والترهيب ، هؤلاء العلماء الذي تركوا هذه الآثار ، الأذكار للنووي ، الذين ألفوا كتب الفقه، الذين ألفوا كتب السيرة، الذين فسروا كتاب الله ، وقد نجحوا في أعمالهم فراجت مؤلفاتهم بعد موتهم ، وهي مراجع الآن.

مرة كنت في استنبول دخلت إلى معهد شرعي ، دخلنا إلى غرفة أحد المدرسين بالمعهد الشرعي، نظرت فوجدت كتب البخاري ، ومسلم ، والقرطبي ، وتفاسير أخرى ، أينما ذهبت هناك مرجع ، فسلمت عليه ، ورحب بي باللغة العربية ، ثم قال لي : أنا أحضر خطبك لخمس سنوات وأنا في دمشق، سبحان الله ! شعرت بسعادة كبيرة ، أن هذا العلم الذي يُنشر في المدينة أنا لي نصيب منه في نشره .

الإنسان عندما يتكلم كلمة الحق لا يدري أين تنتهي هذه الكلمة .

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً)

(سورة المائدة الآية : ٣٢)

خير البلاد مساجدها و شرها أسواقها :

فلذلك أيها الأخوة ، يجب ألا ننام الليل ، ليس قصدي ألا ننام الليل ، لكن قصدي أن الإنسان يسعى سعياً حثيثاً ، يترك أثراً بعد موته ، إن اعتنى بأولاده هذا باب ، إن اعتنى بإخوانه باب آخر ، إن ترك علماً ينتفع به باب ثالث ، إن بنى مسجداً باب رابع .

هناك إنسان يتكلم ، وهناك إنسان عمّر مسجداً ، ما قيمة الكلام بلا مسجد ؟ لا يوجد كلام بلا مسجد، هذا المكان الذي جمعنا ، هذا المكان الذي فيه كل وسائل الراحة ، هؤلاء الذين ساهموا في بنائه ، وفي تأسيسه ، وفي تأمين إنارته .

مرة النبي عليه الصلاة والسلام في أحد الصحابة اسمه تميم الداري ، كان في الشام ، اشترى قناديل جميلة جداً ، قناديل تربط في السقف بحبال ، جاء بها إلى المدينة وعلق هذه القناديل في

مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأشعلها بعد أن علقها ، فدخل النبي فوجد المسجد منور ، قال : من فعل هذا؟ قالوا : تميم ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : نور الله قلبك يا تميم ، لقد نورت الإسلام ، لو أن عندي بنتاً لزوجتك ، فقال له أحد الصحابة : أنا عندي بنت سأعطيها له ، طبعاً تزوج بنت أحد الصحابة .

هذا بيت الله ، النبي قال :

((خير البلاد مساجدها))

[ورد في الأثر]

وقال :

((شَرُّ الْبِلَادِ الْأَسْوَاقُ))

[حديث حسن أخرجه الإمام أحمد]

تجد أسواقاً جميلة جداً ، البضائع معروضة بأبهى حلية ، تأتي امرأة مع زوجها اشترِ لي هذا الثوب، فإن كان لا يملك ثمنه تشاجروا و علا صوتهم ، عرض الحاجات بشكل مغرٍ وأسعارها غالية ، أربعة أخماس الناس دخلهم محدود إذا مروا بالأسواق يحترق قلبهم ، شيء جميل ، كله جميل لكن لا يوجد نقود ، أما إذا الإنسان جاء للمسجد هو وزوجته يخرجون متفاهمين أكثر ، يزدادون محبة ، سمعت ماذا تكلم الشيخ ؟ يتعاطفون ، أما بالأسواق يتشاجرون .

الغنى بالإسلام هو إنفاق المال في سبيل نشر الحق :

كل إنسان له عمل بمسجد ، ببنائه ، بتأسيسه ، بكسوته ، بتحسين مرافقه ، بتكبير الصوت ، بإنارته، بالتدريس فيه ، أي عمل وكلنا عند الله سواء ، كلنا عند الله أعضاء بأسرة واحدة ، أنا من أنصار عدم التفرقة ، الذي بذل جهداً كبيراً في إنشاء مسجد هو له أجر لا يقل عن الذي يتكلم به ، لأن إعمار المسجد ببنائه ، وإعماره بالتدريس ، وإعماره بالصلاة فيه ، فكل واحد عضو بأسرة ، وكل واحد له نصيب ، وله أجر .

أحياناً الإنسان بأفق ضيق يظن أن الله له وحده ، يظن الجنة فقط له ، الله والجنة لكل الناس ، لكل المؤمنين ، كل واحد بحسب أخلاقه ، بحسب بيته ، هذا يبذل ماله ، النبي قال :

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

انظر إلى هذا الحديث :

((رجلٌ آتَاهُ اللَّهُ القرآنَ فقام به آناء اللَّيل وَآنَاءَ النَّهار ورجلٌ أعْطاهُ اللَّهُ مالا فهوَ يُنْفِقهُ آنَاءَ اللَّيل وآناءَ النَّهار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

ليس أقل منه أبداً ، هذا أعطاه الله مالاً ، كنت مرة بتركيا ، سمعت أن رجلاً من كبار أغنياء تركيا قدم ثلاثمئة مليون دولار للدعوة إلى الله ، كان أحد علماء الشام هناك أراد أن يتعرف إليه ، قال : والله أتمنى أن أراه ، ففي اليوم التالي دُعوا إلى طعام الفطور ، جلس هذا العالم الذي من دمشق ينتظر هذا الذي قدم ثلاثمئة مليون دولار ، انتظر ساعة ، فسألهم أين هو ؟ فقالوا له : جاء قبلك ، هذا هو جالس هناك ، من شدة تواضعه وإنابته ما عرفه .

((رجلٌ آتَاهُ اللَّهُ القرآنَ فقام به آناء اللَّيل وَآنَاءَ النَّهار ورجلٌ أعْطاهُ اللَّهُ مالا فهوَ يُنْفِقهُ آنَاءَ اللَّيل وآناءَ النَّهار))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود]

الأعمال الصالحة لا تعد و لا تحصى :

أنا لا أتصور غنى بالإسلام إلا بقصد إنفاق المال في سبيل نشر الحق ، وإلا لا معنى للدين ، فاستماع الإنسان بالمال محدود ، الذي معه ألف مليون ، ماذا يأكل ؟ وجبة محدودة ، على كم سرير ينام ؟ كم رداء يرتدي ؟ واحد ، القدرة على الاستمتاع بالمال محدودة مهما كنت غنياً ، أما حينما تنفق هذا المال في نشر الحق هذا هو الغنى .

أنا سمعت عن رجل بمصر غني جداً ، أمواله كلها أنفقها في تأسيس معاهد أزهرية في ريف مصر، كل قرية تقدم أرضاً يبني عليها مسجداً ومعهداً ، طبعاً هو لا يزال حي يرزق لم يمت بعد ، لكن أنفق كل ماله في سبيل نشر الحق .

وإذا أردت أن تبحث عن أعمال صالحة والله هناك أعمال لا تعد ولا تحصى ، ويقع في مقدمتها رعاية طلاب العلم ، ما أكثر طلاب العلم في الشام ، وما أشد حاجتهم إلى المال ، وإلى الرعاية ، وإلى المساكن .

البارحة مشيت مع طالب علم ، غرفة بخمسة آلاف في الشهر ، ليس معه أجرتها هو وطالب ثانٍ ، طالبان لا يملكان من الدنيا شيئاً ، غرفة يأويا إليها خمسة آلاف في الشهر ، إذاً هناك بيوت تقدم لطلاب العلم كل ما يحتاجونه ، هناك من يقدم لهم الطعام ، والكساء ، والرعاية ، هذا موفد سيتعلم العلم وسيعود إلى بلده داعية ، أو خطيباً ، أو إماماً ، وما شاكل ذلك .

نعيد قراء الحديث :

((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نـهراً كراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته))

[رواه ابن ماجه واللفظ له وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وإسناد ابن ماجة حسن عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢٦-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في تنظيف المساجد وتطهيرها وما جاء في تجميلها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ان كلما اقترب من المؤمن كلما اقترب من الله احترم الآخرين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه:

((أن امرأة سوداءَ كانت تقم المسجد ـأي تنظف المسجد ـفماتت ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها بعد أيام فقيل له إنها ماتت فقال عليه الصلاة والسلام فهلا آذنتموني فأتى قبرها فصلَّى عليها))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

الحديث له معان كثيرة، أحد أبرز معاني هذا الحديث: أن المؤمن يحترم الإنسان أي إنسان، سيدنا رسول الله قمة البشرية، وامرأة فقيرة هينة على الناس، رأوا من قلة شأنها أنها لا تستحق أن يخبر عنها أنها ماتت، من ضعف شأنها، ومن ضعفها، ومن هوانها على الناس، لا تستحق أن يُخبر رسول الله بموتها، فغضب النبي فالحديث له ست روايات، فغضب النبي عليه الصلاة والسلام وقال

((فهلا آذنتموني فأتى قبرها فصلَّى عليها))

يبدو أن الإنسان كلما اقترب من الله عز وجل يحترم الإنسان أي إنسان، وكلما ابتعد عن الله عز وجل يصبح عنصرياً، أنا فوق الناس، الناس في خدمتي، يجب أن أعيش وحدي ويموت الناس، يجب أن آكل وحدي ويجوع الناس، يجب أن أكون عزيز النفس وأهين الناس، كل إنسان يرى نفسه فوق الناس هذا إنسان عنصري، الإنسان بسبب بعده عن الله صار بهذه الصفات، وكلما اقترب من الله عز وجل يحترم الإنسان أي إنسان، طبعاً هذه من صفات المؤمن.

فسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو في أعلى درجات القرب من الله هذه امرأة تقم المسجد، هينة على الناس، لا شأن لها، لا مكانة لها، يبدو أن الصحابة اجتهدوا أنه من ضعف شأنها، ومن هوانها على الناس، أنها لا تستحق أن يزعج النبي بخبر وفاتها، فلم يعلموه، فالنبي سأل عنها.

من اقترب من الله عزوجل شعر أنه والناس سواسية:

أولاً: لاحظ هذه الصفة في النبي، تفقد أصحابه، كل واحد في ذهنه، كل واحد عاش معه النبي في ذهن النبي، مشكلته، وضعه، وجوده، غيابه، أين فلانة؟.

((فسأل عنها بعد أيام فقيل له إنها ماتت قال فهلا آذنتموني فأتى قبرها فصلَّى عليها))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

هناك أناس كثيرون يجب أن يأكل هو، عنده صانع يأتي بأطيب الطعام إلى المحل يأكل وحده والصانع أمامه يجب ألا يأكل.

والله قال لي أخ يعمل عند شخص مصروفه اليومي بضعة آلاف من الليرات يعطيه ألفي ليرة بالشهر، الآن بحاجة للراتب، هو يكلفه بشراء حاجات للبيت يومياً، مصروفه اليومي بضعة آلاف يعطيه بالشهر ألفي ليرة أو ثلاثة، و هو قريبه.

الإنسان عندما يفكر أنا يجب أن أعيش لوحدي، والناس يجب ألا يعيشوا، يجب أن يخدموني، هم لا يستحقون الحياة مثلي، أنا متفوق، هذه النظرة نظرة الإنسان البعيد عن الله عز وجل، كلما اقتربت من الله عز وجل شعرت أنك والناس سواسية.

يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ، يا من قدست الوجود كله، ورعيت قضية الإنسان، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع.

الرواية الثانية:

((كَانَتْ سَوْدَاءُ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَتُوُفِّيَتْ لَيْلاً فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخْبِرَ بِمَوْتِهَا فَقَالَ أَلَا آذَنْتُمُونِي بِهَا فَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا فَكَبَّرَ عَلَيْهَا وَالنَّاسُ خَلْفَهُ وَدَعَا لَهَا ثُمَّ انْصَرَفَ))

[ابن ماجه عن أبي سعيد]

هذه رواية ثانية.

تقييم العمل بالنية لابالحجم:

حديث آخر:

((أن امرأة كانت تلقط القذى من المسجد فتوفيت فلم يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم بدفنها قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات لكم ميت فآذنوني وصلى عليها وقال إني رأيتها في الجنة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

أنت لا تستهن بعملك، إنسان له خدمة للمسجد، هذا بيت الله، العمل يقيّم بالنية لا بالحجم، يمكن أن يكون للإنسان أضخم عمل لكن هدفه أن يظهر، أن يكون ذا شأن، أن ينظر الناس إليه هكذا، الإنسان يقدم خدمة متواضعة للمسجد بإخلاص شديد، هذا يسبق هذا، القضية لا بحجم العمل ولا بعلو المركز.

نحن مرة كنا بالحج، خيام السوريين أحد أخواننا الدعاة إلى الله كان رئيس البعثة ألقى خطبة، ذكر كلمة أبكى الحاضرين، قال: لعل أحدكم، لعل أحداً من شبابكم الحاضرين هو الذي يقبله الله عز وجل في عرفات.

القضية متعلقة بالنية، القضية متعلقة بالإخلاص، قال

((إني رأيتها في الجنة))

ماذا تفعل؟ تلتقط الأذى من المسجد.

أي عمل متصل بالمسجد عظيم:

الرواية الرابعة:

((كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم فمر على قبرها فقال ما هذا القبر قالوا هذا قبر أم محجن التي تقم المسجد قال التي كانت تقم المسجد قالوا نعم فصف الناس وصلى عليها ثم قال أي العمل وجدت أفضل يخاطبها أي العمل وجدت أفضل قالوا يا رسول الله أتسمعك قال ما أنتم بأسمع منها فذكر أنها أجابته قم المسجد))

[أبو الشيخ وابن حبان من مرسل عبيد بن مرزوق]

وهذا حديث مرسل، أي خدمة بيت الله الحرام، كان في الشام مسجد، إذا دخلت إليه لا أصدق عيني، نظافته تفوق نظافة البيوت، نظافته مواضئه، ودورة مياهه تفوق نظافة أي بيت في الشام، والذي يقوم على تنظيفه رجل صالح توفي رحمه الله، مرة التقيت عمله من قوله تعالى:

(أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ)

[سورة البقرة الآية: ١٢٥]

سيدنا إبراهيم كلف أن يطهر بيت الله عز وجل، أي عمل متصل بالمسجد هذا عمل عظيم.

حدثني أخ كان بأمريكا، قال لي: دخلت إلى مركز إسلامي ـ مسجد ـ وجدت شخصاً هيأته ونمطه من علية القوم هناك، وهو مشمر وينظف المسجد، فسألته فعلمت أنه جنرال من البحرية الأمريكية هداه الله إلى الإسلام كان في الخليج، والآن في خدمة المسجد.

الإنسان لا يصغر إذا خدم المسجد، يكبر كثيراً، ولو تعرى، وشطف، ونظف، ونفض السجاد، ومسح البلور، هذا مما يعلي قدر الإنسان، فهذه قال لها

((أي العمل وجدت أفضل قالوا يا رسول الله أتسمعك قال ما أنتم بأسمع منها فذكر أنها أجابته قم المسجد))

والله مرة طبيب أشعة سألني، قال لي: أنا والله كنت أصلي عندكم، لكن بعدها تركت، قلت له: ما السبب؟ قال لي: مرة صلى أمامي إنسان جواربه رائحتهم لا تحتمل، فيمكن أن تنفر إنساناً من بيت الله إذا كان هناك إهمالاً، آكل بصل، آكل ثوم، جواربه ليست نظيفة، جلس جلسة غير أديبة، قال لي: والله نفرت ليس بيدي، هذه القصة لم تذهب من بالي، هل من الممكن إنسان إذا أساء التصرف ينفر من المسجد.

بالمقابل أخ والده مقيم بمصر، جاء إلى المسجد مرة، اضطر أن يقضي حاجة أثناء الخطبة، دخل إلى دورات المياه، قال لي: غير معقولة أبداً، ما رأيت بحياتي دورة مياه نظيفة، هذا ليس مسجداً، هذا بيت، هناك أحد أخواننا والله أنا أكبره كثيراً، ينظفها كأنه بالبيت، ملمعة، معطرة، منظفة، وهي نوعها جيد، البناء جيد، والتنظيف مستمر، بشكل أسبوعي يأتي إنسان غريب: هذا بيت وليس مسجداً، هكذا ينبغي أن يكون بيت الله عز وجل، النظافة تجلب.

العناية بنظافة المساجد لأنهابيوت الله:

الإنسان يكون عنده حفلة، أو كتاب، يدخل ليصلي، يلبس بذلة لونها كحلي، كلها تصبح بيضاء إذا ركع وسجد، لأنه السجاد غير منظف، يركع ويسجد أصبحت كلها بيضاء من عند ركبه، يتألم، يتألم ألماً شديداً، أحياناً تجد المسجد يلمع، السجاد منظف، لا يليق بنا إلا أن يكون مسجدنا أنظف مسجد، لأنه بيت الله.

الآن أحياناً كأس ماء بارد في الصيف لا يقدر بثمن، ماء ساخن في الشتاء لأن البرد شديد فتتوضأ براحة.

كنت آتي من السفر أصل إلى النبك بأيام الشتاء، البرد لا يحتمل، هناك أناس صالحون مهيئون ماء ساخناً، كل المسجد ماء ساخن، تتوضأ براحة، فالماء الساخن بالشتاء، والماء البارد في الصيف، والتهوية، والتنظيف، هذه كلها أعمال تجلب الإنسان للمسجد.

وروي عن أبي قرصافة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها فمن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة))

[الطبراني عن أبي قرصافة]

مرة دعانا أخ إلى افتتاح مسجد بالصبورة، أنا لم أشاهد إنساناً طليقاً، واثقاً من نفسه، البشر واضح بوجهه، عيناه زئبقيتان، طبعاً عندما دخلنا استقبلنا واحد واحد ثم ودعنا واحد واحد، داع كل علماء الشام، وألقيت كلمات لطيفة، سبحان الله خرجت من المسجد بالصبورة، ما إن وصلت إلى الطريق العام حتى كان أمامي مقابل المسجد ملهى، طول الطريق إلى الشام وأنا أوازن بين الذي أنشأ هذا المسجد، والذي أنشأ هذا الملهى، هذا صدقة جارية إلى يوم القيامة، والثاني أيضاً صدقة جارية من نوع ثان، كل منكر أقيم فيه، وكل معصية فيه، وكل زنى حصل فيه، في صحيفة هذا الذي أنشاه، والذي أنشأ هذا الملهى مات بعد سبعة أيام من افتتاحه، قال:

((فمن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة، فقال رجل: يا رسول الله وهذه المساجد التي تبنى في الطريق مصليات ـقال نعم وإخراج القمامة منها مهور الحور العين في الجنة))

[الطبراني عن أبي قرصافة]

حتى لو كان المصلى متواضعاً، تنظيف هذا المصلى

((مهور الحور العين))

الإنسان عندما يخدم مسجده يكون العمل خالصا لوجه الله عزوجل:

قال عليه الصلاة والسلام أيضاً:

((عُرِضَتْ عليَّ أجُورُ أمَّتي حتى القذاة يُخرجُها الرجل من المسجد وعُرِضتْ عليَّ ذنوبُ أمَّتي فلم أرَ فيها ذنبا أعظمَ مِن سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نَسِيَها))

[أبو داود و الترمذي عن أنس]

حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد هذا يحسب عند الله من الأعمال الصالحة، لأن الناس يتحاشون أن يدوسوا بالسيارة دجاجة، أو غنمة، السبب أن لها صاحباً، أما كلب، الكلب له رب يحاسب عنه.

كل إنسان يعتني ببيته، لكن المسجد مكان عام، كل إنسان له مصلحة بالعناية فيه مباشرة، والإنسان عندما يخدمه يكون العمل خالصاً لوجه الله عز وجل.

أعظم ذنب أن ينسى الإنسان آآية كان قد حفظها:

طبعاً هذا الحديث الأخير، قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

نحن عندنا قاعدة: إذا كان هناك عقاباً شديداً على شيء يسير يبعث الشك بالنفس، أحياناً مكافأة كبيرة جداً على عمل بسيط، من مقاييس ضعف الأحاديث ألا يكون هناك تناسباً بين المقدمات والنتائج، هنا يقول:

((فلم أرَ فيها ذنبا أعظمَ مِن سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نَسِيَها))

[أبو داود و الترمذي عن أنس]

إذا نسيها لكبر سنه، أو نسيها لكثرة أعماله، فالإنسان عندما يتقدم بالسن تضعف ذاكرته، هذا شيء ثابت، أما عندما نسيها إهمالاً، واستخفافاً، ولم يعبأ بها، الحديث يقصد هكذا.

المؤمن يحترم الإنسان أي إنسان:

الحديث الأخير:

((مَنْ أَخْرَجَ أَذًى مِنْ الْمَسْجِدِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

أنا الذي يعنيني من هذا الحديث الزاوية الثانية احترام الإنسان، أن امرأة سوداء تقم المسجد، ماتت، لهوانها على الناس، ولضعف شأنها، رأى أصحاب أنها أقل من أن يخبر عن موتها، فلما تفقدها النبي عليه الصلاة والسلام قال

((قال فهلا آذنتموني فأتى قبرها فصلَّى عليها))

والروايات كثيرة، مرة قال: رأيتها في الجنة، مرة سألها وأجابت، وهكذا فنحن القاعدة: أن المؤمن يحترم الإنسان أي إنسان، إذا رأى إنساناً متلبساً بمعصية، لا يحقد على ذاته، يغضب من عمله فقط، من الداخل لا يوجد غيظ، لو أن طبيباً رأى إنساناً معه مرض جلدي مزعج، يحقد عليه؟ بالعكس، يشفق عليه، فالإنسان إذا ارتكب معصية، المؤمن الكامل لا يحقد، ولا يغضب منه، يغضب عليه، يتألم من عمله، بالنهاية الإنسان يحترم الإنسان أي إنسان مؤمن.

وهذا سيدنا رسول الله قمة المجتمع الإسلامي، سيد الخلق، وحبيب الحق، تفقد امرأة سوداء تقم المسجد لهوانها على الناس لم يخبروا عنها رسول الله.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢٧-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في الأذان وما جاء في فضله

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في الأذان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لو يعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأول ثم لم يَجِدُوا إلا أن يَسْتَهموا عليه لاسْتَهَمُوا ولو يعلمون ما في التَّهْجِير لاسْتَبَقُوا إليه ولو يعلمون ما في العَتَمة والصبح لأتوهما ولو حَبْوا))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

((يَسْتَهِموا عليه))

أي اقترعوا، والتهجير؛ التذكير إلى الصلاة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لو يعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ))

أي أن تقول: الله أكبر، الله أكبر، المؤذن له أجر كبير، لكن هذا حينما كان الإسلام متألقاً، أما حينما فرغت بعض العبادات من مضمونها، زهد الناس في الأذان.

سمعت في بعض البلاد في أفريقيا أن الأذان شرف عظيم لا يناله إلا علية القوم، هناك وظيفة مرموقة جداً هي أن تكون مؤذناً في مسجد، بل إن كبار الشخصيات في بعض البلاد هم الذين ينالون شرف الأذان، ليس وظيفة يتقاضى صاحبها مالاً، المؤذن يدعو الناس إلى الله عز وجل، وبعضهم قال:

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ)

[سورة فصلت الآية: ٣٣]

المؤذن هو الذي يدعو إلى الله، يدعو الناس إلى الصلاة.

((لو يعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأول ثم لم يَجِدُوا إلا أن يَسْتَهموا عليه لاسْتَهَمُوا))

إذا صار هناك منازعة فالحل الوحيد أن يقترعوا على الصف الأول، أن يقترعوا على الأذان.

((ولو يعلمون ما في التَّهْجِير لاسْتَبَقُوا إليه))

مسابقة إلى المسجد.

((ولو يعلمون ما في العَتَمة والصبح لأتوهما ولو حَبْوا))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

يبدو صلاة الفجر، وصلاة العشاء، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

[أحمد]

هذا الحديث من أصول الأحاديث، صلى الفجر في جماعة، والعشاء في جماعة، فمن فعل هذا، صلى هاتين الصلاتين فهو في ضامنة الله يوماً بأكمله وليلة.

الإنصات إلى الأذان وترديد ما يقوله المؤذن:

حديث آخر:

((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلَ ما يقول المؤذِّنُ))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري]

المفروض حسب السنة أنه إذا أذن المؤذن أن نستمع إليه، كنا في جلسة، كنا في لقاء، كنا في حفل، كنا في عقد قران، أذن المؤذن ننصت جميعاً إليه، ننصت أولاً، ثم نقول مثل ما يقول المؤذن، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، إلا إذا قال: حيّ على الصلاة، نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وحيّ على الفلاح، لا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عليَّ فإنّه من صلّى عليَّ صلاةً صلى الله عليه عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة وإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة))

[مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أما قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذا سمعتُم المؤذِّنَ فقولوا مثلَ ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه مَنْ صلَّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا))

[مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الموضوع هنا أن النبي عليه الصلاة والسلام أشد الخلق اتصالاً بالله على الإطلاق، فالله يصلي عليه بالرحمة، ونحن إن صلينا عليه اقتبسنا من هذه الرحمة، هذا معنى قول الله عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)

[سورة الأحزاب]

بالهدى شيء غير المعلومات، أحياناً هناك بيان، هناك شرح، هناك توضيح، هناك ذكر، وهناك شيء آخر عند الأنبياء، غير المعلومات، النبي له أحاديث، له سنة قولية نقرأها، نفهمها، ندرسها، نبحث فيها، نحللها، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام عنده شيء آخر، إن كنت في مجلسه شعرت بسعادة لا توصف، شعرت بطمأنينة، شعرت كأنك والجنة كهاتين.

ريا رسول الله نكون معك ونحن والجنة كهاتين، وإذا عافسنا الأهل ننسى، قال: يا أخي نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا، أما أنتم فساعة وساعة، لو بقيتم على الحالة التي أنتم فيها عندي لصافحتكم الملائكة، ولزارتكم في بيوتكم.

من عاش سنة النبي وأخلاقه فهذا نوع من الصلاة على رسول الله:

إن أتيح لإنسان أن يستمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، سيجد شيئاً آخر غير القول، غير البيان، غير المعلومات، غير السنة القولية، سيشعر بسعادة لا توصف، هذا مع النبي عليه الصلاة والسلام، مع الولي:

((أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم))

[ورد في الأثر]

هناك اتصال شديد بالله، هذا الاتصال يعطي سعادة، و طمأنينة، و توازناً، و شعوراً بالطمأنينة لا يوصف.

هناك أشياء نؤديها أداء شكلياً أجوفاً لا يقدم ولا يؤخر، يقول إنسان لآخر: صلِّ على النبي، يقول له: اللهم صلِّ عليه، وأحياناً الإنسان يصلي على النبي ضجراً، أما معنى صلِّ على النبي ؛ أي تفكر في شمائله، تفكر في خصائصه، تفكر في رحمته، تفكر في أخلاقه الرفيعة، أنت إذا اتصلت بالنبي بشكل أو بآخر، إن زرته في قبره، أو ذكرته في بيتك، شيء من أنواره يسري إليك، آية قرآنية:

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)

لذلك قال الله تعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

[سورة الأنفال]

إذا عاش الإنسان سنة النبي وأخلاقه وذكرها، فهذا نوع من الصلاة على رسول الله، هذا الإنسان الذي جعله الله قدوة، وأسوة، وجعله مثلاً أعلى، وحقق به الكمال البشري، الله عز وجل خلق الخلق جميعاً ليكونوا على شاكلة النبي، هو المثل الأعلى، هو القدوة الحسنة، هو الأسوة، فأنت حينما

تتحرك كل يوم، النبي عليه الصلاة والسلام بشمائله، بأخلاقه العظيمة، في وجدانك هذا نوع من الصلاة على رسول الله، هذا الوضع النفسي، أما اللفظي اللهم صلِّ على رسول الله.

الصلاة على النبي أن تذكر فضاه وشمائله وأخلاقه:

لذلك في بعض الأوراد اليومية لك أن تستغفر الله مئة مرة، و لك أن تقول: أشهد أن لا إله إلا الله مئة مرة، ولك أن تصلي على النبي مئة مرة، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أنا أقول هذا الكلام كي لا نتوهم أن ترتاد هذه الألفاظ بلا حضور قلب، وبلا إدراك لمعانيها، لذلك الصلاة على النبي أن تذكر فضائله، أن تذكر شمائله، وأن تذكر أخلاقه، وأن تذكر حبه لله، وأن تذكر جهاده في سبيل الله، وأن تذكر أن هذا الإنسان دخل إلى الدنيا وخرج منها، وعاش عمراً محدوداً، ولكن هذا العمر أقسم الله به، قال:

(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)

[سورة الحجر]

هذا العمر امتدت خيراته إلى مشارف الأرض ومغاربها، فلذلك:

((إذا سمعتُم المؤذِّنَ فقولوا مثلَ ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه مَنْ صلَّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سَلُوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكونَ أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت له الشفاعةُ))

[مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الدين كله تعظيم للإله:

النبي عليه الصلاة والسلام يقول أيضاً:

((وَمَنْ صَنَعَ إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادْعُوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمر]

هل هناك من معروف يرقى إلى ما فعله النبي معنا؟ كم تحمل في سبيل هذا الدين حتى نشره؟ كم عانى؟ وكم أوذي؟ قال مرة:

((لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت علي ثلاث من بين يوم وليلة ومالي طعام إلا ما واراه إبط بلال))

[أخرجه الترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن أنس بن مالك]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال

((قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدُكم الله أكبر الله أكبر ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله ثم قال: أشهد أنَّ محمداً رسولُ الله قال أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله ثم قال حَيَّ على الصلاة قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال حَيَّ على الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله أكبرُ الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله مِنْ قلبه دَخَلَ الجنة))

لكن لاحظنا أن كلمة قال في بداية الإسلام حيث لم يكن هناك نفاقاً، أي أنك قلتها معتقداً بها، معتقداً أن الله أكبر من كل شيء، معتقداً أنه لا إله إلا الله، معتقداً أن هذا النبي هو رسول الله، وأن منهجه هو المنهج القويم، وبادرت إلى الصلاة، وإلى العمل الصالح هذا كل شيء بالدين.

فالإنسان إذا قال قولاً ينطلق من صدق وإخلاص ـ فإذا قلت عندما يقول المؤذن: حيّ على الصلاة لا حول ولا قوة إلا بالله، وعند قوله: حي على الفلاح، قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله ـ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((دَخَلَ الجنة))

لأن هذا الدين كله تعظيم للإله، الله أكبر، توحيد، رسالة، اتصال بالله، عمل صالح.

أي دعاء يبدأ بالصلاة على النبي وينتهي بالصلاة عليه دعاء مقبول:

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ قال حين يسمَعُ النِّدَاءَ اللهمَّ رَبَّ هذه الدعوةِ التامَّةِ والصلاة القائمةِ آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثْهُ مَقاما محمودا كما وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة))

[صحيح عن جابر]

الله عز وجل أرسل هذا النبي ليخرجنا من الظلمات إلى النور، وربنا عز وجل جعل هذا النبي قدوة لنا، فالعلاقة الطيبة مع هذا النبي جزء من الدين، العلاقة الطيبة مع هذا النبي أن تدعو له، وأن تصلي عليه، وأي دعاء يبدأ بالصلاة على رسول الله، وينتهي بالصلاة عليه فهو مقبول، لذلك أكثر الدعاة يبدؤون بالدعاء والصلاة على النبي بقولهم: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

وعند الانتهاء: وصلى اللهم على سيدنا النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم، الملاحظ أن أي دعاء يبدأ بالصلاة، وينتهي بالصلاة بشرنا النبي بأنه مقبول، وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((من سمع المؤذن فقال مثل ما يقول فله مثل أجره))

[أخرجه الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان]

بالمناسبة كحكم فقهي، قال: يستحب إجابة المؤذن بالقول مثل قوله، لكل من سمعه من متطهر، ومحدث، وجنب، وحائض، وغيرهم إلا في حالة واحدة إلا إذا كان في الخلاء، أو مع أهله، أو في الصلاة، في الخلاء، أو مع أهله في الفراش، أو في الصلاة، ما سوى هذه الحالات الثلاثة يجب أن تقول مثل ما يقول، ولا عبرة كونك متوضئاً أو غير متوضئ.

من حقق أهداف الدين دخل الجنة:

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((يا معشر النساء إذا سمعتن أذان هذا الحبشي وإقامته فقلن كما يقول فإن لكن بكل حرف ألف ألف درجة قال عمر هذا للنساء فماذا للرجال قال ضعفان يا عمر))

[الطبرانى عن ميمونة]

الحديث الآخر:

((كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام بلال ينادي فلما سكت قال عليه الصلاة والسلام من قال مثل هذا يقيناً دخل الجنة))

[النسائي عن أبي هريرة]

يقيناً أي قال: الله أكبر، الله أكبر عنده من كل شيء، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، كلمة التوحيد، والتوحيد هو الدين كله، ونهاية العلم التوحيد، وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، آمن برسالته، ومنهجه القويم، ثم بادر إلى الصلاة، وإلى العمل الصالح، فقد حقق كل أهداف الدين.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢٨-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في لزوم المساجد والجلوس فيها -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في لزوم المساجد والجلوس فيها:

لا زلنا أيها الأخوة، في باب الترغيب في لزوم المساجد والجلوس فيها، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان))

[ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

لقول الله عز وجل:

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ)

(سورة التوبة الآية: ١٨)

الذي يعتاد المساجد، يدين الجلوس فيها، يدين ارتيادها، يكثر الجلوس فيها، يألفها.

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان لأن الله عز وجل يقول: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ))

[ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

من لوازم الإيمان أن ترتاد المساجد وتكون فيها:

أي من لوازم الإيمان أن ترتاد المساجد، من لوازم الإيمان أن تكون في المساجد كما هو السمك في الماء، هذا هو مكانه الطبيعي، مكانك الطبيعي، مكان ترتاح فيه نفسك، مكان يطمئن فيه قلبك، مكان تألف من فيه، ويألفك من فيه.

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان))

[ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

إنسان يصلي في المسجد، يحضر دروس علم في المسجد، لا ينبغي أن نطعن في إيمانه، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((فاشهدوا له بالإيمان))

[ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

ما الذي جاء به إلى المسجد ؟ هناك من يألفون الملاهي، يألفون أماكن السوء، يألفون الفحش، الأماكن الرذيلة، يألفون الأماكن العامة حيث فيها الاختلاط.

((إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان))

[ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري]

من اتخذ المسجد مكان إقامته أكرمه الله وفرح به:

حديث آخر:

((ما توطن رجل المساجد للصلاة))

[ابن ماجه عن أبي هريرة]

أي اتخذها وطناً، اتخذها مكان إقامته، أينما فقدته وجدته في المسجد، له أوقات يقضيها في المسجد، يقتطعها من قوته.

((ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله تعالى إليه كما يتبشبش أهل الغائب لغائبهم إذا قدم عليهم))

[ابن ماجه عن أبي هريرة]

أي الله عز وجل يتبشبش له، يرحب به، يفرح به، يكرمه.

((ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله تعالى إليه كما يتبشبش أهل الغائب لغائبهم إذا قدم عليهم))

[ابن ماجه عن أبي هريرة]

شيء جميل جداً أن يشعر الإنسان أن الله يرحب به، أن الله يكرمه، أن الله يفرح بقدومه إلى البيت.

((إن بيوتي في الأرض المساجد وإن زوارها هم عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني وحق على المزور أن يكرم الزائر))

[ورد في الأثر]

الأماكن الست التالية إذا كنت فيها ووافتك المنية فأنت في ذمة الله:

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((ستة مجالس المؤمن ضامن على الله تعالى ما كان في شيء منها في مسجد جماعة وعند مريض أو في جنازة أو في بيته أو عند إمام مقسط يعزره ويوقره أو في مشهد جهاد))

[كنز العمال عن عبد الله بن عمرو]

أي في هذه الأماكن الست إذا كنت فيها، ووافتك المنية، فأنت في ذمة الله، والله يضمن لك الجنة، فإذا وافت الإنسان منيته وهو في المسجد هذه شهادة طيبة جداً، وإذا وافته منيته وهو في الحج، في طاعة، فهو في ذمة الله، أي إذا كان:

((في مسجد جماعة وعند مريض طاعة أو في جنازة طاعة أ في بيته البيت المكان الطبيعي للإنسان مكان عبادته مكان أهله وأولاده مكان معتكفه))

[كنز العمال عن عبد الله بن عمرو]

(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفقاً)

(سورة الكهف)

الفساد عمّ، والفتن استعرت، والطرقات ملئت بالمعاصي، والآثام، والأسواق تعرض فيها أشياء تغري، فعلى الإنسان أن يعتزل الناس، ويقيم في بيته، بيته مكان عبادته.

((أو عند إمام مقسط))

[كنز العمال عن عبد الله بن عمرو]

يعاون إنساناً، يقيم الحق، يحق الحق، يبطل الباطل، يرد للمظلوم ظلامته، هذا إمام مقسط، إذاً يعاونه.

((يعزره ويوقره أو في مشهد جهاد))

[كنز العمال عن عبد الله بن عمرو]

في الجهاد، عند إمام مقسط، لأن قاسط تعني ظالم، ومقسط تعني عادل.

((في مسجد جماعة وعند مريض أو في جنازة أو في بيته أو عند إمام مقسط))

[كنز العمال عن عبد الله بن عمرو]

أي هذه الأماكن إذا قضى الإنسان بها فهو مغفور له، والله يضمن له الجنة.

عمار بيوت الله هم أهل الله عزوجل:

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن عمّار بيوت الله هم أهل الله عز وجل))

[البيهقي عن أنس بن مالك]

مرتبة عالية جداً.

((إن عمّار بيوت الله هم أهل الله عز وجل))

[البيهقي عن أنس بن مالك]

((إن قراء القرآن هم أهل الله وخاصته))

[ورد في الأثر]

الإنسان أحياناً يكون له علاقة مع شخص، إذا كان من أهله، أقرب شيء للإنسان أن يكون من أهله، الإنسان عنده آلاف الأصدقاء، أما ابنه فشيء آخر.

((إن قراء القرآن هم أهل الله وخاصته))

[ورد في الأثر].

((إن عمار بيوت الله هم أهل الله عز وجل))

[البيهقي عن أنس بن مالك]

المشاؤون إلى المساجد في الظلمات هم أهل الله تعالى:

حديث آخر:

((من ألف المسجد ألفه الله))

[الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري]

المؤمن يسعد في المسجد، والحقيقة هناك عوامل كثيرة سنرى بعد قليل ما هي هذه العوامل، يألف أخوانه في المسجد، تنشأ علاقات متينة جداً في المسجد.

أنا أذكر قبل عشر سنوات تقريباً كنا في جامع العفيف، وهناك درس فجر يومي كما هي الحال الآن، هؤلاء الذين في هذا المسجد نشأت بيننا وبينهم علاقة متينة جداً، صلاة الفجر لها طعم خاص غير الصلوات الأخرى، صلاة الفجر وقت الرحمة.

((ولو علموا ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

واسر نحونا في الليل لا تخشَ وحشتنا فالأنس في طيب ذكرنا

* * *

المشاؤون إلى المساجد في الظلمات هؤلاء هم أهل الله عز وجل، فالإنسان إذا مكنه الله عز وجل وقواه أن يصلي الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي، والله يضمن له الجنة.

على الإنسان أن يكون مع الجماعة لئلا يصاب بالإنحراف:

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((إنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

إنسان ينزوي لوحده، يشذ في عقيدته، يشذ في سلوكه، يخرج عن إجماع المسلمين، يخرج عن منهج علمائهم، يخرج عن حياة المؤمنين، من يأخذه؟ الشيطان.

((عليكم بالجماعةِ وإيَّاكُم والفُرْقَةَ فإنَّ الشيطانَ مع الواحد وهو من الاثنين أبعدُ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر]

((فإنما يأكلُ الذِّئبُ من الغنم القاصية))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن أبو الدرداء]

هناك أشخاص يتجنبون المساجد، والله أعرف عدداً كبيراً منهم، في النهاية شذّ، قابع في بيته، له أفكاره الخاصة، قناعاته الخاصة، فتاواته الخاصة، شيئاً فشيئاً ينحرف، أما الجماعة لا تسمح للفرد أن يشذ عنها، لذلك:

((إنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

الناحية المبتعدة عن المجموع.

((فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

طريق ضيق منحرف، الانحراف في السلوك أو في العقيدة كأنه في شعبة شاذة.

((وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

كن مع الجماعة، كن مع عامة المسلمين، هناك أشخاص يعتمدون على فتاوى شاذة، أو على آراء ضعيفة، أو على آراء منحرفة، أو على آراء لم يجمع عليها المسلمون.

((وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ))

[أحمد عن معاذ بن جبل]

الأشخاص في المسجد كالأوتاد يحب ويقوي بعضهم بعضا:

((إن للمساجد أوتادا))

[أحمد عن أبي هريرة]

رأيت هذه الأعمدة الكبيرة ؟ أركان المسجد، إن للمساجد أوتاداً، أي الأشخاص في المسجد كالأوتاد، يقول لك: أحد أركان المسجد، وهناك تعبير آخر: أحد أعمدة المسجد، أي هو شخص مهم جداً، دوره أساسي في المسجد، لو أنه غاب مرة واحدة يفتقده الناس.

((إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ))

[أحمد عن أبي هريرة]

قال بعضهم: "هم في مساجدهم، والله في حوائجهم".

((إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ ثم قال جليس المسجد على ثلاث خصال أخ مستفاد أو كلمة محكمة أو رحمة منتظرة))

[أحمد عن أبي هريرة]

الذي في المسجد إما أن يستفيد من أخ كريم، والله هناك أخ لا تعدل صداقته ملء السماوات والأرض، هناك علاقات راقية جداً بين المؤمنين، من أين عرفته ؟ من المسجد.

قال لي صديق: كنت في بعثة في بكين، طبعاً يمكن أن أصلي في الفندق، لكني بحثت عن مسجد هذه المدينة، و قد كلفني هذا مبلغ ضخم، و عندما وصلت إلى المسجد، تعرفت على ثلاثة من المصلين، قال لي: هذه الصداقة بقيت أكثر من عشر سنوات ولا تزال، لأنه صلى في المسجد.

الآن تصلي لوحدك في البيت لا تعرف أحداً، أما إذا دخلت إلى بيت من بيوت الله، لعل الله عز وجل ينفعك به، يمكن أن تنتفع منه مادياً، بأن تعمل مع إنسان مشروعاً مشتركاً، أنت وثقت به لأنه من رواد المسجد، وهو وثق بك لأنك من رواد المسجد.

من دخل إلى المسجد أيده الله بالسكينة والراحة:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((جليس المسجد على ثلاث خصال أخ مستفاد أو كلمة محكمة أو رحمة منتظرة))

إما أن يلقي الله على قلبك سكينته، فتشعر بالراحة، راحة حقيقية لا يعرفها إلا من فقدها، إذا سافر الإنسان إلى بلد ليس فيه مسجد، ولا دروس علم، ولا أذان، ولا رحمة، يشعر بالوحشة، وبالغربة، قال:

((رحمة منتظرة))

شعور بالطمأنينة، أحياناً الإنسان يكون مثقلاً بالهموم، حينما يدخل بيتاً من بيوت الله ترتاح نفسه، وكأن هذه الهموم أزيحت عن كاهله.

((أخ مستفاد أو كلمة محكمة أو رحمة منتظرة))

أخ، أو علم، أو رحمة، أخ في الله شيء ثمين جداً، ورحمة منتظرة من الله عز وجل، أو كلمة حكمة ينتفع بها.

الآن الإنسان يصلي، أو يسمع درساً، إذا صلى اتصل بالله، أو إذا سمع درساً تعلم، وإن التقى بأخ استفاد منه، وقد تكون فائدة أخروية، وقد تكون دنيوية.

الإنسان أحياناً بطريق الإيمان يصادف شخصاً أعلى منه، ينتفع بعلمه، ينتفع بحاله، ينتفع بحكمته، ينتفع بعقله، وقد يتجلى الله عليه بالمسجد، وقد يكسب حكمة تعينه على أمر دينه ودنياه.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٢٩-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في لزوم المساجد والجلوس فيها -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من هم السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((سَبْعَةَ يظِلُّهمُ الله في ظِلّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه))

[البخاري و مسلم عن أبي هريرة]

الدنيا شيء، والآخرة شيء آخر، الإنسان في الدنيا قد يستمتع بالمال، قد يستمتع بالجاه، قد يتقوى بعشيرته، قد يتقوى بسلطانه، قد ينغمس في ملذاته، إلا أنه يوم القيامة:

((لا ظِلَّ إلا ظِلُّه))

في الدنيا الإنسان قد يستظل بأشياء كثيرة، وهو غافل عن الله، إلا أن يوم القيامة:

((لا ظِلَّ إلا ظِلُّه))

فسر علماء الحديث هذا الظل بأنه رحمة الله، وكنفه، وحياطته.

((سَبْعَةَ يظِلُّهمُ الله في ظِلّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه))

من هؤلاء السبعة ؟.

١ـ الإمام العادل:

((الإمامُ العادلُ))

العلماء قالوا: الإمام العادل الذي يتولى أمور المسلمين، ويرعى مصالحهم، وينظر فيما يسعدهم، ويرفع من شأنهم، ويسير على منهج الحق والعدل، ينتصف للمظلوم من الظالم، يقيم أوامر الله، يدعو الناس إلى العمل بكتاب الله، لا يخشى الضعيف من جوره، ولا يطمع القوي في جاهه، الحزم ديدنه، والحق مطلبه، من تقرب إليه نصحه، ومن تباعد عنه وصله، سباق إلى الخير، معوان على البر، يدخل فيه كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين.

أحياناً تكون موظفاً في دائرة، موظف في المالية، موظف في الاقتصاد، هذا الذي يجلس وراء الطاولة، وأمامه المسلمون، إن لم يرعَ مصالحهم، إن لم ينصحهم، إن لم ييسر أمورهم، إن لم يأخذ

بيدهم إلى مصلحتهم في الدنيا والآخرة له عند الله حساب خاص، هذا الذي يستغل منصبه ليبتز أموال الناس، هذا الذي يعقد الأمور ليحقق لمصالحه الشخصية، هذا الذي يضع العقبات أمام تحقيق منافع الناس، له عند الله عقاب خاص، لا يقول: الوظيفة لا علاقة لها، والله كل كلمة تقولها وأنت موظف، كل حركة تتحركها، كل تعقيد تعقده، كل إيهام توهمه، والله ستحاسب عنه يوم القيامة حساباً عسيراً.

((الإمامُ العادلُ))

الإمام العادل ينطبق على أية وظيفة تتعلق بمصالح المسلمين:

الإمامُ العادلُ، تبدأ من معلم المدرسة، تبدأ من موظف، يأتيك إنسان تقول له: تعال غداً، معنى تعال غداً، قد يكون مسافراً، قد يكون من مكان بعيد، سيذهب إلى الفندق، وينام ويدفع ألفاً أو ألفي ليرة من أجل أن ينام هذه الليلة، لأنك لا تريد أن تنجز له عمله، لأنك مستمتع بحديث مع صديقك.

فالإمامُ العادلُ أي وظيفة على الإطلاق، تبدأ من معلم المدرسة، وتنتهي بكل وظيفة كبيرة وخطيرة.

لذلك الإمامُ العادلُ ورد في بعض الأحاديث:

((إنَّ من إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلم وحاملِ القرآنِ غير الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِطِ))

[أخرجه أبو داود عن أبي موسى الأشعري]

مدير ناحية منصف، صاحب حق، ينصف المظلوم، يعطي كل ذي حق حقه، هذا يجب أن تحترمه، ويجب أن تجله، ويجب أن تضعه في مقدمة المجلس، إذا كان إماماً عادلاً، يجب ألا تستهين بالموظف، موظف، مستقيم، نظيف، صادق، مع الحق، مع المصلحة العامة، هذا ينبغي أن يُحترم، وأن يُبجل، وأن يوضع في صدر المجلس.

((إنَّ من إجلالِ اللهِ إكرامَ ذي الشَّيْبَةِ المسلم وحاملِ القرآنِ غير الغالي فيه ولا الجافي عَنهُ وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسِطِ))

فهذا الإمام العادل ينطبق على أية وظيفة تتعلق بمصالح المسلمين، أحياناً مثلاً معمل أغذية يقدم للناس أغذية فاسدة، تضر بصحة المسلمين، فالعدل أن تعاقب صاحب هذا المعمل، فإذا قدم لك مبلغاً بسيطاً طويت الموضوع، وأنهيت المشكلة، وكأن شيئاً لم يكن، هذا التساهل ظلم للناس، أحياناً هناك تساهل يعد ظلماً، وهناك تساهل يعد رحمة.

٢ـشاب نشأ في عبادة الله عزوجل:

الشخص الثاني:

((وشابّ نشأ في عبادة الله عز وجل))

شاب نشأ على تقوى الله عز وجل، على عبادة الله عز وجل، يحب الله ورسوله منذ صغره، أينعت ثمرة الإيمان في قلبه، لا يخشى إلا الله، يراقب الله عز وجل، لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة، لم يمش في دناءة، لم يخط إلى جهالة، لم تغلبه شهوته، لم يخضع لنزوته.

((نشأ في عبادة الله عز وجل))

شيء كبير جداً، طبعاً الشيء المألوف أن ترى إنساناً بسن متقدمة جداً يرجو الله واليوم الآخر، شيء طبيعي جداً، إنسان بعد الستين، بعد الخامسة والستين، بعد السبعين، لم يعد أمامه إلا الآخرة، أما شيء رائع جداً أن ترى شاباً في الثامنة من عمره بالمسجد، كتلة حيوية ونشاط، ملتزم، ضبط شهواته، ضبط لسانه، ضبط نزواته، فهذا الشاب الذي نشأ في طاعة الله، إن الله ليباهي به الملائكة.

((إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني عن عقبة بن عامر]

صبوته طاعة الله، صبوته طلب العلم، صبوته خدمة الخلق، صدقوا أيها الأخوة، أن بين الشاب المطيع وبين الشيخ المطيع بوناً شاسعاً.

((أحب ثلاثاً وحبي لثلاث أشد أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد أبغض ثلاثاً وبغضي لثلاث أشد أبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد))

[ورد في الأثر]

((الإمامُ العادلُ، وشابّ نشأ في عبادة الله عز وجل وعبادته))

أنا ألح على هذا المعنى، الإنسان كلما بكّر في طاعة الله شكّل حياته تشكيلاً إيمانياً، والإنسان يسعد إذا كان أهله على شاكلته، من سعادة المرء أن تكون زوجته وأولاده على شاكلته، يكون بيته إسلامياً، أسرته إسلامية، زوجته تتعاطف معه.

هذه الذي تزوج امرأة فلما رأى فيها كمالاً وصلاحاً صلى ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلم من صلاته وجد زوجته تصلي صلاته، وتسلم سلامه، وتشكر شكره.

فالإنسان إذا آمن في وقت مبكر، سيختار زوجة مؤمنة، مسلمة، سيختار عملاً شريفاً، نبيلاً، مسعداً، معطاءً، أما إذا كان تأخر في توبته، وشكّل حياته على طريقة لا ترضي الله عز وجل عنده

مشكلة كبيرة، مع زوجته، ومع أولاده، ومع حرفته، وألصق شيء بحياة الإنسان حرفته، وأولاده، وزوجته.

((وشابّ نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه مُعَلَّق بالمسجد))

أي يحافظ على الصلوات في أوقاتها في المسجد، يكثر الاعتكاف فيه، يكثر التردد على المساجد، المؤمن في المسجد كالسمكة في الماء، مكانه المحبب، مكانه المألوف، أينما افتقدته وجدته في المسجد، يؤدي الصلوات، يذكر الله، يمشي إليه في الظلمات.

وسر نحونا في الليل لا تخشى وحشتنا فالإنس في طيب ذكرن

* * *

هذا الذي يأتي المسجد في الظلمات ممن يحب الله ورسوله.

٣.رجل معلق قلبه بالمسجد:

((ورجل قلبه مُعَلَّق بالمسجد))

هناك شخص قلبه معلق بالأماكن العامة، بالفنادق، بالمقاصف، يقول لك: الجلسة تأخذ العقل، صحيح أن فنجان القهوة بثمانين ليرة لكن الجلسة جميلة جداً، قلبه معلق بالفنادق، بالمقاصف، بالأماكن العامة الفخمة، يصفها بشكل رائع، يتفاعل معها، يتمنى أن يبقى فيها، أما المؤمن قلبه معلق بالمساجد، مكانه المفضل والمحبب.

٤.رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه:

((ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه))

أيها الأخوة، ما من علاقة أقدس، ولا أقوى، ولا أسعد، من أن يكون لك أخ في الله، ليس هناك مصلحة، ولا قرابة، ولا زمالة، ولا جوار، ولا حرفة مشتركة، ولا منبت ثقافي مشترك، ولا نسب، لا يوجد إلا حب في الله، وبغض في الله، لذلك:

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاورينَ فيَّ والمتباذلينَ فيّ على منابر من نور يغبطهم عليها النبييون يوم القيمة))

[أخرجه مالك عن معاذ بن جبل]

لك أخ في الله، ليس شريكاً، ولا قريباً، ولا نسيباً، ولا جاراً، ولا زميلاً، لا يوجد أي شيء يجمعك معه إلا الإيمان، هذه علاقة الإيمان أقوى علاقة على وجه الأرض.

((ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه))

أي اجتمعا على ذكر الله، وتفرقا على ذكر الله، اجتمعا على التناصح، وتفرقا على التناصح، اجتمعا على العبادة، وتفرقا على العبادة، الإنسان أحياناً يسافر مع أخيه، يغدو السفر قطعة من الجنة، يصلون معاً، يذكرون معاً، يتذاكرون كتاب الله، ينصح بعضهم بعضاً، يتعاونون.

لذلك أجمل ما في الحياة الدنيا أخ لك في الله.

٥.رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله:

((ورجل دَعَتْهُ امرأة ذاتُ مَنْصِب وجمال، فقال: إني أخافُ الله))

البارحة ذكرت في درس الجمعة:

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

[سورة القلم]

بينت أيها الأخوة، أن النبي كان خطيباً من أعلى الخطباء، وكان مجتهداً، وكان قاضياً، وكان رب أسرة، وكان قائداً، كل هذه الصفات التي تفوق بها النبي، القرآن أغفلها حينما مدحه، ما الذي أبرزه في شخصيته ؟ قال

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

الإنسان لماذا يرقى بالخلق ولا يرقى بالتفوق ؟ هناك قدرة آتاه الله إياها، إذا آتاك الله عز وجل قدرة خاصة، وتفوقت فيها، هذا التفوق من الله عز وجل، ليس لك فضل فيه، أما حينما يودع الله فيك الشهوات، وتؤثر طاعة الله عليها، وتؤثر طاعة الله على تحقيق ونزواتك وشهواتك، معنى ذلك أنك تبذل جهداً لتصل إلى الله، فالدين كله صبر، فغضّ البصر صبر، وهناك شيء قريب و شيء بعيد، القريب هذه المرأة الجميلة، والبعيد طاعة الله عز وجل، الشجاعة تحتاج إلى صبر، الإنفاق يحتاج إلى صبر، الصلاة تحتاج إلى صبر، الزكاة تحتاج إلى صبر، الذي يؤثر طاعة الله، صارت أخلاقه عالية و يتقرب إلى الله عز وجل بها، إذاً:

((ورجل دَعَتْهُ امرأة ذاتُ مَنْصِب وجمال فقال إني أخافُ الله))

قبل أن تدعوه هذه المرأة، أحياناً تمشي في الطريق بثياب فاضحة، ثيابها الفاضحة دعوة له، الزنا أنواع، أقل أنواع الزنا أن تنظر إليها، امرأة تمشي في الطريق بثياب فاضحة، ثيابها الفاضحة دعوة إلى زنا النظر، فالإنسان إذا دعته امرأة بثيابها إلى أن ينظر إليها وقال: إني أخاف الله رب العالمين، أقل ما في هذا الحديث أن يطلق الإنسان بصره في الحرام، وأقصى ما في الحديث أن يمتنع عن أن يقع في الفاحشة، لأن امرأة ذات منصب وجمال قد دعته.

٦.رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه:

((ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه))

أي الإنسان إذا شكا من نفسه بعض مظاهر النفاق، والحقيقة لا تستغربوا أحد التابعين وهو سعيد بن المسيب على ما ذكر، قال: "التقى هذا التابعي بأربعين من صحابة رسول الله ما منهم واحد إلا وهو يظن نفسه منافقاً".

فالإنسان إذا اتهم نفسه بالنفاق هذه علامة طيبة، معنى هذا أنه حريص على مكانته عند الله، حريص على أن ينجو من النفاق، فإذا شكا إنسان من نفسه بعض أنواع النفاق، فعلاج النفاق أن يعمل عملاً صالحاً دون أن يذكره لأحد.

((ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه))

إخفاء العمل الصالح في البدايات.

مرة أذكر كنا في رمضان العام الماضي، كل عام نُدعى إلى حفل لبعض المياتم للتبرع، فكنت ألقي كلمة، و كان الحاضرون من أهل اليسار، فصار هناك منافسة شريفة، مئة ألف من فلان لا مئتا ألف من فلان، لا ثلاثمئة ألف من فلان، ربع ساعة أو نصف ساعة دُفع سبعة ملايين، في المرة التالية اتخذوا قراراً دون إعلان عن المبلغ، وزعوا أوراقاً على الحاضرين كل واحد يضع مبلغاً للتبرع فالمجموع كان أقل من مليون، من ستة ملايين إلى أقل من مليون.

إذاً هناك مواطن ذكر الصدقة يشجع الآخرين.

(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)

[سورة البقرة الآية: ٢٧١]

وهناك مواطن إذا كانت تمس إنساناً معيناً وأنت ذكرتها تجرحه، فالحكمة تقتضي في بعض المواطن أن تسكت، وفي بعض المواطن الأخرى أن تعلن، إعلان الصدقة تشجيعاً للآخرين هذا من الدين، ولا شيء فيه، أما إذا شعر الإنسان أن نفسه حدثته ـ وأنت يهمك سمعتك، يهمك مكانتك، يهمك انتزاع احترام الناس، ويهمك أن تكون عند الناس محسناً كبيراً ـ في مثل هذه الحالة عليه أن يعالج نفسه التواقة إلى السمعة بهذا التصرف.

((ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه))

٧.رجل ذكر الله خاليا فاضت عيناه:

((ورجل ذكَرَ الله خالياً ففاضت عيناه))

أحياناً الإنسان إذا بكى أمام الناس، ما شاء الله! هذا ولي، انظر إلى هذه الأحوال، انظر إلى هذا الوجه المنير، انظر إلى هذا الذكر، أحياناً الواحد إذا بكى أمام الناس يبدو أنه محب لله عز وجل، قريب من الله، يكسب سمعة، أما هذا الإنسان إذا بكى خالياً لا يهمه أحد، بكى دون أن يشعر به أحد فهو أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

((ورجل ذَكَرَ الله خالياً ففاضت عيناه))

هذا الحديث رواه البخاري ومسلم، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تنطبق علينا إحدى هذه الصفات.

((سَبْعَة يظِلُّهمُ الله في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه الإمامُ العادلُ وشابٌ نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه مُعَلَّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعودَ إليه ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه ورجل دَعَتْهُ امرأة ذاتُ مَنْصِبٍ وجمال فقال إني أخافُ الله ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه، ورجل ذَكَرَ الله خالياً ففاضت عيناه))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٣٠-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في المشي إلى المساجد سيما في الظلم وما جاء في فضلها -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان بين نقطتين؛ بين الدنيا و الآخرة:

عن جبير بن مطعم أن رجلاً قال:

((يا رسول الله أي البلدان أحب إلى الله وأي البلدان أبغض إلى الله قال عليه الصلاة والسلام لا أدري حتى أسأل جبريل صلى الله عليه وسلم فأتاه فأخبره جبريل أن أحب البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق))

[مسند البزار عن جبير بن مطعم]

الأصل في هذا الحديث أن كل شيء يقربك إلى الله عز وجل يحبه الله لك، و كل شيء يبعدك عن الله عز وجل يبغضه الله لك، وأنت بين نقطتين إن اقتربت من إحداهما ابتعدت عن الأخرى، وإن اقتربت من الأخرى ابتعدت عن الأولى، أنت بين الدنيا والآخرة.

((من أحبّ دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه))

[أخرجه الطبراني عن أبي موسى الأشعري]

فالأصل أن الله سبحانه وتعالى هو الحق المبين، وأي شيء من قول، أو عمل، أو حال يقربك من الله عز وجل يحبه الله لك، لأنه خلقك لتسعد به، وأي شيء يبعدك عن الله عز وجل ولو أنها كلمة، فقد قالت السيدة عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

((حسبك من صفية كذا وكذا تعني قصيرة قال يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته))

[أبو داود عن عائشة]

فهذه الكلمة ازدراء بإنسانة مؤمنة، أم المؤمنين السيدة صفية، قال لها: هذه الكلمة لو مزجت بمياه البحر لمزجته.

كل ما جاء به النبي مرتبط بسعادة الإنسان الأبدية:

هنا نسأل سؤالاً: هل تحدث النبي عن كل شيء؟ الجواب: لا، ما كل حق قاله النبي، لكن كل ما قاله حق، بمعنى أن هناك أشياء معرفتها أو عدم معرفتها لا تقدم ولا تؤخر، ولا علاقة لها إطلاقاً

بالقرب من الله ولا بالبعد عنه، ما الذي جاء به النبي؟ أي شيء مهما بدا لك صغيراً، إذا كان له علاقة بالقرب من الله ـ علاقة إيجابية ـ ذكره النبي، بالبعد عنه نهاك عنه النبي، فالذي جاء به النبي مرتبط بسعادتك الأبدية، فإذا كان في تناول الطعام ما يضعف عن العبادات نهى عنه النبي، وإذا كان في ارتداء الثياب ما يبعد عن الله عز وجل نهى عنه النبي.

فأي شيء مهما بدا لك صغيراً، تافهاً، إذا كان له علاقة إيجابية أو سلبية بالقرب من الله أو البعد عنه ذكره النبي، أمراً أو نهياً، لذلك:

((رجل قال يا رسول الله أي البلدان أحب إلى الله وأي البلدان أبغض إلى الله قال لا أدري حتى أسأل جبريل))

[مسند البزار عن جبير بن مطعم]

لأنه أمين وحي السماء.

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

[سورة النجم]

((فأتاه فأخبره جبريل: أن أحب البقاع على الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق))

[مسند البزار عن جبير بن مطعم]

الأسواق فيها بضاعة معروضة عرضاً جميلاً، تغري بشرائها، وقد لا تملك ثمنها، قد تقترض ثمنها، تقع تحت طائلة الدين، أوضح مثل: أحياناً يأتي الإنسان مع زوجته إلى درس علم في المسجد، تُلقى آية، تُشرح آية، يُلقى حديث، يُشرح حديث، هذا الحديث يقرب بين الزوجين، يوفق بينهما، لو أنها ذهبت مع زوجها إلى السوق ورأت شيئاً أعجبها، دخله أربعة آلاف بالشهر، ثمن الكنزة ثلاثة آلاف، قالت له: خذ لي هذه الكنزة، و هو لا يملك إمكانية لأخذها، فتنشأ مشكلة، فكل شيء يقربك من الله عز وجل أمر به، وكل شيء يبعدك عن الله نهى عنه، فنحن حينما نستغرق بالأسواق، وبالبضاعة المعروضة فيه، ونشتهيها، ولا نملك ثمنها، نشتريها ونزهو بها، ولا نملك ثمنها، أو نشتريها ونتكبر بها، ابتعدنا عن الله عز وجل، الأسواق ضرورية لا بدّ، منها إلا أن الإنسان أحياناً تصبح عنده السلعة متعة وشراؤها متعة، واستخدامها متعة، بها يزهو، وبها يعلو، معنى هذا أنه أبعد الناس، وأبعد نفسه عن مظهر السعادة.

من يرتاد المساجد ينبغي أن نشهد له بالإيمان:

لذلك المؤمن يرتاد المساجد، ومن يرتاد المساجد ينبغي أن نشهد له بالإيمان، لقول الله عز وجل:

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

[سورة التوبة الآية: ١٨]

أحياناً إنسان يسمع تفسير آية، تنعقد في نفسه توبة نصوح، يسمع تفسير حديث يكون هذا الحديث مفتاح عودته إلى الله، يسمع موضوعاً يكون عقبة بينه وربه، هناك من يشرح له هذه العقبة، من يزيل له هذه العقبة، تجده من حديث واحد تألق، وعقد العزم على السير إلى الله، وتاب توبة نصوحة، هذا كله يتم في المسجد.

لذلك الصلاة في المسجد تعدل صلاة الفرد بسبع وعشرين ضعفاً، السبب، هناك علم، هناك سؤال، هناك جواب، هناك فتوى، هناك سماع قرآن، هناك سماع حديث، هذا الذي وجه به النبي عليه الصلاة والسلام، المؤمن في المسجد كالسمك في الماء، وكما مرّ من قبل:

((سَبْعَة يظِلُّهمُ الله في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه الإمامُ العادلُ وشابٌ نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه مُعَلَّق بالمسجد))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

الأسواق ضرورة، لكن باعتدال، نأخذ حاجتنا ونذهب، أما الآن هناك نساء أينما افتقدتهم كن في الأسواق، يتأملن هذه البضائع، هذه جميلة، هذه ليس عندي منها، هذه رأوها عليّ سأغير، دائماً شراء، حباً بالشراء، لا تغطية لحاجة أساسية.

الصلوات الخمس شحنات روحية:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((أرأيتم لو أنَّ نهرا بباب أحدِكم يغتَسِلُ فيه كلَّ يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يُبقي من درنه قالوا لا يُبقي من دَرَنهِ شيئاً قال فذلك مَثَل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

هذه الصلوات الخمس الله جلّ جلاله لأنه خالقنا هو الذي فطرنا، هو خبير بطبيعة النفس، فكلما مالت النفس إلى شيء من الدنيا تأتي الصلاة تجلوها، هي فريضة، ومعنى أنها فريضة أي أن سلامتنا وسعادتنا متوقفة عليها، فالصلاة شحنة، شحنة روحية، الإنسان يصلي الظهر يشعر أن الذي جرى من الفجر وحتى الظهر مسح، ومحي، وجليت نفسه إلى العصر، يصلي المغرب، يصلي العشاء، فهذه الصلوات الخمس شحنات روحية كل شحنة تكفي للصلاة التي بعدها، فإذا حافظ الإنسان عليها فقد أفلح ونجح، لأن النبي عليه الصلاة والسلام:

((الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ كَفَّارات لما بينهنَّ ما لم تُغْشَ الكبائر))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

فالإنسان إذا كان بعيداً عن الكبائر، الكذب كبيرة، والكبائر معروفة، إذا ابتعد عن الكبائر فكل صلاة تمحو ما علق بالنفس قبل الصلاة إلى الصلاة التي بعدها، وهكذا.

((الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ كَفَّارات لما بينهنَّ ما لم تُغْشَ الكبائر))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

شعور الإنسان بالراحة بعد الصلاة:

والحقيقة كل أخواننا الكرام يدركون هذه الحقيقة، الإنسان بعد الصلاة يشعر براحة قال:

((أرحنا بها يا بلال))

[أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة]

والصلاة نظام، مرة لي قريبة أصيبت بشلل، فقال الطبيب: حدثوها، اسألوها، لا تدعوها وحدها في غرفتها، فأنا سألته: ولِمَ؟ قال: لأن هذا الشلل سببه تضيق في شرايين الدماغ، السؤال والجواب يجعل الدماغ في نشاط، هذا الذي يصلي خمس صلوات، كل يوم يقف في الصلاة، يقرأ الفاتحة، سورة، يركع، يسجد، ثم يقف ويقرأ الفاتحة، ثم سورة ثم يقعد، هو في نشاط دائم، في الأعم الأغلب والله أعلم أن الذي يؤدي الصلوات الخمس ويتم ركوعهن وسجودهن كأنه يحمي نفسه من آفات خطيرة، لأن العضو الذي لا يعمل يضمر، فالإنسان إذا لم يصلِّ يضمر تفكيره، ما دام هناك صلاة فهناك تذكراً، و نشاطاً ذهنياً، أول ركعة، الثانية، الثالثة، الرابعة، سورة، والفاتحة، وسورة، الركوع له أذكاره، والسجود له أذكاره، إذاً:

((أرأيتم لو أنَّ نـهرا بباب أحدِكم يغتَسِلُ فيه كلَّ يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يُبقي من درنه قالوا لا يُبقي من دَرَنـهِ شيئاً قال فذلك مَثَل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الصلاة شيء أساسي في الدين:

حديث آخر:

((جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا قال من الصديقين والشهداء))

[رواه البزار وصححه ابن خزيمة عن عمرو بن مرة الجهني]

معنى ذلك الصلاة شيء أساسي في الدين.

((الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد ترك الدين))

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر]

بالمناسبة من تضييع الصلاة ألا تتم ركوعها وسجودها، من تضييع الصلاة ألا تخشع فيها، لأن الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها بل من فرائضها، لقول الله عز وجل:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ)

[سورة المؤمنون]

الحقيقة الصلاة هي الفرض الذي لا يلغى أبداً، الآن الصيام يسقط عن المريض والمسافر، والحج يسقط عن الفقير، والزكاة تسقط عن الفقير، الحج سقط لمن لا يستطيع، والزكاة سقطت عن الفقير، والصيام سقط عن المسافر وعن المريض، والشهادة تؤدى في العمر مرة واحدة، أما الفرض المتكرر الذي لا يلغى إطلاقاً هي الصلاة، والصلاة التي أرادها الله فيما يبدو غير هذه الصلاة التي يؤديها المسلمون، الصلاة التي أرادها الله اتصال حقيقي بالله، والله عز وجل هو كل شيء، فإن اتصلت به كل ثمرات الإيمان تقطفها سعادة، طمأنينة، رؤية صحيحة، الصلاة نور، الصلاة طهور، الصلاة حبور، تطهر، وتنور، وتسعد، والصلاة ميزان.

الآن إذا عمل الإنسان عملاً سيئاً وقام ليصلي يشعر أن هناك حجاب، الصلاة ميزان من وفى استوفى، من وفى الاستقامة حقها استوفى من الله ثمراتها.

الصلاة نور وطهور وحبور وذكر وميزان ومعراج:

الصلاة معراج المؤمن، الصلاة مناجاة، الصلاة دعاء، الصلاة ذكر.

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه]

الصلاة عقل، ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، فصارت الصلاة نوراً، وطهوراً، وحبوراً، وذكراً، ومناجاة، وميزاناً، ومعراجاً.

((أرحنا بها يا بلال))

[أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة]

((وجُعِل قُرَّةُ عَيْني في الصلاة))

[أخرجه النسائي عن أنس بن مالك]

لكن مشكلة الصلاة أنها ميزان حساس، ما دام هناك مخالفة، الآن الواحد أثناء البيع والشراء، بصره ما كان مضبوطاً مع النساء، أذن الظهر يتكاسل في صلاة الظهر حتى لو صلى يشعر بحجاب بينه وبين الله، لو فرضنا هناك استقامة حازمة مضبوطة، يوجد جهد كبير في طاعة الله، الصلاة تغدو محببة، لا يصليها متكاسلاً يصليها نشيطاً، وقد يبكي في الصلاة، وإذا لم يبكِ يشعر بقرب من الله عز وجل.

فقد قال عليه الصلاة والسلام أيضاً:

((أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله))

[روى الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن قرط]

الصلاة علامة العبودية لله إن صلحت صلح سائر العمل:

بقي حديثان في باب الصلاة، الحديث الأول:

((لا إيمان لمن لا أمانة له))

[الطبراني في الأوسط عن ابن عمر]

غير أمين، غير مؤمن، أرأيتم الدين؟ لا يوجد أمانة، لا يوجد إيمان.

((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له))

[الطبراني في الأوسط عن ابن عمر]

عندنا قاعدة أصولية: ما لم يتم إلا بالشيء فالشيء يأخذ حكم النتيجة، الصلاة فرض، لا تصح إلا بالوضوء، الوضوء صار فرضاً، ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض.

إذاً:

((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له))

[الطبراني في الأوسط عن ابن عمر]

أكثر كلام المتفلتين: أنا إيماني بقلبي، لماذا لا تصلي؟ الله يغفر لنا إن شاء الله، أنا لا أؤذي أحداً، هذا كلام فارغ، كلام مضحك، الصلاة علامة العبودية لله عز وجل.

((لا دين لمن لا صلاة له إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد))

[الطبراني في الأوسط عن ابن عمر]

إن صلحت صلح سائر العمل.

مرة ثانية: الصلاة التي نتحدث عنها هي الصلاة التي أرادها الله عز وجل لا التي يؤديها الإنسان وهو غافل، والله هناك صلاة كعدمها.

من أخّر الصلاة عن وقتها أذهب الله البركة من عمره:

آخر حديث أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم:

((أخبرني بعمل يُدْخِلُني الجنَّة ويباعدني من النار فقال القوم ما لَهُ ما لَهُ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أرَبٌّ ما لَهُ تعبدُ الله لا تُشْرِك به شيئاً وتقيمُ الصلاةَ وتُؤتي الزكاةَ وتَصِلُ الرَّحِمَ))

[متفق عليه عن أبي أيوب]

من خلال هذه الأحاديث التي في الترغيب والترهيب، في باب الترغيب في الصلوات الخمس، يتضح أن الصلوات الخمس هي:

((الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد ترك الدين))

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر]

والإنسان ليس له عذر، وأحب الصلاة إلى الله على وقتها ـ أي في الوقت الأول ـ وهناك أخوان كثيرون هم في أعمالهم نادى المنادي تركوا أعمالهم وتوجهوا إلى أداء صلواتهم عندئذٍ.

لذلك قيل: من أخّر الصلاة عن وقتها أذهب الله البركة من عمره، لذلك أخطر صلاتين الظهر والعشاء، ادخل إلى البيت، الأولى أن تصليها في المسجد، لكن إن لم تتمكن من ذلك، أول عمل صلِّ الظهر، صار هناك بركة بالوقت، أول عمل صلِّ العشاء، صار هناك بركة بالسهرة، تعبت تنام مباشرة لا يوجد مشكلة، فالإنسان عندما يؤخر الصلاة، ويتعب عن أدائها كما أراد الله يقع في مشكلة مع الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٣١-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في المشي إلى المساجد سيما في الظلم وما جاء في فضلها -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الله تعالى أراد أن يكون الإنسان اجتماعياً لأنه من خلال الجماعة يسمو :

أيها الأخوة الكرام، فصل في الترغيب في صلاة الجماعة، وفضل من قصدها وإن لم يدركها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((صلاةُ الرجل في الجماعة تُضعَّف على صلاته في بيته، وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسنَ الوُضُوءَ، ثم خرجَ إلى المسجد، لا يُخرجُه إلا الصلاةُ، لم يَخْطُ خُطوة إلا رُفعت له بها درجة، وحطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تَزَل الملائكة، تُصلِّي عليه ما دام في مُصلاه، اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدُكم في صلاة ما انتظرَ الصلاة))

[متفق عليه ـ وهذا لفظ البخاري عن أبي هريرة]

الإنسان أيها الأخوة، فيه نوازع فردية، ونوازع اجتماعية، النوازع الاجتماعية تصميم حياته مبني على الجماعة، الله عز وجل مكن الإنسان من شيء، وجعله مفتقراً إلى ألف شيء، فأنت تتقن صنعة، تتقن حرفة، تتقن اختصاصاً، لكنك بحاجة إلى آلاف الذين حولك، تحتاج إلى من ينسج لك الثياب، من يخيط لك الثياب، من يحلق لك الشعر، من يزرع لك النبات، من يجلب لك الماء، من يبني لك البيت، أنت معلم، طبيب، مهندس، مدرس، تاجر، لك اختصاص واحد، لكنك بحاجة إلى آلاف الاختصاصات، معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد الإنسان أن يكون اجتماعياً، لأنه من خلال الجماعة يسمو.

اجعل إنساناً يسكن في مكان وحده، هل هو صادق؟ يحدث من؟ هل هو أمين؟ كل الفضائل تتوقف، لو أن الإنسان عاش وحده كل الفضائل تتوقف، أما حينما يعيش في جماعة يظهر صدقه أو كذبه، أمانته أو خيانته، إخلاصه أو عدم إخلاصه، استقامته أو انحرافه، إنصافه أو زوره، الفضائل والرذائل تتبدى في الجماعة، فالله سبحانه وتعالى أرادنا أن نكون في جماعة.

الجماعة رحمة والفرقة عذاب :

لكن هنا الجماعة في الصلاة شيء آخر، الصلاة صلاة، الله عز وجل معنا في كل مكان، فلو صليت في البيت هو معك، تذكره وتناجيه، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

[سورة النجم]

بيّن أن صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة، السبب أنك في المسجد تلتقي بإخوانك المؤمنين، أول شيء تتعرف إليهم.

((والجماعة رحمة والفرقة عذاب))

[أخرجه الطبراني عن النعمان بن بشير]

ثاني شيء: لعلهم يعينونك، أو تعينهم، يسترشدونك، أو تسترشدهم، يأخذون بيدك أو تأخذ بيدهم، يعاونوك، أو تعاونهم، صار هناك علاقة، لعلك تستأنس بهم ويستأنسون بك، لعلك تتقوى بهم، ويتقوون بك، فكل الخير من الجماعة، الإنسان لو عاش وحده، نشأ عنده أوهام ورؤى غير صحيحة، وقد يفتي لنفسه، وقد ينجرف نحو الهلاك دون أن يشعر، لكن مع أخوانه يسددون خطاه، يوقظونه من غفلته، ينصحونه إذا ضلّ.

إذاً صلاة الجماعة ليس منها الصلاة نفسها، القصد منها أن تلتقي بإخوانك، أن تنشأ علاقة، أن تأخذ بيدهم وأن يأخذوا بيدك.

دليل قوي على وجوب صلاة الجماعة :

والحقيقة أقوى دليل على صلاة الجماعة هو أن المؤمنين لو كانوا في حرب وكانوا في خط المواجهة الأول، وكانوا يلتحمون مع العدو، عليهم أن يصلوا جماعة، يقف النبي، ويقف أصحابه وراءه صفاً، وصف آخر يحرسهم، فإذا أدّوا معه ركعة تنحوا للحراسة، وجاء الذين حرسوا ليصلوا مع النبي الركعة الثانية، هكذا شرع الله صلاة الجماعة في الحرب، فنحن في السلم، إذا كانت صلاة الجماعة واجبة مفروضة في الحرب، وفي خط المواجهة الأول، وفي أثناء الالتحام مع العدو، فلأن تكون واجبة ألف مرة في السلم من باب أولى:

((وذلك أنه إذا توضأ فأحسنَ الوُضُوءَ، ثم خرجَ إلى المسجد، لا يُخرِجُه إلا الصلاةُ، لم يَخْطُ خُطوة إلا رُفِعت له بها درجة، وحطّ عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تَزَل الملائكة، تُصلِّي عليه ما دام في مُصلاه، اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدُكم في صلاة ما انتظرَ الصلاة))

[متفق عليه ـ وهذا لفظ البخاري عن أبي هريرة]

أي انتظار الصلاة صلاة، ما دام دخل المسجد معتكفاً فهو في صلاة إلى أن ينتهي من صلاة المسجد.

من أَلِف الصلاة في جماعة شعر برحمات قلّما يشعر بها الآخرون :

سبحان الله ! الشيء الثاني: إذا الإنسان ألف صلاة الفجر في المسجد يشعر برحمات قلّما يشعر بها الآخرون.

((ولو علموا ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

والإنسان حينما يفتتح نهاره بعبادة، وبسماع موعظة، نهاره كله في ذمة الله.

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي))

[مسلم عن جندب بن عبد الله]

هناك مطبات في الحياة، و ورطات، و حوادث قاهرة، و مشكلات تنشأ وأنت بريء منها، هذا اليوم أنت في ذمة الله.

لي صديق موظف بوظيفة حساسة، أقسم لي بالله: أنه إذا فاتته صلاة الجماعة في المسجد لا يداوم في وظيفته، يخاف، يقدم إجازة، يشعر أن هذا اليوم فيه مشكلة، هو حينما يصلي، وينطلق إلى عمله مطمئناً أن الله معه، اليوم في حفظ الله، وفي ذمة الله.

((ابن آدم لا تعجز عن ركعتين قبل الفجر أكفك النهار كله))

[ورد في الأثر]

أنت اليوم مضمون، أنت اليوم في ظلّ الله، يوم لا ظل إلا ظله، في رعايته ، سبحان الله ! تجد مسجداً ضمن أبنية، كل بناء اثنا عشر طابقاً، وكل طابق ثماني شقق، تجد صفين أو ثلاثة، لو أنهم صلوا جميعاً لامتلأ المسجد، رواد الفجر قلائل جداً بالقياس إلى مجموع السكان في أي المنطقة، معنى ذلك هذه رحمة من الله عز وجل، الذي مكنه الله أن يصلي الفجر في جماعة، وأعانه عليها، وأيقظه، قال: لا تعصه في النهار يوقظك في الليل، فالإنسان إذا ارتكب مخالفات تجده ينام ويغط ولا يستيقظ، لا تعصه في النهار يوقظك في الليل وهذه رحمة:

وسر نحونا في الليل لا تخشى وحشتنا فالأنس في طيب ذكرنا

* * *

من سلك عبادة تقربه من الله فليحافظ عليها :

حديث آخر:

((صلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاة الفذّ ـ أي الواحد ـ بسبع وعشرين درجة))

[متفق عليه عن ابن عمر]

هناك نقطة دقيقة: هو أن الذين يصلون الفجر في جماعة ينشأ بينهم علاقة خاصة، مودة خاصة، هذا رفيق صلاة الفجر، هناك دروس، وهناك صلوات أخرى، لكن رفيق صلاة الفجر إنسان متميز، هناك عزيمة، وهناك خروج من البيت وقت النوم، وقت الراحة، وقت الاسترخاء، كل إنسان في بيته مرتاح، هذا ينزع عنه الغطاء، ويقوم ليصلي الفجر في جماعة، هؤلاء رفقاء ينشأ بينهم مودة خاصة، وعلاقة متميزة.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

((عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدٍ جَمَاعَةً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا تَفُوتُهُ الرَّكْعَةُ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عِتْقاً مِنْ النَّارِ))

[ابن ماجه عن عمر بن الخطاب]

والعبرة المداومة، أحياناً الإنسان يفور، ينطلق، يتألق، جميل جداً، لكن الأجمل من ذلك الاستمرار.

((وأنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قلَّ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن عائشة أم المؤمنين]

الأجمل من ذلك ألف مرة الاستمرار، الثبات نبات، أنت لا تنمو إلا بالثبات، فالإنسان يعاهد نفسه، إذا سلك عبادة، أو فعل شيئاً جديداً يقربه إلى الله عز وجل أن يحافظ عليه.

من وصل إلى المسجد بعد فوات الأوان أدرك نفحة من نفحات الإيمان :

هناك نقطة جديدة، الإنسان أحياناً له درس علم، لأمر قاهر جداً فاته نصف الدرس، نظر وقال: لن أستطيع أن ألحق به، في بعض الأخوة رغم أنه فاته نصف الدرس، وبقي نصف ساعة حتى ينتهي الدرس، والطريق يحتاج إلى نصف ساعة يقول: يجب أن آتي إلى الدرس، يدخل بعدما يقول المدرس والحمد لله رب العالمين، ما الذي يحدث؟ الذي يحدث أن الله سبحانه وتعالى يخصه برحمة خاصة، رغم أنه لم يسمع ولا كلمة، يدخل للمسجد، يرى أخوانه، ويسلم عليهم، ويستأنس بهم، وكأنه حضر الدرس، من هنا جاء الحديث دقيق:

((من توضأ فأحسن وضوءه، ثمَّ راح إلى الصلاة، ووجد الناس قد صلَّوْا أعطاه الله مثل أجر من صلَّى تلك الصلاة وحضرها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً))

[رواه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم عن أبي هريرة]

أدرك شيئاً، أدرك نفحة من نفحات الإيمان.

لو وصلت إلى المسجد بعد فوات الأوان لك من الله نصيب، نظير على هذا الحرص، على حضور الدرس، أو حضور الصلاة، وهذا الدرس دقيق.

((من توضأ فأحسن وضوءه، ثمَّ راح إلى الصلاة، ووجد الناس قد صلَّوْا أعطاه الله مثل أجر من صلَّى تلك الصلاة وحضرها، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً))

[رواه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم عن أبي هريرة]

هذا المعنى يقودنا إلى معنى آخر أن الإنسان عندما يمرض، طبعاً له عبادات تتوقف أثناء مرضه، أو يسافر، فالمؤمن المريض، والمسافر يُكتب له أجرُ المقيم الصحيح، كأنه مقيم، وكأنه صحيح، فكل العبادات التي يؤديها وهو مقيم، وهو صحيح، يُكتب له أجرها تماماً من دون أن ينقص من أجورهم شيئاً.

الفرق بين صلاة الفرد و صلاة الجماعة :

الأحاديث اليوم عن صلاة الجماعة.

((وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ))

[أخرجه الطبراني عن النعمان بن بشير]

((وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ))

[الترمذي عن ابن عمر]

والإنسان بالجماعة تعلو همته، وهو فرد تضعف همته، الآن تصلي لوحدك تقرأ صفحتين؟ لا، تقرأ قل هو الله أحد، أما هنا تسمع صفحة بأكملها، وثاني ركعة صفحة ثانية، في همة، في إمام مجود، يقرأ بشكل متسلسل، فسماع صفحة مع الخشوع غير قراءة سورة قصيرة بغير خشوع، أنت تصلي وإلى جانبك السرير كمن يصلي في مسجد؟ هنا يوجد يا الله سوف أذهب وأنام، أما هنا يوجد مسجد، يوجد درس، يوجد ذكر، يوجد ورد، يوجد صلاة، فهناك فرق بين صلاة الفرد وصلاة الجماعة، أنت تصلي بالبيت، الأولاد يتشاجرون بالغرفة الثانية، وسمعت كل شجارهم، لماذا فعل هذا ابني؟ أنت تصلي وتحدثهم بنفسك، ما هذه الصلاة؟ أما بالمسجد لا يوجد شيء، لا يوجد مشكلة، ولا زوجة، ولا دق الباب، من جاء يا ترى؟ وأنت تصلي، البيت فيه حركة، أما الجامع للعبادة، هناك فرق بين البيت وبين المسجد، حتى الإنسان إذا صلى بالبيت، أنا أتمنى أن يصلي بغرفة الضيوف لوحده، يدخل لغرفة لا يوجد بها أحد، لا يصلي بغرفة الجلوس، جالسون، ويتكلمون، ويتحركون، أنت معهم شئت أم أبيت، تصلي بالبيت صلِّ في غرفة نائية حتى يصبح هناك وجهة إلى الله عز وجل، هذا بعض ما في صلاة الجماعة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٣٢-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في صلاة العشاء والصبح خاصة في جماعة والترهيب من التأخر عنهما

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٥-٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخلاص والإتقان شرطان لازمان غير كافيين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((اعبد الله كأنك تراه وعُدَّ نفسك في الموتى وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مستجابات وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما فلو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا))

[الطبراني عن أبي الدرداء]

أولاً

((اعبد الله كأنك تراه))

هذا من أجمع الأحاديث الشريفة، لأن النبي عليه الصلاة والسلام في حديث آخر يروي قصة جبريل عليه السلام، حينما جاءه على شكل رجل شديد بياض الثياب، فجلس أمام وسأله قال له:

((يا رسول الله ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لم تره فإنَّه يراك))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبي ذر الغفاري]

النبي عليه الصلاة والسلام أوتي جوامع الكلم، فحينما سُئل عن الإحسان لم يجب، لم يعرف الإحسان، لكن عرف الطريق الذي يفضي إليه، أنت متى تتقن عملك ؟.

أولاً: الإحسان هو الإتقان، الإحسان في العبادة إتقان العبادة، الإحسان في الحرفة إتقان الحرفة، كل عمل تفعله إن أتقنته وأخلصت فيه فقد أحسنت، الإتقان شكلاً، والإخلاص باطناً.

من هنا قال الفضيل بن عياض: "العمل لا يُقبل إلا بشرطين، إلا إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة".

إتقان العمل موافقته للسنة تماماً، في الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وفي الحرفة، وفي الأعمال، وفي كل شيء، إتقان العمل موافقته للسنة، والإخلاص إليه أن تبتغي به وجه الله.

لو أن إنساناً أخلص في عمله، ولم يجعله مطابقاً للسنة، فالعمل مرفوض، لو أن إنساناً جعله مطابقاً للسنة، ولم يكن مخلصاً، فالعمل مرفوض، الإخلاص والإتقان شرطان لازمان غير كافيين، لا يكفي

الإخلاص وحده، ولا الإتقان وحده، أن يكون متقناً وأن يوافق السنة، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يعرّف الإحسان، بل عرّف الطريق إليه.

الانضباط الحقيقي للإنسان أن يعبد الله كأنه يراه:

الإنسان من طبيعته أنه ينضبط إذا كان مراقباً، فالموظف لو أنه مراقب يتقن عمله، لذلك الرقابة في الإسلام ذاتية، المسلم يشعر أن الله معه، وأن الله يراقبه، كما أن الرجل يتقن العمل أمام أحد كبراء قومه، كل حركاته وسكناته متقنة إذا كان تحت المراقبة، فيكفي أن تشعر أن الله معك، كأنك تراه، أما إن علمت أنه يراك هذا أيضاً يحقق الهدف.

أنا مرة دخلت إلى محل تجاري، رأيت أمام مدير المحل شاشة، يظهر عليها موظف يكتب، فسألته من هذا ؟ قال: هذا محاسب في الطابق الأعلى، فقلت: هذا الإنسان مادام مراقباً طوال الوقت هل يستطيع أن يجلس بلا عمل ؟ هل يستطيع أن يغادر مكانه ؟ أبداً، هذا الموظف لا يرى صاحب المحل وهو يراقبه، لكنه يوقن أنه مراقب.

إن أيقنت أنك مراقب تستقم على أمر الله.

((اعبد الله كأنك تراه))

أحياناً يلجأ بعض العلماء؛ علماء الأخلاق، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس إلى أن يعتقدوا أن هناك ضميراً، هناك ضمير مسلكي، هناك إحساس بالمسؤولية، كل هذا لا معنى له، الكلام الذي له معنى أن يشعر العبد أن الله يراقبه، أما من دون هذا الشعور يتعلقون بأوهام، ما هو الضمير ؟ يدّعي أنه صاحب ضمير ثم يفعل الشيء الذي لا يقبل، أما الانضباط الحقيقي اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

مثلاً ببعض المكاتب الحديثة لا يوجد جدران، هناك بلور، المدير العام يرى كل الموظفين، وجود المدير العام، ورؤيته كل الموظفين هذا أحد ضمانات إتقان العمل، لأن الموظف مراقب.

إتقان العبادة أن تشعر أن الله معك يراقبك في كل أعمالك و حركاتك:

موضوع المراقبة الآن موضوع أساسي، لكن فات هؤلاء العلماء أن المؤمن يشعر أن الله يراقبه.

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)

[سورة النساء]

فإتقان العبادة أن تشعر أن الله معك، إتقان الحرفة، إتقان العمل.

قال له: "بعني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال له: ليست لي، قال له: قل لصاحبها: ماتت، قال له: إني عنده صادق أمين، ولكن أين الله ؟".

أنا أكاد أقول: إن الشيء الذي يحملك على الاستقامة أن تشعر أن الله معك دائماً، هذه أكبر ضمانة، اعبد الله تعالى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

كنت أضرب على ذلك مثلاً، أحياناً إنسان يقف أمام كاميرا ليلقي كلمة، لا يوجد أحد بالأستوديو لماذا يضطرب؟ ما من أحد يحاسبه، إلا أنه يوقن أن كل الناس يرونه في هذه اللحظة، وأنهم جميعاً سوف ينتقدونه، وأنه تحت المراقبة، فهناك حالات، أحياناً يقول لك: الطريق مراقب بالرادار، لماذا تنضبط بالسرعة ؟ لأن الطريق مراقب.

فأنت إن أحسست أنك مراقب، وأعظم رقابة رقابة الله عز وجل

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)

والحقيقة لو أن إنساناً في حضرة رجل كبير من قومه، كل أسرة فيها عميد أسرة، شخص محترم جداً، وقور جداً، ذكي، عالم، لو أنه زارك في البيت، ماذا تلبس أمامه ؟ أجمل ثيابك، كيف تتكلم أمامه؟ تنتقي أجمل العبارات، كيف تجلس أمامه؟ جلسة في منتهى الأدب، كيف تقدم له ضيافة ؟ ضيافة جيدة، الإنسان يراعي أعلى درجات الأدب إذا كان أمام كبير من قومه، فما بالك بالله عز وجل إذا كان معك؟.

((اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى))

هناك أشياء نعتقد بها تقع أو لا تقع، الموت، هل يستطيع إنسان واحد أن يتفلت منه؟ هو واقع لا محال، شئنا أم أبينا، أحببنا أم كرهنا، أعجبنا أم لم يعجبنا، واقع لا محال، هذا الموت أشد الأحداث واقعية، فالذي يضعه في حساباته اليومية هو الذي يسلم.

عندنا أول شيء:

((اعبد الله كأنك تراه))

الموت هو الحدث الوحيد الواقعي الذي لا بدّ من أن يقع فالعاقل من أعدّ له:

الشيء الثاني:

((واعدد نفسك في الموتى))

لأن هذا الحدث الوحيد الواقعي الذي لا بدّ من أن يقع، مهما كنت قوياً، مهما كنت غنياً، مهما كنت صحيح الجسم، مهما كنت تعتني بصحتك إلى أقصى درجة، الموت واقع لا محال، ليس معنى ذلك

أن تنهي الحياة، الحياة قائمة، والحياة قوية، أما حينما تنضبط بمنهج الله، الموت أصبح تحفة لك، الموت أصبح قربة لك، أصبح عرساً لك، بين أن يكون مصيبة وبين أن يغدو عرساً، الفرق بينهما أن تعد نفسك في الموتى، أي إنك ميت مع وقف التنفيذ.

إذا انتهت إقامة إنسان في بلد ما، وأعطوه شهرين مهلة ليغادر، يمكن أن يعيش المغادرة كل لحظة؟ لا، أما إذا كان الإنسان مقيماً في بلد نفطي وفي بحبوحة كبيرة، لكن إقامته منوطة بموافقة المسؤولين، فجاءه إخطار أن إقامتك قد انتهت، معك شهرين كي تغادر البلد، أنا أقسم لكم بالله أن المغادرة لا تغيب عن ذهنه ولا ثانية، أبداً.

فالنبي يعلمنا أن نعد أنفسنا في الموتى، أنا سأغادر، فكل شيء يبدو صغيراً أمام المغادرة، أما إذا لم يكن هناك مغادرة فالوضع سيختلف.

قال لي إنسان: كنت أنتظر إنساناً في دائرة حكومية، فسمعت حديثاً بين شخصين، قال له: تعبنا جداً أثناء كسوة هذا البيت، و قد مرّ ستة أشهر وأنا محتار، هل أجعل التدفئة المركزية داخلية أم خارجية؟ ستة أشهر وهو يسأل الناس، ثم انتهى إلى أنه سيجعلها داخلية، وبعد عشرين عاماً إذا فسدت الأنابيب سيجعلها خارجية عندئذٍ، مخطط لعشرين سنة، وقد يكون كفنه قد نسج، وهو لا يدري.

فالإنسان حينما يعد نفسه في الموتى، ويدخل هذه الحقيقة في حساباته اليومية، يجد الأشياء تصغر أمامه لا تكبر، عندئذٍ يعجبه بيته مهما كان، تعجبه زوجته، يعجبه دخله، لأنه عدّ نفسه في الموتى، الموت ينهي كل شيء، ينتهي غنى الغني، وينهي فقر الفقير، ينهي قوة القوي وضعف الضيف، وسامة الوسيم ودمامة الدميم، ينهي صحة الصحيح ومرض المريض، الموت ينهي كل شيء.

أروع شيء بالحياة أن تتوقع شيئاً ثم يقع:

((واعدد نفسك في الموتى))

أي اجعل هذه الحقيقة ماثلة أمامك، أحياناً الإنسان ببيته يقول: أنا إن مت أين سيغسلونني؟ بالحمام ؟ بالمطبخ ؟ بالغرفة ؟ يا ترى أموت بالبيت ؟ أموت خارج البيت ؟ أموت بالبلد؟ أموت وأنا مسافر؟ في النهار؟ في الليل؟ هذا الموت شيء لابدّ منه، وحقيقة واقعة، فإذا أدخله الإنسان في حساباته يستعد له، أروع شيء بالحياة أن تتوقع شيئاً ثم يقع، لا تفاجأ أبداً، لا تضطرب أبداً.

فالإنسان إذا أعدّ لشيء خطير، ثم أتى هذا الشيء الخطير لا يوجد مشكلة أبداً، من الذي يصعق بالموت ؟ هو الذي أخرجه من كل حساباته، وعاش وكأنه لن يموت، ثم جاء الموت ينسيه الحليب

الذي رضعه من ثدي أمه، أما إذا أدخل الموت في حساباته اليومية، أنا لا بدّ من أن أموت، تجد حب الحياة يغلب على اليقين بالموت.

أحياناً الإنسان يعجب ! إنسان بالستين، بالسبعين، كأنه يتحرك ليعيش أكثر من مئتي عام، يكون كما قال النبي الكريم:

((مُعْتَرَكُ المنايا ما بين الستين إلى السبعين))

[أخرجه أحمد والترمذي عن أبي هريرة]

فالإنسان إذا أيقن بالموت ينضبط، هذا حديث من أصول الأحاديث:

((اعبد الله كأنك تراه المستقبل واعدد نفسك في الموتى))

الأحمق هو الإنسان الذي يظلم الناس:

لأن الذنب الذي لا يغفر، ويعجل العذاب لصاحبه في الدنيا:

((وإياك ودعوات المظلوم))

المظلوم ضعيف، ولو كان قوياً لما ظلمته، يقول لك: امرأة مقطوعة ليس لها أحد، أحياناً صانع يعمل عندك، وهو يتيم، تستغله إلى أقصى درجة، دوام طويل، جهد شاق، لا يوجد من يحاسبك، لا يوجد من يدافع عنه، ليس له ولي.

أنا أرى أحمق إنسان هو الذي يظلم وهو يظن أنه لن يحاسب، الإنسان أحياناً يظلم زوجته، أو يظلم غلاماً عنده، أو يظلم موظفاً، يفعل هذا وكأنه قضية بسيطة.

((وإياك ودعوات المظلوم))

في بعض الأحاديث: "ولو كان كافراً فإنها مستجابة".

طبيب موثوق، جاءته امرأة معها ورم خبيث، لو أنه قال لها: معك ورم خبيث، و العلاج ليس عندي بل عند اختصاصيين لما ظلمها، لكنه أعطاها حبوباً مضادة للالتهاب، كورتيزون، وأدوية عادية، فتفاقم المرض، وتفاقم، وتفاقم، فلما بلغ حداً أوشكت المرأة على الموت، أخذها زوجه إلى طبيب اختصاصي، قال له: هذا سرطان، ولن تعيش إلا أياماً معدودة، لِمَ أهملتها حتى الآن ؟ قال: أنا لم أهملها، أنا كنت عند فلان، هذا الطبيب لم يقل لي سرطان، أعطاني أدوية التهاب، فعرف الزوج أن هذا الطبيب خدعه سنتين، يبتز ماله ابتزازاً، مع العلم أن طالب الطب يعلم أن هذا ورم خبيث، يقول لي هذا الطبيب الاختصاصي: هذا الزوج وقع على الأرض مغشياً عليه، وناجى ربه قال: يا رب إن كنت موجوداً انتقم من هذا الطبيب، يقسم بالله العظيم هذا الطبيب الاختصاصي الذي

زارنا من فترة، قال لي: جاءني بعد أحد عشر شهراً رجلاً يبدو عليه أناقة، قال له: أنا زميلك، ومعي ورم، هو نفس الطبيب الذي دعا الزوج عليه.

من كان عقله راجحاً يقف عند حدود الله و لا يتعدى على عباده:

أنا أشعر أن أحمق الناس، أغبى الناس، هو الذي يظلم عباد الله، وينسى أن لهؤلاء العباد رباً سينتقم منهم أشد الانتقام.

حدثوني عن رجل كان يستغل عمله ليزني بالنساء اللواتي عنده، في نهاية حياته صار الناس يزنون بامرأته أمامه، لأنه كان مفلوجاً، على مرأى من عينه.

((وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مستجابات))

كلما كان عقلك أكثر رجوحاً تقف عند حدودك، ولا تتعدى على عباد الله.

لي قريب توفي ـ رحمه الله ـ كان يعمل في تصليح السيارات، حدثني عن شخص اقتنى سيارة حديثة، هي جديدة لكن فيها عطلاً، فصاحب المحل أدرك أن هذا الإنسان جاهل بهذه السيارة طبعاً فقال له: فيها علة كبيرة جداً تحتاج إلى ثلاثة أيام، وطلب سعراً كبيراً جداً، عشرة آلاف وهي لا تحتمل أكثر من ساعة تصليح، ومئات الليرات، لكن أدرك أن الإنسان غشيم، يقول لي قريبي: أول يوم ذهب بالسيارة مع أهله إلى الزبداني، وثاني يوم للوادي، وثالث يوم للمطار، ثم أصلحها خلال ساعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و أخذ من صاحبها عشرة آلاف ليرة، وصاحبها لا يعلم أنها لا تحتاج هذا المبلغ، ابن صاحب المحل كان يعمل بمخرطة للحديد دخلت نثرة في عينه، كلفته ستة عشر ألف ليرة لبنانية، عندما كانت الليرة بمئة و ستين قرشاً.

((وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مستجابات))

فكلما كان عقلك أرجح، وقاف عند كتاب الله، تنصح الناس، لا تكذب عليهم.

فضل صلاة الفجر و العشاء في جماعة:

((وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما فلو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا))

معنى ذلك أن يشهد الصلاتين، أن يصلي في جماعة، فالإنسان إذا صلى صلاة العشاء في جماعة كأنه قام الليل، وإذا صلى الصبح في جماعة كأنه قام الليل.

((من صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح ومن صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي))

[ورد في الأثر]

((وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما فلو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا))

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٣٣-١١٦) : كتاب الصلاة - الترهيب من ترك حضور الجماعة لغير عذر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الترهيب من ترك حضور الجماعة بغير عذر :

أيها الأخوة الكرام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من سمع المنادي ـ الأذان ـ فلم يمنعْهُ من اتِّباعه عذر، قالوا: وما العُذْر ؟ قال: خوف أو مرض، لم تُقبل منه الصلاةُ التي صلَّى))

[أبو داود عن ابن عباس]

العذر الخوف، خوف عدو، أو مرض شديد حال بينه وبين أن يصلي في المسجد.

((من سمع المنادي فلم يمنْعهُ من اتِّباعه))

اتباعه ؛ أي الاستجابة له، سمع النداء ليستجيب له، أن يأتي المسجد ليصلي.

((.... من اتِّباعه عذر، قالوا: وما العُذْر ؟ قال: خوف أو مرض، لم تُقبل منه الصلاةُ التي صلَّى))

هذا الحديث جاء تحت باب الترهيب من ترك حضور الجماعة بغير عذر.

وذكرت لكم أن الصلاة هي الصلاة، إلا أن صلاة الجماعة أن تقيم علاقة مع إخوانك، فالعلاقة في المسجد علاقة مباركة، أخوك في المسجد تنصحه وينصحك، ترشده وترشده، يأخذ بيدك، وتأخذ بيده، قد تتعاونان على أمر الدنيا، أو على أمر الآخرة.

((عليكم بالجماعةِ، وإيَّاكُم والفُرْقة، فإنَّ الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر]

((فإنما يأكلُ الذِّئبُ من الغنم القاصية))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي الدرداء]

وعن ابن أم كلثوم رضي الله عنه، قال:

((يا رسول الله إني رجل ضَرِيرُ البصر، شاسِعُ الدار ولي قائد لا يلازمني، فهل لي رخصة أن أصلِّي في بيتي ؟ قال عليه الصلاة والسلام: هل تسمع النداءَ ؟ قال: نعم، قال: فأجِب، فإني لا أجِدُ لك رُخْصة))

[أبو داود عن ابن أم مكتوم]

((ضَريرُ البصر، شاسعُ الدار ـ داره بعيدة عن المسجد ـ ولي قائد لا يلازمني ـ أي لا يوافقني دائماً ـ فهل لي رخصة أن أصلّي في بيتي ؟ قال عليه الصلاة والسلام: هل تسمع النداءَ ؟ قال: نعم، قال: فأجِب، فإني لا أجدُ لك رُخْصة))

هذان الحديثان تحت باب الترهيب من ترك حضور الجماعة من غير عذر.

على الإنسان أن يجمع بين صلاة الجماعة و الصلاة في البيت :

عندنا شيء آخر: هو أن البيت ـ بيت المسلم ـ لا ينبغي أن يكون قبراً، أي يجب أن تصلي في البيت، فكيف نجمع بين صلاة الجماعة والصلاة في البيت؟ قال عليه الصلاة و السلام :

((إذا قضى أحدُكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته))

[أخرجه مسلم عن جابر]

أي يمكن أن تصلي الفرض بالمسجد، والسنة في البيت، لك أن تصلي الفرض في المسجد، والوتر في البيت، لك أن تصلي ركعتي الفجر في البيت، والفرض في المسجد، أي اجعل السنن في البيت والفرائض في المسجد، بهذا تجعل البيت مسجداً لك، لأن صلاة الرجل في بيته يستفيد منها أنه يعلم زوجته وأولاده الصلاة عملياً عندما يرونه يصلي، ألم يقل النبي الكريم:

((صلوا كما رأيتموني أصلي))

و هناك حديث آخر :

((مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيت الذي لا يذكرُ الله فيه: مَثَلُ الحيِّ والميِّت))

[متفق عليه عن أبي موسى]

تصور بيتاً لا يوجد فيه صلوات، لكن هناك تمثيليات، هناك أجهزة لهو، و هناك غيبة، ونميمة، وسهرات، وطرائف، ومزح، وضحك، واختلاط، هذا بيت يمقته الله عز وجل، تصور بيتاً فيه تلاوة قرآن، فيه أداء صلوات، فيه مجالس ذكر، فيه سهرات إيمان، فالبيت صار مباركاً، و صار مكان دعوة.

الحياة التي أرادها الله للإنسان حياة القلوب لأنّ الإنسان ينتعش بالذكر :

أيها الأخوة، المؤمن بيته مبارك، مركبته مباركة، لأنه دائماً في خدمة الحق، أجمل مكان مكان يذكر الله فيه، أحياناً المؤمن يقول: غرفة الضيوف شهدت آلاف اللقاءات، آلاف السهرات، كلها في طاعة الله، كلها في الدعوة إلى الله، كلها في تعريف الناس بالله، كلها تعاون على حياة الدنيا والآخرة.

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

[سورة المائدة الآية: ٢]

((مَثَلُ البَيْتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه، والبيت الذي لا يذكرُ الله فيه: مَثَلُ الحيِّ والميِّت))

بيت ميت، وبيت حي، السبب لأن الله عز وجل قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

[سورة الأنفال الآية: ٢٤]

هؤلاء الذين يدعون إلى الإيمان أحياء،

(إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

كيف نفسر هذه الآية؟ معنى هذه الآية أن الحياة التي نحياها من دون إيمان حياة بهائم، القلب ينبض، الرئتان تعملان، الأمعاء تعمل، الكبد يعمل، كل هذه الأجهزة تعمل، لهضم الطعام، ومد الجسم بالقوة والحركة، هذه حياة ولكنها حياة البهائم، ما هي حياة القلوب؟ معرفة الله عز وجل، حياة القلوب طاعة الله، حياة القلوب ذكر الله، حياة القلوب العمل الصالح، حياة القلوب الأعمال التي نبتغي بها وجه الله،

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

الحياة التي أرادها الله لنا حياة قلوبنا، فالإنسان ينتعش بالذكر.

أحياناً إنسان يجلس في سهرة، يقول لك: كنا في جنة، لأنه مع السرور والفرح سمع العديد من الأفكار والإرشادات و ذلك عندما كان الحديث عن الصحابة، أو عن فهم كتاب الله، هذا هو الذكر الذي يحيي القلب.

القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله عز وجل :

شيء آخر: حينما تتوهم أنه يمكن أن تسعد بشيء غير ذكر الله فأنت مخطئ خطأ فاحشاً، لأن الله عز وجل يقول:

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

[سورة الرعد الآية: ٢٨]

القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله، ومن بحث عن السعادة في غير ذكر الله، بحث عن السعادة في المال، أو في الملذات، أو في المبهج، كان كمن يبحث عن اللؤلؤ في الصحراء.

اختصاص المسجد بالمكتوبات و اختصاص البيت بالسنن و النوافل :

أيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((فصلُّوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرءِ في بيته إلا المكتوبة))

[رواه النسائي بإسناد جيد وصححه، وابن خزيمة عن زيد بن ثابت]

هذا الحديث يوضح التوفيق بين أحاديث الجماعة و أحاديث صلاة البيوت.

((فصلُّوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرءِ في بيته إلا المكتوبة))

[رواه النسائي بإسناد جيد وصححه، وابن خزيمة عن زيد بن ثابت]

إذاً ينبغي أن نصلي في البيت، وينبغي أن نصلي في المسجد، لكن المسجد يختص بالمكتوبات، والبيت يختص بالسنن والنوافل.

الإنسان حينما يستقيم تماماً على أمر الله يجد راحته في الصلاة :

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

((صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب، فرجع من رجع، وعقب من عقب، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعاً وحفزه النفس، قد حسر عن ركبتيه فقال: أبشروا، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى))

إنسان لا يوجد عنده شيء إطلاقاً، صلى المغرب في المسجد، وجلس يقرأ القرآن إلى أن أذن العشاء فصلى، انتظار الصلاة صلاة، أنت في انتظار الصلاة في صلاة، قال عليه الصلاة والسلام:

((....هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى))

[ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو]

هناك شيء دقيق في هذا الموضوع، هو أن الإنسان حينما يستقيم تماماً على أمر الله، يجد راحته في الصلاة، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((أرحنا بها يا بلال))

[أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة]

لأن الطريق سالك إلى الله، أما حينما ينحرف الإنسان في سلوكه، ويؤذي عباده، لا يستطيع أن يتصل بالله، يقف بين يديه، لكن حجاباً بينه وبين الله، هذا الحجاب يجعل الصلاة ثقيلة، ذات عبء.

الاستقامة مفتاح الصلاة :

لذلك الله وصف المنافقين:

(وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً)

[سورة النساء]

فصلاة المنافقين ثقيلة جداً، بسبب أن أعمالهم، وانحرافاتهم، وتقصيراتهم، تجعلهم في وضع محجوبين عن الله عز وجل، أما الإنسان إذا كانت علاقته بالله طيبة جداً، أعماله طيبة، ما تلبس بمعصية، ولا بإيذاء مخلوق، ولا بغش إنسان، ولا باحتيال، هذا الوضع السليم الطاهر يجعل الطريق إلى الله سالكاً.

هناك عالم توفي ـ رحمه الله ـ له مثل مضحك، قديماً وسائل الإضاءة كانت على الكاز، فإذا كان المستودع ممتلئ، والفتيلة مقصوصة، والبلورة منظفة، والجرس صحيح، فإذ قام المؤمن ليصلي، يشعل كبريتاً، بثانية تجده اتصل بالله عز وجل، أما المتلبس بمعصية، المستودع فارغ، الفتيلة محروقة، والبلورة متسخة، هذا لا يأتلق فوراً، و المصباح يحتاج إلى جهد كبير.

فالاستقامة هذه مفتاح الصلاة، الاستقامة تجعلك جهازاً تتصل بالله عز وجل، ولو لم يكن الاتصال شديداً لكنه سالك إلى الله.

الصلاة عماد الدين :

آخر حديثين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ صلَّى البَرْدَين دخل الجنة))

[متفق عليه عن أبي موسى]

والبردان بفتح الباء وسكون الراء الصبح والعصر.

وعن عمارة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((لَنْ يَلِجَ النار مَن صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها))

[رواه مسلم عن عمارة]

أي الفجر والعصر، هذه أحاديث تؤكد أن الصلاة عماد الدين، وأنها سيدة القربات، وغرة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات، والصلاة كما قال النبي الكريم:

((الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين))

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر]

((وأول ما يحاسب به العبد الصلاة))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

فإن صححت أفلح ونجح.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٣٤-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في جلوس المرء في مصلاه بعد صلاة الصبح وصلاة العصر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في جلوس المرء في مصلاه بعد صلاة الصبح والعصر :

فصل في الترغيب في جلوس المرء في مصلاه بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ صلَّى الفجر في جماعة، ثم قعَدَ يذكرُ الله، حتى تطلُع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تامة تامة تامة))

[رواه الترمذي عن أنس بن مالك]

الآية الكريمة:

(إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أشَدُّ وَطْئاً وَأقْوَمُ قِيلاً * إنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَار سَبْحاً طويلاً)

[سورة المزمل]

الصلاة التي تحصل في الليل، والاتصال الذي يحصل في الليل، اتصال ثمين جداً، هو أجدى من اتصال النهار، النهار فيه مشاغل، لكن هذا الوقت وقت السحر، وقت الذكر، وقت الإقبال.

((ولو علموا ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً))

[أخرجه البخاري وابن خزيمة عن أبي هريرة]

غفلة الإنسان في الذكر أفضل من غفلته عن الذكر :

يبدو أن الإنسان صلى في جماعة ثم قعد، له أن يقعد في المسجد، أو في البيت، العبرة أن يقعد، أما صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله، لو أنه قعد يتفكر في آيات الله عز وجل فهذا من الذكر، لو أنه قعد يقرأ القرآن فهذا من الذكر، لو أنه قعد يستغفر مئة مرة كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهذا من الذكر، لو أنه قعد يسبح الله سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذه الباقيات الصالحات، هذا من الذكر، لو أنه قعد يقول الله، الله، بالاسم المفرد هذا من الذكر، لو أنه قال: لا حول ولا قوة بالله مئة مرة، لو أنه قال: سبحان الله وبحمده مئة مرة، كل أنواع الذكر التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تجزئه بهذا الكم، إذا قرأ القرآن فهو يذكر، وإذا استغفر فهو يذكر، وإذا سبح وهلل وحمد الله وكبره فهو يذكر، إذا ذكر اسم الله المفرد فهو يذكر، العبرة

بحضور القلب، والشيء الذي يحذر منه غفلة القلب عن الذكر، ولكن أن تجلس فتذكر غافلاً أفضل من ألا تجلس، لأن غفلتك في الذكر أفضل من غفلتك عن الذكر.

((مَنْ صَلَّى الفجر في جماعة، ثم قعَدَ يذكرُ الله، حتى تطلُع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة))

[الترمذي عن أنس]

على الإنسان أن يذكر الله حتى تطلع الشمس ليكون من الذاكرين و الذاكرات :

أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعبد الله الليالي ذوات العدد في حراء، فهذه الجلسة اليومية ـ غار حراء مصغر، مجزأ ـ إذا ألزم الإنسان نفسه أن يجلس بعد صلاة الصبح، في بيته أمسك سبحة، استغفر الله مئة مرة، وقال: لا إله إلا الله مئة مرة، وقال: اللهم صلِّ على سيدنا محمد مئة مرة، ثم بدأ يذكر ما شاء له أن يذكر، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، مئة مرة، أو خمسين مرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله أيضاً مئة مرة، أو خمسين مرة، هذه الأذكار التي وردت عن رسول الله، أو قرأ القرآن، أو جمع بينهما، أو تفكر في خلق السماوات والأرض، ولو لربع ساعة، أو لعشر دقائق، بعد صلاة الفجر، أما الأكمل أن يذكر الله حتى تطلع الشمس، وحتى ترتفع مقدار رمح، ليصلي الضحى، هذه الجلسة اليومية تنقله إلى:

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ)

[سورة الأحزاب الآية: ٣٥]

درجات الشكر :

والله سبحانه وتعالى يقول:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً)

[سورة الأحزاب]

((يا موسى! أتحب أن أكون جليسك؟ قال: كيف ذلك يا رب؟ قال: أما علمت أنني جليس من ذكرني، وحيث ما التمسني عبدي وجدني، إنك إن ذكرتني شكرتني، وإذا ما نسيتني كفرتني))

[ورد في الأثر]

أول درجة في الشكر أن تذكره، أو أن تذكر نعمه، ثاني درجة أن يمتلئ قلبك امتناناً لما أسبغ الله على قلبك من نعم، ثالث درجة أن ترد على نعم الله بإحسان إلى خلقه.

(اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْراً)

[سورة سبأ الآية: ١٣]

فالذكر درجة، وامتلاء القلب بالامتنان درجة، والمبادرة إلى عمل صالح تخدم به عباده درجة ثالثة.

التأكيد على ذكر الله قبل غروب الشمس و قبل شروقها :

هذا الحديث أيها الأخوة منهج، قد يقول أحدكم: استيقظت متأخراً، واستطعت أن أصلي الفجر قبل أن تطلع الشمس، وأنا على موعد ضروري جداً بعد شروق الشمس مباشرة، ماذا أفعل في هذا الحديث؟ بعضهم يقول: هذه الجلسة تقضى إن ألزمت نفسك بها، وفي أحد الأيام اضطررت أن تتركها، اقضها، يقضيها الإنسان قُبيل المغرب، قُبيل أن ينام، أحياناً الإنسان لا يتمكن من أن يصلي الفجر لسبب قاهر، هذه الجلسة يحافظ عليها ولو بعد شروق الشمس.

وهناك حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((لأن أقعدَ مع قوم يذكرون الله عزَّ وجلَّ من صلاةِ الغداة حتى تطلُعَ الشَّمْسُ أحبُّ إليَّ من أن أعْتِقَ أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعدَ مع قوم يذكرون الله عز وجل من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعة))

[أخرجه أبو داود عن أنس بن مالك]

الحديث الجديد هذا يضيف وقتاً جديداً، قبيل غروب الشمس، الإنسان هذا الوقت أيضاً يجعله للذكر، نصف ساعة قبل أن تغيب الشمس، إذا كان يمشي يذكر وهو يمشي، وإذا جلس في مكان معين يذكر وهو جالس، أن تذكر الله قبل شروق الشمس وقبل غروبها، وأنت في ذمة الله بينهما.

((ابن آدم اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما))

[أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة]

قال أحد العلماء الكبار ـ توفي رحمه الله ـ رآه تلميذه في المنام، قال: يا سيدي ما فعل الله بك؟ قال: " يا بني، طاحت تلك العبارات، وذهبت تلك الإشارات، ولم يبقَ إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل"، لأن صلاة الليل ووقت الذكر هذا لا يطلع عليه أحد، إخلاصك يملي عليك هذه الجلسة.

مهمة الإنسان تنتهي عندما يطيع الله عز وجل :

أهم نقطة إنك إن غفلت وأنت تذكر خير لك من أن تغفل عن الذكر، لأنك إن غفلت وأنت تذكر ربنا جلّ جلاله يأخذ بيدك شيئاً فشيئاً إلى أن تذكر وأن تكون حاضر القلب، والبيت الشعري المعروف:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

* * *

الإنسان عليه أن يقف ويصلي، أما التجلي ليس بيده هو بيد الله، هذه نفحة من نفحات الله، أنا تنتهي مهمتي حينما أطيع الله عز وجل، قال تعالى:

(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

[سورة الزمر]

أنا أقف وأصلي، أجلس وأذكر، أقرأ القرآن، أما هذه المرة بكيت أم لم أبكِ، تجلى الله على قلبي أم لم يتجلَ، هذا ليس شأني.

((اللهم هذا قسْمي فيما أملك. فلا تَلُمني فيما تَملك ولا أملك))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]

هذا هو الأدب، أنت عبد الفتح أم عبد الفتاح؟ ينبغي أن تكون عبد الفتاح، لا عبد الفتح، أنا لا أفرض على الله شيئاً، أنا عليّ أن أطيعه وأصلي، أما هذه المرة بالصلاة لا يوجد تجلٍّ، هذا ليس عملي، إلا إذا كان هناك سبباً من قبلي، أو مخالفة، أو معصية، أو تقصير، هذا سبب من قبلي، أما من قبلي لا يوجد سبب، أنا مستقيم، مقيم على منهج الله، الصلاة إن صار فيها تجلٍّ أم لا، أنا أديت الذي عليّ، أدِّ الذي عليك واطلب من الله الذي لك.

حينما تصلي صلاة متقنة أشعرت بشيء أم لم تشعر، أديت الذي عليك، أما ربنا عز وجل لحكمة بالغة يفتح ويغلق، أحياناً يقربك، أحياناً يبعدك، أو يحجبك، ليمتحن صبرك، هناك إنسان على أول حجاب ترك النوافل كلها، ترك الذكر، فهذا لم ينجح بالامتحان، على الإنسان أن يصبر، ويلح، إن علم الله فيك إلحاحاً وصدقاً ومداومة وصبراً أعطاك ما تريد.

الإنسان وقته ثمين فليحرص على أن يجعل قلبه حاضراً للذكر:

هذا الدرس يقودنا اليوم إلى أن المؤمن له مع الله جلسة، له مع الله خلوة، أفضل وقت بعد صلاة الفجر، إن لم يتمكن ليقضها في وقت آخر، أقل شيء أن تصلي ركعتين، أقل شيء أن تذكر الله دقيقتين، أقل شيء هذا الورد الذي نقرأه بعد الفجر من الذكر، أحياناً الورد الجماعي يغدو مع التكرار لا معنى له، نستغل هذا الوقت في عشر دقائق تقريباً نذكر الله عز وجل، يجب أن نحضر في قلوبنا مع الله عز وجل.

بالمناسبة هذا الذكر إذا كان من قلب ساهٍ لاهٍ فرغ من مضمونه، والإنسان وقته ثمين، فلذلك الإنسان ليحرص على أن يجعل قلبه حاضراً للذكر، فقد:

((كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس))

[رواه مسلم عن جابر بن سمرة]

ثلاثة أحاديث من تهذيب الترغيب والترهيب عن جلوس المرء في مصلاه بعد الصبح وبعد العصر.

أي شيء يقرب الإنسان من الله فهو من الذكر وأي شيء يبعده عنه فهو من اللهو :

أيها الأخوة، كما قلت لكن قبل قليل: وصف الله المؤمنين بأنهم:

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ)

((ألا أخْبِرُكم بخير أعمالِكم، وأرفعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذِكْرُ الله))

[أخرجه الترمذي ومالك عن أبي الدرداء]

نحن لو توسعنا في هذا وصلنا إلى شيء، هناك في الكون حقيقة واحدة هي الله، أي شيء يقربك إليها من الذكر، وأي شيء يبعدك عنها من اللهو، لو أمسكت كتاب فقه وقرأته فأنت مع الذاكرين، لو قرأت مقالة في مجلة علمية أعطتك فكرة عن عظمة الله عز وجل فهذا من الذكر، لو جلست مع أخيك وحاورته عن الدين، وعن الله، وعن الآخرة، وعن الجنة، وعن النار، فأنت في ذكر، ولو جلست تدعو إلى الله فأنت في ذكر، حتى لو أمسكت كتاب فقه تقرأه فأنت في ذكر، لأن كل شيء يقربك إلى الله من الذكر، هذا أوسع معنى للذكر، صار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الذكر، لقاء مع أخ حول قضايا الإيمان، وقضايا العقيدة، وقضايا الإسلام، وقضايا الإحسان من الذكر، ودعوة إلى الله من الذكر، أن تستمع ما يلقى عليك من الحق هذا من الذكر، تلقي أو تتلقى، تتكلم أو تستمع، فكلمة ذكر وردت كثيراً جداً، ولها معانٍ كثيرة جداً، ولها مجالات لا تعد ولا تحصى.

الإنسان إذا مشى في الطريق كرياضة، وجعل من هذا المشي ذكراً لله عز وجل هذا من الذكر، الآن ببلاد أخرى يلعبون الرياضة كل يوم ساعة، يسمعون شريطاً وهم يلعبون الرياضة، فالإنسان إذا جعل وقت المشي أو وقت الرياضة من الذكر فقد ربح و فاز، وإذا أحب أن يقرأ شيئاً يقربه من الله عز وجل فهذا من الذكر، لأن المؤمن يوم القيامة لا يندم إلا على ساعة مرت عليه دون أن يذكر الله عز وجل.

الله عز وجل خلق الإنسان ليذكره :

طلب العلم، الذكر، القرآن، الأمر بالمعروف، الدعوة إلى الله، الجلسة مع الأخوان، الاستماع، الإلقاء، كل هذا من الذكر، والإنسان خلقه الله عز وجل ليذكره.

((يا بن آدم إن ذكرتني شكرتني، وإذا ما نسيتني كفرتني))

[الشعبي عن أبي هريرة]

هذه الأحاديث الثلاث تحضنا على جلسة ذكر بعد صلاة الفجر، أذكركم بالحديث الأول وهو أخطر هذه الأحاديث:

((مَنْ صَلَّى الفجر في جماعة، ثم قعَدَ يذكرُ الله، حتى تطلُع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة))

[الترمذي عن أنس]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٣٥٠-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في الإمامة مع الإتمام والإحسان والترهيب منها عند عدمهما

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين لا يحتمل شططاً ولا وجاهة ولا علواً ولا كبراً :

فصل في الترغيب في الإمامة مع الإتمام والإحسان والترهيب منها عند عدمهما :

((عن أبي علي المصري رحمه الله: قال: سافرنا مع عقبة بن عامر الجهني فحضرتنا الصلاة، فأردنا أن يتقدمنا قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:من أمّ قوماً فإن أتم فله التمام ولهم التمام، وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم))

[رواه الإمام أحمد عن أبي علي المصري]

الإنسان أحياناً وهو لا يشعر يريد الوجاهة حتى في حلقة الحق، طبيعة الحق لا تحتمل الدنيا، فلو أن الإنسان أراد الدنيا ضمن دائرة الحق وقع في إثم كبير، الدنيا لها مظانها، لك أن تتاجر، لك أن ترتقي بالمناصب، لك أن تبني البيوت، هذه الدنيا هناك، أما إذا دخلت إلى بيت من بيوت الله، فليس فيه دنيا.

(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)

[سورة الجن]

الدين لا يحتمل شططاً، ولا وجاهة، ولا رياسة، ولا علواً، ولا كبراً، فهناك من يؤم القوم وهو له كارهون، من يؤم القوم وهم ليسوا راضين عن سلوكه، وهذه مشكلة تقع في معظم المساجد، يقول عليه الصلاة والسلام :

((من أم قوماً فإن أتم فله التمام ولهم التمام، وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم))

[رواه الإمام أحمد عن أبي علي المصري]

فالإمام يجب أن يكون في الأمام، في الأمام ورعاً، وفي الأمام علماً، وفي الأمام قراءة، وفي الأمام فقهاً، فالذي في الأمام ينبغي أن يكون الإمام، وهذا حكم الله عز وجل.

الإنسان كلما زاد علمه زاد ورعه :

لو أن إماماً صلى ولم يتم ركوعه، ولا سجوده، عليهم التمام وعليه الإثم، فكل شيء يرفعك عن عامة الناس يضعك في مسؤولية أمام الله عز وجل.

الشيخ بدر الدين الحسني فيما سمعت هو شيخ الشيوخ، فإذا كان هناك نهضة إسلامية في هذه الديار الشامية فالفضل عائد إليه، كان من أعظم العلماء ورعاً، وفهماً، وفقهاً، ما صلى إماماً قط في كل حياته، عندما ذهب ليحج وزار قبر النبي عليه الصلاة والسلام، وقف في باب السلام، ولم يجرؤ على أن يدخل، من شدة هيبة النبي عليه الصلاة والسلام.

فالإنسان كلما زاد علمه زاد ورعه، وكلما زاد علمه زادت رغبته في أن يبقى في الظل لا أن يظهر.

هذا الحديث، الإنسان لا يفرح أنه صلى إماماً، ليفرح أنه صلى صلاةً قبلها الله عز وجل.

((إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أمّ قوماً فإن أتم فله التمام ولهم التمام، وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم))

[رواه الإمام أحمد عن أبي علي المصري]

العمل لا يقبل إلا بشرطين ؛ الإخلاص و الصواب :

حديث آخر:

((ثلاثة لا يقبلُ الله منهم صلاة))

[أخرجه ابن حبان عن عطاء بن دينار الهذلي]

صلاته مرفوضة كلياً.

أخواننا الكرام، التعامل مع الله دقيق جداً، أنت مع الناس بإمكانك أن تظهر بأي مظهر، ومقبول، تقيم وليمة تدعو الناس يأتون، ويأكلون، وتظهر أنك رجل كريم، معطاء، هؤلاء الناس لا يعرفون النوايا، يعرفون أنهم دعوا إلى طعام وأكلوا، ويثنون على صاحب الدعوى وانتهى الأمر، لكن التعامل مع الله:

((إن الله طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

والعمل الطيب عند الله ما كان خالصاً، ما ابتغي به وجه الله، والعمل الطيب عند الله ما كان صواباً، وافق السنة.

بل إن الإمام الفضيل يقول: "العمل لا يقبل إلا بشرطين، إلا إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة".

((ثلاثة لا يقبلُ الله منهم صلاة))

[أخرجه ابن حبان عن عطاء بن دينار الهذلي]

العبرة لا بحجم العمل بل بقبوله :

إذاً العبرة لا في حجم العبادة، بل في قبول العبادة، والحديث الذي يقصم الظهر معروف عندكم، هذا الذي جاء يوم القيامة، وسأله الله عز وجل ماذا فعلت بعلمك ؟ قال:يا رب علمت الناس، فقال:كذبت، علمتهم ليقال عنك عالم وقد قيل، خذوه إلى النار، والثاني قرأ القرآن ليقال عنه قارئ وقد قيل، خذوه إلى النار، حتى الذي قاتل في سبيله قال:قاتلت ليقال عنك شجاع، وقد قيل، خذوه إلى النار.

أخواننا الكرام العبرة لا بحجم العمل، بل بقبول العمل، والله جلّ جلاله قد يقبل من إنسان وهو في الظل، في التعتيم، قد يقبل عملاً خالصاً لوجه، ويرفض عملاً كبيراً جداً، عند الناس عظيم، ولكنه عند الله ليس بعظيم.

والحديث الآخر الذي تعرفونه :

((يُجَاءُ بالرجل يوم القيامة فيُلْقى في النار، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ، فيدور كما يَدُور الحمار برَحَاهُ، فيجتَمِعُ أهل النار عليه، فيقولون:يا فلان، ما شأنك ؟ أليس كنتَ تأمُرُنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول:كنت آمُرُكم بالمعروف ولا آتيه))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد]

لذلك قيل: "أندم الناس عالم دخل الناس بعلمه الجنة، ودخل هو بعلمه النار، أندم الناس غني دخل ورثته بمال الجنة ـ ورثته ورثوه حلالاً، أنفقوه في طاعة الله فدخلوا الجنة ـ ودخل هو بماله النار، كسبه حراماً وورثه حلالاً".

الإنسان كلما كان عمله أكثر إخلاصاً كان أكثر درجة عند الله عز وجل :

أيها الأخوة، العبرة لا بحجم العمل بل بقبول العمل، والعمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً وكان صواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة، والإنسان يشعر أحياناً أن الله قبِل عمله، إذا جهد و أخلص فيه، وأن يأتي موافقاً للسنة، ولم يبتغ في عمله لا وجهة، ولا سمعة.

سمعت قصة من أحد أخواننا العلماء: كان في بلد إسلامي، فسمع أن رجلاً قدم مبلغاً خيالياً، ثلاثمئة مليون دولار قدمه للدعوة إلى الله، لينفق على طلاب العلم وما أكثرهم، هذا العالم الذي زار هذا البلد الإسلامي ما صدق أن إنساناً يقدم ثلاثمئة مليون دولار، فقال: والله أتمنى أن أراه، فدعي في صبيحة اليوم التالي إلى طعام الفطور ليلتقي هذا العالم الضيف مع هذا المحسن الكبير، قال: جلس هذا العالم الضيف، وهو ينتظر مجيء هذا المحسن الكبير، انتظر ساعة و لم يأتِ، ثم قال: أين هو فلان نحن بانتظاره؟ فقيل له: جاء قبلك إلى هنا، هذا الذي يجلس على طرف المائدة، من شدة وتواضعه، وأدبه ، وانكماشه، ما صدق أن هذا هو الذي قدم هذا المبلغ.

فالعبرة بقبول العمل، لا بحجم العمل، والإنسان كلما كان عمله أكثر إخلاصاً كان أكثر درجة عند الله عز وجل.

فهؤلاء الثلاثة لا تقبل منهم الصلاة إطلاقاً :

((ثلاثةٌ لا يقبلُ الله منهم صلاة ....من تقدَّم قوماً وهم له كارهون))

[أخرجه ابن حبان عن عطاء بن دينار الهذلي]

على الإنسان أن يحرص على ما يقال في غيبته لا في حضرته :

الحقيقة الناس يجاملون، لكن الإنسان يجب أن يعلم حقيقته، مرة أجر تجربة، وزع على طلابك أوراقاً، قل:اكتبوا رأيكم فيّ، ولا تستحوا، من دون توقيع، الإنسان يتفاجأ هو يظن أنه محبوب، قد يكون عكس ذلك، هو مرغوب لكن ليس محبوباً، قد يبدو أنه متواضع ولكن هو متكبر، لذلك البطولة يجب أن تعرف حقيقة الناس فيك، أما الناس جميعاً يجاملونك، أي يمدحك، ويرتاح، وينفذ، أما الإنسان إذا كان حريصاً على مكانته عند الناس لا ينبغي أن يقيّم نفسه من مدح الناس له، لا، يجب أن يستشف مما يقال في غيبته، وهذا أخواننا الكرام مقياس دقيق، كل ما يقال في حضرتك لا قيمة له، احرص على ما يقال في غيبتك.

أحد أخواننا ذهب أخوه إلى الحج، رجاني أن أذهب إلى أخيه وأهنئه بالعودة، أخ أعزه جداً، فذهبت إلى أخيه، جلست عنده، بدأ هذا الحاج يثني على رئيس الفوج، على انضباطه، على نزاهته، على حسن قيادته، على ورعه، ربع ساعة، نصف ساعة، ساعة، و أنا أصغي إليه، وأنا والله مسرور جداً، لكن سألته بعد قليل: بربك هل كلفك هذا الذي كنت معه في الحج أن تمدحه؟ قال:لا والله، أنا أعلم ما كلفه، لكنها الفطرة.

الإنسان إذا رأى الكمال يُعجب به، يتحدث عنه بشكل طبيعي، فالعبرة لا ما يقال في حضرتك، العبرة ما يقال في غيبتك.

الإنسان إذا أمّ قوماً وهم له كارهون وقع في إثم كبير وكذلك المرأة التي تتأبى على زوجها:

الإنسان إذا أمّ قوماً وهم له كارهون وقع في إثم كبير، وصلاته غير مقبولة.

((ثلاثة لا تقبل منهم صلاة، ولا تصعد إلى السماء، ولا تجاوز رؤوسهم))

[أخرجه ابن حبان عن عطاء بن دينار الهذلي]

من هم هؤلاء الثلاثة ؟

((.....رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون، ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر، وامرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه))

[أخرجه ابن حبان عن عطاء بن دينار الهذلي]

هذه المرأة التي تتأبى على زوجها ليس لها صلاة، وليس لها عبادة، ولو صلت وادعت أنها مؤمنة، صلاتها مرفوضة، هناك زوجات كثيرات تتوهمن أنهن صالحات، وهن يقصرن في حق أزواجهن، فالتي تقصر في حق زوجها صلاتها غير مقبولة، ولا تجاوز رأسها، ولا تصعد إلى السماء.

الكمال محبوب وظاهر والنقص مرفوض وظاهر :

العبرة أخواننا الكرام بقبول العمل، كيف أقول لكم؟ اكتب مليون، مليون ماذا ؟ مليون قرش، مبلغ سخيف، مليون ليرة أكبر بكثير، مليون دولار أكبر وأكبر، مليون ليرة ذهبية.
فالعبرة بالوحدة وليس بالرقم، إخلاصك يحدد الوحدة، العبرة لا بالرقم بل بالوحدة، مليون ليرة ذهبية غير مليون ليرة سورية، هناك ليرة، وهناك ليرة ذهبية، الليرة الذهبية بخمسة آلاف، الليرة السورية بواحد، فكلما ازداد الإخلاص ازدادت قيمة العمل.

((رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون، ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر، وامرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه))

[أخرجه ابن حبان عن عطاء بن دينار الهذلي]

أنا ذكرت قصة رئيس الفوج كي تعلموا الفطرة، الإنسان معجب بالكمال، ويتألم من النقص، والكمال لا يحتاج إلى دعم، والكمال وحده ظاهر، ومحبوب، ومعظّم، والنقص غير مقبول ولو أولته، يقول لك: أوّل لا يوجد تأويل، الكمال كمال، والنقص نقص.

أنا أضرب مثلاً: لو أتينا بمنحدر و ألقينا الماء من أعلاه، فالماء سوف ينزل، قل له:انزل، هذا كلام فارغ لأنه سينزل، قل له:اصعد، هذا كلام فارغ لأنه لن يصعد، فالكلام ليس له معنى إطلاقاً، هناك قوانين، إن سكبت هذا الكأس هنا الماء سينزل، قلله: انزل هو سينزل، قل له: اصعد لا يصعد. الكلام لا يقدم ولا يؤخر أمام القوانين، فالكمال محبوب وظاهر، والنقص مرفوض وظاهر، مهما حاولت أن تعطي شيئاً كمالاً ليس فيه، محاولة فاشلة، مهما حاولت أن تؤول النقص، لا النقص يؤول، ولا الكمال يحتاج إلى أن يدعم، الكمال ظاهر.

الحق يجب أن يلقى على رؤوس الأشهاد وتحت ضوء الشمس :

بل إنهم قالوا: الحق هو الله عز وجل، والحق بالمفهوم الأرضي لا يخشى البحث، والحق لا يحتاج إلى أن تكذب له، ولا أن تكذب عليه، والحق لا يستحى به، والحق لا يبقى في دوائر مغلقة، الإسلام يلقى تحت ضوء الشمس، لأنه دين الله.
وقد ذكرت لكم من قبل وهذا طبعاً مثل صارخ، يسمونه العلماء حاد، لو أن الجامع الأموي يتسمع لمئة ألف مصلٍّ، والتقينا أعظم خطيب في البلد ليخطب، إذا أغلقنا الباب، أو أرتجنا الباب فالصلاة

باطلة، مئة ألف مصلٍّ، ومعهم أعظم خطيب فالصلاة باطلة، لأنه لا يمكن أن يكون الإسلام محدوداً، الإسلام للكل، الحق للكل، ديننا دين الله، كتابنا وسنة نبينا ينبغي ألا نستحي بهم، لا تخشى البحث، وابحث ما شئت فيه، الحق يجب أن يلقى على رؤوس الأشهاد وتحت ضوء الشمس، الكمال كمال، والنقص نقص.

الدين لا يحتمل أي زيغ :

لذلك أيها الأخوة، هذا الحديث أرجو الله سبحانه وتعالى أن يأخذ منا أعظم مأخذ، هناك كثير من الأشخاص يهملون الوظيفة التي أقامهم الله بها، ويبحثون ليرتقوا في عين الناس بشكل آخر، كل إنسان أقامه الله بشيء، أتقن عملك، أتقن وظيفتك تبلغ أملك، أما أن أتعدى على اختصاص الآخرين لأظهر، لأعلو أمام الناس، هذا مرفوض.

لذلك هناك دنيا وسط الدين، الآن هناك شخص لا يقبل أن يتبرع، حتى تعمل له رخامة، أنه: أنشأ هذه المئذنة المحسن الكبير فلان، هذه دنيا، دنيا وسط الدين، والحقيقة الدين لا يحتمل أي زيغ.

((إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلح له إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما منحتموه))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

الإنسان قدر ما يستطيع أن يبقى في الظل، يبقى بالتعتيم، ويقدم غيره، وقلت لكم: وكبار العلماء كانوا لا يصلون أئمة، الإنسان إذا صلى وقبل الله له صلاته فهذا عمل عظيم جداً.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٣٦-١١٦) : كتاب الصلاة - الترغيب في الصف الأول وما جاء في تسوية الصفوف والتراص فيها وفضل ميامنها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من صلى الله عليه ملأ قلبه طمأنينة وغنىً وسعادةً:

أيها الأخوة الكرام، عن النعمان بن البشير رضي الله عنه قال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول))

[مسند البزار عن النعمان بن بشير]

أنت تتصل بالله لتشتق من الله الرحمة، وهو يصلك بمعنى يتجلى عليك، ولا أبالغ إذا قلت: إن أثمن شيء في الوجود أن يصلي الله عليك.

صلاة الله على الإنسان صلاة رحمة، ورحمته مطلق عطائه، فقد تجد إنساناً حياته خشنة، فإذا صلى الله عليه ملأ قلبه طمأنينة، وملأ قلبه غنىً، وملأ قلبه سعادةً، وملأ قلبه يقيناً، وملأ قلبه قوةً، إذا صلى الله عليك، يتجلى عليك بأنواره، ترى الحق حقاً، والباطل باطلاً، ترى الخير خيراً، والشر شراً، المقطوع عن الله يرى الشر خيراً، والخير شراً، يرى الحق باطلاً، والباطل حقاً، أعمى القلب يمتلئ قلبه خوفاً، وندماً، وقلقاً، وقسوة.

كلمة إذا صلى الله عليك أي ملأ قلبك طمأنينة، ملأ قلبك حبوراً، ملأ قلبك ثقة بالمستقبل، ملأ قلبك ثقة بالمستقبل.

((إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول))

[مسند البزار عن النعمان بن بشير]

في بعض الجامعات يعطى الطالب وثيقة نجاح إذا كان دوامه منتظماً، إنسان أودع الله فيه عقلاً راجحاً ودوامه كان منتظماً مئة بالمئة، معنى ذلك يستحق النجاح، فكأن الله أراد، كأن الله عز وجل أوحى للنبي عليه الصلاة والسلام، أو هؤلاء السباقون، هؤلاء الثابتون، هؤلاء المداومون، هؤلاء الذين يعدون من أركان المسجد، قال:

((إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول))

[مسند البزار عن النعمان بن بشير]

الإنسان حينما يداوم على الطاعات يلقي الله في قلبه النور:

لذلك:

((أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قلَّ))

[أخرجه البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها]

هو الإنسان يمكن أن يقدم، وأن يحجم، وأن يتقرب، وأن يتباعد، وأن يجتهد، ثم يبطئ، أن يتألق، ثم يهمد، هذا ممكن، وجيد، إلا أن الأجود منه أن يبقى مستقيماً في وجهته، ومستمراً في حضوره، متابعاً لطلبه للعلم، الثبات نبات، الثبات يعمل تراكماً.

افتح صنبوراً على برميل، افتحه ثانية وأغلق الصنبور، كمية الماء بعد حين تجف، ثم افتحه مرة أخرى تجف، البرميل لا يمتلئ، لا يمتلئ إلا بصنبور مفتوح دوماً، عندئذٍ يمتلئ.

الإنسان حينما يداوم على الطاعات، وحضور الجمع والجماعات، حينما تتراكم القناعات، حينما تتراكم وجهته إلى الله عز وجل، يلقي الله في قلبه النور، المقصود بالصفوف الأول المتابعة، الاستمرار، التراكم، الشيء الذي يعد جزءاً أساسياً من حياته.

هناك أناس كثيرون يحضر درس علم، يحضر كلمة بعقد قران، هذه الكلمة تلفته إلى الله، يتألق، ثم يهمد، يقدم ثم يحجم، يتقرب ثم يتباعد، هذه الحالات الأخذ والرد، الإحجام، والتقرب والتبعد، هذه لا تصنع مؤمناً كبيراً.

العبرة من الحديث التالي الثبات والمداومة والمتابعة:

لذلك من لم تكن له بداية محرقة، لم تكن له نهاية مشرقة، العبرة بالمتابعة، العبرة بالثبات.

((إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول))

[مسند البزار عن النعمان بن بشير]

أنت يجب أن تعرف، يمكن خالق هذا الكون يكون أمره أمراً غير ذي معنى، أنت حينما تصلي تتصل بخالق الأكوان، حينما تتصل بالله، كأنك تقول: يا رب تجلى على قلبي، أنا ضيفك، أنا في بيتك.

((ألا إن بيوتي في الأرض المساجد، وإنه من توضأ فأحسن وضوءه، ثم زارني في بيتي أكرمته، وحَقّ على المَزُور كرامةُ الزائر))

[رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره]

معنى الضيافة، لا يوجد إنسان عنده ذرة من ذرات الكرم، يأتيه ضيف بلا ضيافة، لا بدّ من أن تقدم له شيئاً، والله عز وجل ماذا يقدم لك في بيته؟ أنه يصلي عليك، صلاته عليك تطمين، قلب

المنقطع عن الله ممتلئ فزعاً، ممتلئ خوفاً، ممتلئ حقداً، ممتلئ ضغينة، ممتلئ قلقاً، ممتلئ خوفاً من المجهول، ممتلئ عجباً، كل هذه الأمراض إذا تجلى الله على قلبك طهرك منها، هذه حالة التخلية، تأتي حالة التحلية، تصبح كريماً، متواضعاً، منصفاً.

كنت أضرب هذا المثل، كل الناس إذا جاءوا فاللحم محبب إليهم، طبعاً إذا كان اللحم لحماً طازجاً مشوياً وهو جائع جداً، وهناك لحم متفسخ، هل هناك تقارب بين لحم الجيفة ولحم مشوي طازج؟ لا يوجد نسبة، وقد تجد إنساناً مثل الجيفة، تحتقره، تحتقره، تحتقر دناءته، تحتقر أنانيته، تحتقر شهوانيته، تحتقر حبه لذاته، وقد تجد إنساناً في أعلى درجات الكمال، و الحب، والأدب، والتواضع، والورع، والوفاء.

لذلك العبرة من هذا الحديث الثبات، المداومة، المتابعة، ولا تنسوا قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أحبَّ الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإنْ قلَّ))

[أخرجه البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها]

إنسان أراد أن يصلي في المسجد يجب أن يتابع، حضر مجلس علم يتابع، التزم بشيء يتابع، المتابعة تعمل تراكماً.

بالمناسبة: يمكن أن تعرف مقامك عند الله، يمكن تعرف مستوى نضجك، درجتك، إذا التقيت بصديق لك في سنك، شارد عن الله عز وجل، تجد منه العجب العجاب، تجد منه الأنانية، ضيق الأفق، حبه لذاته، ضعف تفكيره، هذا كله تجده لأنك تجاوزت هذه المرحلة إلى أوسع منها.

الصفوف المخلخلة والمتعرجة صفوف لا ترضي الله عز وجل:

إذاً:

((إن الله وملائكته يصلون على الذين يَصِلُون الصفوف))

الصفوف كلها كاملة، وكلما رأى فرجة تقدم وسدّ الصف، هذا الإسلام له مظهر رائع، مظهر نظام، هناك صفوف متخلخلة، هذه لا ترضي الله، هناك صفوف متعرجة، هناك صفوف غير متراصة، فالمخلخلة، والمتعرجة، وغير المتراصة، هذه صفوف لا ترضي الله عز وجل.

((إن الله وملائكته يصلون على الذين يَصِلُون الصفوف))

[رواه أحمد وابن ماجة عن عائشة]

((من سدّ فرجة في صف رفعه الله بها درجة وبنى له بيتاً في الجنة))

[رواه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها]

((من سدّ فرجة في الصف غفر له))

[البزار عن أبي جحيفة]

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً)

[سورة الصف الآية: ٤

كذلك يحب الله الذين يقفون في الصلاة صفاً مستقيماً، صفاً متراصاً، صفاً لا خلل فيه، الحقيقة موضوع النظام موضوع حضارة، فالإسلام نظام، الإسلام نظام دقيق جداً، لو تتبعت منهج الله عز وجل في كل حالات الإنسان لوجدت النظام في كل حالاته، أروع شيء في رمضان الأمة كلها الآن جالسة على مائدة الإفطار، الأمة كلها على مائدة السحور، الأمة كلها تأتي إلى المسجد لتصلي التراويح، هذا نظام، والإنسان كلما تعمق فيه حب الجماعة تعمق فيه حب النظام، لأن الجماعة من دون نظام مشكلة، جماعة من دون نظام كارثة، أنت اجتماعي بالأصل، مصمم تصميماً اجتماعياً.

النبي الكريم مع التجمع لا مع التفرق:

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ناحية الصف ويسوي بين صدور القوم ومناكبهم ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم))

[ابن خزيمة عن البراء بن عازب]

النبي عليه الصلاة والسلام كان مرة مع أصحابه في سفر، والسفر قديماً كان فيه جلسات استراحة، السفر شاق، ومتعب جداً، ومن حين لآخر يجلسون، ويريحون رواحلهم، وينصبوا خيامهم، فالصحابة الكرام، كل واحد انتقى مكاناً، أرض واسعة فيها أشجار، هذا انتقى هذه الشجرة، وهذا انتقى هذه التلة، فلما رآهم متفرقين، غضب، وقال: اجتمعوا وحتى في ساعات استجمامهم، أرادهم مجتمعين، فصاروا يجتمعون، ولا يستطيع أحدهم أن يدخل بين أحد.

((لا تختلفوا فتختلف قلوبكم))

أيضاً جميل جداً أن يكون الإنسان مع التجمع، لا مع التفرق.

إذاً كان عليه الصلاة والسلام:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ناحية الصف ويسوي بين صدور القوم ومناكبهم، ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم))

وكان يقول:

((إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول))

[مسند البزار عن النعمان بن بشير]

((وما من خُطوة أحبَّ إلى الله من خُطوة يمشيها يَصِلُ بها صفا))

[أبو داود عن البراء بن عازب]

خير الناس من كان لين المنكب في الصلاة:

وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((خيارُكم أليَنُكم مناكبَ في الصلاةِ))

[أبو داود عن ابن عباس]

هناك إنسان ـ هذا واضح جداً في الحرمين ـ منكبه قاسي، لا يسمح لأحد أن يدخل بينه وبين أخيه، وهناك إنسان لين المنكب، إنسان أحب أن يسد فرجة، يريد أن يصلي إلى جانبه، يزيح له، إذاً هناك إنسان لين المنكب، و إنسان قاسي المنكب.

كان عليه الصلاة والسلام يقول:

((خيارُكم أليَنُكم مناكبَ في الصلاةِ))

هناك معنى آخر لهذا الحديث: ألينكم مناكب في الصلاة، أي ثابت، لا يوجد حركات زائدة، أحياناً الإنسان عندما يصلي يتحرك كثيراً، أما الثابت تخشع جوارحه، و يكون ثباته أكمل، فالثابت أكثر خشوعاً.

((خيارُكم أليَنُكم مناكبَ في الصلاةِ))

إذاً هذا الحديث يدل إما على الإنسان الثابت، أو إذا دخل أخوه بينه وبين جاره سمح له، تجاوب. أنا ألاحظ أناساً في الحج لا يسمحون لأحد أن يكون بينهم وبين جارهم، يعيدهم إلى الوراء، وهناك إنسان لين رحيم، فالمؤمن يزيح له، أما غير المؤمن يبعده.

الأدب العالي في الصلاة:

الآن الأدب العالي فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذي أحداً أضعف الله له أجر الصف الأول))

[الطبراني عن ابن عباس]

أحياناً الصف الثاني أكمل لأن الصف الأول فيه ازدحام شديد، فإن جاء إنسان ووجد أن الصف الأول مزدحم جداً فانسحب للصف الثاني فهو في قمة الأدب، ترك الصف الأول وارتاح، قال: هذا الذي انسحب إلى الصف الثاني:

((أضعف الله له أجر الصف الأول))

إذا كان أول صف مئة، الثاني صار مئتين، لأنه سمح لإخوانه أن يرتاحوا، وأنا ألاحظ هذا كثيراً، بالتراويح أحياناً أول صف مزدحم جداً، الكل حريص عليه لدرجة أن صلاة الجميع أصبحت متعبة، فهذا الذي يدع مكانه في الصف الأول ليريح أخوانه، هذا له في الصف الثاني أجر ضعف الصف الأول، هذا توجيه رائع جداً من رسول الله عليه الصلاة والسلام.

الإسلام دين نظام ومحبة:

الآن:

((إذا قال الإمام { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فقولوا آمين فإنه من وافق قولُه قولَ الملائكةِ غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أيضاً هذا نظام، يدخل وفد على ملك، يتكلم واحد، هذا الواحد يعبر عن هؤلاء جميعاً، يتكلم بلسانهم، ويشعر بمشاعرهم، ويعبر عن ذواتهم، هذا نظام أيضاً، الإمام يصلي، يقول:

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

[سورة الفاتحة]

المصلي يقول: آمين، أي يا رب استجب لنا، هذا الإمام يعبر عنا، ينطق بلساننا، يقول: آمين، ذلك في القرآن الكريم، سيدنا موسى دعا الله عز وجل، إلى جانبه سيدنا هارون، فلما دعا الله عز وجل، قال تعالى:

(قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا)

[سورة يونس الآية: ٨٩]

فالمّؤمن كأنه داع، هذا النظام، نحن دخلنا وفداً، اخترنا أفضل واحد فينا ليتكلم عنا، ما من داع لأن نتنازع أمام الملك، ما من داع لأن نتنافس، اخترنا واحداً فصيح اللسان، قوي الجنان، حكيماً، تكلم عنا جميعاً.

والحقيقة في صلاة الجماعة اخترنا إماماً يقول

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

ما قال اهدن، قال:

(اهْدِنَا)

يعبر عن نفسه وعمن حوله ممن ائتم به، فلما انتهى من دعائه قلنا: آمين، أي يا رب استجب لنا جميعاً لأنه يعبر عنا، هذا المعنى.

الركوع خضوع والسجود استعانة والقرآن بعد الفاتحة هو الصراط المستقيم:

وعن حبيب بن مسلمة رضي الله عنه وكان مجاب الدعوة قال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن البعض إلا أجابهم الله))

[المستدرك عن حبيب بن مسلمة]

المؤمن داع، والفاتحة ثلثها الأخير دعاء

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

يا رب اهدنا الصراط المستقيم، ما الصراط المستقيم ؟ الآيات التي يقرأها الإمام بعد الفاتحة هي

(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

[سورة الإسراء الآية: ٥٣]

هذا هو صراطي المستقيم، تركع تقول: سبحان ربي العظيم، سمعاً وطاعة يا رب، تسجد وتقول: سبحان ربي الأعلى، يا رب أعني على تطبيق هذا الأمر، فالركوع خضوع، والسجود استعانة، والقرآن بعد الفاتحة هو الصراط المستقيم

(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

والدعاء

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

من قال سمع الله لمن حمده طمأنه الله أنه يستمع له:

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال:

((بينما نحن نُصَلِّي مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذْ قالَ رَجلٌ من القومِ اللهُ أكبَرُ كَبيرا والحمدُ لِلَّهِ كَثيرا وسبحانَ اللهِ بُكرَة وأصيلا فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَن القائلُ كَلمَةَ كَذا وكَذا قال رجلٌ من القومِ أنا يا رسولَ الله قال عَجِبتُ لَهَا فُتِحَتْ لها أبْوَابُ السماءِ))

[مسلم عن ابن عمر]

أنت لم تعرف، أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلاً، هذا ذكر، والملائكة تتجلى عليك بهذا الذكر.

((فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَن القائِلُ كَلمَةَ كَذا وكَذا قال رجلٌ من القومِ أنا يا رسولَ الله قال: عَجِبتُ لَهَا فُتِحَتْ لها أبْوَابُ السماءِ))

وعن رافعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه قال:

((كُنَّا نُصلي وَرَاءَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فلمَّا رَفَعَ رَأسَهُ من الركعةِ قال سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَه وقال رجلٌ وراءهُ ربنا لكَ الحمدُ حمدا كثيراً طيِّبا مُباركا فِيهِ فلمَّا انْصَرَفَ قال: مَن المُتكَلِّمُ آنفا قال أنا قال رأيتُ بِضْعَةَ وثلاثين مَلَكا يَبْتَدِرُونَها أيُّهم يَكتُبها أوَّلُ))

[أحمد عن رافعة بن رافع الزرقي]

إذا قال الإنسان: سمع الله لمن حمده، أي أنا يا عبدي أستمع إليك، اشكرني، حتى يطمئنك الله هو يستمع إليك، سمع الله لمن حمده، فالذي تقوله الملائكة تبتذرونه ليكتبوه.

آخر حديث:

((إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهمَّ ربَّنا لك الحمد فإنه مَنْ وافق قولُه قولَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٣٧-١١٦) : كتاب الصلاة - الترهيب من عدم إتمام الركوع والسجود وما جاء في الخشوع

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الخشوع في الصلاة فرض من فرائضها لا من فضائلها:

عن عبد الله بن الشخير، قال:

((رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرَّحى من البكاء))

[أبو داود و الترمذي عن مُطرِّفِ بن عبد الله بن الشخير]

أي له صوت كصوت المرجل من البكاء، وقد قيل: الخشوع في الصلاة من فرائضها لا من فضائلها.

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يجلس مع أهل بيته، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفهم ولا يعرفونه.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

((أرحنا بها يا بلال))

[أخرجه الطبراني عن رجل من الصحابة]

كل هذه الأقوال التي نسبت أو رفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيد أن الخشوع في الصلاة فرض من فرائض الصلاة، لا من فضائلها.

الخشوع نفحة من الله عز وجل تأتي الإنسان في الصلاة:

والقصة في هذا الموضوع تعود إلى أن الإنسان حينما يطيع الله عز وجل، ويستقيم على أمره، ويصطلح معه، ويحرص حرصاً شديداً على تطبيق منهجه التفصيلي، في كل شؤون حياته، يصبح معرضاً إلى نفحة من الله عز وجل، الصلاة فيها نفحات من الله، هذه لا تملكها أنت، تملك أن تتوضأ، وتملك أن تتوجه إلى القبلة، وأن تطهر ثوبك، ومكان صلاتك، وبدنك، وأن تكبر تكبيرة الإحرام، وأن تقرأ الفاتحة، وسورة، وتركع، وتسجد، هذا تملكه، لكن لا تملك الخشوع في الصلاة، الخشوع نفحة من الله عز وجل تأتيك في الصلاة.

أنت حينما تستقيم على أمره تعرض نفسك لهذه النفحة، تجعلك صالحاً لتلقي نفحة الله عز وجل، قد تأتي وقد لا تأتي، أنت عليك أن تكون جاهزاً لاستقبالها، جاهزيتك لاستقبالها في طاعة لله عز وجل.

من أصرّ على الصغائر حُجب عن الله عز وجل:

أما الشيء الثابت هو أن الإنسان حينما يقع في صغيرة، يحجب عن الله عز وجل، يقع في صغيرة، ويصر عليها، الحديث عن القتل، والسرقة، والزنا، والحديث عن شرب الخمر حديث بعيد عن رواد المساجد، إنسان يحضر مجلس علم هذا لا يسرق، ولا يكذب، ولا يأكل الحرام، ولا يزني، ولا يقتل، ولا يشرب الخمر، لكن ما الحديث إذاً؟ عن هذه الصغائر التي يتوهمها الإنسان صغائر، هي في الحقيقة إذا أصررت عليها، وثبت عليها انقلبت إلى كبائر.

بيت فيه خمسون جهازاً كهربائياً، بين مروحة، وبراد، ومسجلة، وفرن، ومكيف، ومكواة، لو أنك فصلت التيار الرئيسي لتوقفت كل هذه الأجهزة.

فحينما نتوجه بالخطاب لرواد المساجد لا نقول: زنى، وسرقة، وخمر، وقتل، هذه كبائر، هذه توقع الإنسان في الهلاك، أما الذي يعانيه المسلمون من سلوك يومي يتوهمه من الصغائر، وهو حينما يصر عليه القلب ينقلب إلى كبائر.

لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار:

الشيء الدقيق جداً هو:

((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار))

[رواه ابن المنذر والديلمي عن ابن عباس]

وأنا أضرب هذا المثل الدائم: أنت تمشي في طريق، على اليمين واد، الكبيرة أن تحرف المقبض تسعين درجة على اليمين، هذه كبيرة، الصغيرة أن تحرفه سنتمتر واحد، لو ثبّته لنزلت إلى الوادي، أما سميت صغيرة لأن تعبيرها سهل جداً، تتعدل بثانية، فالصغيرة يمكن إصلاحها، أما الكبيرة فمهلكة.

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ)

[سورة النجم الآية: ٣٢]

فهم الناس

(اللَّمَمَ)

فهماً موسعاً، فوقعوا في الكبائر، اللمم أي خاطر ألمّ بذهنك لا تحاسب عليه، خاطر سيئ، ورد عليه وارد في أن يعصي الله، وهو طبعاً استعاذ بالله من هذا الخاطر، هذا لمم، أو عمل شيئاً لا يعلم أنه

معصية، ثم تبين له أنه معصية، فهذا الذنب الذي لا تعلمه ذنباً من اللمم، أو فعلت صغيرة عن غير قصد وتصميم، ثم استغفرت الله أشد الاستغفار، وعدت إلى الصواب من توك، هذا من اللمم، صار ذنب تبت منه فوراً، أو السلوك الذي لم تعرفه ذنباً، أو خاطر ورد إلى ذهنك، هذا ما قاله معظم العلماء عن اللمم، أما ما يفهمه العوام من اللمم ما يفعله جميع المسلمين، من إطلاق البصر، ومن المصافحة، ومن الاختلاط، ومن الكذب، يقول لك: أنا ما ارتكبت كبيرة، وهذا خطأ كبير.

الخشوع يفتقده المسلمون في الصلاة وهو أجمل ما في الصلاة:

لذلك الخشوع يفتقده المسلمون في الصلاة، والخشوع هو أجمل ما في الصلاة، أنا لا أقول لك: أن تبكي دائماً في كل صلاة، هذه لفحة أو تجلٍّ من الله، تأتي من حين إلى آخر، لحكمة بالغة يعلمها الله وحده، أما مادمتَ مقيماً على مخالفة، متلبساً بمعصية، مقيماً على شيء فيه تقصير، هذا التقصير، وتلك المخالفة، وهذه المعصية، تكون حجاباً بينك وبين الله، عندئذٍ تغدو الصلاة شيئاً غير ذي معنى، ما دام هناك حجاب، حركات وسكنات، تبدأ بالتكبير، تنتهي بالتسليم، شرود في الأعم الأغلب، والسأم، والضجر، والقيام إلى الصلاة بتكاسل، هذا الطريق إلى الله ليس سالكاً، والطريق إلى الله ليس سالكاً بسبب عقبات وضعتها أنت، كيف؟ بالمخالفات.

الحقيقة هذا الموضوع لا يحتاج إلى دليل إطلاقاً، الواحد من المؤمنين لو زلت قدمه، أو ضعفت نفسه، أو قصر في شيء وقام ليصلي، يشعر بالحجاب.

(فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ)

[سورة آل عمران]

أنت إذا عملت عملاً إذا كان صواباً يبقيك على اتصال بالله، أما إذا خطأ فيحجبك عن الله.

والحقيقة الإنسان إذا وصل إلى درجة من الحساسية أنه يشعر أنه حُجب أو لم يُحجب هذه علامة طيبة جداً، المؤمن على درجة من الوعي، ومن الحساسية، أنه إذا اقترف إثماً وحُجب عن الله عز وجل، يعرف أنه محجوب.

لذلك قالوا:" النبي معصوم بينما الولي محفوظ"، والفرق بين العصمة والحفظ فرق كبير، النبي المعصوم لا يمكن أن يقع في خطأ، لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في إقراره، ولا في أحواله، أما الولي محفوظ بمعنى أنه لو زلت قدمه، أو أخطأ عن غير قصد، سريعاً ما يتوب إلى الله عز وجل، ويستعيد هذه الصلة.

التأخر بالتوبة يورث القسوة في القلب:

لكن أهم شيء أخواننا، الإنسان إذا وقع بخطأ لا يتأخر بالتوبة، فإذا تأخر قسا قلبه.

(فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ)

[سورة الحديد الآية: ١٦]

إذا طال عليه الأمد انقلبت هذه المخالفة إلى سلوك يومي، استمرأه، وقبله، وألفه، حتى أصبحت بعض المعاصي والمخالفات مألوفة عند الناس، إذا ألفت هذه المعاصي ألفت هذه الحجب، إذاً:

((رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرَّحى من البكاء))

[أبو داود و الترمذي عن مُطرِّفٍ بن عبد الله بن الشخير]

الاستقامة تزيل الحجب بين الإنسان و ربه:

وهناك حديث آخر أن النبي الله صلى الله عليه وسلم قال:

((أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعاً))

[الطبراني عن أبي الدرداء]

كلكم يسمع في بعض البلاد الإسلامية يقف الإنسان في الصلاة، يتحرك يمنة ويسرة، ويصلح قلنسوته، يصلح ثيابه، ينظر إلى ساعته، أحياناً يعد نقوده، هناك حجاب، الحجاب يؤدي إلى أن تصبح الوقفة مملة، الإنسان يتلهى، هو يصلي، الصلاة طبعاً فيها إكراه، من لم يصلِ عوقب، فإذا رفع الخشوع من الصلاة تصبح هذه الصلاة ـ كما عرفها بعض الفقهاء تعريفاً مادياً ـ أقوالاً، وأفعالاً، مفتتحة بالتكبير، ومختتمة التسليم، أما حينما تكون هناك الأعمال الطيبة فالوضع يختلف.

الآن البديل، ما الذي يزيل الحُجب؟ الاستقامة، قال تعالى:

(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ)

[سورة البقرة الآية: ١٧٧]

أقامها، لماذا لم يقل صلى؟ **(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ)** الصلاة ليست عملية أن تقف وأن تصلي، عملية أن تكون مهيئاً قبل الصلاة للاتصال بالله عز وجل، إنسان قاعد بمحله التجاري أكثر زبائنه نساء، يستمتع بمحاسنهن، ينظر إليهن، يمزح معهن، يكذب، يحلف يميناً كاذبة، أذن الظهر ركض إلى الجامع، وقف وصلى، هذا الإنسان الغير منضبط في بيعه وشرائه، لا يستطيع أن يتصل، أما الذي يريد أن يقيم الصلاة من الفجر للظهر يتابع ضبط نفسه، يضبط جوارحه.

ضبط الجوارح، ضبط اللسان، ضبط العين، ضبط الأذن، إن وقف في الصلاة ليصلي صار الطريق سالكاً، ليس معنى ذلك أنك أنت سلكته، العمل الصالح هو الذي يدفعك إلى هذا الطريق، خدمت إنساناً، كنت صادقاً، عدت مريضاً، سرت في جنازة، أطعمت جائعاً، أعنت أخرقاً، ما دام هناك عملاً صالحاً دائماً، معنى هذا أن العمل هو الذي يرفعك إلى الله.

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)

[سورة فاطر الآية: ١٠]

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)

[سورة الكهف الآية: ١١٠]

إذاً:

((أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعاً))

[الطبراني عن أبي الدرداء]

الطهور و الركوع و السجود ثلاثة أثلاث الصلاة من أداها بحقها قبلت منه:

شيء آخر:

((الصلاة ثلاثة أثلاث: الطهور ثلث، والركوع ثلث، والسجود ثلث))

[الديلمي عن أبي هريرة]

فيما يقوله العلماء: معنى الركوع غير معنى السجود، لماذا سمي المسجد مسجداً ولم يسمَ مركعاً؟ أنت تركع وتسجد، سمي المكان الذي نصلي فيه مسجداً، ولم يسمَ مركعاً، قال: لأن أقرب حالة للصلاة وأنت ساجد، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، لذلك سمي المكان الذي نصلي فيه مسجداً، أنت حينما تقول:

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

[سورة الفاتحة]

تدعو الله عز وجل أن يهديك الصراط المستقيم، حينما تركع تقول: سمعاً يا ربي، سمعاً وطاعة يا رب، خضوع، أما حينما تسجد إنما تطلب العون من الله عز وجل

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

[سورة الفاتحة]

نعبد، نخضع، نستعين؛ ونستمد،

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

الركوع

(نَعْبُدُ)

والسجود

(نَسْتَعِينُ)

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((لكل سورة حظها من الركوع والسجود))

[أخرجه الإمام أحمد عن رجل من الصحابة]

كل ركوع يتناسب مع الآية التي قُرأت بعد الفاتحة، لو الله عز وجل قال لك في الصلاة:

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

[سورة الإسراء الآية: ٥٣]

ركوع هذه الآية، يا ربي سمعاً وطاعة، سأضبط لساني، وسأنطق بالتي هي أحسن، بالسجود يا ربي أعني على أن أكون في هذه الطاعة.

إذاً:

((الطهور ثلث، والركوع ثلث، والسجود ثلث))

[الديلمي عن أبي هريرة]

أي تطلب أن يهديك الله الصراط المستقيم، تركع، وتسجد، هذه أثلاث الصلاة كما وردت عن رسول الله:

((فمن أداها بحقها قبلت منه، وقبل منه سائر عمله، ومن ردت عليه صلاته ردّ عليها سائر عمله))

[الديلمي عن أبي هريرة]

عدم قبول صلاة الرجل إلا بقدر إقباله على الله:

وعن عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ قال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الرجل لينصرف وما كُتِبَ له إلا عُشْرُ صلاته، تُسُعُها، ثُمُنها، سُبُعها، سُدُسها، خُمُسها، رُبُعها، ثُلُثُها، نِصْفُها))

[أبو داود عن عمار بن ياسر]

صلى كُتبت له نصف صلاته، أو ربع صلاته، أو ثلث صلاته، أو سدسها، أو ثمنها، أو تسعها، أو عشرها، بقدر إقباله على الله وعقله.

لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود:

وعن علي بن شيبان رضي الله عنه قال:

((خرجنا حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعناه وصلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلمح بمؤخر عينه إلى رجل لا يقيم صلبه في الركوع والسجود))

[ابن خزيمة وابن حبان عن علي بن شيبان]

أي لا يقيم صلبه هكذا، بالركوع يجب أن يقام الصلب أي أن يكون مستقيماً.

((فلما قضى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر المسلمين! إنه لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود))

[ابن خزيمة وابن حبان عن علي بن شيبان]

من السنة أن يصلي الإنسان في عدة أماكن في المسجد لا أن يفترش مكاناً واحداً:

حديث آخر:

((نـهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نقْرَةِ الغراب))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن شبل]

ما قال: أقل من مرة، خضع ورفع، سجد ورفع.

((نـهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نقْرَةِ الغراب، وافتِراشِ السَّبُع))

يضع كفه وساعده على الأرض، هذا افتراش السبع.

((وأن يُوَطّنَ الرجلُ بالمكان في المسجد كما يُوَطّنُ البعير))

أي ألِف المكان، لا يغيره، والسنة أن تصلي في عدة أماكن في المسجد، أخذ مكاناً مريحاً وجلس فيه.

((نـهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نقْرَةِ الغراب، وافتِراش السَّبُع، وأن يُوَطّن الرجلُ بالمكان في المسجد كما يُوَطّنُ البعير))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن شبل]

وعن أبي مسعود البدري قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم:

((لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود))

[أبو داود عن أبي مسعود البدري]

كما قلت قبل قليل: لا تجزئ، أي لا تقبل، ولا تعد هذه الصلاة صحيحة إلا إذا أقام ظهره في الركوع والسجود.

من واجبات الصلاة متابعة الإمام:

آخر حديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((أما يَخْشَى أحدُكم أو ألا يخشى أحدُكم إذا رفع رأسَه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعلَ الله رأسَهُ رأس حمار، أو يجعل الله صورتَه صورة حمار))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

لذلك من واجبات الصلاة متابعة الإمام، لا أن تركع قبله، ولا أن تسجد قبله.

لكن لي ملاحظة بسيطة، صليت مرة في بلد إسلامي، الإمام يطيل بين الحركات إطالة غير معقولة، لدرجة أن ثلث المصلين ينتظرون، ينتظرون، ينتظرون، ثم يهوون إلى الركوع قبل الإمام، أيضاً الإمام الذي يعمل إطالة غير مقبولة، غير معقولة، كأنه يدفع الناس إلى أن يسبقونه في ركوعهم وسجودهم.

النبي عليه الصلاة والسلام ينهي أشد النهي عن أن يرفع المؤتم رأسه قبل إمامه وقد يعرض هذا للمسخ، طبعاً المعنوي:

((أو يجعل الله صورتَه صورة حمار))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الصلاة نظام، في بعض البلاد تعتقد أنه ينبغي ألا تنعقد الجماعة، لأنك تجد في الصلاة حركات كلها خلاف الإمام.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٣٨-١١٦) : كتاب الصلاة - الترهيب من رفع البصر إلى السماء في الصلاة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤-٠٦-١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

آداب الصلاة:

١ ـ النهي عن النظر إلى السماء في الصلاة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما بالُ أقوام يرفعونَ أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فاشتدَّ قوله في ذلك حتى قال لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك، أو لتُخطفَنَّ أبصارُهم))

[رواه مسلم والنسائي عن أنس بن مالك]

لأن الخشوع في الصلاة من فرائضها لا من فضائلها، والنظر إلى السماء في الصلاة يتنافى مع الخشوع، فلذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما بالُ أقوام))

وهذا من تلطف النبي عليه الصلاة والسلام، كان من الممكن أن يخاطب واحداً ممن رآه يرفع بصره إلى السماء، قال:

((ما بالُ أقوام))

ليكون النصح عاماً دون أن يكون مخصصاً لئلا يحرج الإنسان، ويشعر بالضيق.

((ما بالُ أقوام يرفعونَ أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فاشتدَّ قوله في ذلك حتى قال: لَيَنْتَهُنَّ عن ذلك، أو لتُخطفَنَّ أبصارُهم))

[رواه مسلم والنسائي عن أنس بن مالك]

إذاً الخشوع:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)

[سورة المؤمنون]

خفض البصر في الصلاة من الخشوع، والأصح أن نقول: هو التخشع، الخشوع حالة القلب، المظهر الذي يعين على خشوع القلب أن تتخشع، إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، وإنما الكرم بالتكرم، وإنما الخشوع بالتخشع، أنت قف الموقف الذي يعبر عن الخشوع، وعلى الله الباقي، الله عز وجل ينقلك إلى مرتبة الخشوع إذا كانت أعضاؤك وحركاتك تعبر عن الخشوع.

على الإنسان أن يلتفت إلى الله بقلبه إذا أراد أن يصلي:

أيضاً قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

((لا يزال الله مقبلاً على العبد في الصلاة ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه))

[رواه أبو داود والنسائي عن أبي ذر]

أنت مقبل على الله، والله مقبل عليك، تقول: سمع الله لمن حمده، هو يسمعك الآن، إن كنت تخاطبه فهو يستمع إليك، إن كنت مقبلاً عليه فهو مقبل عليك، إن كنت ترجو رضوانه هو يحب أن يكرمك.

((لا يزال الله مقبلاً على العبد في الصلاة ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه))

[رواه أبو داود والنسائي عن أبي ذر]

أحياناً الإنسان يقابل شخصاً بمقياس المجتمع عظيم، يجد نفسه منصرفاً إليه، لا يرى من المناسب أن يتلهى بسبحة، ولا بقراءة صحيفة، ولا بمجلة، ولا أن ينصرف عنه إلى جهة أخرى، ليس من المناسب أن تقابل شخصاً ذا مكانة أن تجلس أمامه وتنظر إلى اليمن أو إلى اليسار، أو أن تتلهى بقراءة صحيفة أمامه، هذا لا يليق بعلية القوم.

فلذلك الإنسان إذا أراد أن يصلي فليلتفت إلى الله عز وجل بقلبه.

٢ ـ النهي عن نقرة الديك وإقعاء الكلب والتفات الثعلب:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((أوصاني خليلي بثلاث ونهاني عن ثلاث نهاني عن نقرة كنقرة الديك ـ الصلاة السريعة وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب))

[أحمد عن أبي هريرة]

بالصلاة لا يليق بالمؤمن أن يجلس كإقعاء الكلب ـ أي يجلس على ليتيه ـ أي يتربع تقريباً.

((والتفات كالتفات الثعلب))

الحركة السريعة.

((نقرة كنقرة الديك))

هذه الحركات الثلاثة، نقرة الديك، وإقعاء الكلب، والتفات الثعلب، نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ ـ الابتعاد عن الحركات الكثيرة:

حديث آخر:

((لا تمسح يعني الأرض وأنت تصلي، فإن كنت لابدَّ فاعلاً فواحدة))

إنسان سجد فشعر أن هناك شيئاً بجبينه من التراب، فمسح، مسحة واحدة مقبولة، أما أكثر من مسحة، أي مسحتان، ثلاثة، هذا مما يتنافى مع آداب الصلاة.

((لا تمسح يعني الأرض وأنت تصلي، فإن كنت لابدَّ فاعلا فواحدة))

[متفق عليه عن معيقيب]

أي تعديل الثياب، والهندام، ومسح الرأس، ووضع اليد على الشعر أثناء الصلاة، هذا أيضاً يتنافى مع الخشوع في الصلاة.

٤ ـ الابتعاد عن الكِبر في الصلاة:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الاختصار في الصلاة راحة أهل النار))

[ابن حبان عن أبي هريرة]

الاختصار أن يضع الإنسان يده على خاصرته في الصلاة، أيضاً هذا منهي عنه لأنه كِبر.

((الاختصار))

[ابن حبان عن أبي هريرة]

أي لا يليق بمؤمن يقف بين يدي الله أن يسلك نوعاً من السلوك الذي يوحي بالكبر هذه كلها من آداب المصلي.

من شوش على المصلي صلاته وقع في إثم عظيم:

حديث آخر:

((لو يعلم المارُّ بين يدي المصلّي ماذا عليه لكان أن يقفَ أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه قال أبو النضر: لا أدري قال أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة))

[متفق عليه عن أبي الجهيم الأنصاري]

حينما تشوش على المصلي صلاته وقعت في إثم كبير، لو أردنا أن نقيس، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي بكرة]

الحديث واضح، القاضي غير غضبان، ابنه مريض مرضاً شديداً، وهو مشوش، فأية حالة تلتقي مع الغضب الذي يشوش الحكم فعليه أن ينسحب، هذه قاعدة مهمة في الفقه الفقهاء حملوا على غضب القاضي ثلاثاً وثلاثين حالة، كلها تلتقي مع الغضب في اضطراب الحكم.

فالإنسان إذا مرّ بين يدي المصلي، شوش عليه صلاته، وهذا إثم كبير، والإنسان إذا أراد أن يسمع أخباراً وأخوه يصلي في الغرفة، فتح وسمع أخبار لندن مثلاً، أنت شوشت عليه، إنسان قرأ القرآن بصوت مرتفع أمام شخص يصلي هذا أيضاً تشويش، أي شيء يصرف المصلي عن صلاته تشويش، فهذا في إثم كبير.

كل إنسان أراد أن يدخل على جو فيه مصلٍّ، والدخول هذا بصوت، أو بحركة، أو بسكنة، هذا يشوش على المصلي صلاته، إذاً ينسحب هذا على من يمر بين يدي المصلي.

((لو يعلم المارُّ بين يدي المصلِّي ماذا عليه لكان أن يقفَ أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه قال أبو النضر لا أدري قال أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة))

[متفق عليه عن أبي الجهيم الأنصاري]

وعن أبي الخدري رضي الله عنه قال:

((إذا صلَّى أحدكم فأراد أحدٌ أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره ـ أي السنة أن تمد يدك، إن أراد أحد أن يقتحم عليك صلاتك، أن تدفعه بيدك ـ فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان))

[متفق عليهعن أبي سعيد الخدري]

أي شيطان هو الذي يمر بين يدي المصلي.

الترهيب في ترك الصلاة متعمداً أو إخراجها عن وقتها متهاوناً:

أما الموضوع الدقيق جداً، آخر موضوع هو الترهيب في ترك الصلاة متعمداً، أو إخراجها عن وقتها متهاوناً، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((بين الرَّجُل وبين الشِّرْك أو الكفر تركُ الصلاة))

[أخرجه مسلم عن جابر]

يمكن أن يسقط الصيام عن المريض، والمسافر، والزكاة تسقط عن الفقير، والصيام، والحج، والزكاة تسقط أيضاً عن الفقير، والشهادة تؤدى مرة واحدة، بقي من الدين الفرض المتكرر الذي لا

يسقط بحال هو الصلاة، والصلاة هي عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين، ولا خير في دين لا صلاة فيه، فمن ترك الصلاة متعمداً فقد كفر.

((بين الرَّجُل وبين الشِّرْك أو الكفر تركُ الصلاة))

[أخرجه مسلم عن جابر].

حديث آخر:

((العَهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ، فمن تركها فقد كفر))

[رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن بريدة]

إلا أنه لا بد من تعليق قاله الفقهاء: "من ترك الصلاة كفراً بها، أو أنكر فرضيتها فقد كفر، لكن من ترك الصلاة تهاوناً، وتكاسلاً فقد فسق"، لا يُكفّر، أي إنسان لم يقل: الصلاة لم يفرضها الله، لم يقل: الصلاة لا تجدي، قال: والله أنا مقصر، أرجو الله أن يغفر لي، نقول: هذا لم يكفر لأنه لم ينكر فرضيتها.

نحن عندنا قاعدة: أي شيء فرضه الله علينا إن أنكرت فرضيته فقد كفرت، إن تركته تهاوناً فقد فسقت، طبعاً معصية كبيرة جداً، المعصية شيء والكفر شيء آخر، الكفر: الكافر خالد مخلد في النار، أما العاصي الذي آمن بفرضية الصلاة يخرج من النار بعد حين، ففرق بين الكافر والعاصي، من ترك الصلاة كفراً بها، أو إنكاراً لفرضيتها فقد كفر، أما من تركها تكاسلاً أو تهاوناً فقد عصى، والعاصي طبعاً بإمكانه أن يتوب.

((العَهدُ الذي بيننا وبينهم: الصلاةُ، فمن تركها فقد كفر))

[رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن بريدة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٣٩-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في المحافظة على ثنتي عشرة ركعة من السنة في اليوم والليلة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من حافظ على سنن النبي في الصلوات فكأنه أدى الفرائض بالتمام والكمال:

عن أم حبيبة بن أبي سفيان رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((ما من عبد مسلم يُصلي لله تعالى كلَّ يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً من غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة))

[رواه مسلم عن أم حبيبة بنت أبي سفيان]

ركعتان قبل الفجر، أربع ركعات قبل الظهر، واثنتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، هذه السنن الرواتب.

((ما من عبد مسلم يُصلي لله تعالى كلَّ يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً من غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتاً في الجنة))

رواه مسلم، وأصحاب السنن، وزاد الترمذي أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة.

معنى ذلك أن هذه السنة التي سنّها لنا النبي عليه الصلاة والسلام كأنها الطريق إلى أداء صلاة الفرض أداء كاملاً، هناك سنة قبلية، وهناك سنة بعدية، السنة القبلية تهيئة والبعدية ترميم، فإذا صليت القبلية والبعدية فكأنك أديت صلاة الفرض تامة، فأنت هيأت نفسك قبل الفرض، وإذا حدث في الفرض شيء رممت صلاة الفرض بالبعدية، فمن حافظ على سنن النبي عليه الصلاة والسلام في الصلوات فكأنه أدى الفرائض بالتمام والكمال.

السنن القبلية تهيئة و السنن البعدية ترميم:

أنا لو قلت لإنسان: اغسل هذا الكأس، هذا أمر مجمل، لو أن هذا الإنسان على مستوى رفيع من الفهم يمسك هذا الكأس، يصب عليه الماء، ويدلكه، يصب عليه الماء مرة ثانية ويدلكه، يصب عليه الماء مرة ثالثة، هو فهم غسل الإناء ثلاث مرات.

ما فعله النبي هو فهم لأداء الفرائض، النبي لم يضف من عنده شيئاً، ولكن نفذ الأمر تنفيذاً كاملاً، فحافظ على ركعتي الفجر تامة و كان يصلي ركعتين قبلها، كما حافظ على الظهر أربع ركعات، و صلى قبلها وبعدها، لأن الظهر ضمن زحمة العمل، هناك حوار، و سؤال، وحلف أيمان، و نساء يدخلن المحلات، فالإنسان ضمن زحمة العمل.

صلاة الظهر لها سنة قبلية، ولها سنة بعدية، سنة الفجر قبل الفجر، العشاء بعد العشاء، استيقظت من نومك غير متوازن، ركعتين قبل الفجر، تهيئة، صليت العشاء الفراش إلى جانبك، تصلي بعد العشاء ركعتين، ترميم، فالقبلية تهيئة، والبعدية ترميم، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من عبد مسلم يُصلي لله تعالى كلَّ يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعا من غير الفريضة، إلا بنى الله له بيتا في الجنة))

هذه سماها العلماء السنن الرواتب، هو خلاف حول الظهر، لك أن تصلي ركعتين قبله، وركعتين بعده، ولك أن تصلي أربع ركعات قبله، وركعتين بعده، ولك أن تصلي أربع قبله، وأربع بعده، أنت على الخيار.

ركعتا الفجر خير من الدُّنيا وما فيها:

حديث آخر:

((رَكعتا الفجر خير من الدُّنيا وما فيها))

[الترمذي عن عائشة]

أحياناً نفهم النص فهماً دقيقاً جداً، فهماً نظامياً، نحن نقرأ، ونستمع، ونفهم اللغة، أما فهم ضبابي، مثلاً لك والدة أمية لا تقرأ ولا تكتب، واستمعت إلى نشرة الأخبار، لا تفهم شيئاً منها، لكن من يفهمها فهماً دقيقاً جداً؟ الخبراء في السياسية، يفهمون حرف العطف له معنى، على إسرائيل أن تنسحب من أراضٍ اُحتلت، غير من الأراضي المحتلة، هذا التنكير لا يشمل كل الأراضي المحتلة، فترجم هذا النص إلى اللغة العربية على شكل، وإلى اللغة الإنكليزية على شكل، والفريقان وافقا، ثم اختلفا، فبين من أراضٍ اُحتلت، وبين من الأراضي المحتلة.

ضربت هذا المثل أن هناك صياغة دقيقة جداً، وهناك فهم أدق.

إنسان قدم تعهداً ونفذه، عند الاستلام حسموا عليه خمسمئة ألف ليرة، رفع دعوى، هذه الدعوى مفادها أن شرط التعهد أن أُقدم من أفضل المواد، كلمة من لا تعني أنه يقدم أفضل المواد، إذا كان هناك مواداً جيدة أُقدم من هذه المواد، أقام دعوى، والقضية أُحيلت إلى مجمع اللغة العربية حول معنى من وربح الدعوى، واسترد النصف مليون.

طبعاً هناك فهم ضبابي، و هناك فهم دقيق جداً، قدمت هذه المقدمة، عندما سيد الخلق وحبيب الحق، الذي لا ينطق عن الهوى، الذي يعد قوله تشريعاً، الذي يعد قوله وحياً غير متلو، يقول:

((رَكعتا الفجر خير من الدُّنيا وما فيها))

[الترمذي عن عائشة]

ماذا يوجد في الدنيا؟ قد تكون أغنى أغنيائها، قد تملك أكبر شركاتها، قد تملك بضعة ألوف من الملايين، من المليارات، أو مليارات، الآن إنسان بأمريكا يقدم برامج الكومبيوتر، تقدر ثروته بثلاثين مليار دولار، هذه الدنيا، قال:

((رَكعتا الفجر خير من الدُّنيا وما فيها))

[الترمذي عن عائشة]

هذا كلام النبي.

من صلى فقد أدى حقّ العبودية والطاعة لله عز وجل:

النبي الكريم مرّ بقبر، قال:

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من نوافلكم خير له من كل دنياكم))

[ورد في الأثر]

أنت تسعى لكسب المال، لتأسيس شركة، لإحراز تفوق معين، لنيل دكتوراه، لاحتلال منصب رفيع، لشراء بيت فخم، قال:

((صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من نوافلكم خير له من كل دنياكم))

[ورد في الأثر]

((ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحطَّ عنه بها خطيئة))

[أخرجه مسلم وابن خزيمة عن ثوبان رضي الله عنه]

عندما تصلي لا تدري ماذا تفعل، إنك تؤدي حق العبودية لله عز وجل، أنت حينما تصلي إنما تعبر عن امتنانك لله عز وجل، أنت تؤدي ما عليك لله عز وجل، أول ما يحاسب العبد عن عمله الصلاة، فإن صححت فقد فاز وربح، وإن لم تصح فقد خاب وخسر، إذاً

((رَكعتا الفجر خير من الدُّنيا وما فيها))

أحياناً إنسان يقول لك: والله أتيح لي أن أذهب إلى بلد غربي لأقيم هناك، طبعاً لا فجر، ولا ظهر، ولا غض بصر، ولا صوم، يندمج معهم، لو بقي في بلده على دخل قليل، وبيت صغير، وحياة خشنة وهو يؤدي الصلوات الخمس خير له من كل هذا العمل، وهذا السفر، وهذا الدخل.

أحاديث للترغيب ببعض السنن:

الآن يوجد أحاديث هي للترغيب ببعض السنن؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها، حرَّمه الله على النار))

[الترمذي عن أم حبيبة]

الآن هناك تفاصيل حول بعض الصلوات، أربع قبل الظهر، وأربع بعدها، حرم جسده على النار، وصلاة الهجير مثل صلاة الليل، أحياناً يكون الحر شديداً، والبيت مريحاً، أي عاهد نفسه أن يصلي في المسجد، فانطلق إلى المسجد وصلى صلاة الهجير، قال: هذه الصلاة مثل صلاة الليل، أي إن انتصفت الشمس كبد السماء لم يدخل بعد صلاة الظهر، أما إذا زالت أي انحرفت دخل وقت صلاة الظهر.

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار))

[الطبراني عن أم سلمة]

الآن يتضح لنا ما معنى السنة المؤكدة، والسنة الغير مؤكدة، المؤكدة التي فعلها النبي دائماً، هذه الرواتب اثنتا عشرة، أما الغير مؤكدة التي فعلها النبي رحمة بأمته، فعلها كثيراً، وتركها قليلاً، تركها رحمة بأمته، التي واظب عليها سنة مؤكدة، والتي لم يواظب عليها صلى الله عليه وسلم رحمة بأمته سنة غير مؤكدة، الآن الحديث عن السنن الغير مؤكدة.

من السنة أن تؤدى المكتوبات في المسجد والنوافل والسنن في البيت:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ صَلَّى بعد المغرب سِتَّ ركعات، لم يتكلَّمْ فيما بينهنَّ بسوء، عُدِلن له بعبادة اثِنْتي عشرة سنة))

[رواه ابن ماجة والترمذي وقال غريب، وابن خزيمة عن أبي هريرة]

وعن علي رضي الله عنه:

((إن الله وِتْر يُحِبُّ الوِتْرَ، فأوتِرُوا يا أهل القرآن))

[أبو داود و الترمذي عن علي]

طبعاً الأئمة الثلاثة عدوا الوتر سنة مؤكدة، أبو حنيفة وحده عدّه واجباً، وخالفه تلميذاه الإمام يوسف والإمام أحمد، على كلٍّ سنة مؤكدة، لذلك الوتر يقضى، لذلك الوتر في السفر لا يسقط، أنت حينما تسافر تصلي الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، والعشاء ركعتين، والفجر والمغرب يبقى

على حالهما، إلا أن السنن في صلاة السفر تسقط عدا الوتر لابد من أن تصليها، لأنه سنة مؤكدة، وعند أبي حنيفة وحده عدّ الوتر واجباً.

((الوِتْرُ ليس بِحَتم كالصلاة المكتوبة، ولكن سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله وِتْر يُحِبُّ الوِتْرَ، فأوتِرُوا يا أهل القرآن))

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليُوتِرْ أوَّلَه))

[مسلم عن جابر]

إنسان متعب، عمله شاق دخل إلى المسجد ليصلي العشاء، أنا أنصحه أن يصلي الفرض والسنة والوتر، لأنه إذا نام ربما خاف ألا يقوم، قال:

((من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليُوتِرْ أوَّلَه، ثم لِيَرْقُدْ، ومن طمِعَ أن يقومَ آخرَ الليل))

[مسلم عن جابر]

يمكن أن ينام الإنسان بعد العشاء، ونومه قليل، والعادة أنه يستيقظ الساعة الثانية عشرة، استيقظ الساعة الثانية عشرة صلى الوتر وصلى قيام الليل.

((ومن طمِعَ أن يقومَ آخرَ الليل، فإن صلاة آخِرِ الليل مَشهُودة مَحْضُورة وذلك أفْضَلُ))

[مسلم عن جابر]

ومن المناسب أن يصلي الإنسان السنن ببيته، فمن السنة أن تؤدى المكتوبات في المسجد، والنوافل والسنن في البيت، لا تجعل بيتك قبراً، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تطبيق السنة ولاء و محبة لله و رسوله:

قال أيضاً رسول الله صلى الله عليه و سلم:

((الوتر حق، فمن لم يُوتِرْ فليس منا، الوتر حق، فمن لم يوتِرِ فليس منا الوتر حق، فمن لم يوتر فليس منا))

[المستدرك عن بريدة]

مرة حدثني أخ أنه رأى النبي عليه الصلاة والسلام أعرض عنه ولم يسمح له أن يصافحه، فتألم أشد الألم، ثم سأل بعض العلماء عن هذا المنام، كان لا يصلي السنن، وعدم صلاة السنن مجافاة للنبي عليه الصلاة والسلام، جفاء، فتطبيق السنة ولاء، تطبيق السنة محبة، و السنة طريق الفرض، أداء أمثل للفرض.

فمن صلى الصلوات المكتوبة مع سننها فقد أدى أمر الله عز وجل وفق ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((من بات طاهراً بات في شعاره ملك ـ الشعار: القميص الداخلي ـ فلا يستيقظ من ليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك كما بات طاهراً))

[رواه ابن حبان عن ابن عمر]

((ما من امرئ تكون له صلاة بليل، فيغْلِبُه عليها نوم إلا كُتِبَ له أجْرُ صلاته))

[أخرجه أبو داود والنسائي ومالك عن عائشة أم المؤمنين]

فالإنسان إذا شعر أنه بحاجة إلى النوم، و لم يعد يعقل شيئاً من صلاته فلينم، فليرقد، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام.

((ما من امرئ تكون له صلاة بليل، فيغْلِبُه عليها نوم إلا كُتِبَ له أجْرُ صلاته))

[أخرجه أبو داود والنسائي ومالك عن عائشة أم المؤمنين]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٤٠-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في قيام الليل -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة تشرق قلب المؤمن بنور الاتصال بالله عز وجل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا هو نام، كل عقدة يضرب عليه، يقول: عليك ليل طويل، فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عقدة، وإن توضأ انحلّت عقدتان، فإذا صلّى انحلت العقد، فأصبح نشيطاً طيِّب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الإنسان حينما ينام، النوم موت مؤقت، فإذا أراد أن ينام يعقد الشيطان على مؤخرة رأسه ثلاث عقد، العقدة كما فسرها المفسرون أي أنه يهيئه كي لا يستيقظ، فإذا أوى إلى فراشه يدعوه إلى متابعة النوم إلى ما بعد شروق الشمس، حينما يسمع صوت المؤذن، أو حينما يفتح عينيه قبل أن تشرق الشمس، إما أن يتابع النوم، وإما أن يستيقظ، هنا الصراع، قال:

((فإن استيقظ فذكر الله انحلّت عُقْدة، فإن توَّضأ انحلَّت عقدة، فإن صلى انحلّت عُقَدُه كلُّها))

استيقظ، توضأ، صلى.

((فأصْبح نشيطاً طيِّبَ النَّفْس))

والحقيقة موضوع صلاة الفجر في جماعة، الإنسان حينما يستيقظ، وحينما يتوضأ، وحينما يخرج من البيت، ويتجه إلى المسجد أصبح نشيطاً طيب النفس، وذكر الله تعالى، وأشرق قلبه بنور الاتصال بالله عز وجل، قال:

((وإلا أصبحَ خبيثَ النفس كَسْلانَ))

توافق التكليف مع الفطرة وتناقضه مع الطبع :

هذا ينقلنا إلى حقيقة: هو أن في الإنسان جسداً ونفساً، التكليف متوافق مع النفس، متناقض مع الجسد، وكلمة تكليف تعني ذو كلفة، في جهد، فلو أن الإنسان غلب نفسه، غالب رغبته في متابعة النوم واستيقظ، هذه المغالبة أزعجت الجسد لكنها أراحت النفس، فعندما يستيقظ الإنسان، ويكافح

رغبة النوم، ويتوضأ، ويصلي، أصبح طيب النفس ارتاحت نفسه، لو أنه فعل العكس، تابع النوم، الجسد ارتاح، لكنه يستيقظ بعد شروق الشمس.

((خبيثَ النفس كَسْلانَ))

فكل التكاليف تريح النفس في النهاية، وتتعب الجسم في البداية، فالتكليف متوافق مع الفطرة متناقض مع الطبع، ولولا هذا التناقض ما ارتقى الإنسان به ولا ودفع ثمن طاعته، لو أن الله عز وجل جعل صلاة الفجر الساعة العاشرة، كل الناس يستيقظون الساعة الثامنة والنصف، التاسعة، التاسعة والنصف، العاشرة يصلي، لم يعد هناك بذل جهد، جاء التكليف متوافقاً مع الطبع، الإنسان عندئذٍ لا يرقى به، الإنسان لا يرقى إلا حينما يكافح رغبة النوم في صلاة الفجر، يكافح رغبة النوم في صلاة العشاء، يكافح الاندماج مع العمل في صلاة الظهر، يكافح رغبة النوم في صلاة العصر، كل وقت يتناسب مع طبيعة الجسم، إذا صلى العصر كافح رغبة النوم ـ نوم القيلولة ـ ، إذا صلى الظهر كافح رغبة الاندماج في العمل، مندمج لم يشعر، إن صلى الفجر في جماعة كافح رغبة النوم، إن صلى العشاء في جماعة كافح رغبة النوم.

إذاً مرة ثانية:

((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا هو نام، كل عقدة يضرب عليه))

يضرب، العلماء قالوا: يطمئن، عقد، اطمأن أنه دعاه إلى نوم مديد، إلى نوم طويل، العقدة عليك ليل طويل فارقد.

((فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، وإن توضأ انحلَّت عقدتان، فإذا صلَّى انحلت العقد، فأصبح نشيطاً طيِّب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الدرجة الأولى للصلاة بعد الصلوات الخمس أن تصلي في الليل والناس نيام :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضلُ الصِّيام بعدَ رَمضانَ: شهرُ الله المُحَرَّم، وأفْضَلُ الصَّلاةِ بعدَ الْمَكْتُوبَةِ: صلاةُ الليل))

[رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة]

الدرجة الأولى للصلاة بعد الصلوات الخمس أن تصلي في الليل والناس نيام، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً:

((كان يقومُ من الليل حتى تتَفَطَّرَ قدماه، فقلتُ له: لمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غُفِرَ لكَ ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: أفلا أحِبُّ أن أكُونَ عبداً شكوراً؟))

[متفق عليه عن عائشة]

الإنسان أحياناً إذا عمل أعمالاً صالحة في النهار، وقدم شيئاً ثميناً للناس يرغب في أن يستريح، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان في أعلى درجات البذل والتضحية، يأتي الليل فيصلي الليل حتى تتورم قدماه، يقال له:

((لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غُفِرَ لكَ ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: أفلا أحِبُّ أن أكُونَ عبداً شكوراً))

[متفق عليه عن عائشة]

حديث آخر يدل على أن:

((أحبُّ الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلث الليل وينام سدسه، وأحبُّ الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

على الإنسان أن يغتنم ساعات الإجابة ليعطيه الله تعالى سؤله :

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إنَّ في اللَّيل سَاعة لا يُوافِقُها رجُل مُسلم يسأل الله خيراً من أمْرِ الدُّنْيا والآخِرة إلا أعطاه إياه، وذلك كُلَّ ليلة))

[مسلم عن جابر]

هناك ساعة استجابة، العلماء قالوا: حينما قال سيدنا يوسف:

(سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي)

[سورة يوسف الآية: ٩٨]

الآن استغفر في ساعة الإجابة، في الليل ساعة إذا وافقها الإنسان وهو يصلي يسأل الله تعالى من خيري الدنيا والآخرة، فالله جل جلاله يعطيه سؤله.

إذاً ساعات الإجابة، يوم الجمعة يوجد ساعة استجابة، وفي كل ليلة هناك ساعة، فمن وافق قيامه الليل هذه الساعة استجيبت له دعوته، من هنا أنا كلما وجدت أخاً يعاني من مشكلة كبيرة جداً، وليس لها حل في المدى المنظور أقول له كما قال الله تعالى، أو كما أنبأنا النبي عليه الصلاة والسلام:

((إن الله عز وجل يهبط من السماء العليا إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من داع؟ حتى إذا طلع الفجر ارتفع))

[أخرجه الطبراني عن أبي الخطاب]

البر صلاح الدنيا والتقوى صلاح الآخرة :

حديث آخر:

((رحِمَ اللهُ رجلاً قامَ من الليلِ فصلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِن أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا الماءَ، رَحِمَ اللهُ امرأة قامَتْ من الليل فصلتْ وأيقظتْ زوجَها، فإنْ أَبَى نضحتْ في وجهه الماءَ))

[رواه أبو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة]

وهذه علاقة طيبة جداً، علاقة روحية بين الزوج وزوجته، يتعاونان على أمر الدنيا كما أنهما يتعاونان على أمر الآخرة، فإن كانت همته أعلى من همتها استيقظ وأيقظها، وإن كانت همتها أعلى من همته استيقظت وأيقظته، هذا هو التعاون.

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)

[سورة المائدة الآية: ٢]

البر صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، لأن:

((فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية))

[شعب الإيمان عن عبد الله]

أي صلاة النهار أمام الناس، دخلت إلى المسجد وصليت، وشهد الناس لك بالصلاح، وقالوا: فلان من رواد المساجد، ويؤدي الصلوات في المساجد، صار لك مكانة دينية جاءت من صلاة النهار، أما إنسان استيقظ بالليل، لا أحد يعلم ذلك، حتى أهله لم يعلوا، استيقظ توضأ وصلى ورجع ونام، هذه صلاة السر، كيف أن صدقة السر لا تعلم يمينه ما أنفقت شماله، أو بالعكس، لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، فكلما أردت أن تخزي الشيطان إذا اتهمك بالنفاق عليك بصدقة السر وصلاة الليل، هذه الصلاة وتلك الصدقة صلاة وصدقة الإخلاص.

شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس :

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

((جاء جبرائيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد: اعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

أي شرفه مكانته عند الله تتأتى من قيام الليل، قال عز وجل:

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ

اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً)

[سورة الإسراء]

لأن:

((أقرب ما يكون الربُّ عز وجل من العبد جَوفُ الليل الآخر، فإن استَطعّتَ أن تكونَ ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكُنْ))

[رواه الترمذي وصححه والنسائي وصححه ابن خزيمة عن عمر]

صلاة الليل أفضل صلاة على الإطلاق بعد الصلوات الخمس :

قال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة، وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل))

[رواه الطبراني عن إياس بن معاوية]

أي ركعتان، هناك من يصلي ركعتين قبل الفجر، هذه قيام الليل.

((لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة، وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل))

[رواه الطبراني عن إياس بن معاوية]

قبل أن تنام لو ركعت ركعتين هي صلاة الليل غير قيام الليل ، أما إذا استيقظت قبل الفجر بربع ساعة، وصليت ركعتين فهي من صلاة الليل، لأن عائشة قالت:

((لا تدَعْ قيام الليل، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَدَعُهُ، وكان إذا مَرِض أو كَسِلَ صلى قاعداً))

[أحمد عن عائشة]

طبعاً الصلاة النافلة لك أن تصليها قاعداً ولا شيء عليك، إنسان تقدمت به السن، جسمه متعب، عنده متاعب، عنده بضع المشكلات، له أن يصلي هذه الصلاة قاعداً.

وقال عليه الصلاة والسلام:

((لا حَسَدَ إلا على اثْنَتيْن: رجلٌ آتَاهُ اللَّهُ القرآن فقام به آناء اللَّيل وَآنَاءَ النَّهار ورجلٌ أعْطاهُ اللَّهُ مالا، فهوَ يُنْفِقهُ آنَاءَ اللَّيل وآناءَ النَّهار))

[البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر]

هذا هو العمل الطيب، وهذا العمل الذي يُغبط عليه الإنسان، إنفاق ماله آناء الليل وآناء النهار، وأن يؤتى القرآن فهو يقرأه آناء الليل وآناء النهار.

الحديث الأخير قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ قام بعشرِ آيات لم يُكْتَبْ مِن الغافلين، ومَنْ قام بمائةِ آية كُتِبَ مِن القانتين، ومَن قامَ بألفِ آية كُتِبَ مِن المقنْطِرين))

الذين اجتباهم الله عز وجل لولايته.

[رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أيها الأخوة، كل هذه الأحاديث تبين أن الإنسان إذا صلى الليل هي أفضل صلاة على الإطلاق بعد الصلوات الخمس التي فرضها الله علينا.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٤١-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في قيام الليل -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الموت ينتظر كلّ حي:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

((جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

فالموت ينتظر كلّ حي، وكلّ حي محكوم عليه بالموت مع وقف التنفيذ.

((عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

أحبب ما شئت، لابد من أن تفارق هذا الشيء المحبوب، لابد من أن تفارقه أو أن يفارقك.

((واعمل ما شئت فإنك مجزي به ثم قال يا محمد شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغن عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره.

سُئل الإمام الحسن البصري: بِمَ نلت هذا المقام؟ قال: باستغنائي عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي.

دخل أبو حنيفة النعمان على المنصور، فقال: يا أبا حنيفة لو تغشيتنا، قال: ولِمَ أتغشاكم وليس لي شيء أخافكم عليه؟ وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء؟ إنك إن قربتني فتنتني، وإن أبعدتني أزريت بي، فلِمَ أتغشاكم؟.

لقي أحد خلفاء بني أمية عالماً جليلاً في الحرم المكي فقال له: سلني حاجتك؟ قال: والله إني أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، فلما لقيه في الطريق قال: سلني حاجتك؟ قال: والله ما سألتها من يملكها أأسألها من لا يملكها؟ فلما ألح عليه قال: حاجتي أن أدخل الجنة، قال: هذه ليست عندي، قال: إذاً ليس لي عندك حاجة.

((شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

((من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه))

[البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود]

ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير.

عزة النفس أساسها الاتصال بالله عز وجل:

عزة النفس أساسها الاتصال بالله عز وجل، لأن الذي أعطاه يعطيك، والذي أكرمه يكرمك، والذي رفعه يرفعك، والذي قربه يقربك، وليس بين الله وبين عباده حاجز، وليس بينهم وبينه وسيط، لأن القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)

[سورة الأنفال الآية: ١]

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)

[سورة البقرة الآية: ٢١٩]

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)

[سورة البقرة الآية: ٢٢٢]

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)

[سورة البقرة الآية: ١٨٩]

اثنتا عشرة آية تبدأ بيسألونك، وفيها قل، ثم يأتي الجواب، إلا آية واحدة:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

لا يوجد قل.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

[سورة البقرة الآية: ١٧٦]

بين الله وبين عباده ليس هناك وسيط، كلنا عباده وهو ينتظرنا، ينتظر توبتنا، ينتظر إقبالنا، ينتظر صلحنا معه.

لكل حسنة ثواب ولكل سيئة عقاب:

((يا محمد عش ما شئت فإنك ميت))

أعرف رجلاً يعمل في الفن في مصر، سمعت عنه هذه القصة، كان حريصاً على حياته حرصاً يكاد لا يوصف، ما ركب طائرة في حياته خوفاً من أن تحترق في الجو، ما تناول طعام العشاء في

حياته أبداً، لم يأكل إلا الفواكه، ما أكل ظهراً إلا لحم السمك ولحم الدجاج، لأنه خفيف، رياضة، فيتامينات، برنامج غذائي صارم، كل شيء، وعمّر طويلاً لكنه في النهاية قد مات.

((يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

إن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، كل شيء بثمن.

وأحبب من شئت، من تحب؟ هذه الزوجة؟ إما أن تفارقها وإما أن تفارقك، هذا البيت الفخم؟ إما أن تخرج منه، وإما أن يزول من بين يديك، دقق فيمن تحب، لابد من أن تفارقه، فارقه قبل أن يفارقك، فارقه في نفسك قبل أن يفارقك، والعناية الزائدة في الحياة الدنيا تجعل الموت أكبر مصيبة.

((واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))

[الطبراني عن سهل بن سعد]

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً)

[سورة الإسراء]

وقت السحر وقت القرب وقت السحر وقت القرب من الله عز وجل:

وتقترب من الله عز وجل:حديث آخر:

((أقرب ما يكون الربُّ عز وجل من العبد جَوفُ الليل الآخر))

[النسائي عن عمرو بن عبسة]

جوف الليل الآخر يعني وقت السحر، هذا وقت القرب من الله:

وسر نحونا في الليل لا تخشَ وحشتنا فالأنس في طيب ذكرنا
وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغل وأخلص لنا تلقى المسرة والهنا

* * *

((أقرب ما يكون الربُّ عز وجل من العبد جَوفُ الليل الآخر فإن استَطعّتَ أن تكونَ ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكُنْ))

[النسائي عن عمرو بن عبسة]

هذا وقت الصحوة، التقيت البارحة بأخ كريم درس بفرنسا، لقيه إنسان يهودي قال له: نحن لا نخافكم أبداً ـ يقصد المسلمين ـ إلا في حالة واحدة أن يكون رواد المساجد في الصلوات الخمس كما هم في صلاة الجمعة.

تجد سبعة أشخاص في المسجد أثناء صلاة الفجر، أما يوم الجمعة ففيه خمسة آلاف، هذا التفاوت الكبير بين الصلوات الخمس، وبين صلاة الجمعة، هذا دليل ضعف المسلمين، قال له: حينما نرى مساجدكم تمتلئ بالصلوات الخمس نبدأ نخافكم ونحسب حسابكم.

الشام فيها خمسة ملايين ونصف، يقول لك: صحوة إسلامية، ويقول لك: جوامع ممتلئة، كل رواد المساجد بالإحصاء الدقيق لا يزيدون عن خمسمئة ألف، أي عشر سكان دمشق، يوم الجمعة المساجد تغص بالمصلين، الناس يُصلّون في صحن المسجد، ليس لهم مكان، كل هذا الازدحام الذي ترونه يقدر بخمسمئة ألف، وبقي تسعة أعشار سكان دمشق لا يصلون الجمعة، فهناك إحساس، أو شعور خاطئ أنه أخي الحمد لله لا يوجد مكان بالمسجد، ما بالك في الصلوات الخمس؟ تجد بناء مؤلفاً من اثني عشر طابقاً، ست شقق، إذا صلوا الفجر بالمسجد لما وجد مكان تجلس فيه، ونحن ـ الحمد لله ـ عندنا عدد كبير جداً بالقياس إلى غير مساجد، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أقرب ما يكون الربُّ عز وجل من العبد جَوفُ الليل الآخر فإن استَطعّتَ أن تكونَ ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكُنْ))

[النسائي عن عمرو بن عبسة]

هذا وقت الرحمة، وقت الصحوة، وقت الإقبال على الله عز وجل، وربنا عز وجل قال:

(إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحاً طويلاً)

[سورة المزمل]

صلاة الليل أفضل صلاة على الإطلاق بعد الصلوات الخمس:

وعن إياس بن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل))

[رواه الطبراني عن إياس بن معاوية]

ولو ركعتان يركعهما الإنسان في جوف الليل عُدّ من الذاكرين، وهناك حديث آخر:

((لا تدَعْ قيام الليل فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَدَعُهُ وكان إذا مَرِض أو كَسِلَ صلى قاعداً))

[أحمد عن عائشة]

أيها الأخوة، هذه الأحاديث كلها أكثرها متفق عليه، ورد في صحيح البخاري ومسلم، وهما أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أساس حياة المؤمن العطاء والإنفاق وأساس الحياة الدنيا الأخذ:

قال رسول صلى الله عليه وسلم:

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ رجلٌ آتاهُ اللَّه القرآنَ فهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار))

[رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود]

أيها الأخوة، ربنا جل جلاله يقول في قرآنه الكريم في أول آية من سورة المؤمنون:

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)

[سورة المؤمنون]

وفي أول آية من سورة البقرة:

(الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

[سورة البقرة]

أي أحد أخص خصوصيات المتقي أنه أنفق مما رزقه الله، لأن سرّ وجوده في الأرض هو الإنفاق، بالإنفاق يرقى، فالذي آتاه الله مالاً يرقى بإنفاق ماله، والذي آتاه الله علماً يرقى بإنفاق علمه، ويقاس على هذين الشيئين ـ العلم والمال ـ كل شيء، فأساس حياة المؤمن العطاء والإنفاق، وأساس الحياة الدنيا الأخذ، انظر ما الذي يسعدك أن تعطي أم أن تأخذ؟ إذا كان يسعدك العطاء فأنت من أهل الآخرة، وإن كان يسعدك الأخذ فأنت من أهل الدنيا.

لكل إنسان ميزة عليه أن يستخدمها في التقرب من الله عز وجل:

ربنا عز وجل يقول: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)، وهذه من أوسع الآيات، قد يؤتي الإنسان جاهاً، ومكانة، بهذه المكانة وهذا الجاه بإمكانه أن ينصر المظلوم، وقد ورد أن هناك عبادة مقيدة، وأن هناك عبادة مطلقة، الفرق بين العبادة المقيدة والعبادة المطلقة أن الله سبحانه وتعالى إذا أعطى الإنسان قوة، لو أنه بذل وقتاً طويلاً في الأذكار، والدعوات، وفي الصلوات، وتلاوة القرآن، ولم

ينصر المظلوم، لم يحقق الهدف مما أعطاه الله، الذي آتاه الله القوة لو سهر طول الليل في إنصاف المظلوم، وفي إدارة شؤون العباد، هذه عبادته، والذي آتاه الله المال الوفير جيد جداً أن يقرأ القرآن، وأن يذكر الله عز وجل، وهذا من العبادات، ولكن هذا الذي آتاه الله المال عبادته الأولى أن ينفق مما أعطاه الله، والذي آتاه الله العلم عبادته الأولى أن يعطي من علمه كل كائن.

ففي لكل إنسان ميزة، أو خاصة، عبادته استخدام هذا العطاء، أو هذا الحظ في الدنيا، والتقرب إلى الله عز وجل، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْن: رجلٌ آتاهُ اللَّه القرآنَ فهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيلِ وآناء النَّهار))

آناء أي أطراف، أي يتلو القرآن، ويتعلم القرآن، ويعلم القرآن، وقد ورد عن رسول الله في الحديث الصحيح:

((خيرُكمْ من تعلّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عثمان بن عفان]

جعل النبي عليه الصلاة والسلام الخيرية المطلقة في تعلم القرآن وتعليمه، كتاب الهداية الأول.

من أتيح له أن يتعلم القرآن و يُعلمه فهذا من الجهاد الكبير:

شيء آخر حينما قال الله عز وجل:

(وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)

[سورة الفرقان]

الهاء تعود على القرآن الكريم، و ورد في القرآن الكريم أن هذا الجهاد جهاد كبير، لأن القتال من أجل أن تستطيع أن تنشر الحق إن أتيح لك أن تنشر الحق، وهذا أكبر أنواع الجهاد، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن:

((ذروة سنام الإسلام الجهاد))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

أتيح لك أن تتعلم القرآن وأن تعلمه، وأن تلقي معانيه في قلوب الآخرين، وتدلهم على تطبيق أحكامه، فهذا من الجهاد الكبير.

الحسد و الغبطة

النبي عليه الصلاة والسلام هنا في هذا الحديث ذكر:

((لا حَسَدَ))

والعلماء شارحو الحديث شرحوا الحسد على الغبطة، أي الإنسان يغبط أخاه الإنسان فيما آتاه من خير الآخرة، أما إذا حسد في أمور الدنيا يسمى الحسد حسداً على أصله، والحقيقة الحسد نوع من عدم المعرفة بالله عز وجل، فالذي أعطاه يعطيك، والذي أكرمه يكرمك، وقد ورد أن الإنسان إذا حسد بمعنى أنه تمنى الخير أن ينصرف عن أخيه وأن يأتي إليه، هذا أصل الحسد، أن يزول عن أخيه وأن يتحول إليه، هذا نوع، النوع الأخطر أن تتمنى أن ينصرف عن أخيك دون أن يصل إليك، هذا نوع أسوأ، أما النوع الإجرامي أن تتحرك، أن تعمل وشاية، أن تعمل شكوى، من أجل أن تفقد أخاك ما آتاه الله عز وجل، فبين أن تتمنى تحول النعمة إليك وتنصرف عن أخيك، وبين أن تتمنى أن تنصرف عن أخيك دون أن تصل إليك، وبين أن تعمل على أن تصرف هذه النعمة عن أخيك.

إلا أن الحسد هنا في هذا الحديث هو الغبطة، والإنسان مطالب أن يغبط أخوانه المؤمنين بما آتاهم الله من فضله.

أصل الحسد الغيرة والغيرة صفة من صفات الإنسان:

هناك شيء آخر في هذا الحديث: أصل الحسد الغيرة، والغيرة صفة من صفات الإنسان، هي حيادية، بمعنى أنه يمكن أن توظف في الخير، وأن توظف في الشر، فالإنسان حينما يحسد في أمور الدنيا يوظفها في الشر، أما حينما يستخدم الحسد بمعناه المطلق في أمور الآخرة ينقلب إلى غبطة، والغبطة محمودة والحسد مذموم، إلا أن النبي هنا استخدم كلمة الحسد هذا أسلوب في البلاغة، كأن يقول المتكلم: فلان كريم جواد إلا أنه صادق؟ كأنه أشعرك هذا تأكيد المدح بما يشبه الذم، كريم صادق إلا أنه شجاع؟ أكد المديح بما يشبه الذم، وهنا:

((لا حَسَدَ))

كأنك ظننت هذا يحسد، أما هنا هي الغبطة.

((لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ: رجلٌ آتاهُ اللَّه القرآنَ فهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيلِ والنَّهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار))

[رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود]

ومن الحكم أن العدل حسن لكن في الأمراء أحسن، الذي جعله الله أميراً أحسن ما يقدمه للناس العدل، والورع حسن لكن في العلماء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن.

الغافلين و القانتين و المقنطرين:

حديث آخر:

((مَنْ قام بعشر آيات لم يُكْتَبْ مِن الغافلين، ومَنْ قام بمائةِ آية، كُتِبَ مِن القانتين، ومَن قامَ بألفِ آية كُتِبَ مِن المقنْطِرين))

[رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

المقنطرين الذين لهم أجر بالقناطير، فالإنسان إذا قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين، وإذا قام بمئة آية كتب من القانتين، الطائعين، المنقطعين لله عز وجل، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٤٣-١١٦) : كتاب النوافل - الترهيب من صلاة الإنسان وقراءته حال النعاس

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

العبرة من الصلاة أن تعقل و تدرك و تتفاعل مع ما تقول:

أيها الأخوة الكرام، تعلمون أن:

((ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها))

[ورد في الأثر]

وقد بُني هذا على قول الله عز وجل:

(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى)

[سورة النساء الآية: ٤٣]

طبعاً هذه آية منسوخة.

(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)

[سورة النساء الآية: ٤٣]

معنى ذلك أنه يجب على الإنسان أن يعلم ما يقول، وأن يعقل ما يقول، فمن صلى صلاةً ولا يعلم ما يقول، ولم يعقل ما يقول، كأنما هو سكران، أو في حكم السكران.

هذا المعنى المستنبط من هذه الآية، ومن ذاك الحديث، يؤكده الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إذا نعس أحدكم أي شعر بحاجة إلى النوم، ونعس كلمة فصيحة في صلاته، فليرقد ينام حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعسٌ لعله يريد أن يستغفر فيسب نفسه))

[متفق عليه عن عائشة]

هذا ورد في البخاري ومسلم، العبرة من الصلاة أن تعقل ما تقول، أن تدرك معاني ما تقول، أن تتفاعل مع ما تقول، أن تُحكم الصلة بالله عز وجل، فلو أن إنساناً أصابه نعاس شديد إذاً هو لا يعقل ما يقول، لا يفهم ما يقول، لا يتفاعل مع ما يقول، فقدت الصلاة جوهرها وحكمتها.

((إذا نعس أحدكم في صلاته، فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعسٌ لعله يريد أن يستغفر فيسب نفسه))

[متفق عليه عن عائشة]

وفي رواية أخرى، رواية البخاري:

((إِذَا نعَسَ في الصَّلاة فَلْيَنَمْ، حتى يَعلم، ما يقرأ))

[البخاري عن أنس]

وفي رواية ثلاثة:

((إذا قام أحدكم من الليلِ فاسْتَعْجَمَ القرآنُ على لسانِه))

أخطأ بالقراءة لشدة تعبه.

((فلم يدْرِ ما يقول، فَلْيَضْطجِعْ))

[مسلم عن أبي هريرة]

إذاً الحكمة من الصلاة أن تعلم ما تقول

(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)

العلاقة بين دورة القمر وفورة الدم في الإنسان:

شيء آخر: يقول أبو هريرة رضي الله عنه:

((أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيامِ ثلاثةِ أيام من كلِّ شهر، وركعتي الضُّحى، وأن أوتِرَ قبل أن أرقُدَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وفي رواية ابن خزيمة:

((لست بتاركهنَّ))

أيها الأخوة، من أدق ما قرأت: أن رجلاً باحثاً اجتماعياً في أمريكا، طاف على عدد كبير من مراكز الشرطة، وعلى عدد كبير من مراكز الإسعاف، وأخذ التقارير التي وردت إلى هذه المخافر، وتلك المراكز، وبحساب دقيق قلب تواريخها إلى التاريخ الهجري ففوجئ أن عدد الحوادث ـ حوادث العنف ـ في اليوم الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشهر الهجري يزيد ٦٠% عن بقية الأيام.

وقد أثبت العلم أن هناك علاقة بين دورة القمر وفورة الدم في الإنسان، وقد أوصانا النبي عليه الصلاة والسلام، كما قال أبو هريرة:

((أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيامِ ثلاثةِ أيام من كلِّ شهر َ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

هذه الأيام البيض، أيام الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، يبدو أن الدم يفور، وأن الإنسان في هذه الأيام يكون أكثر توتراً، وأشد انفعالاً، وأسرع استجابة في ردود أفعاله، فلذلك:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

[سورة النجم]

وهذا القول الذي قاله سيدنا سعد بن أبي وقاص: "ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس، ما صليت صلاةً وشغلت نفسي حتى أقضيها، ولا سرت في جنازة بغير ما تقول حتى أنصرف منها، وما سمعت حديثاً من رسول الله حتى علمت أنه حق من الله تعالى".

ما يقوله النبي إنما هو وحي يوحى:

يجب أن نعلم أن الذي قاله النبي لا علاقة له لا بثقافته، ولا بخبرته، ولا باجتهاده، إنما هو وحي يوحى.

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

[سورة النجم]

فالذي صمم الإنسان، وجعل علاقة ما بين فورة دمه وبين دورة القمر، هو الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرع لنا صيام الأيام البيض، لذلك:

((أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيامِ ثلاثةِ أيام من كلِّ شهر، وركعتي الضُّحى، وأن أوتِرَ قبل أن أرقُد َ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الحفاظ على صلاة الوتر، والوَتر والوِتر بمعنى واحد.

((وركعتي الضُّحى))

من خطّ لنفسه خطة و لم ينفذها في أحد الأيام فليقضها:

شيء آخر:

((مَنْ نامَ عَنْ حِزْبِهِ من الليل، أو عن شيءٍ منه، فقرأه ما بيْنَ صَلاةِ الفجر وصَلاة الظُّهر، كُتِبَ له كأنما قرأهُ من الليْلِ َ))

[رواه مسلم وأصحاب السنن عن عمر بن الخطاب]

إذا الإنسان ألزم نفسه أن يقرأ جزءاً من كتاب الله، أو نصف جزء، أو ربع جزء، ولسبب قاهر لم يتمكن أن يقرأه فيما بين صلاة الفجر وشروق الشمس، ماذا ينبغي أن يفعل؟ النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نقضيه فيما بين الفجر والظهر، فالإنسان إذا خطّ لنفسه خطة وفي أحد الأيام لم تنفذ، حتى لا يحدث خلل، أو يحدث ضعف ثقة بالنفس، كما أنك تقضي الصلوات اقض ما عليك من قراءة قرآن.

((مَنْ نامَ عَنْ حِزْبِهِ من الليل، أو عن شيءٍ منه، فقرأه ما بيْنَ صَلاةِ الفجر وصَلاة الظُّهر، كُتِبَ له كأنما قرأهُ من الليْلِ))

[رواه مسلم وأصحاب السنن عن عمر بن الخطاب]

معنى ذلك إذا الإنسان له برنامج ديني، عليه أن يحافظ عليه حفاظاً شديداً، ولو فاته لأسباب قاهرة، يمكن أن يقضيه استناداً لهذا الحديث الصحيح.

فضل صلاة التسابيح:

وعن عباس رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((يا عمَّاهُ، ألا أعطيكَ، ألا أمنَحُكَ، ألا أجِيزُكَ، ألا أفعلُ بكَ عشرُ خِصال إذا أنتَ فعلتَ ذلك غَفرَ اللهُ لكَ ذَنبَكَ: أوّلَهُ وآخِرَهُ، قديمَه وحديثَه، خطأَه وعمْدَه، صغيرَه وكبيرَه، سِرَّه وعلانيتَّه عشرُ خصال: أن تُصلّي أربع ركعات، تقرأ في كلِّ ركعة فاتحة الكتاب، وسورة، فإذا فرغتَ من القراءةِ في أوَّلِ ركعة وأنتَ قائم، قلتَ: سبحانَ الله والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر خمسَ عَشْرَةَ مرة، ثم تركعُ فتقولُها وأنتَ راكع عشراً، ثم تَرفعُ رأسك من الركوع فتقولها عشراً، ثم تهوي ساجداً فتقولُها وأنتَ ساجد عشرا، ثم ترفعُ رأسَكَ من السجود فتقولُها عشراً، ثم تسجدُ فتقولها عشراً، ثم ترفع رأسك فتقولُها عشرا، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعلُ ذلك في أربع ركعات. إن استطعتَ أن تُصَلِّيَها في كلِّ يوم مرة فافعلْ، فإن لم تفعلْ ففي كلِّ جمعة، فإن لم تَفْعَل ففي كلِّ شهر مَرَّة، فإن لم تفعلْ ففي كلِّ سَنَة مَرَّة، فإن لم تفعلْ ففي كُلِّ عمرِكَ مَرَّة))

[رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس]

وقال المصنف: روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وعن جماعة من الصحابة، وأمثلها هذا الطريق، وقد صححه جماعة، وقال أبو داود: سمعت أبي يقول: ليس في صلاة التسبيح صحيح غير هذا.

نحن نصليها في كل عام مرة إن شاء الله برمضان، ولو صلاها الإنسان في العمر مرة تصح، صلاة التسابيح، التفصيل واضح جداً، نقرأ الفاتحة وسورة ثم سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله،

والله أكبر، خمس عشرة مرة، ثم بالركوع، وبعد الركوع، وقبل السجود، ومع القعود، إلى تكون هذه الصلاة تامة تامة.

طبعاً نحن في الصلوات، هذه التسابيح، وتلك الضحى، وتلك صلاة الليل، فنحن في الصلوات التي ندبها النبي صلى الله عليه وسلم.

عدم قبول النوافل إذا لم تؤدَ الفرائض:

لكن أيها الأخوة، النوافل لا تقبل إلا إذا أديت الفرائض، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

((ذُكِرَ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل: ما زال نائما حتى أصبحَ، ما قام إلى الصلاة، فقال: ذاك رجل بالَ الشيطانُ في أذُنِه أو قال: في أذُنَيه))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

إذا الإنسان نؤوم ولا يصلي هذا كأن الشيطان بال في أذنه.

و يوم السبت ـ إن شاء الله ـ نتابع هذه الأحاديث التي تُرَغب في صلوات النوافل، وسوف نأخذ صلاة التوبة، وصلاة الحاجة، وهذه من أهم الصلوات، وصلاة الاستخارة، وسجود التلاوة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٤٤-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في صلاة التوبة والحاجة والاستخارة

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في صلاة التوبة:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يُذْنِبُ ذنباً، ثمَّ يَقومُ فيتَطهَّرُ ويصلي، ثُمَّ يَستَغْفِرِ اللهَ إلا غُفِرَ لهُ، ثم قرأ))

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

[سورة آل عمران]

هذا الحديث في علم الحديث أعلى أنواع الأحاديث ما روي عن سيدنا الصديق:

((ما من رجل يُذْنِبُ ذنباً، ثمَّ يَقومُ فيتَطهَّرُ ويصلي، ثُمَّ يَستَغْفِرِ اللهَ عز وجل إلا غُفِرَ لهُ ثم قرأ هذه الآية))

[ابن ماجة و الترمذي و النسائي عن أبي بكر]

معنى هذه الآية الذي يقع في ذنب:

((كُلُّ بَنِي آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخَطَّائينَ التَّوابونَ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

من معاني التوبة أن تتوب من الذنب من قريب لا من بعيد، لا بعد الذنب بأمد بعيد، عندئذٍ يقسو القلب.

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ)

[سورة البقرة الآية: ٧٤]

فالإنسان إذا استمرأ الذنب، يصعب عليه أن يتوب منه، أما لمجرد أنه وقع في الذنب عاد إلى الله تائباً، وصلى صلاة التوبة، أن تصلي ركعتين، ومن المستحسن أن تقرأ فيهما

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ)

من أراد أن يكشف الله عنه ما به فعليه بصلاة الحاجة:

هناك الصلوات الخمس التي فرضها الله عز وجل على كل مسلم في اليوم والليلة، وهناك صلوات لأسباب خاصة، فمن هذه الصلوات لأسباب خاصة صلاة التوبة، وصلاة الحاجة، فعن عثمان بن حنيف رضي الله عنه:

((أن أعمى أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله ادعُ الله أن يكشف لي عن بصري، فقال أو أدعك قال يا رسول الله، إنه يشق علي ذهاب بصري))

النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يحمله على الصبر، لكنه أراد أن يشفيه الله من هذا المرض.

((فقال يا رسول الله، إنه قد يشق علي ذهاب بصري، قال: فانطلق وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي لي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي، قال عثمان فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط))

[رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن عثمان بن حنيف]

أيها الأخوة، نستفيد من هذا الحديث أن الإنسان كثيراً ما يواجه بعض الصعوبات، وربنا سبحانه وتعالى لحكمة بالغة يضع الإنسان في مواقف صعبة، من أجل ماذا؟ من أجل أن تزداد معرفته بالله، ومن أجل أن تزداد محبته له، فكل شِدة وراءها شَدة، وكل محنة وراءها منحة، وكل ضيق وراءه فرج، فما من مصيبة تصيب المؤمن إلا وتشده إلى الله عز وجل، إلا ويزداد معرفة به، وحباً له، فمن أراد أن يكشف الله عنه ما به فعليه بصلاة الحاجة، وأنت بقدر ما تثق أن الله فعال لما يريد يتحقق ما تريد.

على المؤمن أن يتعامل مع الله عز وجل بإخلاص:

أحياناً بعض الأخوة الكرام، يذكرون من تجاربهم مع الله عز وجل، أنه وقع في ضائقة، في مشكلة، في ورطة، في شبح مصيبة، فتوجه إلى الله من أعماق أعماقه، وسأل الله سبحانه وتعالى أن يخلصه، وهو يعلم أن الله بيده كل شيء، وعلى كل شيء قدير، الشيء الذي لا يصدق أن هؤلاء الأشخاص يستجيب الله لهم استجابة قد لا يصدقونها، لأن الله بيده كل شيء، هو الفعال، هو القوي، حبذا لو أن المؤمن يتعامل مع الله بهذا الإخلاص، وهذا اليقين، هناك أمراض عضالة لا شفاء لها، إذا اعتقدت اعتقاداً جازماً أن الله من قدرته أن يشفيك فالله عز وجل لا يخيب رجاء من رجاه، معنى ذلك أنك إذا توجهت إلى الله عز وجل ودعوته، أنت أقوى الناس، أقوى الأقوياء بيد الله، كن فيكون، زل فيزول، فإذا كنت أنت مع الله فأنت أقوى الأقوياء.

مرة ثانية أيها الأخوة، عن عثمان عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه:

((أن أعمى أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله ادعُ أن يكشف الله لي عن بصري، فقال: أو أدعك يعني أدعك هكذا، واصبر قال يا رسول الله، إنه يشق علي ذهاب بصري، قال فانطلق وتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي لي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي، قال عثمان فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط))

[رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن عثمان بن حنيف]

وفي رواية أمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، وأن يدعو بهذا الدعاء.

لذلك نحن نرجو الله سبحانه وتعالى أن المؤمن كلما وقع بمشكلة عنده صلاة الحاجة، توضأ وصلِّ ركعتين، وادعُ الله في السجود أن يكشف عنك ما ألمَّ بك، أنت بهذا أقوى الأقوياء، هناك مرضى يعانون من أمراض عضالة، وقد شفوا بصلاة الحاجة، وهناك ورطات كبيرة جداً تحيط بالمؤمن أحياناً، بهذه الصلاة ينقذه الله منها.

الله تعالى ما أمر الإنسان أن يدعوه إلا ليستجيب له:

و عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((اثنتا عشرة ركعة تصليهن من ليل ونهار، وتتشهد بين كل ركعتين فإذا تشهدت في آخر صلاتك فأثني على الله عز وجل، وصلِ على النبي صلى الله عليه وسلم واقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات، وآية الكرسي سبعة مرات، وقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشرة مرات ثم قل: اللهم إني أسالك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابة واسمك الأعظم وجدك الأعلى، وكلماتك التامة ثم سل حاجتك، ثم ارفع راسك ثم سلم يميناً وشمالاً))

[رواه الحاكم عن ابن مسعود]

هذا حديث آخر لصلاة الحاجة.

النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر ـ اشتد عليه أمر ـ بادر إلى الصلاة ـ بالتعبير الدارج لا يوجد إلا الله ـ وبيده كل شيء، وهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو الذي يقول:

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)

[سورة غافر الآية: ٦٠]

ما أمرك أن تدعوه إلا ليستجيب لك، وبقدر إخلاصك في الدعاء يستجاب لك.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

[سورة البقرة]

هذه الآية آية دعاء يستنبط منها أنك إذا آمنت أن الله موجود، وأنه قريب منك، واستجبت لدعوته، فاستقمت على أمر الله، ثم دعوته، فالله سبحانه وتعالى يستجيب لك والمؤمن من صفاته أنه مستجاب الدعوة.

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

أطب مطعمك أي استقم في كسب المال، إن كسبت المال الحلال عن طريق الصدق، وعدم الغش، وعدم الكذب، وعدم الاحتيال، إن كسبت المال الحلال، واشتريت به طعاماً وأكلته كان طعامك طيباً.

((أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

صفات الدعاء:

إلا أن الذين يعتدون على الناس هؤلاء لا يستجيب الله دعاءهم لأنه لا يحبهم.

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

[سورة الأعراف]

ثلاث صفات للدعاء (تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً)، الداعي يجب أن يكون متذللاً لله عز وجل، ويجب أن يدعو الله عز وجل في سره، لا بصوت جهوري، وينبغي أن يكون مستقيماً لأن الله سبحانه وتعالى لا يجيب دعاء المنحرفين.

صلاة التوبة، وصلاة الحاجة، بشكل مختصر ركعتان، وفي السجود ادعُ الله عز وجل بما شئت، واستعن بالله عز وجل، وتوسل إليه، وابتغ رضوانه، والله سبحانه وتعالى كفيل أن يغير ما بك.

فضل صلاة الاستخارة:

بقي صلاة الاستخارة وما جاء في تركها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمنا الاستخارة في الأمور كلِّها، كما يعلِّمنا السورة من القرآن، يقول: إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركَعْ ركعتين من غير الفريضةِ ثم ليقل: اللهم إني أستخيرُكَ

بعلمكَ، وأسْتَقْدِرُك بقدرتكَ، وأسألكَ من فضلك العظيم، فإنك تقدِر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علامُ الغيوب))

[رواه البخاري وأصحاب السنن عن جابر بن عبد الله]

أحياناً الإنسان يقبل على شراء صفقة، ويتوهم أن فيها ربحاً كبيراً، لعل في هذه الصفقة خسارة كبيرة، هو لا يعلم، فأنت حينما توكل الله عز وجل بعلمه، تستخيره بعلمه، و تستقدره بقدرته، فإنه يعلم وأنت لا تعلم، وإنه يقدر وأنت لا تقدر، أنت ماذا فعلت ؟.

أحياناً الإنسان يستعين بخبير بالسوق لشراء حاجة، هذا الخبير منذ خمسين سنة يعمل في هذا الموضوع، فيضع كل خبرته في خدمتك.

فأنت إذا استخرت الله عز وجل بعلمه، واستقدرته بقدرته، أي الله عز وجل يعلم ويقدر، هناك أشخاص يعلمون ولا يقدرون، وأشخاص يقدرون ولا يعلمون، لكن ربنا عز وجل يعلم ويقدر، علمه مطلق، وقدرته مطلقة، بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، فأنت إذا استخرته بعلمه، واستقدرته بقدرته، فإنه يعلم وأنت لا تعلم، ويقدر وأنت لا تقدر.

((وأنت علامُ الغيوب اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمْرَ خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبةِ أمري))

طبعاً الحديث هنا عن المباحات، أما المحرمات لا يجوز أن تكون فيها استخارة، السفر مباح، أن تتزوج فلانة شيء مباح، أن تعمل هذا العمل شيء مباح، ففي المباحات قبل أن تقدم على عمل قد يترتب عنه مضاعفات خطيرة استخر الله عز وجل.

((فإنك تقدِر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علامُ الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمْرَ خير لي في ديني، ومعاشي، وعاقبةِ أمري أو قال عاجلِ أمري وآجِلِهِ فاقْدُرْهُ لي ويسِّرْهُ لي، ثم بارك لي فيه اللهم إن كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمر شَرّ لي في دِيني ومعاشي وعاقبةِ أمري أو قال: في عاجِلِ أمري وآجِلهِ فاصْرِفه عَنِّي، واصرفْني عنه واقدُرْ لِي الخيرَ حيث كان، ثم رَضِّني به قال ويُسَمِّي حاجَتَه))

[رواه البخاري وأصحاب السنن عن جابر بن عبد الله]

الاستخارة و الاستشارة من لوازم الإيمان:

أيها الأخوة، من لوازم الإيمان أن المؤمن يستخير ويستشير، يستخير الله عز وجل، ويستشير أولي الخبرة من المؤمنين، في كل عمل استشر مؤمناً تثق بعلمه، وإخلاصه، وورعه، ثم استخر ربك عز وجل، طبعاً أنت أخذت الخبرة الأرضية، المؤمن الذي يتمتع بخبرة عالية في مجال من المجلات استشره، ما خاب من استشار.

(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)

[سورة الشورى الآية: ٣٨]

الآية الكريمة:

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

المعصوم الذي يوحى إليه، أمره ربه أن يشاور أصحابه، فمن أنت؟ أنت شاور أولي الخبرة من المؤمنين واستخر الله عز وجل، وهذا دعاء الاستخارة، و بدعاء الاستخارة أشياء دقيقة جداً.

البركة أن تفعل الشيء الكثير بالشيء القليل:

أحياناً الإنسان ينصرف عن شيء وهو متعلق به، لم نستفد شيئاً، انصرف عنه لكن قلبه معلق به، قال النبي في الدعاء:

((فاصْرِفه عَنِّي، واصرفْني عنه، واقْدُرْ لِي الخيرَ حيث كان))

((فاقْدُرْهُ لي ويسِّرْهُ لي، ثم بارك لي فيه))

[رواه البخاري وأصحاب السنن عن جابر بن عبد الله]

أحياناً تقبض مالاً لكن ليس فيه بركة، قد ينفق على أمور سخيفة، الإنسان أحياناً قد يدفع مبلغاً ضخماً لإجراء تحاليل، أو إجراء فحوصات، ثم ينجو من هذا المرض، هذا المبلغ دُفع، هذا المال لم يكن فيه بركة، أحياناً بالشيء القليل تفعل الشيء الكثير، البركة أن تفعل الشيء الكثير بالشيء القليل.

إذاً اليوم الدرس عن صلاة الاستخارة، وعن صلاة الحاجة، وعن صلاة التوبة، إذا ارتكبت ذنباً فاركع ركعتين، واستغفر الله عز وجل في السجود، وقل

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ)

وإذ كنت بحاجة إلى أمر جلل، وأمر خطير، فاركع ركعتين، وفي السجود قم بتسمية هذا الأمر، وإذا أرادت أن تقبل على شيء مباح لا تعلم خيره من شره، ولا خطأه من صوابه، ولا ما ينطوي عليه من خير أو من شر، فاستقدر بقدرة الله عز وجل، واستخر بعلمه فإنك لن تخيب.

((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٤٥-١١٦) : كتاب الجمعة - الترغيب في صلاة الجمعة والسعي إليها وما جاء في فضل يومها وساعتها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في صلاة الجمعة والسعي إليها:

أيها الأخوة الكرام، قال عليه الصلاة والسلام:

((من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فدنا، وأنصت، واستمع، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا))

[مسلم عن أبي هريرة]

من مس الحصى، لو أن أرض المسجد حصى، وأمسك بعض الحصيات فقد لغا، ومن لغا لا جمعة له، هذا الحديث يشير إلى ضرورة الإنصات التام إلى خطبة الجمعة.

((من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء))

توضأ وضوءاً كاملاً.

((ثم أتى الجمعة فدنا وأنصت واستمع غفر له ما بينه وبين الجمعة))

[مسلم عن أبي هريرة]

الآية الكريمة:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

[سورة الجمعة الآية: ٩]

ضرورة الإنصات التام إلى خطبة الجمعة:

العلماء قالوا: ذكر الله هي الخطبة، والذين يتوهمون أنهم إذا أدركوا ركعة من صلاة الجمعة فقد أدركوا الجمعة، ربنا عز وجل يدعونا إلى سماع خطبة الجمعة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

قال العلماء: ذكر الله سماع خطبة الجمعة.

(وَذَرُوا الْبَيْعَ)

[سورة الجمعة الآية: ٩]

((ثم أتى الجمعة، فاستمع، وأنصتَ، غُفِرَ لَه))

[مسلم عن أبي هريرة]

وهذه الظاهرة أنك إذا أتيت بيتاً من بيوت الله يوم الجمعة ترى العجب العجاب، أي مئات بل ألوف بل عشرات الألوف تنصت للخطيب، وقد يكون الخطيب أصغر القوم سناً، إلا أن هذا هو النظام، وقد يكون في المصلين من هو أعلى مقاماً، من هو أكبر سناً، ومن هو أغزر علماً، نظام خطبة الجمعة الاستماع التام

(فاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ)

الأخطاء الطفيفة التي تبنى على ترك الكبائر تغفر ما بين الجمعة والجمعة:

النقطة الثانية: أنه إذا اجتنبت الكبائر فالجمعة إلى الجمعة كفارة ما بينهما، حصل غفلة بسيطة، حصل كلمة غير مناسبة، فهذه الأخطاء الطفيفة التي تبنى على ترك الكبائر تغفر ما بين الجمعة والجمعة.

((إذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل، وغسل رأسه، ثم تَطَيَّبَ مِنْ أطيب طيبه ولبس من صالح ثيابه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يفرق بين اثنين، ثم استمع للإمام، غفر له من الجمعة إلى الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام))

[أخرجه ابن خزيمة عن أبي هريرة]

واجبات المصلي يوم الجمعة:

الآن هناك تفاصيل: غُسل الجمعة واجب، اغتسل ولو مداً بدينار، ولو أن مد الماء بدينار اغتسل، فهنا التفصيل:

((إذا كان يوم الجمعة فاغتسل الرجل، وغسل رأسه، ثم تَطَيَّبَ مِنْ أطيب طيبه ولبس من صالح ثيابه، ثم خرج إلى الصلاة))

[أخرجه ابن خزيمة عن أبي هريرة]

إذاً: الاغتسال، والتطيب، وارتداء الثياب الحسنة، هذه من واجبات المصلي يوم الجمعة.

((ولم يفرق بين اثنين))

أي ظله خفيف، أحياناً يجلس بمكان يبعد بين اثنين، أحياناً يزعج الآخرين، أحياناً يقتحم.

((ولم يفرق بين اثنين، ثم استمع للإمام، غفر له من الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام))

[أخرجه ابن خزيمة عن أبي هريرة]

التفرغ لصلاة الجمعة عمل كبير جداً:

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضاً، وشهد جنازة، وصام يوماً، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة))

[ابن حبان عن أبي سعيد الخدري]

عمل كبير جداً أن تتفرغ لصلاة الجمعة.

ذكرت مرة أن إنساناً في الشتاء قد يركب مركبته، وينتقل من بيته إلى طرف المدينة الآخر، ليشتري فولاً ويرجع، أما إذا أراد أن يصلي الجمعة يصلي في أي جامع مهما كان هذا الجامع لا يعجبه لا هو، ولا خطيبه، أي عليه أن يؤدي هاتين الركعتين وانتهى الأمر، أقول لهذا الإنسان: دينك أرخص عندك من كيلو فول؟! تحرص على أن تأتي بهذا الفول من مكان بعيد، من أجل أن تأكل لقمة طيبة، ولا تحرص أن تستمتع إلى خطبة تستفيد منها؟.

أكثر الناس يصلي الجمعة كيفما كان، أينما جلس يجلس، لكنه انتهى منها، أما هناك شخص خطبة الجمعة عنده شيء ثمين، لذلك يبحث عن مسجد يستفيد من خطيبه، يستفيد من موضعها، يستفيد من الصلاة، إذاً:

((خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضاً، وشهد جنازة، وصام يوماً، وراح إلى الجمعة، وأعتق رقبة))

[ابن حبان عن أبي سعيد الخدري]

الجمعة تحتاج إلى تهيئة لأنها عمل عظيم:

وفي حديث آخر:

((مَن غسَّل يومَ الجمعة واغْتَسَلَ، وبكَّر وابْتَكَرَ))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أوس بن أوس]

طبعاً كلكم يعلم إذا دخل الإنسان إلى المسجد يوم الجمعة بوقت مبكر فكأنما قدّم بدنة، بعد هذا الوقت كأنما قدّم بقرة، بعد ذلك كأنما قدّم شاة، بعد ذلك كأنما قدّم دجاجة، بعد ذلك كأنما قدّم بيضة، بعد ذلك الملائكة تجلس لتستمع إلى الخطبة، أي إن أتيت قبل أن يلقي الخطيب الخطبة كأنك قدمت بيضة، ماذا تفعل؟ هناك من يأتي باكراً ويقرأ القرآن، هذا يوم عبادة، يوم عيد، فالمفروض أن يهيئ الإنسان نفسه قبل ساعة، دائماً الأعمال الجليلة لها تهيئة.

الآن تريد أن تسافر إلى جدة، السفر ساعتان، التهيئة أربع ساعات، تتواجد بالمطار قبل ساعتين، وتهيئ نفسك قبل ساعتين، من أجل سفر ساعتين، فكل عمل كبير يحتاج إلى تهيئة، هناك أعمال تحتاج إلى تهيئة كبيرة جداً، فلذلك الجمعة تحتاج إلى تهيئة.

يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله:

حديث آخر:

((إن يوم الجمعة سيد الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى، ويوم الفطر، وفيه خمس خلال، خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة ـ هذه تعنينا كثيراً ـ لا يسأل فيها الله العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً))

[ابن ماجه عن أبي لبابة بن عبد المنذر]

هذا الشيء متواتر، في هذا اليوم ساعة، إذا كنت في هذه الساعة تسأل الله شيئاً فالله يعطيك هذا الشيء، فيها ساعة إجابة، أية ساعة؟ أغفلها الله، أغفلها من أجل ماذا؟ من أجل أن تكون طوال هذا اليوم مستعداً، فينبغي أن تصلي الضحى، وأن تصلي الظهر، وأن تصلي العصر، وأن تصلي النفل، لعل هذه الصلاة توافق ساعة إجابة، فأي شيء تسأل الله فيه يجيبك الله عز وجل.

((وفيها ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حرام))

[ابن ماجه عن أبي لبابة بن عبد المنذر]

((إن الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحداً من المسلمين يوم الجمعة إلا غفر له))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

((وفيها ساعة لا يُوافِقُها عبد مسلم وهو قائم يُصلِّي يسألُ الله شيئاً إلا أعطاه إياه وأشار بيده يُقلِّلُها))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

الإنسان أحياناً يستهين بهذه الصلاة، أي أنت بين يدي الله عز وجل، ولك عنده أسئلة كثيرة، وهو سيجيبك عن أي سؤال ما دمت قد نفذت أمر الله عز وجل.

ساعة الإجابة:

هناك تفصيل جديد، عن أبي موسى قال:

((قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أسمعتَ أباك يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة يوم الجُمُعَةِ))

[مسلم عن أبي موسى الأشعري]

هذه ساعة الإجابة متى؟

((قال: قلت نعم سمعتُه يقول سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: هي ما بينَ أنْ يَجْلِسَ الإمامُ إلى أن تُقضى الصلاةُ))

[مسلم عن أبي موسى الأشعري]

ساعة الإجابة ما بين أن يجلس الإمام على المنبر قبل أن يخطب إلى أن تقضى الصلاة، هنا تحددت، صارت أسهل.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس:

((إنا لنجد في كتاب الله في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا قضى له حاجته، فقال عبد الله: وأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة فقلت صدقت، قلت أية ساعة هي قال آخر ساعات النهار قلت إنها ليست ساعة صلاة، قال بلى، إن العبد إذا صلى ثم جلس لم يحبسه إلا الصلاة فهو في صلاة))

[ابن ماجه عن عبد الله بن سلام]

أي آخر ساعات النهار إذا جلس ليصلي فلعل هذه الساعة في آخر ساعات النهار، هذه حالة ثانية.

صلاة الجمعة عبادة تعليمية:

الحقيقة أن هذه الصلاة صلاة الجمعة عبادة تعليمية، لو لم يكن هناك درس علم، لو لم تقرأ كتاباً، لو لم تستمع إلى شريط، لا بدّ من أن تصلي الجمعة في المسجد، ولا بد للخطيب أن يلقي على سمعك آية، أو أن يشرح آية، أو أن يلقي حديثاً، أو أن يشرح حديثاً على مدى الأيام، والشهور، والسنوات، لا بد من أن تنمو معلوماتك.

لذلك قال أحد الملحدين: أعطوني خطب الجمعة، وسأعطيكم شعباً آخر، غير المسلمين يغبطون المسلمين على هذه المساجد، الناس جميعاً لابد من أن يذهبوا إلى المساجد، لذلك من الاهتمام البالغ أن يعد خطباء الجمعة الخطبة إعداداً كبيراً، لأن الصلاة فرض.

((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ وَلَا عِلَّةٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))

[موطأ مالك عن صفوان بن سليم].

المسلمون مضطرون أن يستمعوا إلى الخطيب، دعوة إجبارية، لذلك أهم شيء أن يختار الإنسان المسجد الذي يركن إلى خطيبه، ويرتاح إلى علمه، وإلى ورعه، ليستفيد منه، فالإنسان إذا داوم على صلاة الجمعة مداومة تامة وحدها تعطيه معلومات دقيقة، وغزيرة، ومستمرة.

والحديث قلته قبل قليل:

((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ وَلَا عِلَّةٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))

[موطأ مالك عن صفوان بن سليم]

وأنا أقول مرة ثانية: العبرة لا أن تصلي الركعتين، العبرة أن تستمع إلى الخطبتين، هذه العبرة في صلاة الجمعة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٤٦-١١٦) : كتاب الجمعة - الترغيب في قراءة سورة الكهف وما يذكر معها ليلة الجمعة ويوم الجمعة و الترهيب من ترك الجمعة لغير عذر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٦-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من قرأ سورة الكهف كل يوم جمعة أضاء الله له ما بين الجمعتين:

أيها الأخوة الكرام:

((النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين))

[الحاكم عن أبي سعيد الخدري]

هذه السورة مباركة، وقد ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أنه من قرأها كل يوم جمعة أضاء الله له مابين الجمعتين، فيها قصة الخضر وسيدنا موسى، وقد بيّن الله تعالى في هذه القصة أن ما كل شيء يزعجك هو شر، قد يكون هو الخير ، خرق السفينة سبب نجاتها، قتل الغلام هو سبب سعادة أبويه، وبناء الجدار سبب حفظ مال اليتيم.

فسيدنا الخضر يعلم حكمة الأمر التكويني، وسيدنا موسى يعلم الأمر التشريعي، فأنت تقيس على هذه الحوادث الثلاث، تستنتج منها:

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة البقرة)

طوال الجمعة إن جاءك شيء تكرهه يجب أن تقيسه على سورة الكهف، ثم بيّن الله في هذه السورة صاحب الجنة الذي اعتدّ بجنته فأتلفها الله عز وجل، والذي افتقر إلى الله عز وجل فكسب الدنيا والآخرة، طبعاً هاتان القصتان فيهما أشياء كثيرة:

((إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين))

[الحاكم عن أبي سعيد الخدري]

هذه واحدة.

ما من مسلم يحضر خطبة جمعة إلا عنده شيء من العلم لأن الجمعة عبادة تعليمية:

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه))

[أبو داود و النسائي و الترمذي عن أبي الجعد الضمري]

أي أغلق قلبه، أصبح لا يعي على خير، لأن الله سبحانه وتعالى أكرم المسلمين بهذه العباد التعليمية، عبادة تعليمة، فالإنسان لابدّ له من أن يصلي الجمعة، ولابدّ لخطيب الجمعة من أن يشرح آية أو حديث، أنت على صلة بالعلم طوال حياتك.

سمعت أن في الاتحاد السوفيتي قبل أن ينهار كان هناك معرض للإلحاد، يدخله الأناس، يرون من أوهام الأديان وسخافات الأديان الشيء الذي ينفرهم من الأديان كلها، فسمي هذا المعرض معرض الإلحاد، إلا أن المسلمين إذا دخلوا إلى هذا المعرض ازدادوا إيماناً بالله، لأن المسلم له ثقافة سببها خطبة الجمعة ، فمثلاً جاء في هذا المعرض أن كتاب المسلمين يقول: الأرض على قرن ثور ، والثور على ظهر حوت ، والحوت على سطح بحر، هذا ما قاله القرآن الكريم، القرآن قال:

(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)

(سورة القلم)

هذا جاء في بعض التفاسير ، فالمستمع يفرق بين أصل القرآن وبين التفسير، لذلك في آخر مرحلة منع المسلمين من دخول هذا المعرض، لأنه أعطى النتيجة العكسية، ما من مسلم يحضر خطبة جمعة إلا عنده شيء من العلم لأن الجمعة عبادة تعليمية:

((من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه))

[أبو داود و النسائي و الترمذي عن أبي الجعد الضمري]

أي أصبح قلبه لا يعي على خير، وفي رواية أخرى:

((من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذرٍ فهو منافق))

[الحاكم عن أبي الجعد الضمري]

أي يجب أن تحرص على خطبة الجمعة حرصاً لا حدود له، وكما ذكرت يجب أن تتحرى مسجداً تنتفع من خطبته، ابحث عن مسجدٍ تثق بعلم خطيبه، وبورعه، واستفد من هذا الخطبة.

عظمة خطبة و صلاة الجمعة:

و قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم يتخلفون عن الجمعة:

((لقد همَمْتُ أن آمُرَ رجلاً يصلي بالناس، ثم أحرِّقَ على رجال يتخَلَّفون عن الجمعة بيُوتَهم))

[أخرجه مسلم عن ابن مسعود]

أي النبي عليه الصلاة والسلام همّ أن يجعل إحراق بيت الرجل بسبب ترك الجمعة، هل هناك وعيد أشد من هذا الوعيد ؟ يقول عليه الصلاة والسلام لقوم يتخلفون عن الجمعة:

((لقد هممْتُ أن آمُرَ رجلاً يصلي بالناس، ثم أحرِّقَ على رجال يتخَلَّفون عن الجمعة بيُوتَهم))

[أخرجه مسلم عن ابن مسعود]

قلت لكم البارحة فيما أذكر: إن أحد كبار القادة الملحدين الذين يشيعون الإلحاد في بعض البلاد الإسلامية، يقول: لو أعطوني مساجد الجمعة لجعلت الناس في حالٍ آخر، يدرك عظمة هذه الخطبة، أن الناس جميعاً مهما اختلفت مراتبهم الاجتماعية، وثقافاتهم، لابدّ من أن يجلسوا في مسجد ليستمعوا إلى كلمةٍ ، وهم منصتون.

جلوس المصلين بصمت على اختلاف ثقافاتهم وإمكاناتهم أثناء خطبة الجمعة:

و هناك حديث آخر و هو:

((إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت))

[متفقٌ عليه عن أبي هريرة]

والعجيب أي مدرس أكبر مشكلة يعاني منها ضبط الصوت، قبل أن يعلم، قبل أن يلقي العلم على الطلاب، قبل أن يشرع بالدرس، الطلاب لا ينضبطون، لكنك تجد من خلال حديث أو حديثين مساجد المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي يجلسون بصمت مذهل، ما هذا النظام ! فقد تكون الخطبة لا تُستمع، فيها أخطاء كثيرة، فيها ضعف، فيها عدم تماسك، فيها تشتت، ومع ذلك مجموع المصلين على اختلاف ثقافاتهم، وإمكاناتهم، يجلسون يصمتون، من هذا الحديث:

((إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت))

[متفقٌ عليه عن أبي هريرة]

لغا بمعنى شوش، طبعاً من لعب بالحصى فقد لغا ـ فقد كان المسجد أرضه من الحصى ـ يقابل الحصى مسبحة يلعب بها و لا يسبح بها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((من لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرا))

[أبو داود و ابن خزيمة عن ابن عمر]

ولم تكن له جمعة .

على الإنسان أن يجلس حيث انتهى به المجلس و ألا يتخطى رقاب الناس:

أهم شيء أن تجلس حيث ينتهي بك المسجد.

ثانياً: ألا تلغوا، لا كلمة و لا حركة، وألا تتخطى رقاب الناس.

" يروى أن أحد الخلفاء ـ كأنه هارون الرشيد ـ ذهب ليحج بيت الله الحرام، طلب أن يلتقي بعالم جليل من علماء مكة ، وكان وقتها فيما أذكر الإمام مالك، فذهبوا إليه ، وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فقال هذا الإمام ويعرف قيمة العلم والعلماء: قولوا له يا هارون إن العلم يؤتى ، ولا يأتي، فلما قالوا

مقالته للخليفة، قال: صدق، أنا آتيه، فلما أعلموه أنه سيأتيه، قال: قولوا له إذا جئت لا ينبغي لك أن تتخطى رقاب الناس، قال: صدق، سأجلس حيث ينتهي بي المجلس، فلما ذهب وجلس أعطوه كرسياً، فقال الإمام مالك: من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر وضعه، فقال: خذوا عني هذا الكرسي ، وجلس على الأرض ".

إذاً

((من لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرا))

[أبو داود و ابن خزيمة عن ابن عمر]

ولم تكن له جمعة .

وروى أبو الزاهرية فقال:

((كنت جالساً مع عبد الله بن بسر يوم الجمعة فما زال يحدثنا حتى خرج الإمام فجاء رجل يتخطى رقاب الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له: اجلس فقد آذيت وآنيت))

[أحمد عن أبي الزاهرية]

آنيت ؛ أي تأخرت فتخطيت رقاب المسلمين فآذيتهم ، فإن كنت حريصاً على مكان مريح فباكر إليه.

الترغيب في التبكير إلى الجمعة:

الآن الترغيب في التبكير إلى الجمعة، سمعت أن في بعض البلاد الإسلامية الذي يعتاده المسلمون أن يأتوا إلى المسجد قبل ساعة من أذان الظهر، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من اغْتَسَلَ يوم الجمعة غُسْلَ الجنابة، ثم راح فكأنَّما قرَّب بَدَنَة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنَّما قرَّبَ بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنَّما قرَّبَ كَبْشا أقرَنَ، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنَّما قرَّبَ دَجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنَّما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرتِ الملائكةُ يستمعون الذِّكر))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

المقصود بالساعة أي وجبة بعد وجبة، أناس بعد أناس، الذين يأتون أول الناس هم في الساعة الأولى ، في المرحلة الأولى، الذين جاؤوا بعدهم في المرحلة الثانية، وتبدأ من بدنة ، إلى بقرة ، إلى كبش أقرن، إلى دجاجة ، إلى بيضة، أما إذا صعد الخطيب المنبر جلست الملائكة يستمعون الذكر، أما هذا الذي يأتي بعد الخطبة، أو يأتي في الركعة الثانية ويتوهم أنه أدرك الجمعة هذا إنسان ما فقه هذا الحديث.

المسلم نظيف ظاهراً وباطناً:

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فاغتسلوا، ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه، وعليكم بالسواك))

[رواه ابن خزيمة عن ابن عباس].

أي تنظيف الأسنان ، والتطيب ، والاغتسال ، وطيب الرجال خيره كما قال النبي:

((طِيبُ الرِّجال ما ظهر ريحُهُ وخَفي لونه، وطيبُ النساء ما ظهر لونُه وخَفيَ ريحُهُ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

فطيب الرجال لا ينبغي أن يظهر لونه، بل ينبغي أن يظهر ريحه ظن و:

((غُسل الجمعة واجب على كل مُحْتَلِم، وسِوَاك، ويمَسُّ من الطِّيب ما قدَر عليه))

[رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري]

هناك حديث ثان:

((إن الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من أصول الشعر استلالا))

[أخرج بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة]

الحقيقة أن الإنسان قيمته الاجتماعية أحد أسبابها نظافته التامة، نظافته ظاهراً وباطناً ، وهناك بعض الناس في الحضارات الغربية نظافتهم الظاهرة واضحة، أما الباطنة غير واضحة، فالمسلم نظيف ظاهراً وباطناً

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٤٧-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في أداء الزكاة وتأكيد وجوبها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من أدى زكاة ماله أذهب عنه شره:

أيها الأخوة الكرام:

((قال رجل من القوم يا رسول الله أرأيت إن أدى الرجل زكاة ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره))

[الطبراني عن جابر].

والهاء تعود إلى المال، أي ذهب عنه شرّ المال ، شرّ المال السرقة ، شر المال أن تنفق في وجوهٍ لا ترضي ، شر المال أن يكون سبب قتل صاحبه، تصور أي شر يأتيك من المال، إن سُرق المال فهذا من شر المال، إن كان سبب قتل صاحبه فهذا من شر المال، إن أنفق المال على الأدوية والأطباء وما إلى ذلك هذا من شر المال.

((من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره))

أي كل الشرور التي تتأتى من طريق المال أنت تتجنبها حينما تؤدي زكاة مالك.

وفي رواية أخرى:

((إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره))

[أخرجه الحاكم عن جابر بن عبد الله].

كل شيء له شر وله خير، الولد أحياناً يكون سبب شرٍ كبير لوالديه، وأحياناً يكون سبب نفع كبير. فأنت فيما يتعلق بالمال حينما تؤدي زكاة مالك أذهبت عنك شر المال، حفظه الله لك، وبارك لك فيه، وأنفقته في وجوه الخير، وارتقيت به إلى أعلى عليين في الجنة، وكان المال خيراً كله.

الزكاة فرض والصدقة تطوع:

لذلك البركة كما فسرها العلماء: أن يأتيك شيءٌ قليل فتنتفع به النفع الكثير، وكم من مؤمن عنده مال قليل لكن الله سبحانه وتعالى بارك له فيه، فانتفع بماله، وأنفق من ماله، وتصدق من ماله، وارتقى بماله، وسعد بماله، ودخل جنة ربه بماله، إذا أديت زكاة مالك.

وفي رواية ثالثة:

((إذا أدية الزكاة فقد قضيت ما عليك))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

أي الزكاة فرض، والصدقة تطوع، قال تعالى:

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ)

(سورة البقرة الآية ١٧٧)

يتضح في هذه الآية أن إيتاء الزكاة شيء، وأن إيتاء المال على حب الله شيء آخر، إيتاء الزكاة فرض على كل مالك للنصاب، أما إيتاء المال على حب الله عز وجل هذا يسع المسلمين جميعاً.

الله تعالى لا يقبل إلا المال الحلال الذي جمعته من وجوه الخير:

لذالك قالوا: هناك زكاة وهناك صدقة، الصدقة لا قاعدة لها، هي أساساً تطوع أما الزكاة فرض، ولو قرب هذا إلى الأذهان:

عليك ضريبة تؤدي هذه الضريبة تنجو من المصادرة، من مضاعفة الضريبة، من بيع أملاكك، أما حينما تودي هدية للمجتمع، تقدم مستوصفاً، تقدم مدرسة، تقدم مستشفى، هذه تشكر عليها، هذه فوق الضريبة، الضريبة شيء، وأن تقدم لبلدك مستشفى شيء آخر.

أي هناك شيء إن لو تفعله هلكت، أما الشيء الثاني إن فعلته ارتقيت، فأنت ترقى بالصدقة، أما الزكاة حق الفقير.

(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)

(سورة الذاريات)

وقد قالوا: الحجر المغصوبة في دار رهن خرابها، أي إن وجد في المال مال هو من حق الفقير، لم تؤده، هذا المال الذي هو حق الفقير إن لم يؤدَ لعله سبب هلاك المال كله، لذلك:

((إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك ومن جمع مالاً حراماً ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان أجره عليه))

[أخرجه الترمذي وابن خزيمة عن أبي هريرة]

أي إن الله طيبٌ ولا يقبل إلا طيباً، لا يقبل الله إلا المال الحلال الذي جمعته من وجوه الخير.

من الدين أن تتصدق بما أنعم الله به عليك:

كما قال عليه الصلاة والسلام:

((حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع))

[أبو داود عن الحسن]

هذا توجيه النبي:

((حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة))

قال لي إنسان من يومين: نصحني أحدهم أن أكتب آية الكرسي على ورقة وأنقعها بالماء وأشرب هذا الماء، قلت له: هذا الحبر من صناعة اليابان، أنت ماذا فعلت ؟ قال: شربت منقوع الحبر، أما النبي قال لك:

((وداووا مرضاكم بالصدقة))

هذا التوجيه النبوي لا أن تكتب شيئاً على ورق، وأن تنقع هذا الورق في الماء، وأن تشربه، هذا ليس من الدين، أما من الدين أن تتصدق، فلعل الله سبحانه وتعالى يلهم الطبيب صحة التشخيص، ويسمح للدواء أن يفعل فعله فيكون الشفاء ، والذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام:

((لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله))

[أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله]

وهذا الحديث يلقي في قلب المريض تفاؤلاً كبيراً

((لكل داء دواء))

فإذا وفق الطبيب إلى معرفة الداء، ثم وفق إلى وصف الدواء، بقي مشكلة، أن يسمح الله للدواء أن يفعل فعله، قال

((برئ بإذن الله))

((حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع))

[أبو داود عن الحسن]

تعامل الله عز وجل مع عباده وفق عدة مراحل:

قلت البارحة: هناك دعوة بيانية، وهناك تأديب تربوي، وهناك استدراج، وهناك إكرامٌ استدراجي، ثم هناك قصم.

فالإنسان أرقى شيء وأنت في طور الدعوة البيانية أن تستجيب لله عز وجل و أنت صحيح، معافى، في حالة جيدة، صحتك سليمة، أعضاؤك جيدة، أهلك بخير، أولادك بخير، تسكن في بيت، عندك قوت يومك، أنت الآن في غنى، أي في كفاية، فإذا استجبت لله عز وجل فعلت أكمل شيء، إن لم تستجب يسوق الله لك بعض المشكلات، هذا أسمه تأديب تربوي، فإن لم تستجب أكرمك الله إكراماً إستدراجياً، فإن لم تفعل هذا ولا ذاك كان القصم هذه المرحلة الثانية:

((واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع))

البلاء لا يأتي إلا ليعيد الناس إلى الله عز وجل، البلاء لا يأتي إلا ليسوق الناس بالسلاسل إلى أبواب الله عز وجل، فمن انقاد إلى الله طواعية، وفر على نفسه أمواج البلاء، فإن لم تستجب فأمواج البلاء آتية، إذاً:

((واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع))

والدعاء سلاح المؤمن، والدعاء شيء خطير جداً، أنت بالدعاء أقوى إنسان، أنت بالدعاء تنتصر على خصمك، لأن الله معك، ومن كان الله معه فقد كفاه.

من لم يؤدِ زكاة ماله فله عند الله حساب كبير :

آخر حديث:

((مَا مِنْ أَحَدٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ حَتَّى يُطَوِّقَ عُنُقَهُ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ))

((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ابن ماجه عن ابن مسعود]

طبعاً هناك حديث أخر

((من ترك بعده كنزاً مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يتبعه فيقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك))

[أخرجه الطبراني عن ثوبان]

أخواننا الكرام: هذا الشجاع الأقرع ذكر الحية، ذكر الحية المعمر، الحية سميت حية لأن حياتها طويلة جداً، قد تعمر مئات السنين، فيبدو أنه بعد أن تبلغ المئة ينبت لها شعر، وبعد المئة الثانية يسقط شعرها، وله زبيبتان، هذا الحنش الأقرع يأتي إلى قبر الغني، ويتمثل له.

((فيقول أنا كنزك الذي تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقصقصها ثم يتبعه سائر جسده))

[أخرجه الطبراني عن ثوبان]

أيها الأخوة الكرام، هذا القبر شيء مخيف، فالإنسان إذا كان عليه حقوق، أو عليه تقصيرات، أو عليه مخالفات، أو تجاوزات، أو عدوان، الموت حق، والموت مصير كل حي، وهذا مصير كل إنسان، أما القبر صندوق العمل، نحن الآن في بحبوحة، نحن الآن في بحبوحة الحياة.

(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)

(سورة فصلت الآية: ٤٠)

الله عز وجل قال، لكن كل عمل له حساب، وعذاب القبر حق وثابت في النفوس، وعذاب البرزخ قبل أن يأتي يوم القيامة:

(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً)

(سورة غافر الآية: ٤٦)

فالإنسان إذا لم يؤدِ زكاة ماله فله عند الله حساب كبير.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٤٨- ١١٦) : كتاب الصدقات : الترغيب في العمل على الصدقة بالتقوى والترهيب من التعدي فيها والخيانة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الغلول و تعريفه:

عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((مَن استعملناه على عمل، فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غُلول))

[رواه أبو داود عن عبد الله بن بريدة]

محل تجاري ، فيه موظف، هذا الموظف كلفته أن يشتري حاجة ، فاستطاع أن يأخذ حسماً خاصاً له، هذا الحسم وضعه في جيبه، أخذه فوق راتبه من هذا التاجر.

((مَن استعملناه على عمل))

أي وظفناه عندنا، أعطيناه، كلفناه بعمل ، ورتبنا له مرتباً، فكلفناه بشراء، أو ببيع ، أو بحاجة ، فأخذ مالاً زيادةً على راتبه الذي أعطاه إياه ذلك التاجر ، فقد أكل مالاً حراماً، سماه النبي عليه الصلاة والسلام غلولاً.

الغلول بتعريف الفقهاء هو: الخيانة في المغنم ، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، أصل الغلول المحاربون حينما يكتسبون الغنائم هذه لمجموع المسلمين توزع وفق تعليمات الشرع ، فإذا أخذ أحد المقاتلين درعاً لنفسه ، ولم يدخلها في مجموع الغنائم ، ولم يعلن عنها ، فهذا الذي يأخذه سمي غلولاً ، و معنى غلول أن الأيدي فيها مغلولة، أي مجعول فيها الغل ، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، الأسير أحياناً توضع في يده قيود تربطها بعنقه.

فكل إنسان أخذ مبلغاً من المال فوق الذي رصد له من قبل سيده، هذا الذي يأخذه غلولاً، لأن يده على مال سيده يد الأمانة، أما إذا كان هذا التاجر أعطى الموظف راتباً قليلاً فله أن يفاوضه، له أن يرفضه، له أن يطالبه بزيادة، أما أن يأخذ له دخلاً آخر من وراء ظهره فهذا من الكبائر، سماه القرآن الكريم وسماه النبي عليه الصلاة والسلام غلولاً.

على الإنسان أن يأخذ ما له و يترك ما ليس له:

و عن ابن الساعدي قال:

((اسْتَعْمَلَنِى عُمَرُ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا فَرَغْتُ أَمَرَ لِى بِعُمَالَةٍ فَقُلْتُ إِنَّمَا عَمِلْتُ لِلَّهِ. قَالَ: خُذْ مَا أُعْطِيتَ فَإِنِّى قَدْ عَمِلْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَعَمَّلَنِى - أي أعطاني عمولة أي أجراً -))

[أبو داود عن ابن الساعدي]

هذا الحديث مقابل ذاك الحديث، حتى إذا عملت عملاً إلى الله أُعطيت عليه أجراً لك أن تأخذ هذا الأجر.

لذلك العاملون على الزكاة ولو كانوا أغنياء يستحقون أجراً على جهدهم، أي الإسلام وسطي، لم يسمح لك أن تأخذ ما ليس لك، كما أنه سمح لك أن تأخذ ما هو لك، فهذا الرجل الصحابي استعمله عمر على الصدقة.

فلما فرغت أمر لي بعمالتي، فقلت: إنما عملت الله، قال: خذ ما أُعطيت فإني قد عملت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملني، أي أعطاني عمولة، أي أجراً.

فلك أن تأخذ ما هو لك، وينبغي أن لا تأخذ ما ليس لك.

على الإنسان أن ينتبه لئلا يعين الآخرين على الخيانة:

بالمناسبة أنت تبيع حاجات جاءك موظف من عند تاجر، طلب منك حاجات إن أعطيته مبلغاً خاصاً على أنه اشترى من عندك هذه الحاجات هذا لا يجوز، لأنه أنت أعنته على ذلك، يقول لك: أريد فاتورة بأعلى، هو يخون سيده، وأنت أعنته على هذه الخيانة بإصدار فاتورة بمبلغ أعلى مما ينبغي، لكن حتى أكون دقيق الحكم لو أن هذا الذي جاءك ليس موظفاً عند هذا الإنسان، أراد أن يأتي بشخص ليس موظفاً عنده، وأنت أعطيته من ربحك لا مانع، أما إذا كان موظفاً عند إنسان وله مرتب فهذه خيانة، أنت أعنته على هذه الخيانة، أما حينما تعطي إنساناً من ربحك من أجل أن يكون عندك دائماً والسعر هو هو لا شيء عليك.

مثلاً شخص يصلح مركبة عند إنسان، احتاج المصلح إلى قطعة ما فأرسل صانعاً صغيراً لبائع القطع ليشتري القطعة، القطعة سعرها مئة ليرة في السوق كله، فصاحب المحل أعطى هذا الأجير خمس ليرات من ربحه، الأجير هذا وصاحب محل التصليح ليسا موظفين عند صاحب السيارة و هذه حالة خاصة، هذه تجوز، أي إذا تنازلت عن بعض ربحك لإنسان ليس موظفاً عند إنسان هذه نوع من التخفيض، أو نوع من الدعاية، أو نوع من تقليل الربح، من أجل جمع أكبر عدد من الزبائن، هذه فيها فتوى، أما إذا كان موظفاً عنده لا يوجد فيها فتوى، لأنه مؤتمن، فلو أمنت له الحسم فالحسم لمعلمه، وليس له، و إذا كان الوسيط ليس موظفاً عند الطرف الآخر لك أن تعطيه من ربحك شيئاً، نسميها العمولة، لا يوجد أي مانع، لكن صاحب الحاجة لم يدفع فوق سعر الحاجة، لو

ذهب إلى أي مكان أخر يأخذ بمئة ليرة، أنت أعطيت هذا الصغير خمس ليرات حتى إذا أرسله معلمه مرة أخرى يأتي إلى عندك، هذه مسموح بها بالشرع، أما الأولى إذا الشخص الذي أخذ المبلغ ـ الحسم ـ موظف عند الطرف الأول لا يجوز.

((مَن استعملناه على عمل، فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غُلول))

[رواه أبو داود عن عبد الله بن بريدة]

مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ:

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((لا يدخل الجنة صاحبُ مكس يَعْنِي الْعَشَّار))

[رواه أبو داود، وصححه ابن خزيمة والحاكم، وقال على شرط مسلم عن عقبة بن عامر]

تعريف المكس ؛ الضريبة التي يأخذها الماكس ظلماً وعدواناً، أحياناً إنسان يعمل في وظيفة، يفرض شيئاً على الناس فوق طاقتهم، هو لا يبالي، لا يظن أن هناك حساباً دقيقاً، فأحياناً الضريبية تزيد عن الربح كله، فالذي يعمل في حقل الضرائب له عند الله حساب خاص، أحياناً تدمر أسرة. أنا أعرف رجلاً توفي بمرض عضال، خلّف محلاً صغيراً، ومركبة حالتها سيئة جداً، قُدّر المحل مع المركبة بمليون ومئتي ليرة، والضريبة بستمئة وخمسين ألفاً ! ضريبة تركات، فهذا الذي يفرض هذه الضرائب، هكذا من دون قيود، هذا له حساب خاص عند الله، هذا إنسان ترك خمسة أيتام، ثلثا دخله، ثلثا التركة فرضها هذا الموظف.

فلا تظن إن كنت موظفاً أنك غير محاسب، الله يحاسب الكل، هذا الذي أمامك إنسان، عبد من عبيد الله عز وجل، فأنت تستطيع أن تضع عليه ثمانمئة آلاف، وتستطيع من الشريحة الدنيا أن تضع عليه مئتي ألف، بثمانمئة دمرته وبالمئتين خففت عنه.

إذاً:

((مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

فالإنسان يجب أن يهيئ لله جواباً عن كل قرار اتخذه، و إلا الله عز وجل

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

(سورة البروج)

العاقل من هيأ لله جواباً عن كل سؤال قبل أن يلقاه:

أنا كلمتي دائماً مع أخواننا الذين يعملون في الحقل العام: هيئ لله جواباً، لا تفكر في عبد لله، هيئ لربك جواباً، هؤلاء الذين أمامك، أحياناً أشعر أن هؤلاء الموظفين يغيب عنهم أن الله سيحاسبهم حساباً عسيراً، أنت لم تفعل شيئاً إلا أن حملت الإنسان فوق ما يطيق، وفي حالات كثيرة جداً هو يظن أنه حقق أو عمِل عمَلاً كبيراً، أنت قوى، والطرف الثاني ضعيف، فأنت يجب أن تخشى الله عز وجل، وكل إنسان إذا كان عمله يقوم على إيقاع الأذى بالناس، هذا العمل ليس مشكوراً فليعمل عملاً آخر.

((لا يدخل الجنة صاحبُ مكس يَعْنِي الْعَشَّار))

[أخرجه أبو داود عن عقبة بن عامر]

قال: الذي يأخذ المال ظلماً، وعدواناً، والعشار أيضاً يأخذ العشر من دون حق، لا يدخل الجنة. أحياناً أنت تستطيع أن تؤذي إنسان، بأن تفرض عليه مبلغاً من المال، هذا المال أخذته بغير حق، و:

((أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ على مَنْكِبَيْهِ، ثم قال له: أَفْلَحْتَ يَا قُدَيْمُ إِنْ مُتَّ، ولم تكن أميرا، ولا كاتبا، ولا عَرِيفا))

[رواه أبو داود عن المقدام بن معد يكرب]

يعني أنت إذا لك عمل ما له متعلق بحقوق الناس هذه نعمة كبرى، يكون لك عمل لا علاقة له بحقوق الناس.

المال قوام الحياة و الذي يعقد الأمور على الناس هذا له عند الله حساب كبير:

المال أيها الأخوة قوام الحياة، أحياناً إنسان يموت، ويترك لورثته بيتاً، أو يترك محلاً تجارياً، أو يترك لهم حاجة، أو أرضاً، فلو أننا استطعنا أن نأخذ ثلثا الأرض كضريبة، أو ثلثي البيت دمرناهم، هؤلاء ورثة، هذا المال قوام حياتهم، فهذا الذي يفرض ينبغي أن يتقي الله، ولا يحتج أن هذا ليس بيدي، لا، هناك شرائح وهناك مستويات، وأنت اعمل لله، ومعك حجة قوية، والله عز وجل يزيدك قوة إلى قوته.

أنا أعرف أناساً كثيرين يخشون الله، لا يفرضون إلا ما هو معقول، لا يفرضون إلا بالحد الأدنى، هؤلاء لهم عند الله مكانة كبيرة، والله عز وجل يُمكن لهم مركزهم، مركزه قوي لأنه يعمل لله.

أروع إنسان أكبره من يعمل في حقل عام و يرحم الناس، سأل أحدهم إنساناً يعمل في الضرائب عن ضريبة محل يريد أن يشتريه فقال له: انظر هذا المحل، كم أدفع ضريبة عليه ؟ قال له: خمسمئة ألف، قال له: هكذا تقول ؟ اشتراه، و بعد أن اشترى قال له: ستدفع مليونين وخمسمئة ألف، وضع عليه ضريبة، قال له: ألم تقل لي خمسمئة ألف ؟ قال له: هذا الحاضر ، هذا الشيء لا يجوز.

أنا أتوجه بهذا الكلام لكل إنسان يستطيع أن يفرض على الناس فوق طاقتهم، سوف يحاسب، هذا المال قوام الحياة، هذا المال يعيش أسراً، يفتح بيوتاً، يزوج شباباً، فإذا أنت أخذته ظلماً وعدواناً وقفت الزواج، ماذا حلّ محل الزواج ؟ الزنا، افرض أن الناس ليس فيهم دين، أو افرض أن دينهم وسط، أو أن إيمانهم ضعيف، فعندما منعت الزواج حلّ الزنا محل الزواج، و البنت عندما لا تخطب تتعقد و تصاب بالمرض.

والله قال لي أب عن ابنته أنها تخرج بمنتصف الليل بقميص النوم، وتمشي في الطريق، أول خاطب، ثاني خاطب، ثالث خاطب، الأمور معقدة، الأمور صعبة جداً لا يوجد بيوت.

الذي يعقد الأمور على الناس هذا له عند الله حساب كبير.

مرة ثانية: المال قوام الحياة، تريد أن تزوج أولادك، تريد أن تسكنهم ببيوت، تريد أن تعمل لهم غرف نوم، تريد أن تؤمن حاجاتهم، تؤمن أعمالهم، فالإنسان متى يحبه الله ؟ إذا خدم الناس، إذا رحم الناس، والحديث دقيق:

((إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي))

[الديلمي عن أبي بكر]

من أكرم الناس أكرمه الله و أعطاه و رفع شأنه:

فأنت أمامك إنسان هذا عبد لله، لا تقل له من أين أنت ؟ هذا إنسان إذا أكرمته يحبك الله، فإذا استطاع إنسان بمكان ما أن ينفع الناس فلينفعهم، والله عز وجل يكرمه، ويعطيه، ويرفع شأنه، ولا تطلب رضا من هو فوقك، اطلب رضا من هو فوق الجميع، ودائماً ضع أمامك أن هذا الإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله.

الآن هناك أمراض نفسية من أين تأتي ؟ من خبر لا يحتمل، هناك أزمات قلبية تأتي فوراً من رقم لم يتحمله، الرقم فوق طاقته، قبل أن تفرض، قبل أن تقول له هذه مصادرة، وهذه عليها ثمانية أمثال، قبل أن تقول هذه الكلمة تصور أنك مكانه، ما الذي يحدث ؟ وهناك أشياء الإنسان لم يرتكب أي خطأ إلا أنه وقع دون قصد في هذا الخطأ، مثلاً تسعيرة وقعت فيجب أن يجلس شهرين في السجن و حريته محجوزة، أنت معك أن تعمل ذلك.

مرة سألني موظف في التموين ماذا أفعل ؟ أنا أردت أن أعمل له نصيحة فيها صدمة قلت له: افعل ما تشاء، ضع الناس في السجن كما يحلو لك، اكتب ضبوطاً، قال لي: ما هذا الكلام ؟ قلت له: أما إذا كنت بطلاً يجب أن تهيئ لله جواباً عن كل ضبط، لماذا فعلت هذا ؟ يمكن أن تدمر أسرة، يمكن إنسان محترم جداً يدخل ويقعد مع مجرمين، يقعد مع قتلة، هذا الشيء غير صحيح، لست مقتنعاً به.

الإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله:

لذلك الدرس هذا متعلق بكل إنسان يعمل بعمل يستطيع أن يوقع الأذى بالناس، أو يكلفهم ما لا يطيقون، يجب أن يتقي الله، الإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله، و لا تقول: أنا مضطر، لا، القانون مرن، وفيه شرائح، ومعك حجج، ودائماً الإنسان يرحم الناس، يضع الحد الأدنى.

والله أنا من يومين أو ثلاثة سمعت عن إنسان لا يملك والله ثمن طعامه، فرض عليه ثمانية ألف فجأةً، من أن يأتي بهم ؟ أي سيختل نظام الأسرة، تحتاج رحمة.

مرة أخرى:

((إن كنتم تحبون رحمتي فارحموا خلقي))

[الديلمي عن أبي بكر]

هذا الذي أمامك إنسان، مرة أخرى لا تقل له من أين أنت ؟ اخدم هذا الإنسان كائناً من كان، والله يراك، وسوف يحفظك، ويحفظ لك صحتك، ويحفظ لك أهلك، وأولادك، ويرفع شأنك، ويقوي مكانتك بخدمة خلقه، فالحديث:

((أَفْلَحْتَ يَا قُدَيْمُ إِنْ مُتَّ، ولم تكن أميرا، ولا كاتبا، ولا عَرِيفا))

[رواه أبو داود عن المقدام بن معد يكرب]

هناك وظائف الإنسان إن لم يتق الله فيها مشكلة كبيرة، لا تقل أنا لست مسؤولاً، أنت المسؤول أبداً.

((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

إياك أن تقل لست مسؤولاً، لا أنت تقدر، تقدر أن تدفع وتطلب من الله المعونة، ومن هم أعلى منك يقرونك أكثر، يقدرونك، ويحترمونك، ويعطونك حاجتك، إذا أنت رحمت الناس، والذي أعلى منك ليس منتبهاً، أنت على مساس مباشر مع هذا الإنسان.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٤٩-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في أداء الزكاة وتأكيد وجوبها والترهيب من منع الزكاة وما جاء في زكاة الحلي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء:

أيها الأخوة الكرام:

((إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يضيع أغنياؤهم ـوفي رواية ما يضيّع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً))

[رواه الطبراني عن علي]

هذا الحديث أيها الأخوة، فيه معنى عميق جداً:

لو أننا سلمنا مركبة إلى سائق، ومشى في طريق عريض جداً، يقدر عرضه بستين متراً، كل أخطاء هذا السائق لا تبدو، لأن الطريق عريض، حتى لو أنه غفل عن قيادة المركبة يبقى في الطريق وأخطاؤه لا تظهر.

وما دمنا في دار ابتلاء فلابدّ من أن تظهر الأخطاء، لو سار هذا السائق في طريق ضيق، وعن يمينه منخفض، وعن يساره منخفض، فلو غفل ثانية لخرج عن الطريق، ولظهرت غفلته واضحة.

الأصل أننا في دار ابتلاء لا دار استواء، فلابدّ من أن تظهر الأخطاء كي نعالجها، لابدّ من أن تظهر الأخطاء كي نُطهر منها، هذا الموضوع مثل قيادة السيارة في طريق عريض، أو طريق ضيق.

مثل آخر: لو أن أباً جاء لأولاده بكم كبير من البرتقال، عنده خمسة أولاد، الأول أكل، الثاني لم يأكل، العدد كبير، لا تبدو فضائل الأولاد بهذا الكم الكبير، أما لو أتى بعشر برتقالات، وأولاده خمسة، فلو أن أحد أولاده أكل ثلاث برتقالات لحرم أحد أخوته برتقالة، لو أكل أربعة حرم أحد أخوته كلياً، لو أكل ثمانية حرم اثنين كلياً، فأي تصرف مع هذا العدد المدروس يظهر الخطأ.

الله عز وجل عنده خزائن كل شيء:

مرة ثانية: نحن في دار ابتلاء، فربنا عز وجل عنده خزائن كل شيء، كان من الممكن أن يكون الكم في الأرض بغير حساب، عندئذٍ لا تبدو الفضائل ولا الرذائل إطلاقاً، أما الكم الذي في الأرض من كل شيء بعدد حكيم جداً، بحيث لو أن الغني أترف جاع الفقير، الغني بذخ شقي الفقير، الكم مدروس.

فالغني حينما ينحرف يبدو انحرافه في طرف آخر، لأن الله سبحانه وتعالى سيريه عمله، إلا أن الحقيقة أن الله لن يفعل شيئاً حكيماً على حساب أحد، فحتى الغني حينما يترف، وحينما ينفق أمواله جزافاً، يكون الفقير قد أدبه الله، وجعل من فقره وسيلة إلى معرفته.

(وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً)

(سورة الأنعام الآية ١٢٩)

هذا الحديث يُطبق على أفراد الناس، وعلى الأمم، وعلى الشعوب، فالشعوب الغنية جداً التي تنفق أموالها إنفاقاً فيه إسراف، يظهر هذا في الشعوب الفقيرة.

قرأت مرة كلمة: أن ما يأكله شعب من بلاد الغرب من اللحوم، أو أن ما تأكله كلاب شعب من اللحوم يفوق ما يأكله الشعب الهندي بأكمله من اللحوم، هناك ترف ويقابل الترف شعوب جائعة، هناك أغنياء يعقدون عقد قران بستين مليون في فندق، وهناك ستمئة ألف شاب لا يجدون غرفة يسكنون فيها، هناك إنسان ينفق على وجبة طعام عدة آلاف، وعدة آلاف لا يجدون ما يأكلون.

الزكاة هي الحجر الأساس في الاقتصاد الإسلامي:

النقطة الدقيقة أنه:

((إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ))

[رواه الطبراني عن علي]

فأي دولة، أو أي أمة احسب فيها الدخل العام، واحسب زكاة هذا الدخل، لو أخذت زكاة هذا الدخل، هذه تكفي كل فقراء هذه الأمة.

أنا حدثني أخ مطلع قال لي: أغنياء البلد خمسة بالمئة منهم يدفعون زكاة أموالهم، أنت تعيش بمسجد، حولك أخوان كرام كلهم يطيعون الله عز وجل، لكن حتى رواد المساجد لا يزيدون عن العشر، الشام فيها خمسة ونصف مليون، رواد المساجد في وقت الذروة في يوم الجمعة لا يزيدون عن خمسمئة ألف، وتأكد أن تسعة أعشار هؤلاء ليسوا ملتزمين، وأن عشر هذا العدد يمكن أن يكون

ملتزماً، وأن الأغنياء من هذا العشر لا يزيدون عن العشر، أما لو أن كل غني دفع زكاة ماله لن تجد فقيراً واحداً.

مرة أجريت حساباً بسيطاً، دخل الأمة في عام ثمانية و أربعين ـ معي إحصاء قديم ـ زكاة المال وقتها كان أربعمئة و ثمانين مليوناً، كان البيت ثمنه خمسة آلاف ليرة، أو أقل، أو ثلاثة آلاف ليرة، كان حجم الزكاة بالنسبة إلى الدخل العام يقدر بأربعمئة و ثمانين مليوناً، هذا الرقم الكبير تنشأ به معامل، تنشأ به مشاريع، تستوعب كل العاطلين، وكل الفقراء.

فنظام الزكاة يعد حجر الأساس في النظام الاقتصادي في الإسلام، ولو أن كل غني أدى زكاة ماله لما جاع فقير، أما حينما يجهل الفقراء يكون هذا بترف الأغنياء، ومنع الزكاة.

هذا الحديث قضية أن الخطأ يظهر، كان من الممكن ألا يظهر الخطأ، لكن الكم مدروس على مستوى أفراد، وعلى مستوى شعوب، الآن في بلد واحد، إذا وجد ترف كبير عند الأغنياء تجد أحياء فقيرةً جداً، الآن في الدول الغنية تجد أحياناً ترفاً غير معقول بالمقابل أحياء في أطراف المدينة يموت الناس فيها من الجوع، هذه تقابل هذه.

المال قوام الحياة وحينما يغفل الأغنياء عن واجباتهم في أداء الزكاة تنشأ مشكلات عدة:

لذلك الإنسان حينما يمنع زكاة ماله، أو حينما يسرف في إنفاقه، سوف يجد خطأه مجسداً في جهة أخرى تعاني من آلام الجوع، ما أتخم غني إلا بجوع فقير، هذا المعنى تؤكده الآية الكريمة:

(كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ)

(سورة الحشر الآية ٧)

هذا المال قوام الحياة، الإنسان بالمال يشتري بيتاً، يتزوج، ينجب أولاداً، يربي الأولاد، يطعم الأولاد، يلبس الأولاد، يؤمن لهم حاجاتهم، المال قوام الحياة، وإذا صحّ أن نقول هناك كتلة نقدية هذه ينبغي أن تكون متداولة بين أيدي الناس جميعاً، أما إذا اجتمعت هذه الكتلة في أيدٍ قليلة، وحرمت منها الكثرة الكثيرة، كان الفساد العريض في المجتمع، وإذا أردت أن تبحث في أسباب الاضطرابات في العالم عبر العصور والدهور لا تجد إلا الفقر وراء كل اضطراب في العالم، حينما يختل توزيع الثروة في العالم، تنشأ الاضطرابات، واسأل من يعمل في ضبط الأمور مع غلاء الأسعار، ومع ضعف الدخول تكثر الجرائم، والسرقات، وتنتشر دور الدعارة، هذه حقيقة ثابتة، هناك عدد كبير من النساء اللواتي يمتهن الدعارة، عدد كبيرة لا أقول الجميع، فحينما يغفل الأغنياء عن واجباتهم في أداء الزكاة تنشأ مشكلات في المجتمع كبيرة جداً.

الآن أخطر شيء أن الشاب لا يجد أمامه شيئاً يتعلق به، لا يوجد أمل في أن يشتري بيتاً، لا أمل له بالزواج، لا أمل له في أن يجد عملاً، طبعاً هذه الطرق المسدودة أحياناً تسبب انحراف الشباب.

فهذا الحديث عن سيدنا علي من أدق الأحاديث المتعلقة بالتوازن الاقتصادي بين الأفراد.

مانع الزكاة يوم القيامة في النار:

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مانع الزكاة يوم القيامة في النار))

[أخرجه الطبراني عن أنس]

وكلكم يعلم أن سيدنا الصديق حارب مانعي الزكاة، قال: " والله لو منعوني عقالاً يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليها "، لأن نظام الإسلام لا يتجزأ، كلٌّ لا يتجزأ، نظام متكامل، فالذي يصلي ولا يزكي، طبعاً الذي يرفض فرضية الزكاة كافر، والذي لا يؤديها عاص، أما الذي يمنعها يقول عنه النبي الكريم:

((مانع الزكاة يوم القيامة في النار))

[أخرجه الطبراني عن أنس]

زكاة الحلي:

ورسول الله صلى الله عليه وسلم:

((كان يَمْنَعُ أهله الحِلْية والحرير ويقول إن كنتم تُحِبُّونَ حِلْية الجنة وحريرَها فلا تَلْبَسوها في الدنيا))

[رواه النسائي، وصححه الحاكم عن عقبة بن عامر]

هذا الحديث يحتاج إلى شرح وإلى تعليق.

قال المصنف: الأحاديث التي ورد فيها الوعيد على تحلي النساء في الذهب تحتمل وجوهاً من التأويل، أحدها النسخ، لثبوت إباحة تحلي النساء بالذهب.

(وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)

(سورة النحل الآية: ١٤)

إذاً مباح للمرأة أن تتحلى بالذهب.

إذاً هذا الحديث منسوخ حكمه، هذا معنى.

المعنى الثاني: هذه المرأة التي تلبس الحلي، ولا تؤدي زكاة مالها، هي المعنية بهذا الحديث، تلبس الحلي، ومعها سيولة نقدية، ولا تؤدي زكاة هذا الحلي.

المعنى الثالث في حق من أظهرت الزينة له، أي تشتري الذهب والفضة تتزين بهما، وتظهر غناها أمام أخواتها، وتفسد في الأرض.

والمعنى الرابع: الحديث يشمل اللواتي يبالغن في شراء الحلي، أي المرأة أحياناً تضع في معصمها سواراً، وعلى أذنيها قرطاً، وفي صدرها حلية، أما أن تبالغ في التزين، التي تبالغ، وتسرف، وتزهو، وتتباهى، ولا تؤدي زكاة مالها هي المعنية في هذا الحديث.

جني الزكاة وتوزيعها يحتاج إلى جهد كبير:

و رافع بن خديج رضي الله عنه قال:

((سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول العامِلُ على الصدقة بالحق لوجه الله تعالى كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته))

[أبو داود عن رافع بن خديج]

أي جني الزكاة، وتوزيع الزكاة يحتاج إلى جهد، هؤلاء الذين يعملون في جني الزكاة، وتوزيعها على الفقراء والمساكين، هذا جهدهم سماه النبي كالغازي في سبيل الله لأن الحياة متكاملة، إنسان يغزو، إنسان يؤمن حاجات الناس، إنسان يعين على إنشاء المساجد، إنسان يؤسس هذه المساجد، فكل إنسان له نشاط معين، هذا النشاط يعد أساساً في بناء المجتمع.

فالنبي عليه الصلاة والسلام لم ينسَ هؤلاء الموظفين الذين يجمعون التبرعات، يجمعون الزكاة، ثم يوزعونها توزيعاً يحتاج إلى جهد واهتمام، هؤلاء أيضاً خصّهم النبي عليه الصلاة والسلام بالأفضلية.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٠-١١٦) : كتاب الصدقات - الترهيب من المسألة وتحريمها مع الغنى وما جاء في ذم الطمع والترغيب في التعفف والقناعة والأكل من كسب يده -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من أخذ شيئاً من دون حاجة وقع في إثم كبير :

عن أبي بشر قبيصة بن مخارق، قال :

((تحمَّلت حَمَالة فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال عليه الصلاة والسلام أقِمْ حتى تأتيَنا الصدقةُ فنأمُرَ لك بها ثم قال يا قبيصة إنَّ المسألة لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمال فحلَّتْ له المسألة حتى يُصيبَها ثم يُمْسِكُ ورجُل أصابتهُ جائحة اجتاحت ماله فحلّتْ له المسألة حتى يُصيب قوَاما مِنْ عَيْش أو قال سِدادا مِنْ عَيْش ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه : لقد أصابت فلاناً فاقة، فحلّت له المسألة، حتى يصيبَ قوَاما من عَيْش أو قال سِدَادا من عيش فما سِوَاهنَّ من المسألة يا قبيصة سُحْت يأكلها صاحبها سُحْتا))

[رواه مسلم عن أبي بشر قبيصة بن مخارق]

يبدو من خلال هذا الحديث أن الإنسان يقع في إثم من أشد أنواع الآثام حينما يأخذ من دون حاجة، فمن هم هؤلاء الثلاثة الذين سمح الله لهم أن يسألوا الناس ؟ أو أن يمدوا يدهم إلى السؤال ؟ الأول هو الذي تحمّل حمالة، أي تحمل ديناً ليحل مشكلة بين فريقين، ليحقن الدماء بين متقاتلين، ليدفع ثمن دية لأحد الفريقين، استدان ليحل مشكلة في المجتمع، هذا الإنسان تحمّل حمالة، أي تحمل ديناً لا لحاجاته الشخصية، لكن لإصلاح ذات البين، لا لحاجاته الشخصية، ولكن لحقن الدماء.

الثلاثة الذين سمح الله لهم أن يسألوا الناس :

١ - رجل تحمل حمالة :

عن أبي بشر قبيصة ابن المخارق، قال :

((تحمَّلت حَمَالة فأتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقِمْ حتى تأتيَنا الصدقةُ فنأمُرَ لك بها))

أي كما قال عليه الصلاة والسلام :

((الدَّال على الخير كفاعله))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

أحياناً الإنسان يدفع من ماله، وأحياناً يكون وسيطاً بينه وبين المحتاج، هناك غني يريد أن يدفع، وهناك فقير يريد أن يأخذ، فالذي يقف بينهما وسيطاً له أجر كأجر فاعل الخير.

((أقِمْ حتى تأتيَنا الصدقةُ فنأمُرَ لك بها ثم قال يا قبيصة الآن الحكم الشرعي إنَّ المسألة لا تحلّ إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة، فحلَّتْ له المسألة حتى يُصيبَها ثم يُمْسِكُ))

أي يسأل ليأخذ هذا المبلغ الذي دفعه ليحقن دماء المسلمين، أو ليؤدي الدية عن بعضهم، أو ليكون وسيطاً بين متنازعين، فإذا أصاب هذا المبلغ يكف عن هذا السؤال وانتهى الأمر.

٢ ـ رجُل أصابتهُ جائحة :

((ورجُل أصابتهُ جائحة اجتاحت))

أحياناً مزارع تأتيه آفة سماوية فتحرق له حرثه ونسله، تاجر يحترق مستودعه، يفقد رأسماله كله.

((ورجُل أصابتهُ جائحة اجتاحت ماله فحلَّتْ له المسألة حتى يُصيبَ قواماً من عيش))

يسأل ليسترد هذا المال الذي تلف، ويعود إلى ما كان عليه، أو سداداً من عيش.

أما الثالث :

((ورجُل أصابتهُ فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه تحقيق حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه))

أي إنسان ادعى أنه فقير، إنسان سأل، إنسان طلب، إنسان عرض المساعدة، فليس من الحكمة أن يعطى هذه المساعدة فوراً من دون تحقيق، معنى ذلك أنه يأتي الكاذبون، يأتي المنافقون، ويأخذون ما يحتاجون، فلابد من التحقيق.

((حتى يقول هو أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فحلّت له المسألة حتى يصيبَ قِوَاما من عَيْش أو قال سِدَادا من عيش فما سِوَاُهنَّ من المسألة حرام يا قبيصة سُحْت يأكلها صاحبها سُحْتا))

عدم الحياء و الإلحاح وبذل ماء الوجه لأي إنسان يضعف إيمان المؤمن :

إذا الإنسان تحمل حمالة ليحل مشكلة اجتماعية حلت له المسألة، إنسان اجتاحت ماله جائحة، تلف ماله فحلت له المسألة، وإنسان أصابه فقر وادعى ذلك حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه

أصابت فلاناً جائحة، أو فاقة، فحلت لهؤلاء الثلاثة المسألة، ولا تحل الصدقة لغني كما قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تحل الصدقةُ لغنيٍّ، ولا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

كما قال عليه الصلاة والسلام :

((إن الله تبارك وتعالى يحب الغني الحليم المتعفف ويبغض البذيء الفاجر السائل الملح))

[أخرجه البزار عن أبي هريرة]

ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير.

((لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلّ نفسَهُ))

[أخرجه الترمذي عن حذيفة بن اليمان]

ومن جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه، فالإلحاح، وعدم الحياء وبذل ماء الوجه لأي إنسان هذا يضعف إيمان المؤمن.

أجمل عطاء أن يكون من الله مباشرة ليس لأحد منة عليك :

كما قال عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر : وَذَكَر الصدقة والتعفُّفَ عن المسألة، قال :

((اليدُ العليا خير من اليدِ السُّفْلى والعليا هي المنفِقةُ والسفلى هي السائِلةُ))

[متفق عليه عن ابن عمر]

وحكى أبو داود رواية أخرى.

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال، قال عليه الصلاة والسلام :

((اليدُ العليا خير من اليد السُّفْلى وابدأ بمن تَعُولُ وخيرُ الصدقةِ عن ظهر غِنى ومن يستعفَّ يُعِفَّهُ الله ومن يستغنِ يُغْنِهِ اللهُ))

[متفق عليه عن حكيم بن حزام]

ما معنى من يستعف ؟ يستعف مضارع، ماضيه استعفّ، واستعفّ على وزن استفعل، وكل وزن على هذا الوزن، أو كل صيغة، أو كل فعل، على هذا الوزن فيه معنى الطلب، أي هو طلب العفة من الله، ما دام قد طلب العفة من الله، فالله جلّ جلاله لن يخيب ظنه، وأجمل عطاء أن يكون من الله مباشرة، ليس لأحد منة عليك.

((ومن يستعفَّ يُعِفَّهُ الله ومن يستغنِ يُغْنِهِ اللهُ))

أي اطلب الغنى من الله، واطلب العفة من الله.

((اليدُ العليا خير من اليد السُّفْلى))

من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه :

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى قلت نعم يا رسول الله قال فترى قلة المال هو الفقر قلت نعم يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب))

والله هذا حديث دقيق، أحياناً إنسان لا يملك إلا قوت يومه، وهو غني، غني بنفسه، يشعر أن الله سبحانه وتعالى كفاه وأغناه، يشعر أن ثقته بالله لا حدود لها، كما قال عليه الصلاة و السلام و أن:

((تكون بما في يَدِ الله تعالى أوثقَ منك بما في يَدَيْكَ))

[أخرجه الترمذي عن أبي ذر الغفاري]

فإن كان الإنسان يملك مئات الملايين، لكنه يخشى الفقر، فهو من خوف الفقر في فقر، ومن خوف المرض في مرض، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، فالذي يخاف الفقر هو الفقير، والذي يطمئن إلى رحمة الله هو الغني.

((فإذا أصبح أحدكم آمناً في سربه معافاً في جسمه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

[من الجامع الصغير عن عبد الله بن محصن]

وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن

((بما في يَدِ الله تعالى أوثقَ منك بما في يَدَيْكَ))

الغني هو الذي يطمئن إلى رحمة الله و الفقير هو الذي يخاف الفقر :

الإنسان أحياناً المال يعمل له طمأنينة فارغة، أنه أنا معي، لا يوجد عندي مشكلة، أحياناً يأتي مرض عضال لا يجدي فيه المال إطلاقاً.

مرة كنت عند طبيب جاءته مكالمة هاتفية، من شدة وضوح المكالمة سمعت كلام الطرف الآخر، وأنا بعيد عن الطبيب عدة أمتار، قال له : أي مكان بالعالم، ومهما يكن المبلغ ندفعه، قال له : والله لا يوجد أمل، المرض من الدرجة الخامسة، قال له : أي مكان بالعالم ـ يبدو أن أهل هذا المريض أغنياء من ذوي الدخل العالي ـ ومهما كان المبلغ كبيراً، قال له : لا يوجد أمل.

فهذا الحديث :

((يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى قلت نعم يا رسول الله قال فترى قلة المال هو الفقر قلت نعم يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب))

وحينما تكون واثقاً بما عند الله أنت الغني، وحينما يكون معك مئات من الملايين وتخشى الفقر فأنت الفقير.

اتصالك بالله عز وجل يعطيك الشرف والمكانة و يرفع من شأنك :

آخر حديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :

((جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به ثم قال يا محمد شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد]

اتصالك بالله عز وجل هو الذي يعطيك الشرف والمكانة لا كثرة مالك، أما العزة التي تصبو إليها باستغنائك عن الناس، وقد قيل : احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغن عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره، أي إنسان أحسن إليه تكن أميره، استغن عنه تكن نظيره، احتج إليه تكن أسيره.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥١-١١٦) : كتاب الصدقات - ترغيب من جاءه شيء من غير مسألة ولا إشراف نفس في قبوله سيما إن كان محتاجا والنهي عن رده وإن كان غنيا عنه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلق الحديث التالي بحكم فقهي:

أيها الأخوة، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن عمراً قال:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعطني العَطاءَ، فأقول: أعْطِهِ مَنْ هُوَ أفقر إليه مِني قال: فقال عليه الصلاة والسلام: خذه، وإذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مُشْرِف ولا سائل، فَخُذْه فَتَمَوَّله فإن شئتَ كُلْه، وإن شئتَ تصَدَّقْ به وما لا وما لم يكن كذلك فلا تُتْبِعْهُ نَفْسَك، قال سالم بن عبد الله فلأجل ذلك كان عبد الله لا يسألُ أحداً شيئاً ولا يرُدّ شيئاً أعْطِيَهُ))

[متفق عليه عن ابن عمر]

هذا الحديث أيها الأخوة متعلق بحكم فقهي، إنسان قدم لك شيئاً عن طيب نفس، أراد أن يقدم لك شيئاً تقرباً إلى الله، وأنت لم تسأل ذلك، ولم تستشرف ذلك، كان سيدنا عمر يقول للنبي الكريم:

((أعْطِهِ مَنْ هُوَ أفقر إليه مِني))

النبي عليه الصلاة والسلام يقول له:

((خذه وإذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مُشْرِف ولا سائل))

أنت ما سألت، ولا طلبت، ولا تمنيت، ولا استشرفت، إلا أن إنساناً أحب أن يكرم إنساناً بحاجة لمال، قال له:

((فَخُذْه فَتَمَوَّله اجعله عندك فإن شئتَ كُلْه وإن شئتَ تصَدَّقْ به وما لا وما لم يكن كذلك فلا تتبعه نَفْسَك))

أي هذا المال ليس حلالاً ينبغي ألا تأخذه ـ حرام ينبغي ألا تأخذه، حلال لك أن تأخذه ـ يوجد تداخل، إذا وجد التداخل، لك أن تأخذه على أصل أن الأصل في الأشياء الإباحة ولك ألا تأخذه ورعاً.

أحياناً يكون الإنسان ماله حلال، فلو أعطى إنساناً شيئاً من المال، هدية، هبة، معاونة، وهذا الذي أُعطي بحاجة لهذا المال، لكن ما سأل، ولا تمنى، ولا استشرى، ولا شارط، هذا المال يأكله حلالاً

بشرط أن يكون مال المعطي حلالاً، أما إذا كان مال المعطي حراماً ينبغي ألا يأخذه، إذا كان بعضه حلال وبعضه حرام، الورع ألا يأكل منه، والأصل الشرعي أنه مسموح أن يأخذ منه إذا فيه تداخل.

الحكم الفقهي لإنسان في ماله تداخل بين الحلال و الحرام:

هذا الشيء يسأل الناس عنه كثيراً، إنسان له دخل حلال، وله دخل حرام ، وأنت زرته، قدّم لك فنجان قهوة، دعاك إلى طعام، الأولى أن تأكل، لأنك إن أكلت العلماء قالوا: إنك تأكل من ماله الحلال لا من ماله الحرام، وإذا ما أكلت سيسبب عدم أكلك للطعام مشكلة، وفتنة، وعداوة، وبغضاء، الأولى أن تأكل، أما إذا أمكنك ألا تأكل وماله متداخل، أنت أخذت جانب الورع، أما إذا أكلت لا شيء عليك، إذا فيه تداخل، أما إذا كان المال حراماً مئة بالمئة، مثلاً شخص سرق أمامك طعاماً، وقال لك: تعال كُلْ، طبعاً لا يجوز أن تأكل إطلاقاً، فصار الحكم الشرعي إذا كان المصدر حلال، وأنت ما سألت، ولا طلبت، ولا استشرفت، ولا شارطت، وإنسان أعطاك مالاً، إن أكلته تأكله حلالاً طيباً ولا شيء عليك، إذا المال حرام، حرام أن تأكله، إذا في تداخل الحكم الشرعي لك أن تأكل، والورع يؤثر ألا تأكل، أما إنسان أعطاك شيئاً أنت ما سألت، ولا شارطت، ولا تمنيت، ولا طمعت، والمال حلال خذه، أنت لست بحاجة إليه خذه وتصدق به، لا يوجد مانع هذا ملكته أنت، ملكت المال لك أن تتصدق به .

نعيد الحديث مرة ثانية:

((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعطني العَطاءَ فأقول أعْطِهِ مَنْ هُوَ أفقر إليه مِني قال فقال عليه الصلاة والسلام خذه وإذا جاءك من هذا المال شيء من هذا المال الحلال وأنت غير مُشْرِف ولا سائل أنت ما سألت ولا تمنيت ولا استشرفت ولا شارطت فَخُذه فَتَمَوَّله فإن شئتَ كُلْه تموله اجعله عندك أو كله وإن شئتَ تصَدَّقْ به وما لا- وما لم يكون كذلك من مال حرام فلا تُتْبِعّهُ نَفْسَكَ قال سالم بن عبد الله فلأجل ذلك كان عمر لا يسألُ أحداً شيئاً ولا يرُدّ شيئاً أعْطِيَهُ))

[متفق عليه عن ابن عمر]

عدم الإلحاح في المسألة:

و قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تُلْحِفُوا في المسألة فو الله لا يسألني أحد منكم شيئاً فتخرجُ له مسألتُه منّي شيئاً وأنا له كاره فيبارَكَ له فيما أعطيْتهُ))

[رواه مسلم عن معاوية]

إذا الإنسان ألحف في المسألة ـ كان ملحافاً ـ سأل أول مرة، والثانية، والثالثة برجاء، باستعطاف، بلغط، هذا الإلحاف في المسألة، قال: إذا أخذت من هذه المسألة شيئاً لا يبارك الله لك فيه، معنى يبارك أي هذا المال تنتفع به، تهنأ به، مال قليل يعطي خيراً كثيراً هذا معنى البركة، فإن لم يكن كذلك صار هناك عدم توفيق في إنفاق هذا المال.

على الإنسان ألا يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم:

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من جاع أو احتاج فكتمه الناس وأفضى به إلى الله كان حقاً على الله أن يفتح له قوت سنة من حلال))

[رواه الطبراني عن أبي هريرة]

الإنسان أحياناً يصاب بمصيبة، أو بمشكلة، أو بفاقة، إما أن ينشر هذا أمام الناس أي أن يشكو، أن يعلن الشكوى، أن يتبرم، وإما أن يصبر، ويكتم هذا على الناس، إذا كتمت عن الناس هذه المشكلة كان حقاً على الله أن يحل مشكلتك، وأن يرزقك رزقاً حلالاً، ويعاب أن يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم.

(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ)

(سورة يوسف الآية ٨٦)

هذا كلام سيدنا يعقوب

(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ)
(وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة يوسف)

الإنسان عندما يناجي ربه يريح نفسه، لا بدّ من أن تشكو، اشكُ إلى الله لأنه يعلم، ولأنه قريب، ولأنه قدير، بيده كل شيء، يسمعك وأنت تناجيه بخاطرك، لو أطبقت شفتيك وناجيته بسرك يسمعك، الله قال:

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)

(سورة الحديد الآية ٤)

(أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)

(سورة الأنفال الآية ٢٤)

مهما كان شعورك داخلياً وعميقاً، هذا الشعور مع المناجاة تصل إليه، فالأولى هنا أن تشتكي إلى الله.

الشكوى نوعان ؛ شكوى إلى الله و شكوى على الله:

لكن العلماء قالوا: " من اشتكى إلى مؤمن فكأنما اشتكى إلى الله، ومن اشتكى إلى كافر كأنما اشتكى على الله ".

إذاً هناك شكوى إلى الله، و شكوى على الله، لأن الكافر يشمت، والكافر يعنفك على سلوكك المستقيم حتى تنضم له، حتى يثبت نظريته أن الكفر أولى، كلما وجد مؤمناً يشكو من قضية يعزو هذه القضية إلى استقامته، لو كنت مثلي ما صار معك هكذا.

(لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٦)

عندما يموت صحابي بمعركة مع رسول الله، كان الكفار يقولون: لو لم يجاهد مع النبي لما مات، فهو السبب.

الحقيقة أنه:

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

(سورة الكهف)

إنسان غافل، إياك أن تستشيره، إياك أن تشكو إليه، إياك أن ترجو الخير عنده، لأنه غافل

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

لكن:

(وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)

(سورة لقمان الآية: ١٥)

المنيب إلى الله هذا اتبع سبيله، هذا استشيره، هذا لك أن تبثه شكواك، لأنك إن اشتكيت له كأنما تشتكي إلى الله.

الاعتماد و التوكل على غير الله مذلة:

وهناك حديث آخر:

((مَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقتُه ومَنْ نزلتْ به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزْق عاجِل أو آجل))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود]

أحياناً الإنسان تأتيه مشكلة، ينسى الله، فلان يعطيني، يطرق بابه يخيب ظنه، فلان يعاونني، يبذل ماء وجهه، يترجاه، يقول له: والله لا أقدر، فلان يقدر على كل شيء، يسأله فيعتذر.

((مَنْ نَزَلَتْ به فاقة أي وضع كل ثقته أن الناس يحلون هذه الفاقة لم تُسَدَّ فاقتُه ومَنْ نزلتْ به فاقة فأنزلها بالله أي شكا إلى الله ما به رجا الله سأل الله طلب من الله قال ومَنْ نزلتْ به فاقة فأنزلها بالله عز وجل فيوشك الله له برزْق عاجِل أو آجل))

آجل بمعنى أنه قد يكون من الحكمة أن يبقى هكذا إلى حين، لكن الله عز وجل يدخر له الثواب والعطاء.

أحلّ رزق على الإطلاق الرزق الذي يأتي من عمل اليد:

آخر حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكلَ من عمل يده))

[رواه البخاري عن المقدام بن معد يكرب]

أي أحل رزق على الإطلاق هو الرزق الذي يأتي من عمل اليد، وفي رواية أخرى:

((وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))

[رواه البخاري عن المقدام بن معد يكرب]

فالأعمال المهنية هذه لها ميزة أن فيها جهداً، فيها عطاء، والأعمال هذه لا تحتمل المراوغة، والاحتيال، والكذب، والدجل، أحياناً قضية معلقة بكلمتين، بمذكرة، تنجح أو لا تنجح، تكون متقنة، يمكن أن يكون القاضي مقتنعاً بالقضية، والمحامي لم يقدم جهداً إطلاقاً، فالقضايا التي ليس فيها جهد عضلي يجوز أن يكون بداخلها شيء من الحرام، إن لم يكن فيها استقامة، أما إنسان قلت له: عمر لي جداراً، فأقامه لك بشكل متقن، وعرق، وتعب، وأخذ أجرته بعد أن انتهى، فالأجر هذا مقابل عمل عضلي، و جهد حقيقي، و إتقان، و إخلاص، هذا أحل رزق يرزقه الإنسان على الإطلاق.

((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))

[رواه البخاري عن المقدام بن معد يكرب]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٢-١١٦) : كتاب الصدقات - الترهيب من المسألة وتحريمها مع الغنى وما جاء في ذم الطمع والترغيب في التعفف والقناعة والأكل من كسب يده -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

التعفف و السخاء عند الصحابة الكرام:

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في الترهيب والترهيب، واليوم ننتقل إلى باب كراهة المسألة للناس.

الحقيقة هناك توازن دقيق في هذا الموضوع، أضرب لكم المثل الموضح له:

الصحابة الكرام ولاسيما الأنصار حينما جاءهم المهاجرون عرضوا عليهم نصف أموالهم، نصف بساتينهم، نصف دكاكينهم، هذا العرض رائع، وهو يعبر عن أعلى درجات الكمال في التعاون بين المؤمنين.

أما الشيء المدهش أن الطرف الآخر لم يأخذ شيئاً، لم يسجل التاريخ أن مهاجراً أخذ من أنصاري شيئاً، رغم العرض المغري، من أعماق أعماق أعماقه، عندي بستانان خذ أحدهما، عندي دكانان خذ أحدهما، يقول له المهاجر: بارك الله لك في مالك، ولكن دلني على السوق، أرأيتم إلى هذه التربية ؟.

نحن الآن لو أردنا أن نعطي الناس شيئاً، أكبر جهة تستفيد من هذا الشيء الأغنياء، عند الصحابة الكرام تعفف لا يوصف، وعند الطرف الآخر سخاء لا يوصف، من خلال هذه الأجواء قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تزالُ المسألة بأحَدِكُم حتى يلقي الله وليس في وجهه مُزعة لحم))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمر]

إنسان ليس محتاجاً، يوجد إنسان محتاج أكثر منه، إذا سأل، وتمسكن، وتضعضع، وأوهم الآخرين أنه بحاجة ماسة، ولم يكن كذلك، يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم ـ أي قطعة لحم ـ يأتي وجهه هيكلاً عظمياً، لأنه ذهب منه ماء الحياء، طبعاً عندما الإنسان يكون مضطراً ويأخذ له أجر، ابنه يحتاج إلى عملية ولا يملك، ودخله محدود، والعملية ضرورية جداً ومصيرية، في مثل هذه الأحوال الآخذ له أجر، لأنه أنقذ ابنه، وحقق لأخيه هدفه.

من أخذ المال عن غير حاجة لقي الله عز وجل و ليس في وجهه مزعة لحم:

صدق أيها الأخ، الكريم حينما يضع ماله في مكانه الصحيح يشعر بسعادة لا توصف، إذا أنت ساهمت بحل مشكلة أخ مؤمن، والمؤمن غالٍ على الله، والمؤمن كريم على الله عز وجل، إذا ساهمت في حلِّ مشكلته المادية، الصحية، الاجتماعية، الأسرية بمالك لا يعلم إلا الله وحده كم ترقى عند الله، فكما أن المسألة مكروهة، أنت حينما تكون مضطراً، وتأخذ هذا المال من أخيك، لك عند الله أجر، أنت استفدت منه، وأخوك شعر بسعادة كبيرة.

فأنا حينما أقول هذه الأحاديث لا أقصد إلا الذين يأخذون هذا المال عن غير حاجة صار هناك نوع من الذكاء، والقدرة على استدرار عطف الآخرين، هذا الذي يفعل هذا يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم.

وفي حديث آخر ؛ الثاني يوضح الأول:

((مَنْ سأل الناس تكَثُّرا))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

سألهم ليستكثر ماله، سألهم ليزداد ماله، لا ليقضي حاجته، فرق كبير بين أن تقضي حاجتك بهذا المال، وبين أن تزيد هذا المال.

((مَنْ سأل الناس تكَثُّرا فإنما يسأل جَمْرا فليستقِل أو ليستكثر))

يسأل جمراً، الواضح من هذين الحديثين أن النبي ينهى عن أن تأخذ من أموال الناس وأنت لست بحاجة إليها، إلا أنك تستكثر هذا المال.

على الإنسان أن يستخدم كل ما عنده من طاقات ولو صغرت:

قصة تعرفونها جميعاً لها دلالة كبيرة جداً، أن أنصارياً جاء النبي يسأله، فقال له النبي: أعندك شيء ؟ قال هذا الأنصاري: عندي قعب وحلس ـ أي بساط نجلس وننام عليه ـ وإناء نشرب منه، قال: عليّ بهما، فجاءه بهما والنبي عليه الصلاة والسلام بين أصحابه عرضهما للبيع، قال: من يشتري هذا القعب، وذاك الحلس ؟ فقام أحد الأصحاب قال: أنا أشتريهما بدرهم، فقال عليه الصلاة والسلام: من يزيد على ذلك ؟ قام آخر وقال: أنا أشتريهما بدرهمين، فباعه إياهما، قال له النبي: خذ هذين الدرهمين، فاشترِ بدرهم طعاماً، فاندبه لأهلك، واشترِ بالدرهم الثاني قدوماً، وائتِ به إليّ، هنا استنبط العلماء: أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إذا وجد ببيته مشكلة، فقبل أن يدفعه إلى العمل أراد أن يطمئنه على أهله، اندب طعاماً لهم بهذا الدرهم، واشترِ بالدرهم الثاني قدوماً، وتعال إليّ،

هكذا فعل هذا الرجل، اشترى بالدرهم الثاني قدوماً، وجاء به إلى النبي، فشدّ النبي بيده الشريفة على هذا القدوم عصاً، وقال: اذهب فاحتطب، ولا أرينك لخمسة عشر يوماً، بعد هذه المدة جاءه ومعه ثمانية دراهم، قال: هذا خير لك من أن تسأل الناس.

ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير:

أخواننا الكرام، لا يوجد إنسان يتوجه إلى الله ليرزقه رزقاً حلالاً ويخيب الله ظنه، لذلك: ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير.

((مَنْ سأل الناس تكُثرا فإنما يسأل جَمْرا فليستقِل أو ليستكثر))

أي يوجد تسول، هذا التسول قد لا تصدقون أن هؤلاء يجنون ثروات طائلة، إحدى المتسولات لها بالبنك سبعمئة ألف، لأن هذه الصنعة من دون رأسمال، تجلس في مكان، بوضع مؤلم جداً، تستدر عطف الناس، وتأخذ الأموال، ففي هذا نهي شديد جداً، فأي إنسان يحاول أن يطلب من الناس شيئاً، وهو ليس بحاجة، سيلقى الله و ليس في وجهه مزعة لحم، أما إذا كان بحاجة إلى المال فهذا موضوع ثانٍ، لا علاقة لهذا الإنسان بهذه الأحاديث إطلاقاً، لأن الحاجة قد تكون ملحة، وقد تكون خطيرة، ولو لم تسأل لكنت آثماً عند الله عز وجل.

العمل الشريف هدفه شريف و هو أن تكتسب المال بطريق مشروع:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به عن الناس خير من أن يسأل الناس رجلاً أعطاه أو منعه ذلك بأن اليَدَ العُلْيَا خيْر مِنَ اليَد السُّفْلى وابدأ بمن تَعُول))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

أي أشق الأعمال، لا يوجد عمل مهين أبداً، العمل الشريف هدفه شريف، الهدف أن تكتسب مالاً بطريق مشروع، ولو كان حملاً على الظهر، ولو كان نقل بضاعة، ولو كان سفراً صعباً، أما العار أن تكون عبئاً على الناس، العار أن تأخذ ما ليس لك، العار أن توهم الآخرين أنك بحاجة إلى المال.

((لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به عن الناس خير من أن يسأل الناس رجلاً أعطاه أو منعه ذلك بأن اليَدَ العُلْيَا خيْر مِنَ اليَد السُّفْلى وابدأ بمن تَعُول))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

وفي حديث رابع عن أبي هريرة أيضاً قال عليه الصلاة والسلام:

((لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ليبيعه ثم ذكر الحديث الأول خير من أن يسأل الناس رجلاً أعطاه أو منعه))

وفي حديث خامس:

((لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل فيحزم حزمة من حطب فيجعلها على ظهره ويأتي بها السوق فيبيعها ويأكل ثمنها خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه))

[أخرجه البخاري عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ]

إن لم تكن بحاجة لا تسأل أحداً:

تروي كتب السيرة أن سيدنا الصديق رضي الله عنه كان يركب ناقة، وقع زمام الناقة من يده، وحوله أصحابه، فنزل من على الناقة إلى الأرض، وتناول زمام الناقة، وعاد إلى مكانه، فالصحابة الكرام تعجبوا أشد العجب، نحن نعطيك إياه، النزول متعب، قال: أمرني حبيبي ـ ويقصد النبي عليه الصلاة والسلام ـ ألا نسأل الناس شيئاً، فهو الضابط في هذا في هذا الموضوع، إن لم تكن بحاجة لا تسأل أحداً، اقض كل حوائجك بنفسك، أما عند الضرورة يكون هذا التعاون مثمراً ومقبولاً ولا شيء فيه، عند الضرورة، أما بلا الضرورة لا تسأل الناس شيئاً.

من كان حريصاً على صحته فليطبق السنة الشريفة:

وفي حديث أخير:

((عن أبي مسلم الخولاني حدثني الحبيب الأمين أما هو فحبيب إلي و أما هو عندي فأمين عوف بن مالك الأشجعي قال كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسْعَة أوْ ثمانية أوْ سَبْعَة فقال ألا تُبَايِعُونَ رسولَ الله وكُنَّا حديث عَهدٍ بِبَيْعَةٍ فقُلْنا قدْ بايعنَاكَ يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فَعَلاَمَ نُبايعُك قال أن تعْبُدُوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتُصَلُّوا الصلوات الخمس وتَسمعوا، وتُطيعوا وقال أسَرَّ كَلِمَةً خفيَّةً ولا تَسألوا النَّاس شيئاً، فلقدْ رأيتُ بعضَ أولئك النَّفَر يَسْقُطُ سَوْطُ أحدِهِمْ فما يسْألُ أحداً يُنَاوِلُهُ إياه))

[أخرجه مسلم عن سعيد بن عبد العزيز]

جالس مع طبيب قلب، ذكر كلمة درسها في الجامعة، لم ينتبه إلى خطورتها، قال: لابدّ للإنسان من الرياضة، و أقل حدٍّ للرياضة ليقي الإنسان قلبه، أن يركض ؟ هذا الحد ليس لكل الناس، أن يجري ؟ أن يمشي كل يوم ؟ قال: الحد الأدنى من لياقة القلب أن تقوم بحاجاتك بنفسك، فالإنسان إذا طبق السنة يعمل رياضة، أي قضى حاجته، بثيابه، بطعامه، بحركته، أراد أن يشرب، إذاً يمكن أن

يخدمه أهله، هذا شيء مقبول جداً، لكن لو أراد أن يقضي حاجته بنفسه لكان حريصاً على صحة قلبه، الحد الأدنى الأدنى من الرياضة أن تقوم بحاجاتك بنفسك.

كما قلت لكم: تأمين الحاجة شيء، والاستكثار من أموال الناس شيء آخر.

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب، وأن يلهمنا العفة.

العفاف نوعين ؛ عفاف عن الشهوات المحرمة وعفاف عن الأموال المحرمة:

وصف النبي عليه الصلاة والسلام بثلاث صفات:

((حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

العفاف نوعين، عفاف عن الشهوات المحرمة، وعفاف عن الأموال المحرمة، يقال: فلان عفيف من النواحي المادية، وعفيف من النواحي الجنسية، فهو عفيف أي لا يطلق بصره في الحرام، بل يغض بصره، وهو عفيف لا يأكل ما ليس له.

والآن لو جلست مع الناس لوجدت العجب العجاب، أكثر خصومات الناس، أكثر الدعاوى في قصر العدل من طمع الناس بأموال بعضهم البعض، لو تعفف الناس لكنا في حال غير هذه الحال.

يروى أنه حينما فتحت بلاد فارس جيء بالغنائم ـ الغنائم ذهب، وفضة، وألماس، وجواهر ـ شيء لا يصدق، فسيدنا عمر لما رأى هذه الغنائم الكبيرة جداً، قال: سبحان الله ! إن الذي أدى ذلك لأمين، أي الجندي الذي كان يحمل تاج كسرى، لو تابع طريقه لوصل إلى أنطاكيا وباعه فصار أكبر أغنياء العالم، فما الذي حمله على أن يأتي به كاملاً، ويسلمه للخليفة ؟ فقال له سيدنا علي: يا أمير المؤمنين أتعجب من أمانته فقد عففت فعفوا، ولو وقعت لوقعوا.

أي لا يستطيع أب أن يكون ابنه عفيفاً إلا إذا كان هو في منتهى العفة، أحياناً الابن يشعر أن أباه دخله غير صحيح، هذا أكبر درس للابن أن يفعل الحرام، إن وجد الابن أباه دخله شريف، وحلال، هذا يحمله على طاعة الله.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٣-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في شكر المعروف ومكافأة فاعله والدعاء له وما جاء فيمن لم يشكر ما أولي إليه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تعظيم اسم الله عز وجل عند الناس:

قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنِ استَعَاذَ بالله فأعيذوه ومَن سألَ باللهِ فأعطوه وَمَنْ دعاكُم فأجيبوه وَمَنْ صَنَعَ إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادْعُوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه))

[رواه أبو داود والنسائي عن ابن عمر]

أحياناً الإنسان يؤدب ابنه، فيسأله أن يكف عن تأديبه بالله، لوجه الله، فالمؤدب إن لم يكف عن تأديبه حينما سئل بوجه الله ضيّع قيمة هذه الكلمة، من أجل أن تعظم الله عز وجل، من أجل أن يبقى اسم الله عز وجل عظيماً عند هذا الطفل، فإذا سألك لوجه الله أن تكف عنه فاكفف عنه.

((مَنِ استَعَاذَ بالله فأعيذوه. ومَن سألَ باللهِ فأعطوه وَمَنْ دعاكُم فأجيبوه وَمَنْ صَنَعَ إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادْعُوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه))

أي هذا الاسم العظيم نحن نزيد من تعظيمه عند الناس، ونحن بأخطائنا نقلل من تعظيمه عند الناس، فإذا شخص سألك بوجه الله، إذا استعاذ بالله من شيء، ما دام قد استعاذ بالله، أو سأل بوجه الله، أو التجأ إليك بوجه الله عز وجل، ينبغي أن تشعره أن هذا الاسم عظيم عندك، ينبغي أن تكف عنه مؤقتاً، وأن تبين له أنني وقفت عن تأديبك لأنك ذكرت هذا الاسم، كي يشعر بعظمة هذا الاسم، أما إنسان كلما استجار بك بالله، كلما ذكر اسم الله زدته تأديباً، وزدته ضرباً قللت قيمة الاسم عنده، هذا شيء يقع فيه المربون، وهذا خطأ فاحش أن يستعيذ بالله فلا تعيذه، أن يستجير بالله فلا يجيره، أن يسألك بوجه الله فلا تفعل شيئاً، إلا أن تزيد من عقابك.

(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)

(سورة الحج)

وهذا قانون:

((مَنِ استَعَاذَ بالله فأعيذوه))

الإنسان يُعظم الدين عند الآخرين أو يصغره:

نحن نعظم، أو نحن نصغر، فأكثر سلوك المربي الغير مؤمن يصغر قيم الدين في النفس، مثلاً يرتكب خطأ صغيراً يعاقب عقاباً شديداً، يسب الدين نبقى ساكتين، نحن أشعرنا هذا المربى، الطفل، أن الدين ليس له قيمة، هو سبّ الدين، قلد من سمع أنه يسب الدين، ما تأثرنا، أما عندما قصر بوظيفة ضربناه ضرباً مبرحاً، هو شعر أن الدين ليس له قيمة أما الوظيفة لها قيمة، هذه أخطاء بالتربية فاحشة، الأشياء المقدسة بحياتنا، ليس لها اهتمام، أما الأشياء العادية لها اهتمام بالغ، أنت دون أن تشعر علمت المربى ابنك، أو طالبك، أو تلميذك، علمته أن قيم الدين لا قيمة لها، فلما انتهكت حرمات الله عز وجل لا يوجد شيء إطلاقاً، أما عندما تعطلت مصلحة بسيطة، فأقمت عليه النكير.

مثلاً الزوج لو أن زوجته وقفت بالشرفة غير محتشمة لا يبالي، أما الطعام إذا لم يكن جاهزاً أقام النكير، تفهم الزوجة ما الأشياء الحساسة عند زوجها، قضية الدين ليس لها قيمة، فإذا الإنسان تساهل بأمور الشريعة، بأمور الدين، وكان شديداً جداً بأمور أخرى أشعر الزوجة وهو لا يدري طبعاً أن الدين ليس له قيمة، أما حينما تقصر الزوجة في جانب الزوج تقصيراً فاحشاً، والزوج يأخذ هذا بالحلم، و حينما تتجاوز حدود الشريعة والزوج يغضب أشد الغضب، أشعر زوجته أن الدين شيء عظيم، أموره الشخصية يتساهل بها، أمور الدنيا ممكن أن يتجاوز عنها، أما أمور الدين لا نسكت، فأنت تعظم الدين عند زوجتك وأولادك، وأنت تصغره دون أن تشعر.

أحياناً يكون السلوك غير واعٍ، لم ينتبه غضب لسبب تافه، وكان حليماً لحرمة انتهكت فلم يتكلم، هذا كلام مع الزوجة، ومع الابن، أو مع المتعلم، ما الذي يغضب هذا الأستاذ ؟ قد يغضبه شيء ليس له علاقة بالدين، وقد لا يغضبه أن تنتهك حرمات الله عز وجل، هذا يشعر الآخرين أن الدين ليس له قيمة أبداً، هنا معنى الحديث:

((مَنِ استَعَاذَ بالله فأعيذوه ومَن سألَ باللهِ فأعطوه وَمَنْ دعاكُم فأجيبوه))

حدثني أخ زوجته بالحج دخلت إلى أحد المحلات التجارية، اشترت قماشاً، فالزوجة متعودة أن تساوم البائع، قالت له: من أجل رسول الله تراعيني، البائع لفّ القماش وقدمها هدية، قال لها: هذه من أجل رسول الله لا أخذ ثمنها قرشاً، خجلت هي أنها ذكرت كلمة رسول الله بالمدينة، هذه كلمة كبيرة جداً، تقول لي: من أجل رسول الله، لن آخذ قرشاً ثمن القماش، فلما امتنع عن أخذ ثمن القماش بهذه الكلمة، فقد صار لهذه الكلمة تعظيم كبير جداً.

شيء ثانٍ:

((مَنِ استَعَاذَ بالله فأعيذوه ومَن سألَ باللهِ فأعطوه وَمَنْ دعاكُم فأجيبوه))

على كل إنسان أن يعود نفسه أن كل شيء يقدم له هو دين يجب أن يكافئ عليه:

من أجل استمرار الخير للمجتمع:

((وَمَنْ صَنَعَ إليكم معروفا فكافئوه))

كلمة الله يجزيك الخير، شكراً، هذه لا تقبل إلا إذا كنت عاجزاً عن أن تقابل هذا المعروف بمعروف آخر، حتى يكون هناك قيمة للعمل الصالح أي إنسان قدّم لك خدمة يجب أن تقابله بخدمة، أي إنسان قدّم لك هدية يجب أن تقابله بهدية، أي إنسان فعل معك معروفاً يجب أن تفعل معه معروفاً، أما حينما تكون عاجزاً عن أن ترد هذا المعروف مسموح لك في هذه الحالة الخاصة أن تقول له: جزاك الله عني كلّ خير، والله أنا عاجز عن أن أوفيك حقك، أما عود نفسك أن يكون المعروف ديناً عليك، لا ضريبة تؤدى لك، فرق كبير بين الدين وبين الضريبة.

سيدنا ربيعة خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أيام، قال له: يا ربيعة سلني حاجتك.

أي إذا وجِد إنسان في الأرض واحد ينبغي أن يُخدم دون أن تنتظر منه ردّ فعل أو مكافأة هو رسول الله، إنسان وحيد بالأرض تقدم له كل خدمة، ولا تنتظر منه شيئاً، هو رسول الله، ومع ذلك النبي عليه الصلاة والسلام رأى أن هذه الخدمة التي قدمها سيدنا ربيعة له رآها ديناً عليه، يجب أن يكافئه عليها، قال له: يا ربيعة سلني حاجتك، أنت خدمتني سبعة أيام، سلني حاجتك.

إذاً على كل إنسان أن يعود نفسه أن كل شيء يقدم له من خدمة هو دين عليه، يجب أن يكافئ عليه، هذا حديث أصل في العلاقات الاجتماعية، ضرائب لا يوجد، لا يوجد إنسان تقدم له خدمة دون أن يتحرك هو لمكافئتك على هذه الخدمة، حتى النبي عليه الصلاة و السلام ما قبل ذلك، ما قبل أن يُخدم قبل أن يكافئ، ما قبل أن يُهدى دون أن يكافئ على هدية بهدية مثلها.

((تهادوا تحابوا))

[البخاري عن أبي هريرة]

الاعتراف بالفضل ينمي الفضل ويوسع دوائره:

((وَمَنْ صَنَعَ إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادْعُوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه))

[رواه أبو داود والنسائي عن ابن عمر]

هذا الحديث لو طُبق لتنامى المعروف بين الناس، أنت قدمت خدمة فأصبح هناك خدمة مقابلها. أنا أذكر مرة كنت في بيت في العفيف، بعدما انتهت من صلاة الفجر، وعدت إلى البيت، ووضعت جنبي على السرير طُرق الباب، فخرجت، وجدت طفلاً صغيراً يشير إلى المفاتيح بقيت على الباب دون أن أنتبه، قلت له: شكراً، فلما عدت إلى فراشي، ما معنى كلمة شكراً ؟ طفل صغير رأى

مفاتيح البيت على الباب الخارجي، فنبهني، فعدت وأمنت بعض الهدايا عندي و تبعته إلى آخر الطريق وقدمت له هذه الهدية، هذا الطفل عندما وجد المفاتيح كان يستطيع أن يبقى ساكتاً، يستطيع أن يسحبهم ويضعهم في جيبه، فلما نبه صاحب البيت هذا عمل طيب، فعندما أنا كافأته بهدية، بشيء من السكاكر، ببعض الحلويات، صار لعمله قيمة كبيرة.

لا تترك خدمة من دون مقابل، أي خدمة تقدم إليك اعمل لها مقابلاً، الخير يتنامى، إنسان قدم لك خدمة، إنسان نصحك، إنسان عاونك، فيجب أن يسمع منك ثناء ، يجد عملاً صالحاً يقابل هذا العمل، يجد خدمة تقابل هذه الخدمة، يجد إنجازاً يقابل هذا الإنجاز، يجد هدية تقابل هذه الهدية، فإذا كان هناك مقابلة دائماً العمل يتنامى، والخير يدوم.

مقابلة الإحسان بالإساءة يمنع المعروف في هذه الأيام:

الآن ما الذي يمنع الماعون ؟ أي كل إنسان عمل عملاً صالحاً، وقوبل بعمل سيء يحلف يميناً بالله ألا يخدم أحداً بعد الآن، أوضح مثل:

إنسان راكب لوحده في السيارة، لا يقف لأحد، ومعه حق ألا يقف لأحد، قد يكون هذا مهرباً، قد يكون معه حشيش، قد يكون قاتلاً، لأن هذا حصل كثيراً، الذين أساؤوا لهذا العمل الطيب منعوا الخير دون أن يشعروا، وكل إنسان يقابل الإحسان بالإساءة يمنع الخير وهو لا يشعر، المحسن يجب أن يكافأ.

قديماً كان هناك وجهة نظر لكن غير مقبولة، أن إنساناً وجد جريحاً، بدافع إنساني محض يحمله، ويذهب به إلى المستشفى، فيلقون القبض عليه، يوم، أو عدة أيام حتى تظهر براءته من هذا الحادث، فانعدم المعروف و لم يعد هناك أحد يسعف أي جريح أبداً، يقول: أنا لا أستطيع أن أنام ثلاثة أيام في السجن، وكم من إنسان مات بنزيف ؟ لم يحمله أحد، لم يسعفه أحد، حتى خرجت تعليمات جديدة أنه لن يعتقل من يوصل جريحاً إلى المستشفى، تؤخذ هويته فقط، لولا هذا الإجراء لما وجد أحد يسعف إنساناً بالأرض، و أصبح المعروف لا قيمة له.

إنسان راكب فرساً في الصحراء، وجد شخصاً ينتعل رمال الصحراء المحرقة، فدعاه لركوب الفرس، فإذا هو لص من لصوص الصحراء، فلما اعتلى ظهر الفرس، دفع صاحبها إلى الأرض وعدا بها لا يلوي على شيء، قال له صاحبها: " يا هذا لقد وهبت لك هذه الفرس، ولن أسأل عنها بعد اليوم، ولكن إياك أن يشيع هذا الخبر في الصحراء، فتذهب منها المروءة، وبذهاب المروءة يذهب أجمل ما فيها ".

كل إنسان يسيء إلى المحسن يسهم في انعدام فعل الخير:

أنا أقول لكم أيها الأخوة: والله جرائم ترتكب في حق صانعي المعروف، هذه الجرائم يفعلها الجهلاء، عندئذٍ ينقطع المعروف.

إنسان سأل آخر أن يعيره بيته لأسبوع فقط حتى يدهن بيته، صار له ثلاثون سنة بالبيت، و لم يخرج منه بعد، استعاره أسبوعاً حتى يدهن بيته، احتله، الآن تجد سبعمئة ألف شقة بالشام لا أحد يؤجر إلا بعقد سياحي، والناس معهم حق، لأن كثيراً من الناس خدموا الآخرين فذهب البيت كله، دخل أسبوعاً أو أسبوعين، فتملك البيت، فسلوك المستأجرين الظالم منع المالكين من أن يطرحوا البيوت للآجار، وهذا شيء واقع الآن، لأنه هناك مآسٍ، تجد بيتاً يقدر بثلاثين مليوناً، أجرته مئة ليرة بالشهر، ضريبته أغلى بكثير، هذا منع المعروف.

عندنا أخ كان يحضر له منصب رفيع بالجيش، استقال أو تقاعد، وأحبّ أن يسافر إلى بلده في الشمال، هو يسكن بالجبة، طرق الباب على صاحبه و قدم له مفتاح البيت، فقال له المالك: ما هذا المفتاح ؟ قال له: مفتاح بيتك، صُعق، فأجابه المستأجر قائلاً له: أنا انتهت إقامتي، أريد أن أسافر، فهذا المالك وجد بيته فارغاً، مرتباً، نظيفاً، من شدة بعد الناس عن العدل لم يصدق أن يعطيه البيت بلا مقابل، وبلا فروغ، وبلا سبب، هذا بيتك يا أخي أنا استأجرته كذا سنة، وأكرمتني، وسكنت، وارتحت، والآن انتهت إقامتي في دمشق وسأسافر.

لذلك هناك أناس يعمقون فعل الخير، وأناس ينفرون من فعل الخير، فكل إنسان يسيء إلى المحسن هذا يسهم في انعدام فعل الخير.

إذا إنسان خدمك بلا مقابل تشك فيه، إذا إنسان سهل لك أمورك بدائرة أنت لا تصدق ذلك، غير معقول؟! أنت ألفت التعسير والتعقيد، ووضع العراقيل وتكبير القضية، ألفت هذا، هذا صار شيء طبيعي بحياتنا، فإذا إنسان كان منصفاً وخدمك أنت لا تصدق أن يخدمك، من قلة المعروف.

القاعدة الأساسية في التعامل بين الناس:

أخواننا الكرام الحديث مهم جداً:

((وَمَنْ صَنَعَ إليكم معروفا فكافئوه. فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادْعُوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه))

أي خدمة تقدم لك، أي معروف يقدم لك، أي هدية تقدم لك، يجب أن تعدها ديناً عليك، إذا تعاملنا بهذه الطريقة، المعروف يتنامى، أما حينما ترى أن كل شيء قُدم لك مكسب، كل خدمة قُدمت لك مكسب، بهذه الطريقة يتناقص فعل المعروف، وكل إنسان حينما يشعر أنه مُستغل العمل الصالح لا

يكمله، حينما تشعر أنك مُستغل، أي أنت تقدم شيئاً والطرف الثاني يأخذ هذا الجهد بلا مقابل، هو يسعد بهذا الجهد و أنت تشعر بالغبن، فلا تكمل معروفك، هذه قاعدة.

النبي صلى الله عليه وسلم:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

(سورة النجم)

هذه قاعدة أساسية في التعامل بين الناس، كل شيء يقدم، الآن إنسان تزوج يقدم الناس له الهدايا، هذه كلها ديون يسجلها، عندما يستقر في بيته، وينطلق في زواجه، الآن الذي قدم له الهدية تزوج يرد له مقابلها، الذي قدم الهدية جاءه مولود يقدم له مقابلها ، فيتواصل الناس، إنسان جاءته هدية وقت زواجه هو بحاجة ماسة لها، هذا سجادة، هذا ثريا، هذا براد، هذا غسالة، فانحلت مشكلته، فعندما استقر يرد الديون ديناً، ديناً، هذه عادة طيبة جداً أن نقدم هدية لإنسان متزوج، إنسان عنده ولادة، إنسان عنده مناسبة، انتقل إلى بيت جديد، وعندما يستقر هذا الإنسان يرد الهدايا إلى أصحابها.

المعروف دين، أما أن تستهلك جهد الآخرين، وتستهلك أموالهم، دون أن تنطق بكلمة هذا خلاف السنة، هذا خلاف الفطرة الإنسانية.

لكن أحياناً يكون هناك إنسان قوي وغني، والثاني ضعيف وفقير، فالغني يخدم الفقير، و الفقير لا يملك ما يقدمه للغني، فيقول له: جزاك الله خيراً، والله كلمة جزاك الله خيراً من إنسان فقير أو ضعيف، أو لا يملك أن يرد لك هذا الخير مقبولة عندك، وكأنه قدم لك أكبر هدية، إذا كان قدم لك شكراً صادقاً من أعماقه، هذا الذي يستطيعه، قال:

((فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادْعُوا له حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه))

ادعُ له.

درجات كل إنسان عند الله بحسب عمله الصالح:

ثاني حديث:

قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا كان الله يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو قال فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أي صدقة بسيطة تقدمها قد لا تلقي لها بالاً، لقمة وضعتها في فم جائع، مبلغ بسيط قدمته لإنسان، قد لا تلقي له بالاً هذا يأخذه الله بيمينه.

((يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه، أو قال فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

فهذه الدنيا دار عمل، دار إنفاق، دار خدمات، دار أعمال صالحة، والجزاء في الآخرة.

((ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده))

[مسلم عن أبي هريرة]

هناك أعمال صالحة إن قدمتها لإخوانك المؤمنين فكأنما تقدمها لذات الله، إنسان استطعمك.

((استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت لو أنك أطعمته لوجدت ذلك عندي))

[مسلم عن أبي هريرة]

إذا أنت أطعمت إنساناً فقيراً كأنك أطعمت الله، وإذا عدت إنساناً مريضاً كأنك عدت الله عز وجل. لذلك هنيئاً لمن له عند الله حساب، حساب أي صدقات، أو حساب خدمات، أو حساب دعوة، لأن الإنسان بلا عمل لا قيمة له إطلاقاً.

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية ١٣٢)

درجاتك عند الله بحسب عملك الصالح.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٥٤-١١٦) : كتاب الصدقات - ترهيب السائل أن يسأل بوجه الله غير الجنة وترهيب المسؤول بوجه الله أن يمنع

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الجنة عطاء فمن سأل بوجه الله لا ينبغي أن يسأل غير الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا يُسألُ بوَجهِ الله إلا الجنة))

[أبو داود عن جابر]

أي الجنة عطاء، لكن الدنيا ليست عطاء، فإن سألت بوجه الله لا ينبغي أن تسأل غير الجنة. يروى أن أحد الخلفاء كان في بيت الله الحرام، فالتقى بعالم جليل، أراد هذا الخليفة أن يتقرب إلى الله بخدمة هذا العالم، فقال له: سلني حاجتك ؟ قال: والله إني أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، فلما التقى به خارج بيت الله، قال له: سلني حاجتك ؟ قال: والله ما سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها ؟ فلما أصرّ عليه، قال: أدخلني الجنة، وأنقذني من النار، قال: هذا ليست لي، قال: إذاً ليس لي عندك حاجة.

فأي شيء يأتي الإنسان في الدنيا لا يسمى عطاء لأنه يؤخذ منه، الكريم إن أعطى لا يأخذ، فإذا أعطى الله إنساناً في الدنيا المال عند الموت يسلبه منه، إن أعطاه الصحة، الموت ينهي كل شيء، الموت ينهي غنى الغني، وفقر الفقير، وصحة الصحيح، ومرض المريض، وقوة القوي، وضعف الضعيف، ووسامة الوسيم، ودمامة الدميم.

إذاً ما دام الشيء يسترد منك لا يمكن أن يسمى عطاء، العطاء ما كان أبدياً سرمدياً، فإن سألت بوجه الله عز وجل لا يليق بك إلا أن تسأله الجنة.

لذلك أحد الصحابة الكرام خدم النبي عليه الصلاة والسلام ـ سيدنا ربيعة ـ سبعة أيام، قال له: يا ربيعة سلني حاجتك ؟ قال: أمهلني يا رسول الله ـ هذه فرصة لا تعوض ـ أمهلني، أمهله أياماً ثم سأله، قال: ادعُ الله لي أن أكون معك في الجنة، قال: من علمك هذا ؟ قال: والله ما علمنيه أحد، لكنني رأيت الدنيا فانية، فأردت شيئاً يبقى.

فالإنسان إذا سأل الله فليسأله الجنة، لأنه لو سأله المال فالمال في الدنيا، و الموت ينهي هذا المال، و لو سأله الرفعة في الدنيا، الموت ينهي هذه الرفعة.

((لا يُسألُ بوَجهِ الله إلا الجنة))

بل لا يليق بك أن يكون طموحك أقل من الجنة، هذه الدنيا نأكل جميعاً، ونشرب جميعاً، أحياناً الفقير يستمتع بصحن فول أشد من استمتاع الغني بأفخر الطعام، قد يستمتع الفقير بمسكن، بمأوى، أشد من استمتاع إنسان متفلت بأكبر بيت، فالقضية في الدنيا قضية نسبية، والحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء، بينما هي موزعة في الآخرة توزيع جزاء.

من طلب شيئاً عليه أن يتناسب هذا الطلب مع عظمة المسؤول:

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله))

[الطبرانى عن أبي موسى الأشعري]

أي إنسان سأل، وإنسان سُئل، السائل والمسؤول إن منع المسؤول، أو سأل السائل غير الجنة كلاهما ملعون.

إنسان دخل على ملك، والملك ملك، يملك كل شيء في بلاده، قال له: اطلب، قال له: ليرة، مجنون هذا، تطلب من ملك ليرة واحدة ؟ اطلب مليون ليرة، اطلب بيتاً، اطلب مركبة، يجب أن تطلب شيئاً يتناسب مع عظمة المسؤول، المسؤول هو الله عز وجل.

((ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله))

السائل ينبغي ألا يسأل إلا الجنة، والمسؤول إذا سُئل ينبغي أن يلبي لوجه الله فإن لم يلبِ فهو ملعون عند الله عز وجل.

الحديث دقيق جداً.

المؤمن يسعد بالعطاء و غير المؤمن يسعد بالأخذ:

رجل جاء النبي عليه الصلاة والسلام، و سأله مالاً فأعطاه، وحينما خرج، قال عليه الصلاة والسلام:

((فإن أحدكم ليخرج بصدقة من عندي متأبطها وإنما هي له نار))

[أخرجه الحاكم عن عمر بن الخطاب]

عجيب ! الصحابة استغربوا، سألك فأعطيته، ما دام الذي أعطيته هو عند الله نار، قال أحدهم: لمَ أعطيته ؟ فأجابه إجابة دقيقة جداً:

((يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل))

[أخرجه الحاكم عن عمر بن الخطاب]

لو أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعطه، هو لا يستحق، لكن حكمة النبي تقتضي أن يعطيه، لو أنه لم يعطه لقال هو بخيل، لا يعطي، فهذه متعلقة بالدعوة.

أحياناً الإنسان إذا تصدى للدعوة إلى الله قد يتنازل عن حقوق له كثيرة من أجل سمعته، قد يعطي أكثر مما يستحق الآخرون، لئلا يقال عنه بخيل.

فأنت في موطن دقيق جداً، فالنبي إنسان سأله أحدهم فأعطاه، فلما خرج، قال هذا السائل يتأبط ناراً، فقالوا لِمَ أعطيته يا رسول الله ؟ قال:

((يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل))

أنا لا يمكن أن أكون في أعلى درجة من الكمال وأُتهم بالبخل، أنا أعطيه لكنه سوف يحاسب، وهذا يقع دائماً، إنسان يلح، يعطيك أوراقاً، يعطيك أدلة، فتستحي منه أن تكون بهذه القسوة البالغة، تعطيه و قد لا يستحق هذا العطاء، أنت دفعت عن نفسك تهمة البخل، لكنه أخذ هذا المال:

((ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله فمنع سائله))

الذي أعطيته هو الذي بقي لك، والذي استهلكته هو الذي ذهب منك، فالمستهلكات هي الخسارة، و الأعطيات هي الربح.

((بقِي منها إلا كَتِفُها قال بقي كلُّها إلا كَتِفَها))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

فالمؤمن يسعد بالعطاء، أما غير المؤمن يسعد بالأخذ، وإن أردت أن تعرف ما إذا كنت من أهل الدنيا، أم من أهل الآخرة فانظر ما الذي يسعدك أن تعطي أم أن تأخذ ؟.

الحقائق التي بيّنها النبي الكريم في الحديث التالي:

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ثلاث حقائق ؛ أي إنفاق تنفقه في سبيل الله، هذا الإنفاق لا ينقص مالك، بل يزيده، لأن الله يمحق الربا ويربي الصدقات، طبعا بالحسابات المادية القرض الربوي أربح، أما بالحسابات الإلهية القرض الحسن هو الأربح، فربنا يخضعك إلى قانون العناية الإلهية، أنت تنفق المال، والمال إذا أنفقت منه قلّ لكن بعناية إلهية خاصة يزيد هذا المال، فما نقص مال من صدقة:

((وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزا))

إنسان قوي وله خصم بالغ بالإساءة إليه، إما أن تنتقم منه، وإما أن تعفو عنه، قد يتوهم الإنسان أنه إذا عفا عنه قلّ شأنه، وإذا انتقم منه أظهر قوته، لا، بالعكس، الله عز وجل جعل لك قانوناً ؛ لا يزيد الذي يعفو عن خصمه إلا عزاً، بالعفو يزداد عزك عند الله وعند النفس.

((وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))

الآن هناك أشخاص يلجؤون إلى عرض عضلاتهم، وعرض إمكاناتهم، والحديث عن نفسهم، وعن إنفاقهم، وعن سفرهم، وعن حضرهم، هؤلاء يصغرون عند الناس، فالإنسان إذا تحدث عن نفسه يصغر، وإذا تحدث عن الله عز وجل ووضع نفسه في التعتيم رفعه الله.

((ما ذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في نفسي، ولا ذكرني عبد في ملأ من ملائكتي إلا ذكرته في ملأ خير منه))

[ورد في الأثر]

فالإنسان إذا أغفل نفسه، و تحدث عن ربه، ازداد عزاً، وازداد رفعة ومكانة، وإذا تحدث عن نفسه لينتزع إعجاب الناس و ليعلو عندهم، هو يصغر لا يعلو عندهم.

((ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٥-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في صدقة السر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

إنفاق المال يؤكد لنفسك وللناس ولمن حولك أنك محبّ لله عز وجل؛

قال عليه الصلاة والسلام؛

((إن الصدقة تُطْفِئُ غضَبَ الرَّبِّ، وتَدْفَعُ مِيتَة السُّوءِ))

[رواه الترمذي وحسنه، أي قال حديث حسن عن أنس]

الإنسان أحياناً يقع في خطأ، هذا الخطأ يسبب غضب الله عز وجل، ما الحل ؟ أروع ما في هذا الدين العظيم أن كل حالة يتلبس بها الإنسان جعل الله لها حلاً، جعل الله لها مخرجاً، إنسان وقع في خطأ استوجب غضب الله عز وجل، لو لم يكن هناك من حل ليئس الإنسان من رحمة الله، ومع اليأس فجور، لكن مهما يكن الذنب عظيماً، مهما يكن الذنب يستوجب غضب الله عز وجل، الحل جاهز، يقول عليه الصلاة والسلام؛

((إن الصدقة تُطْفِئُ غضَبَ الرَّبِّ))

أي لا يوجد طريق سريع لاسترضاء الله عز وجل، وإبعاد غضبه عنك، كأن تنفق من مالك، النبي قال؛

((والصَّدقةُ بُرهَان))

[أخرجه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي مالك الأشعري]

وأنا أقول دائماً؛ أن هناك أشياء كثيرة محبة للإنسان، والشرع أمر بها، النبي قال؛ لبِّ الدعوة.

((مَن دُعي فلم يُجِبْ فقد عَصَى اللَّه ورسوله))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمر]

إذا الإنسان دعي إلى دعوة جيدة، ولبى الدعوة هو طبق السنة، لكن هذا التطبيق للسنة فيه مصلحة له، أما الذي يؤكد أنك مؤمن، الذي ينفي عنك شك النفاق، الذي يسكت الشيطان حينما تنفق من مالك، لأن المال محبب، محبب إليك أخذه لا إنفاقه، فحينما تنفق ترقى عند الله عز وجل، وتؤكد لنفسك، وللناس، ولمن حولك أنك محب لله عز وجل.

الصدقة التي تدفعها تسترضي الله بها وتطفئ بها غضبه:

لذلك الأقوياء أحياناً لا يسترضون، إن زلت قدمك مع إنسان قوي مهما استرضيته لا يرضى، لا بدّ من أن ينتقم منك، لكن الله جلّ جلاله، ذو الجلال والإكرام حينما تخطئ معه، وحينما تزل قدمك، وحينما يستوجب غضبه، فوراً فتح لك الباب، الباب أنه يسترضى، أن هذا الغضب يمكن أن يزول حينما تسترضيه بالصدقة، لذلك؛

((إن صدقة السر تطفئ غضب الرب))

[الرافعي عن ابن عباس]

((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

[أخرجه الطبراني عن علي بن أبي طالب]

فالإنسان أحياناً يخاف من عقاب إلهي، فالصدقة هذه التي تدفعها تسترضي الله بها، تطفئ غضب الله عز وجل، البلاء لا يتخطاها.

حتى إن هناك بعض الأحاديث في مجملها يقول عليه الصلاة والسلام:

((داووا مرضاكم بالصدقة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

فإنسان غلط، أخطأ، زلت قدمه، استوجب غضب الله عز وجل، الله يسترضى، يسترضى بدفع الصدقة، وهذه الصدقة تطفئ غضب الله عز وجل، هذه الصدقة تحول بين بلاء الله وبينك، كأنك ترد بها بلاء الله عز وجل، أو كأنك تطفئ بها بلاء الله عز وجل، وتقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير، وهذا شيء مجرب.

على الإنسان أن يجمع بين التوبة والإنفاق إن شعر أن نفسه يُستعصى عليها أن تتوب:

أخواننا الكرام، الإنسان يعقد التوبة مع الله عز وجل، أول توبة سهلة جداً لا تحتاج أكثر من أن تقول؛ يا رب لقد تبت إليك، وتشعر فوراً أن جبالاً فوق صدرك قد أزيحت عنك، أما المشكلة أن يقع الإنسان في الذنب مرة ثانية، عندئذٍ تضعف عنده إمكانية التوبة، الحل أن تجمع بين التوبة وإنفاق المال، كلما شعرت أن هناك حجاب، هناك حاجز، النفس يستعصي عليها أن تفعل هذا، ادعم توبتك بإنفاق المال.

لي قريب يبدو أنه سبح في مسبح خارج القطر، هناك جرثومة من أندر الجراثيم، هذه تسبب التهاب العصب السمعي، وإذا التهب هذا العصب ينتهي الإنسان إلى الصمم، فأنبأه الطبيب بحسب علمه أن هذا المرض نادر جداً، وقد أصبت به، وأغلب الظن أنك فقدت سمعك، فدخل إلى بيته، وألقى نفسه على الأرض، وصار يبكي كالصغار، شاب في ريعان الشباب سيفقد سمعه، فقد السمع

كان قد بدأ عنده، صار في تشويش، والمرض تفاقم عنده، بساعة من ساعات الخوف الشديد، والقلق الشديد، ناجى ربه قال؛ يا رب إن شفيتني لأدفع مبلغاً سماه، القصة من عشر سنوات تقريباً، المبلغ يساوي ثمن بيت، هو حالته المادية جيدة، على مسمع من أمه، قالت له أمه؛ افعل غير ذلك، لا، قالت له؛ إذاً ادفع هذا المبلغ الآن، من شدة حرصه على سلامة أعضائه، قال لها؛ سمعاً وطاعة، جاء بالمبلغ وأعطاه لوالدته، وأنفقت والدته المبلغ على الفقراء والمساكين، سبحان الله ! المرض تراجع شيئاً فشيئاً، والآن يتمتع بسمعه المرهف.

الله يسترضى، هذه نصيحة لوجه الله، أثناء التعامل معه غلطت، ماذا تفعل ؟ لم يبقَ أمل أبداً ؟ الإنسان يقول لك؛ لا يوجد أمل، تسترضي، تترجى، أبداً، أما عند الله عز وجل الصدقة تطفئ غضبه، والصدقة تحول بينك وبين بلائه، وعقابه، وتقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير، فكلما وجدت الطريق إلى الله مسدوداً، هناك حجب، هناك خطأ، ادفع صدقة.

الصدقة تدفع ميتة السوء:

((وتَدْفَعُ مِيتَة السُّوءِ))

ميتة السوء قضية، إنسان يموت في الطريق ! أنا مرة كنت في طريقي إلى عملي، وجدت إنساناً أمام قصر العدل ملقى على الطريق، ومغطى بقماش، ذهبت إلى عملي الساعة الثانية، الثالثة، الرابعة، رجعت مثلما هو، الطبيب الشرعي لم يأت، والناس محلقون حوله، وهناك إنسان يموت ببيته، على فراشه، أنا لا أنسى هذا الموقف.

مرة كنت بتعزية، جالس إلى جانبي عالم جليل من علماء الشام، فكان آخر من كلمه أنا، كلمته، وسألته عن صحته، وخرج من هذا البيت، ما إن خرج من هذا البيت إلا رآه شاب معه سيارة، لا يعرفه، لا يعرف اسمه، قال له؛ أتركب أستاذ معي ؟ قال له؛ الله يرضى عليك، ركب معه، أوصله إلى مدخل بيته في الميسات، صعد أربعة طوابق، دخل للبيت، نزع العمامة، وخلع الجبة، واستلقى على فراشه، وسلم روحه إلى بارئها، لو أحب أن يأخذ تكسي مات في التكسي، فأخذوه إلى المستشفى، و وضعوه في البراد، الله هيأ له إنساناً يعرض عليه الركوب بالسيارة حينما خرج من البيت، قضية دقائق كلها محسوبة، فإنسان يموت ببيته، بين أهله وأولاده.

فهذه الصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء، إنسان يموت أحياناً بمرحاض، يموت ببلد غريب، يضعونه في البراد، أحياناً يموت بوضع مهين، بوضع مشين، هو جالس الصورة شوشت، قال؛ حتماً هناك سارق على السطوح، سحب الإبرة التي في الدش، صعد و تعارك معه، فمات في سبيل الإبرة، إنسان يموت بحالات صعبة، يموت بأسباب تافهة، يموت وراء فيلم منحط، و هناك

إنسان يموت بمسجد، يموت أثناء الصلاة، يموت ببيته، فالميتة أنواع، لكن الصدقة تدفع ميتة السوء، و هناك حديث آخر:

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

كل شي وقع أراده الله و إرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة:

حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام:

((قال رجل لأتَصَدَّقَنَّ بصدقة فخرج بصدقتِهِ فوضعها في يدِ سارق فأصبحوا يتحدَّثون تُصُدِّق الليلة على سارق الناس فقال اللهم لك الحمد على سارق تألم لأتصدقنَّ بصدقة فخرج بصدقتِهِ فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدَّثون تُصُدِّق الليلة على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية لأتصدقنَّ بصدَقة فخرج بصدقتِهِ، فوضعها في يد غنيّ، فأصبحوا يتحدَّثون؛ تُصُدِّقَ الليلة على غنيّ فقال؛ اللهم لك الحمد على سارق، وزانية وغنيّ، فأُتيَ في المنام فقيل له أمَّا صدقتُكَ على سارق فلعلَّه أن يَسْتَعِفَّ عن سرقته وأمَّا الزانيةُ فلعلها أن تستَعِفَّ عن زناها وأما الغنيُّ فلعله أن يعتبرُ فينفِقُ مما أعطاه الله عز وجل))

[متفق عليه، واللفظ للبخاري عن أبي هريرة]

وفي رواية مسلم:

((أمَّا صَدَقَتُكَ فقد تُقُبِّلَتْ))

حديث دقيق، أنت اجتهدت مع كل اجتهادك هذه الصدقة وصلت لإنسان غير مستقيم، أنت اجتهدت لكن الله أراد أن تكون هذه الصدقة في يد هذا الإنسان، لحكمة يعلمها الله عز وجل، فالإنسان المنحرف عندما دفعت له هذه الصدقة استحيا من الله وتاب، فأنت تعلم ولكن الله أعلم، أنت اجتهدت، فالإنسان يغلط أحياناً رغم اجتهاده الشديد يغلط، فإذا غلطت، فالذي وقع هو الذي أراده الله عز وجل، كل شي وقع أراده الله، و كل شيء أراده الله وقع، و إرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، فأنت حينما تجتهد وقد ينحرف اجتهادك إلى ما لا تريد، هذا الذي لم ترده هو عين الحكمة والرحمة.

إنسان صادق اجتهد، اجتهد، اجتهد، فإذا بالصدقة في يد سارق، اجتهد فإذا بالصدقة في يد غني، أحياناً الإنسان يوهمك، ويقنعك أنه فقير و يكون غنياً، أنت مقبولة صدقتك، أنت مجتهد لك أجر، لو أخطأت، وخطأك هو الصواب عند الله عز وجل، أحياناً الإنسان لا يعلم السبب.

والله أنا سمعت عن بعض العلماء قديماً يدفع بعض الصدقات للبغايا، تتوب وتستحي، أن هناك من يتذكرها وهي بغي ! تتوب.

فأنا مكلف أن أعطي الصدقة لإنسان فقير، أما حينما أجتهد وأخطئ في الاجتهاد وتصل إلى غني، أو إلى سارق، أو إلى زانية، لا أعلم ما الذي يحدث، ربما تاب هذا الإنسان، الغني استحى من الله، السارق كفّ عن سرقته، الزانية كفت عن زناها، أحياناً هناك قسوة بالغة، يريد ممن يعطيه أن يكون ولياً تقياً نقياً، هذا الإنسان المقصر ليس له شيء ؟ أنت بالمعاونة تلين له قلبه، يمكن ألا تعطي هذه الصدقة إلا لإنسان يكون معه شهادة حسن سلوك، وورع، وتقي، ونقي ؟ لا، أنت اجتهد، أما حينما تصل الصدقة إلى من لا يستحقها هذه مشيئة الله عز وجل، وهناك حكمة بالغة منها، وأروع شرح للحديث أن يا رب لك الحمد لا لي، لأن صدقتي وقعت بيد من لا يستحقها، أنا لم يعد لي فضل، أنا اجتهدت فأخطأت، لك الحمد أنت.

العمل عند الله يقيّم بحجمه ونيته وهدفه:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال؛ قال عليه الصلاة والسلام:

((سبق درهم مائة ألف درهم، فقال رجل وكيف ذاك يا رسول الله قال رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به))

[رواه النسائي عن أبي هريرة]

رجل ميسور الحال أحبّ أن يعمر مسجداً في الشام، فبحث عن أرض تناسب هذا البناء، وجد أرضاً في نهر عيشة مناسبة جداً لبناء مسجد، سأل عن صاحبها فإذا هو رجل ورثها إرثاً، وهو يعمل آذن في مدرسة، ولا يملك من الدنيا إلا هذه الأرض، تساوم هو وإياه على ثمنها، فاستقر السعر والاتفاق على ثلاثة ملايين ونصف، وكتب الذي يريد إنشاء هذا المسجد لهذا الإنسان الشيك ـ والمهندس أحد أخواننا ـ بمليوني ليرة كدفعة أولى ، والرصيد عند الفراغ، فوقع الشيك واستلمه، وانتهى كل شيء، قال له:الرجاء غداً بالأوقاف، قال له: لمَ الأوقاف ؟ قال له: من أجل أن تتنازل عنها لتكون مسجداً، قال له: مسجد ؟! قال له: طبعاً، قال له؛ هات الشيك، أخذه ومزقه، قال له؛ أنا أولى بك لتقديمه لله عز وجل، هذا الآذن الذي لا يملك إلا راتبه ثلاثة آلاف ليرة، وهذه الأرض، يقول هذا الغني؛ والله ما صغرت في حياتي أمام إنسان كما صغرت أمام هذا الفقير، أنا معي مئتي مليون أدفع ثلاثة ونصف منهم لمسجد، أما هذا الآذن لا يوجد إنسان أحوج لهذا المال من هذا الآذن، والمسجد كلف اثني عشر مليوناً، ومن أضخم المساجد في ذلك الحي، وانتهى إعماره، والذي قدم الأرض لا يملك من الدنيا إلا هذه الأرض، لذلك:

((سبق درهم مئة ألف درهم))

عند الله عز وجل يوجد حسابات، عند الناس دفع ألف ليرة، لكن عند الله ألفين، دفع نصف ماله، عند الله عز وجل العمل يقيّم بحجمه، وبنسبته إلى مجموع المال، وبنيته، وبهدفه.

عمر الإنسان بحجم عمله الصالح:

آخر حديث:

قال عليه الصلاة والسلام:

((إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبر والفقر والفخر))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عوف]

تزيد في العمر أي يزداد عملك الصالح، لأن الإنسان عمره بحجم عمله الصالح، فإذا فعلت في هذا العمر أعمالاً طيبة هذه تزيد في العمر.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٦-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في الصدقة والحث عليها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

العمر يزيد بالعمل الصالح لأن الوقت لا قيمة له إنما العبرة في المضمون:

قال عليه الصلاة والسلام:

((إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء يذهب الله بها الكبر والفقر والفخر))

[أخرجه الطبراني عن عمرو بن عوف]

من الثابت أيها الأخوة، أن العمر لا يزيد ولا ينقص.

(فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)

(سورة النحل)

إلا أن العلماء يرون أن التوفيق بين هذه الأحاديث وبين الآية الكريمة يكون على الشكل التالي: العمر وعاء ، والأعمال الصالحة مضمون هذا الوعاء ، فكلما زادت الأعمال الصالحة ازداد المضمون ، ومادام العمر يقاس بالمضمون ، إذاً الأعمال الصالحة تزيد في العمر ، فالوقت لا قيمة له، العبرة في المضمون.

كما لو أن إنساناً فتح محلاً تجارياً ثماني ساعات، وجمع في مجموع المبيعات ألف ليرة ، و إنسان آخر فتح ساعة وجمع مليون ليرة ، فالعبرة لا في مدة فتح المحل بل العبرة في محصول البيع في هذا الوقت المحدود.

فهناك أناس عاشوا عمراً قصيراً لكن ملؤوا الدنيا بأعمالهم الصالحة ، وبعلمهم تركوا آثاراً طيبة جداً ، وهناك أناس عاشوا عمراً مديداً ومع ذلك أعمالهم ضحلة ، فزيادة العمر في هذا الحديث تعني أن العمر يزيد بالعمل الصالح.

((إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء))

[أخرجه الطبراني عن عمرو بن عوف]

صنائع المعروف تقي مصارع السوء:

ربنا عز وجل يقول:

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)

(سورة الجاثية الآية: ٢١)

معنى ذلك أن الموت قد يكون بشكل يرضي ، أو بشكل لا يرضي ، هناك إنسان يموت في أسوأ حالاته، يموت وهو متلبس بمعصية ، يموت وهو غارق في لذة محرمة، يموت في مكان حقير ، يموت في وضع حقير ، وهناك إنسان يموت في أعظم الأوقات بركة، في أشرف الأماكن ، في أحل الحالات ، بين أهله ، بين أولاده ، ميتة السوء نعوذ بالله منها.

لكن هناك حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه]

أنا ذكرت لكم قصة أرددها كثيراً: كنت في تعزية وكان إلى جانبي أحد علماء دمشق ، ممن يشهد لهم الناس بالصلاح ، والورع ، والجرأة ، والإخلاص ، سألته عن أحواله وعن صحته لا يشكو شيئاً ، خرج من التعزية ، لم يمش متراً إلا و ناداه رجل لا يعرف اسمه، لكن مظهره الإسلامي دعاه إلى أن يركبه في مركبته ، فالذي أركبه في المركبة يسكن إلى جانب بيت التعزية بأمتار ، أركبه وأوصله إلى بيتِهِ ـ بيتهُ في الميسات ـ صعد أربعة طوابق، دخل إلى البيت، خلع الجبة والعمامة، اضطجعَ على السرير، وأسلم روحه لبارئها.

لو أراد أن يستأجر سيارة لمات في السيارة، مات على فراشه، الله تعالى ألهم هذا الإنسان أن يوصله إلى بيته، أي هناك ثوان بين خروجه من مكان التعزية ، و بين وصوله إلى البيت ، ولولا ذلك لمات في السيارة، ولأخذ إلى البراد، وأودع هناك إلى أن يأتي أهله ويستلمونه.

الإنسان أحياناً يموت ببيته ، بين أولاده ، بين أهله ، يودع كل من حوله، وإنسان يموت فجأة ، موت الفجاءة أخذت أسفاً للكافر، ورحمة للمؤمن ، المؤمن يموت فجأة كل الناس يفتقدونه ، أما إذا بقي ضجيع الفراش سنوات وسنوات أقرب الناس إليه يتمنى موته، أما حينما يؤخذ سريعاً يترك أثراً كبيراً، على كلٍ:

((إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبر والفقر والفخر))

[أخرجه الطبراني عن عمرو بن عوف]

الله تعالى وحده يعلم نسبة ما ينفق كل إنسان من ماله و يجازيه على ذلك:

هناك حديث آخر:

((سبق درهم مئة ألف درهم فقال رجل وكيف ذاك يا رسول الله قال: رجل له مال كثير أخذ من عرضه مئة ألف درهم تصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به))

[أخرجه النسائي والإمام أحمد عن أبي هريرة]

فهذا الدرهم سبق مئة ألف، قضية نسبة.

وأنا قلت لكم مرة إنسان يعمل مستخدماً في مدرسة، ورث أرضاً بثلاثة ملايين ونصف، جاء رجل ميسور مليء صاحب ثروة طائلة جداً ، يريد أن ينشئ مسجداً، بحث عن أرض مناسبة فوجد هذه الأرض مناسبة ، ساومه على سعرها ، استقر المبلغ على ثلاثة ملايين ونصف، أعطاه شيكاً بمليوني ليرة، وقال له: نلتقي غداً بالأوقاف لأعطيك البقية بعد التنازل ، قال له: لماذا الأوقاف ؟ قال له: من أجل أن أنشئ مسجداً على هذه الأرض، قال له: مسجد ؟ قال له: طبعاً، قال له: أعطني الشيك ، أخذه ومزقه ، قال له: أنا أقدمه لا أنت ، وقدم هذه الأرض لوجه الله تعالى، والآن المسجد بنهر عيشة من أرقى المساجد، كلف اثني عشر مليوناً ، أرض هذا السجد تبرع بها إنسان لا يملك من هذه الدنيا إلى هذه الأرض.

فإذا إنسان يملك مئتي مليون ودفع ثلاثة ونصف مليون ، وإنسان معه ثلاثة ونصف مليون لا يملك غيرهم دفعهم لله، أليس هذا معنى قول النبي:

((سبق درهم مئة ألف درهم))

[أخرجه النسائي والإمام أحمد عن أبي هريرة

القضية قضية نسبة.

فإذا إنسان دخله قليل ودفع مئة ليرة أو ألف ليرة هذه عند الله تساوي مليون ليرة لأنها تقاس بنسبتها إلى ماله.

المَواطن التي تذكر فيها الصدقة من أجل أن تشجع الناس والمواطن التي تستر فيها:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((سَبْعَة يظِلُّهمُ الله في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّ من هؤلاء ورجل تَصدَّق بصدقة فأخْفاها حتى لا تعلم شمالُهُ ما تُنْفِقُ يمينه))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أحياناً الصدقة حينما تتجه لإنسان ، وأنت تذكر هذه الصدقة فضحت الإنسان ووضعت مكانته في الوحل ، أحياناً في مواطن لابد من أن تذكر ماذا تفعل ؟

أنا أذكر لسنوات عدة في رمضان أدعى لميتم سيد قريش ، يقام حفل بعد الإفطار، يدعى أهل اليسار في البلدة ، وتلقى كلمات ثم يدعون إلى التبرع ، وكنت أتولى إلقاء هذه الكلمة ، وأحثهم على التبرع كل عام ، الحصيلة بنصف ساعة ، أو ربع ساعة ستة ونصف مليون ، أو سبعة مليون، أحياناً ثمانية، طبعاً كل إنسان له حجم مالي، لا يليق أن يدفع أقل من حجمه المالي ، يقول لك هذا: أنا سأدفع خمسمئة ألف ، هذا مئة ألف ، هذا أربعمئة، وأحياناً تحدث منافسة شريفة فيدفعون أكثر ، آخر سنة الذين أخطؤوا رؤوا أن يوزعوا على الحاضرين أوراقاً يكتب كل إنسان بكم يتبرع ، الحصيلة أقل من مليون، كانت ثمانمئة ألف، من ستة ونصف مليون إلى ثمانمئة ألف، الله عز وجل قال:

(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)

(سورة البقرة الآية: ٢٧١)

معنى هذا أن هناك موطناً ينبغي أن تذكر من أجل أن تشجع الناس ، أن تجعلهم يتنافسون في الدفع، مثلاً إذا مشروع خيري، ثانوية شرعية ، ميتم ، مشروع طيب ، أما إذا كان المال موجهاً لإنسان بالذات ينبغي أن تكتم ، فهناك موطن ينبغي أن تكتم، وأن تخفي، وهناك موطن ينبغي أن تجهر، هنا لعل النبي عليه الصلاة والسلام ذكر الموطن الذي ينبغي أن تسكت ، و أن تكتم.

مهما كان ذنبك عظيماً الله جلّ جلاله يسترضى بالصدقة:

إذاً:

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة]

أجمل ما في هذا الحديث أن الله يسترضى.

إنسان غلط ، أساء ، قصر ، تجاوز الحد ، إذاً ما العمل ؟ ييأس ، نقول له: لا تيأس من رحمة الله عز وجل، لو إن الإنسان يئس لفجر ، نقول: مهما كان ذنبك عظيماً الله جلّ جلاله يسترضى ، يسترضى بالصدقة.

((صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة]

أيضاً يقاس على الحديث السابق أن الله عز وجل جعل نظام الحياة الإنسانية أساسه التكافل الاجتماعي، والتكافل الاجتماعي على أساس أسرة ، فكل إنسان حوله أقارب، عليه أن يلبي حاجات الأقارب قبل أن ينتقل إلى الآخرين ، فإذا كل أسرة ضمنت حوائج أقاربها فالناس كلهم بخير.

صلة الرحم دعوة إلى الله وإلى التعاون و تفقد الأحوال:

لذلك صلة الرحم المقصود بها الزيارة أولاً ، وتفقد الأحوال ثانياً ، ثم المعاونة ثالثاً ، ثم الدعوة إلى الله رابعاً، هذه صلة الرحم.

تعمل زيارة تتفقد الأحوال المعاشية ، الدينية ، الاجتماعية ، العلمية ، ثم تمد يد المعاونة ، ثم تأخذ بيد هؤلاء إلى الله ، هذا معنى الصلة ، أما هذه الصلة العظيمة التي هي أحد أسباب تكافل المجتمع ، انقلبت إلى زيارة فقط ، يكون القريب غنياً ميسوراً، معه مال وفير، يطرق باب أقربائه فقط، يزورهم يضيفونه لأن له مكانته، يتدينون حق الفواكه أحياناً، هو يأكل ويسر، ويقول: أنا وصلت رحمي ، أنت ميسور ، أنت حينما تزور هؤلاء ينبغي أن تعرف أحوالهم، أن تعرف ماذا ينقصهم ، أن تعرف ماذا يعانون من مشكلات، عليك أن تزورهم، وأنت تتفقد أحوالهم ، وأن تمدهم بيد المعونة ، ثم في النهاية عليك أن تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل ، ما معنى صلة الرحم ؟ أي دعوة إلى الله ، دعوة إلى التعاون ، أي تفقد الأحوال، تبدأ بالزيارة ، أما إذا اكتفيت بالزيارة ما فعلت شيئاً، ماذا قدمت ؟.

الصدقة على ذي الرحم اثنتان صدقة و صلة:

و النبي صلى الله عليه وسلم قال أيضاً :

((الصَّدَقَةُ على المسكين صَدَقَة وعلي ذي الرَّحِمِ اثْنَتَان صَدَقَة وَصِلَة))

[رواه النسائي والترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم عن سلمان بن عامر]

مثلاً: شخص له قريب في ضائقة، ومدّ له يد العون، فعل شيئين لا شيئاً واحداً، فعل ما يسمى بالصدقة، وفعل ما يسمى بالصلة ، عملان صالحان في عمل واحد.

لذلك لا تقبل زكاة إنسان وفي أقربائه محاويج، فلتبدأ بالأقرباء ، وأنت أعلم الناس بهم، له أخ ، له ابن أخ ، له عمة ، له خالة ، له قريب، يعرف أوضاعهم المعيشية تماماً، يعرف أحوالهم ، حاجاتهم، عندهم مشكلة ، عندهم مرض ، عندهم قضية ، عندهم قسط، عندهم قسط مدرسة مثلاً ، عندهم عملية جراحية يعرف ، أنت الذي تعلم من هم الذين يعانون من ضائقة.

العطاء يذيب الحقد و العداوة بين الناس:

رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((عن الصدقات أيهما أفضل قال على ذي الرحم الكاشح))

[أخرجه الطبراني عن حكيم بن حزام]

الكاشح ، الكشح هو الخصر ، الكاشح الذي يضمر في باطنه عداوة.

أحياناً يوجد بين الأقرباء تنافس ، و حسد ، و مشكلة ، فهذا الذي يعاديك ، هذا الذي يحسدك ، هذا الذي يتكلم في غيبتك ما لا يرضي ، هذا الذي ينطوي على حقد ، أو على حسد، أو على ضغينة، أعطه.

((على ذي الرحم الكاشح))

[أخرجه الطبراني عن حكيم بن حزام]

لأن العطاء يذيب الحقد ، الهدية تذهب بوحر الصدر.

فإذا كان هناك قريب يحسدك ، فقير وأنت أحوالك ميسورة ، وتكلم عنك كلاماً غير صحيح، وبلغك الكلام ، لا تعاقبه بالحرمان عالجه بالعطاء.

أحياناً الإنسان لسبب اجتماعي يمنع عطاءه يقول لك: هذا تكلم عني، فهو عديم الوفاء و الأخلاق ، لن أعطيه ، بالعكس أنت حينما تعطيه تقطع لسانه ، اللسان يقطع بآلة حادة ، أو بالإحسان.

هناك كثير من الأشخاص لهم لسان طويل ، أنت حينما تكرمهم وتعطيهم تقطع لسانهم عنك ، فهذه حكمة ، وهذا عمل طيب.

إذاً: الكاشح هو الذي يضمر عداوة ، فأنت بالعطاء تعالجه، وبالمنع تزيد حقده وعداوته، و الله عز وجل يريد أن نكون متواصلين متحابين.

المال الفائض عن حاجة صاحبه إن منعه عن الآخرين تمثل له يوم القيامة شُجاعاً أقْرَعْ :

وعن بَهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه:

((قال قلت يا رسول الله مَن أبَرُّ قال أمَّك ثم أمَّك ثم أمَّك ثم أبَاكَ ثم الأقربَ فالأقربَ وقال عليه الصلاة والسلام لا يَسْألُ رجلٌ مولاه من فَضْلٍ هو عنده فيمنَعَه إياه إلا دُعِيَ له يوم القيامة فَضْلُه الذي مَنَعه شُجاعاً أقْرَعْ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن بَهز بن حكيم عن أبيه عن جده]

الحديث له معنى جديد ، إنسان ميسور معه مال ، له مولى ، له قريب ، له صديق بحاجة إلى هذا المال ، وهناك ضمانة أن تسترده ، لكن برأيك الأفضل لك إن قلت له: لا أملك هذا المال الذي تريده، وإذا كان هذا الإنسان معروفاً بالغنى يقول لك: لا يوجد معي سيوله، إذاً هذا الرفض أو هذا المال الفائض عنده يتمثل له يوم القيامة شُجاعاً أقْرَعْ .

أي حنش كبير ، ثعبان كبير ، معمر له ذؤابتان ، وقد سقط شعر رأسه، شجاع أقرع مخيف جداً ، فهذا المال الزائد الذي منعه من يستحقه يتمثل له يوم القيامة شُجاعاً أقْرَعْ.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٧-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في القرض وماجاء في فضله - الترغيب في التيسير على المعسر وإنظاره والوضع عنه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٧-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء:

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((كل قرض صدقة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

أيها الأخوة، نحن في دار ابتلاء ، لسنا في دار جزاء ، ما دمنا في دار ابتلاء شاءت حكمة الله عز وجل أن يتفاوت الناس في الرزق ، هذا التفاوت يرقى بهم جميعاً ، يرقى الغني حينما ينفق ، ويرقى بالفقير حينما يقترض ويرد القرض ، ويسقط الغني إذا امتنع، ويسقط الفقير إذا اقترض ولم يرد القرض، فنحن في دار ابتلاء.

إذاً: أخوك عندما يحتاجك هذا ابتلاء لك وله ، ابتلاء لك هل تعطي أم تمنع ؟ وابتلاء له هل يرد القرض أما لا يرده ؟.

((والناس معادن))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

كما قال عليه الصلاة والسلام.

كل عمل صالح يفعله الإنسان هو قرض لله جلّ جلاله:

إلا أن الله سبحانه وتعالى جعل كل عمل صالح إطلاقاً قرضاً له جلّ جلاله، قال تعالى:

(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً)

(سورة البقرة الآية: ٢٤٥)

أي إذا عالجت حيواناً مريضاً هذا قرض لله عز وجل، إذا كنت طليق الوجه بأخيك هذا قرض لله عز وجل ، إذا عدت مريضاً فكأنما زرت الله عز وجل ، إن أطعمت فقيراً فكأنما أطعمت الله عز وجل، شاءت حكمت الله بآية قطعية الدلالة ، أن يكون كل عمل صالح على الإطلاق قرضاً لله عز وجل ، والله عز وجل هو الذي سيكافئ.

قبل يومين جرى احتفال بسيط لطلاب معهد تحفيظ القرآن الكريم ، قلت للأساتذة: لا يمكن أن يكافئكم أحد إلا الله عز وجل ، لأنهم داوموا ، وتعبوا ، وحضّروا ، ودرّسوا لوجه الله دون أن يأخذوا شيئاً ، فالله وحده هو الذي يكافئ ، والإنسان مهما أعطى، عطاؤه لن يكون مكافأة أبداً ، لأن الدنيا بأكملها حتى لو نلتها هي مؤقتة ، وزائلة ، الدنيا كلها ليست عطاءً، لو الله أعطاك الدنيا كلها ، مال الدنيا ، عزّ الدنيا، سلامة الدنيا ، لو أعطاك الدنيا كلها، مادامت الدنيا تنتهي عند الموت إذاً ليست عطاءً.

((لو كَانت الدُّنيا تَعْدِلُ عند الله جَناحَ بَعُوضَةٍ ما سقى كافراً منها شَرْبَةَ))

[أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد رضي الله عنه]

ليست عطاء إنما هي دار ابتلاء.

القرض يفعل في النفس فعلاً أبلغ من فعل الصدقة:

إذاً:

((لكل قرض صدقة))

أنت حينما تقرض ، وحينما تسترد القرض ، حينما تقرض كُتب عند الله صدقة، لأن ما كل إنسان يأخذ صدقة ، أما يمكن أن يقترض الإنسان وهو في أعلى درجات الشعور بالاعتزاز، هذا قرض.
وفي حديث آخر:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِماً قَرْضاً مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً))

[أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود]

أحياناً القرض يفعل فعلاً أبلغ من فعل الصدقة ، فأحياناً تجد أن هذا الإنسان حينما تقرضه تنعشه ، وحينما تقرضه تنهضه ، وحينما تقرضه تسري عنه ، فأحياناً يكون القرض كصدقة مرتين أي مضاعفاً.

من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة:

((من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة))

[أخرجه مسلم وابن حبان عن أبي هريرة]

هناك أشخاص متشددون متزمتون يقولون: نأخذ حقنا لا ندع منه شيئاً ، كفى بك إثماً أن تقول: آخذ حقي لا أدع منه شيئاً.

((من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة))

[أخرجه مسلم وابن حبان عن أبي هريرة]

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((رحم الله سهل الشراء سهل القضاء سهل التقاضي))

[الطبراني عن عثمان بن عفان]

من كان سهلاً في بيعه وشرائه ، وفي قضائه واقتضائه.

أي إذا استرد ماله بلطف يقول لك: استحق السند ، لكن هناك وضع صعب وأنت تعلم أن الوضع صعب.

فلذلك هناك دائنون شديدون جداً ، وهناك دائنون متساهلون هؤلاء يرحمهم الله.

((رَحِمَ اللَّهُ رجلاً سَمْحاً إذا باع سَمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى سهلاً إذا اقتضى))

[أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله]

((من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة))

[أخرجه مسلم وابن حبان عن أبي هريرة]

من تساهل مع الناس في أمورهم يسر الله حسابه يوم القيامة:

هناك أشخاص يعيشون على مشكلات الناس ، يعيشون على متاعبهم ، يقول للآخرين: نحن شعارنا ربي عسر ولا تيسر ، هكذا يقول ، وحينما يأتيه المرض الخبيث ، وحينما يريد الله عز وجل أن يؤدبه لا أحد يستطيع أن يمنع عنه التأديب.

حاج راكب بالباخرة ، حوله حجاج يتحدثون عن أعمالهم ، عن تجارتهم ، هذا الحاج موظف في المالية سجل الحديث كله ، وهو في الباخرة ، وهو في طريقه للحج ، فلما عاد إلى بلده حاسبهم جميعاً على تصريحاتهم.

وأنت بعبادة ، والناس مطمئنين ، وأنت تلبس لباس الإحرام ، هناك شخص متشدد وهذا المتشدد يعاني من عقوبات صعبة جداً.

((من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة))

[أخرجه مسلم وابن حبان عن أبي هريرة]

((إن أول الناس يستظل في ظل الله يوم القيامة لرجل أنظر معسراً حتى يجد شيئاً أو تصدق عليه بما يطلبه يقول ما لي عليك صدقة ابتغاء وجه الله ويخرق صحيفته))

[أخرجه الطبراني عن أبي اليسر رضي الله عنه]

أنا مرة كنت في بلدة ، فرجل بائع أقمشة، محترم جداً، دعانا إلى طعام، ويبدو أن أموره ميسورة ، حدثني عن اسم تاجر بالشام وصار يبكي ، ما قصة هذا التاجر ؟ كان عليه مبلغ ضخم لهذا التاجر، جاء هذا التاجر ليطالبه لكن لا يوجد معه مال ، فدعاه هذا الشخص إلى تناول طعام الغداء، قال له: لكن بالبيت ، فلما جاء بيته رآه بيتاً صغيراً ، فأدرك هذا التاجر أن هذا الشخص معسر ، قال له:

هات السندات، و عندما أخذ السندات مزقها كلها ، و قال له: انزل وخذ بضاعة أخرى، فرجع هذا مجبور الخاطر، فلما شعر هذا التاجر أن الموضوع ليس موضوع أكل مال ، موضوع ضيق مادي، أعطاه بضاعة أخرى ، والله عز وجل أكرمه بهذه البضاعة الثانية إكراماً شديداً، باعها وربح وسدد ديونه كلها، وأرانا بيتاً واسعاً جداً ، ومحلاً كبيراً ، وضعه المادي والاجتماعي جيد جداً ، يقول كل هذه الثروة هي بسبب هذا التاجر الذي مزق السندات ، وأمهلني سنة، طبعاً بعد ذلك سدد جميع الديون.

حقوق العباد مبنية على المشاحة و حقوق الله مبنية على المسامحة:

أحياناً الإنسان يعمل عملاً صالحاً ، و هنا الحديث يقول:

((ما لي عليك صدقة ابتغاء وجه الله ويخرق صحيفته))

[أخرجه الطبراني عن أبي اليسر رضي الله عنه]

السند أحرقه ، وفي الشرح من نفس عن غريمه ، أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة. أي ترك له شيئاً من المال، أو سامحه فيه ، نحن نمتحن دائماً ، نمتحن في أخذنا وفي عطائنا ، نمتحن في إقراضنا وفي اقتراضنا ، وأنت ممتحن دائماً.

ولا تنسوا أيها الأخوة، أن حقوق العباد مبنية على المشاححة ، وأن حقوق الله مبنية على المسامحة.

والشيء الثاني: رجل جاء النبي عليه الصلاة والسلام ، فسأله: هل يغفر للشهيد كل ذنب ؟ قال: نعم، لكن النبي يوحى إليه، ما إن غادر هذا السائل بيت النبي حتى جاء الوحي و ناداه وقال له: يا هذا إلا الدين ، الشهيد ، أي أثمن شيء تملكه حياتك ، الشهيد قدمها ، ومع ذلك الدين لا يغفر ، فقال إلا الدين: وكان عليه الصلاة والسلام إذا مات أحد أصحابه ، وأراد أن يصلي عليه يقول أعليه دين؟: فإن قالوا: نعم، يقول: صلوا على صاحبكم ، كان عليه الصلاة والسلام يرفض أن يصلي على من عليه دين.

مرة قال أحد الصحابة: يا رسول الله عليّ دينه ـ أي أنا أقضي دينه ـ صلِّ عليه، فصلى عليه ، و في هذا الحديث زيادة ، في اليوم التالي سأل النبي عبد الله بن مسعود أديت الدين ؟ لأنه هو المتعهد، قال له: لا ، في اليوم الثالث سأله مرة ثانية أديت الدين ؟ قال: لا، هو تعهد لكنه لم يؤدّ الدين بعد ، في اليوم الرابع سأله مرة ثالثة هل أديت الدين ؟ قال: نعم ، فقال عليه الصلاة والسلام: الآن ابترد جلده ، ابتراد جلده لا بالتعهد ، بل بأداء الدين. حقوق العباد مبنية على المشاححة ، وحقوق الله مبنية على المسامحة.

من الأعمال الصالحة الكبيرة جداً أن تنظر معسراً أو تتجاوز عنه:

((من أخذ أموال الناس يُريدُ أداءها أدَّى الله عنه))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

أحد أخواننا وقع في أزمة مالية ساحقة ، لدرجة أنه كاد يفقد كل شيء ، عليه مبلغ مليون ليرة ، أنا رأيت بعيني فعل الله عز وجل ، أنا لا أشك أبداً أن هذا الأخ لا يريد أن يأكل مالاً حراماً إلا أنه لا يملك شيئاً، عليه مبلغ وأصبح عليه إشكال في العمل التجاري، أي قصة طويلة انتهت به إلى أنه لا يملك قوت يومه ، عليه مليون ، الذي له المليون لا يملك من الدنيا غيرها، يعيش منها، الاثنان معهم حق ، وأنا كنت الحكم بينهما، هذا الأخ أنا لا أشك أنه لا يريد أن يؤدي ما عليه.

الذي حصل أنه سافر إلى حلب ، وفي حلب بعض أصحاب المعامل الأتقياء أعطوه بضاعة جيدةً جداً ، وقالوا له: بعها ثم أدِّ ثمنها ، والله عز وجل أكرمه، بيعت بشكل عجيب رغم الكساد العام ، واستطاع أن يؤدي الدين كله ، فكان هذا الأخ قصته تؤكد هذا الحديث:

((من أخذ أموال الناس يُريدُ أداءها))

هو والله يريد أداء هذا المبلغ لكن الله يسر له، ألقى بقلب صاحب المعمل أن يعطيه بضاعة من دون مقابل، وبضاعته راجت جداً ، واستطاع خلال أقل من عام أن يؤدي هذا المليون لصاحبه بالتمام والكمال.

فالذي عليه دين لمجرد أن ينوي أداء هذا الدين ، الله جلّ جلاله ييسر له عمله.

آخر حديث:

((حوسب رجل فلم يوجد له خير و كان ذا مال فكان يداين الناس و كان يقول لغلمانه من وجدتموه غنيا فخذوا منه و من وجدتموه معسرا فتجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عني فقال الله تعالى أنا أحق أن أتجاوز عنه))

[شعب الإيمان عن أبي مسعود البدري]

من الأعمال الصالحة الكبيرة جداً أن تنظر معسراً ، وإذا كنت في بحبوحة شديدة وهذا المدين بضيق شديد وأردت أن تتصدق عليه بهذا المبلغ لا مانع ، بنصفه ، بثلثه، بثلثيه، يمكن أن تتنازل له عن بعض هذا المبلغ.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٨-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في الإنفاق في وجوه الخير كرما والترهيب من الإمساك والادخار شحا

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الوسائل التي يمكن أن يعوض فيها المال و أن يتلف فيها لا تعد ولا تحصى:

قال عليه الصلاة والسلام:

((مَا مِنْ يوم يُصبحُ فيه العبادُ إلا مَلَكان يَنْزِلان من السماء يقول أحدهما اللهم أعْطِ مُنْفِقا خَلَفاً ويقول الآخر اللهم أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً))

[البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

المنفق أعطه خلفاً، والمنفق أعطه تلفاً، والوسائل التي يمكن بها إتلاف المال لا تعد ولا تحصى، قد يحترق المال، قد يضيع، قد يُسرق، قد تشتري بضاعة تظنها رائجة فإذ هي كاسدة، الوسائل التي يمكن أن يتلف فيها المال لا تعد ولا تحصى، قد تأتيك ضريبة ظالمة، قد تدفع نفقة تالفة، فالذي ينفق ربنا جلّ جلاله يحفظ له بقية ماله، ثم يخلفه أضعافاً مضاعفة، وكل مؤمن له في هذا الموضوع تجربة أي يعلم ما معنى هذا الحديث، أيضاً الوسائل التي يمكن أن يعوض فيها المال أضعافاً مضاعفة.

أحد أخواننا الكرام له قريب توفي، دخله محدود، فلما جاء إلى بيت قريبه، و لا يزال على المغتسل سأل أعليه دين ؟ قالوا: نعم، استحيا أن يسألهم كم الدين، قال: دينه عليّ، وهو يتوهم عشرة، خمسة عشر، وضع السقف أن يكون الدين ثلاثين ألفاً، في اليوم التالي تبين له أن عليه مئة وثلاثين ألفاً، لم يتراجع، دفع المبلغ، والله في صحن الجامع ذكر لي هذه القصة، قال: في اليوم التالي ـ هناك كساد بالأسواق عجيب، هو عنده معمل ـ بعت صفقة، الهواتف للمعمل لا تعد، بعنا بشكل غير طبيعي، نصيبي ـ هم ثلاثة شركاء ـ من الربح الصافي في يوم واحد كان مئة وثلاثين ألفاً، الذي أنفقه، والله تكلم القصة بصحن المسجد وبكى.

المنفق الله جلّ جلاله يعطيه خلفاً، والممسك يعطيه تلفاً، غلطة بالاستيراد، أرقام الأثواب غير الوثائق، مع أنه دفع الجمرك الكامل، لكن هذا يعد خطأ كبيراً، قال لي: دفعنا ستمئة و خمسين ألفاً، هذا دفع مليوني ليرة، هذا خمسة ملايين، هذا ثمانية ملايين، هذه قصص يومية، غلطة بسيطة جداً في البيع والشراء، بضاعة لها مشكلة، بضاعة صودرت، نسي توقيعاً فالبضاعة لم تدخل، هؤلاء التجار.

المزارعون: آفة، ذبابة بيضاء، صقيع، في كل المصالح هناك وسائل إتلاف المال لا تعد ولا تحصى، ووسائل تعويض المال لا تعد ولا تحصى، فليت الإنسان يخضع لقانون العناية الإلهية.

((مَا مِنْ يوم يُصبحُ فيه العبادُ إلا مَلَكانِ يَنْزِلان يقول أحدهما اللهم أعْطِ مُنْفِقا خَلَفا ويقول الآخر اللهم أعْطِ مُمْسِكا تَلَفا))

[البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

الغني إن بخل بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره:

في القرآن ثماني آيات، حصراً تبشر المنفق بالتعويض، قال تعالى:

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ)

(سورة سبأ الآية: ٣٩)

إذا الإنسان أنفق الله عز وجل يعطيه أضعافاً مضاعفة، وإذا أمسك ! سيدنا علي يقول: قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ".

فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره، إذا أغنياء المسلمين ما رعوا فقراء المسلمين لعل فقراء المسلمين لا يتجهون إلى جهة ترضي الله عز وجل، بدافع الحاجة.

تحريم تخزين الطعام مخافة الفقر:

((دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صُبر من تمر أكوام من تمر فقال ما هذا يا بلال قال أعد ذلك لأضيافك فقال أما تخشى أن يكون له دخان في نار جهنم))

[البزار و الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

أي تخزين الطعام خوف الفقر، وعدم إنفاقه، الآن هناك ظرف آخر، الحياة معقدة جداً، والوقت ضيق، وتأمين الطعام صعب، الناس يضعون الطعام في الثلاجات ، طبعاً هناك جلسة مذاكرة في هذا الموضوع ليس هذا من قبيل التخزين، العبرة أن الإنسان طلب طعاماً، وأنت لا تعطيه الطعام خوفاً من الفقر، التخزين مع الإمساك.

((ما هذا يا بلال قال أعد ذلك لأضيافك فقال أما تخشى أن يكون له دخان في نار جهنم أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

[البزار و الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

وهناك نقطة دقيقة المحتكر ملعون، المحتكر خاطئ، المحتكر يؤذي المسلمين، لأنه يحبس الأقوات ولا يطرحها في الأسواق، من أجل أن يرتفع ثمنها.

من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم:

في بحث الاحتكار بالفقه قد تعجبون، البائع محتكر، وقد يكون الشاري محتكراً كيف ؟ هذه السلعة موجودة في الأسواق بسعر معتدل، فإذا زاد الطلب عليها ارتفع سعرها ، فالذي يشتري أكثر من حاجته هو عند الله محتكر، هناك حركة طبيعية، مادة غذائية موجودة سعرها معتدل، فإذا أقبل الناس على شرائها وتخزينها ارتفع سعرها، الفقير يتضرر، فكما أن البائع إذا حبس البضاعة ولم يبعها ارتفع سعرها، كذلك الذي يشتري بضاعة ولا يحتاجها من أجل التخزين هذا أيضاً يُسهم في رفع السعر، وكل إنسان أسهم في رفع السعر أوقع الفقير في مشكلة، الفقير له دخل محدود، إذا ارتفع السعر دائماً بعض أصحاب الدخل الغير محدود يرفع سعره، له ربح ثابت، إذا ارتفعت الأسعار رفع من بضاعته ، أما هذا صاحب الدخل المحدود إذا ارتفعت الأسعار ماذا يفعل ؟ دخل تحت الخط الأحمر، إذا أخوك بخير أنت بخير، المسلم يعنيه أمر المسلمين، من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، و الإنسان عندما يكون حوله أناس في بحبوحة يسعد، الذي حوله أناس في شقاء يشقى.

فلذلك كما أن البائع قد يكون محتكراً بحبس السلعة، وتخزينها حتى يرتفع ثمنها، الذي يشتري فوق حاجته أيضاً يعد محتكراً، لأن هذا الإقبال على الشراء يرفع من ثمن البضاعة.

من ضيّق الإنفاق ضيق الله عليه:

و قال رسول عليه الصلاة والسلام مخاطباً أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:

((لا تُوكي فيوكي اللهُ عليكِ أنفقي أو انْضَحِي أو انْفَحِي ولا تُحصي فيُحصي اللهُ عليكِ ولا تُوعِي فيوعِي اللهُ عليكِ))

[متفق عليه عن أسماء بنت أبي بكر]

تشدد الله يشدد، تضيق الإنفاق الله يضيق الإنفاق، تعطي الله يعطي، أنا العبد الفقير، لي خبرة مع من حولي، الذي يعطون يُعطون، الذي ينفقون ينفق الله عليهم، الذي يبسط يده ربنا سبحانه وتعالى يبسط إليه يده، أي هناك معاملة دقيقة جداً، يا أسماء:

((لا تُوكي))

أوكى الكيس، أي أغلقيه، شدّي طوقه.

((لا تُوكي فيوكي اللهُ عليكِ))

أنا أذكر قصة رمزية أذكرها كثيراً: بيت من بيوت الشام القديمة فيه ليمونة تحمل خمسمئة حبة، ستمئة حبة، كل إنسان طرق هذا الباب وطلب ليمون يعُطى، هكذا كانت سياسة الست مع الجيران، توفت هذه الجدة، جاءت بعدها الكنة، رفضت أن تعطي الليمون لأي إنسان، فيبست هذه الليمونة، عمرها ثلاثون، أو أربعون سنة، تعطي الناس كلها.

((لا تُوكي فيوكي اللهُ عليكِ أنفقي أو انْضَحِي أو انْفحِي ولا تُحصي فيُحصي اللهُ عليكِ ولا تُوعِي فيوعِي اللهُ عليكِ))

[متفق عليه عن أسماء بنت أبي بكر]

طبعاً

((لا تُوكي))

أي لا تمنعي ما في يدك.

درهم تنفقه في حياتك خير من مئة ألف درهم ينفق بعد مماتك:

كما قال بلال رضي الله عنه:

((قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال مت فقيراً ولا تمت غنياً قلت وكيف لي بذلك قال هو ذاك أو النار))

[الطبراني عن بلال]

من هو الذي يموت غنياً ؟ هو الذي يعيش فقيراً ليموت غنياً، فقير من عمل الصالح، أحياناً الإنسان يموت فيترك ثروة طائلة، لا يعلم كيف تنفق بعد موته، قد تنفق في الحرام، قد تنفق في المعاصي والآثام، قد يأتي أولاده ويبددون هذا المال.

أخوة كثيرون والله عملوا وصية، وأنا على علم بها، وأنا شاهد عليها، عندي نسخة من هذه الوصايا، لا أبالغ لم تنفذ ولا وصية، الأولاد لا ينفذون، نحن أولى بهذا المال.

لذلك أنفق في حياتك ولا تكن تحت رحمة أحد، عندي في البيت عدد يزيد عن عشر وصايا، والله لم تنفذ ولا وصية، وأنا شاهد عليها.

هناك رجل ترك ثلاث بنايات لأولاده، و وصى بمئتي ألف للفقراء والمساكين، فلم يدفعوا شيئاً، بخلوا عليه بمبلغ يسير.

لذلك درهم تنفقه في حياتك خير من مئة ألف درهم ينفق بعد مماتك، في الأعم الأغلب لم ينفق شيء، وإذا أُنفق حالات نادرة.

لي قريب أنشأ مسجداً، وتوفي قبل أن ينتهي المسجد، أولاده تابعوا هذا المسجد إلى النهاية، حيث أن الأرض، والبناء، والكسوة، والأثاث كانت على نفقته، توفي بنصف المشروع، الأولاد أكملوا و هذه حالات نادرة، أما في الأعم الأغلب الأولاد لا ينفذون وصايا آبائهم.

((مت فقيراً ولا تمت غنياً قلت: وكيف لي بذلك قال هو ذاك أو النار))

[الطبراني عن بلال]

من ادخر شيئاً لغد و منعه ممن يستحقه فقد أشرك بالله تعالى:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَدَّخِرُ شيئاً لِغَد))

[رواه الترمذي عن أنس]

ذكرت لكم من مذاكرة بعض العلماء حول هذا الموضوع، هناك شيء اسمه بلوى عامة، الحياة معقدة جداً، لن تتمكن كل يوم من أن تخرج لتجلب الطعام، لذلك أَلِف الناس في هذه الأيام أن يكون في الثلاجة بعض الطعام، توفيراً للوقت، هذا ليس من نوع تخزين الطعام، تخزين الطعام خوف الفقر، تخزين الطعام وعدم إنفاقه هو الذي نهى عنه النبي، إما خوف الفقر و هذا إشراك، أو تخزين الطعام ومنعه ممن يستحقه، هذا التخزين هو الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام.

آخر حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم:

((التفت إلى أحد فقال: والذي نفسي بيده ما يسرني أن أحداً تحول لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت أدع منه دينارين إلا دينارين أعدهما لدين إن كان عليّ))

[الطبراني عن ابن عباس]

أي التعجيل بالإنفاق.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٥٩-١١٦) : كتاب الصدقات - ترغيب المرأة في الصدقة من مال زوجها إذا أذن وترهيبها منها ما لم يأذن والترغيب في إطعام الطعام وسقي الماء والترهيب من منعه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ترغيب المرأة في الصدقة من مال زوجها إذا أذن وترهيبها منها ما لم يأذن:

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((إذا تصدقت المرأة من بيت زوجها كان لها أجر ولزوجها مثل ذلك ولا ينقص كل واحد منهما من أجر صاحبه شيئاً له بما كسب ولها بما أنفقت))

[الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

إذا أخذت المرأة إذن زوجها قبل إنفاق المال فلها أجر، لأن المال ماله، وهو بما كسب له أجر، لكن هناك حديث آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تُنفق امرأة شيئاً من بيتِ زوجها إلا بإذن زوجها، قيل يا رسولَ الله ولا الطعامَ قال ذلك أفضلُ أموالنا))

[أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي]

أما إذا الزوج فقير، ودخله محدود، الزوجة كلما رأت فقيراً خذ، هذا عمل غير حكيم، ليس لها حق في أن تنفق من مال زوجها، حتى ولا الطعام إلا بإذنه، أما زوج في بحبوحة، وهناك انسجام بينهما، وآذن لها، فإذا أنفقت لها أجر، وله أجر، لها أجر الإنفاق، وله أجر الكسب.

والحقيقة يبدو أن التفاهم والتناغم بين الزوجين هذا لصالح الأسرة، فبين أن تأثم إن أنفقت، وبين أن تؤجر إن أنفقت، إن استأذنته إما إذناً عاماً أو إذناً خاصاً، الإذن العام لو سألته أنا إذا أنفقت شيئاً في غيبتك هل توافق ؟ يقول لها: لابأس، أنا موافق، كل أعمال هذه الزوجة تؤجر عليها، وكل الأموال التي أنفقتها من مال زوجها يؤجر عليه، هو بكسبه وهي بإنفاقها، لأن النبي عليه الصلاة والسلام:

((الدَّال على الخير كفاعله))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

أما في حالات الزوج فقير، ودخله محدود، والزوجة متلافة، وكلما رأت رجلاً، رأت إنساناً أعطته بسخاء وكأن المال مالها، هذا لا يجوز، ينبغي أن تستأذن زوجها حتى في الطعام.

من أعظم الأعمال الصالحة إطعام الطعام و إفشاء السلام:

و هناك رجل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

((أيُّ الإسلامِ خيرٌ))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

إنسان آمن بالله وأسلم، أي انصاع لأمر الله ونهيه.

((أيُّ الإسلامِ خيرٌ وقد تستغربون فقال عليه الصلاة والسلام تُطعِمُ الطعامَ))

إطعام الطعام من أعظم الأعمال الصالحة، لأنه يجمع الناس، يؤلف القلوب، ويزيل الضغائن، الإنسان يتعب إذا دعا الآخرين إلى الطعام، يتعب هو وأهل البيت، وينفق مالاً كثيراً، والبيت يزدحم بالناس.

((تُطعِمُ الطعامَ وتَقْرَأُ السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعرف))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

إلا أننا نقف قليلاً عند إطعام الطعام، الأعمال الصالحة قيمتها بنيتها، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إنما الأعمال بالنيات))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عمر بن الخطاب]

وإنما أداة حصر، أي قيمة العمل بنيته، فالذي يطعم الطعام تأليفاً لقلوب الناس، تقريباً لهم، مكافأة لهم، ليجمع شملهم، ليوحد كلمتهم، ليكرمهم، هذا عمل طيب.

من دعا لوليمة من أجل التفاخر والزهو والمباهاة ينبغي ألا يلبى:

أحياناً تقام الولائم للفخر، والمباهاة، والزهو، دخله كبير، أذواقه في الطعام عالية، بيته فخم، يدعو الناس إلى بيته ليريهم ما عنده، يدعو الناس إلى الطعام ليريهم دخله الكبير، وإنفاقه الكبير، مثل هذه الولائم ينبغي ألا تلبى، المتباريان لا تلبى دعوتهما، كل واحد يشطح على الآخر في نوع الطعام، وفي كمية الطعام، أما إطعام الطعام الذي تبتغي به وجه الله، أحياناً يأتيك طالب علم مسافر، تعمل له عشاء، تغديه، لا يوجد عمل أعظم من هذا العمل، إكرام الغريب له فعل السحر بالنفوس، جاء من مكان بعيد، وجد هذا دعاه على العشاء، وهذا على الفطور، وهذا على الغداء، وهذا كرمه، وهذا قدم له هدية لأنه طالب علم.

لذلك هؤلاء الذين يأتون من أماكن بعيدة حينما تكرمهم، وتلبي حاجاتهم، هذا من أعظم الأعمال.

إفشاء السلام وحده مودة و ألف و أنس:

قال يا رسول الله:

((أيُّ الإسلامِ خيرٌ تُطعِمُ الطعامَ وتَقْرَأُ السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعرف))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

الناس ألفوا أن يسلموا على من يعرفونه، أما شخص لا يعرفه لا يسلم عليه، لكن هذا مسلم، أخوك في الإسلام، أخوك في الله عز وجل، قل له: السلام عليكم، طرح السلام وحده مودة، طرح السلام وحده ألفة، طرح السلام وحده أنس.

((وتَقْرَأُ السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعرف))

[متفق عليه عن عبد الله بن عمر]

عدم التكلف في الطعام من توجيهات النبي الكريم في إطعام الطعام:

في موضوع إطعام الطعام توجيهات كثيرة للنبي الكريم منها:

((يا عائشة لا تكلفي للضيف فتمليه))

الإنسان الموجود قدم له الطعام من دون تكلف، التكلف يربك المضيف، ويربك أهل المضيف، وقد يربك الإنفاق نفسه.

((يا عائشة لا تكلفي للضيف فتمليه))

[كنز العمال عن أبي عبد الله محمد بن باكويه الشيرازي والرافعي عن عياض بن أبي قرصافة عن أبيه]

كما قال عليه الصلاة والسلام:

((من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه، باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمئة عام))

[رواه الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمر]

أي العمل الصالح الأول في الإسلام إطعام الطعام.

والله مرة دعيت إلى طعام، جالس هناك إنسان يأكل بشكل يلفت النظر وكأنه ما ذاق اللحم من عام. قديماً كان في الشام رجل مفتي ـ الشيخ عطاء الله الكسوي ـ كان إذا دعا الفقراء أطعمهم أطيب الطعام، وكان إذا دعا الكبراء أطعمهم أخشن الطعام، فكان أهله يعترضون عليه بأنه بعمله هذا يخجلهم، داعي الوالي ! وداعي كبار الشخصيات ! و يضيفهم كشكة ! فإذا دعا الفقراء ذبح لهم الخرفان، وأطعمهم أطيب الطعام.

شرّ الطعام طعام الولائم التي تقام لغير وجه الله عز وجل:

الشيء الملاحظ أن بعض الولائم يدعى إليها الأغنياء، ويحرم منها الفقراء، تجد الغني يبعد اللحم. أطعم إنساناً جائعاً، أطعم الطعام لمن يشتهيه، أطعم الطعام لمن لم يذق هذا الطعام من أيام طويلة، فشرّ الطعام طعام الولائم التي تقام لغير وجه الله عز وجل، يدعى إليها الأغنياء، ويحرم منها الفقراء.

رجل كان همه إطعام طلبة العلم، طلاب يأتون من أطراف الدنيا، من الصين، من تركيا، فقراء دخلهم يكاد لا يكفيهم أياماً، فكان همه إقامة الولائم، وإطعام هؤلاء الطلاب.

إطعام الطعام للفقراء، وطلاب العلم، والذين يشتهون هذا الطعام من أجلّ الأعمال، أما انقلبت الولائم إلى وسيلة للزهو، والكبر، وعرض العضلات، هذه لا ترضي الله عز وجل.

مثلاً إنسان أراد أن يصنع طعاماً على روح والده، يدعو كبراء المجتمع، يدفع عشرات الألوف، هؤلاء الذي تطعمهم لا يشتهون هذا الطعام.

أنا كنت أقترح على بعض الأخوان أن اعمل مئة كيلو صفيحة، ضعهم بخمسين علبة، كل علبة فيها ما يقدر بكيليين، ووزعها على الفقراء، تأتي بفقير لوحده عنده امرأة وأولاد، أعطه أكلاً لبيته يأكله، أعطِ هذا الطعام للفقير لبيته، يأكل هو وزوجته وأولاده، أفضل من أن تأتي بإنسان إلى وليمة فخمة معظم الحاضرين لا يشتهون هذا الطعام، والفقراء بعيدون عن هذا الطعام، العبرة أن تطعموا الفقراء.

إلقاء الطعام في القمامة جريمة لا تغتفر:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

((يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط فمن كسا لله عز وجل كساه الله ومن أطعم لله عز وجل أطعمه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن عمل لله عز وجل أغناه الله ومن عفا لله عز وجل عفاه الله))

[ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود]

أحياناً بالولائم يأكل المدعوون عشر الطعام، والعياذ بالله في بعض الأماكن كالفنادق هذا الطعام كله يرمى في القمامة، يتمنى الإنسان أن يأكل هذا الطعام، طعام نفيس جداً، أكل عشره، وألقي الباقي في المهملات، في القمامة.

مرة دُعينا إلى عقد قران، فكان عدد الحاضرين ألف شخص، صاحب الوليمة بعد انتهاء الناس من الطعام، ذهب فجمع باقي الطعام بشكل جيد، وبعلب جيدة، وبأكياس جيدة، ووضعه في الثلاجات، ثم قدمه للفقراء بعد حين.

أنا أرى إلقاء الطعام في القمامة جريمة.

((يا عائشة أكرمي جوار نعم الله فإنها قلما انكشفت عن أهل بيت فكانت تعود فيهم))

[الزهري عن عائشة]

جريمة أن يلقى الطعام في القمامة، والله حدثني صديق واقف أمام بائع دجاج جاءت امرأة، واشترت كيلو من أيدي دجاج، هذا من يأكله ؟ هذا طعام الكلاب، من شدة الفقر كانت تغلي هذه الأيدي ـ أيدي الدجاج ـ وتشرب المرق هي وأولادها.

حدثني إنسان آخر لا يشتري إلا العظم فقط، لأن دخله لا يسمح له بشراء اللحم، فيشتري العظم، ثم يغليه ويعمل فتة و يأكل هو وأولاده.

إنسان يأكل أيدي الدجاج، وطعام يلقي في القمامة ؟ هذا مما يستفز مشاعر الإنسان، يجب أن نحافظ على النعم.

كل عمل رحيم يُعدُّ من أزكى العبادات:

أيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه:

((يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني قال يا رب كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين ؟ قال: أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَّهُ لوجَدتني عنده يا ابنَ آدمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تُطعمني قال يا رب كيف أطعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين قال أمَا علمتَ أنه استطعمكَ عبدي فلان فلم تُطْعِمْهُ أمَا علمتَ أنَّكَ لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي يا ابنَ آدم استَسقيْتُكَ فلم تَسْقني قال يا رب وكيف أسقِيكَ وأنتَ ربُّ العالمين قال اسْتَسقاك عبدي فلان، فلم تَسْقِه، أما إنَّك لو سَقَيْتَهُ وجدتَ ذلك عندي))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

أي إذا أطعمت أخاك كأنما أطعمت ربك، وإن سقيت أخاك فكأنما سقيت ربك، شيء كبير جداً.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل الصالح أثمن شيء في الحياة الدنيا :

أيها الأخوة الكرام ، شكوى يكثر ترددها من بعض الأخوة ، يقول الأخ الكريم ، أصلي فلا أشعر بشيء ، أقرأ القرآن فلا أشعر بشيء ، ما سبب هذه الحالة المؤلمة ؟
الجواب : أن الإنسان حينما يستقيم على أمر الله يسلم من العطب ، يسلم من الهلاك ، يسلم من المصائب ، أما حينما يعمل أعمالاً صالحة يسعد ، فإن كنت تبتغي السلامة فاستقم على أمره ، وإن كنت تبتغي السعادة فاعمل صالحاً ، والدليل أن أثمن شيء في الحياة الدنيا هو العمل الصالح ، لقوله تعالى :

(رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ)

(سورة المؤمنون)

المؤمن كلما ازداد علمه ، وكلما تعمق إيمانه ، وكلما اتسعت آفاقه ، يرى أنه مخلوق في الحياة الدنيا من أجل العمل الصالح الذي هو ثمن جنة الآخرة .

لذلك منذ أن يستيقظ وحتى ينام لا يشغله شيء إلا أن يخدم الخلق ، إن أردت أن تسلم فاستقم على أمر الله ، إن أردت أن تسعد فاعمل صالحاً ، وأبواب العمل الصالح مفتحة على مصارعها ، في أي زمان ، في أي مكان ، في أي ظرف ، في أي بيئة ، في أي عصر ، في أي مصر ، الأعمال الصالحة بين يديك ، آلاف الأعمال الصالحة في بيتك ، تربية أولادك ، معاونة زوجتك ، في الطريق ، في العمل ، في السفر ، في الحضر .

المؤمن كله خير يعتني بمخلوقات الله ولو كان لا ينتفع بها :

اليوم من هذه الأعمال الصالحة السقيا ، فقد ورد في الحديث الشريف :

((بينما رجلٌ يَمشي بطريق اشْتَدَّ عليه العطشُ ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلبٌ يَلْهَثُ ، يأكل الثَّرَى من العطش ، فقال الرجلُ : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطشِ مثلُ الذي كان بلغَ بي))

[البخاري عن أبي هريرة]

كلب ! الكلب لا يستطيع أن يشكر ، ولا يستطيع أن يعبر عن شكره بخبر ينشره في جريدة ، يمكن أن يخدمك طبيب خدمة عالية ، تعمل له مقالة بالجريدة في اليوم التالي ، نشكر الطبيب الاختصاصي ، الكبير ، الماهر ، الذي أجرى عملية ناجحة ، هذا الكلب لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، لا شكر ، ولا كلمة ، ولا إشارة ، ولا عبارة ، قال :

((فنزل البئر ، فملأ خُفَّهُ ماء ، ثم أمْسَكه بفيهِ ، حتى رَقِيَ ، فسقى الكلبَ ، فشكرَ اللهُ له ، فغفر له))

[البخاري عن أبي هريرة]

يغفر لإنسان بسقيا كلب ؟ لأن هذا العمل في الصحراء ، لا في مجتمع يراقب ، لا في مجتمع يشكر ، لا في مجتمع يجذب ، لا في إنسان تبتغي أن يراك ، لا تبتغي إلا وجه الله ، فبقلب هذا الرجل رحمة على الكلب ، وهذه الرحمة على الكلب كانت سبب مغفرته ، هذا الحديث ورد في الصحاح .

((قالوا : يا رسول الله ، إن لنَا في البَهَائِمِ أجرا ؟))

إذا الواحد أطعم قطة ، سقى كلباً ، أحياناً يكون هناك حيوان مكسور بحادث ، يأخذه إلى طبيب بيطري، يعتني به ، يجبر كسره ، إلى أن يشفى ، ماذا ينتظر هذا الإنسان ؟ من سيشكره؟ من يمجده؟ من يرفع قدره ؟ لا أحد ، إنما يبتغي وجه الله عز وجل .

((قالوا : يا رسول الله ، إن لنَا في البَهَائِمِ أجرا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : في كُلِّ كَبدٍ رَطبَةٍ أجرٌ))

في كل مخلوق ، إلى درجة أنك إذا أردت أن تتوضأ فرأيت نملة فحاولت ألا تميتها انتظرت حتى صعدت إلى طرف المغسلة ، ثم توضأت ، هذا عمل صالح ، المؤمن كله خير ، يعتني بمخلوقات الله ولو كان لا ينتفع بها .

من تضايق و شعر بجفوة بينه و بين ربه فعليه بعمل صالح يبتغي به وجه ربه :

حتى من أغرب التفاسير في درس الجمعة أنه :

(وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)

(سورة الذاريات)

هناك حيوانات ينتفع بها ، الغنم ، والدجاج ، والخيل ، والحمير ، فأصحابها يطعمونها لأنهم ينتفعون بها ، أما هناك حيوانات لا ينتفع بها ، لذلك لا يطعمها أحد ، لا يوجد مصلحة .

حدثني أخ معين بقرية قال لي : الكلاب صباحاً جائعة ، يأتي بخبز يطعمهم بالطريق ، والقرية بعيدة عن الطريق العام ستة كيلو متر ، ويمشي إلى القرية ليعمل هناك ، هذه الكلاب تتبعه ستة

كيلو متر لشكره على إطعامها ، هناك حيوان لا أحد يطعمه إطلاقاً ، إذا تضايقت وشعرت بجفوة ، أنكرت قلبك ، أنكرت صلاتك ، أنكرت تلاوتك ، أنكرت ذكرك ، عليك بالعمل الصالح ، بعمل تبتغي به وجه الله ، كل إنسان متاح له أن يخدم الناس .

هذا الحديث متفق عليه ، ورد في البخاري ومسلم .

إنسان يغفر له كل شيء ، ويستحق جنة الله عز وجل لأنه سقى هذا الكلب ، لكن الحديث ظروفه دقيقة جداً ، ينفى عن هذا العمل كل شرك ، كل نفاق ، كل رياء ، فأنت تريد عملاً من نوع آخر ، خدمة لوجه الله ، أحياناً تجد إنساناً مريضاً ، إنساناً مصاب ، نحن الآن نتكلم عن كلب ، فكيف إنسان ؟

الإنسان هو المخلوق الأول .

أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى :

لذلك البارحة مرّ الحديث التالي :

((سُئل النبي عليه الصلاة والسلام : أي الأعمال أفضل ؟ قال : إدخالك السرور على مؤمن))

[أخرجه الطبراني عن عمر بن الخطاب]

هذا كريم على الله ، عنده مشكلة ، مشكلة مالية ، مشكلة صحية ، مشكلة اجتماعية ، أحياناً تجد إنساناً هو وزوجته في خلاف ، لا أحد يهتم ، كل واحد مرتاح قاعد مع أهله ، لا يخطر ببال إنسان أن يدخل وسيطاً بينهما ، يذهب إلى أهل الزوجة ، يحسن سمعة الزوج عندهم ، يذهب إلى الزوج يلين قلبه ، هناك أشخاص يعنيهم هذا الأمر ، فيسعون في إصلاح ذات البين ، فهذا الإنسان نفسه غالية عليه ، وعزيزة ، وزوجته تحدته ، وذهبت إلى بيت أهلها ، فيصعب عليه أن يأتي هو ، وهؤلاء تمسكوا بابنتهم، فالذي يدخل وسيطاً بين هؤلاء وهؤلاء ليعيد المياه إلى مجاريها، ويجمع الزوجين ببيت واحد ، ويوفق بينهما ، رحمة بالأولاد الصغار ، هذا عمل عظيم قال :

((إدخالك السرور على مؤمن ، أشبعت جوعته ، أو سترت عورته ، أو قضيت له حاجة))

[أخرجه الطبراني عن عمر بن الخطاب]

والله أيها الأخوة ، لا أعجب إلا من إنسان معه مال ، وبهذا المال يصل إلى أعلى درجات الجنة ، لا تتوهموا أن الجنة بالدعاة إلى الله فقط بل كل إنسان أقامه الله بشيء ، يمكن بهذا المال أن تصل إلى أعلى درجة بالجنان ، بالمال تعين شاباً على الزواج ، بالمال تعالج مريضاً، بالمال تجمع زوجين في بيت واحد ، بالمال يمكن أن توفق إلى زواج ، الفتاة ما الذي يشغلها كل حياتها ؟ أن

تُخطب ، أن يأتي من يخطبها ، فإذا خُطبت حققت النجاح كله في حياتها ، فأبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى .

مرة حدثني أخ عنده سيارة يعيش منها ، إنسان أخلاقه شرسة جداً ، دخل بمؤخرتها فحطمها ، أي تحتاج خمسين ألف ليرة ، امرأة تمشي في الطريق رأت هذا الحادث ، رأت تظاهر المعتدي ، وبعد أن ضربه ، وعطب سيارته ، يريد أن يضربه أيضاً ، قالت له : يا بني أنا أصلحها لك ، ولا تتألم ، ودفعت من جيبها الخاص مبلغ خمسين ألفاً ، هناك مليون مشكلة بالحياة ، مليون مرض ، مليون مريض،مليون فقير ، مليون بائس ، مليون أرملة ، مليون أرمل ، مليون طالب علم لا يجد ما يأكل، لا أعجب إلا من إنسان ينفق المال جزافاً بلا حساب ، على شهواته ، على ملذاته ، على احتفالاته ، تجد حفلة مكلفة ما يقدر بثلاثين مليوناً ، سمعت رقم بكيت جداً عشاء كلف ستين مليوناً ، وهؤلاء الشباب الذين يتلوون ؟ يتمنون غرفة يسكنوها في أقصى الأرض ليتزوجوا بها ، ما مصيرهم ؟ .

إذاً :

((أي الأعمال أفضل ؟ قال : إدخالك السرور على مؤمن ، أشبعت جوعته ، أو سترت عورته ، أو قضيت له حاجة))

[أخرجه الطبراني عن عمر بن الخطاب]

تأمين الماء للآخرين من أجلّ الأعمال الصالحة :

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

((ليس صدقة أعظم أجراً من ماء))

هذا أصل الحديث ، الناس يحرصون على أن ينشؤوا السبل ، أن يمددوا للناس مياهاً ، من الصدقات الراقية جداً تؤمن ماء لإنسان ، الماء بعد الهواء ، هواء ، ماء ، بعدها طعام ، هواء ، ماء، طعام .

((ليس صدقة أعظم أجراً من ماء))

[رواه البيهقي عن أبي هريرة]

وعن أنس رضي الله عنه أن سعد بن عبادة أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله :

((إن أمِّي تُوفِّيَتْ وَلَمْ تُوْصِ أفَيَنْفَعُهَا أنْ أتَصَدَّق عَنْهَا؟ قالَ :«نَعَمْ وَعَلَيْكَ بِالْمَاءِ))

[الطبراني عن أنس]

هذه البلدة الطيبة نحن عندما كنا صغاراً ، كل عشرين متراً تجد سبيل ماء في الطريق ، إنسان يقف يشرب ، يرتوي ، شيء جميل ، تذهب إلى بلاد أخرى لا يوجد ماء إلا أن تدفع ثمنه ، السبيل في الطريق ماء بارد ، فرات ، يرتوي به العطش ، بلا مقابل ؟ هذا من أجلّ الأعمال الصالحة .

وفي رواية :

((إن أمي ماتت ، فأيُّ الصدقةِ أفضلُ ؟ قال : الماءُ ، فحفر بئرا وقال : هذه لأمِّ سَعْد))

[رواه أبو داود والنسائي عن سعد بن عبادة]

المسلمون شركاءُ في ثلاثٍ : في الماء والكلأِ والنار :

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ثلاثة لا يُكَلِّمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : رَجُل على فضْل ماء بفلاة يمنعه من ابن السبيل))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة]

حدثني أخ في خان الشيح قال : سبع عشرة مزرعة ، كلها فيها آبار ، الرعيان يأتون مع أغنامهم يدخلون إلى هذه المزارع ليشربوا ، أكثر أصحاب هذه المزارع يطردونهم ، ويقفلون الباب ، إلا مزرعة واحدة تستقبلهم ، وتسمح لهؤلاء الرعيان أن يسقوا أغنامهم ، بل إن صاحب هذه المزرعة فعل أكبر من ذلك ، بنى لهم جدولاً طويلاً للشرب ، فيملأ الجدول ماء ، ويقف الخرفان إلى جانب بعضهم بعضاً ويشربون ، أقسم بالله وهو قريب لي ، أنه مرّ عام لم يبقَ مزرعة فيها ماء ـ جفت الآبار كلها ـ إلا هذه المزرعة ، ما تأثرت ولا سنتيمتر .

هناك آيات كبيرة جداً .

((أنفق بلالُ ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

[أخرجه الطبراني عن بلال]

((المسلمون شركاءُ في ثلاثٍ : في الماء ، والكلأِ ، والنار))

[أخرجه أبو داود عن رجل من المهاجرين]

شركاء في ثلاث ، الماء ينبغي ألا يمنع .

((ثلاثة لا يُكَلِّمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : رَجُل على فضْل ماء بفلاة يمنعه من ابن السبيل))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة]

أصحاب المزارع عندهم ماء زائد يعطون جيرانهم دائماً ، إذا في ثمن وقود لإخراج الماء يمكن أن يأخذ ثمن الوقود ، أما أن يمنع الماء ، ويموت البستان الذي إلى جانبه ، هذا لا ينظر الله له يوم القيامة .

من تقرب إلى الله بأعمال صالحة سلم و سعد في الدنيا و الآخرة :

اليوم درسنا من أجلّ الأعمال ؛ السقيا ، وأول موضوع دقيق جداً أن تعمل عملاً خالصاً لوجه الله ، لا تبتغي به إلا وجه الله ، فكلما أكثرت من هذه الأعمال كلما اتصلت بالواحد الديان ، عندئذٍ تسعد ، أطع أمره تسلم ، تقرب إليه بالعمل الصالح تسعد ، والسلامة والسعادة مطلبان أساسيان لكل مخلوق أن يسلم وأن يسعد .

الأجداد والسلف الصالح يقول لك إذا مركب لم يوجد به شيء لله يغرق .

مرة حدثني أخ ، قال لي : كنت بحلب دخلت إلى مطعم لآكل ، فوجدت طفلاً صغيراً ـ صحن الفول ثمنه خمس ليرات ـ قال لصاحب المطعم : أعطيني فول بربع ليرة ، قال له : ادخل يا عمو ، وضع له صحناً عادياً ، وسرفيساً عادياً ، فقال له ابنه بالمحل : معقول أن تضع له؟ قال له : يا بني اشتهى أن يأكل الفول ، يجب أن نطعمه .

تجد محلات تجارية فيها خير ، و رحمة ، حدثني أخ زوجته كانت بالحج ، في المدينة المنورة محل أقمشة ، دخلت فوجدت قماشاً مناسباً ، اشترته ، و طلبت من صاحب الدكان أن يراعيها في الثمن ، قالت له : من أجل رسول الله راعيني ، قال لها : والله لا آخذ ثمنه ، قال لها : تفضلي خذيه.

تجد محلاً فيه خير ، من أين أتى الخير ؟ من البذل ، والعطاء ، والتسامح ، والليونة بالبيع ، أحياناً طبيب ، والله أعرف طبيباً إذا دخلت عليه تشفى من النظر إلى وجهه ، كلما رأى مريضاً فقيراً لا يأخذ أجراً ، و يدفع ثمن الدواء من جيبه ، مثقل بالديون للصيادلة ، كلما زاره مريض ـ فقير طبعاً ـ لا يأخذ منه ، يبعثه للصيدلي على حسابه الدواء أيضاً ، تحتاج عملاً ترقى به ؟ تحتاج عملاً يرضى الله عنك فيه ؟

طبعاً هذا الطبيب لا يملك شيئاً ، وضعه المادي أقل من عادي ، و لكن لأن إنفاقه كبير جداً له أحوال مع الله ، له صلة بالله شيء عجيب .

من أكثر من العمل الصالح تمنى لقاء الله عز وجل :

ففي كل مهنة محامون أتقياء ، أطباء ، مهندسون ، فالإنسان إن لم يكن له عمل صالح لله عز وجل مطرود من رحمة الله ، لا يتحرك إلا بأجر ، إذا دلّ إنساناً يقول له : ليس لنا شيء ، لا يتحرك ، ولا يشير إشارة إلا بأجر ، هذه مشكلة كبيرة بالحياة ، يحتاج الإنسان إلى عمل يبتغي وجه الله ،

أحياناً يطعم الطيور ، أحياناً يطعم الكلاب ، أحياناً يطعم القطط ، والأعمال لا تعد ولا تحصى ، وأبلغ من ذلك أن تطعم الإنسان الفقير الجائع .

والله قال لي أخ البارحة : والله لي شهر ونصف لم يدخل لبيتي قطعة لحم ، لأني لا أملك ثمنها ، و تجد شخصاً آخر يبعد اللحم هكذا ، لا يستطيع أن يأكل اللحم ، الذي عنده مال ، وعنده إمكان فليطعم الفقراء، أعطهم ثمن لحم ، أو أعطِهم لحماً ، أو وزع اللحم ، أحياناً يكون الشخص عليه ديون تعطيه ألفي ليرة ليوفي ديونه ، وأولاده جائعون ؟ وزع لحماً ، الأعمال الصالحة ، ولا سيما في هذه الأيام ، لا تعد ولا تحصى مفتوحة على مصارعها ، وهذا ثمن الجنة ، والناس تريد أن ترفه نفسها، يترفه بالدنيا فقط ، وهناك بوادر مرض قد يودي به إلى القبر ، ينخلع قلبه من الخوف ، يجب أن يهيئ للقبر أعمالاً صالحة كبيرة ، الموت يأتي فجأة ، والقبر صندوق العمل ، المؤمن أعماله الصالحة كثيرة جداً ، الموت لا يحدث عنده رجة قوية ، إلى أنت ذاهب ؟.

(وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)

(سورة آل عمران)

فكلما أكثرت من العمل الصالح تمنيت لقاء الله عز وجل ، هذا لقاء الله واقع لا محال أي ليس لك أي خيار فيه ، يأتي وقت لا تجد منا واحداً فوق الأرض ، كلنا تحت الأرض ، هذا بباب صغير ، وهذا بالجبل ، كلنا ، إن حسنت بيتك كما تريد ، و إن زخرفته ، بالأخير لباب صغير، هذا مصير كل حي .

إذاً من الآن على كل إنسان أن يهيئ للقبر ، أن يملأه بأعمال صالحة ، أعمال صالحة خالصة لوجه الله، لا تحتاج كتاب شكر ، ولا أحد ينوه لفضلك ، ولا المحسن الكبير ، ولا تحتاج رخامة ، لا تحتاج شيئاً ، تحتاج عملاً يرضى الله عنك فيه .

اليوم درسنا عن السقيا ، عن سقيا الماء ، والإنسان يمكن أن يغفر الله له ذنوبه بإطعام حيوان جائع أو عطش .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٦١-١١٦) : كتاب الصدقات - الترغيب في شكر المعروف ومكافأة فاعله والدعاء له والترهيب من جحده وعدم شكره

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في شكر المعروف والمكافأة عليه والدعاء لصاحبه والترهيب من جحده :

أيها الأخوة الكرام ، الترغيب في شكر المعروف والمكافأة عليه ، والدعاء لصاحبه ، والترهيب من جحده ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ صُنِعَ إليه مَعْرُوفٌ ، فقال لفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللّه خَيْرًا ، فقد أبلغ في الثَّناء))

[الترمذي و النسائي عن أسامة بن زيد]

أحياناً الإنسان يتوهم أنه إذا شكر الله وحده كان موحداً ، ينسى أن يشكر الذين أجرى الله على أيديهم هذا الخير ، هذا مناقض تماماً لأخلاق المؤمن ، أن يشكر الله وحده ، وألا يشكر الناس ، وقد قال عليه الصلاة والسلام في حديث شريف :

((مَنْ لَمْ يشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يشْكُرِ اللّه))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

طبيعة النفس البشرية الصافية على فطرتها السليمة إذا فُعل إليها معروف ينبغي أن تشكر ، فإن جحدت هذا المعروف فقد جانبت كمال الإنسان .

أنا لا أعتقد أن في الأرض رجلاً أحب رجلاً كما أحبّ الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك حينما توفي النبي عليه الصلاة والسلام قال أبو بكر :

" من كان يعبد محمداً ـ هكذا ـ فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " .

لاحظوا هذا الحب الجارف ما أخرجه عن التوحيد إلى الشرك ، موحد ، مات أحب الخلق إليه ، هذا الحب الذي لم يكن له مثيل في تاريخ البشرية ، ما ساق صاحبه إلى الشرك .

التوحيد لا ينبغي أن يقود الإنسان إلى إنكار معروف الآخرين :

بالمقابل لا يوجد إنسان في الأرض كان شكوراً لكل من أسدى إليه معروفاً كرسول الله .
سيدنا ربيعة خدمه سبعة أيام ، قال له : "يا ربيعة سلني حاجتك ؟" .

حاطب بن بلتعة شهد بدراً ، ثم ارتكب خيانة عظمى يستحق عليها القتل قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : " لا يا عمر إنه شهد بدراً ".

تحدث عن الصديق ، قال : "ما ساءني قط ، فاعرفوا له ذلك" .

تحدث عن السيدة خديجة ، قال : "آمنت بي ، وواستني بمالها ، آمنت بي إذ كفر بي الناس ، صدقتني إذ كذبني الناس ، واستني بمالها ، رزقني الله منها الولد ".

الأنصار أسدوا إليه معروفاً ، آمنوا به ، ودافعوا عنه ، وأيدوه ، ونصروه ، فلما وجدوا عليه في أنفسهم جمعهم وقال : "أما إنكم لو شئتم لقلتم فلصَدقتم ولصُدقتم به ، أتيتنا مكذباً فصدقناك ، طريداً فآويناك ، مخذولاً فنصرناك " ، ذكرهم بفضلهم عليه .

الملاحظ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل صحابي أعطاه حقه ، ذكر فضله ، بيّن تألقه ، هذا من وفاء النبي لأصحابه .

فنخلص من هذا أن التوحيد لا ينبغي أن يقودك إلى إنكار معروف الآخرين ، ولو أن هذا الخير ساقه الله إليك ، ولو أن الله له وحده المنة والفضل ، التوحيد لا ينبغي أن يقودك إلى إنكار فضل الآخرين ، كما أن الحب الجارف لا ينبغي أن يقودك إلى الشرك ، هذا التوازن .

السيدة عائشة رضي الله عنها حينما جاءت تبرئتها في القرآن الكريم ، قالت لها أمها : قومي إلى رسول الله فاشكريه ، قالت : "والله لا أقوم إلا لله " ، فقال عليه الصلاة والسلام : "عرفت الحق لأهله".

الاعتراف بالفضل وحده نوع من الشكر :

إذاً عندنا مرضين أول مرض التوحيد المزعوم أحياناً يقود صاحبه إلى جحود فضل الآخرين ، أخي أنا لا أحد له فضل عليّ إلا الله ، هذه خلاف السنة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((مَنْ لَمْ يشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يشْكُرِ اللّه))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

أي إنسان قدم لك معروفاً ، يجب ألا تنساه ، يجب أن يكون هذا المعروف في قلبك ، يجب أن تكافئه .

((ومن آتى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم كافأتموه))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر]

أحياناً الاعتراف بالفضل وحده نوع من الشكر ، إنسان عاونك إذا قلت بلسانك : فلان له فضل عليّ ، هذا أحد أنواع الشكر ، أما هناك من يتلقى كل المعروف ، وكل العناية ، وكل الإحسان ، ولا يعزو هذا إلى صاحبه ، يعزوه إلى جهة أخرى ، هذا جحود ، لأن الإنسان حينما ينكر فضل الآخرين يضعف العمل الصالح ، المؤمن يعمل لله ، لا يعبأ بالشكر، لكن هو بشر ، حينما يبذل

جهداً كبيراً ثم يطمس معروفه ، ويلغى جهده ، ولا يذكر إطلاقاً ، بل يُجحد هذا ، صار من الجحود الذي يمنع الماعون .

منع الماعون هو أن تقابل المحسن بالإساءة والجحود :

عودوا أنفسكم وفق سنة رسول الله ، أي إنسان قدم لك معروفاً قليلاً ، كثيراً ، مادياً ، معنوياً ، يجب أن تشكره ، والأصح يجب أن تكافئه ، فإن لم تجد فعليك أن تشكره ، في هذه الطريقة ينمو المعروف بين الناس ، عود نفسك أن تشكر ، تكتب رسالة شكر ، إنسان خدمك ، إنسان أعانك ، إنسان دافع عنه ، إنسان أقرضك ، إنسان دلك على الله عز وجل ، إنسان بذل جهداً كبيراً معك ، الحد الأدنى أن تذكر هذا الفضل ، حتى تشجعه لعمل ثان .
فلذلك منع الماعون هو أن تقابل المحسن بالإساءة ، هو أن تقابل المحسن بالجحود، عندئذٍ يضعف المعروف بين الناس ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ صُنِعَ إليه مَعْرُوفٌ ، فقال لفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللّه خَيْرا ، فقد أبلغ في الثَّناء))

[الترمذي و النسائي عن أسامة بن زيد]

طبعاً ذكرت الحديث الآخر :

((ومن آتي إليكم معروفا فكافئوه ـ المكافأة أولاً ـ فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم كافيتموه))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر]

وفي رواية أخرى :

((إذا قال الرجل لأخيه : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء))

[الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة]

كلمة جزاك الله خيراً كلمة رائعة ، وكلمة طيبة ، وكلمة نبوية ، ولو أن هذه الكلمة جرت على ألسنتنا لكنا على غير هذا الحال .

أحياناً يجري طبيب عملية ناجحة جداً ، ويعتني أبلغ عناية ، بعض المرضى يكتبون كلمة شكر في الجريدة ، ما تكلفك هذه ؟ مئتا ليرة ؟ خمسمئة ؟ دفع مئتي ألف للطبيب والعملية ناجحة جداً ، هذا الشكر يعطي الطبيب نوعاً من المبالغة في شكر الآخرين ، أي هذا المعروف ظهر .

كمال صاحب المعروف غير كمال الذي أحسن إليه :

أنت لا تكتم ، وصاحب المعروف له أن يكتم ، كمالك بإظهار معروفه ، وكماله بكتم معروفه ، كمال صاحب المعروف غير كمال الذي أُحسن إليه ، أكمل موقف أنت أن تذكر ، أن تعلن أن فلاناً

أكرمني ، أن فلاناً اعتنى بي ، أن فلاناً قدم لي معروفاً ، كمال الذي صنع المعروف إليه أن يذكره ، أما كمال الذي صنع المعروف أن يكتمه ، يخرج بنتيجة .

حاول إذا فعلت خيراً أن تنساه فوراً ، كأنك لم تفعله ، إذا فعلت معروفاً ، قدمت مساعدة ، خدمت إنساناً ، عاونت إنساناً ، حاول أن تنسى هذا العمل كلياً ، وكأنك لم تفعله ، ثم حاول إذا صُنع إليك معروف ألا تنساه أبداً ، هذا موقف كامل جداً .

العكس صعب أنك إذا فعلت شيئاً تذكر هذا الشيء إلى أن يخرج الشخص من جلده ، يتمنى أن يرد لك المعروف عشرة أضعاف على أن تسكت فقط ، أنا خدمته ، لحمه من خيري ، لولاي ما صار رجلاً ، هذا كلام لا يحتمل ، إن فعلت معروفاً انسَ هذا المعروف كأنك ما فعلته إطلاقاً ، وإن فُعل إليك معروف ينبغي ألا تنساه أبداً ، هذا الموقف الكامل فكمال صانع المعروف شيء ، وكمال الذي صُنع إليه المعروف شيء آخر ، كمال الأول بالكتمان ، وكمال الثاني بالجهر والإعلان .

لا يشكر الله من لا يشكر الناس :

حديث آخر : قال عليه الصلاة والسلام :

((إنَّ أشْكَرَ النَّاس لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أشْكَرُهُمْ لِلنَّاس))

[أحمد عن الأشعث بن قيس]

وفي رواية :

((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))

[أبو داود و الترمذي عن أبي هريرة]

هذه الفظاظة ، حتى الجفاء ، والغلظة ، أنه أنا لا أحد له فضل عليّ إلا الله ، يكون هناك مئات الأشخاص قد قدموا لك كل الفضل ، ينسى فضل الناس ويدعي كذباً أنه يشكر الله ، إن لم يشكر هؤلاء هو لا يشكر الله عز وجل ، سبحان الله على هذا الأدب ! ربط النبي عليه الصلاة والسلام شكر الله بشكر الناس ، فإن لم تشكر الناس لم تشكر الله ، ربط شكر الله بشكر الناس ، الإنسان له والدة ، له والد، له عم .

أنا لا يوجد شيء يؤلمني من إنسان يعادي والد زوجته ، ربى لك زوجتك ، تعب بها ، أكرمك ، عمل لك حفلة ، اعتنى بك ، دللك ، رفع مكانتك ، لا يحلو له إلا أن يهين عمه، هذا نوع من اللؤم .

لا يوجد إنسان كامل أنت أدِّ الذي عليك ، واطلب من الله الذي لك ، اشكر الذي قدم لك معروفاً .

الشكر من خصائص المؤمن و الكفر من خصائص غير المؤمن :

لذلك الإنسان إن كان مؤمناً من خصائصه الشكر ، وإن كان غير مؤمناً من خصائصه الكفر ، قد يسيء إلى من أحسن إليه ، قد يسيء إلى من دله على الله ، قد يسيء إلى من زوجه ابنته ، أحياناً يكون هذا بالمصالح التجارية ، مثلاً صانع تعلم عند فلان ، تعلم عنده ورعاه ، وأحسن له ، وأكرمه، وتمكن بعد ذلك عن أن يستقيل بمحل خاص ، هل من المعقول أن ينافس معلمه ؟ هل من المعقول أن تكيد الذي رباك ؟ كلما ارتقى الإنسان بسلم الإيمان يكون عنده مودة ، وشكر ، وعرفان، لمن أسدى إليه معروفاً.

الإنسان لا ينبغي أن يبصق بالبئر الذي شرب منه ، هذا البئر شربت منه لا ينبغي أن تبصق فيه ، هناك حالات كثيرة في بالمجتمع ، بالتجارة ، بأعمال كسب الرزق ، بالعلاقات الأسرية ، إنسان قدم له كل معروف .

النبي عليه الصلاة والسلام جاءه رجل شكا له ابنه فبكى النبي ، قال له :

غذوتك مـولوداً ومنتك يافعاً تُعلّ بمـا أجني عليك وتنهلُ

إذا ليلة ضافتك بالسقم لـم أبتْ لسـقمك إلا ساهراً أتململُ

كأني أنا المطروقُ دونك بالذي طُرقتَ بهِ دوني فعيني تهمل

***

تخاف الردى نفسي عليك وإنـها لتعلم أن المـوت وقت مؤجل

فلمـا بلغتَ السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلـتَ جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المـنعم المتفضل

فليتك إذ لـم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

***

فبكى النبي عليه الصلاة والسلام ، الأب له فضل ، الأم لها فضل ، معلمك بالعمل له فضل ، قدم لك خبرة ، ورعاك ، ورفع شأنك ، لا ينبغي أن تنافسه ، لا ينبغي أن تجحد فضله ، هذه صفات المؤمن .

الإنسان إن لم يكن فيه خير لوالده فلن يكون فيه خير لإنسان آخر :

أما أروع ما في هذا الدرس أن الله جلّ جلاله بما أوحى إلى النبي ربط شكره بشكر الناس ، فإن لم تشكر الناس لم تشكر الله ، عود نفسك كلمات الشكر ، كلمات الثناء ، كلمات أن تظهر فعل الناس .

أذكر مرة أنني ذهبت مع أحد أخواننا المتقدمين بالسن إلى عند ابنه ـ ابنه له منصب رفيع جداً في حقل التعليم ـ للتوسط لأخ من أخواننا منقول من جامعة إلى جامعة فدخلت أنا ووالده قال له : اقعد

هنا أبو فلان ، عند الابن عمداء الكليات فقالوا له : هذا أبوك ؟ فقال لهم : لا ، والأب بأعلى درجة من الأناقة ، و الذكاء ، و الحصافة ، فلما خرجنا قلت له: أين درس ابنك ؟ قال : في أمريكا ، يحمل بورد ، قلت له: على حساب من ؟ قال : والله على حسابي ، بقيت شهراً لا أصدق معاملة هذا الابن لأبيه ! إنسان يتنكر لوالده أمام الناس ، ووالده سبب نيله هذه الشهادة ، والشهادة سبب هذا المنصب الرفيع .

فالإنسان إن لم يكن فيه خير لوالده ، لمن أسدى إليه معروفاً ، فلن يكون فيه خير لإنسان آخر .

لذلك قال : لا تعامل عاقاً ، لو كان فيه خير لكان فيه خير لوالده ، إذا لم ينل والده منه خيراً ، لا تشاركه ، لا تعامله ، لأن هذا ليس فيه خير ، لا تعامل عاقاً أبداً ، والعقوق أنواع .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٦٢-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في الإكثار من ذكر الله سراً وجهراً والمداومة عليه وما جاء في من لم يكثر من ذكر الله - ١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الله عز وجل أن تذكره فلا تنساه وأن تشكره فلا تكفره:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يقول الله تعالى أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي وإن ذكرني في مَلإٍ ذكرتُه في مَلإٍ خيرٍ منه وإن تَقرَّبَ إليَّ شِبْرا تَقرَّبتُ إليه ذِراعا وإن تقرَّب إليَّ ذِرَاعا اقْتَرَبتُ إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَة))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وله زيادة:

((يا ابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الذين ذكرتني فيهم))

[مسند البزار عن ابن عباس]

أيها الأخوة الكرام:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

الصلاة من أجل أن تذكر الله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

(سورة الأحزاب)

الأمر ينصب لا على الذكر بل على الذكر الكثير.

((يا بن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

الذكر أن تذكره فلا تنساه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تطيعه فلا تعصيه.

من ظنّ بالله الظن الحسن فلن يخيبه الله أبداً:

أول نقطة:

((أنا عند ظنِّ عبدي بي))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

تصور أن إنساناً وضع ثقته بالله، لو أنه مريض، ووضع ثقته بالله، وأيقن أن الله هو الشافي، لو أنه في ورطة، وأيقن أن الله ينقذه، لو أنه أمام عدو شرس، وأيقن أن الله يحميه، إن ذكر الله في أي موقف، ذكره وهو مريض، ذكره وهو خائف، ذكره وهو متورط، ذكره وله عدو شرس.

((أنا عند ظنِّ عبدي بي))

حينما تثق بالله، وحينما تظن به الظن الحسن، لن يخيبك، وهناك آلاف الدروس كل إنسان حوله مجموعة من الناس، إنتهى إلى سمعه عشرات، بل مئات، بل آلاف القصص تؤكد هذا، إن وضعت ثقتك بالله فلن تخيب، إلى أنه يمكن أن تقول: زوال الدنيا أهون على الله من أن يخيب ظن عبد مؤمن محسن لله، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((حسن الظن بالله ثمن الجنة))

[ابن عساكر عن أنس]

أول نقطة:

((أنا عند ظنِّ عبدي بي))

في رواية أخرى:

((فليظن بي ما شاء))

[أخرجه الطبراني عن واثلة بن الأسقع]

مثلاً إذا إنسان خاف أن يضع أمواله بشكل ربوي، يقول لك: يقتلونني، لأنك أطعته يقتلونك ؟ هكذا يظن بعض الأشخاص، لأنه لم يصافح سيخسر منصبه، لأنهم علموا أنه صاحب دين سيسرحونه، هذا كلام الشيطان، الله عز وجل مع المؤمن، مع المؤمن حافظاً، مع المؤمن موفقاً، مع المؤمن مؤيداً، مع المؤمن ناصراً.

من أساء الظن بالله عز وجل سيعامله الله كما ظنّ:

مثلاً يقول لك: إذا الله عز وجل سلمك إلى غيره لا يستحق العبادة:

(وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً)

(سورة القصص الآية: ٥٧)

عندما كنتم مشركين حميناكم، بعدما آمنتم، واستقمتم، واصطلحتم، نريد أن تتخطفوا ؟ يتخطفون الناس من حوله.

يوجد منطق عجيب عند الناس، إذا أطعت الله ستدمر، إن تركت هذه المعصية ستدمر، هكذا ظنك بالله عز وجل ؟ عندما كنت غارقاً بالمعاصي الله كان حاميك، وموفقك، بعدما اصطلحت معه، واستقمت، وعرفته، بعدما مشيت على المنهج الصحيح، يريد الله أن يدمرك ؟ كلام مضحك، هذا المنطق يقوله معظم الناس، حتى يغطوا أنفسهم بالمعاصي، حتى يبرر المعصية، إذا ما فعلت هكذا سأموت من جوعي، إذا أطعت الله تموت من جوعك لكن إذا أكلت ربا تعيش في بحبوحة ؟ هكذا منطق الإيمان ؟.

التفكير مادي محض، والله عز وجل حينما يسيئون الظن به أيضاً يعاملهم كما يظنون.

((أنا عند ظنِّ عبدي بي))

هذه النقطة الدقيقة التي وردت في القصص

(وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا)

لها مثيلات في كل عصر، في كل بيئة لها مثيلات.

المنطق الذي يدعيه أهل المعصية منطق سخيف ساقط:

إذا لم أصافح سأفقد مكانتي في الشركات الأجنبية، إذا ذهب إلى أي معرض يجب أن يصافح حتى يحقق مكانته، وإذا لم يصافح فلن يعطوه وكالة الجماعة، هذا منطق معظم الناس، يجد المعصية سبيل الرزق، وإذا أطعت الله عز وجل تموت من جوعك ؟! الاختلاط سبيل المكانة، إذا أخذت موقفاً إسلامياً من علاقتك بالنساء تفقد مكانتك في المجتمع، هذا المنطق الذي يدعيه أهل المعصية منطق سخيف، منطق ساقط، لا يقف على قدميه.

((أنا عند ظنِّ عبدي بي))

مرة أخ من أخواننا، بيته بمكان، وعمله بمكان بعيد، وهناك ازدحام شديد، والمواصلات لم تكن كما هي الآن، كانت صعبة جداً، وقبل أن يلتزم اشترى ورقة يانصيب، قال: لعلي أربح، وأشتري سيارة، قال لي: اشتريتها يوم الخميس، الجمعة دخلنا لجامع نحضر خطبة، الموضوع عن اليانصيب، قال لي: والله أخرجتها من جيبي ومزقتها في الجامع، كان دخله يغطي مصروفه، قال لي: جاءني زبون ـ في العادة يطبع خمسمئة قميص، ألف قميص ـ يريد أن يطبع خمسين ألف قميص فربحت ثمن السيارة التي أركبها.

أنت عندما تمزق ورقة اليانصيب خوفاً من الله وتبقى بلا سيارة ؟ الله عز وجل كريم:

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

جالس ببيت مغتصب، تخرج منه بلا سبب، فقط خوف من الله، وتبقى بلا بيت ؟ تنام على الرصيف لأنك نفذت شرع الله عز وجل ؟ هذا المنطق مستحيل، ما رأيت إنساناً خرج من بيت إلا وأكرمه الله، وما رأيت إنساناً تشبث إلا ودمره الله، هذا موضوع طويل كثير، يجب أن تظن الظن الحسن بالله عز وجل.

قال لي إنسان: معي مبلغ أريد أن أشتري به سيارة، دخلت بصراع ستة أشهر أين أضعه، يريد أن يأخذ رخصة عنده مدرسة ابتدائية، يحتاج إلى رخصة بعدها يشتري ما يريد، دخل بصراع شديد مع نفسه، قال لي: أنا كنت مرة خارج البيت، وزوجتي عند أهلها دخل للبيت حرامي، ما ترك شيئاً في البيت و إلا وبعثره، إلا هذه الخزانة الحديد البسيطة التي بها المبلغ لم يقترب منها، أنت خفت من الله عز وجل، الله هو الحارس، هو الضامن، أنا لا أقول أن تفرطوا، لا، لا تظن أنك إذا أطعت الله تخسر، إذا أطعته تدمر، هذا ظن أهل المعصية، منطق أهل الفجور، منطق المتفلتين، إذا تطيعه تربح، إذا قلت كلمة الحق يقوى مركزك عند خصومك، إذا شهدت شهادة حق تربح، أنا لا أبالغ أكثر من مئة فتوى استفتيت أنه إذا حلف يميناً أنه واضع تسعيرة خرج براءة، قلت له: لا تحلف، إذا لم تكن واضعاً التسعيرة لأن الله أغلى من سجن شهرين بعدرا.

كلّ الأشخاص بيد الله عز وجل و الله يحميهم و ينجيهم إن كانوا معه:

والله أيها الأخوة، لا يوجد أخ سألني ومنعته من حلف يمين كاذب إلا نجاه الله، إلى الآن أكثر من مئة ألف أخ سألني، يريد أن يحلف يميناً، أن هو واضع التسعيرة وأن الموظف كان مخطئاً، قلت له: لا تحلف، الله أجلّ وأكرم من أن تحلف به كذباً، وسينجيك الله عز وجل.

((أنا عند ظنِّ عبدي بي))

سمعت عن إنسان راكب سيارة هو وأهله، نزل يسأل عن فندق، هناك وادٍ سحيق أمام السيارة، ابنه الصغير حلّ الفرام، فمشت السيارة، وعندما رآها نزلت بالوادي، قال له: يا رب إن أنقذتهم لي كل شيء أملكه لك، هذه بوادي العيون، نزلت السيارة للقاع، فيها زوجته وخمسة أولاد والله سلمهم كلهم، القصة غريبة جداً، باع بيته ودفعه صدقة، واستأجر، هكذا عاهد الله عز وجل، الله سيعوض عليه.

أنت تعامل خالق الكون، تعامل من بيده كل شيء، كل الأشخاص بيد الله عز وجل، استقم، كلمة

الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً، الذي تعبده يحميك، الذي تعبده إله، كل شيء بيده، وعندما يسلمك إلى غيره لا يستحق أن تعبده.

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

(سورة هود الآية: ١٢٣)

هذا الإيمان.

من ذكر الله عز وجل للناس و لم يذكر نفسه ذكره الله في ملأ خير منه:

هناك معية عامة ومعية خاصة.

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)

(سورة الحديد الآية: ٤)

هذه معية علم، أما إذا قال: إن الله مع الذين آمنوا، إن الله مع المتقين.

(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)

(سورة الأنفال)

إن الله مع الصادقين، هذه معية توفيق، معية حفظ، معية تأييد، معية نصر، ينصرك، ويحفظك، ويؤيدك، ويوفقك، قال:

((فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي))

[البخاري و مسلم عن أبي هريرة]

أنت بمجلس عندما تجلس مع الناس تقول: أنا عملت، وتركت، وتحديت، ونفذت كلمتي، وهذا العمل لولاي ما صار، كل الناس يعبدون ذواتهم قلما تجد إنساناً يتحدث عن الله، أنت اغفل نفسك، حدث الناس عن الله عز وجل، الله يرفع شأنك، لا يوجد إنسان أعزه الله كرسوله، لأنه لا يوجد إنسان أغفل نفسه كرسول الله.

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

(سورة الشرح)

((فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلأٍ))

[البخاري و مسلم عن أبي هريرة]

أنت جالس بجلسة، بسهرة، بنزهة، بلقاء، بوليمة، بدعوة، بسفر، لك صديق حدثه عن الله عز وجل، ذكرته في ملأ ذكرك الله في ملأ خير منه، عندما تغفل نفسك وتتحدث عن الله، الله عز وجل يرفع شأنك وأنت لا تدري، والإنسان عندما يتكلم عن نفسه ويعز نفسه، الله ينزله، يحسب أنه لا يوجد غيره في الدنيا.

تقضي ساعة تتكلم بها عن نفسك، وعن مكانتك، وعن شطارتك، وعن أساليبك، وعن دخلك، وعن إنفاقك، وعن أولادك، وعن بيتك، الآن هناك شيء مضحك، لا يوجد عندهم شيء يتكلمون به إلا عن أولادهم، ابني عمل، ابني كذا، أو زوجتي كذا، يتمحور حول ذاته، أما إذا ذكرت الله عز وجل للناس، ولم تذكر نفسك إطلاقاً ذكرك الله في ملأ خير منه.

من خدم خلق الله عز وجل تجلى الله على قلبه بالطمأنينة و السعادة:

الآن:

((وإن تَقرَّبَ إليَّ شِبْرا تَقرَّبتُ إليه ذِراعا))

أي شيء تركته لله، يعوضك الله أضعافاً مضاعفة من السعادة، أي يعاونك.

الله جل جلاله أنت لو تقربت منه شبراً يتقرب منك ذراعاً، لو تقربت منه ذراعاً يتقرب منك باعاً، لو أتيته تمشي أتاك يهرول، تفسير هذه: الله جل جلاله عظيم، تركت شيئاً لله، تصلي تجد نفسك تبكي بالصلاة، تشعر أنك تملك الدنيا، سعيد جداً، عاملت مخلوقاً معاملة طيبة بإخلاص، خدمته.

قال لي أخ: و أنا في سيارتي الساعة الثانية عشرة ليلاً بدمر، وجدت إنساناً و إنسانة يمسكون طفلاً، وطفلهم مريض، حرارته إحدى و أربعون، هم غرباء ـ هذا الأخ له علاقة بالصيادلة، وله عمل طبي ـ قال لي: أخذتهم إلى المستشفى، وأسعفنا الطفل، وأخذ الأدوية من الصيدلة المناوبة، للساعة الرابعة صباحاً حتى زال الخطر عن الطفل، قال لي: عشرة أيام وأنا أشعر بسعادة لا توصف، طبعاً عندما تخدم خلقه يتجلى على قلبك.

لقاء الله عز وجل ثمنه العمل الصالح:

يقول لك أحدهم: أنا لا أشعر بشيء في الدين، لأنه متمحور حول ذاته، اخرج من ذاتك لخدمة الخلق، يتجلى الله على قلبك.

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً)

(سورة الكهف الآية ١١٠)

لقاء الله ثمنه العمل الصالح، جرب اخدم مخلوقاً لوجه الله، اخدم حيواناً لوجه الله، عاون إنساناً لوجه الله، دل إنساناً على الله لوجه الله، حل مشكلة إنسان، امسح دمعة عن وجه إنسان بائس، أطعم يتيماً، أقرض إنساناً، أكرم إنساناً، تساهل مع إنسان إذا كان معسراً، الله يتجلى على قلبك.

هذا معنى:

((وإن تَقرَّبَ إليَّ شِبْرا تَقرَّبتُ إليه ذِراعا وإن تقرَّب إليَّ ذِرَاعا اقْتَرَبتُ إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرْوَلَة))

تحرك حركة نحو الله عز وجل، تجد ربنا عز وجل وفقك، أنا سأقول كلمة: أخواننا الكرام: لا تظن أن الإنسان أموره ميسرة لأن الدين منطقي، الدين منطقي فعلاً، لكن لا لأنه منطقي بل لأنك عندما اصطلحت مع الله عز وجل غيّر الله كل معاملته معك، أمورك انتظمت، بيتك ارتحت فيه، عملك تيسر، شعرت بطمأنينة، بسعادة، المستقيم مثل ملك.

المؤمن عزيز النفس وعزته أتت من أن الله سبحانه وتعالى يرفع ذكره:

قال إبراهيم بن جعفر المروزي: " رأيت أحمد بن حنبل في المنام يمشي مشيةً يختال فيها، فقلت: ما هذه المشية يا أبا عبد الله ؟ فقال: هذه مشية الخدام في دار السلام ".

الإنسان إذا اصطلح مع الله، و أطاعه، شعر بعزة، بأنه غال على الله، والله كل شيء بيده، لا يهين نفسه أبداً، لا يذل نفسه أبداً.

((لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلّ نفسَهُ))

[أخرجه الترمذي عن حذيفة بن اليمان]

ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير.

فالمؤمن عزيز النفس، أتت عزته من أن الله سبحانه وتعالى يرفع ذكره.

هذا الحديث أخواننا الكرام من أصول الأحاديث، أنت تحرك حركة، دع شيئاً لله، اخدم مخلوقاً، أي مخلوق.

((بينما رجلٌ يَمشي بطريق اشْتَدَّ عليه العطشُ فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلبٌ يَلْهَثُ يأكل الثَّرَى من العطش فقال الرجلُ لقد بلغ هذا الكلبَ من العطشِ مثلُ الذي كان بلغَ مِني فنزل البئر فملأ خُفَّهُ ماء ثم أمْسَكه بفيهِ حتى رَقِيَ فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهُ له فغفر له))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود ومالك عن أبي هريرة]

حاول أن تعمل عملاً صالحاً لوجه الله، من دون ضجيج، من دون رخام، إذا لم يضعوا له رخامة لا يدفع المبلغ، يريد رخامة باسمه، من دون رخام لا يصل العمل لعند الله؟ اعمل عملاً لوجه الله، ابتعد عن المظاهر.

الإنسان بالدعاء أقوى إنسان على الإطلاق لأنه يستعين بعلم الله وقدرته وحكمته:

أنت عامل الله عز وجل، وتقرب منه خطوة، تجد نفسك بسعادة كبيرة، ترى أشياء غير معقولة.
حدثنا أخ من يومين له خدمات للناس كثيرة جداً، جاء جلاء ابنه آخذ علامات متدنية جداً، وابنه ذكر، قال لي: توضأت وصليت، وهو بالسجود قال: يا رب إذا أنا أخدم الناس في سبيلك أعني على ابني، وأدبه، وأعطاه برنامجاً دقيقاً، أقسم بالله آخر السنة أخذ في الرياضيات تسعاً و خمسين، وكان قد أخذ أربع عشرة بنفس السنة، وثق بالله عز وجل، يا رب أعني عليه.
فأنت استخدم الدعاء، أنت بالدعاء أقوى إنسان على الإطلاق، لأنك تستعين بعلم الله، وقدرته، وحكمته.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٦٣- ١١٦) : كتاب الذكر والدعاء : الترغيب في الترغيب في الإكثار من ذكر الله سراً وجهراً والمداومة عليه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث التالي أصل في الترغيب بذكر الله جلّ جلاله:

أيها الأخوة الكرام، قال عليه الصلاة والسلام:

((ألا أخْبِرُكم بخير أعمالِكم، وأرفعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى، قال: ذِكْرُ الله))

[الطبري عن أبي الدرداء].

هذا الحديث أيها الأخوة، أصل في الترغيب بذكر الله جلّ جلاله، قبل أن نشرح الحديث، أجمع العلماء على أن ذكر الله يشمل تلاوة القرآن، ويشمل الاستغفار، ويشمل التسبيح، والتهليل، والحمد، والتكبير، ويشمل أيضاً الدعاء، ويشمل تذكير الناس بالله، أي كلمة تقولها تبتغي بها وجه الله فهي من ذكر الله، أي كلمة تتقرب بها إلى الله فهي من ذكر الله، بل إن الصلاة من أجل ذكر الله، والدليل:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

(سورة طه)

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية: ٤٥)

وقال العلماء: ذكر الله أكبر ما فيها، تتوضأ، وتستقبل القبلة، وتقرأ الفاتحة، وتركع، وتسجد، أكبر ما في الصلاة أن تذكر الله بقلب خاشع.

ذكر الله عز وجل هو الفرق الحاسم بين المؤمن وغير المؤمن:

أيها الأخوة، ورد في الحديث القدسي:

((إنك إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

ذكر الله عز وجل هو الفرق الحاسم بين المؤمن وغير المؤمن، بل إن المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً، يبدو أن الذكر الكثير من صفات المؤمن، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق))

[أخرجه الطبراني في الصغير عن أبي هريرة]

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

((وبرئ من الكبر من حمل حاجته بيده))

[رواه القضاعي والديلمي عن جابر مرفوعا وهو عند ابن لال عن أبي أمامة. وفي لفظ بضاعته بدل سلعته، والشرك بدل الكبر، قال ابن الغرس ضعيف]

لا يجوز أن تقول عن إنسان أدى زكاة ماله شحيح، لا يجوز أن تقول عن إنسان أكثر من ذكر الله منافق، لا يجوز أن تقول عن إنسان حمل حاجته بيده متكبر، فقد قال عليه الصلاة و السلام:

((ألا أُخْبِرُكم ـ هذه ألا تفيد الاستفتاح ـ بخير أعمالِكم وأرفعِها في درجاتكم وأزكاها عند مليكِكم وخير))

العمل الصالح من أجل أن تذكر الله، فصار الذكر هو تاج الأعمال كلها.

((وأرفعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب وخير لكم من أن تَلْقوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى قال: ذِكْرُ الله))

أي شيء يقرب الإنسان من الله عز وجل فهو من ذكر الله:

يفهم من الحديث السابق أن في الكون حقيقة هي الله عز وجل، فأي شيء يقربك من هذه الحقيقة فهو من ذكر الله، بل إن تفكرت في خلق السماوات والأرض من أجل أن تزداد معرفة بالله، هذا التفكر من ذكر الله، بل إنك لو تلوت كلام الله من أجل أن تتقرب من الله عز وجل فهو من ذكر الله، بل إنك إن ذكرت الله باسمه المفرد الله فهو من ذكر الله، بل إنك لو قلدت النبي صلى الله عليه وسلم بأذكاره الذي جمعها الإمام النووي فهي من ذكر الله، إنك إن دعوت الله تذكره، هذا الله جلّ جلاله ماثل في ذهنك.

أحياناً الإنسان يكون ماشياً و هو صامت، حينما يكون صامتاً هناك حديث نفسي داخلي، هذا الحديث الداخلي يعلمه كل إنسان.

الآن سافر إلى حلب، واركب سيارة من دمشق إلى حلب لوحدك، لا يوجد معك أحد ماذا تفعل ؟ الحديث نفسي مستمر، تسميه خواطر، تسميه حديث النفس، تسميه تفكيراً، سمِه ما شئت، هذا الحديث النفسي ماذا يشمل ؟ المؤمن حتى في حديثه النفسي يذكر الله عز وجل.

الآية الكريمة:

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)

قال بعض العلماء: أنك حينما تصلي تذكر الله، لكن ذكرك لله يقابله ذكر لله لك، وذكر الله لك أكبر من ذكرك له.

((فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلأٍ ذكرتُه في مَلأٍ خيرٍ منه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

معنى ذلك: ذكر الله لك أكبر من ذكرك لله عز وجل.

المعنى الذي ينبغي أن نفهمه فهماً أعمق هو أنه كما ذُكر الله لك فعرفته ، واستقمت على أمره، وأقبلت عليه، ينبغي أن تذكره لعباده.

الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم:

الآن الشكر، ذُكر الله لك، دُعيت إلى الله، دُعيت إلى طاعته، دُعيت إلى التقلب إلى رحمته، دُعيت إلى جنات القربات، الوفاء يقتضي أن تذكره لعباده كما ذكرك فسعدت بقربه، هذه الدعوة إلى الله، وكل مؤمن يجب أن يدعو إلى الله، والمؤمن الذي لا يفكر أبداً في أن يدعو إلى الله أحداً يُشك في إيمانه، لأن حقيقة الإيمان ما إن تستقر في قلب الإنسان حتى تعبر عن ذاتها بذاتها، بشكل دعوة إلى الله، إنسان يتصل بالله، ويذوق طعم القرب، ولا يفكر أبداً أن يقنع أقرب الناس إليه، أحب الناس إليه، في أن يدعوهم إلى الله ، هذا يشك في إيمانه.

كما أن الرائحة الفواحة من خصائص الورد فإن لم نجد رائحة فواحة نشك في أنها وردة طبيعية، هذه وردة اصطناعية لأنها فقدت هذه الرائحة.

فالإنسان أي إنسان يجب أن يدعو إلى الله عز وجل، هذه الدعوة إلى الله فرض عين، لأن الله عز وجل يقول:

(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

(سورة يوسف الآية: ١٠٨)

أعلى مراتب الجهاد أن تَعلم القرآن و تُعلمه:

تذكرون: من لم يجاهد، ومن لم يحدث نفسه بالجهاد فهو على ثلمة من النفاق.

وأعلى مراتب الجهاد أن تعلم القرآن وأن تعلمه، قال تعالى:

(وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)

(سورة الفرقان)

سمّي جهاد تعلم القرآن وتعليمه جهاداً كبيراً، الإنسان إن لم يفكر إطلاقاً في أن يعلم هذا القرآن أو يتعلمه هذا مات على ثلمة من النفاق، أحياناً الإنسان يتوهم أنه أنا تاجر ولست داعية، أنا صناعي،

أنا موظف، أنا مهندس، أنا طبيب، يصنف نفسه بحرفه تقابل الإيمان، لا هذا الكلام فيه خطأ كبير، أنت طبيب وينبغي أن تكون مؤمناً، تاجر مؤمن، صناعي مؤمن، مهندس مؤمن، ومن لوازم الإيمان إن استقر بقلبك الإيمان حقاً أن تدعو إلى الله، و الدعوة فرض عين أي أن تذكره لعباده في حدود ما تعلم ومع من تعرف، لست مكلفاً أن تجعلها دعوة عامة، ولست مكلفاً أن تكون من أساطير العلماء، حتى تكون داعية الذي سمعته، الذي استوعبته، الذي عقلته، الذي تمثلته، الذي تأثرت به، هذا الجانب الذي تأثرت به انقله إلى أقرب الناس إليك، لقد حققت الدعوة التي هي فرض عين، وفرض كفاية، قال تعالى:

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ)

من للتبعيض.

(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ)

(سورة آل عمران الآية: ١٠٤)

هذا فرض الكفاية.

من دعا إلى الله وسع دوائر الحق:

أما فرض العين:

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

(سورة العصر)

التواصي بالحق أحد أركان النجاة، و إلا لن تنجو، إنك إن دعوت إلى الله وسعت دوائر الحق، إذا الحق توسع لأن كل شيء ينمو في الحياة، فإذا الحق لم ينمُ ينتهي، فالنمو لا من أجل أن يزداد أهل الحق، من أجل أن يبقى الحق، أحياناً النمو من أجل البقاء.

كيف أن راكب الدراجة إن لم يتحرك وقع، إذا وقف وقع فوراً، توازنه في حركته، والحق إذا فيه حركة فيه بقاء، و إن توقف وقع و انكمش، كل شيء ينمو في الحياة، سنة الله في خلقه، فالنمو مستمر، و إن توقف أحد عناصر الحياة عن النمو، وكل شيء ينمو حوله سوف تضيق دوائره.

ذكر الله عز وجل ينجي صاحبه من العذاب:

إذاً هذا الحديث أيها الأخوة، أصل في ذكر الله عز وجل:

((ألا أخْبِرُكم بخير أعمالِكم، وأرفعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى، قال: ذِكْرُ الله))

حديث آخر:

((ما عَمِلَ ابنُ آدمَ من عَمَلٍ أنْجَى له من عذابِ الله من ذِكْرِ الله))

[أخرجه الترمذي ومالك عن معاذ بن جبل]

الإنسان أحياناً لا يكون على مستوى أن يتحدث عن الله، ثقافته محدودة، وهذه الدعوة إلى الله اختصاص، ماذا يفعل ؟ قد يأتي به إلى المسجد، هذا السعي الطيب نوع من ذكر الله، أحياناً يسمعه شريطاً، معنى ذلك نقل له الحق، النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((بلِّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى من سامع))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

قد يكون الإنسان سمع الدرس وبلغه لإنسان، الإنسان المبلغ أوعى من السامع، فكل ما فعله هذا المبلغ في صحيفة السامع.

يقولون: إذا الإنسان أنجب ولداً كبيراً، عالماً جليلاً، و كان الأب حريصاً على ابنه في أن يكون في هذا المستوى، كل أعمال ابنه في صحيفته، هو الذي أنجبه، أنجبه وهو يسعى إلى أن يكون هكذا.

من علّم القرآن و تعلمه خير له من الورق و الذهب:

أخواننا الكرام، الحق شيء ثمين جداً، أعرف رجلاً لا يملك أن يكون حديثه مقنعاً للناس، يعمل لقاء ويسمع الناس شريطاً، أناس كثر استفادوا، و تابوا إلى الله عز وجل، أساليب نقل الحق كثيرة، درس العلم وعاء، الكتاب وعاء أحياناً، الشريط وعاء، الخطبة وعاء، لا بد من الحق أن ينتقل لك وتنقله للآخرين هذا ضمن ذكر الله عز وجل.

((وخير لكم من الوَرَق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم))

هو الجهاد من أجل أن تذكر الله للآخرين، فإن أتيح لك أن تذكره للآخرين هو الهدف أساساً، إذا كان متاح لك أن تذكر الله، متاح لك أن تتعلم القرآن، متاح لك أن تعلم القرآن، هذا الذي سماه القرآن جهاداً كبيراً.

الإخلاص شرط أساسي من شروط ذكر الله عز وجل:

الحديث الأخير، عن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال يا رسول الله:

((إن شرائع الإِسلام قد كَثُرَت، وأنا قد كَبِرْتُ، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّث به، ولا تُكثِر عليَّ فأنسى، قال: لا يَزَالُ لسانُكَ رَطْبا بذِكر الله))

[الترمذي و أحمد عن عبد الله بن بسر]

هذا الشيء الذي إذا تشبثت به أنجاك.

((لا يَزَالُ لسانُكَ رَطْبا بذِكر الله))

لكن لاحظتم من هذين الحديثين أن هذا الذكر مع الإخلاص، هل من الممكن للإنسان أن يذكر الله دون إخلاص، في مطلع الدعوة الإسلامية لم يكن هناك نفاق، أما تذكر الله من أجل أن تقنع الناس أنك صالح، هذا شيء ظهر بعصور التخلف، أما بالأساس الإنسان إذا ذكر الله عليه أن يذكره صادقاً.

((إن شرائع الإِسلام قد كَثُرَت، وأنا قد كَبِرْتُ، فأخبرني بشيءٍ أتشبَّث به، ولا تُكثِر عليَّ فأنسى، قال: لا يَزَالُ لسانُكَ رَطْبا بذِكر الله))

[الترمذي و أحمد عن عبد الله بن بسر]

والحمد لله رب العالمين

الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مضامين الذكر هي التسبيح والتكبير والحمد والتمجيد:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إن لِله ملائكة يطوفون في الطُّرُق يَلْتَمِسُونَ أهل الذِّكْر، فإذا وجدوا قوما يَذْكُرُنَ الله تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجتكم، فَيَحُفُّونَهُمْ - يحفونهم أي يحفظونهم - بأجنحتهم إلى السماءِ الدنيا، قال: فيسألُهم ربُّهم - وهو أعلم بهم -: ما يقول عبادي - في هذه المجالس - ؟ قال: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ))

[البخاري عن أبي هريرة]

يسبحونك أي ينزهونك عن كل ما لا يليق بك، ويمجدونك يتحدثون عن كمالاتك، ويكبرونك يقولون: الله أكبر، مضمون الله أكبر، أي أن الله أكبر من كل شيء، يؤثرون ربهم على كل شيء، يؤثرون طاعته على كل شيء، ويحمدونك على نعمك كلها ويمجدونك، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام يبين مضامين الذكر، التسبيح، والتكبير والحمد، والتمجيد.

((قال: فيقول: هل رأوْني ؟ قال: فيقولون: لا والله ما رَأوْك، قال: فيقول: كيف لو رأوني ؟))

نحن على الغيب.

((كيف لو رأوني ؟ قال: يقولون: لو رأوْك كانوا أشَدَّ لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيدا، وأكثرَ لك تسبيحا. قال: فيقول: فما يسألون ؟ قال: يقولون: يسألونك الجنَّة قال: فيقول: وهل رأوْها ؟ قال: يقولون: لا والله يا ربِّ ما رَأوْها، قال: يقول: فكيف لو رأوها ؟ قال: يقولون: لو أنَّهُمْ رَأوها كانُوا أشدَّ عليها حِرْصا، وأشدَّ لها طلبا، وأعظمَ فيها رَغْبَة، قال: فمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟))

[البخاري عن أبي هريرة]

انظر، ماذا يقولون ؟ ماذا يسألون ؟ ممَ يتعوذون ؟ مضامين مجالس العلم، يجب أن تسأل الله الجنة، وأن تتعوذ به من النار، وأن تسبحه، وأن تحمده، وأن تكبره، أن تقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، هذه كلمات يرددها المسلمون، ولكن مضامينها كبيرة جداً.

كل شيء ينتهي عند الموت من الدنيا وكل شيء يستمر تأثيره بعد الموت من الآخرة:

المشكلة أن الإنسان في أول عهده بالإسلام، هذه الكلمة لها معان كبيرة جداً، لكن مع تقدم الأزمان قد تفقد هذه الكلمات معانيها، تصبح كلمات يرددها المسلم ترديداً أجوفاً، أي ملخص الدعوة إلى الله كلها هي:

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)

(سورة الكهف الآية: ٤٦)

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة الكهف الآية: ٤٦)

الآية دقيقة جداً:

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ)

أموال بلا بنون، وبنون بلا أموال شيء لا يحتمل،

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَات ُ)

عندما قال ربنا:

(وَالْبَاقِيَات)

معنى ذلك أن الأولى هي الفانيات،

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَات)

معنى ذلك أن المال يفنى، وأن أمجاد الدنيا كلها إلى زوال، لكن هذه سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر هي الباقية.

لو أن الإنسان عمل مقياساً لنفسه، كل شيء ينتهي عند الموت من الدنيا، وكل شيء يستمر تأثيره بعد الموت من الآخرة، فذكر الله عز وجل، وطلب العلم، وتعليم العلم، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والدعاء، وتلاوة القرآن، والعمل الصالح، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، هذا كله يبقى، هذا الذي إذا فعلته لم تكن خاسراً، لأن الله عز وجل يقول:

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

(سورة العصر)

الخاسر الحقيقي أن مضي الزمن يستهلك الإنسان، فأنت بضعة أيام، كن من تكن أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، لكنك إن عرفت الله، وعملت في سبيل التقرب منه عملت عملاً يبدأ بعد مضي الزمن، قال:

((فَمِمَّ يَتَعَوّذُونَ ؟ قال: يتعوَّذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها ؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِرَارا، وأشد منها مَخَافَة. قال: فيقول: ـ هنا موطن الشاهد ـ أشْهِدُكم أنّي قد غفرتُ لهم. قال: يقول مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاءَ لحاجةٍ. قال عز وجل: هم الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى جَلِيسُهم))

[البخاري عن أبي هريرة]

الإنسان حينما يتعرف إلى الله عز وجل يفوق الملائكة المقربين:

الحقيقة قد تتساءلون، الله يسأل، هو لا يعلم حتى يسأل ؟ هو يعلم، لكن ألم يقل الله عز وجل:

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة البقرة)

فكانت هذه المجالس تأكيداً للملائكة أن الله يعلم ما لا يعلمون، الإنسان حينما يتعرف إلى الله عز وجل يفوق الملائكة المقربين، الإنسان مركب من عقل وشهوة، إن سما عقله على شهوته كان فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله كان دون الحيوان.

فلذلك ربنا عز وجل يؤكد للملائكة الذين رأوا الجن، يسفكون الدماء، ويفسدون في الأرض، قالوا:

(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

أي أن تتعرف إلى الله، وأن تذكره، وان تسمو بنفسك عن سقوط المادة، هذا يرفعك أعلى من الملائكة.

من بنى عمله على استقامة على أمر الله فسيرقى به عمله هذا إلى الله عز وجل:

أيها الأخوة، وعن أم أنس رضي الله عنها قالت:

((يا رسول الله أوصني، قال: اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد))

[الطبراني عن أم أنس]

الإنسان قد يعمل أعمالاً صالحة كثيرة، لكن إذا كان متلبساً بمعصية، هذه المعصية تحجبه عن الله عز وجل، وكأنه ما استفاد من كل أعماله الصالحة، أما إذا بنى أعماله الصالحة على استقامة على أمر الله، أي عمل مهما بدا قليلاً يرقى بك إلى الله عز وجل.

((اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثري من ذكر الله، فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره))

[الطبراني عن أم أنس]

الإكثار من ذكر الله عز وجل:

((إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني))

[الطبراني عن أبي هريرة]

كثرة ذكر الله عز وجل، وذكر الله واسع جداً، أنت مخير تقرأ القرآن، تسبح، تهلل، تكبر، تستغفر، تدعو، تطلب العلم، تقرأ حديث رسول الله، تقرأ السيرة، تُعلم ، تتعلم، تذكر الله في نفسك، تذكره لغيرك، هذا حديث يدور مع الإنسان في كل شؤون حياته، أنت إذا دعوت الله وأنت في طريقك إلى العمل فأنت تذكره.

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

(سورة المعارج)

أي:

(أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

(سورة آل عمران الآية: ١٠٢)

قال بعض العلماء:

(اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)

أن تذكره فلا تنساه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تطيعه فلا تعصيه، هذه معنى

(حَقَّ تُقَاتِهِ)

ما كل إيمان ينجي صاحبه، ما كل ذكر ينجي صاحبه، لا بدّ من أن يكون الذكر كثيراً.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)

(سورة الأحزاب)

هناك مقولة لطيفة: لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير، بالخير لا يوجد إسراف، في الأساس لا خير في الإسراف، أي إسراف انحراف، لكن لا إسراف في الخير، إنسان أنفق، كلما زاد في إنفاقه يرقى عند الله، كلما أكثر من ذكره كان أرقى عند الله، كلما تشدد في طاعته لله كان أكرم عند الله.

إذاً:

((اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثري من ذكر الله، فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره))

[رواه الطبراني عن أم أنس]

مجلس العلم يفضي بالإنسان إلى الجنة:

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال:

((قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟))

[أحمد عن عبد الله بن عمرو]

الإنسان أحياناً يوضع بين خيرات عديدة، سهرة مع أصدقائه، سهرة مع أهله، لقاء، نزهة، مجلس ذكر، جاء إلى المسجد، طبعاً الجلسة غير مريحة، لا يوجد ضيافة، لا يوجد شيء في المسجد إلا هذا الذكر، فإذا وضع الإنسان بين خيارات عديدة ليذكر هذا الحديث:

((قلت: يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر ؟ قال: غنيمة مجالس الذكر الجنة الجنة.))

هذا المجلس وأي مجلس آخر يفضي بالإنسان إلى الجنة، والجنة فيها:

((ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعتْ، ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إذا مَرَرتُم برياضِ الجنَّة فارتَعُوا، قالوا: وما رياضُ الجنة ؟ قال: حَلَقُ الذِّكر))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

مجلس علم، لأن العلم ذكر لله عز وجل.

إكرام الله لمن يحضر مجلس الذكر لا يقدر بثمن:

النقطة الدقيقة أنه قلت: لا يوجد ضيافة في المسجد، لكن أنت دخلت إلى بيت من بيوت الله، وهل يعقل أن صاحب البيت لا يقدم لك شيئاً ؟.

((إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيتي ثم زارني، وحق على المزور أن يكرم الزائر))

[ورد في الأثر]

إكرام الله لمن يحضر مجلس الذكر أحياناً لا يقدر بثمن، هذه الطمأنينة التي يلقيها في قلب المؤمن لا تقدر بثمن، هذا الشعور بالرضا بما نالك من الله عز وجل لا يقدر بثمن، لأن الإنسان إذا سخط، وإذا ضجر، وإن لم يرضَ عن الله عز وجل وقع في شرّ عمله.

فشعور المؤمن الذي يحضر مجالس الذكر أن الله راضٍ عنه، وأن الله يحبه، وأن الله معه، ولن يتخلى عنه، وسيحفظه، هذا شعور لا يقدر بثمن.

((إذا مَرَرتُم برياضِ الجنَّة فارتَعُوا، قالوا: وما رياضُ الجنة ؟ قال: حَلَقُ الذِّكر))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

وفي درس قادم إن شاء الله نتابع أحاديث الذكر، فالذكر هو نهاية العمل، نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل أن تذكر الله عز وجل.

((ألاَ أنَبِّئُكُمْ بخير أعْمَالِكُمْ وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وخَيْرٍ منْ إعطاءِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وأن تَلْقوا عَدُوَّكُمْ فتَضْرِبُوا أعْنَاقهُمْ ويَضْرِبُوا أعْنَاقكُمْ » قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: ذِكْرُ الله))

[أخرجه الحاكم عن أبي الدرداء]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٦٥-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى والترهيب من أن يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أكبر عقاب أن نعزل الإنسان عن مجتمعه لأن الإنسان اجتماعي بطبعه:

أيها الأخوة الكرام، حديث شريف يبين فضل هؤلاء الذين يجتمعون، ويقرؤون القرآن، أو يتدارسون أحكامه، أو يجلسون مجلساً، ويتكلمون أطيب الكلام، وأجمل الكلام كلاماً يقربهم من الله عز وجل، كلاماً يحثهم على الأعمال الصالحة.

تصور أنه لا يوجد إنسان إلا وله سهرة، زيارة، لقاء، نزهة، أي الاجتماع من صفات الإنسان، أكبر عقاب يعاقب به الإنسان أن يوضع في سجن انفرادي عدداً من الأيام فإذا طالت يختل عقله، الإنسان بلا شخص يحدثه يختل عقله، لذلك يعد أكبر عقاب أن تعزل الإنسان عن مجتمعه، فالإنسان اجتماعي في الطبع، يأنس بأولاده، بزوجته، بأصدقائه، بجيرانه، بإخوانه، من يشعر هذا الشعور ؟ الذين يسافرون إلى بلاد مزدحمة بالناس، لكن لا يوجد علاقات، شعور الغربة لا يعرفه إلا من ذاقه، أحياناً لبلد إسلامي ليس له أحد، ليس له أهل، ولا أقارب، ولا أخوات، ولا بنات، ولا أصدقاء، يعيش وحده.

عظمة الإسلام أنه وَحَّد الناس في بوتقة واحدة:

النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث يبين إذا اجتمع أناس، و تكلموا عن الآخرة، و عن عظمة الله عز وجل، وعن كمال النبي، وعن الغاية التي خلقوا من أجلها، هؤلاء يغبطهم النبيون، يقول عليه الصلاة والسلام:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

مرة أخ فهم هذا القول فهماً بعيداً عن الواقع، أنه أعلى من الأنبياء، قلت له: لا، أحياناً إنسان يحتل أعلى منصباً يكون عنده حاجب لكن صحته طيبة، ليس المعنى أن هذا الإنسان بالصحة الطيبة أعلى من الشخص الكبير، لا، لكن النبي يشجعنا أن هناك مراتب كثيرة جداً، لست نبياً ولا شهيداً، قال:

((يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل قيل يا رسول الله من هم قال هم جماع من نوازع القبائل))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

أي لا يوجد علاقات، أحياناً تجد هذا مهندس، هذا ليس متعلماً إطلاقاً، هذا طبيب، هذا من بلد بعيد، هذا ريفي، هذا مدني، هذا من قارة أخرى، هذا طالب علم إفريقي، هذا تركي، لا يوجد شيء يجمع الحقيقة، نحن نفهم أنه في بلد واحد، عرق واحد،أصل واحد، أسرة واحدة، قبيلة واحدة، عشيرة واحدة، تجد من بلاد متعددة، بلغات متعددة، أقاليم متعددة، هذا شيء ملاحظ في الإسلام، عظمة الإسلام، تجد طلاباً من الصين، وطلاباً من تركيا، و طلاباً من إفريقيا، يجمعهم هذا الدين، تشعر أنه أقرب إليك من أخيك النسبي.

لو فرضنا إنساناً له أخ نسبي متفلت، أخ من أمه وأبيه، نشأ معه في هذا البيت، لكن متفلت، لا يوجد قوة تحكمه، يشعر المسلم أن هذا الذي جاء من الصين من بعد خمسة آلاف كم، عشرة آلاف كم، بيئته غير بيئتنا، وعقليته غير عقليتنا، وكل شيء فيه خلاف ما نحن عليه، لكن الإسلام وحدنا، وأذابنا في بوتقة واحدة.

كل الناس يعيشون للدنيا والموت قاب قوسين:

إذاً:

((عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل قيل يا رسول الله من هم قال هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

أهل الدنيا لم يستوعبوا وضع المؤمنين، ماذا يوجد بالجامع ؟ لا يوجد شيء، فيه ذكر الله عز وجل، لا فيه تجارة، ولا صناعة، ولا سياسة، لا يوجد فيه شيء، لا يوجد فيه موضوع أرضي إطلاقاً، موضوع متعلق بالأرض لا يوجد، فيه موضوع متعلق بالآخرة، موضوع متعلق بخالق الكون، موضوع متعلق بسمو النفس، موضوع متعلق بالمصير الأبدي، كل الناس يعيشون للدنيا، والموت قاب قوسين.

أنا من أسبوع لي تعويض، ذهبت لعند المحاسب لأقبض، أعرف طاولته كلها أوراق على البلور، أين هو ؟ قال: والله مات، بهذه البساطة ؟ مات ! صلى عندنا الظهر معاون وزير الأوقاف الأسبوع الماضي، قلت له: هذا المحاسب كيف توفى ؟ قال: توفى بغرفتي، ما هذا الكلام ! قال لي: دخل

لعندي وهو مرتاح و أحضر لي بونات البنزين، ثم جلس على المقعد، اصفر وجهه، ركضت عليه فوجدته قد توفي، بهذه البساطة ! جاء مشياً وخرج ميتاً.

الإنسان يغادر بثانية، بثانية يصبح خبراً على الحائط، بثانية كان شخصاً صار خبراً، كلمتان أصبح المرحوم فلان.

كلام الإنسان من جنس عمله:

لذلك:

((جماع من نوازع القبائل)

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

أناس يعملون بالدنيا ماذا في الدنيا ؟ أنا قلت لشخص مرة: إذا كنت تستطيع ألا تظلم إنساناً، تستطيع أن تنام مساء، لا يوجد إنسان له عندك حق، لم تنبِ مجدك على أنقاض الناس، لا يوجد إنسان له عندك قرش، ولم تؤذِ إنساناً بكلمة، ولا بحركة، ولا بسكنة، وصحتك طيبة، وعندك وجبة طعام واحدة، سيد الخلق، الذي هو قمة المجتمع البشري، دخل إلى البيت قال:

((يا عَائِشَةُ هَلْ عِنْدَكُمْ شيء قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا شيء))

[مسلم عن عائشة]

الآن كل أخواننا الحاضرين هل يوجد بيت ليس فيه طعام ؟ قال:

((قال فإني صائم))

[مسلم عن عائشة]

كله ماض، ماذا أكلت ؟ ماذا لبست ؟ أين سكنت ؟ ماذا ركبت ؟

((رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل. قيل يا رسول الله من هم قال هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

أحلى كلمة، والله أحياناً تسمع، تكون ساكناً ببيت و لك جيران، تقرف البيت من ضحكهم، صوت عال، قهقهة، مزح رخيص، كلام بذيء، الآن أكثر الناس هكذا، هذا كلامه، إذا لم يتكلم كلاماً يتعلق بالعورات لا ينبسط، إذا لم يغش كلامه لا ينبسط، هؤلاء:

((فينتقون أطايب الكلام))

كلامك من عملك، يمكن أن تعيش مع إنسان ثلاثين سنة ولا تسمع منه كلمة نابية، أو مزحة رخيصة، أو تعليقاً محرجاً، أبداً، كلامه يجمع لا يفرق، كلامه يسمو بالنفس، كلامه يحيي القلب.

((فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

الله عز وجل لا يحبنا إلا أن نكون بأعلى درجة من الكلام الطيب:

ليس من السهل أن يكون كلامك منضبطاً، الكلام المنضبط قضية كبيرة، مرة كنا بجلسة، فيها أخ من حلب، جاء شخص و تكلم بكلمة، معقول أن تتكلم هكذا ؟ أن جميع الناس في حلب ليسوا على قدر جيد، بهذه البساطة ؟ أين عقلك ؟ كل بلد فيه أناس طيبون، و أناس سيئون، يجب أن تنتبه لكلامك، يجب أن تضبط كلامك، هناك شخص يقول لك: كل المحامين ليسوا جيدين، لا، هناك محامون والله أتقياء، والله إذا لم تكن الدعوى فيها حق لا يستلمها، يضعها تحت قدمه، يقول: لا آخذها.

التعميم معنى هذا أن المعمم جاهل، إذا قال كل المحامين هكذا، أو كل الأطباء هكذا، هذا كلام كله جهل، لا تعمم أبداً.

حتى إن أحد العلماء الكبار يقول لك: لا يجوز أن تكفر بالتعميم، تقول: فلان كافر ؟ أنت ارتكبت كبيرة، هل أنت إله لتقيّم ؟ من أنت ؟ أنت واحد من الناس.

الله عز وجل لا يحبنا إلا أن نكون بأعلى درجة من الكلام الطيب.

مراتب الدنيا ليس لها قيمة إطلاقاً المرتبة الحقيقية مرتبة الإيمان:

قال:

((يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل قيل يا رسول الله من هم قال هم جماع من نوازع القبائل))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

أي لا يوجد شيء يجمع بينهم، مثقف وغير مثقف، مدني وريفي، كله طيب، أنا لي كلمة أرددها كثيراً، أقول: المؤمن الصادق إذا قلت: فلان مؤمن، لا يجوز أن نضيف كلمة ثانية فوقها، إذا قلت: مؤمن غني، تشتهي الغنى منه، من تواضعه، من حبه للخير، من إنفاقه المنضبط، الغني المؤمن إنفاقه منضبط، المال الزائد الذي عنده يعين به الناس، إذا قلت: مؤمن فقير، غلط تقول فقير، تشتهي الفقر من مؤمن عفيف متجمل، لا يسأل، لا يطلب، لا يلح، عزيز النفس، كريم النفس، إذا قلت: مؤمن ريفي تشتهي الريف كله من المؤمن، من محبته، من تواضعه، من صفاء نفسه، من كرمه، من ضيافته، إذا قلت: مؤمن مدني تشتهي المدن كلها من المؤمن، إذا قلت: مؤمن قوي تشتهي القوة عليه، لأنه مقيد بالحق، القوي قوي، لكن لا يستطيع أن يتحرك حركة خلاف منهج الله، إذا قلت: مؤمن ضعيف، تجد ضعفه افتقاراً إلى الله عز وجل، لا تضاف كلمة أخواننا الكرام.

أنا هذا الذي أراه مؤمناً بأي وضع على العين والرأس، هذا الذي يجمعنا، يجمعنا الإيمان، أنا أشعر لو فرضنا أخاً من أخواننا كان رئيس دائرة بمنصب رفيع، عنده حاجب مؤمن، هذا أخوه في الله، مراتب الدنيا ليس لها قيمة إطلاقاً، المرتبة الحقيقية هذا مؤمن أخوك.

((قيل يا رسول الله من هم قال هم جماع من نوازع القبائل فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه))

[رواه الطبراني عن عمرو بن عبسة]

قال: الجماع ؛ أخلاط من قبائل شتى، ومواضع مختلفة، النوازع جمع نازع وهو الغريب، معنى هذا أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم، ولا لنسب، ولا معرفة، وإنما اجتمعوا لذكر الله لا غير، والإنسان إذا كان هدفه الله عز وجل لا أحد يكرهه، لا أحد له عليه مأخذ، هدفك الله.

الابتعاد عن الغيبة و النميمة التي تفسد المجتمع و تفتته:

حديث آخر، الحديث الآخر عكس:

((ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يُصلُّوا على نبيِّهم إلا كان عليهم تِرة فإن شاء عَذَّبهم وإن شاء غفر لهم))

[رواه أبو داوود والترمذي عن أبي هريرة].

ترة ؛ أي مسؤولية.

(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ)

(سورة الحجرات الآية ١٢)

أنا سمعت عن الشيخ بدر الدين، عاش ستاً و تسعين سنة، بكل حياته لم يستجرئ إنسان أن يتكلم أمامه على إنسان كلمة، اسكت، هذه غيبة، يمكن أن يكون مجلسك مجلس حق، أما نهش أعراض الناس، الطعن فيهم، الغيبة عند الناس فاكهة يجتمعون، يتغذون، عوض الفاكهة يتكلمون عن بعضهم، قال:

((ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يُصلُّوا على نبيِّهم إلا كان عليهم تِرة فإن شاء عَذَّبهم وإن شاء غفر لهم))

هناك رواية ثانية:

((ما من قوم يقومون من مَجلس لا يَذكرونَ اللهَ فيه إلا قاموا عن مثلِ جيفة حمارٍ))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

وهذا أقرب شيء لنا، أين ما جلست تكلم عن الله، هذه جماعة القلوب، نسيت الناس همومها، نسيت الناس مشاكل الحياة، نسيتهم الفرق الكبير أحياناً بين إنسان وإنسان، نسيت الإنسان مرضه، يقول: غداً أموت وأدخل الجنة.

المؤمن يؤلف القلوب و يجمع الناس على الخير:

لذلك:

((خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله بهم))

[البيهقي عن عمر]

والقضية بيدك ليست صعبة، أنا الذي ألح عليه دائماً أنت اختر خطبة متقنة واختار درساً، الذي سمعته بالخطبة والدرس اجعله محور حديثك طول الجمعة، تكون نفذت وصية رسول الله.

((بلِّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((فَرُبَّ مُبَلَّغ أوْعَى من سامع))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

تكون نقلت هذا الدين، أنت اختر خطيباً يعجبك، تثق بعلمه، وبإخلاصه، احضر عنده، وخذ نوتة واكتب آية وحديث تكلمها، فكرة، اجعل هذا الكلام محور أسبوعك كله، تكون أصبحت داعية من النوع المخفف، من النوع الذي هو فرض عين، وليس فرض كفاية، من النوع الذي يرقى بك إلى الله، دعهم يقولون: فلان إذا جاء جاءت الملائكة، إذا جاء فلان جاء النور، جاء فلان جاء الحق، جاء فلان جاء الطيب، على الإنسان ألا يكون سبباً لإيذاء الآخرين، أحياناً يدخل إنسان إلى بيتك فينتقده، و كثرة نقده تجعلك تصغر أنت أمامه، كيف يسعك هذا البيت ؟ ماذا تريد مني ؟ ألا تملك نقوداً لتغيره ؟ تجد كلاماً لا يحكى، إذا دخل إلى بيت أخته ماذا أحضر لك زوجك على العيد ؟ والله لم يحضر لي شيئاً، فيقول لها: زوجك بخيل جداً، كرهها فيه وخرج، رمى قنبلة ومشى، هذا كلام الناس، إما حسد، أو طعن، أحياناً تجد شخصاً يقرف ويُقرف، كلامه يقرف وهو قرفان، أما المؤمن:

((من فرق فليس منا))

[أخرجه الطبراني عن معقل بن يسار]

يجمع، يؤلف القلوب، يرضي الزوجة بزوجها، يرضي الزوج بزوجته.

أنا لا أنسى هذا الموقف من سيدنا الصديق لما رأى سيدنا حنظلة يبكي، قال له: لماذا تبكي ؟ قال: نافق حنظلة، قال له: لِمَ يا أخي ؟ قال له: نكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين، فإذا عافسنا الأهل ننسى، فسيدنا الصديق قمة المجتمع بعد رسول الله قال له: كذلك أنا يا أخي، أحياناً يأتي

إنسان لعندك ويقول: والله زوجتي سيئة، فتجيبه: أنا التي عندي ممتازة و الحمد لله، قل له: والله أكثر النساء هكذا، تجبر خاطره قليلاً، لا تدعه يستوحش، تقول له: أنا التي عندي ممتازة، أنا التي عندي طبخها درجة أولى، لا، هذا ليس من المروءة أن تمدح زوجتك أمام الآخرين.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٦٦-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في كلمات يكفرن لغط المجلس

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستغفار:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخرة قال شراح الحديث بآخر أمره بآخر حياته إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))

[النسائي عن رافع بن خديج]

طبعاً قال هذا مشرعاً لنا.

((فقلنا: يا رسول الله هذه كلمات أحدثتهن قال أجل جاءني جبرائيل فقال لي يا محمد هن كفارة المجالس))

[رواه النسائي واللفظ له]

طبعاً هذا ينقلنا إلى الاستغفار، قال تعالى:

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)

(سورة نوح)

يقال دخل على الإمام الحسن البصري رجل، قال: يا إمام إني أشكو الفقر قال: استغفر الله، دخل عليه رجل آخر، قال: يا إمام إن زوجتي لا تنجب، قال له: استغفر الله، دخل عليه رجل ثالث قال: السماء لا تمطر، قال: استغفر الله، عنده رجل قال: يا إمام عجبت لك ! أو كلما دخل عليك رجل تقول له استغفر الله ؟ قال: أو ما سمعت قوله تعالى

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)

فلسفة الاستغفار:

فلسفة الاستغفار، أب عنده ابن، جاء بجلائه، آخذ بالرياضيات صفر، والأب يحب العلم، ويعلق آمالاً كبيرة على تعليم ابنه، فلما رأى هذه النتيجة أراد أن يؤدب ابنه أيما تأديب، قبل أن يؤدبه رآه

قد تألم ألماً شديداً، ولم يعد يأكل، ومعه مبلغ جمعه سابقاً أراد أن يجعله لدروس خاصة، الأب عندما رأى ابنه بهذا الهم، وبهذا الألم، وبهذا الضيق، لا يفعل معه شيئاً، انتهى.

فالإنسان في بحبوحة مادام يستغفر الله، هذه دقيقة جداً، أدق من ذلك قوله الله عز وجل:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

(سورة الأنفال)

أنت في بحبوحتين، بحبوحة أن تستقيم على أمر الله.

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

(سورة النساء الآية ١٤٧)

لو خرجت عن منهج الله، لو أخطأت، معك بحبوحتين، أن تستغفر، إما أنك تائب، أو مستغفر، إما أنك مطبق، أو نادم، أما لا مطبق، ولا نادم، أنت الآن مُعرض لسخط الله، فنحن في بحبوحتين.

الله عز وجل لا يعذب أحبابه:

قال علماء التفسير

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

النبي صلى الله عليه وسلم مات، فحقيقة النبي، حقيقته منهجه، فمادام منهجه مطبقاً في حياتنا فنحن في بحبوحة أن الله لا يعذب أحبابه.

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)

(سورة المائدة الآية: ١٨)

من أدق الآيات.

(بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)

(سورة المائدة الآية: ١٨)

يستنبط استنباطاً قطعياً من هذه الآية أن الله لا يعذب أحبابه، لو أنه وافقهم على دعواهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه ينبغي ألا يعذبهم، ما دام يعذبهم فهم ليسوا كذلك.

المستقيم على أمر الله عز وجل له عند الله حق ألا يعذبه إذا هو عبده:

إذاً أنت حينما تستغفر أخذت حماية ثانية، أول حماية: ما دمت مستقيماً على أمر الله لك عند الله حق، والشيء الجميل أن الله عز وجل خالق الكون، وأنت لا شيء، أنت الذي لا وجود لك أمام وجود الله، أنشأ لك حقاً عليه.

((قال يا معاذ ما حق الله على عباده قال الله ورسوله أعلم سأله مرة ثانية يا معاذ ما حق الله على عباده قال له الله ورسوله أعلم المرة الثالثة قال له يا معاذ حق الله على عباده أن يعبدوه وألا يشركوا به شيئاً، ثم سأله، يا معاذ ما حق العباد على الله إذا هم عبدوه ـالآن الله أنشأ لك حقاً عليه لك حق عندي ما حق العباد على الله إذا هم عبدوه قال ألا يعذبهم))

[متفق عليه عن معاذ]

هذا كلام رسول الله.

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى)

(سورة النجم)

إذا أنت خائف، قلق، ترى أن هناك شيئاً خطيراً، أو مجهولاً مخيفاً، أو مرضاً لا سمح الله، فقراً، مشكلة، عليك بطاعة الله، وحينما تطيعه ينشئ لك حقاً عليه.

((قال له حق العباد على الله إذا هم عبدوه ألا يعذبهم))

الحقيقة الناس عندما بعدوا عن الدين الآيات لم تعد لها معنى، عندما ربنا قال:

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية ٥٥)

علة وجودك على وجه الأرض أن تعبد الله.

الكفارات لا يستحل بها المحارم ولا تلغى بها المناسك:

هذا الحديث:

((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخرة إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوء وظلمت نفسي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فقلنا يا رسول الله هذه كلمات أحدثتهن قال أجل جاءني جبرائيل فقال لي يا محمد هن كفارة المجالس))

[النسائي عن رافع بن خديج]

الآن أسوأ فهم لهذا الحديث نجلس نتكلم كيف نريد، نغتاب، نتحدث بالدنيا، فإذا انتهى المجلس قلنا:

((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))

مستحيل أن يقصد النبي ذلك، مستحيل، لأنه عندنا قاعدة أساسية، الكفارات لا يستحل بها المحارم، أوضح مثل موضوع الحج، إنسان راكب طائرة، أول مرة يركب طائرة بالحج، فيعرف أن الإحرام بعد ساعة، إقلاع الطائرة من دمشق، فوضع كل أمتعته بالحقيبة الكبيرة، والمناشف فيها، لم يعرف

كيف ترتيب الطائرة، فعندما أقلعت الطائرة بعد ساعة، قال: أين المناشف ؟ نريد الحقيبة الكبيرة، أي كبيرة ؟ وتخطى الميقات غير محرم ماذا نقول له ؟ بطل حجك ؟ الشرع دقيق جداً، نقول: عليك هدي، وجب عليك الهدي، هدي جبر، صار في خطأ، يجدد، أخذ الحقيبة، ولبس الإحرام، وأحرم، وذبح خروفاً، يأتي إنسان غني يقول: أنا سأوزع مئة خروف، والله هذه المنشفة ما أحببتها، سألبس كلابية، أليس الواحد إذا ما لبس الثوب عليه هدي ؟ طبعاً، أنا سأدفع مئة خروف تفضلوا مليونين، وسألبس الكلابية، نقول له: لو تدفع مليون خروف، لو تأتي بقطيع الأغنام بالعالم تذبحها حجك باطل، لأن الكفارات لا يستحل بها المحارم، ولا تلغى بها المناسك.

الله عز وجل رحيم فتح لنا باب التوبة و الاستغفار:

إذا الإنسان قاعد ويعلم أنه سيتكلم غيبة، وسيتكلم على كيفه، وسيخلق مشاكل للناس، وعندما ينتهي المجلس يقول: أستغفر الله، سبحان الله وبحمده، هذا كلام مرفوض، أنت مؤمن مستقيم، طاهر، عفيف، بالخطأ كلمة منك عن غير قصد، لم تقصدها لها حل، استغفر الله عز وجل، لأن هذا الكلام واسع، وضبط اللسان عمل عظيم جداً، من أجلِّ الأعمال ضبط اللسان.

((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه))

[أخرجه الإمام عن أنس بن مالك]

فالإنسان إن استطاع أن يضبط لسانه مئة بالمئة ممتاز، لكن الله عز وجل رحيم، فتح لنا باب التوبة، باب الاستغفار، إنسان غلط ماذا يفعل ؟ ييأس، مستحيل.

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

(سورة الزمر الآية٥٣)

على الإنسان أن يستغفر و هو في أعلى درجات الورع و الخوف من الله:

باب التوبة مفتوح، فالاستغفار ليس المقصود فيه أن تعمل سيئات بعدها تستغفر، المقصود به وأنت في أعلى درجات الورع، وأنت في أعلى درجات الخوف من الله، وأنت في أعلى درجات الحرص على طاعة الله، لو صدر منك كلمة لم تكن تقصدها، نقول إذا انتهى المجلس:

((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))

[النسائي عن رافع بن خديج]

هذه كفارة المجلس، فإذا الإنسان سهر سهرة، لكن الإنسان قد يجعل هذه السهرة جنة، قد يجعل هذا اللقاء نعيماً، قد يجعل هذه الوليمة رحمة، إذا ذكر الله فيها، أنا ألاحظ ما من جلسة لا يوجد فيها ذكر لله عز وجل إلا وينشأ مشكلة، كلمة غير منضبطة، نظرة غير منضبطة، أما بذكر الله عز وجل تلتئم القلوب، وتجتمع القلوب، وتتنزل رحمة الله عز وجل، يقول: سررنا، ما معنى سررنا ؟ هناك

ذكر لله، صار هناك تجلي بهذه الجلسة، صار سرور، الإنسان أحياناً يدعو الآخرين لا يوجد تجلٍّ، يعمل نزهة لا يسر، كل النزهة مشاكل، يدفع ويتكلف ويرجع منزعجاً، فالإنسان إذا ذكر الله عز وجل الله يجعل كل أحواله جنان، و نعيم.

بشكل عام وطن نفسك أن يكون لسانك رطباً بذكر الله، أن يكون صمتك فكراً، ونطقك ذكراً، ونظرك عبادة و تفكراً.

أسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم المخلص و الموحد:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((قلتُ يا رسولَ الله مَنْ أسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة))

[البخاري عن أبي هريرة]

طبعاً الشفاعة بشكل مختصر غير مفصل حق، لكن الناس أساؤوا فهمها، طالب جامعي، عنده اثنتا عشرة مادة، نجح بإحدى عشرة، المادة الأخيرة أخذ فيها خمساً و أربعين بالمئة، والنجاح خمسون، يعطونه خمس علامات كمساعدة، لأنه ناجح بإحدى عشرة مادة، أما طالب آخذ أصفاراً بكل المواد لن يأخذ شفاعة رسول الله، لا تفهمونها فهماً بعيداً.

(أفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّار)

(سورة الزمر)

((أمتي أمتي فيقال له لا تدري ماذا أحدثوا بعدك يقول سحقاً سحقاً))

[البخاري ومسلم عن سهل بن سعد وأبي سعيد]

((يا عباس عم رسول الله يا فاطمة بنت محمد أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً))

[مسلم عن أبي هريرة]

((من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه))

[أحمد عن أبي هريرة]

((لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم))

[أحمد عن أبي هريرة]

لكن إذا الإنسان كان مخلصاً، وكان موحداً، ونقصه علامتين، النبي عليه الصلاة والسلام يشفع له، شفاعة النبي تشبه، أنت أب وأردت أن تمتن علاقة ابنك بأمه، أعطيتها مبلغاً لتعطيه له، فالمبلغ منك، إلا أن هذه العلاقة تمتنت بهذا العطاء، هذا مفهوم الشفاعة، بشكل مختصر، ومنطقي.

((يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه))

[البخاري عن أبي هريرة]

الموحد.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ)

(سورة النساء الآية: ٤٨)

على كل إنسان أن يكون حريصاً على طاعة الله عز وجل و ضبط لسانه:

آخر حديث متعلق بالموضوع السابق:

((كلماتٌ لا يَتَكَلَّمُ بهنَّ أحدٌ في مجلسهِ، عند قيامِه ثلاثَ مرَّاتٍ إلا كُفرَ بهنَّ عنه ولا يقُولهُنَّ في مجلسِ خيرٍ ومجلسِ ذِكْرٍ إلا خُتِمَ له بهنَّ عليه كما يُخْتَمُ بالخاتم على الصحيفة سبحانك اللَّهمَّ وبحَمدِكَ لا إلهَ إلا أنت أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك))

[أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

نعود أنفسنا بعد كل جلسة أن نقول هذا الدعاء، ونحن في أثناء الجلسة حريصون حرصاً لا حدود له على طاعة الله، وعلى ضبط اللسان، وعلى البعد عن الغيبة، والنميمة، وقول الزور، وعن المحاكاة، وكل كلمة تؤذي أخاك المؤمن.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٦٧-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد أخطر شيء في الدين:

أيها الأخوة الكرام ، في الترغيب والترهيب فصلٌ عنوانه: الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها.

أولاً أيها الأخوة. هذه الكلمة كلمة التوحيد. والله جلّ جلاله يقول في كتابه العزيز:

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

(سورة محمد الآية ١٩)

لم يقل فقل. قال: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). و معظم البشر يؤمنون بالله خالقاً. ولكن هناك قلة قليلة تؤمن به فعالاً. أهل الغرب يؤمنون بالله خالقاً. ولا يؤمنون به فعالاً. الأمر بيده. أمر العالم كله بيده. صغيره و كبيره. الإنسان متى يخلص ؟ إذا وحد ؟ ومتى يستقيم ؟ إذا وحد. متى يدع النفاق ؟ إذا وحد. فالمشكلة في التوحيد. لا في هذا الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً. إبليس:

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)

(سورة ص)

على كل إنسان أن يؤمن بالله خالقاً و فعالاً:

أن تؤمن أن لهذا الكون خالقاً هذا شيء لا يقدم ولا يؤخر. بل إن بعض العلماء سمّى هذا الإيمان إيمان إبليسي. آمنت أن لهذا الكون خالقاً. وهذا الخالق فيما يتصور معظم الناس خلق الخلق وتركهم دون أن يتدخل في أمورهم. أما كلمة التوحيد ليست هكذا.

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)

(سورة الزخرف الآية: ٨٤)

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

(سورة هود الآية: ١٢٣)

ما لم تشعر أن كل خلية في جسمك بيد الله. وأن هذه الخلايا الذي يمنعها من أن تنمو نمواً عشوائياً هو الله. فإذا أراد أن يدعها و شأنها انتهت حياة الإنسان. أي جهاز. أي غدة صماء. أي صمام بالقلب. الشرايين. القلب. الرئتين. الكلاوي. فشل كلوي أسباب مجهولة حتى الآن. يجب أن

تؤمن أن أعضاءك وأجهزتك كلها تعمل بإذن الله. وبأمر الله. والله إذا شاء قوى جهاز المناعة فشفيت من كل الأمراض. وإذا شاء أضعف جهاز المناعة هذه بصحتك.

زوجتك. أولادك. عملك. تجارتك. وظيفتك. من حولك. من فوقك. من دونك. حينما تؤمن أن الأمر كله بيد الله لا تجد جهة تستحق أن تتجه إليها إلا الله. لا تجد جهة تستحق أن تعطيها عمرك إلا الله.

التوحيد يلغي الحقد و الخصومات والنفاق و المعصية:

كنت أقول دائماً: الإنسان لا يليق به أن يكون لغير الله. لا يليق به أن يكون محسوباً على جهة غير الله. يقول لك: فلان من جماعتنا. فلان محسوب على فلان. فُلان على فلان. هذا كله كلام الشرك. أنت كإنسان إن عرفت قيمة نفسك يجب أن تكون محسوباً على الله. التوحيد يحل كل مشكلة. التوحيد يلغي الحقد. يلغي الخصومات. يلغي المنازعات، يلغي النفاق. يلغي المعصية.

أنا كنت أضرب مثلاً: بيدك معاملة. دخلت لدائرة مؤلفة من خمسة طوابق. بكل طابق مئة موظف. أي خمسمائة موظف. يترأسهم رجل. معاملتك لا يمكن أن يوافق عليها إلا من قبل مدير هذه الدائرة. فهل من الممكن أن تبذل ماء وجهك لإنسان غير المدير العام ؟ تكون أحمقاً إن فعلت هذا . لأن الأمر بيده.

فحينما توقن أن أمرك بيد الله لا تتجه إلى غير الله. و لا تحرص على رضا إلا الله. ولا تتذلل إلا في أعتاب الله. أما إذا كنت تعتقد أن جهة قوية يمكن أن تعطيك أو أن تمنعك توجهت إليها وهذا هو الشرك. المؤمن يجعل هذه الآية شعاراً له.

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

هذا يسمونه توحيد الألوهية. الإنسان أحياناً يشعر أن هناك أشخاصاً أقوياء يرفعونه أو يخفضونه. يعطونه أو يمنعونه. يسعدونه أو يشقونه. هذا هو الشرك بعينه . هذا هو الشرك الذي نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام.

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي ؛ أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً. ولكن شهوة خفية. وأعمال لغير الله))

[ورد في الأثر]

التوحيد يلغي الحقد و الخصومات والنفاق و المعصية:

الحقيقة الأعمال تقيّم بالإخلاص. والإخلاص مرتبط بالتوحيد. فأنت بقدر توحيدك تكون مخلصاً. والإخلاص هو سرّ التفوق عند الله عز وجل.

أي ركعتان من مخلص أفضل ألف مرة من إنسان غير مخلص. من منافق. أخلص دينك يكفك القليل من العمل. العمل مهما كان قليلاً مع الإخلاص كبير. ومهما كان كبيراً مع عدم الإخلاص صغير. فالذي يحبط العمل عدم الخلاص. من أين يأتي الإخلاص ؟ يأتي من يقينك أن لا إله إلا الله. كون الله خالق الكون موضوع ثان. قلة قليلة جداً يركبون رأسهم. ويكابرون. الملحدون هؤلاء شواذ. والشواذ لا حكم لهم. أما أهل الأرض قاطبة سكان القارات الخمس عند الأزمات يقولون: يا الله.

حتى إن طائرة كان يوجد فيها خبراء ممنْ يؤمنون بأنه لا إله إطلاقاً. حينما أوشكت على السقوط كلهم نادوا و قالوا: يا رب.

فالإنسان حينما يؤمن أن له خالقاً قضية سهلة جداً بما فيهم إبليس. أما المشكلة أن تؤمن أن الأمر بيد الله. وعندما توقن أن الأمر بيد الله لم يعد هناك حقد.

((مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ))

[ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود]

((اعمل لوجه واحد يكفِك الوجوه كلها))

[أخرجه ابن عدي والديلمي عن أنس]

التوحيد محصلة الإيمان كله و نهاية العلم:

أحد أسباب السعادة هو التوحيد.

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

(سورة الشعراء)

أحد أسباب الشقاء والحقد والتمزق هو الشرك. أن ترى أن هناك جهة في الأرض بإمكانها أن تعطيك أو تمنعك. بإمكانها أن ترفعك أو تخفضك. بإمكانها أن تسعدك أو تشقيك. هذا هو الشرك بعينه. وهذا معنى قوله تعالى:

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

(سورة يوسف)

قد تقول كيف أصبح موحداً ؟ التوحيد محصلة الإيمان كله. أي كل نشاطاتك بالإيمان. بدءاً من التفكر في خلق السماوات والأرض. إلى تلاوة القرآن. إلى فهم كلام الل، إلى فهم سنة رسول الله. إلى النظر في أحداث الكون. هذا النشاط بإجماله يقربك من التوحيد، والتوحيد نهاية العلم.

التوحيد أعلى من الشهادات العليا لأنك إن وحدت فقد عرفت الحقيقة المطلقة.

التوحيد سبب خلاصك من عذاب الدنيا والآخرة وسبب سعادتك الأبدية و الدنيوية:

لذلك إذا رأيت مسلماً يكذب لماذا يكذب المسلم ؟ لأنه لم يوحد. كذب ليحقق مصلحة ونسي أن الله بيده كل شيء. ولو صدق لكان الصدق أقرب إلى نجاحه من الكذب. كذب لضعف توحيده. نافق لضعف توحيده. أرضى الناس بسخط الله لضعف توحيده. جامل الناس في معصية لضعف توحيده. امتلأ قلبه خوفاً لضعف توحيده. يكاد يكون ضعف التوحيد أقول ضعف التوحيد بين مؤمنين ومسلمين. أما الإنسان إذا أشرك شركاً كبيراً هذا موضوع ثان. هذا لا يخاطب به من في المساجد. إذا الإنسان أيقن أن بوذا هو الإله هذا لا يخاطب بهذا الشكل. أنا أقول الذين يصلون. الذين يرتادون المساجد. طلاب العلم. هؤلاء يحسبون أحياناً أن جهة ما بيدها أمرهم. هذا هو الذي ينقص المسلمين ؛ التوحيد. بالتوحيد يصبح المسلم قوياً. يصبح شجاعاً. يصبح صادقاً. لا يكذب. لا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل. التوحيد يحتاج إلى جهد لكن هل سمعتم في حياتكم أن إنساناً أمضى حياته في النوم ثم نال الدكتوراه. أمضى حياته في الاسترخاء و النزهات ونال شهادة عليا. مستحيل! هذا التوحيد أعلى من الدكتوراه. لأنه سبب خلاصك من عذاب الدنيا والآخرة. وسبب سعادتك الأبدية و الدنيوية. ألا ترى مع الله أحداً.

الإنسان يرى أحياناً مليون إنسان مع الله. مثلاً صاحب شركة أجنبية إذا أعطانا التوكيل نفرح فرحاً لا حدود له. ويجب أن نصادقه. لأنه يعيننا أحياناً. ترى مع الله ألف شريك وشريك وأنت مسلم و تقول أشهد أن لا إله إلا الله. هذا كلام لا معنى له إطلاقاً.

من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله:

كنت أقول مرة: إذا الإنسان أرضى إنسان بسخط الله هذا مشرك لو قال لا إله إلا الله مليون مرة. مشرك. إذا أرضى إنسان بسخط الله. إذا ابتغى شيئاً بمعصية. من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما أتقى. لمجرد أن تصل إلى هدفك عن طريق معصية فأنت لست موحداً. ما رأيت أن الأمر بيد الله.

مثلاً جاءك مندوب شركة. و أنت حريص عليها جداً. فطلب الخمر مع الأكل. أنت تريد أن ترضيه فتأتيه بالخمر. فأنت مشرك. لأنك رأيت أن الشركة هي التي تجعلك غنياً. فاتخذت إلى إرضائها معصية لله عز وجل. رواد مساجد يأتيهم مندوبو شركة يضيفونه خمراً لا يوجد مشكلة أبداً لأنهم يريد أن يأخذ الوكالة. شرك.

أنا أقول لكم: موضوع الشرك موضوع خطيرٌ جداً. هو الذي يؤخر المسلمين. هو الذي يفتتهم. هو الذي يضعفهم. هو الذي يملأ قلبهم خوفاً. الإنسان لمجرد أن يشرك يمتلئ قلبه خوفاً.

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

(سورة آل عمران الآية: ١٥١)

لمجرد أن تشرك يمتلئ القلب خوفاً. فلذلك فموضوع لا إله إلا الله. لكن هي الكلمات حينما يكثر ترددها دون أن نفقه معناها تفرغ من مضمونها. أحياناً إنسان يكون غاضباً ويريد أن يعبر عن غضبه الشديد فيقول لك: أشهد أن لا إله إلا الله منك يا أخي. ما هذه الشهادة وكل الموقف شرك أساساً ؟ فنحن لسنا أصحاب كلماتٍ نرددها. ولا أصحاب شعارات نرفعها. نحن أصحاب حقائق نعتقد بها. فليس في الأرض إلا الله. بأدق التفاصيل.

التوحيد هو المحور الذي يتمحور حوله كل القرآن الكريم كما في:

الحقيقة لو سألتني ما المحور الذي يتمحور حوله كل القرآن الكريم ؟ لقلت لك: هو التوحيد.

١ ـ قصة سيدنا موسى:

سيدنا موسى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)

(سورة القصص الآية ٧)

معقول ! أي إذا خفت على ابنك فألقِه في اليم.

(وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

(سورة القصص)

طفل يلقى في اليم بصندوق خشب إذاً هذا الصندوق يتحرك بأمر الله. هذه تفاصيل دقيقة جداً. صندوق خشبي ملقى في نهر كبير كالنيل من الذي يحركه ؟ وصل إلى مكان في جانب القصر. وقف أمام غصن. من ألقى في قلب امرأة فرعون أن أنزلي إلى الشاطئ ؟ فتحت الصندوق. قالت: إنه طفل:

(لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً)

(سورة القصص الآية: ٩)

فرعون ما ترك طفلاً لبني إسرائيل إلا وذبحه. أما الذي سيقضي على ملكه سيربيه في قصره ! هذا توحيد.

٢ ـ قصة سيدنا يوسف:

أخوة يوسف ائتمروا على قتله. الله قال:

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة يوسف)

السورة كلها من أجل التوحيد. وقصة موسى من أجل التوحيد.

٣ ـ قصة سيدنا يونس:

وقصة سيدنا يونس وهو في بطن الحوت نادى:

(أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ)

(سورة الأنبياء الآية: ٨٧-٨٨)

أي كل إنسان يقع في مصيبة احتمال النجاة منها بالمئة خمسين. ستين. سبعين ثلاثين. عشرة. أما تصور إنساناً في بطن الحوت في أعماق البحر. وفي أعماق الظلام. وفي ظلمة بطن الحوت. وظلمة البحر. وظلمة الليل. احتمال نجاته كم ؟ أنا أعتقد أن احتمال نجاته صفر. انتهى. احتمال نجاته انتهى.

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)

(سورة الأنبياء الآية: ٨٧)

معنى هذا أن الله يسمعه و هو بأعماق البحار. بأعماق بطن الحوت. لذلك ربنا عز وجل نجاه:

(وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنبياء الآية: ٨٨)

كل إنسان يبتغي هدفاً من أهداف الدنيا بمعصية فهو مشرك:

لا يحل مشاكلنا إلا التوحيد. لا يحل مشاكلنا إلا أن نؤمن أنه لا إله إلا الله. لا يوجد مع الله أحد. وكل الذين تراهم عينك هؤلاء أدوات بيد الله. هو الذي يحركهم. يرضي بعضهم عليك فيخدمونك. و يسخط بعضهم عليك فيؤذونك:

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ)

(سورة النساء الآية٩٠)

فالله تعالى إذا ألقى محبتك في قلوب الناس يخدمك عدوك. وإذا نزع محبتك من قلب الناس يضرك أقرب الناس إليك. ألا يوجد آلاف الدعاوى بين الزوج وزوجته ؟ و بين الأخ وأخيه ؟ والأب وابنه؟ مشكلتنا مشكلة توحيد. والمؤمنون يتفوقون في التوحيد. ويتخلفون بالشرك الخفي.

إنسان عنده مطعم يبيع الخمر يقول لك: ماذا أفعل ؟ هكذا رزقي. لأنه مشرك يتوهم أن هذا المطعم خمس نجوم. إذا لم يبع الخمر لا يأتيه زبائن. يدفعون ثلاثة أضعاف الفاتورة. فيقول لك: أنا رزقي هكذا. معنى هذا أنه مشرك. و كل إنسان يبتغي هدفاً من أهداف الدنيا بمعصية فهو مشرك.

من وحّد الله نجا من عذاب الدنيا والآخرة واستحق شفاعة النبي الكريم:

لذلك موضوع لا إله إلا الله شيء فوق التصور. إن وحدت نجوت في الدنيا والآخرة. ولا يقبل الله منك إلا أن تكون موحداً. و الإنسان عندما يشرك بالله يؤدبه الله تأديباً سريعاً.
فعن أبو هريرة رضي الله عنه: قال: قلتُ: يا رسولَ الله مَنْ أسْعَدُ الناس بشفاعتك بيوم القيامة ؟ قال عليه الصلاة والسلام:

((لقد ظننتُ أن لا يسألني عن هذا أوَّلَ منك لِمَا رأيتُ من حِرْصِك على الحديث أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ مَن قال لا إله إلا الله خالصا مُخْلِصا من قلبه))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

الآن هذا الحديث لوحده ينفي المفهومات الخاطئة. والساذجة. و المضحكة للشفاعة. يقول لك أحدهم مثلاً: النبي يسجد فيقال له: ارفع رأسك. يقول: لا أرفع حتى أتشفع في أمتي. هذا مفهوم مضحك. مفهوم أطفال. إنسان ارتكب المعاصي والآثام كإنسان قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ؟! فمن قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه يستحق شفاعة النبي.

مثلاً إنسان يريد تزكية حتى يدخل الدكتوراه بالجامعة. لابأس. هذه التزكية يعطيها دكتور بالجامعة عندما يجد أن هذا الإنسان معه ابتدائي. وإعدادي. وثانوي. و لسانس. وماجستير. أخذها بامتياز. فيزكيه ليدخل صف الدكتوراه ، أما إنسان أمي لا يقرأ ولا يكتب لا يوجد هنا تزكية. التزكية انتهت كلها. التزكية لشخص متفوق معه ما يقدر بعشرين أو ثلاثين شهادة. وهذا يحتاج إلى تزكية من أستاذ حتى يسمحوا له أن يدخل الدكتوراه.

من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه كان أسعد الناس بشفاعة النبي الكريم:

الإنسان إذا مات موحداً مخلصاً يستحق شفاعة النبي. وهذا نادر جداً. كلمة موحد توحيداً كاملاً شيء من أعلى مستوى.

((أسعدُ النَّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ مَن قال لا إله إلا الله خالصا مُخْلِصا من قلبه))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

أنت وحد وأخلص. ماذا فعلت ؟ فعلت كل شيء. قدمت كل شيء. الآن إذا فعلت كل شيء وقدمت كل شيء تستحق شفاعة النبي. أي موضوع تزكية. موضوع بعدما قطعت من الطريق ٩٩% منه

بقي خطوة. يأتي النبي فيشفع لك. إن لم نفهم الشفاعة على هذا النحو نكون واهمين. أما افعل ما تشاء والنبي يشفع لك ؟ هذا مفهوم ساذج. مفهوم أطفال. مفهوم مضحك. و نفاجأ بحقيقة مرة يوم القيامة. نسحق بها. قطعت تسعة و تسعين بالمئة من الطريق. والآن بقي خطوة يأتي النبي فيأخذ بيدك ويوصلك إلى الدرجة العليا. هذه شفاعة النبي. والنص واضح:

((أسعدُ النَّاسِ بِشفاعتي يومَ القيامةِ مَن قال لا إله إلا الله خالصا مُخْلِصا من قلبه))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٦٨-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

فرق كبير بين أن تنطق كلمة التوحيد و بين أن تعيشها:

النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((أفضل الذّكر لا إله إلا الله وأفضلُ الدعاءِ الحمد لله))

[أخرجه الترمذي عن جابر]

الإنسان قد ينطق بكلمة التوحيد، وقد يعيش هذه الكلمة، وفرق كبيرٌ كبير بين أن تنطق بها وبين أن تعيشها.

الحقيقة أن المقصود ليس النطق بها، ولكن أن تعيشها، الحياة دار ابتلاء، دار امتحان، بالحياة يوجد مشكلات، وقوى مخيفة، و أشخاص أقوياء، و أمراض وبيلة، و مصائب.

فالذي ينطق بكلمة التوحيد ينطق بها ويخاف من هؤلاء جميعاً، ينطق بها ويعصي الله من أجل هؤلاء جميعاً، فأن تنطق بها دون أن تعيشها هذا لا يقدم ولا يؤخر، بل المطلوب أن تعيش هذه الكلمة، والمسلمون حينما عاشوها كانوا أقوياء، وحينما عاشوها انتصروا على أعدائهم، بل حينما عاشوها انتصروا على أنفسهم، فالمطلوب ليس أن ننطق بها، ما من مسلم على وجه الأرض إلا وينطق بها، والشرك في العالم الإسلامي متسع إلى درجة كبيرة.

فلذلك أيها الأخوة، من أجل أن نعيش هذه الكلمة نحتاج إلى جهد كبير، هذا الجهد محصلته أن تنتقل هذه الكلمة من فكرة موضوعة في ذهنك إلى حقيقة مغروسة في قلبك، هناك فرق بين الفكر والقلب، قال تعالى:

(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا)

(سورة الأعراف الآية: ١٧٩)

فالقلب قلب النفس مكان عقل الحقائق، حينما تنتقل هذه الكلمة من فكرة مزروعة في ذهنك إلى حقيقة يعيشها قلبك يختلف الأمر.

المشرك من عصى ربه من أجل مكسب دنيوي طفيف فحجب عنه:

ترى الفرق واضحاً بين منافق وبين مؤمن، بين منافق هياب، وجل، يخاف، يداري، يداهن، وبين مؤمن يعلم أن الله وحده بيده الأمر، وأن أمره كله بيد الله، وأن ما عند الله لا ينال بمعصيته، أي يمكن أن تفسر أي خطأ، وأي خلل، وأي عيب، وأي ضعف بالإنسان بضعف التوحيد، فالتوحيد ليس المطلوب أن تنطق بهذه الكلمة كما يتوهم العامة، المقصود أن تعيش معاني هذه الكلمة، لا إله إلا الله، الإله هو الفعال، الإله هو المسير، الإله الذي بيده الأمر، فيجب أن تنفي وأن تثبت، لو قلت الإله هو الله لا يكفي، لا إله إلا الله، لا معطي إلا الله، لا مانع إلا الله، لا رافع إلا الله، لا خافض إلا الله، لا قابض إلا الله، لا باسط إلا الله، لا معز إلا الله، لا مذل إلا الله، لا مسعد إلا الله، لا مشقي إلا الله.

حينما توقن أن الأمر كله بيد الله تتجه إلى الله وحده، وترجوه، وتتوكل عليه، وتستمد قوتك منه، هناك أناس كثيرون ينطقون بهذه الكلمة، ويستمدون قوتهم من زيد أو عبيد، ويتبجحون، هذا الذي يستمد قوته ويعتمد على غير الله مشرك، هذا الذي يعصي الله من أجل مكسب دنيويٍ طفيف مشرك، والشرك خطير، والشرك يحجبك عن الله عز وجل.

الثناء على الله دعاء لأن كماله شغلك عن الطلب منه:

طبعاً الأحاديث الشريفة شيء عجيب جداً، إلحاح يفوق حدّ الخيال:

((أفضل الذّكر لا إله إلا الله، وأفضلُ الدعاءِ الحمد لله))

[أخرجه الترمذي عن جابر]

قد يستغرب الإنسان الدعاء تقول: يا رب أعطني، يا رب: احمني، هنا الحمد لله قال العلماء عنه: الثناء على الله دعاء، والدليل عندما كان سيدنا يونس في بطن الحوت:

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)

(سورة الأنبياء)

قال الله تعالى:

(فاسْتَجَبْنَا لَهُ)

(سورة الأنبياء الآية: ٨٨)

كلمة

(فاسْتَجَبْنَا لَهُ)

تعني أن قوله هذا دعاء، فأنت إما أن تقول: يا رب ارحمني، يا رب أنقذني، يا رب سامحني، يا رب أعطني، وإما أن تقول: يا رب لك الحمد، حمدك لله دعاء، شغلت بكماله عن الطلب منه، فكان ذكرك لكماله دعاء، أي الله أعطاك أجر المُسبح وأجر الداعي في وقت واحد.

((مَن شَغَلَهُ قراءةُ القرآن عن مسألتي أعطيتُهُ أفضلَ مَا أعْطِي السائلين))

[أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

فحينما تثني على الله عز وجل فهذا دعاء له، حينما تسبح الله عز وجل هذا دعاءٌ له، حينما تذكر كمالاته هذا دعاءٌ له.

قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضل الذّكر لا إله إلا الله وأفضلُ الدعاءِ الحمد لله))

[أخرجه الترمذي عن جابر]

وقال أيضاً:

((أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها))

[الرافعي عن أبي هريرة]

أي قال لك: أكثر من الشهادة.

((أفضل الذّكر: لا إله إلا الله وأفضلُ الدعاءِ الحمد لله))

معنى شهادة ؛ أي ينبغي أن تشهدها، فإن نطقت بها ولم تشهدها فهذه شهادة زور ينبغي أن تشهدها.

الإيمان الاعتقادي والإيمان الشهودي:

لذلك العلماء فرقوا بين الإيمان الاعتقادي والإيمان الشهودي، وفرق كبير جداً بين أن تعتقد أن هذه الحقيقة هي كذلك، وبين أن تشاهد أبعادها، فالشهود أرقى من الذكر.

مثلاً: إنسان يعتقد أن السرعة الزائدة في القيادة مؤذية وخطرة، أما حينما لا سمح الله ينجو من حادث بأعجوبة وكان هذا الحادث مدمر ساحق، هذا انتقل من حالة الذكر الفكري إلى حالة الشهود، شاهد الموت أمامه.

الآن أكثر الناس إذا مروا بخبرات مؤلمة يجدون أن الحقيقة الناتجة عن هذه الخبرة المؤلمة تنتقل من الاعتقاد إلى الشهود.

أي الإنسان إن انتهى من حساباته يتلف دفاتره و يرتاح. حدثني إنسان بهذه القصة عن جهة، هذه الجهة أممت، أصبحت معملاً حكومياً، بعد خمس سنوات طالبوه بالمبلغ، فقال لهم: أنا دفعته،

فأجابوه: الذي قبضه منك سرح، قدم لنا دليلاً أنك دفعته حتى نعفيك منه، الدليل دفاتره ودفاتره أتلفها، البيت كان ثمنه عشرة آلاف فدفع أربعين ألفاً، لأنه أتلف دفاتره، ماذا قال لي مرة ؟ قال لي: إياك أن تتلف دفاترك، هذه دفعت ثمنها أربعين ألفاً، أي ثمن أربعة بيوت، هذه القصة بالسنة الخامسة و السبعين.

هذه خبرة مؤلمة نقلته من الفكر إلى القلب عنده شهود أن هذه غلطة كبيرة، فالإنسان أحياناً يتعامل بأفكار مجردة، وأحياناً يتعامل بتجارب مريرة أورثته شهوداً، هنا الحديث الشريف:

((أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها))

[الرافعي عن أبي هريرة]

وعنه أنه قال صلى الله عليه وسلم:

((جددوا إيمانكم قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا قال أكثروا من قول لا إله إلا الله))

[أحمد عن أبي هريرة]

الإيمان الحقيقي هو التوحيد:

إذاً: أولاً: أفضل الذكر، ثانياً: أكثروا من شهادة لا إله إلا الله، ثالثاً: جددوا إيمانكم.

معنى ذلك أن الإيمان الحقيقي هو التوحيد، وهذا الإيمان أحياناً يضعف تأثيره، أحياناً الإنسان يكون ملازماً لدروس العلم بشكل دوري، تجده قوياً في دينه، قوياً في عباداته، قوياً في معاملاته، الشرع كبير عنده، أي طلب العلم عنده شيء مقدس، أحياناً تضعف صلته بالمسجد، يغيب تجده يتساهل بأمور عباداته، يتساهل بالمعاملات، إلى أن ينقطع عن الله عز وجل، معنى ذلك أن إيمانه ضعف تأثيره فانتقل الإنسان من حالة تألق، إلى حالة فتور، إلى حالة قطيعة، إلى حالة أصبح كهؤلاء الرعاع، همج رعاع، كما قال سيدنا علي كرم الله وجه:

" الناس ثلاث، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، فاحذر يا كميل أن تكون منهم".

التوحيد يحتاج إلى جهد كبير فكري و سلوكي و جمالي و عاطفي:

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار لا إله إلا الله))

[صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب]

مرة ثالثة ورابعة وخامسة الإيمان هو التوحيد، التوحيد يحتاج إلى جهد كبير، إلى جهد فكري، وإلى جهد سلوكي، وإلى جهد جمالي، و إلى جهد عاطفي، فإذا أكثرنا من كلمة لا إله إلا الله تارة

قلنا: هي أفضل الذكر، و تارة قلنا: هي شهادة يجب أن تشهدها، و ثالثاً قلنا: هي الإيمان، وينبغي أن نجدد الإيمان بها، ورابعاً هذه الكلمة:

((إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار لا إله إلا الله))

[صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب]

والذي يحدث أن الإنسان قبل أن يموت الكلام الذي ينطق به على فراش الموت يلخص حياته كلها.

من قوي توحيده قوي إيمانه والإيمان المنجي هو التوحيد:

قضية الموت قضية كبيرة جداً قال الله تعالى:

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ)

(سورة الجاثية الآية: ٢١)

معنى ذلك أن الممات شيء مهم جداً، والإنسان مهما كان ذكياً وهو على فراش الموت لا ينطق إلا بالذي شُغل به طوال حياته، هناك من يذكر الشهوات وهو على فراش الموت، هناك من يذكر انحرافاته و هو على فراش الموات، وهناك من يشهد أن لا إله إلا الله وهو على فراش الموت، فإذا أمضى حياته بالتوحيد، وأمضى حياته بمعرفة لا إله إلا الله، عندئذٍ يشهدها على فراش الموت، فالإنسان إذا نطق بالشهادة بشكلٍ واضح، وهو ينازع فهذه بشارة خيرٍ لهذا الميت لأن الله سمح له بذلك.

والله أعرف رجلاً عشرة أشخاص يلقنوه لا إله إلا الله و لم ينطق بها أبداً، البيت الفلاني، الأرض الفلانية، والزوجة الفلانية، دائماً ينطق بالذي شغل به وهو على فراش الموت، أما هنا الحديث الشريف إذا عبد قالها ومات عليها:

((حرمه الله على النار لا إله إلا الله))

[صحيح ابن حبان عن عمر بن الخطاب]

بعدها الإنسان يستبطن نفسه، يتأمل نفسه، كل نقاط ضعفه سببها ضعف التوحيد، كل نقاط ضعفه، وكل حالات التقصير، وكل حالات الخوف والقلق، وكل حالات النفاق، سببها ضعف التوحيد، فإذا قوى توحيده قوي إيمانه، والإيمان المنجي هو التوحيد، أما الإيمان بأنه الله خالق هذا الكون هذا إيمان لا يقدم ولا يؤخر، ولا ينجي ولا يحمي، ولا يرقى بصاحبه إلى الله.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٦٩-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها -٣

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث التالي يبعد التشاؤم عن قلب كل مسلم:

رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

((مَن قالَ لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ وهوَ على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتقَ أربعَ أنْفُسٍ من ولدِ إسماعيل))

[متفق عليه عن أبي أيوب الأنصاري]

أيها الأخوة، هناك في العالم أحداث ومشكلات تدعُو إلى التشاؤم، ولكنك إذا قرأت هذا الحديث، وقرأت هذا الذكر قراءة واعية، وفهمت أبعاد هذه الكلمات التي قالها النبي لا يمكن أن يكون هناك تشاؤم، لماذا ؟ لأن الله قوي، بيده كل شيء، ويحمد على كل شيء.

إذاً: كل ما يحدث خير، هذا الحديث إذا فُهم فهماً دقيقاً لا يبقى في القلب تشاؤم ولا قلق، ولا خوف، مع أن الأمور مزعجة، كوارث، فيضانات، وحروب أهلية.

(لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ)

(سورة التغابن الآية: ١)

(يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(سورة الحديد)

المشكلة أن الناس حينما يفهمون الدنيا على أنها دار قرار، الحقيقة ليست دار قرار، هي دار ابتلاء، هي ممر وليست مقراً، هي دار عمل وليست دار جزاء، هي دار تكليف لا دار تشريف، إن فهمت حقيقة الدنيا، ترى أن الله يعالج عباده، فتقنين الله عز وجل ليس تقنين عجز إنما هو تقنين تأديب، فكل شيء خلقه الله لصالح المؤمن، لصالح أن يعرف الإنسان الله عز وجل، فالإنسان مكرم.

لا يوجد جهة في الكون لها إرادة مستقلة عن إرادة الله فالأمر كله بيد الله:

هناك آية قرآنية تجعل الإنسان في حيرة كبيرة، يقول الله عز وجل:

(أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)

(سورة الشورى)

فالمنطق يقول: إذاً هذه صارت إلي ، بيد من كانت قبله ؟ ما معنى هذه الآية ؟ إذا كانت بالأساس بيده ، الآن قال: (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)، قال العلماء حول هذه الآية: إن أهل الدنيا الشاردون يرون الأمور بيد زيد ، أو عبيد، هؤلاء الأقوياء في العالم يتوهم الشاردون عن الله عز وجل، يتوهم الجاهلون، أن الأمر بيدهم ، أو أن الحروب الكبرى بيدهم، أو أن إنهاء العالم بيدهم، يؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل:

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ)

(سورة يونس الآية: ٢٤)

أي هذه القوى في العالم كيف تتداعى كما يتداعى بيت العنكبوت ؟ أمة قليلة جداً لا يزيد مقاتلوها عن مئتي ألف يرغمون أنف ثاني أقوى قوة في العالم، كيف يحصل هذا ؟ لأن الله هو القوي، إذا منح قوته لفئة تنتصر رغم أنف كل التفوق العلمي.

لذلك الله عز وجل قال **(أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)** بنظر الشاردين الأمور كانت بيد فلان أو فلان، يوم القيامة تبدو لكل الخلق أنها بيده، أما المؤمن في الدنيا وهو في الدنيا يرى أن الأمر كله بيد الله، هذا الإيمان أساساً، لا يوجد جهة قوية مع الله عز وجل، لا يوجد متحرك مع الله، لا يوجد مريد مع الله، لا يوجد جهة في الكون لها إرادة مستقلة عن إرادة الله، الأمر كله بيده.

أحياناً إنسان يسأل: من أصبح مدير المستشفى ؟ يقال له: فلان، يقول: كيف حاله ؟ بيد من ؟ ما أخلاقه؟ ربنا عز وجل يريد أن يطمئننا، قال:

((من قال لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ))

[متفق عليه عن أبي أيوب الأنصاري]

الأمر بيده، ويحمد على كل شيء ، فأي إنسان يتشاءم بعد هذا الذكر ؟ يخاف ؟ يقلق ؟ لا يفهم ما يقرأ؟، وهذا يقرأه بعد الصلاة عشر مرات، لكن أحياناً الإنسان إذا ردد كلمات ولم يقف عند مضمونها يكون قد غاب عنه أثمن ما فيها.

الإنسان لا يتعلق إلا بجهة بقدر ما هي قوية بقدر ما هي كاملة:

كما قال رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

((مَن قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ـأهم شيء بالكلام لهُ المُلكُ، ولهُ الحَمْدُ))

أحياناً تجد شخصاً قلبك يحبه لكنه ضعيف ، وأحياناً ترى إنساناً قوياً لكنك لا تحبه، قوي لكنه ليس أخلاقياً ، وقد تجد أخلاقياً ليس قوياً، الحقيقة الإنسان لا ينشد إلا إلى جهة بقدر ما هي قوية بقدر ما هي كاملة.

لذلك من هو الله ؟ الذات الكاملة، الذات ، وجوده ذاتي، لا يحتاج في وجوده إلى شيء، يستغني عن كل الخلق، كل شيء يحتاجه في كل شيء ، وهو غني عن كل شيء، ذات كاملة، قال:

((وهوَ على كل شيء قدير))

إنسان معه ورم خبيث، الله عز وجل قدير أن يشفيه ، وهناك آلاف الحالات من الدرجة الخامسة ، ولا يوجد أمل إطلاقاً الله عز وجل نظر له بالشفاء.

أخ من أخواننا الكرام، صار مع ابنه مرض حالات شفائه بالمليون واحد، يبدو أن الدعاء كان محكماً، والتوكل كان شديداً ، والإنابة كانت رائعة، سألته البارحة قال لي: بأعلى درجات الصحة، الله عز وجل صرف عنه هذا المرض، أي الاحتمال كان نادراً جداً، إذاً لم يعد هناك داع لأن تخاف، أو تتشاءم، أو توجل.

((لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ))

بقدر ما هو قوي بقدر ما هو كامل.

((كان كمن أعتقَ أربعَ أنْفُسٍ من ولدِ إسماعيل))

[متفق عليه عن أبي أيوب الأنصاري]

وإذا قلنا متفقاً عليه أي أعلى درجة من درجات الصحة، اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.

من ذكر الله عز وجل ينبغي أن يذكره بقلب خاشع و حاضر:

و عن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((قالَ عَبْدٌ قطُّ: لاَ إلهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ مُخلصًا بِهَا رُوحُهُ مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبُهُ لِسَانَهُ إلاَّ فُتِقَ لَهُ أبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ إلَى قائِلِهَا وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظرَ اللَّهُ إلَيْهِ أنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ))

[النسائي عن يعقوب بن عاصم].

أي أنت اجعل همك الواحد أن تطيعه، ودع له كل شيء، لا تقلق، بأي مكان، بأي زمان، بأي وضع، بأي صعوبة، بأي أزمة، بأي ضائقة، بأي مشكلة، بأي رعب عام.

((مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ))

[ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود]

((اعمل لوجه واحد يكفِك الوجوه كلها))

[أخرجه ابن عدي والديلمي عن أنس]

((من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس))

[ابن حبان عن عائشة]

((مُخلصًا بهَا رُوحُهُ مُصَدِّقًا بهَا قَلْبُهُ لِسَانَهُ إلاَّ فُتِقَ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَى قَائِلِهَا وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ))

[النسائي عن يعقوب بن عاصم]

لذلك الإنسان أيها الأخوة، إذا ذكر الله ينبغي أن يذكر الله بقلب خاشع، وبقلب حاضر، ذكر اللسان وحده لا يكفي، مع أنه أفضل من عدم الذكر، و الإنسان إذا ذكر بلسانه أفضل ألف مرة من ألا يذكر، أما نقول له: الأولى أن يذكر الله عز وجل وقلبه حاضر، وقلبه خاشع، حتى يكون الذكر أعلى درجات العبادة.

نحن في باب الذكر، هذه أذكار النبي، فالمؤمن الصادق يقلد النبي، ويقتفي أثره في أذكاره:

((لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ يحي ويميت وهوَ على كل شيء قدير عشر مرات))

[متفق عليه عن أبي أيوب الأنصاري]

فإذا قالها الإنسان في أثناء الذكر الجماعي، أو الفردي، قالها بإخلاص، وبقلب حاضر، وبلسان ذاكر، كانت هذه الكلمات نجاة له من النار.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٠-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد على اختلاف أنواعه -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من نزه الله و مجده و خضع له فقد سبحه:

قال عليه الصلاة والسلام:

((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حَبِيبَتَّان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحانَ اللهِ العظيم))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

الإنسان إذا أراد أن يذكر الله، لك أن تذكره باسمه المفرد أن تقول: الله الله، ولك أن تذكره بالأذكار هذه التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان الله وبحمده سبحانَ اللهِ العظيم، سبحان تعني أنا أنزه، أنزه الله عن كل ما لا يليق به، وتعني أيضاً أني أمجد، أي أجول في عظمة الله، وتعني أيضاً أني أخضع، فإذا نزهته ، ومجدته ، وخضعت له، فقد سبحته.

أحياناً الكلمات التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام تفقد مضمونها، فالإنسان إذا لم يخضع لله عز وجل، وقال: سبحان الله بلسانه، هذه الكلمة فقدت مضمونها، أما أصل هذه الكلمة أن تنزه ، وأن تمجد ، وأن تخضع ، إن نزهت ، ومجدت ، وخضعت، فقد سبحت.

طريق التمجيد أن تنظر في ملكوت السماوات والأرض والآيات التي بثها الله في الآفاق وفي نفسك:

بالمعنى الدقيق كيف تمجد ؟ النفي سهل.

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

(سورة الشورى الآية:١١)

لكن التمجيد لا بدّ أن تفكر في خلق الله عز وجل، من أجل أن تكتشف عظمة الله عز وجل، أي طريق التمجيد أن تنظر في ملكوت السماوات و الأرض ، طريق التمجيد أن تنظر إلى الآيات التي بثها الله في الآفاق وفي نفسك، طريق التمجيد أن لا تمر على هذه الآيات مرور الكرام، بل مرور المتأني المتبصر، فإن أردت أن تكون في مستوى التسبيح ، فلابدّ من التنزيه ، ولابدّ من التمجيد ، و لابدّ من الخضوع، على ستار الكعبة إذا الإنسان دقق النسيج مكتوب عليه سبحان الله وبحمده،

سبحانَ اللهِ العظيم، الأرضية غير الآيات المطرزة، أما النسيج أساسه سبحان الله وبحمده، سبحانَ اللهِ العظيم.

((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حَبِيبَتَان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحانَ اللهِ العظيم))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

الاتصال بالله غاية كل مسلم:

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من هاله الليل أن يكابده أو بخل بالمال أن ينفقه أو جبن عن العدو أن يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة الباهلي]

أي بالنهاية الاتصال بالله هو النهاية، هو الغاية، أحياناً يقول لك: الجهاد مقاتلة العدو، لكن تقاتله من أجل ماذا ؟ من أجل أن تدله على الله ، من أجل أن تأخذ بيده إلى الله، لو أُتيح لك أن تأخذ بيده إلى الله هو الأصل ، الأصل أن تأخذ بيده إلى الله أي هناك جهاد متاح ، إذا أُتيح لك أن تنقل الحقيقة للآخرين ، أُتيح لك أن تعلم القرآن ، أُتيح لك أن تبث الهدى في الآفاق، أُتيح لك أن تبرز عظمة الإسلام ، أُتيح لك أن تأخذ بيد الناس إلى الله، وهذا أهم ما في الجهاد، لأنه شرع الجهاد من أجل هذا، من هنا قال الله عز وجل:

(وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)

(سورة الفرقان)

سمى هذا جهاداً كبيراً.

((من هاله الليل أن يكابده أو بخل بالمال أن ينفقه أو جبن عن العدو أن يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة الباهلي]

رواه الطبراني ، ولا بأس بسنده إن شاء الله تعالى.

الذكر يطمئن القلب و يطهر النفس:

الآن يوجد عنا عدد من الأحاديث، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((من قال سبحان الله وبحمدِه في يوم مائة مَرةٍ حُطَّت عنه خطاياه وإن كانت مِثل زَبَدِ البحر))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

نص على أنه تذكر مئة مرة

((وإن كانت مِثل زَبَدِ البحر))

[رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

سبحان الله وبحمدِه مئة مرة، الأذكار التي وردت في كتاب النووي هي أذكار النبي عليه الصلاة والسلام، الإنسان أحياناً يتمشى بالطريق رياضة، ماذا يفعل في المشي ؟ يذكر الله، جلس في البيت، يذكر الله أي هذا الذكر به يطمئن القلب فهو غذاء القلب.

وعن مصعب بن سعد قال: حدثني أبي قال:

((كنَّا عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالَ أيَعْجِزُ أحَدُكم أن يَكسِبَ كلَّ يومٍ ألفَ حسنة فسألَهُ سائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ كيفَ يكسِبُ أحدُنا ألفَ حسنة قال يُسبِّحُ مائة تَسبيحَةٍ فيُكْتَب له ألفُ حسنةٍ، أو يُحَطُّ عنه ألفُ خطيئة))

[أخرجه مسلم والترمذي عن مصعب بن سعد]

هذا التسبيح معناه ذكر، معنى هذا أنت قريب من الله عز وجل .

((يا ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني وإذا نسيتني كفرتني))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

العبرة أن لا تنسى الله عز وجل، تذكره بهذا الذكر، سبحان الله وبحمدِه.

طبعاً اليوم الدرس سبحان الله وبحمدِك، البارحة كان لا إله إلا الله، هذه أذكار النبي عليه الصلاة والسلام ، إن قلت لا إله إلا الله ذكر ، سبحان الله وبحمدِه ذكر ، لا حول ولا قوة إلا بالله ذكر، حسبي الله ونعم الوكيل ذكر ، أستغفر الله ذكر ، الله اللهُ ذكر ، إذا قرأت القرآن ذكر، كبستان كله فواكه وثمار، كلْ من أي شجرة شئت، لمجرد أن تقرأ القرآن فأنت ذاكر، قراءة، لمجرد أن تقول: سبحان الله وبحمدِه فأنت ذاكر ، أن تقول: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر هذه الباقيات الصالحات ، فأنت ذاكر، إذا قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله هذا ذكر، حسبي الله ونعم الوكيل ذكر.

((أيَعْجِزُ أحَدُكم أن يَكسِبَ كلَّ يومٍ ألفَ حسنة فسألَهُ سائِلٌ مِن جُلَسَائِهِ كيفَ يكسِبُ أحدُنا ألفَ حسنة قال يُسبِّحُ مائة تَسبيحَةٍ فيُكْتَب له ألفُ حسنةٍ أو يُحَطُّ عنه ألفُ خطيئة))

[أخرجه مسلم والترمذي عن مصعب بن سعد]

من عرف الله عرف كل شيء و من فاتته معرفته فاته كل شيء:

حديث آخر:

((أحبُّ الكلام إلى الله أربعٌ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن سمرة بن جندب]

مجموع الكلمات نزهته ، ومجدته ، و خضعت له ، و حمدته ، ووحدته ، وكملته أي عرفته ، وإن عرفته عرفت كل شيء ، وإن فاتك فاتكَ كل شيء.

أحياناً الإنسان يدخل لبيت صديقه يجد عنده شخصاً، يقول له: لم تعرفنا على الأخ، يقول لك: سعيد، هل عرفت شيئاً بهذه الكلمة ؟ لم تعرف عنه شيئاً إطلاقاً، ليست هذه المعرفة، أن تعرف اسمه، فالمعرفة تعرف اسمه ، ودرجة ثقافته ، وعمله ، و وضعه الاجتماعي ، ودينه ، و أخلاقه، فأنت مع شخص لا تقبل أن تعرفه باسمه، يجب أن يكون هناك بعض الإضافات، تقول: صديقك ؟ يقول: صديقي ، أين تعمل ؟ يقول لك عمله، متزوج ؟ كم ولد عندك ؟ أين تسكن ؟ من أجل أن تعرفه ، أنت مع إنسان تريد أن تعرفه ببعض المعلومات الإضافية.

فربنا عز وجل خالق الكون، أخي الله خلق الكون لا تكفي، هنا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كبرته ، و وحدته ، وحمدته ، وسبحته، هذه الباقيات الصالحات.

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)

(سورة الكهف)

هي تبقى، و الدنيا تفنى، إذاً:

((أحبُّ الكلام إلى الله أربعٌ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر لا يَضُرُّكَ بأيِّهنَّ بدأتَ))

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم كلمات تعبر عن جزء من معرفة الله عز وجل:

آخر حديث:

((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به أي بأبي هريرة وهو يغرس غرساً فقال ما تصنع يا أبا هريرة قال: أغرس غرساً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلك على غرس خير لك منه قلت ما هو قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة))

[أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة]

هذه أذكار اليوم سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم.

نتوقف عند كلمة سبحان الله وبحمده، أي أنت بحياتك تجد إنساناً عظيماً لكن ليس لك علاقة معه ، لم يعطك شيئاً، لم يقدم لك شيئاً ، لم يخدمك ، أو ليس له عمل طيب، لكنه قوي، هنا يوجد شيء

ثان، سبحان الله نزهته عن كل مالا يليق به، مجدته، خضعت له، هو محسن لك، سبحان الله وبحمده.

مثلاً إنسان يرى شخصاً محترماً جداً لكن هذا الإنسان ليس والده، أما إذا كان والده فوالده يعطيه، لأنه قام بتربيته و قدم له مالاً، و زوجه، فإذا الواحد وقف أمام أبيه لا يرى إنساناً عظيماً فقط سيجد إنساناً محسناً، يضاف للتعظيم الشكر، سبحان الله وبحمده، له الملك وله الحمد تشبهاً ، أي عظيم ، ومحسن، عظيم ومقدم لك شيئاً ثميناً، عظيم ومنحك نعمة الوجود ، عظيم منحك نعمة الإمداد ، عظيم منحك نعمة الإرشاد والهدى.

القصد أيها الأخوة أن الحياة معقدة جداً ، والوقت قليل جداً ، و كل واحد مرهق بالعمل ، لكن لا يخلو أنه يوجد وقت فراغ، جالس تنتظر إنساناً معك مسبحة قل: سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم، الأفضل أن الإنسان صباحاً يشكر الله عز وجل بعد الصلاة ، أو قبل الصلاة، لكن يمكن بأي وقت فراغ، مثلاً تنتظر إنساناً، تمشي في الطريق ، تركب سيارة، مسافر، يمكن أن تشكر الله عز وجل، ذكر خفي لا يشترط أن يكون الذكر معلناً، سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم، يوجد فيها وزن موسيقي، أي ذكرها لطيف على اللسان، صياغتها جميلة، سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم.

فاليوم الدرس عن سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإذا عبّرت هذه الكلمات عن معرفة بالله ، وعن تنزيه ، وعن تمجيد، وعن خضوع ، وعن توحيد و حمد ، و عن تكبير، فهذا جزء من معرفة الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧١- ١١٦) : كتاب الذكر والدعاء : الترغيب في التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد على اختلاف أنواعه ٢.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٨-٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيه الله وتمجيده والخضوع له في السراء والضراء:

عن أم هانئ رضي الله عنها قالت:

((مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقلت: يا رسول الله، قد كبرت ـ تقدمت بي السن ـ وضعفت، أو كما قالت ـ فمرني بعمل أعمل وأنا جالسة قال: سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقيها من ولد إسماعيل واحمدي الله مائة تحميدة، فإنها تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مائة قال: ابن خلف: أحسبه قال: تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل إلا أن يأتي بمثل ما أتيت))

[رواه الإمام أحمد في سند حسن عن أم هانئ]

يبدو أن الله سبحانه وتعالى حينما قال الله:

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦))

(سورة الكهف)

وكما قلت البارحة: أن يقول الإنسان بلسانه سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذا جيد، لكن الذكر اللساني ، والقلبي ، والمعرفي هو المقصود، أي أن تعرف ماذا تعني كلمة سبحان الله ؟

أن تنزه ، وأن تمجد ، وأن تخضع ، والحمد على السراء والضراء ، أن ترى أن يد الله تعمل في الخفاء، و أن ترى أن الأمر كله متعلق بالخير المطلق ، وأن الشر المطلق ليس له وجود في الأرض ، وأن الشر المطلق يتناقض مع وجود الله ، و أن كل أفعاله فيها حكمة، وفيها رحمة ، وفيها عدل، الحمد لله معرفة.

لو أنك رأيت رجلاً يضرب طفلاً صغيراً، قد تقول: هذا الإنسان قاس ، أو قد تقول: وحش ، أما حينما تعلم أن هذا الإنسان والده ، وأن ابنه ارتكب ذنباً خطيراً لو أن الأب تساهل به لانحرفت أخلاقه.

مرة قرأت قصيدة شعرية، أحفظ آخر بيت فيها، أن إنساناً مجرماً قاتلاً سيق إلى الإعدام ليشنق ، قبل أن يعدم قال: أريد أمي، فجاءت أمه قال: مدي لسانكِ كي أقبله ، فمدت لسانها فقطعه، قال: لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً لي في جرائمي ما فقدت حياتي.

أحياناً الإنسان يجد مع ابنه شيئاً ليس له ، وكأن هذا أول بادرة للسرقة، فيؤدبه ، الذي ينظر بعينه هذه يرى أن هذا التأديب قسوة، أما حينما يعلم أنه أب ، وأن هذا ابنه ، و أنه بهذا العمل وقاه من جريمة السرقة، ينقلب هذا الألم إلى حمد.

تناقض الشر المطلق مع وجود الله عز وجل:

الإنسان حينما يؤمن إيماناً حقيقياً بالله عز وجل، كل أفعال الله لصالح الإنسان، لا يوجد بالكون شر مطلق، الشر المطلق أي الشر للشر، هذا يتناقض مع وجود الله، إما أن تؤمن بإله رحيم، عادل، بيده كل شيء ، هناك شر نسبي، مثلاً إنسان مضطجع على طاولة وجاء إنسان بمشرط ، و فتح له بطنه، و خرج الدم، حينما تعلم أن هذا طبيب ، و أن معك التهاب زائدة حادة جداً، تكاد تموت من الألم ، و فتح بطنك من أجل أن تستأصل الزائدة ، و تسترح من هذا الألم، عندئذٍ تشكر الطبيب ، و تعطيه أجرة، وتعطيه عشرة آلاف.

فالشر المطلق يتناقض مع وجود الله عز وجل ، من هنا تقول: الحمد لله، طبعاً أهل الدنيا ضعاف الإيمان، الذين لم يعرفوا الواحد الديان، يقول لك: هناك حروب ، هناك فيضانات ، هناك مجاعات ، هناك شعوب مقهورة ، هناك زلازل ، هناك براكين ، هناك مصائب كثيرة، هناك أمراض ، أما المؤمن الصادق المتعمق بالإيمان يرى أن هذا كله موظف للخير، يسوق الله لعباده بعض المصائب، ليدفعهم إلى بابه، هذه قضية علم، قضية رؤيا ، ودائما هناك تناقض بين العين و بين الواقع.
أنا أضرب مثلاً صارخاً: مرة زارني شخص له عمل مزعج، مبني على إيذاء الناس أحياناً، قال لي: أنا عملي قذر، ذهبت في اليوم الثاني لإصلاح مركبتي، وجدت شخصاً منبطحاً في الوحل، تحت الشحم ، وأصلح المركبة بإتقان ، وأخذ سعراً معتدلاً، فقلت في نفسي: هذا عمله نظيف، بالعين إذا كان المحل يستقبل النساء، يدير معهم أحاديث غزلية، و أحياناً انحرافات خطيرة، محل فخم جداً، مكيف، أنيق، الأرض فيها سجاد، وهناك في المكتب ثريات، نعومة ، وعطر ، وأشياء أخرى ، والله هذا محل نظيف جداً ، لكن كله معاص، مبني على المعاصي والآثام ، الآن دور القمار فخمة جداً ، و دور الدعارة فخمة مثلاً ، و الملاهي الليلية فخمة ، ادخل إلى محل في زقاق الجن أصوات مزعجة ، وآلات ، و شحوم ، و زيوت، لكن هذا العمل الثاني نظيف ، والأول قذر، كلمة عمل قذر أي هناك معاصٍ و آثام، فليس كل شيء في العين يتوافق مع الواقع .

قال لي أخ الله: عندنا إنسانة في الجمعية فقيرة، نعطيها معاشاً شهرياً ، فجأة ترتدي ثياباً أخرى ، فاضحة ، واستغنت عن معاشنا، قال لي: مرة دفعني الفضول لأسألها عن وضعها، قلت لها: ماذا حصل معك ؟ قالت له: أنا بربع ساعة آخذ قدر معاش خمسة أشهر تعطوني إياها، أصبحت طبعاً مومساً.
طبعاً عندما كانت تأخذ ، وتقبض، كانت تأكل مالاً حلالاً من الصدقة طبعاً شريفة وطاهرة ، وعندها أولاد، فلما مدت يدها إلى الحرام ، وأكلت بثدييها، طبعاً لبست لباساً أجمل بكثير ، أكلها تحسن ، وبيتها تحسن، لكن هذا عمل قذر.

فقصدت من هذا أن كلمة الحمد لله قضية تحتاج إلى إيمان، من دون إيمان لا تحمد الله عز وجل، بالإيمان تقول: يا رب لك الحمد، هنا سبحان الله، سبحته ، نزهته ، و مجدته، و خضعت له.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الذكر مع تحقيق شهوات نفسك في حدود ما أباح الله لك عبادة إذا قرنتها نية صالحة:

حديث آخر:

((أن ناساً من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالوا للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهبَ أهل الدُّثُور بالأجُور))

[أخرجه مسلم عن أبي ذر]

هؤلاء الأغنياء يصلون كما نصلي، يصومون كما نصوم، ولهم فضل علينا بإنفاق أموالهم، فإذا كان هناك إنسان مؤمن فقير لا يملك شيئاً، إذا قال لك: أنا أصلي، والغني يصلي، أنا حججت ، والغني حج ، أنا صمت ، والغني صام، لكن يغلبه دائماً بإنفاق المال، و أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال:

((إن ناساً من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالوا للنبيِّ صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهبَ أهل الدُّثُور بالأجُور، يصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصومُ ويتصدَّقون بفُضولِ أموالهم، قال: أوَلَيْسَ قد جَعَلَ الله لكم ما تَصَدّقون به ؟ إن بكلِّ تسبيحة صدقة، وكلِّ تكبيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ـ أما المفاجأة وللحديث تتمة ـ وفي بُضْع أحدِكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوتَهُ، ويكون له فيها أجر ؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وِزْر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجر))

[أخرجه مسلم عن أبي ذر]

أي أنت يمكن بالذكر، و بأن تأتي الحلال الذي سمح لك الله به، أن ترقى إلى مستوى الغني الشاكر، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((إن بكلِّ تسبيحة صدقة، وكلِّ تكبيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، والأمر بمعروف صدقة، والنهي عن منكر صدقة))

[أخرجه مسلم عن أبي ذر]

المؤمن لا يمتحن بالرخاء يمتحن بالشدة:

و رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((خذوا جنتكم ـ الجنة الحرس ـ قِيلَ: يا رَسُول الله، أمن عدو قد حضر؟ قالَ: لا، بل جنتكم مِنَ النَّار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا لله، والله أكبر، فإنهن يأتين يَوْمَ الْقِيَامَةَ مقدمات معقبات محسنات ـ أي خلفكم وأمامكم ـ وهن الباقيات الصالحات))

[صحيح عن أبي هريرة]

هذا تفسير النبي الكريم بقوله تعالى:

(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)

ومرة ثانية ثالثة: لا تصدقوا أبداً أن إنساناً غافلاً قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذا هو الذكر، أي أن تسبحه ، و أن تحمده، لا أن تقول الحمد لله، أن تحمده ، راض عن الله عز وجل.

إنسان يطوف حول الكعبة، قال: يا رب هل أنت راض عني ؟ وراءه الإمام الشافعي، قال له: هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك ؟ فعجب من هذا القول قال له: سبحان الله ! من أنت يرحمك الله ؟ قال له: أنا محمد بن إدريس، قال: كيف أرضى عنه و أنا أتمنى رضاه ؟ قال: إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله.

أريد الحمد مع المشكلة، طبعاً كل إنسان حتى الجاهل إذا كان في السراء، في بحبوحة ، في صحة، يقول: الله مفضل علينا، أنا أريد إنساناً في مشكلة أن يرى رحمة الله تغمره وهو في هذه المشكلة، هنا الحمد.

لذلك يقول سيدنا علي: " الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين ".

الآن الواحد لا يمتحن المركبة في النزول، أي مركبة حتى الدراجة تنطلق في النزول، المركبات تمتحن في الصعود ، و المؤمن لا يمتحن بالرخاء يمتحن بالشدة

((ومن الباقيات الصالحات))

الإكثار من قول لا إله إلا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله:

حديث آخر:

((من ضن بالمال أن ينفقه، وهاب العدو أن يجاهده، والليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله))

[رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

أي بقينا عدة أسابيع في أذكار النبي عليه الصلاة والسلام، أرجو الله سبحانه وتعالى في وقت الفراغ، قال: هناك أوقات ميتة كثيرة، المؤمن لا يوجد عنده أوقات ميتة، أوقات المؤمن كلها مشغولة، أنت عند طبيب الأسنان تنتظر دورك ماذا تفعل ؟ لا تحتاج إلى حفظ، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تستطيع أن تقول: لا حول لا قوة إلا بالله ، تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، تستطيع أن تمسك مسبحة ، وتقول: الله الله، كله ذكر، تستطيع أن تقرأ قرآن، هذا الذكر أعلى درجات القرب من الله عز وجل، هذا لا يحتاج لوضوء، القرآن يلزمه وضوء أحياناً، من دون وضوء تستطيع أن تذكر الله عز وجل، حتى الآيات الواردة في القرآن إذا جعلتها ذكراً حسبي الله و نعم الوكيل آية قرآنية، هذه ذكر تستطيع أن تقرأها من غير وضوء.

إلحاح من قبلي على مضمون هذه الكلمات، أي أنا لا أريد أن أقول هناك شخصاً ناقماً على الله عز وجل ، ومحتاراً في أمره.

الشر نوعان مطلق ونسبي: الشر النسبي موظف للخير والشر المطلق ليس له وجود:

عندنا خير وعندنا شر، الشر نوعان مطلق و نسبي، الشر النسبي موظف للخير، المطلق ليس له وجود، مستحيل أن يكون موجوداً، مهما رأيت مشكلات في المجتمع هذا شر نسبي موظف للخير. مثلاً السيارة لماذا صنعت ؟ صنعت لتسير، فيها مكبح و المكبح يتناقض مع علة وجودها، مصممة كي تسير، لكن المكبح ضروري لسلامتها، أنت افهم النعم الظاهرة مركبة، والباطنة مكبح، فالمكابح ضرورية لسلامة هذه المركبة، فالإنسان سلامته بهذه المكابح.

مثلاً إنسان يتألم من أسنانه، يتمنى ألا يكون هناك عصب حسي بالأسنان، إن لم يكن في الأسنان عصب حسي لم يعد هناك مشكلة أبداً، لم يعد هناك شيء اسمه وجع أضراس إطلاقاً، لكن ما الذي يحدث ؟ كلما سوس سن حتى ينتهي تقرطه مع الأكل، والثاني، الثالث، حتى تنتهي أسنانك، أما

بالألم الشديد تذهب إلى الطبيب، تزيل العصب، وتحشو السن، كسبته، فهذه الآلام أجهزة إنذار مبكر كل قضية افهمها فهماً عميقاً، أجهزة إنذار مبكر.

المصائب أجهزة إنذار مبكر من الله للعبد:

الإنسان إذا فهم المصائب على هذا الشكل يقول: الحمد لله من أعماق أعماقه سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، الله لن يسلمك لأحد، لو سلمك لأحد لا يستحق أن تعبده، قاعدة قال لك:

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ)

(سورة هود الآية ١٢٣)

هذه معنى لا إله إلا الله، لا يوجد مع الله إله إطلاقاً، مهما رأيت أناساً أقوياء هؤلاء بيد الله عز وجل، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، مهما عرفت عن الله هو أكبر مما تعرف، أنت بالمحل التجاري و هناك ازدحام، أذن الظهر، الله أكبر من التجارة ، ومن الكسب والمال، إنسان قال لك: إذا لم تعص الله أعمل لك مشكلة، الله أكبر، هذه واسعة جداً.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذه الباقيات الصالحات، كأن الإيمان مجموع في هذه الكلمات: تسبحه ، وتحمده ، وتوحده ، وتكبره.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٢-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في قول لا حول ولا قوة إلا بالله

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

من أراد طاعة الله عز وجل فليطلب من الله أن يعينه على ذلك:

قال صلى الله عليه وسلم:

((يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة))

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

في بعض الأحاديث التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر هذه الكلمة: ألا أنبئكم بمعنى لا حول و ولا قوة إلا بالله ؟ لا حول عن معصيته إلا به ، و لا قوة على طاعته إلا به ، و هذا معنى قول الله عز وجل في الفاتحة:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

(سورة الفاتحة: الآية ٥)

أنت ضعيف، إن أردت طاعة الله عز وجل اطلب من الله أن يعينك على طاعته، لكن الذي يقول: أنا أطيع الله ، و نسب هذه الطاعة إلى إرادته ، وإلى قوته، فالله جلّ جلاله لا يعطيه القوة التي يستطيع بها أن يطيعه.

وأدق كلام قاله سيدنا يوسف، الإنسان أحياناً يستقيم، فيأخذه العجب باستقامته، فيظن أنه فوق الناس ، وأن الناس كلهم هلكى إلا هو، وقع في العجب ، وهو من أكبر الذنوب.

((لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر))

[ورد في الأثر]

أكبر من الذنب أن تقع في العجب، من هنا قال ابن عطاء الله السكندري: " رب معصية أورثت ذلاً و انكساراً، خيرٌ من طاعة أورثت عزاً واستكباراً ".

فحينما تتلو قوله تعالى:

(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

(سورة يوسف)

نبي كريم، نبي عظيم، يرى أنه أضعف من أن يصمد أمام إغراء النساء ، و الإنسان حينما يعتد بنفسه في موضوع النساء قد يقع في شباك امرأة ليست بشيء أمام زوجته يدع الحلال الهني ، ويتبع الحرام الشقي.

على الإنسان المستقيم ألا يأخذه العجب باستقامته بل يذوب شكراً لله على ذلك:

إذاً

(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

سيدنا يوسف مفتقر في تركه للمعصية إلى الله، سيدنا إبراهيم قال:

(وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)

(سورة إبراهيم الآية ٣٥)

أي يا رب أنت إن لم تعن على ترك عبادة الأصنام لعبدتها كهؤلاء ، وهذا لو طبقناه على أنفسنا، تكون ذاهباً إلى مكان تجد ملهى كله سيارات ، وهناك خمر ، و رقص، و غناء ، قل: يا رب لك الحمد أن أعنتني على نفسي ، وابتعدت عن هذه الأماكن، هؤلاء الذين يرتادون هذه الأماكن أشخاص مثلنا، رأوا أن هذا مغنماً كبيراً ، و سعادتهم بهذه الأماكن.

أنت حينما تأتي إلى المسجد النظيف الطاهر، تستمع إلى كلام الله، أنت جئت إلى هنا باختيارك، أكثر الناس أو الذين يأتون في الصيف إلى بلدنا لا يستطيعون أن يصلوا الفجر لأنهم يسهرون للساعة الخامسة في أماكن الهوى.

فالإنسان إذا استقام لا ينبغي أن يأخذه العجب باستقامته، ينبغي أن يذوب شكراً لله عز وجل على أن أعانه على استقامته، ألا أنبئكم بمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله أي لا حول عن معصيته إلا به ، ولا قوة على طاعته إلا به.

مرة أحد الأخوة زارني في البيت، ما إن جلست معه حتى انفجر باكياً، قلت له: خير إن شاء الله ؟ قال: إني أطلق بصري في الحرام ، قلت له ببساطة: تب إلى الله، قال لي: صرت تائباً خمسين مرة ، ما أدركت سرّ ضعفه أمام هذه المعصية ، في لقاء ثان فيما أذكر و ثالث، كشف لي الحقيقة، هذا شاب استقام ، و غض بصره، أخذه العجب، نظر إلى أبيه وأمه اللذين كانا سبب وجوده، رآهما ينظران إلى الحرام ، فاحتقرهما ، واعتدّ بنفسه، وبدأ يكيل لهما التهم الكبيرة، اعتداده بنفسه، وباستقامته ، واحتقاره لأمه وأبيه، بدل أن يشكر الله على أن مكنه من هذه الطاعة ، و بدل من أن يشفق على أمه وأبيه أن لم يستطيعا أن يدركا هذه الطاعة أخذه العجب، كيف أدبه الله عز وجل ؟ ضعف مقاومته فانهار.

فهذه لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول عن معصية الله إلا الله ، ولا قوة على طاعته إلا به.

المؤمن الصادق لا ينظر إلى عمله ولكن ينظر إلى فضل الله عليه:

هل تصدقون أن العمل الصالح الذي أكرمك الله به إذا نظرت على أنه من صنعك، ومن جهدك، يغدو حجاباً بينك وبين الله ؟ كم من إنسان محجوب بعمله عن الله ؟ أنا عملت كذا، لحمهم من خيري، خير إن شاء الله، أنا دعيت لله، أنا علمت، أنا من ثلاثين سنة أدعو إلى الله، هؤلاء الذين لهم أعمال جيدة أحياناً يقعون في حجاب بينهم وبين الله من أعمالهم الصالحة.

لذلك المؤمن الصادق لا ينظر إلى عمله ، ولكن ينظر إلى فضل الله عليه، لأن الله عز وجل على كل شيء قدير، يضعف لك مقاومتك قليلاً، يرتكب الإنسان أشد الحماقات.

أعرف أناساً كثيرين تورطوا في الزنا مع امرأة لا تساوي معشار ما عندهم في البيت، فالإنسان إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول عن معصية الله إلا الله ، ولا قوة على طاعته إلا به، يجب أن ترى فضل الله عليك بطاعتك له، إذاً هذه الطاعة تستمر، أما إذا رأيتها من قوة إرادتك ، ومن حزمك ، و من ضبطك لأمورك فربنا عز وجل بشكل بسيط جداً يزعزع قدرتك على مقاومة المعصية ، فيقع الإنسان في المعصية.

الفرق بين أن تعتد باستقامتك فيضعف الله لك مقاومتك وبين أن تفتقر إلى الله في طاعتك:

لذلك الآية الكريمة في الفاتحة

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

أي نستعين على عبادتك.

أنا أقول لبعض الأخوة الأكارم: إذا ضعفت عن طاعة الله استعن بالله على طاعته، ما كان الله ليعذب قلب بشهوة تركها صاحبها في سبيل الله، يعينك ، والله عز وجل يعطيك قوة مقاومة تجد نفسك بعيداً.

أحياناً الإنسان يسافر، إذا قال أنا و أنا، تضعف مقاومته في السفر، فيقع ببعض المعاصي، أما إذا قال الإنسان

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

تجد عنده قوة مقاومة عجيبة، فقوة المقاومة هذه تتأتى من استعانته بالله، لا من اعتداده باستقامته، أنا الآن أعالج أمراض رواد المساجد، أمراض المؤمنين، هؤلاء المتفلتين لا شأن لي بهم إطلاقاً، لهم معالجات خاصة عند الله، نحن ننظر إلى هؤلاء الذين يصلون، ويستقيمون ، و يصدقون ، و

يغضون أبصارهم، عندهم مزالق، أحد هذه المزالق أن يعتدوا باستقامتهم، أن يتباهوا بها، أن ينسبونها إلى قدراتهم الذاتية، أن ينسبوها إلى جهدهم.

أما الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين مفتقرون إلى الله دائماً، حتى في طاعتهم، حتى في إقبالهم، لا يوجد أحد أكبر من أن الله يضعف له مقاومته، لا يوجد إنسان مهما كان ضعيفاً أصغر من أن يأخذ الله بيده إليه، فيحميه من المعاصي والآثام.

إنسان يسافر إلى بلد أجنبي، يقول لك: أنا عندي قناعات، أنا إيماني قوي لا أتأثر، ضابط أموري، لا يهمني شيء، تزل قدمه فيقع في المعصية، وإنسان آخر مستعين بالله في بلاد الفجور والمعاصي، يغض بصره ، و يقبل على الله ، و يتلو القرآن، أنا أسمع من الذين يأتون من بلاد غرب، تجد شاباً رجع داعية من هناك ، و شاباً آخر رجع زانياً، فالقضية خطيرة جداً بين أن تعتد باستقامتك فيضعف الله لك مقاومتك تأديباً، لأنك أشركت به، وعزوت هذه الطاعة إلى ذاتك، وبين أن تفتقر إلى الله في طاعتك، فيأتيك المدد من الله عز وجل، ويقويك على كل الإغراءات.

وأكبر دليل سيدنا إبراهيم وهو أب الأنبياء يستعيذ بالله من أن يعبد الأصنام، معقول نبي كريم من أولي العزم يستعيذ بالله أن يعبد الصنم

(وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)

(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

الله عز وجل لا يقع في ملكه إلا الذي يرضاه :

إذاً النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة))

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

وفي رواية الحاكم:

((من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كانت دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم))

[الحاكم عن أبي هريرة]

دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم، أنا عليّ أن أطيع الله عز وجل، وعلى الله الباقي، لا حول ولا قوة إلا بالله، كل شيء وقع أراده الله، هذه اسمها حوقلة، إذا الإنسان أصابته مصيبة فحوقل أي قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي شيء وقع لابدّ من وقوعه، لم يعد هناك ندم، لم يعد هناك هم، لم يعد هناك حزن، لحكمة أرادها الله سمح بوقوع هذا الشيء، لأن الله عز وجل لا يقع

في ملكه إلا الذي يشاءه ويرضاه، لا يقع في ملكه شيء، مادام الشيء وقع لو بدا لك أنه شر فهو خير.

التوحيد لا يلغي المسؤولية و كل إنسان محاسب على عمله:

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)

(سورة النور الآية: ١١)

الحقيقة الإفك يبدو أنه شر، إنسانة طاهرة، عفيفة، زوجة رسول الله، اصطفاها الله له من بين نساء العالمين، السيدة عائشة، لأسباب تافهة جداً اتهمت بالزنا، لأن وزنها خفيف، فلما حملوا الهودج لم ينتبهوا أنه خفيف، فظنوها بالهودج ومشوا، لو أن قرطها لم ينقطع، فذهبت لتبحث عنه ما كان حديث الإفك، انتهى الحديث كله، لو أن عقدها في رقبتها، كانت في الهودج، لكن عندما انقطع عقدها ضاع، تفقدت عقدها فلم تجده، ذهبت لتبحث عنه، فلما أرادوا أن يرتحلوا، حملوا الهودج وانطلقوا به، لو أنها تبحث عنه قريباً من الهودج لما وقعت حادثة الإفك، يمكن أن تقول لمئة مرة لو ما كان كذا ما كان كذا، فهذا الحديث التي اتهمت به السيدة عائشة بالزنا شيء لا يحتمل، والناس المنافقون روجوا هذا الخبر، وارتاحوا له، والمؤمنون تألموا ألماً شديداً، وسكتوا، وكل إنسان عبّر عن موقفه الشريف، أو الغير الشريف من هذا الخبر، إنسان ظن بنفسه خيراً، إنسان لم يظن بنفسه خيراً، إنسان شمت بها، وإنسان أشفق عليها، فالنتيجة أن الحدث كان من الممكن ألا يقع، لو أنه شعروا أن الهودج خفيف، وتفقدوها لوجدوها، لو لم تفتقد عقدها لما وقع الحادث، لو أن هذا الذي جاء لم يأتِ لرجعوا إليها، لكن هناك صحابي كلفه النبي أن يتأخر عن الجيش ليأخذ ما يجد فيه من أغراض وقعت من المقاتلين، رأى أم المؤمنين، فاسترجع وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وحملها على ناقته، بكل أدب، بكل احترام، بكل عفة، هذا الذي حدث، كيف قالوا إنها زانية ؟ قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ)

(سورة النور الآية: ١١)

من خلال الإفك عرّف الله الناس بحقيقة الوحي، الوحي ليس من عند رسول الله، لو كان من عند رسول الله لما وقع في هذه الأزمة الطاحنة، لنظم آية بعد دقيقة منه وانتهى الأمر، انقطع الوحي عنه أربعين يوماً، ماذا يفعل النبي بهذه الأيام ؟ لا يوجد عنده دليل إثبات، ولا دليل نفي، والناس يتكلمون، وهو رسول الله، والله لا يحتمل أحدنا هذا الخبر، ما عنده مشكلة أبداً، رسول الله عنده هذه المشكلة.

قال **(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ)**

ثم يقول الله عز وجل:

(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

(سورة النور)

معنى ذلك التوحيد لا يلغي المسؤولية، إذا قلت: هذا قضاء وقدر، هذا نصيبه، هكذا الله أراد، ليس معنى هذا أنه لا يوجد مسؤولية، كل إنسان محاسب على أعماله.

كل شيء وقع أراده الله عز وجل:

إذاً النبي عودنا، وأمنا أن نحوقل حينما نتلقى خبراً سيئاً، لا حول ولا قوة إلا بالله، شيء وقع، ما دام وقع أراده الله، مادام أراده الله فهناك حكمة بالغة، ما دام هناك حكمة بالغة إذاً هناك رحمة مطلقة، انتهى، لم يعد هناك هم، انتهى الهم، لم يعد هناك جدل، لم يعد هناك لو، هذا كله انتهى، والإنسان عندما لا يندم يرتاح، ليس في الإمكان أبدع مما كان، طبعاً الله عز وجل فرز المؤمنين، فرزهم، إنسان عنده قطع ذهب كثيرة، هناك عيار ٢٤، عيار ١٨، عيار ١٦، عيار ١١، عيار ٨، هناك نحاس مطلي ذهب، هناك نحاس ملمع، هناك تنك، كله أصفر، زنهم لنا يا أخي، الله فرزهم، فرز الناس كلهم بهذه القصة، المؤمن قال: معاذ الله.

(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)

(سورة النور)

مستحيل ! المنافق: سمعت ماذا حصل ؟ هل دريت ؟ المنافق تكلم شيئاً، والمؤمن تكلم شيئاً آخر، وفرز الناس، بيّن ذلك أن الوحي ليس من عند رسول الله، الوحي من الله، والله أراد أن يبين أن الوحي ليس من عندك، أربعون يوم كلام، قصص كلها كذب، الناس في حيرة، فلما نزلت آية البراءة، قالت أمها: يا عائشة قومي إلى النبي فاشكريه، قالت: والله لا أقوم إلا لله، على مسمع النبي، تبسم النبي وقال: لقد عرفت الحق لأهله.

إرادة الله تنطبق على الحكمة المطلقة وحكمته المطلقة تلتقي مع الخير المطلق:

أيها الأخوة، هذه القصة مفيدة جداً، لا تقل لو كله خير، لكن هناك خير ظاهر و خير مبطن، لذلك:

((يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة))

[متفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

وفي رواية للحاكم:

((من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم))

[الحاكم عن أبي هريرة]

ما عاد هناك هم، شيء وقع، حينما تلغي لو ترتاح، أحياناً لسبب تافه جداً يوقع الموظف لك معاملة ما، و حين تسأله سؤالاً ثانياً، يقول لك: هات لأرى، لا، هذا ممنوع، تقول: ليتني لم أرجع

لعنده، مشيت البضاعة، لا، يوقفها لك، هات الوثيقة الفلانية، إن لم تملك الوثيقة تتألم أشد الألم، لو ما رجعت لعنده، وقعها وانتهى كل شيء، لا تقل لو، عندما تلغي لو ترتاح، بقاموس المؤمن لا يوجد لو، سافرنا سفرة صار معنا حادثاً يقول: لو ما سافرنا، لا.

((لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

[أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء]

عندما توحد ترتاح، عندما تعرف أن هناك يداً حكيمة بيدها كل شيء، لا تسمح بوقوع شيء إلا لحكمة بالغة، ولخير مطلق ينتهي الأمر، والعبرة بالنهاية.

(وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

(سورة الأعراف)

فدرس اليوم لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول عن معصيته إلا به، ولا قوة على طاعته إلا به، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا يوجد لو، والذي وقع أراده الله، والله إرادته تنطبق على الحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة تلتقي مع الخير المطلق.

تناقض الشر المطلق مع وجود الله تعالى:

إذاً شر مطلق بالكون لا يوجد، لأن الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، كله خير جاءك أولاد، لم يأتك أولاد، دخلك كبير، دخلك قليل، يا ليتني لم أبع هذا المحل لكنت الآن أعيش ببحبوحة كبيرة، بعناه وتورطنا، أكثر كلام الناس فيه ألم، وحزن، وندم، لو لم آخذ فلانة لأخذت فلانة، ما كان هكذا وضعي، لا تقل لو إطلاقاً، قل قدر الله وما شاء فعل، قل لا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٣-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مخاطبة الله عز وجل عامة الناس بأصول الدين و خاصة المؤمنين بفروع الدين:

عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب عن أبيه أنه قال:

((خرجنا في ليلةِ مَطرٍ وظُلْمَةٍ شديدةٍ نَطلبُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليصلّيَ بنَا فأدركناهُ فقال لي قال قُلْ فلم أقُل شيئاً ثم قال قُل فلم أقل شيئاً، ثم قال قُلْ فلم أقُلْ شيئاً، ثم قال قُلْ فقلتُ يا رسولَ الله ما أقولُ يا رسول الله قال اقرَأ))

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }

والمعَوِّذَتَين، حين تُمسي، وحينَ تُصبح ثلاث مرات تَكفيك من كل شيء .

[أبو داود والترمذي عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب عن أبيه]

هناك ملاحظة ينبغي أن توضع بين أيديكم ، لو جاء إنسان شارد، يرتكب الموبقات و المعاصي ، و قال هذه الكلمات بقلب غافل ليس هناك ثمرة إطلاقاً، هذه الكلام موجه للمؤمنين، لإنسان ملتزم ، لإنسان متصل ، فإذا قال هذه الكلمات لن يضره شيء فعلاً، أما أن يظن الإنسان أن القضية عامة ، أو أن إنساناً قالها، كلمات تقولها بقلب غافل لا تقدم و لا تؤخر، حتى لا يظن الإنسان أن في الإسلام معالجات غير ناجحة.

النبي يخاطب صحابي ، يخاطب إنساناً ملتزماً، يخاطب إنساناً محباً ، يخاطب إنساناً مستقيماً، هذا الإنسان الموصول بالله، الملتزم، المستقيم، إذا قال هذه الكلمات الثلاث لم يضره شيء، لأنه أحياناً الإنسان يطبقها فلا يرى شيئاً ، فينصرف عن كل هذه الأذكار حتى لا يندفع الإنسان لينصرف عنها جهلاً ، أو وهماً، هذه أذكار المؤمنين، الله عز وجل يخاطب عامة الناس بأصول الدين، يقول لهم: آمنوا بي، اعبدوا ربكم ، أما يخاطب المؤمن الذي آمن به ، والذي اتجه إليه ، و الذي أخلص له ، و الذي طبق منهجه، يخاطب هذا المؤمن بهذه الأذكار، حتى الإنسان لا يقول: أنا قلتها ، و صار لي كل شيء، هذه خاصة بالمؤمنين الصادقين ، المستقيمين ، الملتزمين.

الكلمات التي يرددها معظم المسلمين حينما يرددونها بقلب غافل تفقد مضمونها:

عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب عن أبيه أنه قال:

((خرجنا في ليلةِ مَطرٍ وظُلْمَةٍ شديدةٍ نَطلبُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليصلّيَ بنا فأدركناهُ فقال لي قال قُلْ فلم أقُل شيئاً ثم قال قُل فلم أقل شيئاً ثم قال قُلْ فلم أقُلْ شيئاً، ثم قال قُلْ فقلتُ يا رسولَ الله ما أقولُ يا رسول الله قال اقرأ))

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }

(والمعَوِّذَتَين، حين تُمسي، وحينَ تُصبح ثلاث مرات تَكفيك من كل شيء)

[أبو داود والترمذي عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب عن أبيه]

طبعاً:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)

(سورة الإخلاص)

والمعوذتين:

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)

(سورة الناس)

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)

(سورة الفلق)

قال:

{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }

((والمعَوِّذَتَين حين تُمسي وحينَ تُصبح ثلاث مرات تَكفيك من كل شيء))

[أبو داود والترمذي عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب عن أبيه]

أي أنت استعذت بالله، هناك طفل بالطريق لو قال لك: يا عم هناك كلب دعني أمشي بجانبك، هذا المثل البسيط أنت بمروءتك ، و كمالك، تمسك به و تحميه، كلمة أعوذ أنا أستعيذ، التجئ، ألوذ بك يا رب، إله عظيم، كامل، ذات كاملة، يستعيذ به عبد ولا يعيذه ؟ يلوذ به عبد و لا يحميه ؟ يلتجئ إليه إنسان و لا يمنعه من أعدائه ؟ المشكلة أن هذه الكلمات التي يرددها معظم المسلمين حينما رددوها بقلب غافل فقدت مضمونها، أصبحت كلاماً عند الناس ليس له معنى.

أما إنسان بوعي ، و إدراك ، و إيمان يقول: يا رب أعوذ بك من شرّ ما خلقت، أنت الآن في حماية الله، أنت في ظل الله ، أنت في ذمة الله، لا يستطيع مخلوق أن يدنو منك إذا كان الله معك فمن عليك ؟ و إذا كان عليك فمن معك ؟

على كل إنسان أن يستعيذ بالله تعالى بقلب خاشع و حاضر:

هذه الكلمات التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام يجب أن نقدسها، لكن ينبغي أن نطبق التعليمات بحذافيرها ، الآن أحياناً يقول لك إنسان: فلان دخل به جني، ما الحل ؟ أن نطبق التعليمات بحذافيرها، هناك مشايخ، وجلسات، والخضر يخرج الجني، ويسبه ، و يقول له: سأحرقك، لا، ليس هذا هو العلاج.

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)

(سورة الأعراف الآية: ٢٠٠)

هذا العلاج القرآني، لكن أنا أضيف دائماً أن تستعيذ بالله بقلب حاضر ، و بقلب خاشع، أما كلمة يقولها الإنسان هكذا هذه لا تؤثر، الله يريد قلبك ، يريد نفسك ، يريد التفاتتك ، يريد إخلاصك، يريد محبتك ، فإذا قلت هذه الكلمات بقلب خاشع ، بقلب منيب، بإيمان قوي.

الآن إذا شخص دعا ربه ، و ليس موقناً بالإجابة، قال ربي اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعلُ، هذا لا يغفر ذنبه، ادعُ الله و أنت موقن بالإجابة.

من عرف الله سعد بقربه:

أحياناً من أين يأتي عدم اليقين ؟ هذا مرض عضال، الله لا يمكن أن يشفيه لأنه عضال، من قال لك ذلك ؟ الشيء المستحيل في دنيا البشر على الله عز وجل كن فيكون.

أنا لدي صديق يعمل مدرساً في الفيزياء ـ القصة من خمس عشرة سنة ـ فجأة آلمه بصره بشدة، أصابه سعال لا يحتمل ، فحص نفسه فإذا به قد أصيب بمرض خبيث بالرئة، أخذوا خزعة و فحصوها تأكدوا أنه مصاب بمرض خبيث، أرسلوه إلى بريطانيا الجواب نفسه، أي القضية منتهية، قال له طبيب بحضوري: هناك عملية احتمال نجاحها ثلاثون بالمئة في أميركا ، في ذلك الوقت كان قد اشترى بيتاً جديداً ، و ثمن البيت يكافئ كلفة العملية ، فخيار صعب جداً، عنده خمسة أولاد ، و يبيع بيته، و يسكن في بيت أجرة حتى يعمل عملية نجاحها يقدر بثلاثين بالمئة، أنا و الله مرة زرته وبكيت، لأن عنده طفل صغير مثل الوردة، بعيد عن أن يحمل مسؤوليات الأسرة ، والله عز وجل نظر له بالشفاء التام لا سفر، و لا عملية ، و الآن حي يرزق ، و القصة من ست عشرة سنة ، أين بقي الدرجة الخامسة سرطان ؟ وأين بقيت الخزعات التي ذهبت إلى بريطانيا ؟ الله على كل شيء قدير.

فقط العبرة أن تسأله و أنت موقن بقدرته ، وأنت موقن باستجابته.

((ادْعوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

الدعاء يا من عليه العسير يسيراً ، كن فيكون.

طبعاً لهذه القصة أمثلة كثيرة جداً ، و مئات القصص ، وآلاف القصص ، هذا الذي يحير الأطباء أحياناً، كل علمه يلغى، يقول لك: لا يوجد أمل ، هناك طبيب قال لإنسان: لا يوجد أمل اكتبوا النعوة، يقول لي ابن قريبها: عاشت بعد هذه الكلمة خمساً و أربعين سنة.

إن الطبيب له علم يدل بــه إن كان للناس فـي الآجال تأخير

حتى إذا ما انقضت أيام رحلته حار الطبيب و خانته العقاقيــر

* * *

العبرة أن تعرف الله، إنك إن عرفته، إن دعوته، أجابك ، إن سألته أعطاك ، إن استغفرته غفر لك، إن أقبلت عليه سعدت بقربه ، العبرة أن تعرفه.

الدعاء مخ العبادة:

إذاً هذا أول ذكر، الإخلاص و المعوذتان قبل أن تنام، أحياناً إنسان يسافر وهو خائف إن كان معه مال أن يسرق المال، سيارته عليها أغراضاً، يا ترى هل تسرق بالليل ؟ يقرأ المعوذتين والإخلاص، انتهى لن يضره شيء، طبعاً اعقل و توكل، يأخذ كل الاحتياطات، حتى ينام و هو مرتاح يقرأ المعوذتين والإخلاص، أحياناً يأتيه إنسان يؤذيه يقرأ بقلبه المعوذتين والإخلاص، لن يضره شيء، الإنسان أحياناً يقع بمشكلة، بورطة، يقرأ المعوذتين والإخلاص لن يضره شيء، لأنه استعاذ بالله.

سأضرب لكم مثلاً مضحكاً: أحياناً إنسان يشتري كنزة جديدة، أكمامها مشدودة، والدنيا شتاء، يلبس فوق الكنزة جاكيت ، و فوق الجاكيت معطفاً ، ماسكاً بيديه حاجتين ، طفل عمره أربع سنين يقول له: يا عم كم الساعة ؟ أكثر الناس يضع هذه الأغراض يرفع كم المانطو ، و كم الجاكيت ، و يرفع الكنزة ، و يقول: الساعة السابعة و الربع، طفل سألك سؤالاً تستحي ألا تجيبه.

إنسان يقول له: يا رب أعطيني، ارزقني ، زوجني ، أحمني ، خذ بيدي أي أفتح خطاً مع الله مباشرة، الله عز وجل لا يحتاج إلى وسيط ، ولا إلى بيان ، ولا إلى يمين أبداً، قل له يا رب.

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(سورة البقرة)

فالدعاء قمة العبادة ، الدعاء هو العبادة ، الدعاء مخ العبادة ، الدعاء أي فتحت خطاً مباشراً مع الله تعالى.

((إذا كان ثلث الليل الأخير))

[البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

و الله يا أخوان أي شخص يشكو لي همه ، هناك هموم صعبة ، أمراض وبيلة، مشكلات مالية صعبة، ديون لا يستطيع الإنسان أن يقضيها ، أحياناً هناك ورطات كبيرة، ماذا أقول له أنا ؟ أقول: يا بني قم و صلِّ الصبح، صلِّ ركعتين قبل الفجر ، وفي السجود اطلب من الله حاجتك، لأن ربنا عن طريق النبي الكريم علمنا.

((إذا كان ثلث الليل الأخير ينزل إلى السماء الدنيا))

هو يقول:

((فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه حتى يطلع الفجر))

[البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

إله يقول لك: أنا جاهز، اطلب مني ، اطلب مني في صلاة السحر قبل الفجر، هذه وصفة، لا يوجد إنسان ليس عنده مشكلة، مشكلة مالية ، مشكلة مع أولاده ، مع زوجته، بمجتمعه ، بدائرته ، بوظيفته ، مع أعلى منه، مع أدنى منه، استعذ بالله، هذا الدعاء شيء أساسي، هناك كثير من الناس يهملون الأذكار، فالقلب غذاؤه الذكر ، غذاؤه أن تستغفر الله ، أن توحده، وأن تكبره ، أن تسبحه ، أن تحمده، فهذه وصفة، الإخلاص والمعوذتين.

على كل إنسان أن يشكر الله عز وجل على نعمة الوجود و الهداية و الطاعة:

أنا أؤكد لكم، أنت في الصلاة ماذا تقول ؟ سمع الله لمن حمده، هل تنتبه أنت لهذه العبارة ؟ كأن الله يقول لك: يا عبدي أنا أصغي إليك ، أنا أستمع إليك، احمدني فقط، سمع الله لمن حمده، اشكر الله عز وجل لأنه عرفك به، اشكره لأنه سمح لك أن تكون موجوداً، منحك نعمة الوجود، ثم دلك عليه، ثم هداك إليه ، ثم شرح صدرك إلى طاعته ، ثم أعانك على طاعته.

و عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((سَيِّدُ الاستغفار أن يقول العبدُ اللَّهُمَّ أنتَ رَبي لا إلهَ إلا أنتَ خَلَقْتَني وَأنا عبدُك))

[رواه البخاري عن شداد بن أوس]

هذا من أدق الأدعية

((اللَّهُمَّ أنتَ رَبي لا إلهَ إلا أنتَ خَلَقْتَني وَأنا عبدُك وَأنا على عَهْدِك ووَعدِكَ مَا اسْتَطعتُ أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعتُ أبُوءُ لَكَ بنعْمَتكَ عَليَّ وَأبُوءُ لك بذَنْبي فاغْفِر لِي ذُنُوبي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ مَن قالها من النَّهَارِ مُوقِنا بها فماتَ من يومه قبلَ أنْ يُمسيَ فهوَ مِن أهل الجنة))

إذا كان فعلاً عبداً لله، عبداً مستسلماً.

((اللَّهُمَّ أنتَ رَبي لا إلهَ إلا أنتَ خَلَقْتَني وَأنا عبدُك وَأنا على عَهْدِكَ ووَعدِكَ مَا اسْتَطعتُ أعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ ما صَنَعتُ أبُوءُ لَكَ بِنعْمَتكَ عَليَّ وَأبُوءُ لك بِذَنْبي فاغْفِر لِي ذُنُوبي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ مَن قالها من النَّهَار مُوقِنا بها فماتَ من يومه قبلَ أنْ يُمسيَ فهوَ مِن أهلِ الجنة ومن قالها من الليل وهو مُوقِنٌ بهَا فماتَ قبل أن يُصبح، فهو من أهلِ الجنة))

[رواه البخاري عن شداد بن أوس]

وهذا من أدق الأدعية:

((اللَّهُمَّ أنتَ رَبي لا إلهَ إلا أنتَ خَلَقْتَني وَأنا عبدُك وَأنا على عَهْدِكَ ووَعدِكَ مَا اسْتَطعتُ أعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ ما صَنَعتُ أبُوءُ لَكَ بِنعْمَتكَ عَليَّ وَأبُوءُ لك بِذَنْبي فاغْفِر لِي ذُنُوبي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ))

هذا من الأدعية الراقية جداً ، الضمانة:

((مَن قالها من النَّهَار مُوقِنا بها فماتَ من يومه قبلَ أنْ يُمسيَ فهوَ مِن أهلِ الجنة ومن قالها من الليل وهو مُوقِنٌ بهَا فماتَ قبل أن يُصبح فهو من أهلِ الجنة))

العاقل من أقام علاقة مباشرة مع الله تعالى لأن الله بابه مفتوح لكل العباد:

حديث آخر:

((جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسولَ الله ما لقيتُ البارحة من عَقْرَبٍ لَدَغتني البارحة قال أمَا لو قلت حين أمسيتَ أعُوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق لم تَضُرَّكَ))

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

دعاء ثالث:

((أعُوذ بكلمات الله التامَّات))

العبرة أن تقيم علاقة مع الله مباشرة، أن تسأله، أن تيأس من خلقه ، وأن تلوذ به ، أن تحتمي به ، وأن تسأله ، وأن تقبل عليه وأن تكون ربانياً، أي حسن العلاقة بالله، يقول لك: بيننا عامرة ، هناك مودة ، ومحبة ، وهدايا ، وزيارات، ومعاونة ، طلبي ينفذه فوراً، يقول لك: عامرة بيننا، العبرة أن تكون عامرة مع الله، والله عز وجل بابه مفتوح لكل العباد.

يروون طرفة، أن امرأة مسنة جاءت سيدنا نوح قبل الطوفان، قالت: يا نوح لا تنسني إذا جاء الطوفان، فوعدها خيراً، فلما جاء الطوفان و صار الموج، و كان نوح في السفينة، نسي المرأة، فلما استقرت السفينة على الجودي.

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

(سورة هود)

بعد حين جاءت هذه المرأة إلى سيدنا نوح، قالت: يا نوح متى الطوفان ؟ أي لو أن سيدنا نوح فرضاً نسيها الله لن ينساها ، فالضمانة الله وليس عبد الله، عبد الله ينسى و لو كان يحبك ينساك، أما الله لا ينسى، فأنت حسّن علاقتك بالله ، كن ربانياً.

(وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)

(سورة آل عمران الآية ٧٩)

أي اجعل علاقتك بالله متينة، والله عز وجل معك، معك دائما، يرى ويسمع ولا يحتاج إلى كلمة، يعلم دون أن تقول، علمك بحالي يغني عن سؤالي.

سيدنا إبراهيم عندما ألقي في النار، جاءه جبريل، قال له: ألك حاجة ؟ قال: منك ؟ قال: لا من الله، قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٤-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

على كل إنسان أن يكون جاهزاً للقاء الله عز وجل في أية لحظة:

عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال:

((من قال حين يُصْبح وحين يمسي مائة مرة سبحان الله وبحمده لم يأت أحد يوم القيامة بأفضلَ مما جاء به إلا أحد قال مثلَ ما قال أو زاد عليه))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

سبحان الله وبحمده مئة مرة:

أيها الأخوة، و يقول عليه الصلاة والسلام:

((ألا أخْبِرُكم بخير أعمالِكم وأرفعِها في درجاتكم وأزكاها عند مليكِكم وخير لكم من إعطاء الذهب و الورق وخير لكم من أن تَلْقوا عَدُوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذِكْرُ الله))

[موطأ مالك عن أبي الدرداء]

إذا كان العلم غذاء العقل ، فالذكر غذاء القلب ، فالإنسان عقل يدرك ، و قلب يحب ، فأعطِ كل شيء غذاءه، العقل بحاجة إلى علم ، والقلب بحاجة إلى ذكر.

الإنسان تحت ألطاف الله عز وجل، البارحة كنا في تعزية، المتوفى شاب ، في الثانية والأربعين، طبيب جراح، أصيب بورم خبيث في أمعائه، ذكر لي أخوه أنه أصابته آلام لا يعلمها إلا الله، كل المسكنات لم تجدِ ، خلال شهرين ذهب من الدنيا، في الثانية والأربعين.

في اليوم نفسه جاءني أخ من أطراف دمشق يعمل إماماً وخطيباً، زوجته شعرت ببعض الإسهالات، وبعض الآلام في أمعائها، لم يعتن، لم يتابع الأمر، ثم فوجئ ، ورم خبيث في المستقيم انتقل إلى الكبد.

امرأة ثالثة في اليوم نفسه ، ورم خبيث في حنجرتها استؤصلت ، ففقدت الصوت كلياً، ولم تعد تستطيع الكلام.

فالإنسان فوقه ألف سيف، يتوهم الناس جميعاً أن أمراض القلب لمن تقدمت بهم السن، بالخمسينات، بالستينات، أما هذا الورم ليس له سن، ستة و ثلاثون ، الزوجة عمرها سبع وعشرون سنة، هذا الطبيب عمره اثنان وثلاثون، أحياناً طفل صغير، فهذا الورم لا يعرف سناً ، لا يعرف عمراً ، و لا يعرف وضعاً ، و لا يعرف جنساً ، و لا يعرف شباباً أو كهولة.

فالإنسان تحت ألطاف الله عز وجل، و المفروض أن يكون الإنسان دائماً جاهزاً للقاء الله عز وجل، أحياناً يخطط الإنسان لعشرين سنة قادمة، لخمسة وعشرين سنة قادمة ، ولا يدري أن كفنه نسج ، و اشتري ، ولم يبقَ له إلا أيام في الحياة الدنيا، وهذه الدنيا تغر ، وتضر ، وتمر.

فأكثر دعاء: " اللهم إنا نسألك العفو ، و العافية ، و المعافاة الدائمة ، في الدين والدنيا ، والأخرة".

سؤال الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة:

أنا يخطر في بالي إذا أصبح الإنسان معافىً في جسمه، يجب أن يعد هذا نعمة كبيرة جداً لا تعدلها نعمة ، ولو كان طعامه أخشن الطعام ، ولو كان بيته أصغر بيت ، ولو شأنه أقل شأن في الحياة الدنيا، ماذا ينفعه المال إذا جاءه المرض ؟ ماذا يفعل الأهل إذا جاء المرض ؟ فنحن تحت ألطاف الله عز وجل.

ذكرت هذه القصص الثلاث في يوم واحد.

الحقيقة الشيء الذي لا يصدق أن هذه الأورام أعدادها في زيادة كبيرة جداً، أنا أذكر قبل عشرين سنة كنا نسمع كل سنة أن شخصاً معه ورم خبيث، الآن بالأسبوع ممن حولك ، يوجد حادثتان أو ثلاثة باستمرار.

أحد أخواننا الأطباء المختص في الورم قال لي: عشرة أمثال النسبة مرتفعة فالإنسان يجب أن يلحق نفسه، المغادرة سريعة، الأمراض تفتك بالبشر، ألف سيف مسلط علينا ، و هذه السيوف رحمة بنا لنبقى على المنهج سائرين، لنبقى في طاعة الله ، لنسأل الله العفو ، و العافية ، والمعافاة الدائمة في الدين ، و الدنيا، و الآخرة.

سيدنا علي ـ رضي الله عنه ـ في نهج البلاغة له أقوال: " ثلاث نعم أساسية إذا وصلت إليها ما فاتك شيء من الدنيا إيمان و صحة و كفاية ".

ما معنى كفاية ؟ أي عندك قوت يومك فقط، أصبحت معافىً في جسمك ، و أصبحت مؤمناً بربك.

الآن هذه الشعور سمعتم ، و قرأتم ، و شاهدتم، إنسانة فاسقة زانية تعقد مؤتمراً صحفياً يبث على عشر محطات فضائية، تقول: أنا زنيت في يوم كذا بالإسطبل مع فلان، يوم كذا مع فلان، تعدد سبع حالات خيانة لزوجها، ومع ذلك العالم كله يبكي لموتها، لم يمر في حياتي وقت احتقرت انتمائي للجنس البشري كهذه الأيام، إنسانة في أدنى مستوى كلهم يبكون من أجلها ! أما هذه الشعوب التي

تئن من الجوع ، والحصار الاقتصادي، هذه المذابح في البوسنة والهرسك، مائتان وخمس وثلاثون ألف امرأة اغتصبت و لا أحد يبكي ! هذا مجتمع التزوير، مجتمع الكذب، هؤلاء الكفار يجب أن نحتقرهم، وحوش، و كل إنسان يقدرهم مثلهم:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

* * *

كم مقبرة جماعية وجدوا بالبوسنة والهرسك ؟ لا أحد يبكي ؟ خمسمئة ألف طفل من العراق ماتوا من الجوع، لم يبكِ أحد، كم شعب يموت من الجوع ؟ مليون قتيل بحرب العراق لم يبكِ أحد، أما إنسانة فاسقة زانية، سبعة ملايين خرجوا في جنازتها، ما هذا ؟!.

الانتماء إلى أهل الكفر و العصيان يبعد الإنسان عن الدين:

فنحن في زمن صعب أيها الأخوة، يجب أن تعتقد أن هذا الدين هو الصح، هو الحق، أنا أشعر أن الإنسان قضية انتماء ، هذا الذي ينتمي إلى أهل الكفر، والفسق ، و الفجور، هذا الذي يعظمهم، و يحترمهم، هو مثلهم، لأن الإنسان فيه قيم، فقضية الزنا بالإسلام جريمة، شيء طبيعي جداً. أنا مرة قرأت خبراً عن وزير الصحة البريطانية في مؤتمر صحفي يحمل دكتوراه بالعلوم الإنسانية يقول: أنا شاذ جنسياً، أعوذ بالله، بالمؤتمر اسكت.

نحن في أي عصر نعيش ؟ و الله هذه الدول التي يسمونها متخلفة و الله هي الأشرف، عندنا بقية حياء، بقية محبة، بقية آداب، بقية رحمة، أقول بقية لأننا تخلفنا عن تاريخنا أيضاً ، عن تاريخ أمجادنا، بقية محبة، بقية وفاء، بقية حياء، بقية خجل، لا يوجد خجل إطلاقاً.

إنسان عربي في الكويت يريد أن يشتري سيارة هذه الإنسانة الفاسقة الزانية ـ التي تحدثنا عنها قبل قليل ـ بمليون دولار لماذا ؟ لأنها من رائحتها، بمليون دولار يريد أن يشتريها، سيارة معجونة عجناً، هذا مجتمع ؟ هؤلاء يستحقون الحياة ؟ لا والله.

فالإنسان يجب أن يكون له انتماء إلى أمته، إلى دينه، إلى قيمه.

على المسلمين أن يعودوا إلى دينهم و يستمدوا القوة من الله عز وجل:

الحقيقة هناك انحراف خطير جداً بالعالم، لي صديق ذهب إلى هولندا، قال لي: لم أرَ في حياتي مسيرة أضخم من هذه المسيرة، ما هذه المسيرة ؟ كلهم شاذون جنسياً يطالبون بحقوقهم، أن يكون لهم اعتبار بالمجتمع ، هذا كلينتون سمح لهم بدخول الجيش، إذاً ما الشذوذ ؟ ليس الخروج عن الحكم الشرعي، الزنا الخروج عن الحكم الشرعي ، أما الشذوذ الخروج عن الفطرة البشرية، شيء

لا يليق بالإنسان، شيء قذر، بمئات الألوف هؤلاء الذين يحترمهم الناس، أجنبي أوربي، خواجة، محترم، أي احترام هذا؟.

فنحن يجب أن نعود إلى ديننا ، يجب أن نستمد من الله القوة.

فقد قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ قالَ لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهوَ على كلِّ شَيءٍ قديرٌ في يومٍ مائة مرةٍ كانت له عَدْلَ عَشْرِ رقابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مائةُ حسنةٍ ومُحِيَتْ عنه مائة سَيِّئَةٍ))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

هذه أذكار الصباح:

((لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهوَ على كلِّ شَيءٍ قديرٌ في يومٍ مائة مرةٍ كانت له عَدْلَ عَشْرِ رقابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مائةُ حسنةٍ ومُحِيَتْ عنه مائة سَيِّئَةٍ))

أخواننا الكرام، هذه أذكار النبي، مهما اجتهد المجتهدون ، و مهما فكر المرشدون في أذكار أخرى لا يفلحون، يقول لك: الصلاة النارية، من أين أتيت بها نارية ؟ نحن يجب أن نتقيد بأذكار النبي، هو أكمل إنسان، هذه أذكاره، يجب ألا نحيد عنها، ألا نزيد عنها، ألا ننتقص منها.

((ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عثمان بن عفان]

من أسلم وجهه لله شعر بسعادة كبيرة جداً:

أذكر مرة ثانية إن هذه الأذكار إن لم يكن معها قلب خاشع ، إن لم يكن هناك حرارة في ذكرها قد لا تجدي، الله عز وجل أمره أجلّ و أعظم من أن تردد بلسانك و أنت غافل عنه، هذا الترداد بلسان إنسان مع الغفلة لا يقدم و لا يؤخر، العبرة أن يكون القلب ملتفتاً إلى الله عز وجل، أن يكون القلب منيباً إليه.

فعلى الإنسان أن يقول إذا أصبح و إذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم، لأنه عندما يسلم لله عز وجل يشعر بسعادة كبيرة جداً.

((حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت هو رب العرش العظيم))

الإنسان إذا وكل محامياً لامعاً يمشي بالعرض، يقول لك: أنا فلان وكيلي ، فإذا وكلت الله عز وجل الذي بيده كل شيء ؟!

من أجلّ النعم على الإنسان أنه يعبد الله وحده:

حديث آخر: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَن قال حينَ يُصبحُ أو يُمسي اللهمَّ إني أصبحتُ أُشْهِدكَ وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أنَّكَ أنْتَ اللهُ لا إله إلا أنتَ وأنَّ مُحمَّدا عَبْدُكَ ورَسولُكَ أعتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النار فمن قالها مَرَّتَين: أعتَقَ اللهُ نِصفَه مِنَ النَّار فمن قالها ثلاثاً: أعْتَقَ اللهُ ثلاثة أرباعِهِ مِنَ النَّار ومن قالها أربعا: أعتَقهُ اللهُ مِن النَّار))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

أخواننا الكرام، من أجلّ النعم على الإنسان أنه يعبد الله وحده، خالق السماوات والأرض، شعوب بمئات الملايين، ثمانية وخمسون مليوناً بالهند يعبدون بوذا ، قسم سيخ ، وقسم هندوس، كلهم يعبدون آلهة من دون الله، بالصين يعبدون النار، يوقدونها، و يعبدونها ، في اليابان يعبدون ذكر الرجل ، في البرازيل يعبدون موج البحر، هناك منطقة بالهند يعبدون الجرذان ، وعندي مجلة تحقيق مطول مصور، أبنية شاهقة، معابد فيها خمسمئة جرذ، يعبدونهم من دون الله، شعوب بأكملها.

فإذا سمح الله عز وجل لنا أن نعرفه، وأن نعبده وهو الحق، هذه نعمة كبرى، لا أحد يستهين بنعمة التوحيد، أي أن الله عز وجل سمح لك أن تعرفه، شعوب ضالة غارقة في شهواتها.

الإنسان بذكر الله ينتعش قلبه و يشعر بالسعادة و الطمأنينة:

وعن المنذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((من قال إذا أصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، فأنا الزعيم لآخذن بيده حتى أدخله الجنة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن المنذر]

فالإنسان بقدر إمكانه كلما وجد وقت فراغ عليه بهذه الأذكار، سهلة، حفظها سهل، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، هذا ذكر، لا حول لا قوة إلا بالله، حسبي الله ونعم الوكيل، سبحان الله ، و الحمد لله ، و لا إله إلا الله ، و الله أكبر.

((قال له أتحب أن أكون جليسك يا موسى قال كيف ذلك يا رب و أنت رب العالمين قال إما علمت أني جليس من ذكرني وحيثما التمسني عبدي وجدني))

[ورد في الأثر]

أحياناً الإنسان يتصل بإنسان آخر عن طريق الهاتف ، هناك أخ قال لي: والله أخي مريض بعد شهرين خطر في بالي أن أسأل عنه ، خبرته فكبرت عنده أنني تذكرته ؟ معنى هذا أن الإنسان عندما يذكر الله عز وجل فهذا عمل كبير، أنه متذكر الله دائماً ، هناك إنسان يغرق بمتاعبه، بشهواته ، بتجارته، وهناك إنسان لا ينسى الله عز وجل.

بعض البلاد يضعون إعلانات بالطرقات أن: لا تنسى ذكر الله، فينتبه الإنسان، سبحه ، و حده، كبره ، حمده.

فالإنسان بذكر الله ينتعش قلبه، انظر إلى الآية التالية ما أدقها.

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

(سورة الرعد)

لو الله قال: تطمئن القلوب بذكر الله أي تطمئن لذكره، وبغير ذكره، أما حينما جعل التركيب قسرياً

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

أي أن القلوب لا تطمئن و لا تسعد إلا بذكر الله، والآية الكريمة:

(اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)

(سورة الأحزاب)

من أصبح معافى في جسمه فهذه نعمة كبرى ينبغي أن يشكر الله عليها:

آخر حديث: يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ قال حين يُصبحُ اللَّهمَّ ما أصبحَ بي من نعْمَةٍ أو بأحدٍ من خَلْقِكَ فَإنَّها مِنْكَ وحدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَكَ الحمدُ ولك الشُّكْرُ فقد أدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ وَمَنْ قال مِثْلَ ذلك حين يُمسْي فقد أدَّى شُكْرَ لَيلَتِهِ))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن غنام البياضي]

هناك مئة شيء في جسم الإنسان السليم حتى يستطيع أن يفرغ مثانته ؟ لو هذه المثانة فيها عضلة، و هذا العضلة شلت، تحتاج إلى ساعتين حتى تنتهي، لأنك تحتاج إلى تنفيس هواء، لأن بداخلها عضلة، بدقيقة تجدها أفرغت كل ما في داخلها ، لو أن هناك تضيقاً، أو بروستات ، أو مشكلة في الكلية، الكلية وحدها إذا أصابها عطب تجعل حياة الإنسان جحيماً ، والقلب نفس الشيء ، و الرئتين نفس الشيء.

فالإنسان إذا أصبح معافى في جسمه فهذه نعمة كبرى ينبغي أن يشكر الله عليها.

((مَنْ قال حين يُصبحُ اللَّهمَّ ما أصبحَ بي من نعْمَةٍ أو بأحدٍ من خَلْقِكَ فَإنَّها مِنْكَ وحدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَكَ الحمدُ))

إنسان دخل إلى بيت، معه مفتاح البيت، هناك أناس ليس لديهم بيت، ينامون بالطريق، هناك إنسان عنده زوجة ، و أناس ليس لديهم زوجة، إذا أراد أن يقضي هذه الحاجة تصبح بالحرام، أما هنا بالحلال، هذه نعمة كبيرة، عنده ولد يقول له: اذهب و أحضر لنا الخبز ، عنده ولد في البيت، الذي عنده ابن ، الذي عنده زوجة ، الذي عنده ولد ، الذي عنده بيت ، الذي عنده عمل، له دكان يعيش منها، له مصلحة، معه شهادة، فهذه نعم كبرى كلها ينبغي أن يذكرها الإنسان.

((مَنْ قال حين يُصبحُ اللَّهمَّ ما أصبحَ بي من نعْمَةٍ أو بأحدٍ من خَلْقِكَ فَإنَّها مِنْكَ وحدَكَ لا شَريكَ لَكَ لَكَ الحمدُ ولك الشُّكْرُ فقد أدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن غنام البياضي]

و الإنسان إذا قال حينما يمسي هذا الكلام نفسه فقد أدى شكر ليلته.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٥-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى -٣

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أعظم عطاء تناله على الإطلاق أن يعفو الله عنك و أن تستحق دخول الجنة:

أيها الأخوة الكرام: قال النبي عليه الصلاة والسلام عن نفسه:

((أوتيت جوامع الكلم))

[أبو يعلى عن عمر بن الخطاب]

أوتي جوامع الكلم وهو معصوم، ويوحى إليه، وهذه أدعيته:

((لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم إني أسألك العافية))

[أبو داود عن ابن عمر]

أي العافية شيء ثمين جداً لا يقدر بثمن، رفعه النبي إلى مستوى العفو، أن يعفو الله عنك نلت الجنة، أي أعظم عطاء تناله على الإطلاق أن يعفو الله عنك ، وأن تستحق دخول الجنة ، وفي الدنيا نعمة عظمى لا تعدلها نعمة أن تصبح وتمسي و أنت في عافية.

فلذلك الذين يتمتعون بصحة جيدة ، و أعضاء سليمة ، و أجهزة جيدة، حينما تأتيهم بعض المشكلات يتأففون، ما حال هذا الإنسان لو كان مضطراً أن يغسل كليتيه في كل أسبوع مرتين ؟ ما حال هذا الإنسان لو كان مضطراً أن يغير بعض أعضائه في بلد بعيد ، ويضطر أن يبيع بيته من أجل صحته ؟.

فالإنسان غني جداً حينما يكون معافى في جسمه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام ذكر ثلاث نعم من أدركها ما فاته شيء من الدنيا، نعمة الإيمان ، أو أمن الإيمان ، و سلامة الجسم ، وتوفر قوت اليوم.

((إذا أصبح أحدكم آمن في سربه))

[الترمذي عن عبد الله بن محصن]

هذا أمن الإيمان ، أي لو أن ملك الموت جاءه، له عند الله شيء، له عمل ابتغى به وجه الله، له طاعة يدخرها ليوم الحساب ، له صدقة ، له دعوة ، له ولد صالح ، له علم ينتفع به ، له جهد مقل ، له شيء يعرضه على الله يوم القيامة، هذه نعمة كبيرة جداً.

البارحة كنا في تعزية امرأة توفيت ـ رحمها الله ـ زوجها منذُ أن ولد حتى الآن ما استقبل قبلة ، ولا يعرف عن الدين شيئاً ، و هو في السبعينات، هذه مصيبة، هذه من أكبر المصائب أن يشرد الإنسان عن الله ، أن يشرد عنه شرود البعير، فلهذا عليه الصلاة والسلام يقول:

((اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة))

عدم التقليل من قيمة الدعاء:

من أجمع أدعية النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن أكثر الأدعية التي كان يدعي بها صباحاً مساء.

((اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة))

ثم أيها الأخ الكريم لا تقلل من قيمة الدعاء، أنت حينما تسأله بقلب مخلص، وبقلب خاشع ، وبتضرع شديد فالله جلّ جلاله لا يخيب ظنك أبداً.

((اللهم إني أسألك العفو والعافية)) أي في ديني، ودنيايٍ، وأهلي، ومالي، الإنسان في خير إذا كان أهله في خير ، في خير إذا كان أولاده في خير، لا يوجد إنسان يسعد و ابنه مصاب، ابنه في مشكلة كبيرة.

أيضاً الدعاء لك، ولأهلك ، و لأولادك، في ديني ودنياي وأهلي ومالي.

الله عز وجل ستير يظهر الجميل و يخفي القبيح و يحفظ الإنسان:

((اللَّهمَّ استُر عَوْرَاتي وآمِنْ رَوْعَاتي))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر]

ليس هناك إنسان لا يوجد عنده نقاط ضعف، ربنا عز وجل ستير يسبل عليه ستره، يظهر للناس كل جميل، ويخفي عنهم كل قبيح ، وهذا من كمال الله عز وجل، الناس بالعكس يكون الإنسان له مليون فضيلة يغلط غلطة واحدة يشيعون هذا الخطأ ، و يكبرون هذا الخطأ، ويتعامون عن كل فضل، ربنا عز وجل ستير يظهر الجميل ، و يخفي القبيح.

((اللَّهمَّ استُر عَوْرَاتي وآمِنْ رَوْعَاتي))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر]

هناك مليون باب يملأ قلب الإنسان خوفاً ؛ على صحته، على سلامة أولاده، على أهله، على تجارته، على دخله، على وظيفته، على ماله.

((اللَّهمَّ احفظني من بَين يَدَيَّ ومِن خَلْفي وَعن يَميني وعن شِمالي ومِن فوقي وأعُوذُ بعَظمَتِكَ أنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحتي))

[أبو داود عن ابن عمر]

الإنسان أحياناً غلطة بسيطة مشى فوق لغم انتهى ، والمكان آمن لكنه مزروع بالألغام.

((احفظني من بَين يَدَيَّ ومِن خَلْفي وَعن يَميني وعن شِمالي ومِن فوقي وأعُوذُ بعَظمَتِكَ أنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحتي))

[أبو داود عن ابن عمر]

هذه أدعية جامعة مانعة، أدعية النبي عليه الصلاة والسلام.

يا حيّ يا قيوم برحمتك أستغيث دعاء جامع مانع:

كما قال رسول عليه الصلاة والسلام لفاطمة:

((يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث))

[رواه الطبراني عن أنس بن مالك]

وهذا دعاء جامع مانع،

((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث))

(وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

(سورة آل عمران)

يملك ثلاثة آلاف مليون و لا يصلي، غارق في ملذاته إلى قمة رأسه، قال لسائق: يجب أن تكون في الشام خلال ساعة و نصف، من اللاذقية إلى الشام، بعد ربع ساعة كان قطعتين في سيارته، فكيف حال الإنسان إذا لم يسبل الله عز وجل عليه ستره، أو لم يسبل عليه الصحة، أو السلامة، أو الحفظ ؟

((برحمتك أستغيث))

(وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

ترك ثلاثة آلاف مليون، ترك أربعة آلاف مليون، هناك واحد ثالث بعد لم يتركهم في أمريكا يملك ثلاثين مليار دولار ، معه ثروات طائلة ، بثانية يخسرها جميعاً، تتحول إلى غيره ما الذي يبقى ؟ رحمة الله، أي أنا أرى أن أسعد إنسان الذي له عند الله حظوة، الذي له عمل صالح، هذا الذي بقى، هذا الذي يأخذه معه إلى قبره.

البارحة أخ من الأخوان له أعمال طيبة ، فقلت له: والله الذين يعملون صالحاً هم الأذكياء ، والعقلاء ، هم الذين فهموا على الله عز وجل سرّ وجودهم ، و غاية وجودهم.

((برحمتك أستغيث))

رحمة الله واسعة تشمل كل شيء:

رحمة الله فيها كل شيء ، فيها طمأنينة ، فيها سعادة ، فيها أمن ، فيها شعور بالفوز ، شعر بالثقة بالمستقبل ، لا يوجد شيء يخوفه لأنه مع الله، إذا كان الله معك فمن عليك ؟ و إذا كان عليك فمن معك ؟ يضاف إليها التجلي، السكينة ، يضاف إليها التوفيق في أعمالك ، يضاف إليها المكانة في أسرته ، هناك إنسان بعد وقت معين يفقد مكانته في البيت ولا يسألوه ، و لا يهتموا به ، و لا يراعوا له حظاً إطلاقاً، تغيب عنه زوجته خمسة أشهر لأن خلقها ضاق منه، تدعه لوحده ، هناك أشخاص مكانتهم في البيت ضعيفة جداً، هذا كأنه نوع من أنواع التأديب الإلهي ، أما إذا الإنسان حفظ الله عز وجل في صغره يحفظ الله له مكانته في كبره.

((برحمتك أستغيث))

رحمة الله واسعة، رحمة الله زواج ناجح ، رحمة الله أولاد أبرار ، رحمة الله دخل يكفيك ، لست بحاجة لإنسان.

سمعت مرة من أخ دعاء يسأل الله عز وجل من خلاله ألا يحتاج لأولاده، هناك أشخاص في التسعين يعطون أولادهم كل شيء، و أحياناً الأولاد أمام أبيهم في غاية الأدب ، و عندما يضعف الأب يتحكم ابنه في كل شيء، يفرض عليه شيئاً معيناً، فإذا كان سألت الله فرحمة الله واسعة جداً، كل شيء يسرك من رحمة الله ، و كل شيء يخوفك من نقص رحمة الله عز وجل.

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)

(سورة فاطر الآية ٢)

((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله))

[رواه الطبراني عن أنس بن مالك]

قال له: كن لي كما أريد ، و لا تعلمني بما يصلحك، لا تكلف نفسك أن تسألني ما أنت محتاج إليه أنا أعرف ما تحتاجه، كن لي كما أريد و لا تعلمني بما يصلحك.

((ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين))

[رواه الطبراني عن أنس بن مالك]

لا تقل أنا عندي خبرات واسعة ، أنا حصّلت هذا المال بجهد كبير ، و بذكاء، لا تقل أنا إطلاقاً، قل: الله ، و أنت بهذا لست متواضعاً لكنك موضوعي، هذه الحقيقة.

سلامة الإنسان بيد الله عز وجل:

الإنسان أحياناً يكون قد بذل جهوداً جبارة ، و هيأ بيتاً لأولاده ، وأثاثاً فخماً ، و مستقبلاً زاهراً، تأتي نقطة دم في مكان ما في الدماغ فيجن ، أولاده أقرب الناس له، يبذلون المستحيل ليضعوه في مستشفى الأمراض العقلية، فالإنسان سلامته بيد الله عز وجل.

((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين))

[رواه الطبراني عن أنس بن مالك]

وعن الحسن رحمه الله: قال سمرة بن جندب:

((ألا أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مراراً، ومن أبي بكر مراراً ومن عمر مراراً قلت بلى قال من قال إذا أصبح وإذا أمسى اللهم أنت خلقتني وأنت تهديني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني لم يسل الله شيئاً إلا أعطاه إياه قال فلقيت عبد الله بن سلام فقلت ألا أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مراراً ومن أبي بكر مراراً ومن عمر مراراً قال بلى فحدثته بهذا الحديث فقال بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات كان الله عز وجل قد أعطاهن موسى عليه السلام فكان يدعو بهن في كل يوم سبع مراراً فلا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه))

[الطبراني في المعجم الأوسط عن الحسن]

((أنت خلقتني وأنت تهديني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني لم يسل الله شيئاً إلا أعطاه إياه))

الخير كله عند الله فما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن:

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي الدرداء]

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((علمه وأمره أن يتعاهد أهله في كل صباح لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك))

[المستدرك عن زيد بن ثابت]

أي لبيك وسعديك أنا ألبي دعوتك يا رب. الله عز وجل قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

(سورة الأنفال الآية٢٤)

((لبيك وسعديك والخير في يديك))

الخير كله عند الله ، والمشركون يتوهمون أن الخير عند أشخاص أقوياء.

((والخير في يديك ومنك وإليك))

و هناك دعاء:

((أنَا بِكَ وإليكَ))

[مسلم عن علي بن أبي طالب]

كل شيء أملكه منك، وكل شيء أملكه في سبيلك، منك وإليك.

((اللهم ما قلت من قول أو حلفت من حلف أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يدي ذلك كله، ما شئت كان وما لم تشأ لا يكون ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير))

[أخرجه أبو داود عن أبي ذر الغفاري]

كلام جيد.

((ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يشأ لم يكن))

[أخرجه أبو داود عن بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم]

التغى الندم، التغى التأوه، التغت الحرقة، التغت كلمة لو، لم يعد هناك كلمة لو في حياة المؤمن.

((ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يشأ لم يكن))

الذي كان شاءه الله ، و الذي لم يكن لم يشأه الله ، ولا راد لمشيئته.

((ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله إنك على كل شيء قدير))

[أخرجه أبو داود عن بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم]

((اللهم توفني مسلماً وألحقني بالصالحين اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة أو ذنبا لا تغفر اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد إليك في هذه الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وإنك تبعث من في القبور وأنك أن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وأني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنوبي كلها إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم))

[الحاكم عن زيد بن ثابت

الدعاء حالة من حالات القرب من الله عز وجل:

أيها الأخوة، الدعاء هو العبادة كما قال عليه الصلاة والسلام ، و الدعاء قمة العبادة ، وأنت حينما تدعُو الله عز وجل تكون في أعلى درجات الاتصال بالله عز وجل، والدعاء حالة من حالات القرب من الله عز وجل ، و لعل الله سبحانه وتعالى حينما يسوق للإنسان بعض المشكلات من أجل أن يدعوه بل حينما قال:

(قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)

(سورة الفرقان الآية ٧٧)

أي أعلى شيء بعبادتك أن تدعُو الله عز وجل، أن تكون معه دائماً ، والدعاء لا يحتاج إلى وضوء، لا يحتاج إلى مسجد ، لا يحتاج إلى مسبحة ، لا يحتاج إلى شيء، في أي زمان ، في أي حالة، أنت راكب ، في الطريق ، في البيت ، و أنت مع أناس ، و أنت في لقاءات ، ولك أن تدعوه سراً.

سيدنا ذكريا كيف دعاه ؟

(إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً)

(سورة مريم)

أحياناً الإنسان يكون بظرف حرج ، لا يستطيع أن يفتح فمه بإمكانك أن تدعُو الله في قلبك يا رب استرني ، يا رب أنقذني ، يا رب نجني ، يا رب وفقني ، يا رب احفظني ، يا رب ارزقني رزقاً طيباً حلالاً ، وهكذا.

فالإنسان حجمه عند الله بحجم اتصاله به ، و بحجم سؤاله إياه، لا تسأل غير الله.

قل لمن بات لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله إذا لم ترضَ لي ما وهبا

* * *

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٦-١١٦) : كتاب النوافل - الترغيب في كلمات يقولهن حين يأوي إلى فراشه وما جاء فيمن نام ولم يذكر الله تعالى

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الموت حتمي على كل إنسان:

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يا فلان:

((إذا أتيتَ مَضْجعكَ فراشك فتوضَّأ وُضُوءك للصلاة ثم اضْطَجِعْ على شِقِّك الأيْمن إذا أوْيتَ إلى فراشك فقل: اللَّهمَّ أسْلَمْتُ نَفْسي إليك ووجَّهْتُ وجهي إليك وفوَّضْتُ أمْري إليك وألْجَأتُ ظهْري إليك رَغْبة ورَهْبة إليك لا مَلْجأ ولا مَنْجَا منك إلا إليك آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ وبنبيِّك الذي أرسلتَ فإنكَ إنْ مُتَّ في ليلتك مُتَّ على الفِطْرَةِ وإنْ أصبحتَ أصَبْتَ خيراً))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن البراء بن عازب]

لنا أخ كريم يحضر هذه الدروس ، و ينام في العادة في غرفة لوحده ، ويستيقظ و يصلي في المسجد و يعود، ما كل يوم تصلي زوجته الصلاة في وقتها، و في يوم من أليام أعدت الطعام ، و هيأته و قالت لابنها: اذهب إلى أبيك و أيقظه، ذهب إليه فرآه ميتاً، فيمكن أن ينام الإنسان ولا يستيقظ.

أعرف صديقاً آخر أوى إلى فراشه و زوجته إلى جانبه، أي دون أن تشعر مست يده فإذا هي باردة برودة شديدة ، فاستيقظت مذعورة ، و أضاءت المصباح فإذا هو ميت.

حالات كثيرة جداً الإنسان ينام و لا يستيقظ، فكيف يضمن الإنسان أن يموت على الإسلام ؟ أن يموت على الفطرة ؟ هذا الدعاء.

((إذا أتيتَ مَضْجعكَ))

والإنسان يوطن نفسه إذا نام قد لا يستيقظ ، و إذا استيقظ قد لا ينام، الإنسان يموت ليلاً أو نهاراً ، فإذا مات نهاراً آخر ليلة أوى إليها الليلة السابقة ، أما الثانية في القبر في أول ليلة يوضع الإنسان في قبره يقول الله له: عبدي رجعوا و تركوك ، و في التراب دفنوك ، و لو بقوا معك ما نفعوك ، و لم يبقَ لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

فالإنسان قد يستيقظ و لا ينام ، و قد ينام ولا يستيقظ، هذا الشيء حتمي، هل هناك من إنسان ينجو من الموت ؟ فالموت يأتي ليلاً أو نهاراً.

لذلك من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام أنه حينما يستيقظ يقول:

((الحمد لله الذي ردّ إليّ روحي))

[رواه البخاري]

أي استطاع أن يمشي ، وعافاني في بدني، أعضاؤه كلها سليمة ، سمعه ، بصره، توازنه ، حركته، تكلمه، هناك أشخاص يستيقظ لا يرى، يفقد بصره ليلاً، هناك أشخاص يختل توازنهم يقف فيقع فوراً.

الموت يأتي بغتة فعلينا الاستعداد له لأن القبر صندوق العمل:

الحقيقة النقطة الدقيقة جداً: هل من الممكن أن يكون كل يوم كالسابق إلى ما شاء الله ؟ نستيقظ كل يوم، يمكن أن نستيقظ كل يوم بالأوضاع السابقة إلى ما شاء الله ؟ مستحيل ! هناك خبر مفاجئ، الإنسان عندما ينتهي أجله، قد يسبق هذه الانتهاء أعراض، قد تبدأ هذه الأعراض من القلب ، من الكليتين ، من الكبد ، من الدماغ ، ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟

((بادروا بالأعمال الصالحة))

أسرع، اركض.

((فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا))

هذه الدنيا أمامكم، والناس أمامكم.

((هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنىً مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر))

[أخرجه الحاكم عن أبي هريرة]

إذا كنت لا تستطيع أن تمنع الموت فيجب أن تستعد له، الموت لا تملكه، و هو نازلٌ لا محال، أنا أؤكد لكم أنه ما من إنسان جاءه الموت إلا و في خاطره آمال لعشرين سنة قادمة، يؤسس مشروعاً، ويعمر فيلا ، وينشئ مسبحاً ، و يعمل تجارة.

الموت يأتي بغتة ، والقبر صندوق العمل، والدنيا ساعة اجعلها طاعة ، والنفس طماعة عودها القناعة.

أنا لم أجد كل الموت رادعاً ، لم أجد كل الموت دافعاً ، يردع عن المعصية و يدفع إلى طاعة الله، لذلك النبي قال:

((أكثروا من ذكرا هذه الذات))

[أخرجه الترمذي والطبراني عن أبي هريرة]

سبحان الله ! هناك أشخاص الموت لا يدخلونهم في حساباتهم إطلاقاً، هذا الذي يأكل مالاً حراماً، الذي يلعب الطاولة للساعة الواحدة في الليل، ولا يصلي، وعمره يقدر بسبعين سنة ، إلى أين يذهب هذا ؟ فالنبي الكريم إذا استيقظ:

((الحمد لله الذي رد إلي روحي وعافاني في بدني وأذن لي بذكره))

[رواه البخاري]

جمعنا في مسجد، لأن النبي قال:

((من صلى الفجر في جماعة كان في ذمة الله حتى يمسي ومن صلى العشاء في جماعة كان في ذمة الله حتى يصبح))

[ورد في الأثر]

إذا أنت صليت الفجر في جماعة معك من الله ضمانة حتى المساء ، وإذا صليت العشاء في جماعة معك ضمانة حتى الفجر.

فضل الاضطجاع على الشقّ الأيمن:

((إذا أتيتَ مَضْجعكَ فتوضَّأ وُضُوءك للصلاة ثم اضْطجعْ على شِقِّك))

المؤمنون يضطجعون على شقهم الأيمن، والأغنياء على شقهم الأيسر ، الملوك على ظهورهم، والفاسقون على بطونهم.

وقرأت مقالة عن فضل الاضطجاع على الشق الأيمن مقالة علمية، والله لا أذكر تفاصيلها لكن هناك تفصيلات كثيرة عن أن الهضم يسهل ، و حركة الهضم تسهل، أي هناك حكمة من أن تضطجع على شقك الأيمن، لأن الإنسان بعد حين يتقلب، والتقليب لا بدّ منه، فالإنسان إذا أصيب بالسبات يلزمه فرشة هزازة سعرها غالٍ جداً ، و إلا فإن جسمه يتمزق كله ، أساساً من إعجاز القرآن الكريم أن أهل الكهف ربنا وصفهم فقال:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

(سورة الكهف الآية ١٨)

لأن العلماء قالوا: عندما ينام الإنسان هناك عضلات ، والعضلات فيها أوعية ، و هناك هيكل عظمي، والعضلات فوق الهيكل العظمي، أي هناك عضلات فوق الهيكل ، و عضلات تحت الهيكل ، فوزن الهيكل العظمي مع ما فوقه من لحم هذا وزن يضغط على ما تحته من لحم، عندما يضغط تضيق لمعة الأوعية الدموية، يقول لك: شعرت بوخز في رجلي، فالإنسان إذا جلس جلسة طويلة يشعر بوخز في رجله، و يفقد الإحساس بها، فالإنسان عندما ينام القسم الذي تحت الهيكل العظمي مع ما فوقه من وزن يضغط على ما تحته من لحم فتضيق الأوعية فيشعر بوخز وهو نائم،

و مستغرق في النوم ، و كل شيء فيك معطل، الدماغ يعطي أمراً للعضلات فتتقلب وأنت نائم، الآن الآية انعكست القسم الثاني ُضغط بعد عشر دقائق أو ثلث ساعة يعطي الدماغ أمراً ثانياً فتتقلب قلبة ثانية، والحكمة الإلهية مرة يمين ، ومرة يسار ، و إلا تقع من على السرير على الأرض.

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

هذا التقليب من نعم الله الكبرى، أنا زرت شخصاً لا يمكنه أن يتقلب، لا بد من فرشة هزازة، تقلبه الفرشة على الكهرباء ولها أشياء معقدة جداً، فالإنسان يبدأ على يمينه حسب السنة.

الاستسلام لله يبعث في النفس الأمن و الطمأنينة:

((إذا أتيتَ مَضْجعكَ فتوضَّأ وُضُوءك للصلاة، ثم اضْطَجِعْ على شِقِّك الأيْمن إذا أوَيْتَ إلى فراشك فقل اللَّهمَّ أسْلَمْتُ نَفْسي إليك ووجَّهْتُ وجهي إليك وفوَّضْتُ أمْري إليك))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن البراء بن عازب]

ما من شعور ينتاب المؤمن، ويبعث فيه الأمن والطمأنينة كأن تستسلم لله، يا رب أنا عليّ أنا أطيعك، وعليك الباقي، فوض، سلم أمرك إلى الله، هي كلمة نقولها، أما تطبيقها صعب جداً، هناك هموم ضاغطة، جهات مقلقة، شبح مصيبة، مستقبل مضن، تحتاج إلى إيمان قوي.

((اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك نافذ في حكمك))

[أخرجه زيادات رزين عن عبد الله بن مسعود]

أنا عبد لا أقوى على شيء، أما أنت كلفتني أن أطيعك، أنا أطيعك يا رب.

((هذا قسْمي فيما أملك فلا تَلُمني فيما تَملك ولا أملك))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]

فالإنسان إذا استسلم لله عز وجل ، و توكل عليه يحس بطمأنينة ما بعدها طمأنينة، قال الله تعالى:

(بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)

(سورة الزمر)

مهمة كل إنسان عبادة الله عز وجل ليبعده عن العذاب:

أنت مهمتك أن تعبد الله ، وحينما تعبده ينشئ لك حقاً عليه ألا يعذبك ، العذاب صعب.

((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ

تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ))

[متفق عليه عن معاذ]

لا يعذبك الله عز وجل ، وعندنا دليل أقوى، هذا حديث، وهناك آية:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)

(سورة المائدة ١٨)

لو أن الله قبل دعواهم لما عذبهم ، ما دام رفض دعواهم إذاً عذبهم ، فإذا كان الإنسان محباً لله حقاً، ومطيعاً له، حقه على الله إلا يعذبه، هناك شعور يملأ النفس طمأنينة كأن يكون الله عز وجل في عليائه راض عنك.

الإنسان تحت أخطار كثيرة جداً لا ينجيه منها إلا أن يكون مع الله:

((اللَّهمَّ أسْلَمْتُ نَفْسي إليك ووجَّهْتُ وجهي إليك وفوَّضْتُ أمْرِي إليك وألجَأتُ ظَهْرِي إليك))

أحياناً الإنسان له خصوم ، له أعداء ، هناك أشخاص أشرار يترصدون حركاته:

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالـرضا من أحبنا

ولذ بحمانا واحـتم بجنابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

* * *

أحياناً إنسان و هو راكب لسيارته يصطدم بسيارة أخرى السائق فيها نائم فيصاب السائق الثاني بشلل نصفي طوال حياته ، الحق على السائق الثاني ، و لكن الأول يتهم بهذا فيدفع للثاني مئة ألف، مئتا ألف، خمسمئة ألف، لو دفع لك مئة مليون، أصيب بشلل نصفي طوال الحياة.

فالإنسان تحت أخطار كثيرة جداً، لا ينجيه من هذه الأخطار إلا أن يكون مع الله، هذه نقطة دقيقة جداً.

((وألجَأتُ ظَهْرِي إليك رَغْبة ورَهْبة إليك لا مَلْجأ ولا مَنْجَا منك إلا إليك))

أحياناً تزداد الرغبة ، فيتساهل الإنسان في الطاعة ، و أحياناً تزداد الرهبة فيقع في اليأس، الوضع الدقيق جداً أن تجمع بين الرهبة والرغبة، أن ترهبه بقدر ما ترجوه ، و أن ترجوه بقدر ترهبه.

((رَغْبة ورَهْبة إليك))

طبعاً هذه اسمها باللغة لف و نشر، رَغْبة ورَهْبة منك إليك، أي رغبة إليك و رهبة منك.

((رَغْبة ورَهْبة منك إليك لا مَلْجأ ولا مَنْجَا منك إلا إليك))

في عالم الأرض قد تخاف من جهة و تلجأ إلى غيرها، يقول لك: لاجئ سياسي، هارب من بلده ذهب إلى بلد ثان، عند الله لا يوجد جهتان ، يوجد لجوء عند الله، لكن تلجأ منه إليه، هو يعاقبك على معصية، فإذا استقمت على أمره انتهى العقاب، فإذا خفت من الله لا ملجأ منه إلا إليه.

((لا مَلْجأ ولا مَنْجَا منك إلا إليك آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ وبنبيِّك الذي أرسلتَ فإنكَ إنْ مُتَّ في ليلتك مُتَّ على الفِطْرَةِ واجعلهن أخر ما تتكلم بهن))

الموت عرس المؤمن فعلينا الاستعداد له بالطاعة و التوبة و العمل الصالح:

الحقيقة هناك نقطة مهمة جداً: الموت حق، لا يستطيع إنسان أن ينكره، لكن الناس يتفاوتون لا في تصديقه أو تكذيبه، بل في الاستعداد له.

مثل الامتحان تماماً، شخص يدرس تسعة أشهر ليلاً نهاراً، فساعة الامتحان أصبحت مسعدة له، لأنها ساعة النجاح، ساعة التفوق.

من هنا قال النبي الكريم: الموت عرس المؤمن ، الموت تحفة المؤمن، وكرباه يا أبتاه، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم غداً نلقى الأحبة، محمد وصحبه.

وورد في بعض الأحاديث:

((إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن عمر بن الخطاب وعائشة أم المؤمنين]

مثلاً شخص نقلناه من حي من أطراف دمشق، بيته تحت الأرض بستين متراً، و هو شمالي، فيه رطوبة ، إلى حي مكتظ بالسكان ، إلى أرقى أحياء دمشق، بيت أربعمئة متر، تكييف ، و تدفئة ، ومناظر ، و إطلالة، وهو ينتقل هل يحس بانقباض ؟ لا، أيضاً المؤمن عندما ينتقل من الدنيا للآخرة ينتقل من دار التعب والتكليف إلى دار التشريف، من دار العمل إلى دار الجزاء، لذلك هو أسعد الناس، فإذا رأى أهله يبكون يتألم عليهم.

أخواننا الكرام، هذا الموت يجب أن يدخل في حساباتنا اليومية ، و يجب أن نستعد له دائماً بالطاعة، وبالتوبة ، وبالعمل الصالح ، وبإنفاق المال ، والذكر ، وتعلم القرآن وتعليمه ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، حتى تأتي توقعاتنا مطابقة للواقع.

قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت في كتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك الذي أرسلت، قال: لا و نبيك الذي أرسلت.

هذه نقطة دقيقة جداً في الحديث، أن القضية ليست قضية صف كلام، ما الفرق نبيك أم رسولك ؟ هذه لها معنى وتلك لها معنى.

((ونبيِّك الذي أرسلتَ))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن البراء بن عازب]

وفي رواية البخاري و مسلم:

((فإنكَ إنْ مُتَّ في ليلتك مُتّ على الفِطْرَةِ وإنْ أصبحتَ أصَبْتَ خيراً))

هذا دعاء النوم.

الدعاء اتصال بالله عن طريق القلب واللسان:

ما الدعاء ؟ أن تكون مع الله دائماً، استيقظت هناك دعاء، خرجت من بيتك هناك دعاء، دخلت إلى عملك هناك دعاء ، عدت إلى البيت هناك دعاء، دخلت إلى دورة المياه هناك دعاء ، خرجت منها هناك دعاء، قاربت أهلك هناك دعاء ، جلست إلى الطعام هناك دعاء ، لبست ثوباً جيداً هناك دعاء، أي أنت مع الله دائماً:

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

(سورة المعارج)

الدعاء نوع من الصلة ، و الصلة لا يوجد فيها شكليات ، الصلاة فيها وقوف وركوع ، وسجود، الدعاء اتصال بالله عن طريق القلب واللسان فقط.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٧-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في آيات وأذكار بعد الصلوات المكتوبات

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الله عز وجل جعل الدين مبنياً على المحبة لا على الإجبار و القسر:

أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد معاذ بن جبل يوماً ثم قال:

((يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك فقال أوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ اللهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ وأوصى بهذا معاذ من حوله))

[أبو داود عن معاذ بن جبل]

أولاً أيها الأخوة، كلمة إني أحبك من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه شهادة لا تعادلها شهادة، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق على أساس المحبوبية، ما معنى المحبوبية ؟ لو أن الله جلّ جلاله أراد أن نطيعه قسراً لحملنا على طاعته قسراً، ولكن ما أرادنا إلا أن نطيعه عن محبة، أي قضية الطاعة يمكن بمليون أسلوب أن يطيعه العباد جميعاً من دون استثناء، ما أرادهم أن يطيعوه قسراً، جعل هذا الدين مبنياً على المحبة قال:

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية: ٢٥٦)

لا يليق بالمؤمن أن يحب غير الله:

لذلك الإنسان مخير، العمل لا يقبل منه إلا إذا أتاه عن قناعة، وعن محبة ، وعن شوق، وعن إقبال، فقال الله تعالى:

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية ٥٤)

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية: ١٦٥)

فالإنسان يمتحن نفسه بهذا الموضوع، طاعته عن محبة ؟ هل هو يحب الله و رسوله ؟ لا يليق بالمؤمن أو بالإنسان أن يحب غير الله ، إن أحب غير الله كان أخسر الخاسرين، لأنه إن تعلق بغير الله كل ما سوى الله مصيره إلى الفناء ، أما إذا تعلقت بالله عز وجل فأنت مع الباقي، إن تعلقت بغير الله فأنت مع الفاني ، والذي يتعلق بغير الله سيصاب بخيبة أمل مرة.

الإنسان حينما يخيب ظنه بما سوى الله فهذا تأديب من الله عز وجل:

هل أكثر الناس يحبون ؟ بعضهم يحب زوجاتهم ، في مقتبل الحياة الزوجية لكن الله جلّ جلاله حينما يرى عبداً متعلقاً بمن دونه. هذا الذي تعلقت به قد يخيب ظنك ، و في الأعم الأغلب يخيب ظنك. يصاب الذي أحبه بخيبة أمل. ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟

((لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي و لكن أخ و صاحب بالله))

[ابن إسحاق عن بعض آل أبي سعيد بن المعلى]

أي ليس هناك جهة تستحق أن تمنحها حبك إلا الله ، هو أهل التقوى ، وأهل المغفرة ، أهل أن تحبه ، وأهل أن تتقي معصيته ، لكن ما سوى ذلك الإنسان إذا أحببته أول شيء هو فانٍ وليس باقياً ، الشيء الثاني قد لا يقدر محبتك له ، قد لا يقدر عملك له ، قد يقابلك على المعروف بالإساءة. الإنسان حينما يخيب ظنه بما سوى الله فهذا تأديب من الله عز وجل. لذلك:

((ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده أهل السماوات والأرض. إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه وقطعت أسباب السماء بين يديه))

[ورد في الأثر]

لن تقطف ثمار هذا الدين إلا بالحب:

أيها الأخوة قضية الحب قضية أساسية في الدين ، ورد في الأثر:

((ألا لا إيمان لمن لا محبة له))

أي يوجد الإسلام منهج ، يوجد بالإسلام عقيدة ، يوجد بالإسلام تصور ، يوجد بالإسلام دقائق في التشريع ، يوجد بالإسلام أمر و نهي. هذا كله موجود. لكن إذا فقد المسلم محبته إلى الله عز وجل أدى هذه العبادات أداء شكلياً ، و قلبه متصحر. لا يستطيع أن يقطف ثمار هذا الدين. لا تقطف ثمار هذا الدين إلا بالحب ، والحب أساسه أن ترى ، الإنسان من يحب ؟ الجمال ، والكمال ، والنوال ، يحب الذي يعطيه ، ويحب الإنسان الكامل في ذاته. ويحب الشيء الجميل ، وهذه الأشياء الثلاثة لا تجتمع إلا بالله جلّ جلاله. كمال مطلق. وجمال مطلق ، وعطاء مطلق ، منحك نعمة الوجود ، ومنحك نعمة الإمداد ، ومنحك نعمة الهدى والرشاد ، وهو كامل في ذاته ، وهو المسعد الذي إذا أقبلت عليه استغنيت به عمن سواه. لذلك يعاب على الإنسان أن يتجه لغير الله ، هو خُلق لله عز وجل.

قالوا: الماء للتراب.، والتراب للنبات ، و النبات للحيوان ، و الحيوان للإنسان .، والإنسان لمن ؟ لله عز وجل.

أي حينما تُجير لغير الله تكون قد بخست نفسك ، واحتقرتها.، أنت لله عز وجل.

عندما تخطب ود الله عز وجل بطاعة أو بعمل صالح يلقي في قلبك أنه يحبك:

أنا أرى أن هذه الكلمة من رسول الله لسيدنا معاذ:

((والله يا معاذ إني لأحبك))

أنت عندما تخطب ود الله عز وجل بطاعة ، بعمل صالح ، ببذل ، بعطاء.، حينما تخطب ود الله يلقي الله في قلبك.، يلقي في روعك أنه يحبك ، وقد تشعر بهذا من بعض الكرامات إن صحّ التعبير، أو من بعض خرق العادات.، من التوفيق ، من تيسير الأمور.، من محبة الناس إليك.، إن أحب الله عبداً ألقى حبه في الخلق ، وإذا كره عبداً ألقى كراهيته في الخلق ، فأن يحبك الناس ، هذه علامة أن الله عز وجل يحبك ، و الدليل:

(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)

(سورة طه الآية: ٣٩)

فرعون رأى في منامه أن طفلاً من بني إسرائيل سيقضي على ملكه ، فأمر بذبح أبناء بني إسرائيل قاطبة ، والولادة التي لا تخبر عن طفل ولِد تُقتل مكانه ، وانتهى الأمر أما هذا الطفل الذي سيقضي على ملك فرعون رباه في قصره.

(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)

(لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)

(سورة القصص)

هذه نقطة مهمة جداً.، إذا الله عز وجل أحبك ألقى حبك في قلوب الخلق.، حتى ألد أعدائك يخدمونك ، وإذا غضب الله على عبد ألقى بغضه في قلوب الخلق ، أقرب الناس إليه يتخلى عنه ، أقرب الناس إليه يتنكر له.

إرضاء رسول الله عين إرضاء الله و إرضاء الله عين إرضاء رسول الله:

الحقيقة أن نضيف لطاعتنا لله هذا الحب ، والحب حينما تتأمل عظمة الله عز وجل.، قال عليه الصلاة والسلام:

((أحِبُّوا الله لما يَغْذوكم من نعمه وأحِبُّوني لحُبِّ الله وأحِبُّوا أهلَ بيتي لحُبِّي))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما]

((يا معاذ والله إني لأحبك))

رسول الله لا يعبر عن ذاته.، أي مثلاً لو صورنا إنساناً يشبه لوحاً من البلور الصافي.، يشف عما وراءه ، فحقيقة النبوة أنها تشف عن كمالات الله عز وجل.، لذلك عندما يقول نبي كريم لإنسان: إني أحبك معنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يحبه.، ألا ترون قوله تعالى:

(وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ)

(سورة التوبة الآية: ٦٢)

لما لم يقل أن يرضوهما بالمثنى ؟ لأن إرضاء رسول الله عين إرضاء الله.، و إرضاء الله عين إرضاء رسول الله.، لا يوجد تفرقة.، فإذا قال النبي لإنسان: والله إني أحبك، معنى ذلك أن الله يحبه، و إذا كان الله يحب إنساناً فهذا الإنسان نجا ، و سعد إلى أبد الآبدين.

مرة كنت في جامع العثمان ألقي درساً أمامي كتاب كهذا الكتاب.، خطر في بالي لو وضعنا هنا واحداً ، وأصفاراً على طول الكتاب ـ قدرت طول الكتاب بخمسة وعشرين سنتيمتر ـ إذا عملنا على كل ميلي صفراً ، فعندنا مئتين وخمسين صفراً كم هذا الرقم ؟ واحد مع ستة أصفار مليون.، و الستة الثانية مليون مليون.، والثالثة مليون مليون مليون.، مئتان و خمسون صفراً كم هذا الرقم ؟ أمامي باب العثمان قلت: لو أن الواحد هنا و كل ميلي صفر حتى الباب كم هذا الرقم ؟ أنا أرى من الباب ساحة شمدين.، لو أن الأصفار إلى ساحة شمدين كم هذا الرقم ؟ لو أنها إلى حمص ، لو أنها إلى حلب ، إلى أنقرة.، إلى موسكو ، إلى القطب الشمالي ، عدنا إلى الجهة الثانية ، في المحيط الهادي ، إلى القطب الجنوبي ، عدنا إلى الشام، أي واحد أمامه أربعين ألف كم أصفار ، و كل ميلي صفر.، ما هذا الرقم ؟ ـ أربعون ألف كم محيط الأرض ـ هذا الرقم وضعناه صورة ، و تحته خط المخرج لا نهاية.، فهذا الرقم قيمته بالرياضيات صفر.، كل رقم نسب إلى اللانهاية صفر ، فإذا إنسان عاش هذا الرقم بالدنيا ، و مات لجهنم ما عاش إطلاقاً.، هو أخسر الخاسرين.، كيف إذا عاش عشر سنوات.، أو عشرين سنة.، أو عشر سنوات بعد الأربعين.، فأي رقم مهما كان كبيراً إذا نسب إلى اللانهاية ، فهو صفر.

من تعلق بالله فهو الرابح الوحيد و من أحبّ غير الله فهو الخاسر الأكبر:

إذاً كل إنسان يتعلق بهذا الدار الفانية أحمق وغبي.، وضع البيض كله في سلة واحدة.، كل مكتسباته المادية وضعها في بيت ، وهذا البيت مثوى مؤقت ، ولم ينتبه إلى المثوى الأخير.، كل هذه الدنيا لا تزيد عن لقمة تأكلها ، و سرير تأوي إليه ، وثياب تقي جسمك الحر و القر.، مهما كنت غنياً.، القدرة على الاستمتاع بالحياة محدودة.

فلذلك الإنسان إذا أحب غير الله هو أكبر الخاسرين.، أما إذا تعلق بالله عز وجل هو الرابح الوحيد.

ذكرت هذا كله من أجل أن نعلم أن الحب أساس الدين، فالإنسان إن لم يخفق قلبه بمحبة الله ، ومحبة رسول الله ، ومحبة المؤمنين ، ومحبة أي عمل صالح يقرب إلى الله عز وجل فقد ابتعد عن سرّ وجوده وغاية وجوده.

((والله يا معاذ إني لأحبك فقال معاذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله))

التعبير عن الحب تجاه الآخرين يمتن العلاقة بينهم ويقويها:

شيء ثانٍ في الموضوع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع أصحابه يعبر عن مشاعره تجاههم، هذا شيء مهم جداً ، هناك إنسان يضن بكلمة حب، دائماً صارم مع أولاده، يجب أن تعبر عن محبتك إلى الآخرين.

مرّ النبي الكريم مع أصحابه على إنسان، فواحد من هؤلاء الأصحاب قال: والله إني لأحب هذا الإنسان، فقال له النبي الكريم: هل أعلمته ؟ قال له: لا ، قال: قم فأعلمه.

هذا توجيه نبوي، أنت عندما تعبر عن محبتك، عن تقديرك، عن امتنانك، تمتن العلاقات بين الناس.

فالنبي الكريم على علو قدره قال لسيدنا أبو عبيدة: أنت أمين هذه الأمة، أنت حبر هذه الأمة ، وأنت سيف من سيوف الله ، و قال: أبو بكر مني، وعمر بمثابة السمع والبصر ، وأبو بكر ما ساءني قط فعرفوا له ذلك ، ولو كان بعدي نبي لكان عمر.

وقال لمعاذ: إني أحبك يا معاذ.

((سعد ارم فداك أبي وأمي))

[أخرجه الطبراني عن سعد]

أحد أخواننا الدعاة ألف كتاباً ذكر فيه ماذا قال النبي عن أصحابه واحداً واحدا، معنى ذلك أيضاً من السنة أن تبين قدر الآخرين، تعبر عن محبتك لهم، تعبر عن تقديرك لعملهم، هذا يمتن العلاقات.

من أتقن عبادته و ضبط معاملاته و ذكر الله كثيراً فقد حقق المطلوب من وجوده:

إذاً عندنا نقطتين قضية الحب ، وقضية التعبير عن الحب.

((يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك فقال أوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))

[أبو داود عن معاذ بن جبل]

هذه الأدعية التي كان النبي يدعو بها عقب الصلاة، الأصل:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

(سورة الفاتحة)

فأنت حينما تستعين بالله على طاعته ، وعلى ذكره ، وعلى عبادته.، تستعين بمن يعين.، حتى عبادة الله عز وجل من دون معونة إلهية قد لا يؤدى ، و قد تؤدى وفيها خدش.، أما حينما تستعين بالله عز وجل تؤدى وأنت في راحة كبيرة.

((أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))

هناك عبادة ليست حسنة.، هناك إنسان يصلي.، قال له:

((فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن رفاعة بن رافع]

فالإنسان إذا أتقن عباداته ، وضبط معاملاته ، وذكر الله كثيراً ، وشكره على نعمه.، فقد حقق المطلوب من وجوده ، بدعاء قصير.، إذا الإنسان بعدما صلى قال:

((اللهم أعني على ذكرك و شكرك وحسن عبادتك))

أحياناً الإنسان يستغفر الله بعد الصلاة.، لماذا يستغفر ؟ لعله شرد.، لعله لم يستوعب هذه الآية.، لعل ركوعه لم يكن كما يريد ، فكل خلل بالصلاة يغطيه الاستغفار بعد الصلاة.، فالإنسان إذا استغفر الله عز وجل عدة مرات بعد الصلاة.، ثم دعا بهذا الدعاء.، فقد حقق المراد من صلاته.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٨-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب فيما يقول إذا خرج من بيته إلى المسجد وغيره وإذا دخلهما

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستقامة و الدعاء ينجيان الإنسان من المصائب:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

((إذا خرج الرَّجُلُ من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، لا حولَ، ولا قوة إلا بالله يُقال له: حَسْبُك هُدِيتَ وكُفِيتَ ووقِيتَ وتنحَّى عنه الشيطانُ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

الإنسان أحياناً يكون قد أخذ لكل شيء عدته ، وقد يكون في أعلى درجات اليقظة، وأعلى درجات الفهم والوعي ، ومع ذلك قد يلبس تهمة هو بريء منها ، و قد يجري له حادث لا ذنب له به إطلاقاً ، أما إذا استعان بالله عز وجل معنى ذلك أوكل الله عز وجل بحفظه ورعايته، إنسان جاء إلى بيته ، ووضع سيارته في مكان مناسب ، ودخل بيته وآوى إلى الفراش، استيقظ صباحاً لم يجد السيارة، ذهب إلى عمله ، وفي نيته أن يخبر بعض المخافر أن سيارتي سرقت، تأخر قليلاً، السيارة استخدمت لتهريب المخدرات، فوراً بحث عن صاحبها، ألقي القبض عليه ، أودع في السجن، حُكم سنوات طويلة.

هذا ما فعل شيئاً، مهما كان الإنسان ذكياً ، وعاقلاً، فالإنسان إذا الله ما وقاه و حفظه، الإنسان قد يؤتى من مأمنه.

ضربت هذا المثل وهناك آلاف الأمثلة، مئات ألوف الأمثلة، أحياناً يتشابه اسمان لا تنتهي بشهر، حتى يجدوا الفاعل، وهناك حالات نادرة جداً قد يأتي اسم الأم مشابه أيضاً، فالتهمة تثبت، فالإنسان يسلم لا بذكائه ، و لا بيقظته ، ولا بأخذ احتياطات كثيرة جداً، يسلم بحفظ الله له، يسلم بوقاية الله له، يسلم بهداية الله له، هذه الحقيقة يؤتى الحذر من مأمنه:

((ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري]

إنسان يمشي على اليمين بسرعة معتدلة، و الذي مواجهه نائم، دخل به فشل نصفياً فوراً، خرج من بيته على قدمين عاد محملاً ، و سيمضي بقية حياته بالفراش، أين الذكاء ؟.

هناك حالات وأنت في أعلى درجات اليقظة ، وأنت في أعلى درجات الفهم والوعي، قد تقع في ورطة أنت بريء منها، فلا ينجيك من الله ذكاؤك ، ولا حرصك، ينجيك من الله استقامتك ، ودعاؤك ، والدعاء ينفع مما نزل ، و مما لم ينزل ، والدعاء يرد القضاء، لا يرد القضاء إلا الدعاء، فهذا الدعاء علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إذا خرجت من بيتك قل:

((بسم الله توكلت على الله لا حولَ ولا قوة إلا بالله يُقال له حَسْبُك هُدِيتَ وكُفِيتَ ووقِيتَ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

أي هل هناك أجمل من أن الإنسان يعيش عمراً مديداً في سلامة ، ليس هناك خبر مزعج، ولا خبر صاعق ، ولا خبر ينهد له بنيانه، يهديهم سبل السلام، سلام في بيته ، سلام في عمله ، سلام في صحته، سلام مع أولاده ، سلام مع زوجته ، سلام مع مجتمعه ، سلام مع أبناء حيه ، سلام في عمله سلام في كسبه للمال ، في إنفاقه للمال،

اقتران الاستقامة بالدعاء أساس وقاية الإنسان من المتاعب:

أنت إذا أطعت الله عز وجل يهديك سبل السلام، طبعاً طاعة مع الدعاء ، دعاء وحده ، وانحراف هذه زعبرة، الواحد منا إذا دعا الله عز وجل ، وكان منحرفاً لا ينفعه دعاؤه، هناك أناس يفهمون الدين تمتمات ، يفهمون الدين طقوساً ، هو متحرر من منهج الله، يفعل ما يشاء، يقترف الآثام كما يشاء يعطي نفسه كل حظوظها كما يشاء، وذو دعاء عريض، هذا لا يجدي .

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

(سورة الأعراف)

فإذا كنت معتدياً بكل أنواع الاعتداء ، ولو اعتداء أدبي ، ولو اعتداء اجتماعي، ولو اعتداء طفيف ، مادمت معتدياً لن يستجيب الله لك.

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)

إذا قلت الدعاء أقصد أن يقترن مع الاستقامة، أنت استقمت ودعوت ، حالة نادرة استقمت وما دعوت، استقمت وعددت استقامتك سبباً كافياً لحفظك، لا، لا يكفي ، لا بدّ من حفظ الله لك، تستقيم طاعة لله ، وتسأل الله السلامة تعبداً له، تستقيم أخذاً بالأسباب وتسأل الله السلامة تعبداً وتوحيداً.

إذاً:

((إذا خرج الرَّجُلُ من بيته فقال بسم الله توكلت على الله لا حولَ ولا قوة إلا بالله يُقال له حَسْبُك هُدِيتَ وكُفِيتَ ووقِيتَ))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

أحياناً تكون متجهاً إلى طريق تتجه إلى طريق آخر، أي الحياة كلها مفاجآت، يمكن أن يكون هناك مشكلة، حادث مثلاً ، شيء مقلق بطريق الله عز وجل يلهمك أن تتجه من هذا الاتجاه، يمكن أن يكون الحادث الساعة الواحدة تخرج من المكان الساعة الواحدة إلا ربعاً، فوقيت أنت، فالإنسان بحفظ الله لا بذكائه ، وكم من إنسان عُطب أو هلك ، وهو ليس له علاقة بالموضوع إطلاقاً،

فمن أجل أن تضمن حفظ الله لك ، ووقايته لك ، عليك أن تستقيم و تدعو الله لأن الحياة كلها متاعب و مطبات.

التعوذ بالله من الشيطان عند الدخول إلى البيت يولد الألفة و الرحمة بين أفراد الأسرة:

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إذا دخل الرجلُ مَنزلَه فذكر اللّه عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مَبيتَ لكم ولا عَشاءَ))

[مسلم و أبو داود عن جابر بن عبد الله]

لا يوجد مبيت، ولا يوجد عشاء، بيت رحماني ، بيت فيه ملائكة ، بيت فيه سرور، بيت فيه مودة، بيت فيه محبة:

((وإن ذكر اللّه عند دُخوله ولم يذكره عند عشائه يقولُ أدركتم العَشاء ولا مَبيتَ لكم))

[مسلم و أبو داود عن جابر بن عبد الله]

المبيت هنا، إذا وجد الشيطان في البيت تجد أن هناك مشكلة ، أو مشادة ، أو كلمة قاسية ، أو صوت مرتفع ، بعد ذلك يقع الطلاق لأسباب تافهة جداً ، وقع الطلاق ولحق المشايخ وانظر إلى وضع اليمين، هذا أفتى لك ، هذا قال لك: طلقت ، هذا قال لك: لا يوجد حل ، دخلت بمتاهة كل أسبابها أن الشاي بارد، لا يوجد مودة ، لا يوجد رحمة في البيت، دخل الشيطان فوسوس لك أن تتكلم كلمة قاسية ، وسوس لك أن ترد بكلمة أقسى ، من كلمة لكلمة وقع الطلاق، لأن الشيطان موجود بالبيت.

((قال: وإن دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإن لم يذكر اللّه عند طعامه قال أدركتم المبيت العَشاءَ))

[أبو داود عن جابر]

مبيت وعشاء مع الأكل، أحياناً إنسان يدخل إلى فندق من دون طعام، هذه المرة مع الطعام ، فالإنسان إن لم يسمِّ على الطعام يشاركه الشيطان، لا يوجد بركة في الأكل، لا يشبع أحد.

((إذا دخل الرجلُ مَنزلَه فذكر اللَّه عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مَبيتَ لكم ولا عَشاءَ وإن ذكر اللَّه عند دُخوله، ولم يذكره عند عشائه يقولُ أدركتم العَشاء ولا مَبيتَ لكم وإذا لم يذكر اللَّه عند طعامه قال أدركتم المبيتَ والعَشاءَ))

[مسلم و أبو داود عن جابر بن عبد الله]

ضيافة الرحمن نور يقذفه في قلبك و صِبغة تصطبغ بها:

الإنسان إذا دخل قال: بسم الله الرحمن الرحيم ، دخل السلام عليكم ، سمّىَ ، و سلم، ودعا: يا ربي هيئ ، يا ربي احفظ ، يا ربي يسر.

الآن الإنسان إذا دخل إلى المسجد: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، إذا خرج من المسجد: اللهم افتح لي أبواب فضلك ، أي أنت أصبحت مثل المنشار، ضمن المسجد تتلقى رحمة الله ، و خارج المسجد تتلقى فضل الله عز وجل ، خارج المسجد في عمل ، لك تجارة، لك محل ، لك وظيفة ، الله عز وجل يرزق بغير حساب، ضمن المسجد تتلقى رحمة الله تحس بأمن، بطمأنينة ، بتجلٍّ، الله ضيافته غالية جداً ، الإنسان يضيفك كأس من الشاي، فنجان قهوة ، أو يضيفك طعاماً، لكن الله يضيفك بالمسجد أمناً ، يلقي في قلبك الأمن ، يلقي في قلبك الطمأنينة ، يلقي في قلبك السعادة ، يلقي في قلبك النور ، ترى الحق حقاً، والباطل باطلاً.

الآن أشخاص كثيرون ينجون من مطبات كبيرة باتخاذ قرار حكيم، المعنى أن رؤيته صحيحة، يقول لك: هذه الصفقة ليس لي مصلحة فيها ، هذا العمل لا أرغب به ، هذه السفرة لا أحبها، فإذا الإنسان استهدى الله عز وجل يلهمه الصواب، يصرفه عن سفرة فيها دماره، يصرفه عن صفقة فيها تفليسه، يصرفه عن عمل فيه مرضه،

فالإنسان إذا دخل إلى المسجد: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، إذاً ضيافة الرحمن نور يقذفه الله في قلبك، ضيافة الرحمن صبغة تصطبغ بها ، كل إنسان له فطرة ، أما الذي يتصل بالله له صبغة ، الفطرة صفحة بيضاء نقية ، أما الصبغة هذه الصفحة ممتلئة علماً، ممتلئة نوراً، فإذا دخل إلى المسجد: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، خرج منه: اللهم افتح لي أبواب فضلك، تجده موفقاً بعمله، و أموره ميسرة،

من تعلق قلبه بالمسجد هذا دليل إيمانه:

اليوم معنا هذين الحديثين، دخلنا إلى البيت ، وخرجنا منه ، ودخلنا إلى المسجد وخرجنا منه ، والدعاء مختصر، افتح لي أبواب رحمتك فقط،

((إن بيوتي في الأرض المساجد و إن زوارها هم عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني و حقّ على المزور أن يكرم الزائر))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

أحياناً بعض الأخوان يأتون من مكان بعيد جداً، أحياناً يتأخرون يأتي قبل أن ينتهي الدرس بدقيقة واحدة، أنا أقسم لكم بالله أن هذه الدقيقة يستفيد منها، يشعر بحاله أنه أدى الذي عليه، فربنا يتجلى على قلبه ، كثير من الأخوان قالوا لي: إن عندهم أمراً قاهراً ومع ذلك يأتون إلى الدرس في آخره، أي لحقوا الدرس والحمد لله رب العالمين، وصلّوا العشاء مع الأخوان، الله لن ينساهم من فضله، ولهم ضيافة خاصة.

أي إذا أنت دعوت عشرة أشخاص، و إنسان تأخر جاء بالأخير، بعدما انتهيتم من الطعام، كلنا عندما نبدأ بالوليمة، بعدما ينتهي الطعام ينتهي كل شيء تقريباً، جاء الشخص المعزوم، وضعوا له صفرة خاصة به، طبعاً هذه من آداب الضيافة، لا تقل أنا تأخرت، لا، احضر الدرس، ولو حضرت كلمة منه، جاءتك رحمة، وعندما دخلت سمعت: والحمد لله رب العالمين، لم يبقَ هناك شيء، لكن أنت أديت عبادة، أنت جئت بيت الله، يجوز أن يلقي الله عز وجل بقلبك الفرح أحياناً، يضع في قلبك نوراً ، يجوز أن يوفقك الله بعمل ثان، لأنهم في مساجدهم ، والله في حوائجهم،

أركز على أنك إذا أتيت بيت الله عز وجل لك عند الله ضيافة، الضيافة لا ترى بالعين، لا نوزع شاي، وقهوة ، وفواكه ، و حلويات ، لا يوجد شيء، مقعد لا يوجد، الجميع جالس على الأرض، بكن هذه ضيافة من عند الله ، والضيافة ثابتة في قول النبي الكريم فيما يرويه عن ربه:

((إن بيوتي في الأرض المساجد و إن زوارها هم عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني و حق على المزور أن يكرم الزائر))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

لأنك أنت هنا في ضيافة الله ، والإنسان حينما يتعلق قلبه بالمساجد هذا دليل إيمانه.

المسجد يلوذ به المؤمن من متاعب الحياة و مكان يطمئن إليه قلبه:

ثم يقول ربنا عز وجل:

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

(سورة التوبة الآية ١٨)

فإعمارك بيت الله عز وجل دليل إيمانك ، وتعلقك بالمسجد دليل إيمانك،

((يقولُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَبْعَة يظِلُّهمُ الله في ظِلّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه ورجل قلبه مُعلَّق بالمسجد))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

يأوي إليها، عندما ربنا عز وجل:

(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)

(سورة الكهف الآية ١٦)

إذا عمّ الفساد ، والطرقات كلها نساء كاسيات عاريات ، من نوادي ليلية، إلى سينمات ، إلى مقاهٍ ، إلى مفاسد ، إلى مراقص ، الفتنة في كل مكان، أين أصبح الكهف الذي ينبغي أن تأوي إليه ؟ المسجد أصبح الكهف، طبعاً من معانيه مكان عبادة ، مكان التجاء إلى الله عز وجل، مكان ترتاح فيه نفسك ، مكان تسكن فيه مشاعرك ، مكان يطمئن فيه قلبك ، فالمسجد يلوذ به المؤمن من متاعب الحياة ، أنا أقول: إن المسجد يربي .

أنا حضرت عدة جلسات في خصومة، أحد الأطراف من رواد المسجد تجده تساهل، تسامح، بدا واضحاً أن هذا ملتزم، أن هذا موصول بالله عز وجل، أن هذا مؤمن، هناك مواقف كثيرة المتصل بالله له سمة ظاهرة ، في إنصافه ، في أدبه ، في تواضعه ، في تساهله ، و هناك أناس تربية الطريق ، الطريق له تربية ، والمسجد له تربية،

الدعاء سلاح المؤمن:

نحن دخلنا البيت سمينا بالله عز وجل ، جلسنا على الطعام سمينا، خرجت من البيت: بسم الله، توكلت على الله، لا حولَ، ولا قوة إلا بالله،

والله هذا العبد الفقير لا يقرع الجرس مرة إلا أقول: يا رب، لعله طارق بخير أحياناً يأتيك خبر سيئ جداً، أحياناً يكون في مشكلة، لكن كلما قرع الجرس نرجو الله أن يكون الطارق بخير ، الله لا يخيب الإنسان، فكن مع الله بالدعاء،

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

(سورة المعارج)

بالدعاء، الدعاء صلاة مستمرة ، وأنت تسأل خالق الكون أن يحفظك، لكن العبرة أن تسأله وأنت موقن بالإجابة، أنت لاحظ نفسك خارج من بيتك إلى دائرة ما، تجد هناك مشكلة ، هناك معاملة صعبة، قل: يا رب يسر الأمر، لا تستهن بالدعاء، تجد أن هذا الأمر انقلب، فَرَقّ قلب الموظف، و أصبح يريد أن يعاونك ، ماذا حصل له ؟ ليست من عادته، أنت ألم تدعُ الله عز وجل ؟ إياك أن تستهين بالدعاء، أنت بالدعاء أقوى إنسان ، أنت بالدعاء الله يلين لك أقسى قلب ، يلين لك أقسى إنسان، هذا الدعاء سلاح المؤمن، كل إنسان معه عدة أسلحة ، هذا سلاحه ماله، يقول لك: الدراهم

مراهم ، هذا سلاحه مكانته، وهذا سلاحه اتصالاته ، كل واحد له سلاح ، أما المؤمن سلاحه دعاؤه، لأنه استعان بخالق الكون.

((اللهم أني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك))

[البخاري عن جابر]

أنت عندما استخرت الله استفدت من علمه، من علم الله المطلق ، وحينما استخرته أيضاً استفدت من قدرته المطلقة،

((أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك، فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر))

[البخاري عن جابر]

هذا الدعاء نفسه أنت تسأل الذي يقدر وأنت لا تقدر ، و الذي يعلم و أنت لا تعلم.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٧٩-١١٦) : كتاب الذكر والدعاء - الترغيب في الإستغفار

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

لإنسان في بحبوحتين ؛ بحبوحة الطاعة وبحبوحة الاستغفار:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

((سمعتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آد إنَّكَ ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني غفرتُ لك على ما كانَ مِنكَ ولا أبالِي))

إنك ما دعوتني هذه ما شرطية.

((إنَّكَ ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني غفرتُ لك على ما كانَ مِنكَ ولا أبالِي يا ابنَ آدمَ لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثم استَغْفرتَني غَفرْتُ لك ولا أبالي يا ابنَ آدم إنَّكَ لو أتيتني بقُرابِ الأرض خَطايا ثم لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئاً لأتَيْتُكَ بقُرابها مَغْفِرَةَ))

[رواه الترمذي وقال حديث حسن عن أنس بن مالك]

الإنسان أيها الأخوة ، كما كنت أقول كثيراً: في بحبوحتين، بحبوحة طاعة الله وبحبوحة الاستغفار، فأنت إما أن تكون في طاعة ، و إما أن تكون في معصية، فإن كنت في طاعة.

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ)

(سورة النساء الآية: ١٤٧)

هذه بحبوحة الطاعة ، وإن كنت في معصية فُتح لك باب الاستغفار، فما دمت مستغفراً ربك، غير مستهين بهذا الذنب ، كلما رأيت الذنب كبيراً صغر عند الله ، و كلما رأيته صغيراً كبر عند الله.

كنت أضرب هذا المثل لو أن أباً حرص على أن يتعلم ابنه ، وأن يصل إلى أعلى المستويات و كان حرصه بالغاً، الأب من أهل العلم ، وليس له في الدنيا هدف إلا أن يتعلم ابنه، في أحد الأيام جاء الابن بجلائه ، و قد نال علامة الصفر في الرياضيات، حرص الأب وشدته تقتضي أن يؤدب ابنه أشد أنواع التأديب على هذا التقصير، نظر إلى ابنه فرآه مصفر اللون، لم يأكل ، و لم يشرب ، وهو مدخر قليلاً من المال أراد أن ينفقه على درس خاص كي يستدرك النقص، مادام الأب يرى ابنه بهذه الحالة من الألم ، والندم ، والرغبة في استدراك النقص الأب لن يعاقبه، دخل في بحبوحة

ثانية ، وقع في الذنب لكن رآه كبيراً انخلع قلبه لهذا الذنب، بكى أشد البكاء، استغفر، إذاً أنت في بحبوحتين، بحبوحة الطاعة وبحبوحة الاستغفار.

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)

(سورة نوح)

أمر إلهي.

من استهان بالذنب كبر ذنبه عند الله و من استعظم الذنب صغر ذنبه عند الله:

إن كنت في طاعة فهذه من نعم الله الكبرى ، وقد وفقت إليها، ومكنك الله منها، وأعانك عليها ، لكن إذا قصر الإنسان و سلك طريق المعصية ألا يستغفر ؟

مثلاً امرأة تعمل راقصة كل حياتها ، وتعرض مفاتنها على الناس ، وهذه من أشد أنواع المعاصي، تابت إلى الله ، و تحجبت حجاباً كاملاً ، وسترت وجهها، يقبلها الله عز وجل ، و قد يختم لها حياتها خير ختام، لا يوجد ذنب عند الله كبير، كله يغفر.

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

(سورة الزمر الآية: ٥٣)

أما كلما استهنت بالذنب كبر عند الله ، وكلما استعظمت الذنب صغر عند الله.

الندم و الألم و الاستغفار من الذنب يجعل الإنسان في مأمن من عذاب الله تعالى:

من علامة المنافق أن ذنوبه كالذبابة ، من علامة الإيمان أن ذنوبه كجبل جاسم فوق صدره، فالمؤمن ذنبه يراه كبيراً، فشعوره أن ذنبه كبير ، وأنه أخل بمنهج الله ، وأن الله لعله لا يرضى عنه، هذا الندم الشديد ، وهذا الألم ، وهذا الاستغفار، هو الذي يجعله في مأمن آخر من عذاب الله ، فالإنسان إذا كان في طاعة هذه نعمة كبرى ، و إذا زلت قدمه فالله عز وجل غفورٌ رحيم.

(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ)

(سورة الحجر)

لكن الآية الكريمة:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي

لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آَيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)

(سورة الزمر)

إذاً هذا الحديث أيها الأخوة لا يدع لأحدٍ مجالاً لليأس:

((يا ابن آدم إنَّكَ ما دَعَوْتَني ورَجَوْتَني غفرتُ لك على ما كانَ مِنكَ ولا أبالِي يا ابنَ آدمَ لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ ثم استَغْفَرتَني غَفرْتُ لك، ولا أبالي يا ابنَ آدم إنَّكَ لو أتيتني بِقُرابِ الأرض خَطايا ثم لَقِيتَني لا تُشْركُ بي شيئاً: لأتَيْتُكَ بقُرابها مَغْفِرَةً))

[رواه الترمذي عن أنس]

الأفضل أن يكون الاستغفار عقب الذنب مباشرة:

بالمناسبة الأفضل أن يكون الاستغفار عقب الذنب مباشرة، إذا الإنسان أخر الاستغفار ينطبق عليه قوله تعالى:

(فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ)

(سورة الحديد الآية: ١٦)

بالإنسان مبدأ يشبه مبدأ العطالة، مبدأ العطالة بالفيزياء يدور حول أن الأجسام الساكنة ترفض الحركة، والمتحركة ترفض السكون.

الإنسان إذا ركب سيارة ، والسائق استعمل المكبح فجأة، لماذا هو يندفع نحو الأمام ، و قد يموت باندفاعه نحو الأمام ؟ لأن السيارة وقفت، لكن ركابها رفضوا الوقوف، فلما رفضوا الوقوف اندفعوا نحو الأمام.

وأنت حينما تركب مركبة ، وهي واقفة ثم تندفع نحو الأمام تشعر أن المقعد الخلفي دفعك نحو الأمام، لأنك ترفض الحركة، فالجسم المتحرك يرفض السكون ، والساكن يرفض الحركة.

إذا الإنسان أطاع الله عز وجل يأبى أن يعصيه ، و إذا ألف معصيته قد يصعب عليه أن يطيعه.

أحياناً أخ يأتي إلى المسجد، يسعد بدوامه، عنده خطر واحد أن إذا غاب عدداً من الدروس يألف على عدم المجيء، فصار من الصعب عليه أن يأتي مرة أخرى، ألف ألا يأتي إلى الدرس، يأتي وقت الدرس: يتعلق بأدنى عذر ، الآن زارني إنسان، لماذا إذا كنت أنت في حالت التألق ، وزارك إنسان تقول له تعال معي ؟ تأخذه معك إلى المسجد، و إذا كنت في حالة الفتور والضعف تتعلق بأتفه سبب لتنصرف عن الدرس، فإذا كنت مندفعاً ترفض الوقوف، إذا كنت واقفاً متمتعاً بالقعود ترفض الحركة.

باب المغفرة مفتوحٌ على مصراعيه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني))

[الحاكم عن أبي سعيد الخدري]

باب التوبة، باب المغفرة مفتوحٌ على مصراعيه، أنت ما عليك إلا أن تتوب، و أن تستغفر.

لكن أخواننا الكرام هناك نقطة خطيرة جداً: قد تتوهمون أو قد تظنون أن القضية سهلة، كلما أذنبنا نستغفر، إذا عرفت أن هذا الذنب استغفرت الله منه من قبل، ثم عدت إليه فهذا استخفاف به، ثم استغفرت ثم عدت إليه، سيأتي يوم لن تستطيع أن تستغفر الله منه، هذا يصلح لحالات قليلة، إنسان ارتكب ذنباً لأول مرة أو لا يعرف أن هذا ذنباً.

الحقيقة التوبة الأولى سهلة جداً، حينما تتوب أول مرة تشعر أن جبالاً أزيحت عن صدرك ، لكن ثاني مرة أصعب ، والثالثة أصعب ، وقد يأتي يوم لا تستطيع أن تتوب لأنك لست واثقاً من نفسك أنك تطلب التوبة.

الاستغفار باب الفرج و طريق الخلاص

و:

((من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب))

[أحمد و الحاكم عن عبد الله بن مسعود]

يا إمام زوجتي لا تنجب ؟ قال: استغفر الله ، يا إمام السماء لا تمطر قال: استغفر الله، يا إمام أشكو الفقر ؟ قال: استغفر الله، إنسان استغرب ما هذا الوصفة الموحدة؟ قال: يا رسول الله أو كلما جاءك رجل يسألك شيء تقول له: استغفر الله ؟ قال له: أولم تقرأ قوله تعالى:

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)

(سورة نوح)

معنى ذلك أن الاستغفار طريق الرزق ، والاستغفار طريق الإنجاب إن كان أحد الزوجين عقيماً، والاستغفار طريق المطر إذا وجد الشح.

((مَن لزِمَ الاستغفارُ جعلَ اللهُ لَهُ من كل ضِيقٍ مَخرَجا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجا ورزَقَهُ من حيث لا يَحْتَسِبُ))

[أحمد و الحاكم عن عبد الله بن مسعود]

معنى ذلك أن الاستغفار باب الفرج ، الاستغفار طريق الخلاص ، الاستغفار طريق استرضاء الله عز وجل.

على الإنسان ألا يعتد بعمله بل يعتد برحمة الله عز وجل له و لغيره:

أخواننا الكرام ، إنسان عادي قوي لا يسترضى، لا يقبل معك مهما استغفرته، مهما سألته العفو، الإنسان كلما صغر لا يغفر ، وكلما كبر يغفر، ربنا عز وجل هو خلقنا لمجرد أن تستغفره يغفر لك. إذا قال العبد: يا رب و هو راكع، قال الله: لبيك يا عبدي ، إذا قال: يا رب وهو ساجد، قال الله له: لبيك يا عبدي، إذا قال: يا رب وهو عاصٍ، قال الله له: لبيك ثم لبيك ثم لبيك، العاصي مقهور مكسور، فإذا ندم على معصيته ، واستغفر الله عز وجل غفر له.

و رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:

((طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَاراً كَثِيراً))

[ابن ماجه عن عبد الله بن بسر]

وعن أم عصمة العوصية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما من مسلم يعمل ذنبا إلا وقف الملك الموكل بإحصاء ذنوبه ثلاث ساعات فإن استغفر الله من ذنبه ذلك في شيء من تلك الساعات لم يوقفه عليه ولم يعذب يوم القيامة))

[الحاكم في المستدرك عن أم عصمة العوصية]

ثلاث ساعات الأولى أن الإنسان فوراً يستغفر الله عز وجل من كلمة قالها ، أو نظرة نظر إليها ، أو عمل فعله.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

((واذنوباه واذنوباه فقال هذا القول مرتين أو ثلاثاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي فقالها ثم قال: عد فعاد ثم قال عد فعاد فقال قم فقد غفر الله لك))

[أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن محمد بن جابر بن عبد الله عن أبيه عن جده]

هناك إنسان معتد بعمله، أنا عملت ، أنا تركت ، أنا أسست ، أنا عمرت مسجداً، أنا أنشأت ميتماً ، أنا ألفت كتاباً ، أنا دعوت إلا الله ، الناس كلهم يستفيدون عن طريقي، ينظر عمله وغير مصدق،

لكن رحمة الله أرجى له من عمله، أحياناً عمله يكون مشهوداً بنية غير صحيحة ، فحينما يعتد بعمله يغدو عمله حجاباً بينه وبين الله.

((ورحمتك أرجى عندي من عملي))

لا تعتد بعملك اعتد برحمة الله، هذا الدعاء لطيف جداً:

((مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي))

الاستغفار باب من أوسع أبواب رحمة الله:

هذه ستة أحاديث عن الاستغفار، والإنسان يعود نفسه على الاستغفار دائماً.

شخص قال لي: عنده سيارة مضروبة تحتاج إلى بابين، له جار أمين مستودع، عنده قطع تبديل سيارات، أقنعه بأن يعطيه بابين حديثين، قلت له: لا يجوز هذا، قال لي: بعدها أستغفر الله، في اليوم الثاني طرأ له حادث شديد، فقوله بعد ذلك أستغفر الله هذا استخفاف بالذنب، هذه نقطة خطير بالموضوع، لا تفعلها، أنت لا تعرف ومضطر صار معك ذنب، أما عمل سهل معروف ثمنه الآن نحن نرتكب الخطأ ثم نستغفر، لن يغفر لك في هذه الحالة، لن تستطيع أن تتوب، تشعر أن هناك سداً منيعاً بينك و بين الله، إذا استخففت بالذنب القضية سهلة.

مرة إنسان تزوج امرأة و هو إنسان متفلت، و هي من بيت علم، صار في خطأ بتزوجه إياها فدعاها إلى الاختلاط فرفضت ، دعاها إلى أن تكون معه في كل حركاته وسكناته ، في نزهاته مع أصدقائه ، في النوادي ، في الفنادق ، ومتأخرها كبير جداً، فأمه هيأت ترتيباً ذكياً جداً كيف يعاملها، كيف يضربها، كيف يأتي الساعة الثالثة في الليل، كيف يسب لها أهلها، طبعاً بعد شهرين من المعاملة القاسية جداً قالت له: لا أريد شيئاً، أريد الفراق، وتنازلت له عن مهرها الكبير ، وطلقها ، و تزوج واحدة على شاكلته أي فاسقة فاجرة مثله، فصار معه استخفاف كلما وقع بورطة ، ونجا منها يقول: ـ خلصنا منها مثلما خلصنا من مهر فلانة ـ كانت أمه ترتب له هذا الترتيب ، و كان أبوه ينكر عليه هذا العمل، أن هذه الفتاة طاهرة، شريفة، أنتم ظلمتموها، ما هكذا تعامل الزوجة، راكب مرة سيارته وهو نازل من الزبداني إلى الشام ، و طائش في سرعته، كلما ينجو من حادث مخيف يقول لأمه: نجونا مثلما نجونا من مهر فلانة، قبل دمشق بقليل دخل بسيارة شُطر شطرين هو وأمه معاً ، ونجا أبوه وزوجته الجديدة، التي تخطط له ماتت معه ، والذي كان ينكر نجا، هذه الزوجة الجديدة لم تعمل شيئاً، ليس لها علاقة بالموضوع.

لا تستخف بالذنب، سهلة هذه، نستغفر يا سيدي، إذا قلت: سهلة ونستغفر لن يغفر لك، يجب أن ترى أن الذنب كبير، كلما استصغرته كبر عند الله ، وكلما استكبرته صغر عند الله، إن وجدك الله مهموماً، تبكي، لم تعد تستطيع أن تأكل ، و تشرب، لابأس، أي أنت الله غال عليك، مادام الله غال

عليك إذاً سوف يغفر لك، وجدت العمل سهلاً ماذا حصل ؟ نستغفر يا سيدي، يا رب اغفر لي، هذه استخفاف بالاستغفار، إن استخففت بالاستغفار لن يغفر لك، لكن إن لقيت الذنب كبيراً ، وخفت ، واصفر لونك ، وبكيت ، والله معنى هذا أن الله غال عليك ، وهذه غلطة لن تتكرر، تجد المغفرة أصبحت سهلة جداً.

هذه أهم نقطة بالدرس، إياك أن تستخف بالذنب عندئذٍ لن يغفر لك، أما إذا استعظمته يغفر لك ، والاستغفار باب من أوسع أبواب رحمة الله.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨٠-١١٦) : كتاب الدعاء - الترغيب في كثرة الدعاء وما جاء في فضله -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أقوى الناس من يتوكل على الله عز وجل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد))

[صحيح الحاكم عن أنس]

الفكرة أن الله بيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، وأنه أمرك أن تدعوه، وما أمرك أن تدعوه إلا ليستجيب لك.

إذاً بالاستنباط المنطقي في الأرض لا يوجد مشكلة، المشكلة أن تنقطع عنه، المشكلة أن تتلبس بمعصية، أما لو أطعته وأقبلت عليه لا يوجد مشكلة بحياتك إطلاقاً لأنه:

((لن يهلك مع الدعاء أحد))

أنت بالدعاء أقوى إنسان، تصور أضعف إنسان بالأرض، وأقوى إنسان بالأرض، اختر أي إنسان، مثلاً هذا الضعيف لو كان مع الله لصار أقوى من القوي.

الآن بالمقاييس المادية لو أضعف دولة بالعالم ناصرتها أكبر دولة لأصبحت أقوى دولة، لأن وراءها الدولة الفلانية.

فأنت عندما تدعو الله عز وجل تصبح أقوى إنسان، إن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، إن أردت أن تكون أغنى الناس كن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك، إن أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله، بطاعتك لله تكون أكرم الناس، وبتوكلك على الله تكون أقوى الناس، وبثقتك بما عند الله تكون أغنى الناس.

أعجز إنسان في الكون هو الإنسان الذي يعجز عن الدعاء:

الحقيقة أعجز إنسان في الكون هو الذي عجز عن الدعاء، الإنسان أحياناً يقوى بقوة الله، بدعاء الاستخارة، هناك نقطة دقيقة جداً يقول النبي عليه الصلاة والسلام في دعاء الاستخارة:

((اللهم إني أستخيرُكَ بعلمكَ وأسْتَقْدِرُك بقدرتكَ وأسألكَ من فضلك العظيم فإنك تقدِر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن جابر بن عبد الله]

فأحياناً الإنسان يستشير محامياً، والمحامي يعمل بالمحاماة منذ خمسين سنة، ومتفوق، وألمعي، ومستوعب كافة القوانين، وله صلات متينة جداً مع القضاة، وموضع ثقة، فأنت عندما تسأل وأنت أجهل الجهلاء، تسأل هذا المحامي تستعير كل علمه بكلمة، يأتي إنسان يلجأ لإنسان قوي، حينما لجأت إلى هذا القوي استعرت قوته، فأنت إذاً قوي، يأتي إنسان جاهل يلجأ لعالم يستعير علمه، هذا إنسان مع إنسان فكيف إذا كنت مع الواحد الديان ؟.

((لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد))

مصيبة الإنسان أن ييأس من رحمة الله:

هناك شيء مهم جداً، أنت قد تقول هذه قضية كبيرة، أو مرض مستعصٍ، أو مرض عضال، الله عز وجل أعطاك أمثلة، تصور مشكلتك، حددها، احصرها بحدود معينة، مشكلتك قد تكون مالية، قد تكون اجتماعية، قد تكون صحية، قد تكون فكرية، لكن لا أعتقد أن هناك مشكلة أكبر من أن تجد نفسك فجأة في بطن حوت، بطن حوت ؟ وفي الليل وفي أعماق البحار، هل يوجد أمل ؟ أعتقد أن كل المعطيات منتهية، و كل الآمال مقطوعة.

نبي كريم سيدنا يونس جعله الله في بطن الحوت، وفي الليل، وفي ظلمات البحر العميقة.

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنبياء)

المصيبة أن تيأس من الله، هذه المصيبة، أما أي مصيبة تزول، الله تعالى يخلق الفرج خلقاً، يخلق من الضعف قوة، من الضيق فرجاً، من الفقر غنىً، من الجهل علماً، يخلق كل شيء من لا شيء، المشكلة أن تكون معه، وأن تحتمي بحماه، وأن تلوذ به، وأن تستفيد من علمه، ومن قدرته، ومن رحمته.

المعصية حجاب بين الإنسان و ربه و العاجز من عجز عن الدعاء:

((لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد))

أنا الذي يلفت نظري أن إنساناً يصلي، ويقرأ القرآن، ويستقيم، و الخط مع الله غير موصول.

من حوالي شهر، اتصل بي إنسان من بلد بعيد، قال لي: أنا أبحث عن رقم تلفونك من حوالي شهرين، قلت له: خير إن شاء الله ؟ قال لي: أنا بعيد عن الدين بعد الأرض عن السماء، بحياتي لم أدخل إلى المسجد، ولم أصلِّ، وأنا أكره العلماء، وأكره كلامهم، الكلام الذي تكلم به كلام غير

معقول، قال لي: أنا في سفري إلى أمريكا لأزور أختي في الطريق أسمعتني شريطاً فغيرت اتجاهي كله، هذا هو الدين ؟ فاتصل بي مرة ثانية، ومرة ثالثة، والبارحة اتصل بي، قال لي: صار لي مع الله خط مفتوح، أنا تأثرت بهذه العبارة تأثراً كبيراً، صار لي مع الله خط مفتوح هو خط الدعاء، أي كان مقطوعاً عن الله، الله عظيم، اتصل بالله و قال لي: أنا الآن أصلي وأبكي وأنا أصلي.

فالإنسان لماذا بعيد عن الله ؟ من المعصية، المعصية حجاب، أنت تخسر أكبر خسارة بمعصية، المعصية تحجبك عن الله عز وجل، أما إذا اتصلت بالله عز وجل انتهى كل شيء.

فلذلك العاجز من عجز عن الدعاء، الله موجود، وبيده كل شيء.

تصور إنساناً ببلد، أعلى إنسان بهذا البلد ـ الملك ـ قال له: اطلب تعطى، هل يوجد عنده مشكلة ؟ أبداً، لا يوجد مشكلة مالية، ولا اقتصادية، قال له: اطلب تعطى، كل شيء بيد الملك، فهذا الإنسان إذا توانى عن الدعاء فهو خاسر وعاجز.

افتح خطاً متصلاً مع الله، تجد الخط فيه حرارة، فيه اتصال، اسأله.

لكن بصراحة إذا كان هناك معصية لا تستطيع أن تسأله، تستحي منه، إذا كنت متلبساً بمعصية، مقصراً بواجباتك الدينية، في ازورار عنه، تستحي أن تسأله، تؤذي عباده، لا تستطيع أن تسأله، يحجبك عنه خجلك، يحجبك عنه ذنبك، يحجبك عنه معصيتك، يحجبك عنه تقصيرك، أما لو لم تقصر معه، وخدمت خلقه، وكنت صادقاً معهم، وكنت مخلصاً، وكنت أميناً، ونصحتهم، وما غششتهم، ولا ابتززت أموالهم، ولا أخفتهم، لأنهم عباد الله، فإذا فعلت هذا مع عباده رأيي أن الخط سالك، و تستطيع أن تدعوه.

الله يستحي من عبده أن يسأله ثم يرده:

هناك شيء ثان بالدعاء:

((إنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ))

[الترمذي عن سلمان]

لو إنسان محترم طرق بابك وقال لك: هل من الممكن أن تدينني ألف ليرة ؟ أنت من لحم ودم، من الصعب أن ترده، إنسان عادي، لا يقوى على رد إنسان، على صد إنسان، وهذا الإنسان لا يوجد به كمال، أما ربنا عز وجل الذات الكاملة، قال:

((إنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَستَحي من عبده إذا رَفَعَ إليه يديه أنْ يَرُدَّهُما صِفْرا خَائِبَتَيْنِ))

الله يستحي من عبده أن يسأله ثم يرده، أنت استفد من هذه النقطة، اسأله، اسأله بجوف الليل، إذا إنسان سألني سؤالاً، أو استشارني بقضية، أو عرض علي مشكلة مستعصية، لا حل لها، أحياناً لا يوجد بيت، أحياناً لا يوجد عمل، هناك قضية كبيرة، أنا لا أملك شيئاً، أقول له: قم وصلِّ ركعتين قبل الفجر، وفي السجود اسأله حاجتك، لأن الله عز وجل يقول:

((إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصفُ اللَّيْلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جَلَّ وَعَزَّ فقالَ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ وَقَالَ فِيهِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ))

[مسند أحمد عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

((إنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَستَحي من عبده إذا رَفَعَ إليه يديه أنْ يَرُدَّهُما صِفْرا خَائِبَتَيْنِ))

بطولة الإنسان أن يسأل الله من خير الدنيا و الآخرة:

الحديث له رواية أخرى:

((فاتقوا الله فيما تدعوه))

يسأله سؤالاً معقولاً، لو قال ابن لأبيه: أريد سكيناً لأذبح أخي، لا يرد عليه طبعاً، أما إذا قال له: أريد أن أدرس، يقول له: أحسنت، هذا السؤال معقول، الاستجابة فورية، أما سؤال غير معقول **!!** الله عز وجل لن يستجيب لك، فأنت بطولتك أن تعرف ما الدعاء المستجاب، فإذا سألت الله من خير الدنيا والآخرة أعطاك ما تريد، أما لو سألته الدنيا، ولم تسأله الآخرة، لا يعطيك إياها، لو سألته أن تؤذي عباد الله لن يسمح لك، فأنت:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي)

أن يطيعوني.

(وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

(سورة البقرة)

إلى الدعاء المستجاب، أنت إذا آمنت به، آمنت بأسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، ثم أطعته، الآن تدعو الدعاء المستجاب، تسأله خير الدنيا والآخرة.

الدُّعاءُ هو العبادة و العبادة علة وجودنا في الأرض:

النقطة الثالثة: قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((مَن سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ له عند الشَّدَائِدِ والْكُرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ في الرَّخَاءِ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

أنت عندما تدعو الله في الرخاء يستجيب لك في الشدة، أما إذا كنت في الرخاء شارداً، في الرخاء غافلاً، تأتي الشدة تستحي أن تسأله وأنت في الشدة، اسأله وأنت في الرخاء حتى يستجيب لك في الشدة.

((مَن سَرَّهُ أنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ له عند الشَّدَائِدِ والْكُرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ في الرَّخَاءِ))

[رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة]

لأن:

((الدُّعاءُ هو العبادة))

[الترمذي عن النعمان بن بشير]

العبادة علة وجودنا في الأرض، لقوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

علة وجودنا، والعبادة لُخصت في كلمة واحدة هي الدعاء، النبي من أين جاء بهذا الحديث ؟ من قوله تعالى:

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)

(سورة غافر الآية: ٦٠)

أي يستنكفون عن دعائي **(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)** معنى الدعاء هو العبادة، أي العبادة اتصال بالله، وأنت لن تكون في أعلى درجات الاتصال إلا حينما تكون مضطراً، وتدعو الله عز وجل، تدعوه وأنت في حالة افتقار، في حالة التجاء، في حالة تذلل، وهذا المطلوب أن تكون مع الله دائماً، لأن:

((الدُّعاءُ هو العبادة))

ثم تلا قوله تعالى:

(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)

(سورة غافر الآية: ٦٠)

النجاح ليس بالذكاء ولا بالخبرات ولكن بالتوفيق الإلهي والتوفيق ثمنه طاعة الله عز وجل:

الشيء الأخير في هذا الدرس أيها الأخوة الكرام:

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل))

[الحاكم عن عائشة].

هذا الحديث أيها الأخوة، يبين حقيقة خطيرة جداً متعلقة بالتوحيد، وهو أن الله عز وجل أودع في الإنسان عقلاً، أودع فيه قدرة على التعلم، أودع فيه قدرة على اكتساب الخبرات، سمح له أن يدرك، سمح له أن يوازن، سمح له أن يفكر، سمح له أن يتصور، سمح له أن يتخير، سمح له أن يحكم، إلا أن كل هذه الميزات الفكرية التي منحه الله إياها الله عز وجل في أية لحظة قادر على أن يأخذها منه، دائماً أو مؤقتاً، دائماً بالجنون، مؤقتاً بساعة غفلة يرتكب الإنسان حماقة ما بعدها حماقة، يكون تدميره في تدبيره، فالإنسان حينما يعتمد على ذكائه، أو على علمه، أو على خبرته، أو على ماله، أو على مكانته، أو على مكتسباته، فقد أشرك، لذلك يؤدبه الله عز وجل، فإذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لبٍّ لبه.

لذلك هناك قاعدة: النجاح ليس بالذكاء، ولا بالخبرات، ولا بالعلم، ولكن بالتوفيق الإلهي، والتوفيق ثمنه طاعة الله عز وجل، فكم من إنسان إمكاناته محدودة، و تفكيره بسيط، لأنه مستقيم الله عز وجل يعطيه عطاءً كبيراً، وتجد إنساناً شعلة من الذكاء لأنه منحرف لا ينفعه ذكاؤه أبداً، هذه قاعدة أساسية.

الله وحده هو الموفق فعلى كل إنسان الابتعاد عن الاعتداد بنفسه أو بذكائه و خبرته:

الآن الصحابة الكرام في بدر ضعاف قلة، مستضعفون، أذلة.

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية: ١٢٣)

في حنين قوة، كثرة، اعتداد، كانوا أكبر قوة في الجزيرة العربية.

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ)

(سورة التوبة)

نهاية علمك، نهاية خبرتك أن ترى أن الله وحده هو الموفق، فكلما اعتددت بنفسك، وأخذت الحذر، وغطيت كل الثغرات، وهيأت كل الوسائل، وذللت كل العقبات فوجئت أن كل هذا التدبير لا يجدي، وأنك فوجئت من جهة لم تكن تحسب لها حساباً، و كنت مطمئناً لها.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام من دعائه:

((اللهم إني أعوذ بك مما أهتم له، ومما لا أهتم له))

[ورد في الأثر]

((لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل))

[الحاكم عن عائشة]

الدعاء اتصال بالله و استلهام القوة و الحكمة و الرشاد منه:

ما معنى الدعاء ؟ أي أنك متصل بالله، الله هو القوة، هو الحكمة، هو العلم، فإذا كنت معه سدد خطاك، وألهمك رشدك، ودلك على طريق السلامة.

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)

(سورة المائدة الآية: ١٦)

سلام قرآني، سلام مع نفسك، سلام مع ربك، سلام مع الناس، سلام في عملك، سلام في بيتك، مع زوجتك، مع أولادك، لا يوجد مشكلة، تمشي على منهج الله، و على تعليمات الصانع.

((والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل))

من عاد إلى الله منيباً مخلصاً بعد ذنب ارتكبه تتوقف المعالجة الإلهية له:

أما إذا انحرف الإنسان انحرافاً يقتضي المعالجة، ثم عاد إلى الله عز وجل ملتجئاً ومنيباً وتائباً، المعالجة تنتهي، تتوقف، فإذا دعوت الله مخلصاً و كان هناك خطة إلهية للمعالجة، تنتهي هذه الخطة، و تزول.

((ينفع مما نزل ومما لم ينزل))

[الحاكم عن عائشة]

(يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩))

(سورة الرعد)

و:

((وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

لا يوجد شيء يوقف البلاء، يوقف المعالجة الإلهية كأن يعود العبد إلى الله، هذا الهدف. أنا كنت أضرب مثلاً: كلية توقفت لا بدّ من استئصالها، الطبيب صور، و أعطى قراراً باستئصالها، الموعد بعد ثمانية أيام، جاء المريض، خطر في بال الطبيب أن يصور مرة ثانية، صور فإذا هي تعمل، أنا اتخذت قراراً بأن أزيلها، ما هذا القرار ؟ القرار عندما اتخذته بإزالتها كانت واقفة، الآن عادت إلى العمل، انتهى القرار، كإنسان يهيئ تأديباً لشخص على ارتكاب ذنب، فلما وجد أنه أقلع عنه توقف التأديب، أنت عندما تدعو الله عز وجل و تنيب إليه انتهى، كل التأديب انتهى، كل الخطة التي من أجلها أن تعود إليه وقد عدت إليه انتهت.

((فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل))

من انقطع عن الله عز وجل صار أعمى يتخبط خبط عشواء:

الملخص: مع الله لا يوجد ذكي.

((ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري]

الجد: الحظ، له حظ كبير في الذكاء، حظ كبير في الفهم، حظ كبير في الإدراك، هذا الحظ العظيم الفكري لا ينفع مع الله أبداً، لأن الله عز وجل إذا أراد إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لبّ لبه.

مرة طالب ـ قصة قديمة جداً ـ معتد بدراسته، وإمكاناته، ويتمنى أن يأخذ الدرجة العالية في الامتحان، دخل لامتحان التاريخ جاء السؤال: مؤتمر برلين، فقال: عقد في باريس، السؤال: مؤتمر برلين، يجب أن تقول عقد في برلين، فلما قال: عقد في باريس أخذ صفراً بالسؤال هذا بالذات.

تجد إنساناً بأعلى درجة من الذكاء، يرتكب حماقة يترفع عنها طفل صغير، هذا عند الاعتداد بالنفس، أحياناً إنسان يكون تدميره في تدبيره، يكون هلاكه بعمله، والإنسان إذا انقطع عن الله صار أعمى، يتخبط خبط عشواء، انقطاعه عن الله عز وجل يجعله في عمى.

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ)

(سورة طه)

أنت بانقطاعك عني في الدنيا كنت أعمى.

الصواب من الله عز وجل والحمق من الشيطان:

الشيء الملاحظ أن المؤمن بمعرفته بالله عز وجل أحياناً يراقب أهل الدنيا، يجد أخطاءهم فادحة، وصارخة، أي أخطاء اجتماعية، أخطاء بيتية، أخطاء أسرية .

إنسان عنده زوجة يندر مثالها، أرادها أن تكون مثقفة ثقافة عالية، فأدخلها الجامعة، ونالت درجة جيدة، ثم وظفها في وزارة من الوزارات المهمة، والناس طلبوا رضاها، لتحل لهم مشكلاتهم، اشترت بيتاً، وأهملت أولادها و زوجها، أصبحت تغيب عن البيت، لها أصحاب، ولها معجبون، ولها، ولها، ثم طلقته هي بالتعبير الشائع، فيقول هذا الإنسان الزوج الذي كان عنده أفضل زوجة، قال: أنا دمرت نفسي بنفسي.

فالإنسان أحياناً يدمر نفسه، بزواجه، بأولاده، بعمله، الله يلهمنا الصواب، الصواب من الله عز وجل، والحمق من الشيطان، فالإنسان بقدر اتصاله بالله على صواب، وبقدر بعده عن الله على حمق.

أي الله عز وجل تفكيرك بيده، إذا أحب الله أن يؤدب إنساناً بالتجارة يفلسه، بالوظيفة يتكلم كلمة غير لائقة أمام شخص أعلى منه فينسقه، يعمل عملاً بالبيت في ساعة غضب فيطلق زوجته.

الالتفاف و الانفضاض:

إذاً الإنسان البعيد عن الله عنده حجاب، أولا: أعمى، وثانياً: في حجاب، وثالثاً: في قسوة:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٩)

انظر إلى دقة الآية بسبب رحمة مصدرها من الله:

(لِنْتَ لَهُمْ)

لينك عندما استقرت الرحمة في قلبك، لو كنت منقطعاً عن الله لكان في القلب قسوة، والقسوة من لوازمها:

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(سورة آل عمران الآية ١٥٩)

هذا قانون ؛ اتصال، رحمة، الرحمة فيها التفاف، الناس يلتفون حولك، انقطاع، قسوة، القسوة معها غلظة وفظاظة، من لوازمها ينفضون من حولك، تتصل تستقر في قلبك الرحمة فيلتف الناس حولك و يحبونك، تنقطع يستقر في القلب الغلظة والفظاظة فينفر الناس منك.

من سأل الله عز وجل حاجته فقد ابتغاها بعزة الأنفس:

و:

((مَنْ نَزَلَتْ به فاقة))

[الترمذي عن ابن مسعود]

مشكلة، أو فقر، أو مصيبة.

((فأنزلها بالناس))

إنسان يصاب بمصيبة، فلان يخيب ظنه يطرق أبواب الناس باباً باباً، يهرق ماء وجهه أمام هؤلاء واحداً واحداً، يتذلل أمامهم واحداً واحداً، يتضعضع أمامهم، قال:

((مَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقتُه))

[الترمذي عن ابن مسعود]

بصراحة الناس يتكلمون كثيراً، أما عند التطبيق لا يوجد شيء، يقول له: لا يهمك أنا معك، تأتي لعنده يقول: لا يوجد معنا شيء، ليس هناك أصعب من أن يقف الإنسان بباب إنسان ثم يرده و يخيب ظنه.

سيدنا علي سُئل ما الذل ؟ قال: " أن يقف الكريم بباب اللئيم، ثم يرده، والله والله مرتين، حفر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين، ونقل بحرين بمنخلين، وغسل عبدين أسودين حتى يصرا أبيضين، أهون علي من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين".

((مَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالناس))

الله لا يأتي في باله، يأتي في باله فلان يعاونني، فلان يساعدني، فلان يعطف عليّ، يطرق أبواب الناس، يبذل ماء وجهه، يتضعضع أمامهم، يذل نفسه أمامهم، وهذا يصده، وهذا يعتذر بلطف، وهذا لا يلبيه، وهذا يعده ويكذب عليه، قال:

((مَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقتُه ومَنْ نزلتْ به فاقة فأنزلها بالله))

[الترمذي عن ابن مسعود]

اترك الناس وبادر إلى الصلاة، اسجد، واطلبها من الله، كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة.

هناك مشكلة كبيرة ذهب إلى غرفته الخاصة وتوضأ وصلى، وفي السجود سأل الله هذه الحاجة، هو الآن ابتغاها بعزة الأنفس، سألها من الله، الآن يتحرك لكن الحركة الآن فيها عزة، الله أمرك بأخذ الأسباب، تتحرك تسأل شخصاً، لكن أنت رافع رأسك، تراه وسيلة وليس غاية، تراه واسطة، الله أمرك بأخذ الأسباب.

((لم تُسَدَّ فاقتُه و مَنْ نزلتْ به فاقة فأنزلها بالله))

بدل أن يتذلل أمام الناس، فمن جلس إلى غني و تضعضع له ـ أي تمسكن له ـ وعقد عليه الأمل، وتوقع أن يعطيه فقد ذهب ثلثا دينه.

((فيوشك الله له برزْق عاجِل أو آجل))

[الترمذي عن ابن مسعود]

من اعتمد على غير الله و أشرك به و علق عليه كل آماله خيبه الله عز وجل:

تصور إنساناً وضع كل ثقته بالله، ولم يسأل أحداً، فالله عز وجل لن يخيب ظنه، إذاً الإنسان عندما تنزل به فاقة، ويعلق آماله على شخص، هذا الشخص قد يكون جيداً، وقد يكون وفياً، وقد يكون قوياً، وقد يكون غنياً، لكن الله عز وجل حتى يؤدب هذا المشرك شركاً خفياً يلهم هذا الإنسان أن يتخلى عنه، قد يكون ليس من عادة هذا الإنسان أن يخيب ظن سائله، ولكن لأن هذا السائل أشرك بالله، واعتمد عليه، وعلق عليه كل الآمال، ووضع به كل ثقته، هذا الإنسان الذي لم يعهد منه أن يخيب آمال سائليه، يلهم من الله أن يخيب أماله، لأن الله يغار أن يرى عبد المؤمن متذللاً أمام غيره، يغار الله عز وجل أن يرى المؤمن متضعضعاً أمام الآخرين.

(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

(سورة آل عمران)

حديث دقيق جداً:

((مَنْ نَزَلَتْ به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقتُه ومَنْ نزلتْ به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزْق عاجِل أو آجل))

[الترمذي عن ابن مسعود]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨١-١١٦) : كتاب الدعاء - الترغيب في كثرة الدعاء وما جاء في فضله -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-٠٩-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

على الإنسان أن يكون مع الله دائماً:

أيها الأخوة الكرام، أسلوب تربوي كريم من قبل المولى جلّ جلاله، أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام أنه:

((فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

ماذا ينبغي أن يفعل هذا المسلم ؟ أن يذكر الله ساعات طويلة، فلعل في أحد هذه الساعات تأتي ساعة الإجابة تلك، هذا أسلوب تربوي حثنا على أن نكون مع الله دائماً، هناك ساعة من يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم فيسأل الله عز وجل حاجة من حاجات الدنيا أو الآخرة إلا استجاب له.

هناك ليلة برمضان " ليلة القدر"، لم تحدد في العشر الأواخر، من أجل أن تكون في هذه العشر الأواخر مع الله دائماً، فلعلها تكون هذه الليلة، هذا أسلوب ثان.

هناك اسم من أسماء الله هو الاسم الأعظم، إن دعوت به أجابك، أي الأسماء هذا الاسم ؟ لم يحدد تحديداً دقيقاً.

فهذه الأساليب الثالثة من أجل أن نكون مع الله دائماً يوم الجمعة، وفي العشر الأواخر، وأن نسأل الله بكل أسمائه الحسنى.

للعلماء بعض الآراء في هذا الموضوع، فبعض العلماء يقول: في موطن الرحمة اسم الله الأعظم هو الرحيم، وفي موطن اللطف اسم الله الأعظم هو اللطيف، وفي موطن القدرة اسم الله الأعظم هو القدير، أي أنت الآن بحاجة إلى أي اسم ؟ أنت الآن بحاجة إلى أن يرحمك الله، أنت الآن تستنصر الله على عدوك، الحاجة إلى اسم القوي، فكل اسم من أسماء الله إن كان سأل العبد به ربه في موطنه فهو اسم الله الأعظم.

الله تعالى وجوده ذاتي لا يفتقر إلى وجود آخر:

مع ذلك درس اليوم متعلق باسم الله الأعظم فقد:

((سَمِعَ النبي صلى الله عليه وسلم رَجُلاً يقول اللّهمَّ إني أسألُكَ بأني أَشْهَدُ أنَّكَ أنْتَ اللّهُ لا إلهَ إلا أنتَ الأحَدُ الصَّمَدُ الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفُوا أحَدٌ فقال والذي نفسي بيده لقد سأل اللّهَ باسمه الأعظمِ الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أعْطى))

[رواه الأربعة إلا النسائي وقال ليس في الباب أجود إسناداً منه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه]

طبعاً الله الصمد، كل ما سوى الله يستمد وجوده، واستمرار وجوده من الله، فأي إنسان تتجه إليه هو مثلك مفتقر إلى الله، أما إذا اتجهت إلى الصمد، الصمد وجوده ذاتي لا يتعلق وجوده بأحد، الإنسان وجوده مفتقر إلى وجود آخر، أنت قوي ما دام القلب ينبض، تحتل منصباً رفيعاً ما دام القلب ينبض، أي كل مكانتك، وكل أموالك، وكل استمتاعك بالحياة ما دام الدم سائلاً، فإذا تجمد الدم انتهى كل شيء، وانتهت الملكية كلياً، كل ذكائك مادام الدم يجري في الدماغ بيسر، فإذا تخثر الدم في الدماغ انتهى، إما مشلول، أو أعمى، أو مجنون، انتهى، فأنت وجودك مفتقر إلى الله.

إنسان معه مئة مليون لأن دمه مشى بسهولة في الدماغ، أما إن تجمد الدم فقد كل شيء و أصبح في القبر.

فأنت كل شيء تملكه، وكل مكانتك بين الناس، وكل وسائل استمتاعك بالحياة، لأن الدم يسيل، لو تجمد الدم انتهى كل شيء، قبل أن يقف القلب، القلب لا يزال ينبض لكن إذا تجمد الدم، على سيولة دمك تتوقف كل مباهج الحياة، لو أن الخلايا نمت نمواً عشوائياً انتهى كل شيء، فأنت مفتقر إلى الله، تسأل الله باسمه الصمد، ما معنى الصمد ؟ هو وجوده ذاتي، لا يفتقر إلى وجود آخر.

فالإنسان إذا علق آماله بمخلوق، إنسان عليه إشكال في بلده، فتوسط لدى إنسان وأعطاه مبلغاً ضخماً جداً كي يأتي إلى بلده، الإنسان أخذ المبلغ، ووعده أن يساعده عندما تأتي، وأن يستقبله في المطار، ويدخله إلى البلد، هذا جاء بالوقت المحدد الذي وعده أن يستقبله فيه وقبض منه المبلغ الفلكي، فإن مات قبل أن يستقبله بيوم فعندما وصل أُخذ، مثل مضحك، حينما تعلقت بإنسان مفتقر في وجوده إلى الله لم تستفد شيئاً، يجب أن تتعلق بالصمد، الذي وجوده ذاتي، هذه واحدة.

أسماء الله الحسنى تصنف في صنفين ؛ أسماء القوة وأسماء الكمال:

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه:

((سَمِعَ رجلاً يقول يا ذا الجَلالِ والإكرَامِ))

[الترمذي عن معاذ بن جبل]

أسماء الله الحسنى يمكن أن تصنف في صنفين، أو في بابين، أسماء القوة، وأسماء الكمال، فالله قوي جلال، قدير جلال، شديد العقاب جلال.

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

(سورة البروج)

جلال، متكبر جلال، رحيم إكرام، لطيف إكرام، فإذا سأل العبد ربه فقال: يا ذا الجلال والإكرام، جمعت أسماء القوة مع أسماء الرحمة، يا ذا الجلال والإكرام.

((وسَمِعَ رجلاً يقول يا ذا الجَلالِ والإكرَامِ فقال قد استُجيبَ لكَ فَسَلْ))

[الترمذي عن معاذ بن جبل]

معنا اسم ثان، أول اسم الله:

((الأحَدُ الصَّمَدُ الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفُوا أحَدٌ))

[رواه الأربعة إلا النسائي، وقال: ليس في الباب أجود إسناداً منه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه]

والاسم الثاني يا ذا الجلال والإكرام. و الثالث:

((إن لله ملكاً موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثاً قال الملك إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فاسأل))

[المستدرك عن أبي أمامة]

يا أرحم الراحمين برحمتك أستغيث.

الاسم الأعظم لله لا ينبغي أن تسأل به شيئاً من الدنيا لأن الدنيا زائلة:

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ باسمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ وَإِذَا اسْتُرْحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ وَإِذَا اسْتُفْرِجَتَ بِهِ فَرَّجْتَ قَالَتْ وَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ يَا عَائِشَةُ هَلْ عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ دَلَّنِي عَلَى الِاسْمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَعَلِّمْنِيهِ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ))

[ابن ماجة عن عائشة]

هذا اسمه استفزاز، من أجل أن تتعلق به أكثر، تثبيت، استفزاز مع تثبيت.

((قَالَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ قَالَتْ فَتَنَحَّيْتُ وَجَلَسْتُ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ ثُمَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيهِ قَالَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ أَنْ أُعَلِّمَكِ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ أَنْ تَسْأَلِينَ بِهِ شَيْئاً مِنْ الدُّنْيَا))

[ابن ماجة عن عائشة]

نقطة دقيقة جداً، إنسان أعطاك فرصة تسأله سؤالاً ويجيبك، والإنسان الذي أعطاك هذه الفرصة يمكن أن يعطيك مليوناً، إن سألته قرشاً واحداً فأنت إنسان أحمق، إذاً الأحمق من استنفذ فرصة ذهبية لشيء تافه.

فهذا الاسم الأعظم لا ينبغي أن تسأل به شيئاً من الدنيا، لأن الدنيا زائلة كانت لك أو ليست لك، قال:

((يَا عَائِشَةُ أَنْ أُعَلِّمَكِ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ أَنْ تَسْأَلِينَ بِهِ شَيْئاً مِنْ الدُّنْيَا قَالَتْ فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللَّهَ وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ وَأَدْعُوكَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي قَالَتْ فَاسْتَضْحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا))

[ابن ماجة عن عائشة]

اسم الله الأعظم في كل هذه الأسماء، الله، الرحمن، البر، الرحيم، بعدها احتياطاً بأسمائك الحسنى كلها، بعدها احتياطاً آخر ما علمت منها وما لم أعلم، لم يبقَ شيء، قال: السيدة عائشة ذكية جداً، أخذت الاحتياطات كلها، الله، الرحمن، البر، الرحيم بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم.

((فَاسْتَضْحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا.))

[ابن ماجة عن عائشة]

هذه الأسماء تلزم إذا الشخص طلب الآخرة، طلب الهداية، طلب التوفيق، طلب العمل الصالح، طلب الله يطلق لسانه بالحق، طلب يمكنه من خدمة الخلق.

عدم استجابة الدعاء إلا إذا بدأت به بالصلاة على رسول الله لأنه أحب الخلق إلى الله:

و:

((بَيْنَمَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ إذْ دَخَلَ رَجُلٌ فصلَّى فقال اللَّهُمَّ اغْفِر لي وارحَمْني فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَجِلْتَ أيُّها المُصَلِّي))

[الترمذي عن فضالة بن عبيد]

مرة جاء أخ لعندي، قال لي: أريد بيتاً لأتزوج، قلت له: أنت منذ متى عندنا ؟ قال: اليوم أحضر أول درس، قلت له: الوقت مبكر جداً، احضر لسنتين أو ثلاثة حتى أفكر لك ببيت.

((بَيْنَمَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ إذْ دَخَلَ رَجُلٌ فصَلَّى فقال اللَّهُمَّ اغْفِر لي وارحَمْني فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَجِلْتَ أيُّها المُصَلِّي إذا صَلَّيْتَ فقعَدتَ فاحْمَدِ الله بِمَا هو أهْلُهُ وَصَلِّ عَليَّ ثم ادْعُهُ))

[الترمذي عن فضالة بن عبيد]

هناك تفسير لطيف: إنسان عظيم لك عنده حاجة كبيرة، وله صديق حميم، فأردت أن تدخل عليه مع هذا الصديق، هو لمجرد أنه رآك مع صديقه الأمر تيسر، الشخص كبير، قدير، له صديق متين جداً، علاقته معه، فأنت لك معه حاجة، فدخلت عليه مع هذا الصديق، إذا دخلت عليه مع هذا الصديق الحاجة قضيت، لذلك الدعاء لا يستجاب إلا إذا بدأت به بالصلاة على رسول الله، أنت وسطته بأنه أحب الخلق إلى الله، فقال:

((عَجِلْتَ أيُّها المُصَلِّي إذا صَلَّيْتَ فقعَدتَ فاحْمَدِ الله بِمَا هو أهْلُهُ وَصَلِّ عَليَّ ثم ادْعُهُ قال ثم صَلَّى رَجُلٌ آخرُ بعد ذلك فحَمدَ الله وصلَّى على النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم أيُّهَا المُصَلِّي ادعُ اللهَ تُجَبْ))

[الترمذي عن فضالة بن عبيد]

إذاً علينا في كل أدعيتنا أن نصلي على النبي، ثم ندعُو الله، ونختم الدعاء بالصلاة على النبي، نستفتح به بالصلاة على النبي، ونختم به بالصلاة على النبي.

دعوة ذي النون ربه و هو في بطن الحوت دعاء للمؤمنين كلهم:

آخر حديث:

((دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط))

[رواه الترمذي والنسائي وصححه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص]

هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم.

((إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها))

أي مسلم في أي موضوع إلا استجاب الله له، وهناك زيادة عند الحاكم:

((فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة))

يونس قال في بطن الحوت:

((لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فقال رجل يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسمع قول الله عز وجل وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ))

انظر إلى الاستنباط اللطيف، للمؤمنين كلهم، كان في حالة لا توصف، في بطن الحوت، في ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض، في ظلمة الليل، وفي ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة البحر، البحر بعد مئتي متر ظلام مطلق، لا ترى شيئاً، العين لا ترى شيئاً إطلاقاً، والحوت يكون في أعماق البحار، في أعماق البحر، وفي ظلمة الليل، وفي ظلمة بطن الحوت:

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنبياء)

((ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسمع قول الله عز وجل وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ))

بين الإنسان و ربه لا يوجد وسيط لأن الإنسان قوي بالله والله عز وجل يستجيب:

إذاً صار عندنا دعاء سيدنا يونس، و الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ و دعاء الله، والرحمن، والبر الرحيم، وكل أسماء الله الحسنى، و أرحم الراحمين، و يا ذا الجلال والإكرام و:

((الأحَدُ الصَّمَدُ الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفُوا أحَدٌ))

[رواه الأربعة إلا النسائي، وقال: ليس في الباب أجود إسناداً منه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه]

هذه أسماء الله العظمى التي إذا دُعي بها أجاب، هنا يوجد تفصيل، إذا دُعي بها أجاب، وإذا سُئل بها أعطاه، وإذا استرحم بها رحم، وإذا استفرج بها فرج، والحياة كلها مشكلات، وهذا الباب باب الله واسع مفتوح لكل الخلق، لا تدع واسطة بينك وبين الله مباشرة لأنه يوجد في القرآن اثنتا عشرة آية.

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)

(سورة البقرة الآية: ٢١٩)

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ)

(سورة البقرة الآية: ٢١٩)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ)

(سورة البقرة الآية: ٢٢٠)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)

(سورة البقرة الآية: ٢٢٢)

اثنتا عشرة آية فيها قل بين السؤال والجواب، النبي وسيط، إلا آية واحد:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي)

لا يوجد فقل لهم:

(فَإِنِّي قَرِيبٌ)

(سورة البقرة الآية: ١٨٦)

لا يوجد وساطة، بينك وبين الله لا يوجد وسيط، اسأله مباشرة، الغ الكهنوت كله، اسأله مباشرة، والإنسان قوي بالله، والله عز وجل يستجيب.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٨٢-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه وما جاء في ذم الحرص وحب المال -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الظروف والإمكانات والحوادث التي تصاف للإنسان إنما هي أفعال الله تعالى:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي حميد الساعدي]

الإنسان خُلق للجنة ، وخلق للسعادة، هذا الحديث أيها الأخوة قد يُفهم على غير ما أراد النبي عليه الصلاة والسلام ، حينما قال الله عز وجل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

و حينما قال الله عز وجل:

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(سورة هود الآية: ١١٩)

خلقنا لنعبده، إن عبدناه سعدنا بعبادته، خلقنا ليرحمنا ، فالهدف أن يرحمنا، الهدف أن يسعدنا ، الهدف أن يدخلنا الجنة.

إذاً كل مسيرٌ لما خُلق له ، فالظروف، والإمكانات ، والحوادث ، والمعطيات التي تصاف للإنسان إنما هي أفعال الله عز وجل لتسوقه إلى هدفه ، لو أردنا أن نوضح أكثر من ذلك:

لو أن أباً يطمح أن يكون ابنه طبيباً، فقد يجد من المناسب أن ينفق عليه مالاً كثيراً، أو أن يؤدبه ، أو أن يعطيه ، أو أن يمنعه ، أو أن يبتسم في وجهه ، كل هذه التصرفات من الأب وسائل تعين الابن على بلوغ هدفه.

المؤمن آماله معقودة على الله عز وجل لا على عباد الله:

الحديث الشريف:

((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا))

كلمة أجملوا وردت في حديث قدسي آخر ، يوضحها أكثر من ذلك.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ رُوح القُدس نَفَثَ في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزْقها وأجَلَها فاتقوا الله عباد الله و أجملوا في الطلب وهناك زيادة ببعض الروايات و استجملوا مهنكم))

[صحيح ابن حبان عن ابن مسعود]

أنت حينما خلقت لك عند الله رزق ، وكلمة رزق مضمون ، مضمون في حده الأدنى، لن يموت الإنسان إلا إذا أراد الله أن يموت جوعاً، تنوعت الأسباب و الموت واحد، مادامت قد كتبت له الحياة فله عند الله رزق، هذا الرزق وسيلة متبدلة لتربية الإنسان.

(وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)

(سورة الجن الآية: ١٦-١٧)

إذاً أجملوا في طلب الدنيا ، المؤمن عزيز النفس ، ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير، لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه، الفرق بين المؤمن وغير المؤمن المؤمن موحد، يرى أن الله وحده مسبب الأسباب ، فإذا أخذ بالأسباب أخذ بالأسباب طاعة لله عز وجل لكن آماله معقودة على الله عز وجل لا على عباد الله، فقال:

((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي حميد الساعدي]

أفعال الله مع الإنسان هدفها دفعه إلى بابه وحمله على عبادته:

إن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه ، و إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه ".

فالإنسان مسير لما خلق له، أفعال الله مع الإنسان عطاء أو منعاً ، رفعاً أو خفضاً، إعزازاً أو إذلالاً، تيسيراً أو تعسيراً، أفعال الله مع الإنسان هدفها دفعه إلى باب الله عز وجل، هدفها أن تحمله على عبادة الله، فلذلك قد يفهم بعض الناس من هذا الحديث معنى الجبر، أن الإنسان مخلوق لجهنم، مكتوب عليه الكفر من قبل أن يخلقه الله عز وجل، لذلك يسير إلى الكفر، يسير إلى شرب الخمر ، يسير إلى الزنا، هذا المعنى الجبري ليس وارداً إطلاقاً، لأن الله عز وجل قال

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

إذاً كلّ ميسر لما خلق له، لما خلق له من النعيم، لما خلق له من الجنان، لما خلق له من العبادة، هناك أحاديث على مرّ الأيام و العصور ، و مع انحراف العقائد و فسادها اكتسبت معان جبرية ما

أنزل الله بها من سلطان، تقرأها أو تسمع شرحها فتشعر بالانقباض، الإنسان ماذا كتب عليه ؟ كتب عليه الشقاء، إذاً كل ميسر لما خلق له، أنت لِمَ لم تقرأ الآيات

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً)

(سورة النساء)

فهذا الحديث:

((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا))

أي أنت لك عند الله رزق مضمون ، ولك عند الله رزق منذُ أن خلقك.

من صبر وآثر طاعة الله عز وجل على الفعل الحرام تفتح له أبواب الحلال:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ)

(سورة الروم الآية ٤٠)

فعل رزق فعل ماض، أي من أجل أن يطمئنك رزقك مخلوق مع خلقك، إذاً أجملوا في طلب الدنيا، بمعنى أن المؤمن لا ينبغي أن يحمله استعجاله للرزق عن طلب الحرام، دائماً الله عز وجل من سنته في معاملة خلقه أنه قد لا تجد شيئاً أمامك، يغلق لك الأبواب كلها، و يفتح لك باب الحرام ، فماذا تفعل ؟ هذا امتحان ، و امتحان صعب، أبواب الحلال مغلقة، فتح باب الحرام، لا يوجد أي وظيفة إلا وظيفة بملهى ، لا يوجد أي أمل بشراء بيت إلا عن طريق الفائدة، تغلق لك أبواب الحلال، و يفتح باب الحرام، فماذا تفعل ؟ ضعاف الإيمان يسقطون يقول لك: ماذا أفعل ؟ أما المؤمن يصبر، حينما يعلم الله منه أنه قد صبر ، وآثر طاعة الله عز وجل، عندئذٍ تفتح له أبواب الحلال.

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

(سورة الطلاق)

العلماء قالوا: هذه الآية لها مكان في السورة، مكانها في سورة الطلاق من يتق الله في تطليق زوجته، أي من يطلقها طلقة واحدة ويبقيها في بيته**(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)** إلى إرجاعها، أما من يطلق طلاقاً بدعياً ثلاث طلقات في جلسة واحدة، أو يرسلها إلى بيت أهلها خلاف السنة أصبح الطريق مسدوداً إلى إرجاعها ، لو أن هذه الآية نزعناها من سياقها ، و قرأناها لوحدها لكانت قانوناً، من يتق الله في اختيار زوجته، اختارها ذات دين ، وعفة

(يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)

من عقوقها، أو من الشقاء الزوجي، من يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوقهم ، من يتق الله في كسب المال يجعل الله له مخرجاً من إتلافه ، من يتق الله في صحته يجعل الله له مخرجاً من أمراض العضال.

تقنين الله عز وجل تقنين تأديب و تربية لا تقنين عجز و بخل:

فلذلك الحديث الذي بين أيدينا **((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا))** الاعتدال، أي الله عز وجل لا ينسى من فضله أحداً، تجد شاباً ليس عنده أمل، لا يوجد عنده بيت ، و لا بيده عمل، و ليس عنده أمل يحفزه إلى أن يصل إلى شيء، لماذا خلقه الله عز وجل ؟ خلقه الله ليكرمه، لكن هذا الشاب إن كان مستقيماً له عند الله عطاء، زوجة ، وبيت، وعمل ، ورزق يكفيه، لأن الله عز وجل لا ينسى من فضله أحداً.

((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا))

والأمر كله بيد الله ، إذا وجد نقص في المواد ، أو نقص في الأعمال ، أو فقر، هذا تأديب من الله عز وجل ، و ليس عجزاً، أي تقنين إلهي، فتقنين الله تقنين تأديب وليس تقنين عجز.

فنحن نخلص من هذا الشرح إلى أن الدنيا بيد الله ، و الآخرة بيد الله، فإذا أعطاها الله لحكمة بالغة، و إذا منعها لحكمة بالغة، عطاؤه امتحان ، وحرمانه تربية ، و تأديب، لذلك أجملوا في طلب الدنيا:

((ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عز وجل))

[البزار عن ابن مسعود]

والإنسان ممتحن في رزقه، بل إن أشد أنواع الامتحان امتحانه في رزقه، لأن الإنسان حريص على شيئين ، حريص على حياته، وعلى رزقه ، و كلمة الحق لا تقطع رزقاً ، و لا تقرب أجلاً.

((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي حميد الساعدي]

لِمَا خُلِقَ لَهُ من النعيم ، لما خلق له من الرحمة ، لما خلق له من العبادة.

أفعال الله عز وجل تسوق الإنسان إلى عبادته و طاعته:

أفعال الله عز وجل تسوق الإنسان إلى عبادته ، تسوق الإنسان إلى طاعته، تسوق الإنسان إلى الجنة، فأحياناً طريق الجنة شائك ، طريق الجنة حرمان ، طريق الجنة مرض ، طريق الجنة خوف، طريق الجنة سجن، لأن النفس لها أساليب يعلمها الله وحده، الإنسان يكون جامحاً و منحرفاً لا يوجد شيء يرده، تأتي مصيبة تهز أعماقه، تدفعه إلى الصلاة ، تدفعه إلى الصلح مع الله.

فهذا الحديث إياكم أن تفهموه مثلما يفهمه معظم الناس ، يفهمونه بالمعنى الجبري، هذا يفهم بالمعنى الذي ينسجم مع الآيات الأخرى والأحاديث الأخرى.

((اعملوا فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))

[مسلم عن جابر]

في رواية، وهذه الرواية:

((أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلّاً مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ))

[أخرجه ابن ماجه عن أبي حميد الساعدي]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨٣-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه وما جاء في ذم الحرص وحب المال -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسان حينما ينتقل من الدنيا إلى الآخرة كل مكتسباته المالية لا قيمة لها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يا أيها الناس إن الغنى ليس عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وإن الله عز وجل يوفي عبده ما كتب له من الرزق فأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم))

[أبو يعلى عن أبي هريرة]

أولاً المؤمن تصوراته صحيحة، كل إنسان يحمل مجموعة من القيم ، كل إنسان يملك مجموعة من التصورات ، الذي يتوهم أن الغنى هو المال:

(فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)

(سورة البقرة)

يقول عليه الصلاة والسلام:

((الغنى غنى النفس))

السبب أن الإنسان حينما ينتقل من الدنيا إلى الآخرة كل مكتسباته المالية لا قيمة لها، تسقط إلى قيمة الصفر حينما يوضع في كفنه ، ويوضع في قبره، لو يملك ألف مليون، أو مليون ، أو لا يملك شيئاً، أقول دائماً: الموت ينهي الغني و ينهي الفقير ، ينهي القوة و ينهي الضعف ، ينهي الصحة و ينهي المرض ، ينهي الوسامة وينهي الدمامة ، و ينهي كل شيء، فالإنسان إذا كان انتقاله حتمي من عالم إلى عالم ، فالبطولة أن تملك المادة الرائجة في العالم الثاني ، فالإنسان إذا اعتنى بالمادة الرائجة في العالم الأول ، و هي المال ، والشأن، و الجاه ، و الشهوات، و انتقل فجأة إلى العالم الآخر فقد كل مكتسباته في ثانية واحدة ، و انتقل إلى بلد ، أو إلى عالم آخر، لا يملك مقومات السعادة، لو أنه ممنوع تحويل العملات كلياً وإنسان مليونير في بلده أخذ بالقوة ووضع في بلد آخر، لا يملك من عملة هذا البلد ولا ليرة من أكبر غني إلى أكبر فقير بثانية.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((الغنى ليس عن كثرة العرض))

[أبو يعلى عن أبي هريرة]

الغنى غنى العمل الصالح والفقر فقر العمل الصالح:

الشيء العجيب أن كل شيء جمعته في الحياة الدنيا منوط بشيء قد لا يصدق، منوط بسيولة دمك، لو أن هذا الدم تجمد في مكان ما انتهت الملكية ، وانتهت السيطرة، وانتهى الشأن ، وانتهى الجاه، فلو أن خثرة في الدماغ تجمدت في مكان معين فقد ذاكرته ، أودع في المستشفى ـ مستشفى الأمراض العقلية ـ في مكان ثان فقد حركته ، في مكان ثالث فقد بصره ، في مكان رابع فقد سمعه ، في مكان خامس فقد توازنه ، وهكذا.

لذلك الإنسان إذا وضع البيض في سلة واحدة يكون مقامراً و مغامراً، تجد إنساناً حصّل أموالاً طائلة، بنى ، واعتنى، ودقق ، وزين، ثم جاءه الموت فنقله إلى الصفر فجأة، أما المؤمن غناه في قلبه ، غناه في معرفة ربه ، غناه في استقامته ، غناه في عمله الصالح ، غناه في حجم العمل الذي قدره الله على يديه ، غناه في حجم الذين اهتدوا على يديه، غناه في حجم المال الذي أنفقه ، غناه في حجم العمل الذي عمله يبتغي به وجه الله ، غناه فيما ترك من أثر، فيما ترك:

((صدقة جارية أو علم يُنْتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة]

هذا هو الغنى، لذلك سيدنا موسى حينما سقى للمرأتين تولى إلى الظل ، وقال:

(فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)

(سورة القصص)

العلماء قالوا: الغنى غنى العمل الصالح ، والفقر فقر العمل الصالح، لأنه لا يوجد عندك عملة أو نقد رائج في الدار الآخرة، كل شيء تملكه رائج في الدار الدنيا، أما في الآخرة لا تملك عملة رائجة، والآن اذهب إلى بلد بعيد ، وأمسك خمسمئة ليرة سورية، من يأخذها منك ؟ لا يأخذها أحد إطلاقاً، هذه العملة ليست رائجة هناك، رائجة في سورية، هناك ليست رائجة، كذلك كل المكتسبات المادية رائجة في الدنيا، أما في الآخرة ليست رائجة.

الاستقامة و العمل الصالح طريقا الإنسان للنجاة من عذاب الله يوم القيامة:

لذلك قال تعالى:

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)

(سورة الواقعة)

الإنسان الذي لا يؤبه له في الدنيا قد تجده يوم القيامة في أعلى عليين.

((قال له أهلاً بمن خبرني جبريل بقدومه قال أو مثلي قال نعم يا أخي خامل في الأرض علم في السماء))

[ورد في الأثر]

العبرة أن تملك العملة الرائجة في الدار الآخرة، العملة الرائجة هي العمل الصالح، فالغني بعمله الصالح هو الفائز ، هو المتفوق ، هو الفالح ، هو الناجح ، هو العاقل، هو الذكي.

الآن إذا إنسان نقل أمواله من بلد إلى بلد، ثم ذهب إلى البلد الثاني، يذهب معززاً مكرماً، يسكن بأجمل بيت، يركب أجمل سيارة، لأن أمواله نقلها إلى البلد الثاني، فالعبرة بشكل منطقي ، وواضح، وتجاري أن تكون لك عملة رائجة في البلد الذي سوف تقدم إليه ، و تنتهي إليه.

الدار الآخرة الشيء الرائج فيها العمل الصالح، قد تعجب أن هناك ألف شيء يرفع الإنسان في الدنيا ، قد يرفعه منصبه ، و قد ترفعه أسرته ، و قد يرفعه نسبه ، و قد يرفعه ماله، فإذا انتقل هذا الإنسان فجأة إلى الدار الآخرة لا يرفعه إلا استقامته، و عمله الصالح، الموت يأتي فجأة و القبر صندوق العمل.

مضي الزمن ينقل الكافر من كل شيء إلى لا شيء و ينقل المؤمن من شيء إلا كل شيء:

حينما قال عليه الصلاة والسلام:

((يا أيها الناس إن الغنى ليس عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))

[أبو يعلى عن أبي هريرة]

وهذا ملاحظ عند الناس ، وعند المؤمنين، قد يجد بيتاً فخماً لا تهتز في جسمه شعرة، قد يجد مركبة فخمةً لا تحرك ذرة في جسمه، لأنه يرى الآخرة و ما فيها من نعيم مقيم ، والنبي علمنا أن الإنسان إذا نظر إلى متاع الحياة الدنيا يقول:

((اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرةِ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك]

والإنسان أحياناً يتأمل، يدقق في مباهج الحياة الدنيا، قد يشتهيها، فإذا قلد النبي عليه الصلاة والسلام ، وقال:

((اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرةِ))

ذاك هو العيش، ذاك هو العيش الذي لا نكد فيه، كل إنسان يعيش في الدنيا إذا كان شارداً عن الله، عنده قلق عميق، هو قلق الزمن، الزمن ليس في صالحه ، الزمن ليس في صالح الإنسان، لأنه كلما تقدمت به السن ضعفت قدرته على الاستمتاع بالحياة الدنيا، تصبح لديه حاجة إلى تقنين طعامه، تقنين حركته، يصبح مهمشاً، شيئاً فشيئاً يهمش، فالزمن ليس في صالح الإنسان لكنه في صالح

المؤمن، مضي الزمن يقرب المؤمن من هدفه، أو يقربه من جنة ربه التي وعده بها، تجد الإنسان إذا دقق في عمره ، أو حسب سنوات عمره إذا كان مؤمناً لا يتأثر و لو كان قد كبر، يقول لك: والله قربت، أما غير المؤمن يحسبهم بالناقص شهر، بالناقص سنة، على الهجري، على الميلادي، لأنه كلما اقترب من الموت اقترب من الصفر في زعمه، هو ليس صفراً هو عذاب، اقترب من النهاية، اقترب من أن ينتقل من كل شيء إلى لا شيء، أما المؤمن ينتقل من شيء إلا كل شيء.

أشقى الأشقياء من يبيع آخرته بدنيا غيره:

((إن الغنى ليس عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))

[أبو يعلى عن أبي هريرة]

حدثنا أخ كريم أن رجلاً ميسوراً من أهل اليسار ـ أي الغنى ـ أراد أن ينشئ مسجداً في أحياء دمشق، فبحث عن أرض مناسبة، فوجد أرضاً مناسبة جداً، فسأل عن صاحبها فإذا هو آذن في مدرس ابتدائية ، و راتبه أربعة آلاف ليرة، يبدو أنه ورثها إرثاً، فساومه على هذه الأرض واستقر المبلغ على ثلاثة ملايين ونصف، كتب له شيك بمليونين، ثم وعده أن يدفع له بقية المبلغ بعد التنازل في الأوقاف، هذا الآذن قال له لماذا الأوقاف ؟ قال له: من أجل أن أنشئها مسجداً، قال له: أعطني الشك ، أخذه ومزقه و قال له: أنا أولى منك أن أقدمها لله عز وجل، يقول هذا الغني وهو صالح فيما أعلم: ما شعرت يوماً أني صغير أمام أحد كهذا الإنسان ، قد يملك هذا الميسور ملايين، فإذا دفع ثلاثة ملايين ونصف، يملك مئتي مليون، ماذا يفعل هذا المبلغ ؟ أما هذا الذي لا يملك إلا هذه الأرض ثروته الوحيدة فلما أنفقها في سبيل الله أنفق كل ماله.

تجد إنساناً دخله محدود لكن غني، عنده عزة نفس ، وعنده معرفة بالله ، وعنده طمع بما عند الله من خير يفوق أضعاف إنسان متكالب على الدنيا.

قال سيدنا عمر لرجل: لقد ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع منك.

تجد الإنسان أحياناً عنده حرص على المال لدرجة يصبح أضحوكة، يصبح مُنتقداً َمن كل الناس، يُرى ضعفه أمام المال ، يُرى جبنه في إنفاق المال ، يُرى حرصه على كسب المال، هذا فقير ! لذلك قيل: أندم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً ، وأندم الناس من دخل ورثته بماله الجنة ، ودخل هو بماله النار، له أولاد صالحون ورثوا هذا المال حلالاً فأنفقوه في طاعة الله ، وهو لم يكن صالحاً فكسب هذا المال من حرام ، ورثه حلالاً ، و كسبه حراماً، سعد به أولاده ، و شقي هو به ، وهذا الذي يبيع آخرته بدنيا غيره أيضاً من أشقى الأشقياء.

النفس تغتني بمعرفة الله و إقبالها عليه:

هذا الحديث ماذا ينفعنا ؟ أحياناً الإنسان يكون بحاجة للمال يأتيه مال مشبوه من طريق غير مشروع لا يفرح به أبداً ، و لا يعبأ به ، و لا يلتفت إليه ، و يقول: الله الغني عن أن آخذ هذا المال الحرام، يأتي إنسان يرى المال كل شيء، بأي طريق، بأية وسيلة، بحلال، بحرام، بكذب، بدجل ، بمبالغة، باحتيال ، بإيهام، بيمين كاذبة ، يأخذ ما ليس له وقد يبيع الإنسان في الآخر دينه لعرض من الدنيا قليل، قد يحلف يميناً كاذباً من أجل آلاف معدودة ، قد يبيع كل قيمه من أجل صفقة رابحة.
فلذلك هذا الحديث الشريف قال العلماء: أوله متفق عليه، أي في أعلى درجات الصحة.

((إن الغنى ليس عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))

النفس تغتني بمعرفة الله، تغتني بإقبالها على الله، تغتني بالعمل الصالح، تغتني بورعها، تغتني بمعرفتها، بإقبالها، هذا غنى النفس.

لذلك لو أن مؤمناً عرضت عليه أن يخسر علمه ، و يخسر قربه من الله ، وأن يملك الدنيا ، والله لا يتردد ثانية واحدة بركل الدنيا بقدمه.

مرة ذهبت إلى بلد مجاور بسيارة لقريب، و بينما كنت أتصفح كتاباً في السيارة، سمعت حديثاً يجري بين قريبي وبين ضيف معنا في السيارة ، وهذا الضيف من كبار الأغنياء، عندما انتهى بنا المطاف إلى البلد المقصود ، وازنت في نفسي هل تريد أن تكون بعقلية هذا الإنسان وتملك ماله كله ؟ قلت: لا والله ، والله آكل أخشن طعام ، ولا أتمنى أن أكون بعقليته وغناه، لأن هذا الغنى ينتهي عند الموت، فكل فخامته ، و كل أناقته، و كل أبهائه الواسعة، تنتهي عند الموت.

إنسان اشترى بيتاً في المالكي بلاطة كاملة بالأبنية الحديثة، مساحته سبعمئة متر، بقي يكسو هذا البناء مدة تزيد عن السنتين ، أو أربع سنوات، ما إن تمت كسوة هذا البيت بشكل مدهش، بشكل لا يصدق حتى وافته المنية، ما قيمة هذا الغنى ؟ أما لو أن صاحب هذا البيت له أعمال صالحة كبيرة جداً، ترك بصمات بالحياة، ترك آثاراً في المجتمع، ترك علماً غزيراً ، ترك عملاً صالحاً، ترك مشاريع خيرية، هذا لم يمت ، لو ترك ولداً صالحاً لم يمت أيضاً.

أنا أذكر مرة ـ ذكرت هذا كثيراً ـ رجل من علماء دمشق الأفاضل المحترمين توفي فكانت التعزية في الأموي ، و ألقى الخطباء كلمات ، وأشادوا بعلمه، و ورعه ، وتقاه ثم قام ابنه وألقى كلمة، ما شاء الله ! لا يقل عن والده من حيث القوة، ثم قال وزير الأوقاف: إكراما للمرحوم ابنه سيعين في مكانه، فقلت في نفسي هذا الأب لم يمت، مادام ترك ولداً صالحاً يدعو إلى الله من بعده لم يمت، غابت عينه ، و هذه آثاره.

عمر الإنسان لا بمدته ولكن بحجم العمل الصالح الذي أودعه في هذا العمر:

لذلك قال سيدنا علي: "العلم خير من المال، لأن العلم يحرسك ، و أنت تحرس المال، والمال تنقصه الصدقة ، والعلم يزكو على الإنفاق، يا بني مات خزان المال ، و هم أحياء ".

وهو في أوج نشاطه، ضربات قلبه ثمانون نبضة، ضغطه ٨ -١٢، كل النسب في دمه صحيحة، قوي، عنده جلد على الجري إلى مالا نهاية.

"مات خزان المال ، و هم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم في القلوب موجودة ".

أنا مرة قلت لطلاب: من يأتي لي باسم تاجر كبير عاش في عام ثلاثة و ثمانين و ثمانمئة و ألف، أعطيه علامة تامة، فكروا و فكروا، قلت لهم: وأنا معكم لا أعرفه ، أم من منا لا يذكر ابن حنبل ؟ الإمام الشافعي ؟ صلاح الدين الأيوبي ؟ سيدنا عمر ؟ من منا لا يذكر هؤلاء ؟ نذكرهم في اليوم الواحد آلاف المرات، مئات ألوف المرات.

"والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة ، و أمثالهم في القلوب موجودة ".

فلنحرص على أن نكسب هذه الدنيا بمعرفة الله، أحياناً يسمع الواحد سيرة عالم، أو محدث ، أو فقيه، أو مجاهد، أو بطل، جاء إلى الدنيا محمد الثقفي الذي فتح الصين، في أي عمر توفي ؟ في السادسة و الثلاثين، عاش ستة وثلاثين عاماً و فتح الصين، تجد الإنسان قيمة عمره لا بمدته ، ولكن بحجم العمل الصالح الذي أودعه في هذا العمر.

العبرة في الآخرة:

الإنسان لو يعرف قيمة الآخرة لا ينام الليل، لا يضيع ثانية من حياته، ينفق كل وقته في العمل الصالح، و في خدمة الخلق ، وفي تعليم العلم ، وفي كسب أعمال تصلح للعرض على الله يوم القيامة، فالغنى غنى معرفة الله، غنى العمل الصالح، غنى القرب منه، وعندئذٍ لا تندم على ما فاتك من الدنيا.

والله مرة كنت أقرأ سيرة سيدنا الصديق، استوقفتني كلمة من قبل الكاتب مؤلف الكتاب و الله حتى الآن كأنها حفرت في أعماقي، " ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ".

هناك شخص محروق قلبه لم يعرف أن يختار زوجته مثلاً ، إنسان محروق قلبه عرضت له تجارة فرفضها وبقي موظفاً ، هناك أشخاص كل حياتهم يجترون فيها آلامهم، سيدنا الصديق ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط، الدنيا ماضية العبرة في الآخرة ، العبرة في العمل الصالح ، العبرة أن

يعرف الله ، هناك إنسان لا يوفق في زواجه يقول: لابأس الحياة قصيرة، هناك إنسان دخله قليل ليس عنده إمكانية ليحسنه فيدبر حاله، يقول لك: لابأس.

ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط، لأنه عرف مهمته في الحياة الدنيا، هذا الحديث أيها الأخوة، حديث مهم جداً.

((يا أيها الناس إن الغنى ليس عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وإن الله عز وجل يوفي عبده ما كتب له من الرزق فأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم))

[أبو يعلى عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨٤-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه وما جاء في ذم الحرص وحب المال -٣

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الله عز وجل لحكمة بالغةٍ في هذه الحياة الدنيا ثبت أشياء وحرك أشياء أخرى:

أيها الأخوة الكرام ، الإنسان يقلق أشد القلق على حياته وعلى رزقه ، حينما يوقن الإنسان أن أجله لا يتقدم و لا يتأخر ، وأن أشد الأمراض لا تنهي أجله، إلا أنه يموت حينما ينتهي أجله ، و أن رزقه على الله، ضمنه الله له في حدوده الدنيا، حينما يوقن أن رزقه وأجله بيد الله ، و أن الله سبحانه وتعالى قال:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ)

(سورة الروم الآية ٤٠)

وجاء فعل رزقكم فعل ماض أي شيء قُطع به، الإنسان حينما يعصي ربه من أجل الرزق يكون جاهلاً، ورد في الأثر:

((أن عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين))

أي تعصيني من أجل الرزق ؟

((لي عليك فريضة ولك علي رزق فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموماً أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد))

الحقيقة لحكمة بالغةٍ في هذه الحياة الدنيا ثبت الله أشياء، وحرك أشياء، فالذي ثبته من أجل استقرار النظام، خصائص المواد ثابتة، دورة الأرض حول نفسها ثابتة، دورتها حول الشمس ثابتة، حركة الأفلاك ثابتة، ثبت أشياء كثيرة جداً، هذا شيء مريح، فمن خصائص المواد ثابتة ، حديد حديد ، ذهب ذهب، نحاس نحاس ، فضة فضة ، ماء ماء، هواء هواء، لو أن هناك تبدلات مفاجئة في خصائص الأشياء، الحياة لا تستقيم ، أنشأت ميناء وضعت فيه الحديد ، وبعد حين تبدلت خواص الحديد، انهار البناء، زرعت شيئاً فنبت شيئاً آخر، البذور ثابتة، المواد ثابتة ، المعادن ثابتة ، الغازات ثابتة ، أشباه المعادن ثابتة، حركة الأفلاك ثابتة ، و حرك أشياء ، حرك الرزق، تأتي أمطار غزيرة ، وتشح السماء، يموت الزرع ، يموت الحيوان، يجوع الإنسان.

الله تعالى ثبت أشياء لاستقرار النظام و حرك أخرى لتربية الإنسان:

الذي ثبته استقرار النظام ، والذي حركه لتربية الإنسان، فالإنسان يربى بالرزق، طبعاً:

(وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً)

(سورة الجن)

أنا شاهدت بنفسي بقرية من قرى دمشق حبة قمح أنبتت خمساً وثلاثين سنبلة أخذت سنبلة بيدي ، وسحقتها فإذا فيها خمسون حبة، أي هذه الحبة أنبتت ألف وسبعمئة وخمسين حبة ، وأحياناً تجد العجب العجاب في القمح، نحن من ثماني سنوات تقريباً أربع ، أو ثلاثة مليون طن كان إنتاج البيع، كل حاجتنا طوال العام طن واحد، أحياناً إنتاج العام يقدر بمئتين و خمسين ألفاً بدل الثلاثة ملايين، فالرزق متبدل.

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)

(سورة الأعراف الآية ٩٦)

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)

(سورة المائدة الآية ٦٦)

صلة الرحم و الأمانة و إقامة الصلاة و الاستغفار تزيد في الرزق:

هناك إنسان إذا وصل رحمه يغتني، صلة الرحم تزيد في الرزق ، بكل أسرة هناك شخص يعطي ، ُيلجأ إليه، بزواج، بعملية جراحية، كبير العائلة، كريم ، وقلبه رقيق، هذا الذي يُلجأ إليه دائماً ، ويعطي، ولا يتردد، هذا له رزق وفير.

فصلة الرحم تزيد في الرزق ، الأمانة تزيد في الرزق، إقامة الصلاة في البيت تزيد في الرزق.

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)

(سورة طه الآية ١٣٢)

الاستغفار يزيد في الرزق، أشياء كثيرة، إتقان العمل يزيد في الرزق.

على كل إنسان أن يعلق آماله على الله عز وجل و لا يظن أنه يرزق نفسه بذكائه:

اليوم الأحاديث حول الرزق حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله))

[صحيح ابن حبان عن أبي الدرداء]

الأجل يطلبك ، والرزق يطلبك، ما معنى هذا الكلام ؟ إياكم ثم إياكم أن تفهموا أن هذا الكلام يعني أن تقعد عن طلب الرزق، لا.

((لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا))

[ابن حبان عن عمر بن الخطاب]

تغدو تتحرك، الحركة مطلوبة ، والسعي مطلوب.

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

(سورة الذاريات)

وحوادث كبيرة جداً ، وقصص رائعة جداً لا مجال لذكرها، الإنسان حينما يريد الله أن يرزقه يكون محله بعيداً، داخلياً، إمكانياته ضعيفة، لغته ضعيفة، الناس يفهمون أن الإنسان إن لم يكن معه لغة لا يمكنه أن يتاجر، اللغة لها دور في التجارة ، ولكن ليس لها كل الدور، الله عز وجل يرزق بعض التجار، وهم لا يفقهون كلمة واحد في اللغة الأجنبية.

هناك دعاء قرأته مرة:

اللهم ارزقني حظاً تخدمني به أصحاب العقول ، و لا ترزقني عقلاً أخدم به أصحاب الحظوظ ".

الله عز وجل عندما يعطي إنساناً يستخدم ألف عقل لخدمته ، وقد يكون الإنسان في أعلى درجة من الذكاء ، كل ذكائه في خدمة إنسان لا يفقه شيئاً، الله هو الرزاق ليس معنى هذا أن نقعد عن طلب الرزق، ولكن معنى ذلك ألا نعصي الله من أجل الرزق، اسعَ، وافعل ما تشاء ، لكن علق الآمال على الله عز وجل ، ولا تظن أنك الذي ترزق نفسك.

((إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله))

[صحيح ابن حبان عن أبي الدرداء]

تقنين الله عز وجل تقنين تأديب لا تقنين عجز:

لذلك قالوا: كلمة الحق لا تقطع رزقاً ، ولا تقرب أجلاً، كلمة الحق لا علاقة لها بالرزق. أتمنى أن يكون هناك أشخاص كثيرون فعلوا شيئاً يقتضي قطع رزقهم لكنهم فعلوا هذا من أجل الله، فربنا عز وجل أغرقهم بفضله.

(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)

(سورة الذاريات)

كيف أن هذا الفرد يتكلم، له طعام يأكله دائماً وأبداً، حينما يقنن الله الرزق على عباده لا يعني هذا تقنين عجز بل تقنين تأديب.

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ)

(سورة الشورى الآية ٢٧)

هناك رواية لهذا الحديث:

((إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله))

[ابن عدي في الكامل عن أبي الدرداء]

إلا أنه لا بد من السعي، لا بد من حركة تتحركها.

الكسب و الرزق:

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

((لو فر أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه الموت))

[رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي))

[أبو يعلى عن سعد بن أبي وقاص]

لأن العلماء قالوا: هناك كسب وهناك رزق ، الرزق الذي انتفعت به فقط، هذا الثوب الذي على بدنك، وهذا السرير الذي تنام عليه ، وهذا الطعام الذي تأكله ، وكل ما سوى ذلك كسب محاسب عليه ولم تنتفع به.

معقول إنسان يستورد بضاعة ، ويحاسب عليها ، ويدفع عليها أعلى نسب الضرائب ، ولا ينتفع منها ؟ هذا شيء صعب جداً، يدفع ضريبة ولا ينتفع من البضاعة، هكذا الكسب محاسب عليه ، لا تنتفع به، الكسب حجمك المالي، أما الرزق التفاحة التي أكلتها، وجبة الطعام التي استهلكتها، الثوب الذي ارتديته وأبليته ، الزوجة التي تعيش معها، هذا الحدود تقريباً بين الناس متشابهة، الآن كل الناس ماذا يأكلون صباحاً ؟ الفقير والغني أكل مألوف، جبن، و لبن ، وجبات الظهر تقريباً متشابهة، المأوى مأوى ، الدفء دفء ، والبرد برد ، والحرارة حرارة، والزوجة زوجة ، تقريباً في الحدود الدنيا الناس متشابهون، أما التفاوت في البذخ ، والافتخار، و العلو في الأرض ، فقد يأكل إنسان فقير طبقاً من الطعام وهو جائع فيستمتع بهذا الطعام أضعاف مضاعفة مما يستمتع به الغني من الطعام ، وقد يأوي الفقير إلى فراشه بعد يوم مجهد فينام نوماً يدفع الغني الملايين كي ينام بهذا النوم المريح.

فالإنسان إذا نام بعد تعب ، وأكل بعد جوع ، وشرب بعد عطش، يستمتع كما يستمتع الغني، الجو اللطيف للجميع، و القمر للجميع ، والشمس للجميع ، و منظر الجبال للجميع، فهناك حدود متشابهة جداً بين الناس، لكن الفقير أحياناً بجهله يتعامى عن الأشياء التي منحه الله عز وجل إياها.

قد تجد إنساناً صحيح الجسم لو يعلم المريض ، أو لو يعلم هذا الصحيح قيمة الصحة لرأى نفسه أغنى الأغنياء ، أغنى الأغنياء وأنت صحيح، فالصحة ثمينة جداً كفاية.

الهداية و الصحة و الكفاية من حصّل هذه النعم الثلاث ما فاته شيء من الدنيا:

سيدنا علي يقول: " ثلاث نعم على التسلسل ، نعمة الهداية ، و نعمة الصحة، و نعمة الكفاية، فمن حصّل هذه النعم الثلاث ما فاته شيء من الدنيا ".

مهتدٍ، ملايين يعبدون البقر في الهند ، ملايين يعبدون النار ، ملايين يعبدون شهواتهم ، ملايين يعبدون المرأة في العالم ، وأنت تعبد الله، ألوف الملايين فهموا الحياة فهماً مغلوطاً.

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

(سورة الكهف)

ملايين مملينة فهموا الحياة فهماً مغلوطاً، فأعظم نعمة أنت فيها أن لك عقيدة صحيحة متطابقة مع الواقع ، وأنك تعبد خالق الكون ، وأنك تمشي على منهج قويم، هذه نعمة يتمناها الملوك حينما يكشف الغطاء، إذا كُشف الغطاء يتمناها أغنى أغنياء العالم، يتمناها أقوى أقوياء العالم ، يتمناها الملوك جميعاً أن يكون مهتدياً.

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

فالمهتدي إلى الله عز وجل هذه نعمة ينبغي ألا يستهين بها ، ثم صحيح الجسم يكون الإنسان مرتاحاً فجأة ورم بمنطقة، أُغلق طريق الأمعاء، أُغلق طريق الصفراء، أُغلق طريق البنكرياس ، ورم مستفحل، كان في شيء ، وصار في شيء ثان، كان في أن الدخل لا يكفي، فرش البيت يجب أن يجدد ، عليه دفع، صار مهموماً، من طبيب لطبيب، لجراحة، لعملية، لقسطرة، لتنظير ، لدسام، دخل إلى عالم ثان هذا المرض أنساه كل شيء.

على الإنسان ألا يذل نفسه من أجل المال و ألا يتضعضع أمام غني:

لذلك نعمة الهدى ، و نعمة الصحة ، والله الذي لا يضطر أن يغسل كليتيه كل أسبوع يجب أن يسجد لله شكراً، كليتان لطيفتان، تعملان بصمت، بهدوء، دون أن تدفع الثمن باهظاً، كل أسبوع مرتين، دون أن تضطجع ثماني ساعات تنتظر دورك في غسيل الكلية.

إذا صعد الإنسان على الدرج ولم يشعر بشيء، هذه نعمة لا يشعر بها إلا من فقدها، فنعمة الصحة، لكن بعد الهدى لا معنى للصحة من دون الهدى ، نعمة الكفاية بعد الصحة لا معنى للكفاية من دون الصحة يستمتع بها، إذاً الحديث الثالث:

((لو فرّ أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه الموت))

[رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري]

أي كن عزيز النفس بمعنى الحديث، إياك أن تذل نفسك من أجل الرزق ، إياك أن تتضعضع أمام غني.

((من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه))

[البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود]

إياك أن تعصي الله من أجل الرزق، المؤمن يقول: لا بملء فمه ، يقول: لا ولا يخشى لومة لائم، إياك أن تأكل الحرام من أجل الرزق ، إياك أن تعصي الله من أجل الرزق.

من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس:

الآن كم إنسان إذا جاءه مندوب شركة يقدم له الخمر حرصاً على بقاء هذه الشركة له ؟ و في النهاية يعصون الله ، و تطير هذه الشركة من بين أيديهم.

((من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

((خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي))

[أبو يعلى عن سعد بن أبي وقاص]

لأن الذي كفاك هو المطلوب أما الزائد عبء عليك، لا تنسى هذا المثل، هناك خط عامودي بمستوى الرزق ، وهناك نقطة حمراء على هذا الخط، دون هذه النقطة هذا المال في خدمتك، وفوق هذه النقطة أنت في خدمة المال، أنت مسخر بطاقاتك ، وفكرك ، و وقتك، وعضلاتك، وهمومك ، وليلك ، ونهارك لإدارة هذا المال، أنت خادم له، فهذه النقطة فاصلة، دون هذه النقطة هو في خدمتك، فوق هذه النقطة أنت في خدمته.

من أصبح جمع المال شغله الشاغل ضيّع دينه و عرضه و شرفه:

و قال عليه الصلاة والسلام أيضاً:

((مَا ذئبان جَائِعَانِ أرسِلاَ في غَنَمٍ بأفْسَدَ لها مِنْ حِرص المرء على المال والشَّرَف لدينهِ))

[أخرجه الترمذي عن كعب بن مالك]

الذي يفسد الدين حرصك على الرزق، صدقوني أيها الأخوة كم من إنسان ترك الدين لأنه عندما دخل إلى المسجد، و تعامل مع إنسان حريص ، مع إنسان شحيح في المسجد، فرأى منه العجب العجاب، فظن أن كل أهل الدين كذلك فترك الدين.

أحياناً الإنسان لحرصه على المال يفعل عملاً عكس الداعية ينفر من الدين لحرصه على المال.

((مَا ذئبان جَائِعَان أرسِلاَ في غَنَمٍ بأفسَدَ لها مِنْ حِرص المرء على المال والشَّرَف لدينهِ))

[أخرجه الترمذي عن كعب بن مالك]

وكان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((اللَّهمَّ إني أعوذ بك من الأربع من علمٍ لا ينفَعُ ومن قلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومن نفسٍ لا تشبع ومن دعاءٍ لا يُسمعُ))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة]

النفس لا تشبع.

(وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٧)

بعد حين يصبح شغل الإنسان الشاغل جمع المال يضيع دينه ، و عرضه ، و شرفه من أجل المال.

الغنى غنى العمل الصالح:

وقال عليه الصلاة والسلام:

((لَوْ كانَ لابْنِ آدَمَ وادِيانِ من مَالٍ لابتَغَى لهما ثالثاً، ولاَ يَملأُ جَوفَ ابْنِ آدَمْ إلا التُّرَابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ على مَن تَابَ))

[البخاري ومسلم عن أنس]

لاحظ إنسان دُفن تحت الأرض ، وهو يملك الملايين تركها كلها لورثته ، و قد ينفقونها حلالاً أو حراماً ، وقد يحاسب عليها ، وحينما تشبع جنازته ترفف روحه فوق النعش تقول: يا أهلي يا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حلّ وحرم فأنفقته في حله ، و في غير حله، فالهناء لكم والتبعة عليّ.

لهذا الحديث تتمة فيقول:

((و الذي نفسي بيده لو يرون مكانه و يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم و لبكوا على أنفسهم فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله و انقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته و غمرته غمراته فمن أهل بيته الناشرة شعرها و الضاربة وجهها و الباكية لشجوها و الصارخة بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام ويلكم مم الفزع و مم الجزع ما أذهبت لأحد منكم رزقاً و لا قربت له أجلاً و لا أتيته حتى أمرت و لا قبضت روحه حتى استأمرت و إن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحداً))

((يقول عليه الصلاة و السلام و الذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم و لبكوا على أنفسهم))

[أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي و روى معناه مرفوعاً في الخبر المشهور المروي في الأربعين عن أنس بن مالك]

أنا ألاحظ عندما يموت الأب و يكون بخيلاً تجد هناك فرحة عميقة بالبيت، مع أنهم أطالوا ذقونهم، ولبسوا الأسود، لكن من الداخل فرح شديد، يتوهمون أنهم لن يموتوا، العقبة مات، و هم لن يموتوا، فيتبعونه واحداً ، واحداً.

إنسان ورث شخصاً ترك ألف مليون، أحد الورثة كان نصيبه تسعين مليوناً، عنده محل صغير، ترك المحل وأغلقه ، ولاحق موضوع التركة من مالية ، و براءات ذمة ستة أشهر، و لم يرتاح يوماً، وهو يتابع لأن المبلغ كان ضخماً جداً، مات قبل أن يأخذ درهماً واحداً.

فالإنسان في أجل ، وفي موت، الإنسان يكون غنياً بالعمل الصالح هذا ينفعه في القبر أما هذا المال!.

قال إنسان لآخر إلى أين أنت ذاهب ؟ والله لا أنسى هذه الكلمة، أب ترك لابنه قريب مئة مليون في عام أربعة و سبعين و تسعمئة و ألف، كان الدولار ٣.٨٠ ترك مئة مليون، فقال إنسان لابنه إلى أين أنت ذاهب ؟ قال له: ذاهب لأسكر على روح أبي.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨٥-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في طلب الحلال والأكل منه والترهيب من اكتساب الحرام وأكله و لبسه -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-١١

بسم الله الرحمن الرحيم

السنة كلها فهم وبيان لكلام الله عز وجل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله طيِّب لا يقبلُ إلا طيباً وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ثم ذكرَ الرجلَ يُطيل السَّفر أشعثَ أغْبَرَ يمدّ يديه إلى السماء يا ربِّ يا رب ومطْعمه حرام ومشْرَبُهُ حرام وملبَسَهُ حرام وغُذِيَ بالحرام فأنَّى يُستجَاب له))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

أحد العلماء الكبار يقول: ما من حديث نطق به النبي عليه الصلاة والسلام إلا استنبطه من كلام الله ، يعد فهم النبي عليه الصلاة والسلام لكلام الله أعلى فهم على الإطلاق بل إن السنة كلها في حقيقتها فهم وبيان لكلام الله عز وجل.

فالنبي جمع الآيتين:

(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً)

(سورة البقرة الآية: ٥١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

(سورة البقرة الآية: ١٧٢)

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

كل إنسان مكلف أن يطبق منهج النبي الكريم:

الحقيقة الإنسان عنده وهم أنه كلما كلفته بطاعة ، أو بطاعة شديدة، يقول لك: أنا لست نبياً ، ومن قال لك إنك نبي ؟ لكنك مكلفٌ أن تطبق منهج النبي.

إذا كلفنا ممرضاً أن يعطي إبرة لمريض ، يجب أن يعقمها تماماً كما يعقمها جراح القلب ، ومن قال لك أيها الممرض إن الطبيب جراح قلب ؟ أنت عندما تعطي إبرة يجب أن تعقمها كما يعقمها أعلى طبيب في العالم، هذا حل أدنى.

بالمنهج الإلهي، بالأمر والنهي لا يوجد مؤمن ورسول، منهج واحد، أما التفاوت بالمقامات، أعلى ولي لا يصل إلى واحد بالمليار من مقام النبي، ومع ذلك:

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

هناك آية أوضح بسورة هود:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)

(سورة هود الآية: ١١٢)

بالأمر والنهي لا يوجد تفاوت، بالأعمال الصالحة هناك تفاوت، افعل ما تستطيع من الأعمال الصالح، بالإنفاق، بالدعوة إلى الله، بالبذل والعطاء، قدم على قدر طاقتك، أما بالاستقامة لا يوجد على قدر طاقتك.

من يومين كنت في جلسة خطر في بالي مثل: إنسان انطلق من طائرة ليهبط إلى الأرض بمظلة، هناك عشرات المعلومات في المظلة قد يعرفها وقد لا يعرفها، لكن هناك معلومة واحدة إذا ما عرفها نزل ميتاً، يجب أن يعرف كيف يفتح المظلة، فقط، أما نوع الحبال، يا ترى الحبال صناعية أم طبيعية ؟ نوع القماش هل هو حرير طبيعي أم حرير صناعي ؟ مساحة القماش، طول الحبال، هذه إن عرفها جيداً وإن لم يعرفها لا يتأثر بجهله بها، أما حينما لا يعرف أن يفتح المظلة لا بد من أن يموت.

فبالعلم الديني علم سماه العلماء علم ينبغي أن يُعلم بالضرورة، لا يوجد إنسان معفى من هذا العلم، مهندس، طبيب، أستاذ جامعة، أديب، شاعر، عالم، جاهل، صاحب حرفة، كل إنسان يجب أن يعرف هذه، و إلا هلك، هذا العلم الذي وصفه العلماء فرض عين على كل مسلم، مصطلحه بكتب الفقه العلم الذين ينبغي أن يعلم بالضرورة، كمن يتعلم فتح المظلة وهو مظلي، هذا شيء أساسي، أما هناك أسئلة كثيرة هو معفى منها.

الحلال والحرام لا يتعلق بنبي أو مؤمن بل يجب أن يعلمه كل مسلم وأن يطبقه:

لذلك الإنسان إذا لم يعرف أحاديث الحلال والحرام، أحكام البيوع، أحكام الزواج، هذه أساسية، كل واحد منا متزوج وعنده زوجة وأولاد، ويعمل بعمل معين، الأحكام الفقهية المتعلقة بهذا العمل، والأساسيات في أركان الإسلام، والإيمان، والعبادات، هذه أشياء يجب أن تعلم بالضرورة، وإلا هلك.

فهنا استنبط النبي عليه الصلاة والسلام أن الحلال والحرام لا يتعلق بنبي أو مؤمن، هذا الحلال والحرام يجب أن يعلمه كل مسلم، وأن يطبقه كل مسلم بصرف النظر عن مرتبته.

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

يقول لك: أنا لست نبياً، ومن قال لك إنك نبي ؟ أو إنك واحد من مليار من ولي؟ لا، لكن أنت مسلم، من أجل أن تنجو، من أجل ألا تهلك، من أجل ألا تأكل الحرام، من أجل أن تكون ذا دعاء مستجاب، يجب أن تفهم هذه الحقائق.

إنفاق المال يجب أن يكون حلالاً ليرقى بصاحبه إلى الجنة:

((إن الله طيِّب لا يقبلُ إلا طيباً))

هناك شرح معنى طيب: إن الله منزه عن النقائص، مقدس عن الآفات والعيوب، لا يقبل إلا طيباً، إلا حلالاً، إنفاق المال يجب أن يكون حلالاً، هناك كثير من الناس يضعون مالهم في البنك و يأخذون الفائدة وينفقونها، نقول لهم:

((إن الله طيِّب لا يقبلُ إلا طيباً))

هناك الكثير من المشاريع أنشئت بالفوائد، فوائد أموال معينة أنشئ بها مسجد، تشعر بانقباض في هذا المسجد، لا يوجد راحة، لأنه بني من مال غير مشروع.

((إن الله طيِّب لا يقبلُ إلا طيباً))

من أجل أن ترقى بهذا المال إلى الجنة، يجب أن يكون حلالاً صرفاً.

حتى إنه ورد الذي يحج بمال حرام ما إن يضع رجله بالركاب يقول: لبيك الله لبيك، يناديه منادٍ في السماء: أن لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك.

أخطر شيء كسب الرزق لأن أساليب كسب الحرام لا تعد ولا تحصى:

أخطر شيء كسب الرزق، فالإنسان إذا كان صادقاً، لن يغش الناس، لن يحتال عليهم، لن يكذب عليهم، لن يحتكر أرزاقهم، لن يستغل حاجتهم، لن يسلك طرقاً ملتوية في كسب الرزق. أحياناً القضية خاسرة، هناك اجتهاد بمحكمة النقد لا يمكن للقاضي أن يحكم لهذا الموكل، يقول له: رابحة، أعطنا دفعة أولى كأتعاب، ويتركه ثماني سنوات، من تأجيل لتأجيل، والمحامي يعلم معرفة يقينية أن الدعوة خاسرة، هذا الكسب حرام.

طالب لا يوجد أمل في نجاحه، نعطيه دروساً، ونضيع الوقت، ونأخذ على الساعة ألف ليرة، هذا كسب حرام، بضاعة نغير مواصفاتها، نبيعها على أنها من بلد وهي من بلد آخر هذا الكسب حرام،

أي أساليب كسب الحرام لا تعد ولا تحصى، فإذا أنت استطعت أن يكون قرشك حلالاً من طريق مشروع، لا يوجد احتيال، لا يوجد إيهام، لا يوجد كذب، لا يوجد تدليس، لا يوجد استغلال، لا يوجد احتكار، لا يوجد عقد ربوي، معنى هذا أنك مستقيم.

ربط إجابة الدعاء بالدخل الحلال:

النبي عليه الصلاة والسلام ربط إجابة الدعاء بالدخل الحلال، كلمة دخل حلال أي أنت مستقيم، كلمة مالك حلال، أو مالك طيب أي أنت مستقيم، تجد المؤمن عنده رقابة داخلية عجيبة، أقرب مراقب له لا يفلح، بل هو يراقب نفسه.

أضرب مثلاً: أخ من أخواننا يعمل في تصليح السيارات، جاءته سيارة، علبة السرعة معطلة، قال لي: فتحتها فوجدت بها قطعة مكسورة، يوجد منها في السوق، كلفت الصانع أن ينظفها، وذهبت حتى أحضر القطعة، فوقعت هذه العلبة من يد الصانع و هو ينظفها فكسرت فيها قطعة أخرى لا يوجد منها في السوق، وصاحب السيارة معلوماته أن علبة السرعة معطلة، أما عندما فتحناها أخبرناه أن فيها قطعة مكسورة و هذه القطعة المكسورة موجود منها، و لكن عندما كسر الصانع القطعة الثانية التي لا يوجد منها، ماذا فعل ؟ ذهب واشترى علبة سرعة جديدة، وركبها، وحاسبه على ثمن القطعة، ثمنها أربعون ليرة ـ القصة قديمة ـ قال لي: أخذت منه مئة ليرة، أربعون ليرة سعر القطعة الأولى المكسورة، وستون فك وتركيب، أما هو كان قد دفع أكثر من ألفي ليرة من جيبه، السبب لأن هذا الخطأ خطأه وليس خطأ صاحب السيارة، إذاً هذا الإنسان راقب نفسه، و حاسبها.

يمكن إنسان يلف محركات، قال لي: كلفته خمس ليرات، ثم وجد خطأ خارجياً مقطوعاً، فلحمه بالكاوي، وقال له: خمس و عشرون ليرة عندما جاء، لا يوجد قوة تكشفه، قال له: خمسة، قال: هذه خمسة، قال له: خمس وعشرون فقط.

هناك أمثلة، الإنسان يراقب نفسه مراقبة مذهلة، قال لي شخص: والله أديت للورثة عشرين مليوناً، ولا يعلون أين هي، رجل بخيل وكتوم وضع هذا المال عند شخص ومات بحادث، لا يوجد إيصال، ولا إخبار، وانتهى، أديت المبلغ بالتمام والكمال للورثة دون أن يعلموا عنه شيئاً.

الرقابة الذاتية مذهلة، إذا الإنسان كان ورعاً تجد العجب العجاب، يحاسب نفسه على الليرة، على القرش، ولا يمسح أن يدخل عليه قرش من مال حرام، هذا المؤمن، لو كانت حياتنا هكذا لشعرنا بسعادة لا توصف، مشكلة المسلمين الآن عندما تفلتوا من منهج الله إذا تعامل مع إنسان، لغز، مشكلة، سرقة، غش، تدليس.

من كان مستقيماً في كسب ماله يكرمه الله عز وجل بصحة يغبطه عليها معظم الناس:

الله ربط الاستجابة، وربط الدين كله بالكسب الحلال:

((إن الله طيِّب لا يقبلُ إلا طيباً وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ثم ذكرَ الرجلَ يُطيل السَّفر أشعثَ أغْبَرَ يمدّ يديه إلى السماء يا ربِّ يا رب ومطْعمه حرام ومشْرَبُهُ حرام، وملبَسَهُ حرام وغُذِيَ بالحرام فأنَّى يُستجَاب لذلك))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

زرت والد صديق لي بالعيد، طبعاً الأب استقبلني، قال لي: أنا عملت تحليلاً ـ عمره ست و تسعون سنة ـ الحمد لله، كله كامل، إنسان بالسادسة و التسعين لا يوجد عنده مشكلة بالتحليل ؟ لا بالشحوم الثلاثية، ولا بحمض البول، أبداً كله تمام ؟ ما هذه الأجهزة ! قال لي: الحمد لله طوال حياتي ابتعدت عن المال الحرام، والله سمعتها من عشرات الأشخاص، الصحة عجيبة.

دخلت لعند طبيب مصور، جلست عنده، وجدت شهادته ١٩٢٢، حاصل على هذه الشهادة من المعهد العربي الطبي بالعهد العثماني، وهو طبيب مصور مشهور جداً، ما شاء الله طول، وهيئة، ابنه يصور يد طفلة، أخذ ثلاثمئة ليرة، قال له: يا بني هذه البنت صغيرة يكفي أن تأخذ مئتي ليرة.

أنا ربطت بين هذا العمر المديد، والصحة الطيبة و بين الاستقامة، فإذا كان الإنسان مستقيماً في كسب المال الله عز وجل يكرمه بصحة يغبطه عليها معظم الناس، كله بحسابه.

دخل لعندي شخص، قال لي: كم تقدر عمري ؟ أنا والله اجتهدت وقلت له: ستون عاماً، قال لي: ست و سبعون سنة، يعمل بسلك الجمرك من أربعين سنة، قال لي: والله لم آكل قرشاً حراماً، ولا ليرة، ولا آذيت إنساناً، هذه القصة من اثنتي عشرة سنة، قال لي: عاقبت أربعين موظفاً كانوا يمدون أيديهم للحرام وماتوا و هم فقراء جداً.

عدم الطمع بالحرام لأنه يدمر صاحبه:

تجد شيئاً عجيباً، إنسان مستقيم يمتعه الله بصحة، وبمكانة، وبنورانية، حتى آخر لحظة بحياته، هذا كلام النبي وهو حديث صحيح:

((وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

يجب أن نستقيم، و الإنسان إن لم يستقم فالعبادات النافلة لا تقبل.

((إن الله طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً))

هل يوجد بالكسب شبهات، أو مال حرام، أو كذب، أو تدليس، أو إيهام، أو زيادة أسعار، الله عز وجل يدمر، ولا يهنئ الإنسان بهذا المال.

عندي طالب خاله صاحب سينما، أصيب هذا الخال بمرض خبيث بدمه، قال لي: كان خالي يبكي و يقول: جمعت هذه الثروة حتى أسعد بها و لم أهنأ بقرش واحد، القصة قديمة جداً، كان قد جمع خمسة ملايين، و الخمسة ملايين في عام ألف و تسعمئة و ستون تقدر بخمسمئة مليون الآن، هيأهم لخريف عمره، يسافر، يعمل رحلات، ويرتاح، جاءه سرطان بالدم، ومات.

فالإنسان يحرص على الدخل الحلال، ولو كان قليلاً فيه بركة.

والله أعرف أشخاصاً غير معقول أن يعيش بهذا المبلغ، ومع ذلك يعيش و هو مطمئن، كل شيء عنده، بالحسابات صعب، لكن الله عز وجل منعم عليه و هو راض.

هذا الحديث أساسي بحياتنا أساسي، لا تطمع بالحرام أبداً لأنه يدمر صاحبه.

((من أخذ أموال الناس يُريدُ أداءها أدَّى الله عنه ومن أخذ أموال الناس يُريدُ إتْلافها أتلفه الله))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة]

العبادة ليست بالمسجد إنما بعملك الذي تؤديه:

قضية الدخل مهمة جداً، العبادة ليست بالمسجد إنما بالمحل، الدين ليس هنا، هنا من أجل أن تتلقى العلم فقط، وتطبقه بالمحل، دينك بالمحل، دينك بالعيادة، دينك بالمكتب الهندسي، دينك بالدكان، دينك وأنت تعمل.

أنا بحسب معلوماتي المتواضعة هناك مليار باب للحرام، كل مصلحة فيها حرام.

قال لي إنسان: ـ القصة من أربعين أو خمسين سنة ـ ذهب وعصر زيتونةً في معصرة، و قد عصرهم صاحب المعصرة أمامه ثم وضعهم له بالتنكة، وبعدها اكتشف وجود مستودع على السقيفة فيه زيت نباتي، موصول لقعر الحوض للمعصرة، فيعصر نصف الزيتون، ويفتح السكر من النباتي على قدر النصف الثاني، ويقول لك: أمام عيني عصرت الزيتون وأخذتهم، الغش قديم.

فكل إنسان يغش الله عز وجل يقصمه، هذا حديثنا اليوم، احرص على ليرة حلال كل مصلحة فيها.

والله عندنا أخ قال لي: والله أنا وأربعة أخوة شركاء، كل أخ يسحب مئة و عشرين ألف بالشهر، قال لي: هناك عمل غير صحيح، فيه حرام، هو عدّ نفسه صانعاً يأخذ خمسة عشر ألفاً ويعيش بهم، لأن الدخل الباقي كله مشبوه، أخوته يأخذون مئة و عشرين ألفاً بالشهر ؟ هو شريك معهم، و العمل عليه قائم، ويأخذ حاجته كأجير، وترك الحرام لأخوته، وعاش بسعادة كبيرة.

من يحاسب نفسه حساباً عسيراً يحفظ الله له أهله و صحته و أولاده:

أهم شيء بالدين دخلك، دينك بمكان عملك، هناك الدين، هنا تتلقى العلم فقط الدين ليس هنا، الناس يتوهمون أن الدين بالمسجد، لا، ماذا تعمل ؟ كيف تعامل الناس ؟ هل هناك إتقان بعملك ؟ هل هناك كذب ؟ يمكن أن تأخذ ثمن دسام خمسة و ستين ألفاً و هو أمريكي الصنع، وتضع دساماً صيني بخمسة و ثلاثين ألفاً ؟ من يكشفها هذه ؟ هل يستطيع أن يفتح قلبه مرة ثانية ويرى ما نوع الدسام ؟ المريض مخدر، ووضع له هذا الدسام.

القصص بكل حرفة، لا يوجد حرفة إلا و فيها ألف طريقة للحرام.

مثلاً علبة دواء انتهى مفعولها، يشطب محل الانتهاء وتُباع، لا أحد يشعر بهذا لكن الدخل أصبح حراماً، فالإنسان إذا حاسب نفسه حساباً عسيراً الله عز وجل يحفظ له صحته، وأهله، وأولاده، ويبارك له في ماله.

أحد أخواننا يقول لي: ـ عنده معمل أغذية، أولاد المسلمين يشترون منه ـ والله أضع أحسن نوع من الزبدة، و أحسن شوكولا، لكن يجب ألا أربح، هناك منافسة، وأسعار رخيصة جداً، قال لي: لكن يوجد بركة، قال لي: أربح، لكن كيف لا أعرف، على حسب المواد الجيدة التي يضعها، وسعر السوق المنافس، لا يستطيع أن يرفع السعر و لكنه يربح و لا يعرف كيف.

فالإنسان إذا عملَ عملاً طيباً يجب أن يضع كل كلام الناس تحت قدمه، هناك أناس كثيرون يعطونك معلومات غلط كلها، معلومات شيطانية، يقولون لك: إذا ما غششت لا تربح، لا، أريد أن أربح ولا أغش، وليس شرطاً أن يصبح معي ملايين، الشرط أن أعيش حياة كريمة أنا وأهلي.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨٦-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في طلب الحلال والأكل منه والترهيب من اكتساب الحرام وأكله و لبسه -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخلاق مؤلفة من خصال كثيرة لكن أركان هذه الخصال الصدق والأمانة والعفة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وحسن خليقة وصدق حديث وعفة طعمة))

[رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الحقيقة الأخلاق مؤلفة من خصال كثيرة، لكن أركان هذه الخصال الصدق، والأمانة، والعفة.

سيدنا جعفر حينما قال:

((كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

النسب شيء آخر، النسب تاج يتوج الإنسان إذا صلح إيمانه وخلقه، أما إذا لم يصلح لا قيمة له.

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

(سورة المسد)

أما الصدق والعفة، أولاً الصدق:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أخرجه الإمام عن أبي أمامة الباهلي]

لمجرد أن تكذب لست مؤمناً، لمجرد أن تخون لست مؤمناً، الأمانة:

((لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني عن أنس بن مالك]

والحقيقة الدين أخلاق، والدين بناء أخلاق، والعبادات أعمدة، وليست هي الدين.

((بُنِي الإسلامُ على خَمْسٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر]

هذا الإسلام، وهذه الخمس، فلذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا))

[رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

والمؤمن إذا حصّل في هذه الدنيا طاعة الله، إذا حصّل رضوان الله عز وجل، إذا كان يعمل في رضوان الله، ينبغي ألا يندم على شيء فاته من الدنيا.

لا تندم على شيء فاتك من الدنيا:

سيدنا الصديق ـ رضي الله عنه ـ قالوا عنه: ما ندم على شيء فاته من الدنيا، هناك إنسان يتكلم ويكاد قلبه يحترق، أنه أضاع من يده أرضاً، كان ثمنها ثلاثمئة ألف الآن ثمنها عشرون مليوناً، هذا البيت أضعته من يدي، كنت خاطباً لفلانة، تشددت فتزوجت، و قد كانت أنسب إنسانة لي، فكل إنسان يتحسر على بيت فاته، أو على أرض، أو على زوجة، أو على منصب، أو على سفرة، أو على بعثة، أما سيدنا الصديق قال: ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط.

إذا وصلت إلى الله لا تندم على شيء فاتك من الدنيا، لأنه يا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وإذا لم تصل إلى الله، وأن الدنيا كلها بين يديك، فأنت الخاسر الأكبر، ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟.

((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة))

[رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر]

قضية الأمانة شيء كبير جداً، والإنسان الكريم يغتني، النبي الكريم قال:

((الأمانة غنىً))

[القضاعي عن أنس بن مالك]

قال لي شخص والده من أغنياء سوريا: هل تعلم سبب غنى والدي، قلت: لا والله، قال لي: عليه دين لإنسان نصراني، دين بالليرة الذهبية العثمانية، صدر قرار ـ القصة قديمة جداً ـ مُنع التعامل بالذهب، وأي التزامات مالية ذهبية تؤدى بالعملة السورية، وكان الفرق عشر، وإذا كان هذه الدين يقدر بمليون بقي مئة ألف إذا نُفذ القانون، فهذا الرجل صاحب أمانة فسعى جاهداً أن يوفي دينه بالعملة الذهبية، فهذا النصراني وكيل شركة ضخمة جداً، عندما فُصلت سوريا عن لبنان جمركياً، يحتاج إلى وكيل في سوريا، وهو على فراش الموت أوصى أولاده أن تكون الوكالة لفلان المسلم، الذي أدى الأمانة بالذهب، وهذا كان سبب الغنى الذي وصل له.

الإنسان بالهدوء والحلم يصل إلى كل شيء:

هناك كثير من القصص الإنسان بموقف أمين يصل إلى كل شيء.

((حفظ أمانة وصدق حديث))

[رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

المؤمن لا يكذب يمكن أن تحتمل من موظف عندك ألف غلطة إلا أنه لا يكذب، ألف غلطة إلا أنه لا يخون، كذب وخيانة بالإسلام لا يوجد، هناك أخطاء كثيرة لكن لا يكذب.

((حفظ أمانة وحسن خليقة وصدق حديث))

المؤمن حليم، والحلم سيد الأخلاق، وكاد الحليم أن يكون نبياً، والإنسان بالهدوء والحلم يصل إلى كل شيء.

((إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيء إلا زَانَهُ ولا يُنْزَعُ مِن شيء إلا شانَهُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عائشة أم المؤمنين]

((إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف))

[أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة]

((علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف))

[أخرجه الحارث عن أبي هريرة]

فعلاً هذا شيء جميل، صادق، أمين، خلوق، عفيف، العفة في الطعمة، الإنسان لا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، العفة خلق أصيل بالإنسان، أحياناً يكون مال كثير بين يديك ليس لك، الطماع يأكل المال الحرام، أما المؤمن عفيف، فقير لكن متجمل، هناك فقير غير متجمل، فقير حسود، المؤمن فقير لكنه متجمل، أي رضي عن الله عز وجل فيما أعطاه، ليس معناها أن المؤمن كسول، المؤمن نشيط يسعى بكل جهده لرفع مستوى معيشته، أين وصل به السعي هنا، انتهى، لا يعمل شيئاً فوق طاقته، لا يعصي الله من أجل أن يأكل الطعام الطيب، لا يعصي الله من أجل أن يسكن بيتاً واسعاً، لا، المؤمن عفيف.

من علائم الإيمان العفة عن المحارم و المطامع:

إذاً: من علائم الإيمان العفة عن المحارم، و من علائم الإيمان العفة عن المطامع.

وقد ورد في بعض الأحاديث:

((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وحسن خليقة وصدق حديث وعفة في طعمة))

[رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

((أيما رجل كسب مالا من حلال فأطعم نفسه أو كساها فمن دونه من خلق الله فإن له به زكاة))

[ابن حبان عن أبي سعيد الخدري]

أنت أكلت، وأطعمت أهلك، أي جهة من بني البشر، أو من غير بني البشر استفادت من كسبك، هناك هرة أطعمتها، ضيف أكل، الجيران سكبت لهم، أي جهة استفادت من كسبك الحلال فإنه لك به زكاة.

إطعام الطعام من أفضل الأعمال في الإسلام لأنه يؤلف القلوب و يقربها:

المال الحلال كل إنفاقه عمل صالح، العبرة أن يكون الكسب حلالاً، الآن الإنفاق يسجل لك أعمالاً صالحة، هناك إنسان يطعم الطعام كثيراً، وإطعام الطعام من أفضل الأعمال في الإسلام، يؤلف القلوب و يقربها.

((ومن جمع مالا حراماً ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة]

لأن الله:

((طيِّب، لا يقبلُ إلا طيباً))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هذه التي زنت وتصدقت ليتها لم تزني ولم تتصدق، هناك أشخاص كثيرون لهم دخل مشبوه، ماذا يفعلون ؟ يقدمون بعض المال في سبيل الله، هم على زعمهم يغطون هذه بهذه، الإنسان إذا كسب المال الحرام اختل توازنه، فإذا عمل أعمالاً الصالحة هذا المال الحرام يتوهم أن الله يرضى عنه، لا.

((إن الله طيِّب لا يقبلُ إلا طيباً وإنَّ الله أمرَ المؤمنين بما أمر به المرسلين))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

((و من جمع مالا حراماً ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة]

هناك إنسان يقول لك: أنا أضع مالاً في البنك وآخذ الفائدة وأدفعه للفقراء، أو أضع مالاً في البنك وآخذ فائدة وأدفعه ضرائب، طريقة غير صحيحة، وغير سليمة، الحرام حرام، أينما كان، ولأي هدف، لأي هدف الحرام حرام.

الورع يدقق في كسبه لأن عدم المبالاة بنوعية الكسب من صفات آخر الزمان:

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((يأتي على الناس زمان لا يُبالي المرءُ ما أخذَ منه أمِنَ الحلال أم من الحرام))

[أخرجه البخاري والنسائي عن أبي هريرة]

لا تدقق، كيف لا أدقق ؟ الورع يدقق في كسبه.

((لا يُبالي المرءُ ما أخذَ منه أمِنَ الحلال أم من الحرام))

عدم المبالاة بنوعية الكسب من صفات آخر الزمان، والآن معظم الناس يهمهم الكسب الكبير بشكل مشروع أو غير مشروع، في كذب، في تدليس، لا يهمه.

قال له: قل له عملية قيصرية، قال له: لا يوجد حاجة للعملية القيصرية، قال لي: هذا ليس من عملك هذا لصالح المستشفى، عملية الولادة العادية تقدر بألفين أو ثلاثة آلاف، القيصرية يأخذ منه ستة عشر ألفاً، قال له: هذا لصالح المستشفى، يجب أن يكون هناك دخل كبير، نكلف إنساناً فوق طاقته، دخل إلى المستشفى ليلة واحدة أخذ منه خمسين ألفاً، فحوصات، تحليلات تنظير، العملية لم تبدأ، تشعر الأرقام عشرة أضعاف، لا يبالي الطبيب من حرام أم من حلال، والمحامي كذلك، أكثر المهن التي لا يوجد فيها تقوى، الحقيقة ذكرنا هذه الكلمة عرضاً، أما كل الحرف فيها حرام، أي حرفة، التاجر، المدرس، المهندس، الطبيب أحياناً يكون هناك تجاوزات.

((يأتي على الناس زمان لا يُبالي المرءُ ما أخذَ منه: أمِنَ الحلال أم من الحرام))

[أخرجه البخاري والنسائي عن أبي هريرة]

الفم والفرج هما السببان الأكبران في دخول الإنسان النار:

آخر حديث:

((سُئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدْخِلِ الناسَ النار قال الفمُ والفرج))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

أي الطعام الذي يأكله الإنسان حراماً، أي كسبه حرام، والسلوك الذي يخالف فيه منهج الله في علاقته بالمرأة، له تطلعات لغير زوجته مثلاً، له علاقات مشبوهة، الفم والفرج هما السببان الأكبران في دخول الإنسان النار.

((وسُئل عن أكثر ما يُدْخِلُ الناس الجنة قال: تقوى الله وحسن الخُلقُ))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

تقوى الله، و الطاعة، والعمل الصالح، أما الفم والفرج أكبر سببين لدخول الإنسان النار.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٨٧-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في الورع وترك الشبهات وما يحوك في الصدور -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

لا ينبغي للعبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس:

أيها الأخوة الكرام، حديث اليوم يقول:

((إنّ الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبينها أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعِرْضهِ ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يَوشك أن يرتَعَ فيه ألا ولكِّ ملك حمى إلا وإنّ حمى الله محارمُه ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلَحتْ صلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كلُّه ألا وَهِيَ القلبُ))

[متفق عليه عن النعمان بن بشير]

بتعليمات وضع الأسئلة في امتحان الثانوية العامة الفقرة التالية: أنه يجب أن يوضع سؤال يعرفه معظم الطلاب، سؤال سهل ، وسؤال آخر يعرفه المتوسطون فقط ، و سؤال في الامتحان لا يستطيع الإجابة عنه إلا المتفوقون ، هذه من تعليمات الامتحان، فالطالب عندما يجيب على السؤال الأول معنى هذا أنه ضعيف، لأن السؤال سهل ، و إذا استطاع أن يجيب على السؤال الثاني فهو متوسط، أما هؤلاء الذين يجيبون على السؤال الثالث، هؤلاء متفوقون حكماً، سؤال محاكاة، سؤال استنباط ، لا يعتمد على الذاكرة إطلاقاً يعتمد على قوة الإدراك.

لو أن كل شيء في الحياة حلال أو حرام ، الإنسان صار أبيض أو أسود ، إما أنه فعل الحلال فنجا، أو فعل الحرام فهلك ، لكن لحكمة بالغةٍ بالغة أرادها الله ، هناك شيء واضح حلال، و هناك شيء واضح حرام ، لكن هناك أشياء يوجد أدلة تؤكد أنها مسموح بها، و هناك أدلة أخرى تؤكد أنها محرمة، فإذا كان هناك دليل المنع ، و دليل الإباحة هذه قضية شبهة، هذا السؤال الثالث من ينجح به ؟ الورع، الأقل ورعاً، يقول لك: يوجد فتوى ، أما الورع يقول لك: لا الأولى تركه، هناك أشياء كثيرة من هذا القبيل.

فالإنسان حينما يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس بلغ درجة المتقين، كل إنسان ترك ما حرمته الفتوى هذا سؤال بسيط، السرقة حرام، شرب الخمر حرام، الزنا حرام ، الزواج حلال، الكسب المشروع حلال، هناك أشياء متفق عليها أنها حلال، والإنسان إذا فعلها لا يشعر بشيء أبداً ، وهناك

أشياء متفق عليها أنها حرام إذا فعلها سقط، لكن يوجد أشياء تجعل في الإنسان قلقاً، هذه الأشياء المشتبهات، الأورع تركها.

((ركعتان من رجل ورع خير من ألف ركعة من مخلط))

[الجامع الصغير عن أنس، وفي إسناده مقال كبير]

أحياناً هناك أجهزة لها مضار، و المذاهب تختلف في بيعها ، بعض المذاهب لا تجيز بيعها أبداً ، العود مثلاً، هناك مذهب يقول لك: هذا العود أساسه من الخشب ، و الخشب ينتفع به بإشعاله، هل من الممكن أن يشتري الإنسان العود حتى يتدفأ عليه ؟ هناك فتوى ؛ أنه ما دام مصنوع من الخشب، والخشب ينتفع به لغير هذه الآلة، هل من الممكن مثلاً أن إنساناً عنده حمام على الحطب يشتري عوداً سعره خمسة آلاف ليكسره ويشعله ؟ لا يمكن هذا ، لكن فيها فتوى.

((فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعِرْضهِ))

[متفق عليه عن النعمان بن بشير]

و من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه، الإنسان إذا ترك الشبهات ترك ما اشتبه عليه فهو لمن استبان أترك ، و من وقع فيما اشتبه عليه فهو لمن استبان أوقع، فالإنسان إذا اقترف الشبهات صار أسهل أن يقترف المحرمات.

ما يؤكد ورعك و حذرك و خوفك من الله أن تدع شيئاً تجيزه بعض المذاهب:

الآن الله عز وجل أمرنا بالصلوات ، و الفرائض ، و هناك سنن فالإنسان إذا ترك السنة صار من السهل عليه أن يترك الفرض، إذا نفسه حدثته أن يترك السنة و يصلي الفرض فقط، هو بعد حين سوف يترك الفرض ، و إذا أدى السنن طبعاً صارت الفرائض مفروغاً منها، فهذا السؤال الثالث، أول سؤال بسيط لكل الطلاب ، والسؤال الثاني للمتوسطين، أما الثالث للمتفوقين.

فالذي يؤكد الورع ، والحيطة ، والحذر ، والخوف من الله أن تدع شيئاً تجيزه بعض المذاهب، بعض الفتاوى ، و بعض الفتاوى الأخرى لا تجيزه.

مثلاً ما قيل في بعض المذاهب عند الأحناف، أنه يجوز أن تأكل مالاً حراماً في بلد المستأمن برضاه، بقصد إضعافه، أنا من الممكن أن أضع مالاً ببنك بأوربا ، طبعاً تكون الدولة غير معادية، دولة مسالمة، هناك تمثيل دبلوماسي فيما بيننا، هذا اسمه بلد مستأمن أما عندك بلد الحرب ، ديار الحرب ، وديار السلام ، وديار المستأمنين، فديار الحرب مع اليهود مثلاً، ديار السلام بلاد المسلمين ، أما ديار المستأمنين دولة أجنبية لا يوجد حرب بيننا، هناك تمثيل دبلوماسي ، و معاهدات، قيل في بعض المذاهب عند الأحناف: يجوز أن تأكل المال الحرام في بلد المستأمن بقصد إضعافه، هذه فتوى دقيقة جداً.

مرة جاءتني رسالة من ألمانيا، طالب طب دخل كلية الطب، واشترى مجلة مشهورة هناك ، و لم ينتبه أبداً إلى أن على الغلاف رقماً ، وهناك سحب ، و جائزة، كان من حظه بتعبيره هو طبعاً، أنه ربح الجائزة الأولى و التي تقدر بأربعين ألف مارك، قال لي: ماذا أفعل بهم ؟ طبعاً أخذ مالاً في بلد مستأمن دون أن يقصد لقصد إضعافه، قلت له: خذها، جاء الناس وأخذوها بمعنى ثان، أخذ خمسة ملايين وضعها ببنك بأوربا وأخذ فائدتهم، يقول لك: فيها فتوى، لا، هذه غير هذه، أنت هنا قويتهم، أنت حينما تأخذ تنتزع المال من بلدك المسلم تضعه هناك من أجل أن تأخذ ريعه أنت لم تضعفهم بل قويتهم.

فهناك فتاوى دقيقة جداً، يقول لك: أخي هذه أختي من الرضاعة لا توجد مشكلة أبداً، مع أن القرآن الكريم قال:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ)

(سورة النساء الآية: ٢٣)

واضحة، الزواج ممنوع، لكن:

(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا)

(سورة النور الآية: ٣١)

لم يرد الأخ من الرضاعة، معنى هذا أن هناك شبهة، هذه المرأة التي لا يجوز أن تتزوجها، أما التبذل، هذه أختي بالرضاعة، الخلوة ممنوعة بها، فهنا القضية فيها شبهة، هناك أناس بشكل مطلق مادام في رضاعة لها أن تظهر أمامك بأبهى زينة لكن لا، العلماء حددوا، الخلوة لا تجوز مع الأخت من الرضاعة ، و السفر خلوة، من منا ابنه راضع مع بنت الجيران خمس رضعات مشبعات، وأصبحت بنت الجيران عمرها سبع عشرة سنة في أبهى زينة، يضع ابنه وابنته في بيت لوحدهم ويرتاح ؟ لا يرتاح ولو كان في رضاعة.

على كل عالم أن يبالغ في الخوف من الله إن أصدر أي فتوى في موضوع ما:

هناك قضايا في الدين هي شبهات، هناك فتوى تجيز ، وفتوى تحرم، هنا هذا السؤال الثالث سؤال امتحان التفوق ، سؤال الورع ، سؤال الخوف من الله ، المبالغة في الخوف من الله.

سيدنا الصديق عندما شرب لبناً من مال حرام تقيأه ، طبعاً الفتوى لا يوجد حرج إذا إنسان أكل مالاً حراماً دون أن يدري، لا يوجد عليه شيء كفتوى ، أما الورع يقتضي أن يتقيأه، طبعاً لا يوجد مجال لذكر هذه الأشياء الدقيقة جداً.

يقول لك: رفعت السعر مقابل الزمن، لكن فيها فتوى، لكن الأورع تركها إن لم يكن هناك فتوى، أي هذا الذي يفتي لا يخلصك من الله عز وجل، لو كان القضية أصبح بها سماح ومنع، الآن أكثر

الناس يعتمدون على فتوى بمصر أن الربا حلال لكن عوضاً عن فوائد عوائد ، والله الأمر سهل جداً أن تقيم حرفاً و تضع حرفاً محله، أزلنا الفاء ووضعنا العين مكانه ، وصارت كل أعمال المصارف ، والفوائد ، وكسب الربا حلالاً، هل هناك إنسان بمصر يخلصني من عذاب الله عز وجل ؟ هل من الممكن إنسان يحمي الناس كلهم ؟ الإنسان ضعيف.

أحد علمائنا الأجلاء كان بمصر قال لي: والله من أغرب الغرائب أنني كنت في زيارة شيخ الأزهر، وكان على فراش الموت في النزع الأخير، قال لي: والله بأم عيني رأيته يرفع إصبعيه من يديه الاثنتين، و يقول: يا رب أنا بريء من كل فتوى أفتيتها في المصارف، لكن قال له ؟ الآن ؟ الفتاوى مطبوعة ، ومنشورة ، وقد عمل بها ، فلن تجدي هذه التوبة بينك وبين الله ، وقد أصدرت هذه الفتاوى ؟ عندما شعر أنه قريب من الموت، رفع يديه وقال: يا رب أنا بريء من هذه الفتاوى ، أنت يجب أن تقول: أنا بريء حينما أصدرتها، حينما كنت في منصبك، حينما كانت الأضواء مسلطة عليك.

المفتي الأخير الذي أفتى بالربا، حدثني أخ بمصر، قال لي: في اليوم التالي وضع بمصارف مصر ما يقدر بأربع وثمانين مليار جنيه، المفتي العام لمصر أفتى بجواز أخذ العوائد بدل الفوائد ، أن هذا المبلغ الموضوع في المصارف عبارة عن أمانة أودعتها في مصارف الدولة ، وهذه الدولة تقديراً لهذا الجهد قدمت لك هدية هي العوائد ، فلا أنت أودعت إيداعاً ربوياً ، ولا هي أعطتك فوائد، بدل الفوائد عوائد ، وله مقالات ، ويدافع عنها ، و هاجمه سبعة وعشرين عالماً في اليوم الثاني و مع ذلك عُمل بها.

الآن هنا بالشام أكثر من مئة أخ سألني عن الموضوع أن هذه الفتوى صدرت عن مفتي مصر فلماذا تعارضوها ؟

الحلال بين و الحرام بين:

نحن سؤالنا الثالث الذي فيه فتوى، فتوى ضعيفة، فتوى من إنسان مغرض، فتوى من إنسان يبتغي رضا من فوقه ، فتوى يوجد معها ضغط ، فتوى يوجد معها إغراء، طبعاً هناك إغراء وهناك ضغط، أحياناً الإنسان يتكلم بخلاف قناعته، إما خوفاً أو طمعاً، فكل شيء يقال خوفاً أو طمعاً هذا ليس له علاقة بالدين، هذه قضية مصلحة إنسان ضعيف النفس أمام إغراء شديد ، إغراء منصب مثلاً ، أو أمام تهديد يصدر فتوى.

فدرسنا اليوم عندك سؤال رقم ثلاثة، هذا السؤال الثالث للمتفوقين، شاءت حكمة الله أن يجعل في الأشياء ما هو محرم بشكل واضح ، إذا الإنسان ذهب لينام هل يشعر أنه أذنب ؟ النوم لا يوجد به مشكلة، الطفل إذا رضع من أمه، وعندما كبر يقول لك: أنا آكل مالاً حراماً ؟ لكن رضع من أمه، و لا يوجد أحل من أن الإنسان يرضع من حليب أمه ، لأن الله تعالى هو الذي أودع الحليب في ثديها،

فلا يوجد إشكال بهذه الرضعات، انظر الحلال واضح جداً ، و الحرام الخمر ، و الزنا ، و القتل واضح جداً، فهذه لا يوجد بها خلاف.

أحياناً أخ ماذا يقول لي ؟ هذه القضية ما رأيك فيها ؟ أقول له: لأنك سألتني عنها ، ولأنك قلق من أجلها فيها شبهة، لو لم يكن فيها شبهة لما سألتني عنها، هناك ألف أمر كل يوم لم تسألني عنه، و الدليل أن الشيء الواضح لا يسأل عنه.

ضرورة سؤال العلماء عن الشبهات إن أشكل علينا شيء:

((إنّ الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينها أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس))

[متفق عليه عن النعمان بن بشير]

ماذا تفهمون من هذه الكلمة ؟ أي أن هناك علماء يعلمون هذه الشبهات، لكن النبي نفى.

((لا يعلمهن كثير من الناس))

إذاً القليل يعلمون هذا الأمور.

(فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة النحل)

الآن إنسان مثلاً يعاون آخر بشراء بيت، البيت ثمنه أربعة ملايين، و هذا الإنسان نقصه مليون، يأتي إنسان و يقدم له هذا المليون، و يقول له: أريد أجرة، من حقه أن يأخذ أجرة، هذا البيت أجرته فرضاً بالشهر عشرة آلاف يعطيه ألفين و خمسمئة، لأن له الربع لا يوجد بها شيء مثل الشمس، لا ليست مثل الشمس، بعد سنتين هذا الذي اشترى البيت لزمه مليون ضمن لأخيه المليون، فهذا البيت غير خاضع للتقييم إطلاقاً، يأتي بعد سنتين يعطيه المليون ليفرغ له، فهذه الأجرة التي أخذها ليست حلالاً، هذه الأجرة أخذها ربا، لماذا ؟ لأن أصبح هناك ضمان، أما لو أنه أعطاه المليون ، وعندما صار معه المليون قيّم البيت، و كان سعره خمسة ملايين يأخذ مليون ومئتين وخمسين ألفاً ، قيمه كسعره الآن، مثلاً صار سعره ثلاثة ملايين، يريد أن يأخذ سبعمئة وخمسمئة ألفاً، إذا قبل أن يأخذ ربع ثمن البيت حين السداد الأجرة حلال، حلال مئة بالمئة، لكن إذا لم يقبل أن يأخذ إلا المليون بأكمله أصبحت الأجرة ربا.

موضوع الشبهات موضوع دقيق جداً:

هناك أشياء واضحة عند العلماء، أما عند الجهلة غير واضحة ، معظم الناس يشغل ماله بنسبة ثابتة على الألف نأخذ عشرين، أخي لا نريد حسابات ، و لا نريد مشاكل، لن أدخل بملفات الجرد، والحسابات ، والمتاجرة، وبضاعة فاسدة، ماذا تريد من وجع الرأس، خذ على الألف عشرين

وانتهى كل شيء، لا هذا هو الربا بعينه، مادام هناك ربح ثابت صار هناك ربا، أنا لا أقبل إلا أن آخذ ربحاً حقيقياً، ربح، و متاجرة ، و مصاريف.

فلذلك موضوع الشبهات موضوع دقيق جداً، هذا موضوع امتحان الورع، الشبهات هناك ألف قضية بالعالم الإسلامي فيها فتوى ، وفيها وجه آخر.

أنا أقول لإنسان: لك أن تشتري بأي ثمن ، ولك أن تدفع بأي طريقة ، ولك أن تبيع بأي ثمن ، ولك أن تقبض بأي طريقة ، أما حينما تسمي للزمن ثمناً، يقول له: وقعت في شبه الربا، لا يقول له في الربا الصحيح، لا، في شبهة الربا ، فإذا كنت تريد هناك فتوى، هناك تقوى ، وهناك فتوى ، إن كنت تبحث عن الفتوى فالفتوى موجودة ، والحمد لله لكل معصية الآن هناك فتوى، لا يوجد مشكلة أبداً، مهما تكن المعصية طبعاً هذا من باب السخرية، مهما تكن المعصية كبيرة لها فتوى.

إنسان يستطيع أن ينظر إلى امرأة شبه عارية لكن بالمرآة، ليس حراماً، هكذا أفتى بعض الأئمة، ما هي الشاشة ؟ ليست حقيقة، هذه خيال، أي إذا إنسان خرج إلى الشرفة وهناك مغسلة ، وفوق المغسلة مرآة، و خرجت الجارة في البناء المقابل بقميص النوم رآها كما هي بالمرآة، هو لم يعمل شيئاً، لكن رآها بالمرآة، هذه فتوى تفضل، خذ حريتك، وهذا المذياع صدى ليس صوتاً حقيقياً، المحرم أن تجلس إلى قينة، تدخل إلى مسرح، تصعد مغنية تسمع لها، أما ضع ما تريد في المسجلات، كلها أغان ساقطة، هذا صدى ، والله أصبحت الفتوى سهلة، فإذا كان كل شيء تسمعه غلطاً هو صدى ، وكل شيء تراه غلطاً هو خيال ، وهذه بها شبهة ، و هذه بها فتوى، لم يعد بالدين شيء، وصلنا إلى درجة انتهى الإسلام، كل شيء مسموح فيه، الإنسان الذي يفعل هذا انتهى وليس الإسلام انتهى، هو انتهى إن لم يكن هناك تناسق.

الإسلام له شكل ثابت علينا الحفاظ عليه:

الآن هناك أناس يعملون إسلاماً مائعاً، يفوت بأي زجاجة كبيرة، صغيرة، طويلة، عريضة، سهل مائع، يتشكل بأي إناء، هذا ليس إسلاماً، هذه مرونة إلى درجة ألغت الإسلام، الإسلام له شكل ثابت، إذا لم يكن هناك شكل ثابت فهذه مشكلة.

فنحن درسنا اليوم من السؤال الثالث، السؤال الذي يمتحن به المتفوقون، هو الورع، هناك حلال بين لا يوجد عليه خلاف ، وحرام بين لا يوجد عليه خلاف، وبينهما أمور مشتبهات، هذه الأمور هي مناط الورع، ومن ترك مالا بأس به هو الورع، ولا يبلغ الإنسان التقوى حتى يدع مالا بأس به خوفاً مما به بأس.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨٨-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في الورع وترك الشبهات وما يحوك في الصدور -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيء الذي لا يرضاه الله عز وجل تستحي به و تكره أن يعرفه الناس :

أيها الأخوة الكرام ، حديث اليوم :

((البرُّ حُسْنُ الخُلُق والإثم ما حَاكَ في الصّدْرِ وكَرِهْتَ أن يَطّلِعَ عليه الناس منك))

[مسلم عن نواس بن سمعان]

الله عز وجل أعطانا ميزاناً دقيقاً ، ميزان مع كل إنسان ، الشيء الذي لا يرضاه الله عز وجل تستحي به ، و تكره أن يعرفه الناس ، لذلك ما من إنسان يغش بضاعة إلا يغشها في مكان خفي ، لا تجد إنساناً في الأرض يغش بضاعة أمام الشاري ، لأن هذا العمل يستحي به فصار مقياساً .

النبي عليه الصلاة والسلام أعطانا مقياساً قال :

((إياك وما يعتذر منه))

[الحاكم في المستدرك من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا]

كل تصرف تضطر أن تعتذر عنه ابتعد عنه ، إنه يصغرك ، ويحرجك ، و يجعلك أمام الناس في مكان لا تحسد عليه .

((إياك وما يعتذر منه))

قوانين القرآن الكريم :

وهناك عدة قوانين في القرآن الكريم ، قانون التيسير .

(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

(سورة الليل)

قانون الخوف :

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

(سورة آل عمران)

قانون العزة :

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ)

(سورة يونس)

إذا كنت محسناً لا تشعر بالذل ، ولا بالإرهاق ، هنا المقياس النفسي أن كل شيء تستحي به وتكره أن يطلع الناس عليه فهو الإثم ، لأن :

((البرُّ حُسْنُ الْخُلُق))

العكس هو : الإثم سوء الخلق ، الغش ، الخيانة ، الخديعة ، الكذب ، التدليس ، الإيهام ، هذه كلها تستحي بها .

((البرُّ حُسْنُ الْخُلُق))

من حصّل حسن الخلق مع الإيمان حصّل كل شيء :

الحقيقة أن الإنسان إذا حصّل حسن الخلق مع الإيمان ، حصّل كل شيء ، والذي فاته حسن الخلق لم يحصّل شيئاً ، لأن الله سبحانه وتعالى حينما أثنى على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثنى عليه بحسن الخلق ، مع أنه كان خطيباً ، وكان مجتهداً ، وكان عالماً ، وكان قائداً ، الله أعطاه ميزات كبيرة جداً ، أما حينما أثنى عليه ، أثنى عليه بحسن الخلق .

النقطة الدقيقة هنا : أنني إذا أعطيت ابني جهازاً يخاطب به الناس عن بعد ، مثلاً هذا الجهاز ميزة لا للابن ، للذي أعطاه الجهاز ، لا يمدح به ، فالله إذا أعطى إنساناً ذكاء ، أعطاه قدرة على تيسير الأمور، أعطاه طلاقة لسان ، هذه كلها قدرات أعطاه الله إياها ، لا يمدح بها ، أما حينما يقف الإنسان موقفاً يعاكس رغباته التي أودعت فيه ، إرضاء لمولاه ، هذا الخلق كله صبر ، كل مكارم الأخلاق أساسها الصبر ، فالكريم يصبر على إنفاق المال ، والحليم يصبر على الاستفزاز ، ويمكن أن ترجع مكارم الأخلاق كلها إلى الصبر ، فالإيمان حسن الخلق ، عملية ضبط ، عملية كبح ، عملية سيطرة على الأهواء والنزوات والرغبات .

فالله عز وجل إذا أعطى النبي قدرات فائقة ، هذه لا يمدح بها ، ولكن يمدح حين يصبر على الأذى، حينما يصبر على معاملة الناس ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((الذي يُخالط الناس ويَصْبِرُ على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يَصْبِرُ على أذاهم))

[الترمذي عن رجل من الصحابة]

((البرُّ حُسْنُ الْخُلُق والإثم ما حَاكَ في الصّدْرِ وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عليه الناس))

الازدواجية في شخصية الإنسان ازدواجية مقيتة وهي بوادر النفاق :

لذلك حياة المؤمن راقية جداً ، لا يوجد عنده شيء يستحي به ، لا يوجد عنده شيء يكتمه وشيء يعلنه، لا يوجد عنده خلوة وجلوة ، لا يوجد عنده سر يناقض العلانية ، هذه الازدواجية في شخصية الإنسان ، هذه ازدواجية مقيتة ، هي بوادر النفاق ، المؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((تَركتُكُم على بَيضاءَ نقية لَيلُها كنهارِها لا يَزِيغُ عنها إلاَّ هالِكٌ))

[أحمد عن العرباض بن سارية]

المؤمن في خلوته ، في بيته ، في أخص خصوصيات ، حياته وفق المنهج ، حتى في خواطره ليس عنده خواطر سيئة ، خواطره كلها إيجابية ، المؤمن موحد ، والتوحيد بالمؤمن شيء رائع جداً، لا يوجد عنده شيء يستحي به ، لا يوجد عنده شيء لا يقال ، أما المنحرفون لهم شخصية ازدواجية، عنده شيء للاستهلاك ، وشيء يبطنه ولا يعلنه ، هذا هو النفاق .

معنى هذا أن الإنسان لديه فطرة سليمة ، الشيء الذي لا يرضي الله يستحي به ، والإنسان لمجرد أن يفعل عملاً في السر لا يستطيع أن يفعله في الجهر ، فهذا إثم لأنك تكره أن يطلع الناس عليه .

الحفاظ على الصدقة أمر واجب :

حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم :

((مرَّ بتمرة في الطريق فقال لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها))

[أخرجه البخاري عن أنس]

مر معي رواية أخرى ، أن الوحي انقطع عنه أياماً عديدة ، فقال يا عائشة : لعلها تمرة وجدتها على السرير فأكلتها وهي من تمر الصدقة ، هذا الورع .

لعلها تمرة وجدتها على السرير فأكلتها وهي من تمر الصدقة ، هذا تعليم لنا ، مال الله لله .

مرة أحد أخواننا الكرام ، شاهد أخاه في المنام وهو يشتعل ، اللهب من حوله ، قال له : ثمانية آلاف ، عنده ثمانية آلاف هي بإشرافه لينفقها في سبيل الله فأنفقها على نفسه ، ومات ، فرآه أخوه في المنام ، وهو يلتهب من شدة الألم على هذا المبلغ الذي أكله ، وهو من أموال الصدقة .

قال يا عائشة : لعلها تمرة وجدتها على السرير فأكلتها وهي من تمر الصدقة .

الحديث :

((لولا أنى أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها))

[أخرجه البخاري عن أنس]

على الإنسان أن يخرج من الخلاف الذي يقع به بأخذ الذي لا يريب :

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ النبي أوتي جوامع الكلم ـ :

((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن الحسن بن علي]

هناك شيء يدعو إلى الريبة ، شبهة ، وهناك شيء واضح ، دائماً دع الشبهات إلى البينات ، البين أوضح :

((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ))

كلام جامعٌ مانع ، مختصر مفيد ، لا يدع مجالاً للمزيد ، الذي فيه شك فيه جانب إيجابي ، وفيه جانب سلبي ، هناك فقهاء أجازوا ، وفقهاء لم يجيزوا ، ما دام هناك خلاف اخرج من الخلاف بأخذ الذي لا يريب .

((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ))

وهذا أساس بالورع ، يوجد شيئان : التعامل هذا في شبهة الربا ، لكن هناك أدلة على أنه مشروع، إلا أن العلماء قالوا : إنه في شبهة الربا ، دعه .

((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن الحسن بن علي]

إلى وضع واضح بين كالشمس .

يوجد زيادة :

((فقيل فمن الورع فقال عليه الصلاة والسلام الذي يقف عند الشبهة))

[المعجم الكبير عن واثلة بن الأسقع]

الذي يقف عند المحرم هذا ليس بورع ، أما الذي يقف عند الشبهة هو الورع .

الحكم الشرعي يسع الناس كلهم و الورع مختص بالورعين فقط :

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

((كان لأبي بكر غُلام يخرجُ له الخراجَ وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشيء ووافق من أبي بكر جوعاً فأكل منه لُقمة قبل أن يسألَ عنه فقال له الغلام تدري ما هذا فقال أبو بكر وما هو قال كنتُ تكهَّنت لإنسان في الجاهلية وما أحسِنُ الكهانة إلا أني خدعْتُه فلقيني فأعطاني بذلك

فهذا الذي أكلتَ منه فأدخل أبو بكر إصبَعَه في فيه فقاء كل شيء في بطنه))

[أخرجه البخاري عن عائشة]

وقد يسأل سائل ؟ هل هذا هو الحكم الشرعي ؟ الجواب : لا ، هذا هو الورع .

((إن الله يتجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))

[أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عباس]

لكن من شدة ورعه أراد ألا يبقى في جوفه طعاماً من مال حرام .

وهذه الفكرة تعطي حلاً لمشكلات كثيرة ، نحن عندنا حكم شرعي ، وعندنا شيء اسمه الورع ، فالحكم الشرعي يسع الناس كلهم ، وأما الورع مختص بالورعين ، فلو أن إنساناً أكل طعاماً فيه شبهة ، أو ثمنه مال حرام ، ولم يدرِ ليس مؤاخذاً عند الله عز وجل ، والأكمل أن يتحرى الحلال ، أما أن يستقيء ليس مكلفاً بذلك ، إلا أن الورع هكذا .

الإنسان إذا أكره على أن ينطق بكلمة الكفر ، الحكم الشرعي إذا أكره إكراهاً ملجئاً أي يُقتل إن لم يقل، فقال هذه الكلمة وقلبه مطمئن بالإيمان ، لا شيء عليه ، أما الذي رفض أن يقولها وقُتل هذا يموت مجاهداً ، له أجر أعلى ، فهذه قضية يسمونها الحد الأدنى والأقصى ، الأدنى هو الحكم الشرعي ، أما الأقصى ، لو أن امرأة أكرهت على الزنا فإن لم تقبل قُتلت إن قبلت هناك حكم ، وإن رفضت وقُتلت هناك حكم ثان ، الشرع يسع الناس جميعاً.

إنسان سافر ، علة السفر الإفطار في رمضان ، أما إن كان السفر قصيراً و لا يوجد به مشقة ، فبقي صائماً هذا ورع أكثر .

(وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

(سورة البقرة)

الخروج من الخلاف :

على كلٍ : هناك نقطة دقيقة سماها الفقهاء : الخروج من الخلاف ، دائماً نحن نعلم أن الأحكام الشرعية لها صفة ، إما أنها أحكام متفق عليها ، ليس فيها خلاف ، وهذا الذي اتفق عليه العلماء حجة قاطعة ، و إما أن هذا الموضوع خلافي أي هناك علماء أجازوه ، وعلماء لم يجيزوه .

الإمام أبو حنيفة في آخر حياته أجاز المسح على الجوربين ، وهناك علماء كثر لم يجيزوا المسح على الجوربين ، أجازوا المسح على الخفين أي الخف الذي يصمد في المشي نصف ساعة ، ولا يتأثر هذا يجوز أن تمسح عليه ، الخف الذي لا ينفذ الماء منه يجوز أن تمسح عليه ، الخف المتماسك يجوز أن تمسح عليه ، أما الجوربين فلا يجوز .

الأمام أبو حنيفة جاء بأدلة في آخر حياته ، أجاز المسح على الجوربين فأنت وقعت في موقع حرج ماذا تفعل ؟ أنت في بيتك ، والأمور ميسرة ، والماء ميسور ، والجو لطيف ، ماذا تفعل ؟ يقول لك: اخرج من الخلاف بغسل قدميك ، خروج من الخلاف ، قضية خلافية فيها شبهة ، لكن حينما تكون مضطراً أنت بالخدمة الإلزامية ، ويجب أن تصلي الظهر و معك خمس دقائق فقط ، وتلبس حذاء يلزم ساعة لفكه ، نقول لك : في الحالة الضرورية جداً خذ بمذهب أبي حنيفة في المسح على الجوربين ، وهكذا .

على المؤمن أن يدع هامش أمان بينه وبين المعصية :

حديث آخر :

((لا يبلُغُ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البَأسُ))

[أخرجه الترمذي عن عطية السعدي]

هذه كالأولى

((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ))

((لا يبلُغُ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البَأسُ))

[أخرجه الترمذي عن عطية السعدي]

دائماً المؤمن يدع هامش أمان بينه وبين المعصية .

تصور نهراً عميقاً ، ومخيفاً ، له شاطئ مائل ، وعليه حشائش ، و شاطئ مستوٍ و جاف ، فالمشي على الشاطئ الجاف الزلق هذه مخاطرة ، النهر هو المعصية ، والشاطئ المائل الزلق هو الشبهات، والشاطئ المستوي الجاف هو البينات ، فالذي يمشي على هذا الشاطئ المائل معرض إلى السقوط في النهر ، وهذا الشاطئ ليس نهراً هو شاطئ ، لكنه زلق، فالمؤمن يمشي على المنطقة المستوية الجافة .

((لا يبلُغُ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البَأسُ))

[أخرجه الترمذي عن عطية بن عروة السعدي]

المؤمن هو من ساءته سيئته وسرته حسنته :

آخر حديث : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما الإثم يا رسول الله قال ما حك في صدرك فدعه قال فما الإيمان قال من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن))

[أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي أمامة الباهلي]

وكل إنسان يفرح بالحسنة ويستحي بالسيئة هذه علامة طيبة على أنه مؤمن ، على أن فطرته لم تزل سليمة ، أما الكافر الذي غاص في متاهات الكفر تنطمس فطرته عندئذٍ يرى أن المعصية مغنم.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٨٩-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في السماحة في البيع والشراء وحسن التقاضي والقضاء

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المطالبة العنيفة والمماطلة في أداء الدين من صفات المنافقين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا اقتضى))

[رواه البخاري عن جابر بن عبد الله]

وفي لفظ آخر للترمذي:

((غفرَ الله لرجل كان قبلكم سهلاً إذا باع، سَهلاً إذا اشترى سهلاً إذا اقتضى))

[أخرجه الترمذي عن جابر]

لك مال أو عليك مال، إن كان المال لك هناك رجل سمح في أخذ المال يمهل، يتساهل ، وإذا كان عليك المال هناك رجل سمح إذا أدى المال، يؤديه في الوقت المناسب من دون مشكلات، من صفات المنافقين أنه من الصعب جداً إذا كان عليه دين أن يؤديه، يماطل و يماطل، وإذا كان له طالب بشدة غير معقولة، فالمطالبة العنيفة، والمماطلة في الأداء هذه من صفات المنافقين، أما المؤمن يؤدي ما عليه بيسر، ويأخذ ما له بيسر، وهناك تساهل، وهناك لين .

الحقيقة هذا الموضوع تحكمه آية، والآية هي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٩)

الباء باء السببية، بسبب رحمة استقرت في قلبك من خلال اتصالك بالله، كنت ليناً لهم، و سمحاً .

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٩)

لو لم تكن هذه الرحمة في قلبك لكنت:

(فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٩)

عندئذٍ ينفض الناس من حولك، صار عندنا قانون، تتصل بالله، تستقر رحمة في قلبك، تلين في معاملة الناس، فيلتف الناس حولك، تنقطع عن الله، يخلو قلبك من الرحمة، تكون فظاً غليظاً في

معاملتك لهم، فينفض الناس من حولك، اتصال، رحمة، لين، التفاف، انقطاع، قسوة، فظاظة، انفضاض، هذا القانون، قانون رياضي .

المؤمن موصول بالله لين في معاملته مع الآخرين:

المؤمن موصول بالله، لين، له مع إنسان مبلغ والإنسان معسور، قال له: أمهلني شهراً، قال له: لا بأس .

اللين بطلب المال، أو إن كان عليك دين وصار معك مال عليك أن تؤدي هذا الدين بالتمام والكمال، أداء الدين، أو المطالبة بالدين، هناك طرق قاسية، طرق فيها تهديد، طرق فيها قهر، طرق فيها رحمة بالمطالبة، والأداء يمكن أن تجعل صاحب الدين يطرق بابك ألف مرة، يتصل بك ألف مرة، و تقول: قولوا له: ليس هنا، بعد ذلك تقول له: هذه المحاكم أنا لا أملك مالاً، لا أريد أن أعطيك، فيقول عليه الصلاة والسلام:

((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا اقتضى))

[رواه البخاري عن جابر بن عبد الله]

وفي رواية:

((سهلاً إذا اقتضى))

[أخرجه الترمذي عن جابر]

في البيع، والشراء، والمطالبة، والأداء، بأربع حالات، هناك لين، وهناك رحمة، و هناك تساهل، أما التشدد، والمشاحنة، والمضايقة، والقهر، واستعمال القسوة، والتهديد هذا ليس من صفات أهل المؤمنين، هذا من صفات أهل الفجور، لأن المنافق إذا خاصم فجر .

طبعاً هناك استثناءات خاصة، فالإنسان إذا كان محتالاً و يماطل، وأنت اضطررت أن تلجأ إلى القضاء، لأخذ حقك الثابت، هذا موضوع استثنائي، أنا أقصد التعامل بين المؤمنين، أما إنسان نصاب فقد تضطر أن ترفع دعوى عليه، أما إنسان عادي معسر، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((من فرج عن مسلم كربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

((مَنْ أنْظَرَ مُعْسِرا أو وَضَعَ له أظَلَّهُ الله يومَ القيامة تحت ظِلِّ عَرشه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلّه))

[أخرجه الترمذي عن أبي هريرة]

المؤمن لين في بيعه وشرائه وقضائه واقتضائه:

إذاً هنا عندنا أربع حالات، البيع والشراء، والقضاء والاقتضاء، المؤمن لين في أربع حالات، في بيعه، وشرائه، وقضائه، واقتضائه، بشرط أن يكون هذا اللين نقطة ضعف بالإنسان .

أحياناً الطرف الآخر يعرف أن هذا المؤمن عنده نقطة ضعف، قضية خوفه من الله، وورعه، يستغل ورع المؤمن أبشع استغلال، يعرف الإنسان أن هذه القضية لا تحل إلا بالشرع، يدع القانون ويأتيك من الشرع، يقيم حولك مشكلة، ينادي بالشرع، بالقرآن، بالكتاب، بالسنة، أما إذا شعر أن القضية لا تحل بالشرع، تحل بالقضاء، يلجأ إلى القضاء، هذا المنافق يبحث عن مصلحته، فإن كانت بالشرع رفع لواء الشرع، وإن كانت بالقضاء رفع لواء القضاء، هو يبحث عن مصلحته .

من علامات الإيمان اللين في الشراء، والبيع، والأداء، والدفع، الأداء والمطالبة .

من عرف أن عفوه يُصلح المذنب ويقربه من الله فأجره على الله:

و قال عليه الصلاة والسلام أيضاً:

((ألا أخبركم بمن يحرم على النار، وبمن تحرم عليه النار ؟ على كل قريب هين سَهْل))

[الترمذي عن عبد الله بن مسعود]

هناك إنسان سهل، هين، لين، كرة مكعب حديد، لها أربعة نتوءات، هناك إنسان كرة حديدية لا يوجد فيها نتوءات، و إنسان مكعب مطاطي، فيها نتوءات لكن تتحرك.

إنسان كرة مطاطية أي لين، لا يوجد مواقف قاسية، على ألا يُستغل هذا الطيب استغلالاً سيئاً .

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)

(سورة الشورى)

رجل وقع بين يدي النبي أسيراً، فاسترحمه، واستعطفه، وذكر له بناته الصغار، فالنبي رق لحاله وأطلق سراحه في معركة بدر، بعد المعركة عاد إلى سبّ أصحابه وقتلهم، نكل بأصحابه، وكان شاعراً هجاءً، نظم قصائد في هجاء النبي، وفي إيذاء أصحاب رسول الله، بعد أن عفا عنه النبي، أوقعه الله أسيراً في أحد، عاد إلى أن يستعطفه فقال عليه الصلاة والسلام: والله لا تقول العرب خدعت محمداً مرتين، و لم يعفُ عنه .

المؤمن ليس بالخب ولا الخب يخدعه:

موضوع الطيب شيء، أما يكون الإنسان ساذجاً ؟ المؤمن ليس بالخب ولا الخب يخدعه، وهذا أجمل كلام، أي لست من الخبث بحيث أخدع، ولا من السذاجة بحيث أُخدع، المؤمن ليس خبيثاً يَخدع، وليس ساذجاً يُخدع .

إنسان سأل سيدنا علي لماذا انصاع الناس لأبي بكر وعمر، ولم ينصاعوا لك ؟ هم سيطروا و أنت لم تسيطر، سيدنا علي كان فطناً، قال: لأن أصحابهم أمثالي وأصحابي أمثالك .

إنسان مدح سيدنا عمر لكن مديحاً كاذباً، قال له: أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك، تجد مواقف ذكية جداً تدل على فطانة، وطيب، أما أحياناً يستغل الطيب استغلالاً غير مقبول،

(وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ

فمن عرف أن عفوه يصلح هذا المذنب، ويقربه من الله، فأجره على الله .

((ألا أخبركم بمن يحرم على النار وبمن تحرم عليه النار على كل قريب هين سَهْل))

على كل إنسان أن يؤدي ما عليه لأن المال شقيق الروح:

رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه:

((فأغلظ له))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

قد تقول هل أيعقل هذا ؟ كل الأحداث التي حدثت في عهد النبي سأسميها مفتعلة، الله أرادها، ليكون النبي مشرعاً في أقواله وأفعاله، أي سمح لإنسان أن يتقاضى منه بغلظة، وهناك أحاديث كثيرة، فهَمَّ عمر أن يقتله، فقال: يا عمر، أمره بحسن القضاء، وأمرني بحسن الأداء، علمنا أن لصاحب الحق مقالاً، أحياناً إنسان متدين مالاً من إنسان آخر، ومرتاح، و يتبجح بهذا المال، وصاحب المال يتقلب على أحر من الجمر، ماله وبحاجة له، والثاني متنعم فيه، مع أن الحكم الشرعي لا يجوز أن تأكل لونين من الطعام إن كان عليك دين، نوع واحد من الفاكهة، نوع واحد من الطعام فقط الذي عليه دين .

فهناك أناس يماطلون، يعيش على أموال الناس، والمال شقيق الروح، قال له:

((دعه يا عمر فإن لصاحب الحق مقالاً))

[أخرجه الطبراني عن أبي حميد الساعدي]

أمره بحسن القضاء، وأمرني بحسن الأداء .

النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤدي ما عليه و زيادة:

إذاً هذا الأعرابي أتى النبي عليه الصلاة والسلام يتقاضاه، فأغلظ له فهمّ به بعض أصحابه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((دعوه فإن لصاحب الحق مقالا أي معه حق ثم قال أعطوه سناً مثل سنه أي ناقة في سن الناقة التي أخذها منه قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه قال أعطوه فإذن خيركم أحسنكم قضاء))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

العلماء سموه الأداء الحسن، إنسان أقرضك، وأمهلك، وانتظر عليك، وأنت في بحبوحة أدِ له ما عليك وقدم له شكراً، أو هدية هذا من باب الأداء الحسن، لكن لا يجوز أن تشترط، إن اشترطت فهي الربا، لا يجوز أن تستشرف، لا يجوز أن ينظر إليها في دفع الدين، هذه حالات نادرة، وقليلة جداً، إنسان أدى الدين وهدية، أدى الدين وكتاب شكر، أدى الدين، بعدها كلمة:

(وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ)

(سورة البقرة الآية: ١٧٨)

إلى تفيد انتهاء الغاية .

(وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)

(سورة البقرة الآية: ١٧٨)

أنت أخي تعال وخذ الدين، يجب أن تذهب إليه، وأن تطرق بيته، وأن تؤدي له الدين كما أخذته من البيت، هذه تنطبق على العارية (الحاجة)، استعرنا حاجة، تعال وخذها، خلصنا منها، أو استعرت كتاباً كبيراً رأيته في الطريق هذا الكتاب خذه، حملته إياه، الآن لا ينوي أن يحمل كتاباً ويمشي به ساعتين أو ثلاث، **(وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ)** الدية والعارية في مكان أخذها، قال يا عمر:

((دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ثم قال: أعطوه سناً مثل سنه قالوا يا رسول الله لا نجد مثل من سنه قال أعطوه فإذن خيركم أحسنكم قضاء))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

((أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يتقاضاه قد استسلف منه شطر وسق فأعطاه وسقاً فقال نصف وسق لك ونصف وسق لك من عندي ثم جاء صاحب الوسق يتقاضاه فأعطاه وسقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسق لك ووسق من عندي))

[رواه البزار عن أبي هريرة]

كان صلى الله عليه وسلم يؤدي وزيادة، وهذا العلماء سموه الأداء الحسن .

جزاء السلف الحمد و الأداء

وعن عبد الله بن ربيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((اسْتَقْرَضَ مني النبيُّ صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مالٌ فدفعه إليَّ وقال بارك اللهُ في أهلك ومالكَ إنما جزاء السَّلَفِ الحمدُ والأداءُ))

[رواه النسائي عن عبد الله بن ربيعة]

حدثني أخ يعمل في حرفة الكوي، جاءته ثياب لرجل غير سوري، وجد بالجيبة الخلفية عشرة آلاف دولار، وريالات، ومارك ألماني، مبلغ كبير، جاء هذا الرجل في اليوم الثاني ليأخذ ثوبه فقال له هذا الأخ الكريم: نسيت هذه الأمانة في الجيب، قال له: شكراً و لم يعطه شيئاً، عشرة آلاف دولار أي حوالي خمسمئة ألف، مبلغ ضخم، وريالات، ومارك، قدم له هدية، ماذا قال النبي الكريم ؟

((إنما جزاء السَّلَفِ الحمدُ والأداءُ))

الإنسان يعيش بأخلاقه، من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعُوا له حتى تعلموا أنكم كافأتموه .

هناك أشخاص كالبهائم، كالدواب، لا يتأثر بالمعروف، شاب فقير لا يملك قوت يومه، صانع، قدم لك ستة آلاف أو سبعة أو مئة ألف بعد أن نسيتهم في البنطال، ألا تقدم له هدية جزاء أمانته ؟ ينبغي أن تقدم له هذه الهدية .

النبي الكريم بشر تجري عليه كل خصائص البشر و لولا ذلك لما كان سيد البشر:

((اسْتَقْرَضَ مني النبيُّ صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا))

[رواه النسائي عن عبد الله بن ربيعة]

قد تقول النبي بحاجة أن يستلف من أصحابة ؟ كيف يعلمنا الأداء الحسن ؟ هذه المعاملات لا بدّ منها، أحياناً يرد بالسنة أنه كان هناك متاعب في بيته عليه الصلاة و السلام، مع زوجاته، لماذا ؟ لو فرضنا لا يوجد متاعب لم يعد النبي له ميزة، أما يعاني من مشكلات الزوجات، والغيرة، والطلبات، الآية:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ)

(سورة الأحزاب)

أي النبي عانى متاعب في بيته، أنا لي كلمة أرددها: إن البطولة ليس أن تخلو حياتك من المتاعب، لا، هذه قدرنا ، ولكن البطولة أن تقف الموقف الكامل في هذه المتاعب، وكل إنسان عنده

مشكلات، أحياناً مع أولاده ، أحياناً مع زوجته ، أحياناً مع من فوقه، مع والديه ، مع أقاربه ، مع شركائه ، مع جيرانه ، هذه المشكلات تظهر المعدن الطيب .

فالنبي عانى من مشكلات في بيته ، والنبي استلف ، واقترض ، وأدى أداء حسناً، وهناك أناس طالبوه بغلظة، فالنبي الكريم بشر تجري عليه كل خصائص البشر و لولا ذلك لما كان سيد البشر .

مرة إنسان طالبه بعنف فالنبي قال: دعه يا عمر إن لصاحب الحق مقالا .

مرة السيدة عائشة جاءها طبق طعام من السيدة صفية فأصابتها الغيرة منها، فحطمته أمام عين النبي، ماذا فعل النبي ؟ قال: غضبت أمكم، غضبت أمكم، فجمع شتات الصحن عليه الصلاة والسلام .

فلو لم يكن هناك مشكلة في بيته الكمال لا يظهر ، لو لم يكن عنده معاناة كماله في أداء الدين لا يظهر، اقترض ، واستلف ، واضطر أحياناً ، وأيضاً هناك حالات نادرة أنه تعامل مع أهل الكتاب، معقول أن يتعامل معهم وأصحابه حوله ؟! لو لم يتعامل معهم لما استطاع إنسان بعد وفاته أن يتعامل معهم .

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٩٠-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترغيب في إقالة النادم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من أقال أخاه بيعاً أقاله الله عثرته يوم القيامة:

قال عليه الصلاة والسلام:

((من أقال أخاه بيعاً أقاله الله عثرته يوم القيامة))

[أخرجه الطبراني عن أبي شريح]

أقال ؛ أي هناك عقد بيع، الشاري ندم على هذا الشراء ، فالبائع أراد أن يعين أخاه فأعانه على أن يلغي هذا البيع.

((من أقال أخاه بيعاً أقاله الله عثرته))

[أخرجه الطبراني عن أبي شريح]

الحقيقة لو تمّ عقد بيع بين شخصين إما أن يُمضي البيع ، وإما أن يُقيله، أما الذي يفعله الناس يأخذون عربوناً ، فإذا نقض أحد الطرفين أخذ العربون و هذا المبلغ الذي يأخذه الإنسان على أثر نقض البيع لا وجه له، أنت مخير إما أن ترفع الأمر إلى القاضي فتمضي البيع ، وإما أن تقيل النادم، إن رفعت الأمر إلى القاضي فهذا هو العدل، وأن أقلت النادم هذا هو الإحسان ، والله عز وجل:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)

(سورة النحل الآية ٩٠)

قد تغيب هذه الآية عن أذهان كثير من المسلمين، أنت مأمور من قبل الله عز وجل بالإحسان كما أنت مأمور بالعدل.

هذه الآية واسعة جداً أية قضية بينك وبين أخيك إن لم تُحل على مبدأ العدل تُحل على مبدأ الإحسان، فأنت موجود في الدنيا من أجل الإحسان ، فلو أن هذا الذي اشترى منك اشترى بسعر معتدل ، وكان هناك إيجابٌ وقبول ، والبيع شرعي ولا شيء عليه، اكتشف الشاري أن هذه السلعة ليس بحاجة إليها ، وأن ثمنها لو أنفقه في مكان آخر لكان أولى ، حينما دخل إلى محلك أعجبته السلعة فاشتراها، ثم اكتشف أنه ليس بحاجة إليها ، وأن هذا المبلغ لو أنفقه في مكان آخر لكان أولى، فجاءك يرجوه أن تقيله من هذا البيع.

هؤلاء الكفار ـ هكذا سمعت في أمريكا ـ أن ترجع الشيء الذي اشتريته شيء مألوف جداً أي مكان لو دخلت له ، أخذت السلعة يومين، ثلاثة، خمسة، ثم أعدتها يعطونك ثمنها، هنا طبعاً يفعلون هذا لترويج البيع والشراء في الدنيا.

أما المؤمن حينما يعيد السلعة ـ طبعاً إذا كان استعملها هذا شيء ثان ـ أنا أقول سلعة لم يستعملها، لم يفتحها، دفع ثمنها وأخذها، أكثر المحلات يخسرونه الآن مبلغاً يعادل ربحها هذا لا يجوز ، فأنت أمام خيارين، إما أن تلزمه بهذا العقد ، وإما أن تقيله، أما أن تأخذ مبلغاً هذا مقابل ماذا ؟

من بنى ربحه على خسارة إنسان آخر فربحه باطل:

نحن عندنا قاعدة ذكرتها البارحة في الخطبة، قاعدة أساسية جداً في كسب المال، أي كسب للمال بُني على خسارة أخ، على خسارة طرف آخر، فهو غير مشروع، أما إذا بُني على التراضي بين أخوين فهذا مشروع.
إنسان يربح مقابل خسارة إنسان هذه أعم قاعدة هذا غير مشروع، لماذا اليانصيب حرام ؟ جمعتْ من مليون شخص كل شخص دفع مئة ليرة، أخذهم إنسان واحد، هذا الذي دفع مئة ليرة لم يأخذ شيئاً ، وهذا الذي أخذ لم يدفع شيئاً، أخذ ألف ضعف عما دفعه.
فحينما يبنى الربح على خسارة إنسان هذه العلاقة باطلة ، أما إذا بُني الربح على تبادل منافع ، وهناك إيجاب، وقبول، ورضا، هذا هو الشيء المشروع صوناً للعلاقات بين بني البشر.
فلذلك من أقال نادماً.

((من أقال أخاه بيعاً أقاله الله عثرته يوم القيامة))

[أخرجه الطبراني عن أبي شريح]

هذا صار إحساناً.

أخي البائع: إذا بعت بيعة شرعية، المواصفات جيدة، السعر معتدل ، هناك إيجاب ، و قبول ، والعيب لم تخفه، من أقال نادماً، ثم جاء هذا الذي اشترى البضاعة نادماً على هذه الصفقة، يرجوك أن تعيد له الثمن ، وأن تأخذ البضاعة ، فأنت مخير،عندك حالتان؛ عندك أمر بالعدل ، وعندك أمر بالإحسان ، أمر العدل أن تلزمه هذه الصفقة إما مباشرة ، أو عن طريق القضاء، أما أمر الإحسان أن تقيله.

إقالة الشاري من الإحسان:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)

إلا أن العدل قسري ، والإحسان طوعي ، فنحن في علاقاتنا كلها حتى في علاقاتنا ببيوتنا ، علاقاتنا مع جيراننا ، مع أقربائنا ، مع كل من نتعامل معهم، هناك مبدأ العدل، وهناك مبدأ الإحسان، شيء رائع جداً ويحل لنا كل مشاكلنا، إذا القضية لم تقع على وجه العدل أوقعها على وجه الإحسان.

((من أقال أخاه بيعاً أقاله الله عثرته يوم القيامة))

[أخرجه الطبراني عن أبي شريح]

هذا شيء ملاحظ جداً عند الباعة، باع ، والمبيع لم يُفتح إلا بعد نصف ساعة انتهى الأمر إما أن يدفع مبلغاً كبيراً نظير إقالته ، أو أن يلزمه ، أو أنه يرجو رحمة الله بهذه الإقالة.

((من أقال نادماً بيعاً أقاله الله عثرته))

[أخرجه الطبراني عن أبي شريح]

وإقالة الشاري من الإحسان ، والمحسنون عند الله لهم مكانة عالية.

(إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)

(سورة الأعراف)

رحمة الله عز وجل هي كل شيء، رحمة الله عز وجل هي مطلق العطاء، تبدأ من صحتك تنتهي بالجنة ، هذه الرحمة ثمنها الإحسان، وأنت في الدنيا مخلوق من أجل الإحسان ، والإنسان حينما يلقى الله عز وجل لا يندم إلا على شيء فاته من الدنيا وهو العمل الصالح.

(رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

(سورة المؤمنون الآية ٩٩ – ١٠٠)

من العدل أن تقيل النادم.

طبعاً يمكن أن يكون هناك إنسان محتال ، المؤمن كيس فطن حذر، المؤمن كما قال سيدنا عمر: " ليس بالخب ، ولا الخب يخدعه".

أما هناك حالات كثيرة جداً، الشاري إنسان بريء ظهر له شيء بعدما اشتراه، المصلحة تقتضي أن يعيد المبيع ، فأنت لم ترضَ، إن لم يسعك العدل يسعك الإحسان

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)

فالعدل قصري بينما الإحسان طوعي.

على الإنسان أن يحب للآخرين ما يحب لنفسه حتى يلقى الله عز وجل و هو عنه راض:

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[متفق عليه عن أنس]

النبي الكريم ربط الإيمان بهذا العمل، أي أقل درجة بالإيمان أن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وفي رواية أخرى:

((وأن تكره لهم ما تكره لنفسك))

تطبيق هذا الحديث يبعد المشاكل عن حياتنا ، إذا كل إنسان، البائع، الموظف ، وضع نفسه مكانك، بإمكانه أن يحل المشكلة بثانية، تعال غداً أرجأك إلى الغد ، قد يكون هذا المواطن مسافراً، من بلد بعيد، سيضطر إلى أن ينام في فندق ، أولاده ينتظرونه ، لا يملك ثمن الفندق، أنت قلت كلمة لا تعني ما تقول، قلت: تعال غداً، لو وضعت نفسك مكانه انتهت المشكلة، فالحديث:

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

عندك بضاعة فيها عيب، أخفيت العيب وبعت البضاعة، أنت ابتعدت عن الإيمان ، وهذا أخوك، لو كشفت له العيب، وخفضت له السعر لا يوجد مشكلة، أما أخفيت العيب ورفعت السعر، أنت الآن خرجت من الإيمان، و هذا شيء خطير جداً ، بحياتنا اليومية، ببيعنا ، وشرائنا ، وعلاقاتنا ، وزواجنا، بكل شيء إذا بيّنا كل شيء نَسعدْ ونُسعد ، أما حينما تعامل أخاك وكأنه عدو تقتنصه خسرت كل شيء.

والله قال لي شخص: الحمد لله بعنا هذه السيارة، ولبسناها لإنسان، فيها عيب بالمحرك خطير جداً، تخلصنا منها، أخفى عنه العيب ، وكان في ذلك الوقت سيارات بالميناء جاهزة بشحمها، اشترى واحدة جديدة ، وسعدَ بها ، خمسة أيام صار معه حادث فنزل سعرها للنصف، فجاءني يشكو، قلت له: ألم تقل لي قبل خمسة أيام أنك أخفيت العيب ، وبعتها وارتحت منها ؟ هذا الجزاء.

الإنسان إذا أخفى العيوب في البضاعة ، في البيع، ارتكب معصية، لأن هذا الأخ ما أحببت له ما تحب لنفسك ، ولا كرهت له ما تكره لك ، فالمؤمن إن كان المال تحت قدمه عليه ألا يعصي الله ، ولا يفعل شيئاً يغضب الله عز وجل.

فالإنسان إن كشف عيوب البضاعة و بيعت، لابأس، يستطيع أن يبيعها بسعر رخيص.

البارحة صلى عندي أخ، يصنع ملبوسات ويصدرها لألمانيا ، ويأتي بأرقي أنواع السحابات، قال لي: السحاب له قفل مطلي بمادة معينة مسرطنة، و عندما وصلت البضاعة إلى هناك قيل له: هذه القطعة ممنوع استعمالها عندنا، عبارة عن قفل السحاب مطلي بمادة الكروم هذه المادة تعمل إشعاعاً، فلها مشكلة، قال لي: نزلنا ربع القيمة حتى بيعت البيجامات بربع القيمة.

هناك دقة بالغة ، فأنت الشرع يعلمك الدقة البالغة بكل شيء، ابحث عن الصواب لكي تلقى الله وهو راض عنك.

الدين ليس في المسجد الدين في المعاملة مع الآخرين:

والله الدين ليس في المسجد ، الدين في المعمل ، الدين في الدكان ، الدين في العيادة ، الدين في مكتب المحاماة ، الدين في الحياة العملية ، الدين في التعامل اليومي، الدين في المحاككة ، الدين في البيت ، الدين في علاقتك بزوجتك، بأولادك ، هذا الدين، هنا الدين، أنت تتلقى بالجامع التعليمات وتنفذها في البيت، تتلقاها بالجامع تنفذها بالعمل، بالمعمل، فإذا لم يكن سلوك المؤمن صارخاً ، واضحاً، جلياً، المؤمن يلتزم بالأمر والنهي، المؤمن عنده منهج يسير عليه، لانتهى الدين.

والحقيقة علماء الحديث فسروا هذا الحديث تفسيراً مخيفاً:

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه))

[متفق عليه عن أنس]

هذا الأخ الذي ذكره النبي الكريم هو أخوك في الإنسانية لأن المطلق على إطلاقه، النبي قال: " أخيه "، أي أخ هذا ؟ أوسع دائرة في الأخوة دائرة الإنسانية.

مثلاً: إنسان غير مسلم اشترى من عندك حاجة، هل تغشه ؟ لا تستطيع أن تغشه، لأنك إذا غششته أبعدته عن الدين مسافة كبيرة جداً ، إذا غششته اتهم دينك ، إذا غششته فتنته، هو متمسك بكفره، فلما وجد منك كذباً وغشاً لا سمح الله، تمسك بكفره زيادة، هذا هو الحق، وهذا هو الباطل.

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

(سورة الممتحنة الآية ٥)

آية خطيرة جداً، الكافر عندما يجد إنساناً له مظهر ديني ، ويغشه، و يكذب عليه، يعتقد أن كفره صح، والمظهر الديني الخداع هو الباطل ، فكل إنسان له مظهر ديني ، أو له خلفية دينية ، أو له انتماء ديني ، يسيء لكافر، الكافر يتشبث بكفره لهذا السبب.

على كل مؤمن أن يكون صادقاً مخلصاً ووفياً في تعامله مع الآخرين:

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

ما الكافر إن عامل مؤمناً يعامله بأرقى درجة، متى يختل توازن الكافر ؟ عندما تعامله بأعلى درجة من الكمال، يقول لك: والله هذا الدين حق، لكن عندما يكون هناك انتماء ديني وسلوك شائن، الكافر يتشبث بكفره ، ويعتقد أنه على حق وأنك على باطل.

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

لا نكون سبباً لتشبث الكافر بكفره، ألا نكون سبباً بقناعة الكافر أن الكفر هو الصح ، والإسلام هو الغلط ، فأنت إذا وقفت يجب أن تقف موقفاً كاملاً منصفاً.

قال لي أخ يصلح السيارات: جاءه لعنده شخص غير مسلم قال له: هذا المحرك يحتاج إلى قمصان ـ سيغمان، فتحه فوجده يحتاج إلى خراطة، فقال له: هذا المحرك يحتاج إلى خراطة لا إلى سيغمان، فقال له صاحب المركبة: طبقه وأعطني إياه، بعد أن طبقه ذهب صاحب المركبة إلى محل ثان ليتأكد من كلام الأول، فوجد أن كلامه صحيح، فندم على موقفه من الأول ثم رجع لعنده، لأنه كان صادقاً معه قربه من الإسلام.

فالإنسان إن كان دينه رقيقاً، وكنت معه صادقاً ، وما غششته ، وما كذبت عليه، وما احتلت عليه ، ماذا تفعل معه يختل توازنه، يقترب منك، يقتنع بالدين ، أما لو أن لك مظهراً دينياً وغششته، تشبث بكفره واعتقد أن كفره هو الصح ، وإسلامك هو الغلط ، فأنت فتنته أنت كنت عكس الداعية، الداعية مقرب، الداعية مقرب إلى الله و أنت بعملك تنفر من الله عز وجل، عملت عكس الداعية.

من أساء إلى الآخرين أساء إلى دينه:

هذا الحديث من خطورته أكثر الناس يفهمونه على أن المقصود من هذا الحديث هو أخوك المؤمن، لا، أخوك في الإنسانية ، أوسع دائرة.

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[متفق عليه عن أنس]

جاءك إنسان مجوسي ، جاءك واحد ملحد ، قال لك: انصحنِي، نصحته، فعملت له اختلال توازن ، والله الدين حق ، أما قال لك: انصحني نصحته بالشيء السيئ انتهى لم يعد إلى الدين، إذاً عليك أن تكون داعية فعلاً، حتى مع غير المسلمين ليرووا أن الإسلام شيء عظيم ، هذا الحديث شعار لنا كلنا.

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[متفق عليه عن أنس]

الشيء الذي تفعله أنت افعله مع غيرك.

مرة زرنا أخاً ـ ما شاء الله ـ هو في بحبوحة كبيرة ، وعنده بيت خاص بالضيوف، فأنا لفت نظري هذا ـ هو خياط ـ قلت له: الحمد لله تكلم لنا عن أسباب توفيقك؟ قال: والله أنا أنهيت الخدمة الإلزامية و لا أملك قرشاً واحداً، لي شيخ علمني ، أن الشيء الذي تخيطه كأنك تخيطه لنفسك ، هذه النصيحة، فأتقنت عملي، وعندما أتقنت عملي كثر الناس حولي وأقبلوا علي.

أنت اعمل عملاً كأنه لك، الذي تأكل منه بع منه ، الذي تلبس منه بع منه، الشيء الذي تستخدمه أنت ويعجبك تعامل فيه ، أما أنت بواد والبضاعة بوادٍ آخر ؟!

مرة إنسان قال لي: أخذت ألف بيضة لأبيعهم في السوق، فوجدت أن البيض كله فاسد، فبعتهم بسرعة في سوق الجمعة و الحمد لله ، معنى هذا أنك لست مؤمناً، أنت غُششت فكيف تغش الآخرين؟ كان يجب أن ترميهم وعلى الله رزقك.

فالناس ليسوا منضبطين، و من يصلي من دون انضباط فصلاته لا قيمة لها أبداً.

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[متفق عليه عن أنس]

ارتباط الإيمان بنصح المسلمين

أخوه في الإنسانية بأوسع دائرة، لا تقل من فلان ؟ من أين أنت ؟ لا يوجد من أين أنت ؟ هذا عبد لله، إذا أسأت إليه أسأت إلى دينك، ونفرته من الإسلام ، عامل الناس ولا يهمك المادة، يمكن أن تخسر بهذا الكلام قليلاً إذا كشفت عيب البضاعة، ويمكن أن تبيعها بنصف القيمة ، لا يوجد مانع، لكن أنت كسبت دينك، كسبت مرضاة الله عز وجل ، كسبت أن الطريق إلى الله سالك ، كسبت أنك إذا وقفت في الصلاة لا تستحي من الله، هذه ليست قليلة.

إنسان أحياناً مع صديق حميم يضحي بأي شيء من أجل العلاقة الطيبة معه، يضحي بأشياء كثيرة لئلا يخدش العلاقة التي بينه وبينه.

هذا الحديث أخواننا من أهم الأحاديث.

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ)) نفى عنه الإيمان كلياً، النبي الكريم ربط الإيمان بنصح المسلمين.

((حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

وأخيه في الإنسانية.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٩١-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترهيب من الغش والترغيب في النصيحة في البيع وغيره -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الموقف السلبي من الآخرين موقف مرفوض في الإسلام:

أيها الأخوة الكرام، قال عليه الصلاة والسلام:

((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منا))

[أخرجه الطبراني عن حذيفة بن اليمان]

الموقف السلبي مرفوض في الدين.

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)

(سورة هود)

لم يقل: صالحون ، لو أنهم صالحون لأهلكهم، أراد الله أن يهلك قرية:

((فقال ملائكتها يا رب إن فيها رجل صالحاً قال به فبدؤوا قالوا ولِمَ قال الله عز وجل لأن وجهه لا يتمعر إذا رأى منكراً))

[ورد في الأثر]

الموقف السلبي، تقول الناس: هلك الناس.

((من قال هلك الناس فهو أهلكهم))

[مسلم عن أبي هريرة]

هم ليسوا هلكى لكنه أهلكهم.

((من قال هلك الناس فهو أهلكهم))

أي أشدهم هلاكاً، أن تقف موقفاً سلبياً، أن تقول: لا علاقة لي ، أن تنسحب من المجتمع ، أن تهتم بشخصك ، أن تنتمي إلى ذاتك ، أن تحقق مصالحك ، ولا تعبأ بالذين حولك من المسلمين ، لا تهتم أن تنصحهم ، أن ترشدهم ، أن تأخذ بيدهم إلى الله ، أن تعينهم على طاعة الله ، أن توضح لهم، أن تبين ، الموقف السلبي هذا موقف مرفوض في الإسلام.

((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم))

[أخرجه الطبراني عن حذيفة بن اليمان]

الإيمان مرتبة عالية جداً:

الكبائر أحياناً يعبر عنها النبي بنفي انتمائه للمسلمين ، هذه من الكبائر ، مثلاً:

((ليس منا من غشَّ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

من غشّ فليس منا، ليس منا من خبب امرأة على زوجها.

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ))

[البخاري عن عبد الله بن مسعود]

((لَيسَ مِنَّا مَنْ دَعا إلى عَصبيَّة وليس منا من قاتل عصبيَّة من مات على عصبيَّة))

[أخرجه أبو داود عن جبير بن مطعم]

((ليس منا من انتهب أو سلب أو أشار بالسلب))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس]

هناك مجموعة أحاديث تبدأ بـ "ليس منا" هذه كبيرة، لأنها كبيرة كان عقابها أن النبي عليه الصلاة والسلام نفى الانتماء للمسلمين بهذا العمل، مرة قال عليه الصلاة والسلام:

((يطبع المؤمن على الخلال كلها))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

الإيمان شيء كبير جداً، مرتبة عالية جداً، أما هناك تنوع بالخلق ، قد تجد مؤمناً منفتحاً ، مؤمناً منغلقاً، مؤمناً اجتماعياً ، مؤمناً أقل اجتماعيه ، مؤمناً ينفق كثيراً ، مؤمناً أقل إنفاق ، مؤمناً حريصاً ، مؤمناً أقل حرص ، مؤمناً أنيقاً جداً ، مؤمناً أقل أناقة ، مؤمناً حاد المزاج ، مؤمناً لين المزاج ، هذه طباع تؤكد فردية الإنسان، أما أن يكذب المؤمن! أن يخون ! إذاً ليس بمؤمن.

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

المؤمن لا يكذب ، هناك أخلاق لا تتناقض مع الإيمان يقبلها الإيمان ، وإن كان هناك خلق أعلى من خلق، لكن كلهم على العين والرأس ، أما أن يكذب الإنسان فالكذب يتناقض مع الإيمان.

((إلا الخيانة والكذب))

من لا يهتم بأمر المسلمين يخرج من ملة الإسلام و الانتماء إلى هذا الدين العظيم:

لذلك إذا قرأتم الحديث الشريف ، ووجدتم "ليس منا" معنى ذلك أن هذه كبيرة، هذه الكبيرة تخرج الإنسان من ملة الإسلام ، أو من الانتماء إلى هذا الدين العظيم.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم))

أي الذي لا يقلقه ما يقلقهم ، الذي لا يحزنه ما يحزنهم ، الذي لا يؤلمه ما يؤلمهم، الذي لا يفرحه ما يفرحهم.

أحياناً الإنسان يكون عنده إمكانيات عالية ، عنده اختصاص نادر، له دخل كاف، يقسو قلبه ، الشباب تزوجوا أو لم يتزوجوا ، وجدوا عملاً أو لم يجدوا، أمنوا حاجاتهم أو لم يؤمنوا.

أحياناً يعاني المجتمع المسلم من مشكلات كبيرة جداً وحادة، فأنت إذا لم تهتم لأقل الدرجات ، ولم تساهم في تخفيفها ، أو في إزالتها ، لست مسلماً، أقل شيء أن تهتم، أن تقلق ، أن تتألم ، أما لا قلق ، ولا اهتمام ، ولا ألم ، ولا انتباه ، ما عندك أي مشكلة، إذاً أنت أكبر مشكلة ، فمن ليس لديه مشكلة مرتاح، يقول لك: الناس هلكى، قال: هو أهلكهم، أي هو أشدهم هلاكاً ، أو هو الذي أهلكهم ، وهم ليسوا هلكى.

((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله))

الدين النصيحة:

ينصح الناس بالتعرف إلى الله ، ينصح الناس بطاعة الله ، ينصح الناس بالصلح مع الله ، ينصح الناس بالتوبة إلى الله ، ينصح الناس بالإقبال إلى الله.

((ومن لم يصبح ويمسي))

دعوته إلى الله صباحاً مساءً، ليلاً نهاراً، دعوة مستمرة.

((ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله))

عودوا إلى السنة، طبقوا سنة رسول الله، اجعلوا النبي قدوة لكم ، اجعلوه أسوة لكم ، اهتدوا بهديه ، اقتفوا أثره ، طبقوا تعليماته ، ائتمروا بما أمر ، انتهوا عما نهى عنه وزجر.

((ولكتابه))

عودوا إلى القرآن الكريم، إلى ما فيه من حلال وحرام.

الإمام ابن عباس قال: " في القرآن الكريم أبواب ثلاثة ؛ باب الحلال والحرام وهذا ينبغي ألا يجهله إنسان ، إنه شيء مصيري ".

ذكرت من يومين أن المظلي ، قد يجهل حقائق عن المظلة كثيراً وينزل سالماً ، قد يجهل مساحة المظلة ، قد يجهل شكل المظلة هل هو مربع أم دائرة ؟ قد يجهل لون المظلة، قد يجهل نوع قماشها،

قد يجهل طول حبالها ، قد يجهل قطر حبالها ، قد يجهل لون حبالها ، وينزل سالماً ، أما إذا جهل طريقة فتح المظلة ينزل ميتاً ، فإن لم يعرفها هلك الإنسان.

((ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله))

ينصح عباد الله أن يعرفوه ، أن يصطلحوا معه ، أن يتوبوا إليه، أن يعودوا إليه، إن لم ينصح الناس بمعرفة رسول الله، بأن يكون قدوةً ، بأن يكون النبي في مخيلة كل مسلم، ماذا فعل ؟ كيف عامل أهله ؟ كيف عامل جيرانه ؟ كيف عامل أولاده ؟ كيف عامل أصحابه؟ كيف كان في سلمه ؟ كيف كان في حربه ؟ كيف كان في سفره ؟ كيف كان في حله؟

((ولكتابه))

هذا القرآن، هذا المنهج الدقيق القويم، الذي فيه الحلال والحرام ، فيه الأمر والنهي ، فيه الحق والباطل، فيه أخبار الأمم السابقة ، فيه آيات كونية.

على الإنسان أن ينصح الآخرين بأدب و إخلاص:

((ولإمامه))

النبي صلى الله عليه وسلم لحكمة بالغةٍ أرادها الهة عز وجل في معركة بدر، حجب الله عنه وحياً واجتهاداً الموقع المناسب ، فأشار على أصحابه بموقع، جاء صحابي جليل اسمه الحُباب بن المنذر، قال: يا رسول الله هذا الموقع وحياً أوحاه الله إليك ـ إذاً لا نتكلم ـ أم هو الرأي والمشورة ؟ قال:

بل هو الرأي والمشورة، قال: يا رسول الله ليس بموقع ، أعطاه الأدلة ؛ أن هؤلاء رماة ، وسهامهم تصيب، وسهامهم تصل إلينا ، ونحن في مكان منخفض ، وهم في مكان مرتفع ، فلو قذفونا بالسهام لأهلكونا، فقال عليه الصلاة والسلام: أين ترى أن نقف ؟ أشار له لمكان آخر، قال: هذا هو الصواب، وأمر أصحابه أن يتحولوا ، المؤمن طبعاً بالحكمة و الموعظة الحسنة والأصول يجب أن ينصح بأدب.

أنت معلم في مدرسة لها مدير، المدير غابت عنه حقيقة، تقدم أنت بكل أدب وانصح المدير ، أنت طبيب في مستشفى ، أنت مدرس في ثانوية ، أنت أستاذ في جامعة ، أنت موظف في مؤسسة ، إذا كنت تستطيع أن تنصح هذا الذي يصدر القرار بأدب، بإخلاص، هذا مما يرفعك عند الله عز وجل.

المؤمن الصادق دائم الحرص على مصلحة الآخرين:

((ولإمامه ولعامة المسلمين))

قد تجد إنساناً في الطريق يرتكب خطأ فاحشاً.

أحياناً الإنسان يكون في موقف ممنوع، هذا الموقف إن وقف عليه يمكن أن تسحب سيارته، يأتي مؤمن وينصحه أن هذا الموقف ممنوع ، هذا موقف إسلامي طيب ، ينصحه حتى بوقف سيارته ، ينصحه حتى في البيع والشراء ، خذ فاتورة إن لم تأخذ فاتورة مشكلة، هذا البضاعة تحاسب الجمارك عليها ، اطلب منه فاتورة ، فالمؤمن عنده حرص حتى عامة الناس لا يبقى ساكتاً.

مرة قال لي أخ عندما اشتريت براداً من عنده: إذا نقلت هذا البراد في السيارة بشكل منبطح ، و وصلت إلى البيت ، لا تشغله لأنك إذا شغلته احترق المحرك فوراً، لأن الزيت أخذ وضعاً معيناً، فعليك أن تتركه خمس أو ست ساعات واقفاً بعد ذلك تشغله.

مرة رأيت إنساناً خارجاً من مؤسسة بالحريقة ، هذا الإنسان اشترى براداً صغيراً، يبدو أنه فقير، لكنه سعيد جداً بهذا البراد ، وجاء بسيارة هوندا ووضعه بشكل مسطح ، والله انتقلت من رصيف إلى رصيف كي أحذره، قلت له: إياك أن تشغله بسرعة ، أوقفه خمس أو ست ساعات بعد ذلك دعه يعمل.

فالمؤمن الصادق بدواء أحياناً، مثلاً إنسان معه دواء منتهي المفعول، ننبهه أن هذا الدواء مفعوله منته، اذهب وأرجعه، المؤمن لا يسكت.

((ينصح لله ورسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم ومن لم يفعل ذالك فليس منهم))

إذاً.

((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله، ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منا))

[أخرجه الطبراني عن حذيفة بن اليمان]

المؤمن إيجابي بطبعه:

لذلك قالوا: الدين النصيحة كلمة جامعة مانعة.

الدين النصيحة، الدين كله جمع لهذا الموقف الإيجابي ، لهذا الموقف الذي فيه غيرة ، الذي فيه حرص.

سيدنا ـ عمر رضي الله عنه ـ كان يبحث عن وال يسلمه منصباً رفيعاً قال: أريد رجلاً إذا كان أميراً بدا وكأنه واحد منهم ، هو أمير لكن بتواضعه، وإنكار ذاته، وتقشفه، وحرصه على مصلحة المسلمين لا على مصالحه بدا وكأنه واحد منهم، وإن لم يكن أميراً لغيرته على المصلحة العامة ،

ولحرصه على نجاح الأمر بدا وكأنه أمير ، المقياس دقيق جداً ، إذا كان أميراً بدا وكأنه ليس بأمير، وإن لم يكن أميراً بدا وكأنه أمير ، الأولى لتواضعه، والثانية لغيرته.

المؤمن إيجابي، أما يقول لك: لا علاقة لي، فخار يكسر بعضه، هذه كلها كلامات الشيطان، الإنسان له أهل ، له أقرباء ، له أولاد أخ ، له أولاد أخت ، يجب أن يكون له إشراف، نصيحة، معاونة، موقف إيجابي ، يجب ألا يكون موقفه سلبياً، السلبية ليست من الدين بشيء.

لذلك الإنسان السلبي، قال: " به فابدؤوا "، فالإنسان لو كان صالحاً ، ولم يكن مصلحاً لأهلكه الله، يجب أن تكون مصلحاً، يجب أن تساهم بشكل أو بآخر في نشر هذا الدين، في تمسك الناس بهذا الدين ، في صحوة المسلمين ، في ترشيد سلوكهم.

تقول: أنا لا علاقة لي، إذا كل شخص قال: أنا لا علاقة لي انتهينا، أساساً الباطل يتنامى، فإذا سكت أهل الحق والباطل تنامى يأتي وقت ينتهي الحق فيه.

رجل سائق سيارة ما هي ثقافته ؟ محدودة جداً، ركب معه شاب وشابة من بيروت إلى الشام ، قال له: دقيقة سيأتي رجل معه محفظة، انتظر ، فانتظر السائق يبدو أنه طال الانتظار، فسألهم السائق متى سيأتي هذا الشخص ؟ بعد حين أتى الشخص ، حامل حقيبة، هذا الشاب وكزه على صدغه قائلاً له لماذا تأخرت ؟ سكت هذا الشيخ ـ عمره سبعون سنة ـ بعد أن وضعوا المحفظة في الصندوق، وانطلقت السيارة، تقول هذه المرأة لزوجها على مسمع من السائق قالت له: هذا أبوك كيف تضربه ؟ انتبه السائق قال له: أبوك هذا ؟ وقف، وقال له: انزل، لم يسمح له أن يكمل، انظر على ثقافته المحدودة عملَ عملاً أشعره أنه مجرم، أنت مجرم لن تركب في سيارتي.

قال لي شخص مرة: والله يا أستاذ أنا سبب هدايتي سائق سيارة، فسألته: ماذا فعل معك السائق ؟ قال لي: كنت أشرب، وحامل المشروب بيدي، فلما لمح المشروب طردني من السيارة، أوقف سيارته وأنزلني ، وقال لي: كان الوقت الساعة الثانية ظهراً، ازدحام شديد، بقيت ساعة ونصف في الطريق واقفاً ، ولم يركبني أحد، شعرت بالهوان والذل، فكانت توبتي على يد هذا السائق.

من آثر السلامة على الحق عمّه البلاء:

أنا أعطيك أمثلة بسيطة، أحياناً الابن يكون متطاولاً على أهله، يزور أقرباءه فيرحبون فيه، وهم يعرفون القصة، المجاملات أحياناً تفسد الدين.

تجد إنساناً مرتكب كبيرة، ويشرب الخمر، يتطاول على الدين ويحتقره، يُستقبل ويُرحب به، ويدعى إلى وليمة ، ما دام المسلمون بلغوا هذه الدرجة، و لم ينكروا المنكر، عمهم الله بالبلاء.

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)

(سورة الأنفال الآية ٢٥)

الإنسان حينما لا يغار ، ولا يتحرك ، ولا ينصح ، ولا يتكلم، يستحق الهلاك، فهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة السادسة ، سكوت لا يوجد، لو كنا كلنا نأمر، وننصح ، ونتكلم لضاقت دائرة الباطل.

اجتماع بدأ قبل المغرب واستمر وقتاً طويلاً، لم يقم أحد ليصلي، الكل مستح من بعضه، هذا مجتمع لا يحبه الله عز وجل ، إنسان صلى المغرب فلحقه الثاني الثالث الرابع، الكل صلوا هذا الذي قام عمل حركة، الكل ساكت، على الطاولة يوجد خمر الكل ساكت، يوجد اختلاط الكل ساكت، فالإنسان عندما يسكت، يؤثر السلامة على إلقاء كلمة الحق طبعاً إلا في حالات لم يكلفك الله ما لا تطيق، لأنه أحياناً في حالات نادرة ، إنكار المنكر ينتج عنه فتنة أشد من الذي أنكرته ، إذاً هناك حالات نادرة يجب أن تلزم الصمت وأن تنسحب.

أما أكثر الحالات بين الأقرباء، هؤلاء أولاد أخوك ، أولاد أختك، أقرب الناس إليك ينتهكون الحرمات، يقترفون المعاصي ، والآثام وأنت عمهم ، وأبوهم ميت ، وأنت مشرف عليهم ، عندما تقول لا علاقة لي هذا ليس موقفاً إسلامياً.

المؤمن غيور على مصلحة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه:

هذا حديث دقيق أعيده على مسامعكم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منا))

[أخرجه الطبراني عن حذيفة بن اليمان]

في رواية ثانية ؛ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إنَّ الدِّينَ النصيحة قلنا: لِمَنْ يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))

[أخرجه مسلم عن تميم الداري]

أحياناً في السيارات مثلاً هناك عدد من النصائح إن لم تطبقها دفعت عشرة أضعاف ، غيّر ماء البطارية ، غيّر الزيت، اعمل كذا و كذا.

الطبيب أحياناً يكتب الوصفة ويمشي، قل له: الدواء يستعمل قبل الطعام، بيّن له هذا بعد الطعام ، هذا الدواء مع هذا الدواء يؤدي إلى صدمة، هذا الدواء يحتاج أن تفحص نفسك ، عندك حساسية ضد مرض أو دواء معين، بيّن، وضح، هذا من صفات المؤمن، لأنه غيور على مصلحة المسلمين،

يحب الناس جميعاً، يرى أن كل الناس أخوانه في الإنسانية يحب لهم ما يحب لنفسه، و يكره لهم ما يكره لنفسه.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٩٢-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترهيب من الغش والترغيب في النصيحة في البيع وغيره -٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أكبر نشاط في الحياة نشاط البيع والشراء فالإنسان حينما يغش يرتكب كبيرة:

أيها الأخوة الكرام، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

والإنسان المؤمن يتبع في السنة كل حديث يتوعد فيه النبي صلى الله عليه وسلم مرتكب ما نهى عنه، بأنه ليس منا، بأن هذا من الكبائر، فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما ينفي عن إنسان انتماءه لهذا الدين معنى ذلك أنه ارتكب كبيرة، أكبر نشاط في الحياة نشاط البيع والشراء، ما من إنسان مهما كان، مهما تكن مهمته، مهما يكن حجمه، إلا يبيع ويشتري، فالإنسان حينما يغش ليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الرواية:

((ومَن غشَّنا فليس منا))

أما الرواية الأشد:

((من غش فليس منا))

مطلق الغش، لو غششت مجوسياً فلست منا، لو غششت ملحداً فلست منا، فالنبي عليه الصلاة والسلام يبني المؤمن بناءً صحيحاً ، يبني المؤمن بناءً دقيقاً ، المؤمن لا يغش، المؤمن لا يكذب ، المؤمن لا يخون ، المؤمن لا يفعل شيئاً يغضب الله عز وجل.

لو أن الباعة طبقوا هذا الحديث لكنا في حال غير هذا الحال، السبب الذي جعل المسلمين يتأخرون أنهم ضغطوا الدين فجعلوه عبادات شعائرية ، ونسوا أن الدين معاملات، ففصلوا بين المسجد وبين السوق، الدين كلٌّ لا يتجزأ، دينك في بيت الله تؤدي الصلوات، ودينك في دكانك تنصح المسلمين.

((فمن غش فليس منا)) ((ومَن غشَّنا فليس منا))

أحاديث عدة تنفي عن الإنسان انتماءه للمسلمين حينما يفعل بعض هذه الذنوب:

العلماء حينما صنفوا الكبائر على أي شيء اعتمدوا ؟ اعتمدوا على وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المرأة إذا خرجت متعطرة لعنتها الملائكة حتى ترجع، معنى ذلك أن هذا الذنب من الكبائر، فهي في غضب الله.

((من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا))

[أحمد و ابن ماجه عن أبي هريرة]

معنى ذلك أن ترك الأضحية للموسر شيء كبير، إذاً جعلت واجباً.

فهناك مصطلحات، أحد أخطر هذه المصطلحات أن يقول عليه الصلاة والسلام: من فعل كذا فليس منا.

بالجامع الصغير بضعة أحاديث تصل إلى العشرة تقريباً مبدوءة بكلمة ليس منا، مثلاً ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أي إذا كرّه الإنسان زوجة بزوجها.

أحياناً الأم تفعل هذا، تصغر الزوج أمام زوجته، ماذا قدم لك في العيد ؟ ما الهدية التي قدمها إليك؟ تصغر من شأنه، كل إنسان يفسد علاقة زوجين مهما تكن نيته ليس منا.

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امرأة على زوجها أو عبدا عَلَى سَيِّدِهِ))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

ليس منا من خبب عبداً على مولاه.

موظف في محل، تريد أن تفسده على صاحب العمل لتأخذه إليك ، هذا ليس منا إطلاقا ، ليس منا من غش.

((لَيسَ مِنَّا مَنْ دَعا إلى عَصبيَّة))

[أبو داود عن جبير بن مطعم]

قال لك: نحن بيت فلان ، نحن العشيرة الفلانية ، دعا إلى تجمع غير ديني، دعا إلى عصبية.

((ليس منا من قاتل على عصبيَّة))

[أبو داود عن جبير بن مطعم]

ليس منا من قُتل على عصبية ، ليس منا من دعا بدعوى الجاهلية ، ليس منا من انتهبَ ، وليس منا من أشار بالنهب.

((ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه))

[أبو يعلى عن أنس]

أكثر من عشرة أحاديث تنفي عن الإنسان انتماءه للمسلمين حينما يفعل بعض هذه الذنوب.

من أخفى عيب البضاعة عن الشاري فقد وقع في إثم الغش:

هنا الحديث:

((مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه:

((مرّ على صبرة من طعام فأدخل يده فيه فنالت أصابعه بللا فيه رطوبة عالية فقال ما هذا يا صاحب الطعام فقال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال من غشنا فليس مني))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

معنى ذلك كل إنسان يبيع ويشتري ، لمجرد أن يخفي العيب وقع في هذا الحديث، لمجرد أن يخفي العيب عن الشاري فقد وقع في إثم الغش.

((من غشنا فليس مني))

((من غش فليس منا))

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَنْ بَاعَ عَيْباً لَمْ يُبَيِّنْهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ اللَّهِ وَلَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُهُ))

[رواه ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع]

معنى هذا أن الدين شيء كبير ، الدين منهج قويم ، الدين يدور معك أينما ذهبت ، الدين ليس في المسجد ، الدين في التعامل اليومي، أظهر مظهر له في حرفتك ، هناك مظهر صارخ للدين ، هناك مظهر حقيقي، المظهر الصارخ تصلي في المسجد ، أما مظهره الحقيقي وأنت في دكانك ، وأنت في التعامل اليومي ، ودائماً الإنسان الله عز وجل يمتحنه بإنسان جاهل الباعة من أين يؤخذون ؟ يأتي زبون جاهل يمكن أن تبيعه أسوأ بضاعة بأعلى سعر، ما الذي يمنعك من ذلك ؟ خوفك من الله عز وجل ، لذلك تنصحه ، تقدم له أفضل البضاعة بأحسن سعر، هذا المؤمن ، أما حينما يستغل جهل الشاري، ويرفع السعر، ويعطيه أسوأ بضاعة، هذا دخل في الغش.

أساليب الغش لا تعد ولا تحصى فالعاقل من ابتعد عنها:

ورد عن السيدة عائشة ـ ولهذا الحديث وجهات نظر مختلفة ـ أن إنساناً وقع في معصية كبيرة في البيع والشراء، السيدة عائشة قالت: قولوا له إنه أبطل جهاده مع رسول الله. يستنبط من هذا كلام

كبير ، أن أي إنسان له عمل صالح ، له عبادته ، له إنفاقه ، له صومه، لو أنه ارتكب الكبائر في التعامل اليومي كأنه أبطل هذا العبادات ، هذه له لكنه أبطل مفعولها، العبادة وسيلة تقرب العبد إلى الله عز وجل ، لكن الإنسان عندما يرتكب كبيرة صار هناك حجاب بينه وبين الله ، مفعول هذه الصلاة انتهى، أبطل مفعولها ، الصلاة وسيلة تقرب العبد من الله عز وجل، صلى وغش الناس ؟! الغش صار حجاباً ، كأنه عطل مفعول الصلاة.

((مَنْ بَاعَ عَيْباً))

من بلاغة النبي عليه الصلاة والسلام ما قال: من باع شيئاً فيه عيب، صار العيب هو الأول ، هذه البضاعة فيها عيب، معناها هل البضاعة هي عيب ؟ ما قال: من باع بضاعة فيها عيب ، قال:

((مَنْ بَاعَ عَيْباً لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ اللَّهِ وَلَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُهُ))

[رواه ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع]

بعيد عن الله عز وجل، فالآن نحن مهمتنا أن ننظر ما الذي يغضب الله علينا ؟ ما الذي يجعلنا في مقت الله وسخطه ؟ أن نغش بعضنا بعضاً ، وهذا والله موجود بشكل واسع جداً ، حتى بين الذين يصلون ، حتى بين الذين يحسبون على الدين ، حتى بين الذين يرتادون المساجد، تجد أن أساس بيعه مبني على الغش ، وأساليب الغش لا تعد ولا تحصى ، وليس لها نهاية في كل شيء.

الصدق يرفع المؤمن عند ربه إلى مكان رفيع:

حتى العلماء وصلوا إلى مستوى أن الإنسان إذا عرض البضاعة عرضاً مغرياً أحياناً هناك إضاءة معينة، ترتيبات معينة ، هذا يغري الشاري، ويرفعها عن المستوى الحقيقي لها ، هذا نوع من الغش لأنك تعطيها ميزات هي دون ذلك ، لأنك تعطيها مواصفات ليست صحيحة ، فهذه ليس شطارة في البيع والشراء ، هذه حماقة الشطارة، و أن تقول للشاري عن البضاعة كل شيء هذا هو الدين.

((أدخل يده فيه فنالت أصابعه بللا في رطوبة فقال ما هذا يا صاحب الطعام فقال أصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال من غشنا فليس مني))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الذي يرفع المؤمن إلى مقام رفيع هو صدقه ، فنحن ندخل ديننا في كل شيء، ديننا في بيوتنا ، وفي تجارتنا ، وفي بيعنا وشرائنا ، قد يقول أحدكم: أنا بإمكاني أن أبيع بضاعة سيئة، نقول له: نعم بشرط أن تبين ، كل إنسان له مستوى مالي معين ، له قدرة على الشراء معينة ، فأنت قد تبيع بضاعة سيئة شرط أن تقول: هذه البضاعة سيئة، فيها العيوب التالية ، فعندما تبين انعدم الغش إطلاقاً.

لو توهم إنسان أنه يجب أن نبيع بضاعة درجة أولى ، لا ، البضائع تتفاوت، وكل بضاعة لها مستوى، أنت بمجرد أن تعلن عن العيب أو عن النقص، البيع صار شرعياً، أما صار له سعر خاص هذه هي المشكلة، فأنت عندما تأخذ منه سعر درجة أولى وتبيعه درجة خامسة ، معنى هذا نوع من أنواع السرقة، لكنها سرقة مبطنة، دفعته ثمن لبضاعة جيدة و أعطيته بضاعة سيئة ، هذا نوع من أنواع الغش.

((من غشنا فليس مني))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٩٣-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترهيب من الاحتكار

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحتكار و تعريفه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من احْتَكَرَ طعاماً فَهُوَ خاطئ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن مَعمر بن أبي مَعمر]

وفي رواية أخرى:

((لا يحتكر إلا خاطئ))

[أخرجه مسلم عن مَعمر بن عبد الله]

أيها الأخوة الكرام، الإنسان حريص على شيئين أساسيين، حريص على حياته، وحريص على رزقه، ويأتي الحرص على الرزق بعد الحرص على الحياة، وأوسع نشاط للإنسان كسبه للمال وإنفاقه للمال.

الاحتكار بالتعريف الدقيق: التدخل في حركة السوق، السوق له حركة طبيعية، هناك طلب، وهناك عرض، السعر يستقر على موازنة بين العرض والطلب، أما حينما نفتعل شيئاً، حينما نشتري البضاعة ونخزنها، ليقل عرضها فيرتفع ثمنها، هنا تدخل، تدخل مفتعل في حركة السوق الطبيعية، هذا التدخل المفتعل في حركة السوق الطبيعية من شأنه أن يرفع السعر، والسعر شيء خطير جداً في حياة الناس، كل إنسان له دخل، لو أن الأسعار ارتفعت لقلّ دخله، هذا المال راتب الإنسان دخله هو طعام أولاده، تطبيب أولاده، كساء أولاده، تأمين حاجاته الأساسية، فلو عملت حركة ورفعت السعر معنى هذا أنك خلصته نصف معاشه، أخذته حراماً، الشيء الظاهر الأسعار ارتفعت، بيع وشراء، هو حر، لا ليس حراً، لابدّ من أن يشتري اللحم، لابدّ من أن يشتهي الفاكهة، الطفل يحتاج لفاكهة، لابدّ من أن يشتري الدواء.

فعندما يتدخل الإنسان ويرفع السعر ما الذي يحصل ؟ السعر ارتفع، الشريحة المستفيدة من هذه السلعة صغرت، صار هناك فئة قليلة تتنعم بكل شيء، وفئة كثيرة حرمت من كل شيء.

حينما يكون الفقر قائماً، والإيمان ضعيفاً، تنشأ الجريمة، تنشأ السرقة، تنشأ الدعارة.

إنسان باحث اجتماعي، زار السجون، ولاسيما سجون النساء، هذا الباحث توصل إلى حقيقة مرة، أنّ تسعين بالمئة من النساء اللواتي يعملن في الدعارة عن فقر شديد وعن حاجة.

الأحمق من بنى دخله على شقاء الآخرين و تعاستهم:

عندما أنت ترفع السعر، وتقلل قيمة الدخل، صار الدخل ليس له قيمة، عندئذٍ تفشو جريمة، تفشو السرقة، يفشو الانحراف والزنا، لأن السعر خطير، الله هو المسعر، أما إنسان يتدخل بالتسعير، يحتكر، يعمل ترتيباً معيناً ليرفع السعر، يعمل تجمعاً معيناً.
فالاحتكار يعني دمار مجتمع، الاحتكار حرمت الناس من لقمة عيشهم، فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا يحتكر إلا خاطئ))

[أخرجه مسلم عن مَعمر بن عبد الله]

هذا المحتكر إنسان جشع، إنسان يعيش لذاته، إنسان يجمع هذا المال وقد لا ينتفع به، يجمع هذا المال وسيحاسب عليه، والخيارات كلها بيد الله عز وجل، يمكن أن يجمع المال من جهة و يدفعه لعملية في القلب خارج القطر، يقول: كلفت العملية مليوني ليرة، يمكن أن يصاب بفشل كلوي، كل شيء جمعه دفعه ثمن عملية جراحية باهظة، يمكن أن يبيع بيته بالنهاية.

فالإنسان إذا بنى دخله على شقاء الآخرين يكون أحمقاً، يكون بعيداً عن الرحمة، كل أسرة لها دخل، لاحظ عندما الأسعار ترتفع بشكل عام، كان الدخل يسع الطعام، والكساء، والطبابة، لم يعد يسع الدخل الطبابة، لم يعد يسع الدخل اللباس، الطعام هبط مستواه، فعندما يرفع الإنسان الأسعار حتى يحقق أرباحاً طائلة، هو لا يدري أنه يرتكب جريمة، والمؤمن كلما رخصت الأسعار يفرح، وكلما ارتفعت يحزن، أما المحتكر إذا السعر هبط يتضايق، وإذا لم يأخذ ثلاثة أمثال السعر لا يشعر براحة، أما الناس حرموا، الناس افتقروا، الناس انحرفوا، لا فرق عنده.

كم مشكلة بالبيوت بسبب ضيق الدخل ؟ كم مشكلة بين الزوجة وزوجته ؟ بين الزوج وأولاده ؟ كلما ارتفع السعر الدخل لم يعد له قيمة، صار ألوف لكن لا تساوي مئات سابقاً.

اثنان لا تقربهما الإشراك بالله والإضرار بالناس:

إذاً: موضوع الاحتكار موضوع خطير، اثنان لا تقربهما الإشراك بالله، والإضرار بالناس. أنا أذكر قصة قديمة جداً، من أكثر من عشرين سنة، عدة تجار يستوردون الفستق، فاتفقوا مع بعضهم، و اعتذروا عن استيراد الفستق إلا واحداً، هذا الواحد أخذ منهم جميعاً، اتفقوا أن تكون صفقة واحدة، فأحضروا كمية ضخمة، بائعو الحلويات كلما ذهبوا إلى مستورد يقول لهم: الأسعار

مرتفعة جداً في هذه السنة فلم نستورد، هي ليست غالية، هي عادية جداً ـ و لكن هذا اتفاق فيما بينهم ـ أنا أذكر أنه كان يباع كيلو المعمول الفستق بخمس ليرات وربع ـ القصة قديمة جداً ـ بسنة واحدة صار بعشرة، الضعف، هذا الفقير كان يشتري خمسة كيلو من المعمول فرضاً لم يعد يستطيع أن يشتريهم، يأخذ نصفهم، طبعاً التجار الخمسة بالاحتكار والاتفاق غيروا بيوتهم، وغيروا سياراتهم فوراً.

فالتاجر يظن هذا ذكاء منه، هناك ألف طريق للاحتكار، ألف طريق وطريق، لكن الله عز وجل يكشف لك يوم القيامة ماذا فعلت بالناس.

أنا أقول لكم: لو تعدوا المقاسي في البيوت الناتجة عن رفع الأسعار، إذا قال ابن لأبيه: نريد موزاً، ومعاش الأب لا يكفي، إذا قالت له الزوجة: أريد هذه الكنزة، لا يكفي، إذا كان ثمن الكنزة يقدر بألفين و خمسمئة ليرة، ومعاشه خمسة آلاف، معقول نصف معاشه ؟ لا تنظر إلى الأغنياء، الأغنياء لا يشكلون شيئاً، انظر إلى الخط العريض في المجتمع، انظر إلى أصحاب الدخل المحدود، كلام خطير.

فالإنسان إذا كان له عمل تجاري متعلق بالمواد الغذائية أو الأساسية لا يفرح لرفع السعر، يجب أن يتألم أشد الألم، لانتشار الحرمان و نشوء المشكلات.

فالمسلم عندما يكون بخير فنحن جميعاً بخير، أما إذا المسلم في ضائقة، وفي مشكلة، فموضوع السعر موضوع خطير.

الكمال بالاقتصاد أن تكون الكتلة النقدية موزعة بين أيدي الناس جميعاً:

أنا كنت أشبهه بمخروط له عمود في الوسط، العمود هو السعر، كلما رفعت السعر صغرت الشريحة، لو فرضنا أن هناك فاكهة جديدة، فرضاً برتقال، لو نزل بسبعين ليرة كم إنساناً يشتري برتقالاً ؟ لو صار بالثلاثين، بالعشرين، بخمس عشرة، بعشر، كلما نزل السعر توسعت الشريحة، فالكمال بالاقتصاد أن تكون الكتلة النقدية موزعة بين أيدي الناس جميعاً، الكل يأكل فواكه، الكل يأكل لحماً، الكل يلبس، الكل يسكن ببيوت، الكل عنده هاتف، هذا الكمال، أما إذا رفعنا الأسعار فتضيق الشرائح، تصبح الفئة القليلة هي المستفيدة، والفئة الكثيرة هي المحرومة، والحرمان معه مشكلات، و انحراف، و خصومات.

أحياناً ابن لا يجد في دخل والده ما يحقق طموحه، تنشأ مشكلة، ومع ذلك فالعمل مقدس، الإنسان عندما يعمل، ويهيئ لأولاده وزوجته الحاجات الأساسية، هذا العمل جزء من عبادته، وهناك أناس يميلون إلى الكسل، إلى القعود، فالعمل لتأمين حاجات الأسرة هذا جزء من عبادة الإنسان.

لذلك كان سيدنا عمر رضي الله عنه عندما يلتقي بأحد ولاته أول سؤال يطرح عليه ـ جاءه والي الشام، جاءه والي العراق ـ يقول له: كيف الأسعار عندكم ؟ من شدة رحمته يسأل عن الأسعار، فلو

عرف المسلم ربه، وعرف منهج الله عز وجل، وعرف خطورة رفع السعر، لعد للمليون قبل أن يرفع السعر، فكيف إذا افتعل ذلك افتعالاً ؟ نحن نتوهم أن البائع هو المحتكر، لا، والمشتري هو المحتكر.

التخزين والإيهام وافتعال الأزمات يرفع الأسعار فعلينا الابتعاد عن هذه الأعمال:

كنت أضرب أمثلة: هذا المعمل يطرح بالسوق طن معكرونة فرضاً، كل يوم صار في قلق، أنا يلزمني بالسنة ربطتين، أخذت خمس ربطات، الخمس ربطات سببوا إرباكاً بالمعمل، رفع السعر، فحتى المشتري يعد محتكراً إذا اشترى فوق حاجته.

فالمشتري إذا أخذ حاجته، والبائع لم يخزن، ولم يكذب، ولم يوهم، ولم يفتعل شيئاً تجد السعر طبيعياً.

الحديد مثلاً عندنا صارت حركته طبيعية فالطن يقدر بثماني عشرة ليرة أو خمس عشرة ليرة، وعندما تدخل البعض صار بأربعين، الطن بين أربعين و بين خمس عشرة ؟ فرق كبير جداً.

السكر أذكر حركته الطبيعية بخمس عشرة ليرة، غير الطبيعية بثلاثين، بخمس وثلاثين، فكلما صار تدخل غير طبيعي من قبل البائعين، التخزين، والإيهام، وافتعال الأزمات، يرفع الأسعار، من يدفع ثمن هذه اللعبة القذرة ؟ أصحاب الدخل المحدود.

فالإنسان عندما يكون في قلبه رحمة عندما ترتفع الأسعار لا يفرح، و المحتكر إذا ارتفع السعر يفرح، وإذا انخفض يتألم.

الابتعاد عن الاحتكار من قِبل البائع أو الشاري:

حتى إن هناك مصطلحاً أنا أحتقره جداً، يقول لك: تبهدل السعر، إذا لم يكن السعر عالياً جداً، والناس تتمنى شراء هذه الحاجة هو لا يستطع شراءها، لا يعد نفسه تاجراً شاطراً، أما إذا هبط السعر، الآن أكثر الأساليب في البيع والشراء أساسها الاحتكار، أساسها الحصر، يحصر ثلاثمئة بالمئة، إذا لم يكن هناك حصر لا يوجد ربح أثناء المنافسة.

لذلك الدول الأجنبية الكافرة لا تسمح لمنتج تحتكره شركة مصنعة، الاحتكار عندهم ممنوع، يجب أن يكون في شركتين تنتج هذا الصنف، حتى يتنافسوا، والتنافس لصالح المواطن، لصالح المشتري، النبي عليه الصلاة والسلام:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

(سورة النجم)

فأول ملاحظة أن المحتكر هو المشتري، والبائع أيضاً هو المحتكر.

الخلاف حول مادة الاحتكار:

الشيء الثاني في: الخلاف حول مادة الاحتكار، العلماء بعضهم قال: في الغذائيات، في المواد الأساسية، في اللحم، والسكر، والأرز، من حق الحاكم، من حقه الطبيعي، وهذا من واجباته أن يسعر بالمواد الأساسية، هذا الرأي ينتج عنه أن الأشياء الثانوية ليس فيها احتكار، إنسان يشتري حوض سمك، إذا كان سعره مرتفعاً لا تشتريه، لا يؤثر على طعام أولاده، الأشياء الكمالية الثانوية الترفيهية هذه لا تدخل في الاحتكار، لكن بعض العلماء وسع الاحتكار حتى إلى خبرات الإنسان إذا كان عرضها بثمن باهظ.

فالإنسان إذا كان يملك اختصاصاً نادراً، وطلب سعراً غير معقول أرهق الناس، فهو الموضوع هنا خلافي بين المواد الغذائية فقط الأساسية التي بها قوام الإنسان، وبين المواد الأخرى، بل حتى هناك من يجعل الاحتكار يشمل الاختصاصات النادرة والخبرات، أعاذنا الله وإياكم من أن نسلك سبيل الاحتكار.

((لا يحتكر إلا خاطئ))

[أخرجه مسلم عن مَعمر بن عبد الله]

((من احْتَكَرَ طعاماً فَهُوَ خاطئ))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن مُعمر بن أبي مَعمر]

التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين:

هناك أحاديث أذكرها، أن الإنسان إذا اشترى الطعام، وباعه بسعر يومه، فكأنه تصدق بثمنه، تأتي ببضاعة، وكميات كبيرة، تبيعها بسعر يومها، من دون احتكار، فكأنك تصدقت بثمنها، و هذا العمل عدّه النبي عملاً صالحاً، والمواد إذا كثُرت رخص سعرها.

وهناك حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

التاجر الصدوق داعية، داعية بعمله، لأن الرزق أهم شيء بعد الحياة، فالتاجر إذا أمن لك بضاعة جيدة بسعر معتدل هو مع النبيين والصديقين والشهداء.

أنا أذكر إذا أخذت بضاعة جيدة بسعر معتدل لسنوات الله يجزيه الخير، الله يبارك له، هناك حاجات متقنة وسعرها معتدل، و عندما يشتري الإنسان سلعة سيئة جداً بسعر معتدل، المهذب يسبه مئة مرة، يقول لك: لا بارك الله له، غشني.

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

الدعوة إلى الله ليس بالكلام فقط إنما بالأعمال أيضاً:

شيء يدعو إلى العجب، الأقطار الإسلامية التي فتحت بالجهاد معروفة، أما أكبر قطر إسلامي على الإطلاق يساوي الأمة العربية بأكملها، إندونيسيا، وماليزيا، هذه الأقطار فتحت عن طريق التجار، التاجر دولة، فالتاجر عندما يكون صادقاً، أميناً، رحيماً، هذا إنسان عظيم، هذا التاجر صار داعية، وهو لا يشعر، الدعوة ليست بالكلام.

أحياناً سعرك المعتدل دعوة إلى الله، كشف العيب دعوة إلى الله، الصدق دعوة إلى الله، الأمانة دعوة إلى الله، فتجد أن الإنسان عندما يكذب انتهى، عندما يغش انتهى، عندما يعلن عن بضاعته بغير حقيقتها انتهى، مليون أسلوب، مليون طريقة، يضع لصاقة جديدة.

والله بلغني أن في الكويت معملاً حديثاً جداً، متفوقاً جداً، أي بضاعة غذائية انتهى وقتها يضع لها لصاقة مشابهة للأصل، أو يطبعها على القطعة، بتاريخ جديد، تأتي البضائع للبنان، وتتهرب للدول المجاور ـ هي قشقوان ـ وهي منتهية المفعول، انتهت من التخزين، اللصاقة جديدة عليها، هذا أسلوب الغش، إنسان يبيع بضاعة قد انتهى مفعولها ؟ هذا غش، فأساليب الغش لا تنتهي، أي شيء لا ينتهي، حدث ولا حرج، تغير المواصفات، الإيهام، أقلها هي صناعة إيطالية، يقول لك: صناعة إيطالية و تكون مصنوعة ببلد متخلف، لكن ليس كل البائعين أذكياء، وليس كل الذين يشترون يعلمون الحقائق، يوهمك أنها مستوردة، أخذ سعراً مضاعفاً، فهنا:

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٩٤-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - ترغيب التجار في الصدق وترهيبهم من الكذب والحلف وإن كانوا صادقين -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

التاجر عندما يحقق للإنسان سلعة جيدة بسعر معتدل وبمعاملة طيبة يكون مع النبيين:

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((التاجر الصدوق))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

الصدوق غير الصادق، الصدوق صيغة مبالغة، شديد الصدق، كثير الصدق.

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

باع، واشترى، وربح، مع النبيين والصديقين والشهداء، لأن حاجة الإنسان الأساسية بعد وجوده رزقه، يكسب المال، وينفق المال، فإذا اشترى سلعة، وكانت هذه السلعة جديدة بسعر معتدل شعر أنه حقق مكسباً كبيراً.

هناك شيء في علم النفس أنت لا تشتري شيئاً إلا بحالة واحدة، إلا إذا رأيت هذا الشيء أثمن من المال الذي دفعته، وأنت لا تبيع شيئاً إلا إذا رأيت المال الذي تأخذه أثمن من هذه السلعة التي تبيعها، هذه حالة نفسية.

فالإنسان يجتهد أن السلعة جيدة، أحياناً تدخل طرق الغش بشكل مخيف، نحن مقبلون على فصل الشتاء، أحياناً هناك جوارب صوف، ثمن الزوج مئتا ليرة، أو مئة وخمسون، أحياناً يكون الخيط سيئاً جداً، بعض الألبسة الكاسدة تفرم ويغزل منها خيوط، هذه السلعة تستعملها أسبوعين ثلاثة تنتهي، دفعت ثمن نوع جيد أخذت نوعاً سيئاً، تتألم لأن الثمن لا يتناسب مع السلعة.

فالتاجر عندما يحقق للإنسان سلعة جيدة بسعر معتدل، بمعاملة طيبة، هذا يكون قد حقق هدفاً كبيراً للإنسان.

الصدق والأمانة من لوازم الإيمان:

قلت لكم في الدرس الماضي: إن أكبر قطر إسلامي "إندونيسيا" يساوي سكانه العالم العربي كله، تمّ إسلامه عن طريق التجار، فالتاجر عندما يكون صادقاً، و أميناً، ويقدم السلعة الجيدة بالسعر المناسب هذا إنسان داعية، هذه دعوة، الصدق دعوة، والأمانة دعوة، والإتقان دعوة، وعدم الكذب دعوة، وكشف العيب دعوة، والتساهل دعوة، فيمكن أن تكون داعية وأنت صامت.

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

فأنت ألغ الأمانة والصدق انتهى المجتمع، و عندما تحقق الأمانة والصدق نصبح في أعلى عليين، أكثر مشاكلنا من الكذب، والغش، والتدليس، والخيانة.

إذاً: لو توافق الصدق والأمانة مع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام لأصبحنا في أعلى عليين:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

من لوازم الإيمان الصدق والأمانة، يؤتمن على الملايين، فصار التاجر الصدوق.

التاجر عندما يحقق الأخلاق العالية في بيعه و شرائه يصبح داعية إلى الله تعالى:

الحقيقة الحديث محير، أن الإنسان باع واشترى وربح في مصاف الأنبياء والصديقين والشهداء ماذا فعل ؟ حقق للناس مصالحهم، أنت جرب هذه الخطة مع مؤمن تشتري منه وأنت مرتاح، لا يوجد غدر، لا يوجد غش، تسلم له، أراحك من معركة، الآن الحياة معارك، شراء حاجة معركة، تحتاج إلى خبراء لأن هناك مطبات كبيرة، و ألغام كثيرة، فيمكن أن تشتري سيارة سيئة جداً، فيها عيب كبير و البائع أخفى عنك العيب، شعرت أنه غبنك أو سرقك، فالغبن مؤلم جداً، فأنت مع تاجر مؤمن ترتاح، يربح عليك دون أن يغشك، دون أن يغدر بك، وعندما يحقق التاجر هذه الأخلاق العالية صار داعية.

الحقيقة ماذا ينقصنا الآن، كمعلومات موجودة، والكتب موجودة أيضاً، ينقصنا إنسان مسلم لا يكذب أبداً، أمين لا يغش أبداً، وجود هذا المسلم هو الذي يوسع دائرة المسلمين، وافتقاد هذا المسلم هو يجعل الناس يخرجون من دين الله أفواجاً.

المؤمن كماله صارخ و استقامته صارخة:

الآن انظر أي إنسان ليس فيه دين متعلق بحادثة أن فلاناً غشني، هو كذاب ويصلي، أكثر المتفلتين يتفقون على حالة خيانة أو كذب للمسلم فهم مرتاحون، الدين باطل وأخلاق المؤمنين سيئة جداً، يكذبون، ويغشون، والكافر عندما يجد مسلماً يغش، أو يكذب، أو يخون، تثبت له أنت كفره، يعتقد أنه هو على صح.

(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

(سورة الممتحنة الآية: ٥)

بما أن الكافر يجد من المسلم معاملة سيئة يتشبث بكفره، يتأصل الكفر عنده، يقول لك: أنا الصح، وهؤلاء غير صح، وعندما أنت تعامل الكافر معاملة كاملة تحرجه، تدعه يختل توازنه، هذا المؤمن، المؤمن علم، المؤمن كماله صارخ، المؤمن يلفت النظر باستقامته، لا يكذب أبداً، ولو كان الكذب سهلاً ويجلب له خيراً كثيراً.

إذاً يرتقي التاجر إلى مستوى أن يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء، لا لأنه باع، واشترى، وربح، بل لأنه كان داعية إلى الإسلام، لأنه كان مسلماً عملياً، لأنه دعا دعوة عملية، والناس لا يصدقون آذانهم يصدقون عيونهم.

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

وهناك رواية أخرى:

((التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر]

الإسلام شرط من شروط التاجر الصدوق الأمين:

قد تجد تاجراً بعيداً عن الإسلام، هو بذكائه يعامل الناس معاملة طيبة، لكن هذا لا ينطلق من عبادة، ولا من طاعة لله عز وجل، مصلحته تقتضي أن يكون مستقيماً، وهذا شان أكثر الشركات الأجنبية، مصلحتها المادية تقتضي أن تستقيم، أن تكون صادقة، أن يكون عملها متقناً، لكن هذه

الشركات أحياناً تنتكس فجأة، لأن هذا العمل لا ينطلق من إيمان، ولا من طاعة، ولا من عبادة، ينطلق من سلوك ذكي، فلذلك قد ينتكس هذا الإنسان، هنا جاء قيد جديد أن يكون مسلماً.

((التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة))

هذه رواية ابن عمر.

وروي عن أنس رضي الله عنه قال، قال عليه الصلاة والسلام:

((التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة))

[الديلمي عن أنس]

الحقيقة الإسلام، أو المسلمون يشبهون أسرة، كل واحد له دور، هناك خطيب مسجد، و طبيب، و مهندس، و تاجر، و صناعي، و موظف، الإسلام يقبل هؤلاء جميعاً، ويرقى بهؤلاء جميعاً، ولهؤلاء جميعاً مكانة علية عند الله، لا يوجد تفاوت بينهم، أنت تحتاج إلى من يعلمك، المدرس، وإلى من يبني لك بيتاً، المهندس، وإلى من يعالجك، الطبيب، وإلى من يربي أولادك، المدرس، وإلى من يبيعك سلعة جيدة بسعر معتدل، التاجر، فصار التاجر سد ثغرة، والمعلم سد ثغرة، والطبيب سد ثغرة، والمهندس سد ثغرة، معنى هذا نحن أسرة، كل إنسان له أجر، وله مكانة عند الله بحسب إتقانه لعمله، ومعاملته الطيبة للآخرين.

كل إنسان أتقن عمله وعبد الله عز وجل فهو فالح، وهو في أعلى عليين، كل إنسان له دور، هذه نقطة دقيقة جداً، النقطة تجعل الإنسان يتفانى بإتقان عمله، والإخلاص في عمله، وخدمة المسلمين. قديماً التاجر عندما يفتح دكانه يقول: نويت خدمة المسلمين، انقلب عمله إلى عبادة، يفتح المحل ويشتري ويبيع، إن هؤلاء المسلمين أحباب الله، فأنت إذا بعتهم سلعة جيدة بسعر معتدل حققت لهم مصالحهم، فالله عز وجل مع هؤلاء، ينصرهم دائماً.

كل إنسان له أجر عند الله تعالى بحسب إتقانه لعمله ومعاملته الطيبة:

أنا فيما أذكر قبل خمسين سنة كان التاجر شخصاً مهماً جداً، كان شخصاً أخلاقياً، لا يبيع دينه و لو اختلف السعر برقم كبير، باعَ باع، اشترىَ اشترى، لا يغش أبداً، لا يكذب أبداً، فتجد أن التاجر أحد أركان المجتمع، ركن كبير، الآن الشراء والبيع معركة، عملية لغم، وعملية مشادة وصراع تحتاج لخبراء لكل مصلحة، لوجود الغش، والتدليس، والكذب، وبعدها كل إنسان يبيع ويشتري، بشكل أو بآخر تاجر، قد يكون احترافه التجارة، وقد يكون المال تجارة دون أن يكون تاجراً، فلابد من الصدق والأمانة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن التاجر إذا كان فيه أربع خصال طاب كسبه إذا اشترى لم يذم، وإذا باع لم يمدح ولم يدلس في البيع ولم يحلف فيما بين ذلك))

[أخرجه الأصبهاني عن أبي أمامة موفوعاً]

لا يوجد ذم عند الشراء، ولا مدح عند المبيع، ولا تدليس، ولا حلف إيمان كاذبة.

وقد روى الأصفهاني والبيهقي عن معاذ بلفظ آخر:

((إنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا وَإِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا وَإِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَذِمُّوا وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يُطْرُوا وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا))

[الأصفهاني و البيهقي عن معاذ]

إذا حدث لم يكذب، وبعض التجار لا يصدقون أبداً، كذب بشكل فاضح، يحلف أيماناً أن الرأسمال أعلى، وهو في الوقت نفسه ربحان مئة بالمئة، إذا حدث لم يكذب، وإذا وعد لم يخلف وإذا ائتمن لم يخون، وإذا اشترى لم يذم، وإذا باع لم يمدح، وإذا كان عليه لم يماطل، وإذا كان له لم يعسر، لو طبق التجار هذه الصفات، هذه الأخلاق لكانوا في حال غير هذه الحال.

من شروط التجارة الصدق والأمانة وعدم الإخلاف بالوعد والدفع في الوقت المناسب:

الذي يحدث أن التاجر يستغل جهل الشاري، يغشه، يبيعه، و بالمقابل يقف موقفاً مهيناً أمام موظف ما، هذه المعاملة السيئة، أنت النقطة الدقيقة، أنت حينما لم تتق الله في معاملتك لعباد الله يسخر من عباده من يخيفك، ومن يجعل فرائصك ترتعد منه، إنسان لا يخاف الله وحده، الله أجل وأكرم أن يخيفه من إنسان لا يخوفه.

مرة قال لي شخص: ركبي ترجف، لأن المخالفة تقدر بشهرين في السجن، إنسان بسيط جداً يقول له: أعطني هويتك.

فأنت عندما لا تخاف من الله أثناء معاملتك للزبائن، لا يهمك، تستغل جهله.

((غبن المسترسل حرام))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

تستغل جهل الشاري، تبيعه سلعة غالية بمواصفات سيئة، طبعاً الله يدافع عن هذا الإنسان.

بموقف آخر تجد حالك بموقف صعب جداً أمام موظف، فإذا الإنسان لم يخف من الله في كل أوقاته الله أجلّ وأكرم من أن يخيفه.

هذا الحديث:

((إِنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا وَإِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا وَإِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَذِمُّوا وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يُطْرُوا وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا))

[الأصفهاني و البيهقي عن معاذ]

فكل إنسان له علاقة بالتجارة، أو له علاقة بالبيع والشراء، الصناعي أيضاً تاجر، يصنع البضاعة ليبيعها، مع الصناعة يوجد تجارة، والمزارع أيضاً تاجر، يزرع ليبيع بضاعته، فالبيع والشراء أوسع نشاط، هناك صناعة، وهناك زراعة، وهناك تجارة، فالصناعة تنتهي إلى التجارة، والزراعة تنتهي إلى التجارة، والتجارة أساسها البيع والشراء.

فأوسع نشاط للإنسان هو البيع والشراء، وأهم ما في هذا البيع الصدق، والأمانة، وعدم الإخلاف بالوعد، وعدم المدح الكاذب، أو الذم الكاذب، والدفع في الوقت المناسب.

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الضيق المادي سبب أكثر أنواع الانحرافات:

أيها الأخوة الكرام، الصورة المشرقة للتجار ذكرتها البارحة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء))

[رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

لكن الصورة الأخرى القاتمة المخيفة ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

((عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال يا معشر التجار فاستجابوا لرسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا، إلا من اتقى اللَّه وبر وصدق))

[أخرجه الترمذي عن رفاعة بن رافع]

المال مغري، والمال محبب، والتاجر يغفل عن الله عز وجل، فيجعل همه جمع المال، ولو من طريق غير مشروع، ولو بالكذب والدجل، ولو بالاحتكار، ولو بإيذاء المسلمين، يرفع الأسعار، وينسى أن رفع الأسعار يدمر أسراً بأكملها، رفع الأسعار يسبب انهيار الأسر، الإنسان قبل أن يرفع الأسعار عليه أن يعد للمليون، كلما رفع السعر ضيق على المسلمين، وأكثر أنواع الانحرافات سببها الضيق المادي.

وسيدنا علي قال: "كاد الفقر أن يكون كفراً".

على التاجر أن يدع مصلحته الشخصية و يعبأ بحال المسلمين:

التاجر يدع مصلحته الشخصية فوق كل اعتبار، ولا يعبأ بحال المسلمين، ولا بتأمين حاجاتهم، هذا فاجر، والفاجر أكبر من العاصي أي وقح، أي رفع عنه جلباب الحياء، نزع عنه القناع، صار وحشاً كاسراً، العوام يقولون: الإنسان إذا زاد ماله قسا قلبه هو ينفق بغير حساب، ويعطي النذر اليسير. حدثني أخ يعمل في مؤسسة خاصة ـ القصة قبل خمس أو ست سنوات ـ يعطي هذا الموظف ألفي ليرة في الشهر، يقسم بالله ينفق صاحب المؤسسة في اليوم أربعة آلاف، فلما اعترض قال له: يكفيك

هذا المبلغ، وينفق الأربعة آلاف على يد هذا الموظف، يعطيه قائمة كل يوم، دخل كبير ويعطيه ألفين.

فالإنسان يقسو قلبه قسوة شديدة، يبحث عن زيادة الربح، ويقنن، ويقنن إلى درجة أنه يحرم من حوله، هذا فاجر، هذا يحشر يوق القيامة مع الفجار، إلا من اتقى الله عز وجل، لأن الإنسان أحياناً يبدأ بداية صحيحة، وهو في داخل المعمعة المال يجذبه ويغريه، فيضيق الإنفاق، ويكبر الربح، وربحه وهمي، رزقك الذي تنتفع به فقط، وما سوى ذلك كسب تحاسب عليه ولا تنتفع به، وهناك من الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً.

الحلف حنث أو ندم:

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((إنما الحلف يعني اليمين حنث أو ندم))

[أخرجه ابن ماجه وأبو يعلى والإمام أحمد عن عبد الله بن عمر]

إذا الإنسان حلف أمام حالة، إما أنه سيندم لأنه اتخذ قراراً خاطئاً، أو سيحنث سيخالف يمينه ويقع بالإثم.

((إنما الحلف حنث أو ندم))

إما أن يخرق يمينه فيحنث، وإما أن يندم فيحرم، فالإنسان يعود نفسه ألا يحلف، يقول: سأفعل كذا، فإن بدا له ألا يفعل كذا، لا يوجد عليه شيء، أما أن يقول: والله ثم والله ثم والله لن أزور فلاناً، ثم بدا أن يزوره لسبب قاهر وقع في الحنث، وإذا لم يزره تعطلت مصالحه و وقع في الندم.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إنما الحلف حنث أو ندم))

ربنا عز وجل قال:

(وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)

(سورة المائدة الآية: ٨٩)

لا تحلف لشيء تافه، لا تحلف لشيء طارئ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم و لا يزكيهم ولهم عذاب أليم))

[مسلم عن أبي ذر]

أشد أنواع العذاب يوم القيامة أن تكون محجوباً عن الله تعالى:

الحقيقة يوم القيامة أشد أنواع العذاب أن تكون محجوباً عن الله.

(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)

(سورة المطففين)

تؤكد بعض الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى وجه الله تعالى في الجنة كما يرون القمر ليلة البدر، فيغيبون خمسين ألف عام من نشوة النظرة.

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

(سورة القيامة)

كل جمال الأرض، وكل جمال الكون مسحة من جمال الله.

هناك جمال بشري، يقولون: الجمال البشري سيد الجمال كله، هناك جمال نباتات، انظر إلى الورود، جمال أخاذ، ألوان، ورائحة، وتناسق، انظر إلى الأماكن الجميلة، والجبال الخضراء، و الوديان، والبحر الأزرق الصافي، انظر إلى الأطفال قطعة من الجمال، كل جمال الكون مسحة من جمال الله عز وجل، وأنت في الجنة مسموح لك أن تسعد بجمال الله عز وجل، لأن الله جميل

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ)

متألقة

(إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء و في الآخرة توزيع جزاء:

أشد الناس حمقاً هو الذي يستعجل الملذات في الدنيا، ويضيع الآخرة، الآخرة يجب أن تدخل في حساباتنا اليومية، كل شيء لم يتح لك في الدنيا، وتركته لوجه الله سيأتيك يوم القيامة في أعلى درجة، لأن هناك تسوية الحسابات، الله خلق الناس متفاوتين، منح إنساناً جمالاً أخاذاً، وجعل إنساناً دميماً لحكمة بالغة، أعطى إنساناً صفات للجمال عالية جداً وحرم إنساناً آخر، هذه الدنيا دار ابتلاء، والحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء، وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء.

فلذلك:

((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، ولهم عذاب قال فقرأها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلتُ خابوا وخَسِرُوا مَنْ هُم يا رسول الله قال المُسْبِلُ إزاره والمنّان والمنفّقُ سِلْعَتَّهُ بالحلف الكاذب))

[مسلم عن أبي ذر]

فالمتكبر يرتدي ثياباً فاخرة ليزهو بها على الناس.

من زاد علمه زاد افتقاره إلى الله وزاد تواضعه:

((المُسْبِلُ إزاره والمنّان))

يطعم ويمنن، يقول له: لحم أكتافك من خيري، لولاي ما كنت صرت إنساناً، كنت وراء البقر، وراء الناس، هذا المنان، هذا المنان نسي الواحد الديان، نسي فضل الله عز وجل، نسي أنه مفتقر لفضل الله عز وجل، فالإنسان كلما زاد علمه زاد افتقاره إلى الله، وزاد تواضعه:

((المُسْبِلُ والمنّان والمنفّقُ سِلْعَتَهُ بالحلف الكاذب))

[مسلم عن أبي ذر]

يحلف أيماناً مغلظة أن رأسمالها أكثر، و لم يعد يأتي منها، و عليك أن تلحق حالك، كله كذب، يبيع سلعته بالحلف الكاذب.

الحقيقة التاجر بين أن يكون فاجراً، وبين أن يكون داعية، بين أن يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء، وبين أن يكون عند الله مع الفجار، والتجارة هي هي، إذا كان فيها صدق، وأمانة، وإخلاص، وعدم كذب، وعدم مدح.

من نجا من عذاب أهل الدنيا بكذبه وقع في مسؤولية أمام الله عز وجل يوم القيامة:

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

((مر أعرابيٌ بشاة فقلت تبيعها بثلاثة دراهم ؟ فقال: لا والله، ثم باعها فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال باع آخرته بدنياه))

[أخرجه ابن حبان عن أبي سعيد]

من علامات آخر الزمان أن الإنسان يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، عمره سبع و ستون سنة، أحضر الصحن وترك الصلاة مباشرة، جاء بهذا الصحن وسهر الليالي إلى الفجر، وترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر.

بعد سبع و ستين سنة صلاة ترك الصلاة، يصبح مؤمناً، ويمسي كافراً، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، كم إنسان يحلف يميناً على المصحف بقصر العدل كاذباً ؟ والله ألوف، يمين ؟ قال: جاء الفرج، نحلف، وكأنه لا يوجد آخرة، ولا يوجد إله سيحاسب، يضع يده على كتاب الله ويحلف أيماناً مغلظة أنه ما أخذ منه شيئاً، وليس له بذمته شيء، طبعاً هذا اسمه يمين حاسم، تنتهي الدعوة بهذه الطريقة، وينجو من عذاب أهل الدنيا، لكنه وقع في مسؤولية أمام الله عز وجل.

((مر أعرابي بشاة فقلت تبيعها بثلاثة دراهم فقال لا والله ثم باعها فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال باع آخرته بدنياه))

[ابن حبان عن أبي سعيد]

حضور مجلس العلم ينور القلب و يزود الإنسان بمنهج صحيح:

الذي أريد أن أقوله لكم: حضور مجلس العلم ينور القلب، يعطيك مقاييساً صحيحة، يعطيك منهجاً، تجد إنساناً يتحرك حركة كلها معاصٍ، وكلها عدوان، وكلها ظلم، وكلها قهر.

سمعت عن جهة ترتكب الظلم كل يوم، مؤسسة خيرية لكن انحرفت عن مسارها، فهطلت المطر خلال عشر دقائق كانت خسارتها أربعين مليوناً، الله كبير، قال: الفاتورة تقدر بمئة وخمسين ألفاً، فقالوا له: اخصم لنا خمسة آلاف، فقال لهم: هذه مجموعة أموال من الصدقات فلم يخصم لهم أبداً، و الأسعار تقدر بعشرة أضعاف وهم فقراء، بعشر دقائق خسروا أربعين مليوناً، شيء مخيف، ربنا عز وجل إذا حاسب أدهش حسابه:

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ)

(سورة البروج)

التجارة كسب مشروع و هي في الوقت نفسه مزلق خطر:

أردت من هذا الدرس أن التجارة مزلق أيضاً كما هي كسب مشروع.

((إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا))

[الأصفهاني و البيهقي عن معاذ]

هؤلاء التجار الأحباب، أما الفجار يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، هذا غير الغش، الغش من المعاصي الكبيرة، وقد تقوم على الغش، تغيير المواصفات، تغيير المواد الأولية، إعلان كاذب عن خصائص بضاعة ليست فيها، يعطونها مظهراً مغرياً وهي في الحقيقة سيئة جداً.

الشراكة المبنية على الوفاء والإخلاص و الصدق يوفقها الله عز وجل:

آخر حديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال عليه الصلاة والسلام:

((أنا ثالِثُ الشَّريكيْن ما لم يَخُنْ أحدُهما صاحبَه فإذا خانه خرَجْتُ من بينِهما))

[أبو داود عن أبي هريرة]

أي الشراكة مبنية على الوفاء، وعلى الإخلاص، وعلى الصدق، فإذا خان أحد الشريكين خرج من بينهما ربنا جلّ جلاله.

سألت عن إنسان عنده معمل رائج جداً، فإذا هو معمل منافس، قال لي: لم أتأثر أبداً، فسألته عن السبب؟ فقال لي: المعمل النافس فيه خيانة بين الشركاء، كل شريك يشتري مادة أولية ويرفع سعرها على شركائه، يأخذ ربحاً خارجياً، فالشركة تنهار، ومثل هذه الشركة يخرج الله من بين الشركاء، لا يوفقها، الشراكة ليس فيها حل وسط، أخلص الله توفق، لا يوجد إخلاص لا يوجد توفيق.

((أنا ثالِثُ الشَّريكيْن ما لم يَخُنْ أحدُهما صاحِبَه فإذا خانه خرَجْتُ من بينِهما))

[أبو داود عن أبي هريرة]

قد يُفهم من الخيانة أخذ مبلغ خاص، إذا أخذ مبلغاً خاصاً هذه سرقة، أما الخيانة أنه يطمع شريكه بالبقاء معه، وهو يفكر بأن يدعه خارج الشركة، أي لا يوجد نية التأبيد، هناك نية التوقيت، نية الاستغلال، نية تعلم الخبرة، ثم لفظه خارج الشركة، هذا نوع من الخيانة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٩٦-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترهيب من الدين وترغيب المستدين والمتزوج أن ينويا الوفاء والمبادرة إلى قضاء دين الميت

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤمن الصادق لا يستدين إلا بالقدر الذي يستطيع أن يؤديه:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

((أعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْدِلُ الدَّيْنَ بِالْكُفْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ))

[النسائي عن أَبَي سَعِيدٍ رضي الله عنه]

الإنسان عندما يستدين مبلغاً كبيراً لا يستطيع أداءه يقع في حالة نفسية صعبة جداً، ينشغل بهذا الدين، وهو ذليل في النهار، مهموم في الليل، فالمؤمن الصادق لا يستدين إلا بالقدر الذي يستطيع أن يؤديه، ولا يستدين إلا لحاجات أساسية جداً، أما الذي يستدين لحاجات غير أساسية، أو يستدين ولا يفكر في تهيئة مبلغ يقابل هذا الدين، فقد وقع في كرب عظيم، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((أعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْدِلُ الدَّيْنَ بِالْكُفْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ))

[النسائي عن أَبَي سَعِيدٍ رضي الله عنه]

من كان صادقاً في أداء الدّين يسر الله له وفاء دينه:

هناك حديث آخر:

((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ماذا فعل الأول ؟ أراد أداءها فقط، صادق في أداء الدين، صادق في رد أموال الناس إليهم، صادق في أن يكون محترماً عند الدائن، ما دام صادقاً في أداء الدين ربنا جلّ جلاله ييسر له وفاء الدين.

أنا أعرف أخاً من إخواننا استدان مليون ليرة، ثم قارب الإفلاس، بحسب المعطيات لا يمكن أن يفي هذا الدين، لكنني كنت أراه صادقاً في وفاء الدين، فربنا يسر له عملاً عجيباً، استطاع في ستة أشهر

أن يفي هذا الدين، هذه القصة تركت في نفسي أثراً كبيراً، أن هذا الإنسان حينما يكون صادقاً في وفاء الدين ربنا معه ويصلح له القواعد وييسر له أمره.

((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَها يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ))

[البخاري عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فلان معه لا يلزمه، يماطله، ليت المال الذي بين يديه تلف، لا أتلفه، الله عز وجل يعاقبه بأن يتلفه هو، أتلفه الله عز وجل.

إذا أغنيت الناس تغتني بغناهم وإذا أفقرتهم تفتقر معهم:

((مَنْ حُمِّلَ مِنْ أُمَّتِي دَيْنًا ثُمَّ جَهِدَ فِي قَضَائِهِ فَمَاتَ وَلَمْ يَقْضِهِ فَأَنَا وَلِيُّهُ))

[أحمدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها]

فالمواطن إذا اغتنى نحن جميعاً بخير، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: الإنسان إذا مات وعليه دين فدينه على النبي، لا على النبي بوصفه النبي، على النبي بوصفه ولي أمر المسلمين، أي بيت مال المسلمين إحدى أكبر مهماته أن يفي الدين عن المديون، يقويه، فإذا قواه تقوى الأمة، الأمة عبارة عن مواطنين، المواطنون إذا كانوا في بحبوحة فالدولة في بحبوحة تأخذ الضرائب، أما إذا افتقر الناس جميعاً تتوقف الضرائب، طبعاً ظاهر هذا الحديث أن المديون دينه على النبي عليه الصلاة والسلام بأبعاده العميقة، هذا الإنسان عنصر في المجتمع الإسلامي، فإذا أغنيته أخذت منه كل شيء، أما إذا أفقرته لم يعطك شيئاً، نظرية اقتصادية عميقة، إذا أغنيت الناس تغتني بغناهم، فإذا أفقرتهم تفتقر معهم.

أحياناً الدول الغنية تعمل أساليب لترويج بضاعتها، تقدم مساعدات للدول الفقيرة، هذه المساعدات ماذا تفعل بها هذه الدول ؟ تشتري بها بضاعة من الدول الغنية، فكأن هذه الدول الغنية نشطت معاملها، وروجت سلعها، وانتعشت بهذه المساعدة، لو تعمقت حتى أداء الزكاة، أنا فيما أرى وأعتقد أن الذين يؤدون الزكاة قلة قليلة، أنت تعيش ضمن المؤمنين، كلهم يقدمون الزكاة، أما مجموع المؤمنين لمجموع الناس جميعاً قلة، الذين يؤدون الزكاة قلة، لو أن الزكاة أديت بالتمام والكمال، الفقير إذا أعطيته على العيد خمسة آلاف أو عشرة آلاف من زكاة مالك، ماذا سيفعل بها ؟ سيشتري طعاماً وشراباً ولباساً وأحذية، هكذا، الذي يروج السلع والتجارة وجود المال بين أيدي الناس، وجود سيولة بين أيدي الناس، فأداء الزكاة نفسها هو الذي يسهل ترويج السلع، نظرية اقتصادية، إذا غنيت الفقير اغتنيت منه، و إذا أفقرته افتقرت معه.

((كَانَتْ مَيْمُونَةُ تَدَّانُ وَتُكْثِرُ فَقَالَ لَهَا أَهْلُهَا فِي ذَلِكَ وَلَامُوهَا وَوَجَدُوا عَلَيْهَا فَقَالَتْ لَا أَتْرُكُ الدَّيْنَ وَقَدْ سَمِعْتُ خَلِيلِي وَصَفِيِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَدَّانُ دَيْنًا فَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَهُ إِلَّا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا))

[النسائي عَنْ عِمْرَانَ بْن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها]

الله عز وجل شجع الدائن على أن يقرض وشجع المدين الصادق على أن الله معه:

ربنا رب النيات:

((إنما الأعمال بالنيات))

[البخاري عن عمر بن الخطاب]

الإنسان إذا استدان وفي نيته موقف حاسم جازم أن يؤدي هذا الدين كان الله في عونه.

((إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُ اللَّهُ قَالَ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَقُولُ لِخَازِنِهِ اذْهَبْ فَخُذْ لِي بِدَيْنٍ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً إِلَّا وَاللَّهُ مَعِي))

[الدارمي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن جَعْفَر]

إذا الإنسان أقرض الناس، هنا أقرض، هذا الذي يحل مشاكل الناس، يلبي طلباتهم، يخفف عنهم، يريحهم، هذا الإنسان الله معه:

((إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُ اللَّهُ قَالَ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَقُولُ لِخَازِنِهِ اذْهَبْ فَخُذْ لِي بِدَيْنٍ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً إِلَّا وَاللَّهُ مَعِي))

[الدارمي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن جَعْفَر]

شجع الدائن على أن يقرض، وشجع المدين الصادق على أن الله معه، الله مع الاثنين، مع الدائن الذي يقرض لوجه الله، البديل القرض الربوي، الناس بحاجة إلى الدين حاجة أساسية ثابتة، فإما أن يكون القرض ربوياً فصار هناك إثم على الدائن والمدين، وإما أن يكون القرض حسناً فصار هناك خير عميم.

حقوق العباد مبنية على المشاحة وحقوق الله مبنية على المسامحة:

إلا أن المشكلة الخطيرة أن الذي يستقرض ولا يؤدي هذا يعطل الخير في المجتمع، فآلاف الأشخاص يحلفون يميناً ألا يدينوا أحداً، لأنك تدينه أصبحت شحاداً عنده، الدائن إذا نوى وفاء الدين كان الله معه، والمدين إذا كان صادقاً في أداء الدين كان الله معه.

فكان عليه الصلاة والسلام يسأل أصحابه: أعليه دين ؟ فإن قالوا: نعم، يقول: صلوا على صاحبكم ـ صحابي جليل مات في معركة ـ إن الله يغفر للشهيد كل شيء، ثم استرجع النبي عليه الصلاة

والسلام، جاءه جبريل قال: إلا الدين ـ شهيد قدم حياته لله عز وجل لكن الدين لا بدّ من أن يؤدى ـ فقال أحد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام:

((عليّ دينه يا رسول الله فصلى عليه))

[أحمد عن جابر]

كنت مرة في العمرة حضرت مجلس علم، الذي يلقي الدرس رجل جليل وعالم ذكر زيادة في هذا الحديث لا أعرفها:

في اليوم التالي سأل هذا الذي تعهد الدين: أأديت الدين ؟ قال: لا، سأله في اليوم الثالث: أأديت الدين؟ قال: لا، سأله في اليوم الرابع: أأديت الدين ؟ قال: نعم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: الآن بردت عليه جلده.

الميت لا يخفف عنه العذاب إذا تعهد أحد بأداء الدين، يخفف عنه العذاب حينما يؤدى الدين فعلاً.

تصور إنساناً شهيداً مات في ساحة المعركة، جاد بنفسه، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، ومع ذلك الدين لا يسامح به، لأن حقوق العباد مبنية على المشاححة، بينما حقوق الله مبنية على المسامحة، هذا الأصل.

من استقرض مالاً و لم يترك شيئاً يغطي هذا الدين يموت آثماً:

الإنسان إذا استقرض فمن حقه أن يستقرض ولكن إن لم يترك مالاً يغطي هذا الدين يموت آثماً، فالإنسان إذا تدين و مات، وكان بيته بالأجرة، ودخله توقف، و كل شيء انتهى، وعليه دين أربعة ملايين، و عنده أولاد أيتام ماذا يفعل ؟ كل إنسان يستقرض ولا يهيئ مبلغاً، أو عقاراً، أو دكاناً، أو بيتاً، يكافئ هذا الدين يموت آثماً، ولو كان شهيداً لا يعفى من الدين.

((كُنَّا جُلُوسًا بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ حَيْثُ تُوضَعُ الْجَنَائِزُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَهُ قِبَلَ السَّمَاءِ فَنَظَر ثُمَّ طَأْطَأَ بَصَرَهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا نَزَلَ مِنْ التَّشْدِيدِ قَالَ فَسَكَتْنَا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا فَلَمْ نَرَهَا خَيْرًا حَتَّى أَصْبَحْنَا قَالَ مُحَمَّدٌ: فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نَزَلَ قَالَ فِي الدَّيْنِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَاشَ ثُمَّ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ عَاشَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ))

[أحمد عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ]

((إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَلْقَاهُ بِهَا عَبْدٌ بَعْدَ الْكَبَائِرِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا أَنْ يَمُوتَ رَجُلٌ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ لَا يَدَعُ لَهُ قَضَاءً))

[أحمد عن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ]

((نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ))

[أحمد عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

الدّين ذلّ في النهار وهمّ في الليل:

طبعاً اليوم كله عن الدين، الأحاديث صحيحة، وواضحة، وصريحة، والإنسان إذا استقرض وفي نيته القاطعة أن يؤدي الدين لا شيء عليه، أو إذا استقرض وعنده مال مجمد، عنده ذهب أو عقار يغطي هذا الدين لا شيء عليه، أما أنه يستقرض وليس عنده ما يؤدي هذا الدين، أو أن يستقرض لشيء ثانوي تافه، فالدين ذل في النهار وهم في الليل.

آخر حديث:

((كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمَيِّتِ عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَيَسْأَلُ هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاءٍ فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً صَلَّى عَلَيْهِ وَإِلَّا قَالَ صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ تُوُفِّيَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ))

[أحمد عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

على الإنسان أن يلقى الله عز وجل و ليس عليه ذمة لأحد:

هذه الأحاديث التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام والمتعلقة بالدين، تبين حدود الدين المشروعة وحدوده غير المشروعة، ونرجو الله عز وجل أن يقضي عنا ديننا، وأن ييسر أمر المسلمين، وكلما ضاقت الحياة كثر الدين، والدين يسبب مشكلات، وخصومات، ولاسيما في زمان تبدل أسعار العملات.

إنسان ديّن إنساناً مئة ألف من خمس سنوات، الآن لا يقابلها عشرة آلاف، التضخم النقدي بالسنة سبع عشرة بالمئة، و بعد خمس سنوات بقي المبلغ لا قيمة له، هنا أيضاً يوجد مشكلات كبيرة جداً، دين قديم، إنسان متأخر زوجته يقدر بمئتي ليرة أو ثمانمئة ليرة، حسبوها على فرق العملة فكانت ثمانمئة ألف، كل شيء يتبدل، فالإنسان عليه أن يلقى الله وليس عليه ذمة، وإلا فالصحابة الكرام الذين آمنوا برسول الله ودخلوا معه غزوات لا يدخلون الجنة حتى يؤدوا ما عليهم من دين.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات يقولهن المديون والمهموم والمكروب والمأسور:

كلمات يقولهن المديون، والمهموم، والمكروب، والمأسور:

((عنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فقالَ إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ))

[الترمذي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

المكاتب هو العبد الذي يريد أن يجعل نفسه طليقاً، فيعمل ويؤدي أجرة عمله إلى سيده من أجل أن يعطيه ثمنه ليعتقه، هذا اسمه مكاتب.

سيدنا علي سمع من النبي عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء، الدعاء للمديون والمكروب والمأسور

((اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ))

هذا الدعاء مشهور.

((دخل النبي عليه الصلاة والسلام المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالساً فيه قال يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة قال هموم لزمتني وديون يا رسول الله قال ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك فقال بلى يا رسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني))

[أبو داود عَنْ أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

من دعا وقلبه لاه وساه عن ذكر الله لن يقطف من ثمار دعائه شيئاً:

لكن لي تعليق بسيط، هذه الأدعية المأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام يرددها الناس دائماً، وفي بعض الحالات أو في أغلب الحالات لا يفرج كربهم، ولا يقضى دينهم، الإنسان إذا دعا بهذه

الأدعية وقلبه لاه وساه عن ذكر الله، لا يقطف ثمار هذه الأدعية، كل شيء اسمه دعاء يحتاج إلى قلب حاضر، وإلى نفس خاشعة، وإلى إخلاص شديد، فهذه الأدعية المختارة تحتاج إلى عبد يدعو بها بإخلاص، يدعو بها وهو واثق أن الله عز وجل على كل شيء قدير، وهو واثق أن الله يجيبه، وهو واثق أنها حق من عند النبي عليه الصلاة والسلام.

وإذا دعوت ربك ولست موقناً بالإجابة قد لا يفرج كربك، يجب أن تدعوه وأنت موقن بالإجابة، أن تدعوه بقلب خاشع، أن تدعوه بقلب حاضر.

على كل إنسان أن يستعيذ بالله من:

١ ـ الهم و الحزن:

((أعوذ بك من الهم والحزن))

ورد في بعض الأحاديث: "من قصر بالعمل ابتلاه الله بالهم ".

الهم أحد أنواع المصائب، بالظاهر لا يوجد شيء، صحته جيدة، دخله، بيته، أولاده، كله كامل، لكنه مهموم، هذا الهم أحد أنواع المصائب الخفية، وأحياناً الله عز وجل يؤدب الصالحين بالهم، الصالح كرامته غالية على الله، قد لا يصيبه بمصيبة ظاهرة تفضحه أمام الناس، لكن قد يصيبه بهم، والهم أحياناً تأديب للمشرك شرك خفي، فالإنسان إن وجد في عقيدته ضعف، من ضعف عقيدته أشرك، خاف من جهة، فعندما خاف من هذه الجهة خوفه منها تأديب من الله عز وجل نظير شركه الخفي، الخوف ليس له مبرر، الأمر بيد الله عز وجل، وأنت مع الله، لضعف في التوحيد صار في خوف، هذا الخوف تأديب من الله، أو عقاب على ضعف التوحيد، أو على الشرك الخفي.

٢ ـ العجز و الكسل:

((وأعوذ بك من العجز والكسل))

المشكلة الثانية: إما أن هذا الشيء تعجز عنه، أو تكسل عن أن تفعله، إما أنه فوق طاقتك، أو أنه ضمن طاقتك لكن لا تملك الإرادة القوية لتحقيقه، هذه مصيبة، الإنسان أحياناً يخفق في حياته، لا ينجح في عمله، لا ينجح في زواجه، لا ينجح في تربية أولاده، إما أن هذا الشي كان فوق طاقته، أو أنه ضمن طاقته لكن عجز عن فعله.

٣ ـ الجبن و البخل:

((وأعوذ بك من الجبن والبخل))

البخيل والجبان واحد، لأنه تهيب أن يفعل هذا الشيء، البخيل تهيب أن ينفق مخافة الفقر، والشيطان دائماً يعد بالفقر، والجبان خاف أن يقتحم الأخطار لأنه ظن أنه قد يفقد حياته، فالجبان يلتقي مع البخيل في أن كليهما تهيب أن يفعل شيئاً قيماً.

٤ ـ غلبة الدين وقهر الرجال:

((وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال))

والإنسان يكون ملء السمع والبصر، فجأة يصبح تحت قهر الدين، والله يستدر، أي يورط الإنسان توريطاً تأديبياً، يكون منحرفاً، متمكناً، معتزاً بماله، يشتري صفقة يراها رابحة، ويراها مغنية، ثم يقدر الله له أن يعلن إفلاسه من هذه الصفقة، عليه دفع و لا يوجد بيع، هذه مشكلة كبيرة مع الله لا يوجد ذكي، أذكى التجار أحياناً يفلس، لأن الإنسان يتحرك برؤيا فإذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لب لبه، يسحب منه الرؤيا الصحيحة

((أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال))

من أراد الله تأديبه سلط عليه من لا يرحمه:

الإنسان أحياناً يأتيه مصاب من الله عز وجل مباشرة، هو صعب لكنه مقبول من الله مباشرة، مرض، أما إنسان يذله، المصاب مضاعف لأن الإنسان لئيم.

" والله، والله مرتين، لحفر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز بريشتين، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين أهون عليّ من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين".

فقهر الرجال صعب، أنا أرى أن من أشد أنواع المصائب أن يقهرك إنسان، أن يذلك إنسان، والعياذ بالله يكون الإنسان مرضه على درجة عالية من الخطورة حتى استدعى أن يذله إنسان، وقد يكون أدنى منه بكثير، علماً، وخلقاً، وأصالةً، وفهماً، وذكاءً، غلبة الرجال، والإنسان يجب أن يعتقد أن الله عز وجل هو الذي يسلط لقوله تعالى:

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ)

(سورة النساء الآية ٩٠)

أحياناً يسلط على الذي يعرفه من لا يعرفه، يسلط على من يعرفه وهو مقصر في طاعته، يسلط عليه من لا يعرفه فيكل له العذاب ألواناً، الإنسان لا يصل مع الله إلى طريق مسدود، لا يصل مع الله إلى مرض خطير يستدعي أن يقهرك إنسان، المؤمن باستقامته، وبطلبه للعلم منور لا يصل إلى هذه المآزق، أما الإنسان إذا أخطأ، وانقطع عن العلم، وتورط، وأكل مالاً حراماً، كشف أمره، سيق إلى التحقيق، أحياناً يعذب أثناء التحقيق عذاباً أليماً، بالأساس هو عندما كان مقطوعاً عن الله، وغفل عن الله، كان أعمى أغراه المال فأخذه، فلما أراد الله تأديبه سلط عليه من لا يرحمه.

ضرورة العلم:

لماذا العلم ضروري ؟ العلم حارس، لا يوجد إنسان طالب علم، لا يوجد إنسان يحضر دروس العلم إلا وقد نور الله قلبه، يمكن ألا تجد في الجامع كأس شاي، ضيافة، أبداً، لكن أعظم ضيافة أن الله يقذف النور في قلبك، أعظم ضيافة من الله في بيته أن الله يلقي النور في قلبك، فأنت على بينة تعرف ما ينبغي وما لا ينبغي، ما يجب وما لا يجب، ما يجوز وما لا يجوز، وفي الأعم الأغلب إذا الإنسان أطاع الله عز وجل اسمع الآية:

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)

(سورة المائدة الآية ١٦)

السلام له طرق، فعندما أحسن اختيار زوجته، وعاملها بالإحسان، عاش بسعادة زوجية، وعندما أحسن تربية أولاده، و عطف عليهم، كانوا له عوناً، وعندما أحسن بكسب ماله بارك الله بماله، وعندما طبق السنة بصحته تمتع بصحته، الإنسان المستقيم الله يهديه سبل السلام، يهديه الطرائق التي تؤدي إلى راحته، أي من المستحيل أن إنساناً طالب علم يحضر مجالس العلم أن يصل إلى متاهات القهر، إلى متاهات الذل، إلى متاهات أن الله يتخلى عنه، تجده مسدداً من الله، له من الله حافظ و رشيد، رؤيته صحيحة ينطق بالحق، عنده حكمة، هذا كله من ضيافة الله عز وجل في المسجد، ألم يقل: " إنّ بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوّارها هم عمّارها، فطُوبى لِعَبْد تطهّر في بيته ثمّ زارني، وحُقّ على المزور أن يُكْرِم الزائر ".

الإنسان المستقيم يهديه الله سبل السلام و يبعده عن متاهات القهر و الذل:

إكرام الله لك في المسجد أنه يلقي النور في قلبك، تجده متوازناً، هل من المعقول إنسان هجر الصلاة وإنسان لزم الصلاة أن يتساووا عند الله بالدنيا ؟ هل من المعقول أن يكون تارك الصلاة حكيماً وهذا أحمق ؟ بالعكس الذي يصلي مسدد، رشيد، له من الله حافظ، والذي ينقطع عن الله عز وجل أحمق أعمى، كل الورطات بالأمن الجنائي يقولون كلمة: في كل جريمة ابحث عن المرأة، الأصح من ذلك في كل مشكلة ابحث عن المعصية، فمن نور الله قلبه سلك سلوكاً مستقيماً متوازناً.

أولاً: من الصعب أن يصل إلى متاهات القهر.

ثانياً: الله يحفظه، لو فرضنا أن الإنسان قد يتورط وهو بريء، هذا ناج منه المؤمن، أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

من خاف الله في الدنيا أمن يوم القيامة ومن أمن في الدنيا خاف يوم القيامة:

كلمة دقيقة أقولها لكم: مستحيل إنسان يخاف من الله فيما بينه وبين الله والله عز وجل يخوفه من إنسان، مثلاً بالتجارة دخل إلى عندك زبون، طلب بضاعة، أنت خفت من الله أن تغشه، فبينت له، ونصحته، وبعته بسعر معتدل، قال لك: انصحني، فاخترت له أحسن شيء عندك وبسعر معتدل، ما دام أنت فيما بينك وبين الله خفت من أن تؤذي أحد عباده لا يمكن أن يخوفك من موظف تموين، أما عندما يأتي زبون و تلبسه أسوأ بضاعة بأغلى سعر، وتعد نفسك شاطراً وهكذا البيع، وهذه شطارة، يأتي إنسان يجعلك ترجف، يطلب هويتك، يعمل لك ضبطاً.

احفظوا هذه القاعدة: تخاف منه ويخوفك من غيره مستحيل، مادمت خفت منه يرفع لك شأنك، يرفع لك رأسك، يعزك، لأنك خفت منه، وعندما لا تخاف منه يخوفك من غيره، مستحيل أن يجمع الله عز وجل خوفين وأمنين، إن خفته في الدنيا لا تخافه في الآخرة، وإن أمنته في الدنيا خفته في الآخرة، وكل إنسان الأمور مضبوطة جداً.

((دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ))

[أحمد عَنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الدعاء مخ العبادة:

((مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا،وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ))

[أبي داود وابن ماجه والمستدرك للحاكم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

أيها الأخوة، هذا الدعاء من عند المعصوم، من عند الذي لا ينطق عن الهوى، البارحة أحد أخوانا يقدم فحصاً بالطب، و الأستاذ صعب جداً، يتلذذ بإيذاء الطلاب، قال: قبل أن يدخل دعا الله فقال: يا رب لين قلبه، وألهمه أن يسألني سؤالاً أنا متمكن منه، فإذا بالأستاذ على خلاف عادته، لأنه دعا الله بإخلاص، فأول ما دخل ابتسم بوجهه، و أعطاه سؤالاً كان قد قرأه بإتقان قبل دقيقتين، فأعطاه علامة تامة، ما الثمن ؟ لأنه وثق بالله، قال: يا رب لين قلبه، وألهمه أن يسألني سؤالاً أنا متمكن منه، إنسان معه دعاء يفرط به ! معه دعاء ينسى الله عز وجل ! أنت بالدعاء أقوى إنسان على الإطلاق، لأنك تستعين بقدرة الله، تستعين بحكمة الله، تستعين بغنى الله عز وجل، اللهم ألهمنا الصواب كلما وجدت مشكلة، وأحياناً المشكلة هدفها أن تتقرب منه، يخلق لك مشكلة حتى يسمع

صوتك، حتى تدعوه، فإذا أنت لا تريد مشكلة ادعه من دون مشكلة، يقربك والدعاء مخ العبادة، وهو قمة العبادة.

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

اليمين الكاذبة الغموس:

في كتاب الترغيب والترهيب باب حول الترهيب من اليمين الكاذبة الغموس، وسميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم في الدنيا و في النار يوم القيامة.

كلكم يعلم أن اليمين ثلاثة أنواع، يمين لغو، ويمين منعقدة، ويمين غموس، اليمين الغموس حينما تقرض إنساناً مبلغاً من المال، ولا تأخذ إيصالاً، ولا سنداً، ولا وثيقة، ثم تطالبه بهذا فينكر، ليس أمامك إلا أن يحلف اليمين، فإذا حلف اليمين أخذ هذا المال ظلماً:

((مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ))

[متفق عليه عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي المحاكم تسمى هذه اليمين باليمين الحاسمة لأنه لا يوجد وثائق، ولا بينات، ولا مستمسكات، ولا إيصال، ولا سند، لا يوجد إلا أن يحلف، فإذا حلف نجا من عقاب الدنيا لكنه عرض نفسه لأشد أنواع العقاب من الله عز وجل، وهناك من يروي قصصاً كثيرة جداً أنه من يحلف هذا اليمين ربما يصاب بالشلل فوراً، وهناك عشرات القصص وهو في المحكمة وقع مشلولاً لأنه يجترئ على الله.

من وقع في سخط الله و غضبه لاقى أشد أنواع العذاب والتنكيل:

اليمين الغموس لها وضع خاص، بعضهم قال: تغمس صاحبها في النار، بعضهم قال: لا كفارة لها، بعضهم قال: ينبغي أن تبدأ التوبة من جديد.

((سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم في الحج بين الجمرتين و هو يقول من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم مرتين أو ثلاثاً))

[حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة عن الحارث بن البر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

أي الإنسان عليه أن يعد للمليون قبل أن يحلف يميناً ليس متأكداً من صحتها، إنك تضع يدك على كتاب الله وتقول: أقسم بالله العظيم، فإن حلفت هذه اليمين نجوت فوراً من عقاب القاضي ولكن أين قاضي السماء ؟

يحكى أن رجلاً يطوف حول الكعبة، ويقول: ربي اغفر لي ذنبي ولا أظنك تفعل ؟ وراءه رجل، قال له: يا هذا ما أشد يأسك من رحمة الله ؟ قال له: ذنبي عظيم، قال له: ما ذنبك ؟ قال له: كنت جندياً في قمع فتنة، فلما قُمعت أُبيحت لنا المدينة، فدخلت أحد البيوت فرأيت فيه رجلاً، وامرأة، وطفلين، قتلت الرجل، وقلت لامرأته: أعطني كل ما عندك، أعطتني كل ما عندها، فقتلت ولدها الأول، ولما رأتني جاداً في قتل الثاني أعطتني درعاً مذهبة، أعجبتني أيما إعجاب، تأملتها، تفحصتها، فإذا عليها بيتان من الشعر قرأتهما فوقعت مغشياً عليّ، البيتان:

إذا جار الأمير وحـــاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فـــويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

* * *

الإنسان أحياناً ينجو من عقاب الدنيا، ينجو من حكم القاضي، لكنه إذا وقع في سخط الله وغضبه قد يلاقي أشد أنواع التنكيل:

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢))

(سورة البروج)

اليمين الغموس من أكبر الكبائر:

اليمين الغموس، الآن بالمحاكم كلها هي الحل الوحيد إذا انعدمت الوثائق، والسندات، والأدلة، والبينات، ليس أمام القاضي إلا اليمين الحاسمة، فالإنسان إذا حلف نجا، لكنه إذا حلف يميناً كاذبة فاجرة ليقتطع بها مال أخيه المسلم بغير حق وقع في غضب الله وسخطه، وهذه اليمين الغموس من أكبر الكبائر، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ مَصْبُورَةٍ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ بِوَجْهِهِ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ))

[أحمد عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

هذا الحديث يوضح أن هذه اليمين الفاجرة تغمس صاحبها في النار، فقبل أن تحلف يميناً لست متأكداً من صحتها راجع نفسك لأنه:

((مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))

[أخرجه مالك و أحمد و مسلم عن أبي أمامة]

فقال أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وإن كان شيئاً يسيراً ؟ فقال النبي: وإن كان قضيباً من أراك، مسواك، هذه اليمين الغموس توجب النار لصاحبها.

((الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ))

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار:

تعلمون أيها الأخوة أن الله عز وجل يقول:

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا(٣١))

(سورة النساء)

الكبائر ورد فيها أحاديث كثيرة، الإمام الذهبي جعلها سبعين كبيرة، ولكل كبيرة أدلة من الكتاب والسنة على أنها كبيرة:

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا(٣١))

(سورة النساء)

((لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار))

[رواه ابن المنذر والديلمي عن ابن عباس]

الصغائر إذا لم يفكر في التوبة منها انقلبت إلى كبائر، كما لو أن إنساناً يركب مركبة، على طريق عن يمينه واد سحيق، فلو حرف المقود درجة واحدة، وثبت هذا الانحراف ينزل في الوادي إلا أنها صغيرة و تعديلها سهل جداً، سميت الصغيرة صغيرة لأن التوبة منها سهل جداً، أما إذا أصررت عليها انقلبت الصغائر إلى كبائر، أما الكبيرة أن تحرف المقود تسعين درجة فجأة، الصغيرة أن تحرفه درجة واحدة، فإذا ثبت هذا الانحراف مصير راكب هذه المركبة إلى الوادي.

((الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ))

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

((جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قُلْتُ وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قَالَ الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ))

[البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

من حصّن نفسه تجاه المال الحرام وتجاه العلاقات الآثمة فقد أغلق على الشيطان منفذه:

آخر حديث:

((مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ وَمَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ يَمِينَ صَبْرٍ فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا جُعِلَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ الْجُهَنِيِّ]

أيها الأخوة الكرام، الإنسان المؤمن يجب أن يخشى أن يقف بين يدي الله عز وجل ليسأله فيم فعل هذا؟ وفيمَ ترك هذا ؟ وفيمَ اقتطع هذا المال ؟ تسعة أعشار الأحكام متعلقة بكسب المال الحرام والعلاقة بالنساء، فالإنسان يؤخذ من هذين، من كسب مال حرام، أو من نظرة، أو علاقة آثمة مع

امرأة لا تحل له، فالمؤمن إذا حصن نفسه تجاه المال الحرام، وتجاه العلاقات الآثمة بالنساء، فقد أغلق على الشيطان أكبر منفذين له، والله عز وجل يقول:

(الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)

(سورة فصلت)

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (٠٩٩-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترهيب من غصب الأرض وغيرها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٥-١١-١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

العفة أحد أكبر خصائص المؤمن:

((لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ))

[أحمد عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

المال شقيق الروح، و حقوق العباد مبنية على المشاححة، ازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس، وارغب بما عند الله يحبك الله، إن رغبت بما عند الله أحبك الله، أما إن تطلعت بما في أيدي الناس أبغضك الناس، العفة أحد أكبر خصائص المؤمن، الإيمان عفيف عن المطامع، الإيمان عفيف عن المحارم، و في رواية: الإيمان عفة عن المطامع وعفة عن المحارم، فحينما تتطلع إلى ما في أيدي الناس كرهك الناس، أما إذا تطلعت إلى ما عند الله من خير أحبك الله:

((ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس))

[أخرجه ابن عساكر]

الذي أعطاه يعطيك، والذي أكرمه يكرمك، فاجعل عطاءك من الله مباشرة، اللهم صن وجوهنا باليسار، و لا تبذلها بالإقتار، فنسأل شرّ خلقك، و نبتلى بحمد من أعطى، و ذم من منع، و أنت من فوقهم ولي العطاء، و بيدك وحدك خزائن الأرض و السماء.

((لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ))

[أحمد عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع:

هؤلاء الذين يغتصبون أموال الناس، وينامون مستريحين، هؤلاء موتى، لو أن فيهم بقية حياة لضاقت عليهم الأرض بما رحبت، هذا المال ليس مالك، هذا عدوان على الكسب، ما هو السحت ؟ أن تأخذ كسب الآخرين، هناك كسب مشروع، إنسان زرع أرضاً، جمع محصولها، عمل معملاً صغيراً ارتزق منه، أدى خدمات فعاش منها، فإذا كان الكسب مشروعاً فهو مشروع، أما أن تأخذ

هذا الكسب باحتيال، أو بقوة، أو بسلب، أو بنهب، أو بضغط، أو بضغط أدبي، ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام، فالمال مقدس، والمال شقيق الروح، وتسعة أعشار الأحكام الفقهية متعلقة بكسب المال، فالذي يسعى لأخذ ما ليس له بعيد بعد الأرض عن السماء عن أصل الدين.

((تَرْكُ دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد الإسلام))

[ورد في الأثر]

و درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، أي قبل أن تبحث عن أعمال صالحة دع كل دخل حرام، اتق المحارم تكن أعبد الناس، الناس الآن يطمعون بمال بعضهم بعضاً، وشيء طبيعي جداً أن تغتصب أرضاً، بيتاً، شركة، وكالة، وأنت مرتاح، وتظن أنك شاطر، وذكي، ومتفوق، هذا هو الضلال بعينه:

((كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا: أو كائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: وأشد منه سيكون، قالوا: وما أشد منه ؟ قال: كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً و المنكر معروفاً))

[ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

الشيء المغتصب حجاب بين الإنسان وربه:

الإنسان أحياناً يفتخر فيقول: خلصته هذا البيت، خلصته هذه الأرض، ثماني سنوات بالمحاكم قدرت عليه، والبيت مستأجر، البيت ليس لك، فالإنسان حينما يحلو مال الناس بعينيه إنسان منافق، اكتفِ بما سمح الله لك من دخل حلال، اكتفِ بما لك، إذا وقفت بين يدي الله عز وجل لا تستحي أو لست مسؤولاً عن هذا المال الذي أخذته، والمال الحلال لو كان قليلاً الله عز وجل يبارك فيه، والمال الحرام مهما كان كثيراً لا يبارك الله فيه.

أعرف رجلاً يسكن في أرقى بيت مستأجر، له أختان يملكانه، بقي معهما بالقضاء أكثر من عشر سنوات، ثم استطاع عن طريق محامي قوي جداً أن يأخذ البيت منهما بثلث ثمنه، وقع على عقد الشراء، واشترى البيت بثلث ثمنه، ولم يمض على هذا العقد ثلاثون يوماً حتى وافته المنية، لقي الله مغتصباً لبيت.

فالنبي الكريم قال:

((لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ))

[أحمد عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فالإنسان قبل أن يغطي شيئاً بشيء، قبل أن يغطي اغتصاب الأموال بعبادات جوفاء، قال لي رجل: شخص يصلي في الصف الأول، يسكن ببيت يقدر بسبعة ملايين أو ثمانية، استطاع أن يخلصه بسبعمئة ألف، له صاحبة متقدمة في السن، تسكن في بلد آخر، عن طريق المحاكم، وعن

طريق الإيجارات، وعن طريق وسائل غير أخلاقية، باعته هذا البيت بسبعمئة ألف، فهذا العمل ليس شطارة، وليس ذكاء، وليس حنكة، هذا وصمة عار، وليس وسام شرف، فالإنسان قبل أن يبني عبادات، وقبل أن يوهم الناس أنه تقي، وقبل أن يمارس طقوساً إسلامية، عليه أن يكون وقافاً عند الحلال والحرام، ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام.

وهذا الشيء المغتصب حجاب بينك وبين الله، الشيء المغتصب يحول بينك وبين الله عز وجل.

من حاسب نفسه حساباً شديداً في الدنيا هان حسابه يوم القيامة:

الذي عنده قلب حي لم يغطه الران:

(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤))

(سورة المطففين)

الذي عنده قلب حي يحاسب نفسه أدق الحساب، أعرف أحد أخوانا ترك له أبوه بيتاً في أرقى أحياء دمشق، له أخت، والأخت متزوجة، وعندها بيت، وحالتها جيدة، قيّم البيت وهو فارغ، ونقد أخته حصتها بالتمام والكمال، هذا الحق، لكن الله عز وجل فتح عليه دخلاً كبيراً نظير هذا العطاء الذي قدمه لصاحبه.

إنسان آخر أخته تملك حصة من الإرث، وتستحي أن تطالبه، يقول لها: هذا بيت أبيك تعالي واسكني عندنا، وإن ضيقت عليه يُقيّم البيت وهو مستأجر بنصف قيمته، أما الأول فقيّمه وهو فارغ، وأعطاها الثمن بالتمام والكمال، هذا هو الحق.

فلذلك قبل أن تبني عبادات جوفاء، وقبل أن توهم الناس أنك ديّن، وقبل أن تحيط نفسك بمظاهر دينية صارخة، أدِّ الحقوق قبل كل شيء، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

((من غصب رجلاً أرضاً ظلماً لقي الله وهو عليه غضبان))

[الطبراني عَنْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس وارغب بما عند الله يحبك الله:

أنا قلت لكم سابقاً: هناك رجل فلاح فقير جداً، نال عشرين دونماً من نتائج قانون زراعي، فقال لشيخه: إنني أصبحت أملك أرضاً يا سيدي، ادعُ لي بالتوفيق، قال له: من أين جئت بهذه الأرض ؟ قال:

أعطيتها، وزعت أراضي فلان على الفلاحين، وأخذت نصيبي منها عشرين دونماً، قال: يا بني هذا حرام، هذا مال مغصوب، فسأله: ماذا يفعل؟ قال: هذا مال لا يحل لك، اذهب إلى صاحب الأرض،

واشتريها منه، لعله يقبل تقسيطاً، لعلك تبيع حلي زوجتك، فذهب إليه وقال له: يا سيدي أعطيت عشرين دونماً من أملاكك وقال لي شيخي: إنه مال مغصوب، لا يجوز أن آخذه، فهل تبيعني هذه الأرض بيعاً صحيحاً ؟ فقال: يا سيدي أخذ مني أربعمئة دونم ولم يأتِ واحد من هؤلاء ليقول لي: سامحني إلا أنت، هي هدية لك لوجه الله، ازرعها وبارك الله لك فيها.

انظر إلى الورع، وقف عند كلمة فسمح الله له أن يأخذها حلالاً، فكل شيء فيه إشكال توقف عنده، ازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس، وارغب بما عند الله يحبك الله، هناك موت، مرة قال لي أخ: ـ ولا أنسى هذه الكلمة ـ أخذنا محضراً في الشعلان ـ والحمد لله، بثلثي قيمته، عملنا مزايدة، وأحضرت أربعة أو خمسة من طرفي يرفعون شيئاً قليل ـ يوجد تمثيلية، مزاودة غير صحيحة ـ كلهم شركاء مع واحد، إلى أن استقر السعر على مبلغ يساوي ثلثي قيمة هذا المحضر، ومتوقع أن يربحوا أموالاً طائلة، قلت له: ماذا تفعل في القبر ؟ إذا جاءك الملكان وقالا لك: إن أصحاب هذا المحضر أيتام، وأنتم بهذه التمثيلية أخذتم من حقهم الثلث، ماذا تفعل ؟ هل عندك جواب لله عز وجل وأنت تحت أطباق الثرى ؟ ماذا تقول لله ؟ والله قلت له: إما أن تنسحب، أو تعطي أصحاب المحضر الثمن الحقيقي، وإلا فأنت محاسب، القانون يحميك وأنت حي، أما بالقبر لا يوجد قوانين، بالقبر قانون الله عز وجل، فانسحب في اليوم الثاني.

فالإنسان لا يتكئ على قانون البشر، هناك مادة قانونية تسمح لي أن أبقى في البيت، أنت يجب أن تتعامل مع الله عز وجل، المصير إلى الله:

(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦))

(سورة الغاشية)

اغتصاب حقوق الناس يبطل الدين كله:

((أَيُّمَا رَجُلٍ ظَلَمَ شِبْرًا مِنْ الْأَرْضِ، كَلَّفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْفِرَهُ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ سَبْعِ أَرَضِينَ، ثُمَّ يُطَوَّقَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ))

[أحمد عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الآن شبر، شبر أرض، أحياناً أنا أعجب بالذي يقف عند أدق الدقائق في مساحات الأراضي، هذه ليست لي، فالإنسان إذا باع يبيع بيتاً لا يبيع مساحة، لأن المساحة قد تكون أقل، أخي هذا البيت، هذه الدكان ثمنها هكذا، أما: مساحتها ٦٧ متراً يقيسها فإذا هي ٦٥ متراً صار فوق الشبر، فالأولى أن يبيع الإنسان بيتاً، أما بالمساحة يكون في دقة بالغة بالسنتمتر، الشبر عشرة سنتمتر، العشرة سنتمتر فيهم حساب، هذه الأحاديث كلها.

((مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ))

[متفق عليه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]

وفي رواية لمسلم:

((لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

قوله طوقه قيل: أراض طوق التكليف لا طوق التقليد، أحياناً نطوق إنساناً وسام شرف، هذا تطويق التقليد، نقلده وساماً نضعه في عنقه كالطوق، أما المعنى الثاني: طوق التكليف، أي أهذه الأرض تزلزل أي تخسف به فتطوق عنقه تطويق تكليف، قيل: المراد يخسف به الأرض فيصير في عنقه كالطوق، هذا المعنى.

آخر حديث:

((مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ))

[ابن ماجه عَنْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي رواية:

((الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ))

[ابن ماجه عَنْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

إلى فقر، هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام ولا ينطق عن الهوى.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٠-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترهيب من الربا

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المال قوام الحياة:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ))

[مسلم والنسائي عَنْ ابن مسعودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وزاد فيه أبو داود والترمذي: وشاهديه وكاتبه.

وأخرجه مسلم من حديث جابر بزيادة شاهديه وكاتبه وزاد فيه وقال: هم سواء جميعاً، آكله وموكله وشاهديه وكاتبه، وفي زيادة ثالثة هم سواء.

وفي زيادة رابعة:

((آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه إذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم))

[أحمد عَنْ ابن مسعودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الكلام أيها الأخوة دقيق ؛ المال قوام الحياة، قوام حياة الناس في الدنيا، والمال شقيق الروح، فإذا وزعت الكتلة النقدية بين كل أفراد المجتمع فنحن بألف خير، أما إذا تجمعت في أيدٍ قليلة وحرمت منها الكثرة الكثيرة فهذا التفاوت الطبقي الكبير وراء كل الثورات في العالم، وراء كل أنواع العنف، وراء بيوت الدعارة، وراء الفساد الاجتماعي، كل ما يخطر في بالك فيه مفسدة في الحياة يكون بسبب الفقر.

تجمع المال بأيد قليلة وحرمان الكثرة الكثيرة منها وضع مرضي وراء مشكلات المجتمع:

أيها الأخوة، المال إذا ولد المال تجمعت الأموال بأيدٍ قليلة وحرمت منها الكثرة الكثيرة ببساطة، والأعمال إذا ولّدت المال توزع المال بين أيدي الناس جميعاً، وأقرب مثل افتح أصغر مشروع، أقل مصاريف في المشروع ١٥ % من المبيعات عبارة عن نفقات توزعت، فأنت تحتاج إلى محاسب، وإلى مطبعة، وإلى حبر مطبعة، وإلى سيارة، وإلى مستودع، وإلى عمال، وإلى موظفين، وإلى مندوب مبيعات، وإلى استئجار محل، أي مشروع تشغل ألف شخص وأنت لا تشعر، طبعاً عندك

ثلاث موظفين لكن تشغل ألف إنسان بهذا المشروع، معنى ذلك أن الكتلة توزعت، صار المال متداولاً بين أيدي الناس، الناس جميعاً بخير، أما ضع المبلغ بالمصرف وخذ فائدته لم تشغل أحداً.
ببساطة إن أردت أن تجتمع الأموال بأيد قليلة ويحرم منها الكثرة، هذا وضع مرضي يسبب كل مشكلات المجتمعات البشرية عندنا وعند غيرنا.
فلذلك المعصية اسمها يتناسب مع حجمها، الذي يشرب الخمر يؤذي نفسه وحده، والذي يزني يؤذي نفسه والتي زنى بها، أما آكل الربا وموكله يحطم مجتمعاً بأكمله وهو لا يدري، لأن المال ولد المال، المال يتنامى سريعاً بلا مصاريف، أما الأعمال إذا ولدت المال وزعت الكتلة، هذا أبسط تفسير للموضوع، من هنا:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه إذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم))

[أحمد عَنْ ابن مسعودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

من طبق الشرع في حياته حقق نمواً اقتصادياً مذهلاً:

بلد بآسيا " ماليزيا " خفض الفوائد إلى واحد بالمئة، فحقق فائضاً نقدياً قريباً من مئة مليار دولار، والآن ماليزيا البلد المسلم الأول بالعالم في النمو الاقتصادي، يقول المسؤولون هناك: لو جعلنا الفائدة صفراً لكان النماء أكبر، هذا إله عظيم هو قنن القوانين، فأنت عندما تلغي الفوائد نهائياً تعمل قرضاً حسناً فيصبح النماء أكبر، الآن بلد مسلم يحقق نمواً مذهلاً في الاقتصاد سببه أنه اقترب من الشرع، اقترب، لم يطبق الشرع مئة بالمئة، الاقتراب من الشرع جعل هذا النماء، لأن الله عز وجل يقول:

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)

(سورة البقرة الآية: ٢٨٦)

يمحق، إله كل شيء بيده، حينما تأخذ فائدة أو تعطي فائدة يمحق الله هذه العملية كلها، ويربي الصدقات، ولحكمة أرادها الله عز وجل لا نعلمها، بالحسابات: القرض الربوي أربح لأن المال ينمو، أدنت مئة ألف أخذتهم مئة وعشرين، بالقرض الحسن المال لا ينمو، يتناقص بفعل التضخم النقدي، أما الذي يحصل أن كل عملية فيها ربا فيها محق، الله عنده مليون أسلوب، من كوارث طبيعية، إلى مصادرات، إلى ضبوط، إلى تلف بضاعة، مليون باب وباب لإتلاف المال، الذي يرابي ينتظر وعيد الله عز وجل، فإن لم تنتهوا:

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ(٢٧٩))

(سورة البقرة)

ما من معصية بالقرآن توعد الله مرتكبها بالحرب إلا الربا:

ما من معصية بالقرآن توعد الله مرتكبها بالحرب إلا الربا:

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ(٢٧٩))

(سورة البقرة)

(وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩))

(سورة البقرة)

الحقيقة في بعض الأنظمة الشرقية بروسيا قبل أن تنهار حرمت الربا، هناك دليل: الإنسان عندما ينمي أمواله بالربا ما قدم شيئاً للأمة، أما الذي عمل معملاً قدم سلعة، الذي زرع أرضاً قدم غذاء، الذي أدى خدمات أعطى شيئاً، الإنسان عندما يعطي ويأخذ المجتمع ينمو.

مثلاً: إنسان صنع لك باباً قدم لك شيئاً، عندما طرح بضاعة في السوق هبطت الأسعار، وعندما هبطت الأسعار صار الناس في بحبوحة، أي إنسان قدم شيئاً يسهم في بناء الاقتصاد إلا المرابي لم يقدم شيئاً، بالعكس هو إنسان أناني أخذ وربح ولم يستخدم أحداً، كلها حسابات، أخذ وما قدم، معلم يعلم، طبيب يعالج، مدرس، مهندس، تاجر، صاحب حرفة، مهنة، معمل ضخم، أسس مشروعاً، طرح مادة غذائية في السوق ساهمت بتخفيض الأسعار وحل المشكلات، مشروع زراعي ضخم، أي مشروع زراعي، صناعي، تجاري، فيه أخذ وفيه عطاء، فالإنسان عندما يقدم سلعة صار في عرض، وبعد العرض تخفض الأسعار، فيصبح الناس في بحبوحة، أما إنسان نمى أمواله في البنوك ما قدم شيئاً للأمة، هذا كان عبئاً على الأمة ولو كان غنياً لكن ما قدم شيئاً مقابل الذي أخذه، هو يستهلك طعاماً، وشراباً، ولباساً، وبيوتاً، ومركبات، يستهلك و لا يقدم شيئاً، فالمال ورق.

تجارة المضاربات:

جاءت فترة صار هناك تجارة اسمها: تجارة المضاربات، أرض غير مزروعة تباع و تشترى عدة مرات، انتقل ثمنها من مئة إلى مئتي ألف، هذه الثروات ليس لها قيمة إطلاقاً ما قدمت شيئاً، أشخاص قلة حققوا ثروة طائلة، جمعوا أموال الناس عندهم، الذي معه إمكان يشتري أرضاً و اثنين و ثلاثة وقت الرخص ويبيعها باستمرار، يشتري ويبيع، فهو لم يقدم شيئاً، أرض بور، لو أنه أصلحها جيداً، أو زرعها جيداً، أو اشترى بيتاً لم يكسَ بعد، يشترى ويباع عدة مرات، من مئة ألف إلى مليون، الذين حققوا هذه الأرباح الطائلة ماذا قدموا ؟ هذه مضاربات، فهم لم يقدموا شيئاً، أما الذي عمل معملاً، بنى بناء وأنهاه وسكن فيه الناس، عندما سكنوا البيت قدم خدمة، آوى شاب وشابة في بيت، فدائماً الإنسان يختار عملاً فيه عطاء لا فيه أخذ، ومشكلة الأمة مشكلة المال، هذه الكتلة النقدية نحن بخير وبصحة اقتصادية إذا هذه الكتلة موزعة بين أيدي الناس جميعاً، كيف توزع

؟ حينما يحرم الربا، يصبح الدخل الوحيد هو العمل، يفتح محلاً، يعمل مشروعاً، يزرع أرضاً، يستورد حاجة يبيعها، ما دام نماء المال بالأعمال مضطر أن تشغل معظم الناس، فالاقتصاد إذا دار كل شيء يدور معه.

مرة سألت صاحب مطعم قال: والله الزبائن لا يتجاوزون الربع، قلت له: ما السبب ؟ قال: إذا كان الإنسان في بحبوحة يدخل إلى المطعم، وإذا كان متضايقاً يتعشى في البيت، بتفسير بسيط، الناس عندما تكون براحة المطاعم تعمل وكل شيء يعمل، ما الذي يعرقل العمل ؟ الربا.

علاقة السعر بالاستهلاك علاقة ثابتة:

إذاً: الإنسان يمكن أن يكسب مالاً دون أن يدفع أية مصاريف، و لا يشغل أحداً، فتكثر الأموال، وهناك شيء ثانٍ مهم جداً أن الأسعار مثل موشور تماماً، وعاموده الوسطي هو الأسعار، كلما ارتفع السعر درجة الدائرة صغرت، البرتقال بعشر ورقات، فكل إنسان يأخذه، وعندما يصير بستين ورقة ينخفض عدد المستهلكين للعشر، وهناك فواكه غالية يمكن استهلاكها بالألف واحد، إذا الكيلو بمئتي ليرة مثلاً بالألف واحد، أما إذا الكيلو عشر ليرات لا يوجد إنسان إلا و يأكل البرتقال.

السعر والاستهلاك العلاقة بينهما علاقة ثابتة، كلما انخفض السعر توسعت الدائرة، وكلما ارتفع صغرت الدائرة، عندما يرتفع يصبح الربح ليس على أساس الكم، كم الربح وليس كم العدد، مثلاً الإنسان يلزمه باليوم ألف ليرة، فإذا باع مئة قطعة ربح بالقطعة عشر ليرات ليؤمن دخله، أما إذا باع فقط خمسين قطعة يربح بالقطعة ليرتين، يريد أن يؤمن المبلغ، فالمشتري إذا قلّ يرفع البائع السعر حتى يحقق دخله، ارتفاع الأسعار حلقة مفرغة، كلما ارتفع السعر تصغر الشريحة، يرفع السعر أكثر تصغر أكثر وهكذا، نصل إلى طريقة أن كل شيء موجود لكن لا يوجد بيع وشراء، يقول لك: يوجد كساد، تضخم نقدي، ما الكساد ؟ كل شيء موجود لكن لا أحد معه قوة شرائية ليشتري.

الربا تدمر الأمة وتمحق أموالها:

موضوع طويل، علاقة الربا برفع الأسعار، علاقة الربا بالبطالة، علاقة الربا بالجريمة، علاقة الربا بالدعارة، فعندما إله يقول لك:

(فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ(٢٧٩))

(سورة البقرة)

معنى ذلك دمار أمة، الواحد لا يأخذ الأمور على شكلها الظاهر، ماذا فعلنا ؟ لم نفعل شيئاً، نمينا أموالنا في البنوك، أنت عندما تنمي أموالك بالبنوك ما قدمت شيئاً للأمة، أما عندما تنميها بالمضاربة فالأمر يختلف.

هناك شيء ثانٍ: بالمضاربة أنت معك مال وليس عندك رغبة في أن تعمل، و هناك شاب عندما تعطيه المال طبعاً هذا المال يتعاون مع الجهد فينشأ ربحاً، هذا الربح ليس فيه عبء، لأنه إذا لم يربح لا يدفع فائدة، على الربح والخسارة لا يوجد عبء على أحد منهما، النبي كان أول مضارب في الإسلام، أخذ مال السيدة خديجة وتاجر به، وربح وأربحها.

الربا ظاهرة مرضية علينا الخلاص منها:

موضوع الربا موضوع خطير وما لم يكن هناك حل لهذه الظاهرة المرضية، ستنشأ المشكلات، والإنسان عندما يترفع عن الربا يخاف الله عز وجل، فهناك وسائل لنمو الأموال كبيرة جداً، والقصص لا تعد ولا تحصى، الله عز وجل من سياسته أنه يرخي الحبل يأتي المرابي فيربح، يربح أرباحاً طائلة، كأنه يستهزئ بآيات الله، ثم يأتي أمر الله عز وجل، فكل شيء جمعه يذهب في يوم واحد، فلذلك:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ))

[مسلم والنسائي عَنْ ابن مسعودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

((وشاهداه وكاتبه إذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم))

[أحمد عَنْ ابن مسعودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي حديث آخر:

((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشترى الثمرة حتى تطعم))

[شعب الإيمان عَنْ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

أي حتى يبدو صلاحها.

وفي حديث آخر:

((إذا ظهر الربا بقرية أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل))

[شعب الإيمان عَنْ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

أضرار الربا:

نحن الحمد لله بخير، الفعاليات الاقتصادية تعمل برأسمالها، أما الذين يعملون بقروض من البنوك في بعض البلاد أقل هزة ينهار المجتمع بأكمله، حدثني أخ قال لي: في بعض البلاد ـ في إنكلترا ـ

أسعار البيوت هبطت للربع، شيء مخيف الاستثمار العقاري صار عبئاً كبيراً على الناس، السبب أن أكثر العمال اشتروا بيوتاً بقروض ربوية، فعندما نشأ الكساد العمال سرحوا، وعندما سرحوا لم يتمكنوا من متابعة الأقساط، فالبنك كان يبيع البيت بربع قيمته ليأخذ آخر قسط، فكل شيء كان بقرض ربوي، البيت بيع في المزاد ومن أجل تحصيل آخر قسط بقي العامل الذي دفع أربعة أخماس هذا البيت في الطريق.

هناك مشكلات اقتصادية لا تعد و لا تحصى، و الإنسان عندما يصدق أن هذا النظام إلهي، وكل إنسان يخالفه يدفع الثمن باهظاً، سيتجنب الربا:

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)

(سورة البقرة الآية: ٢٨٦)

والآن الدول من باب الذكاء فقط تقدم مساعدات للدول الضعيفة، هذه المساعدات تنقلب إلى مشتريات من الدول الغنية، فإذا كان أمة قوية عندها معامل، وعندها كساد، وأحبت أن تروج بضاعتها تقدم مساعدات للدول الفقيرة.

أيضاً موضوع الزكاة: عندما الغني يزكي عن ماله أعطى الفقير، فالفقير صار معه مال، فراح و اشترى بضاعة من عند الغني، فتولدت الحركة، الزكاة تعمل حركة، والصدقة تعمل حركة، أما القرض الربوي يعمل دماراً، لأن الإنسان أصبح عليه القرض وعليه فائدته، وهذا مما قاله النبي عليه الصلاة والسلام.

ما من قوم انتشرت بينهم الربا إلا أخذوا بالرعب:

حديث ثالث:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمْ الرِّبَا إِلَّا أُخِذُوا بِالسَّنَةِ وَمَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمْ الرُّشَا إِلَّا أُخِذُوا بِالرُّعْبِ))

[أحمد عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

قال لي إنسان: دخل لعندي موظف التموين، صرت أرجف، لأنه إذا كتب ضبطاً سأسجن قرابة الشهرين، وهو إنسان محترم تاجر يوضع في السجن شهرين، فإذا انتشرت الرشوة أخذوا بالرعب، وإذا انتشر الزنا أخذوا بالفقر وهذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

((مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ))

[ابن ماجه عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

بالنهاية إلى قلة، وفي رواية أخرى:

((الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ))

[ابن ماجه عَنْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

الربا لا تحتاج إلى تعليلات فقط الله عز وجل حرمها:

الإنسان لا يحتاج إلى كل هذه التعليلات، يحتاج إلى أن الله حرم الربا وانتهى الأمر، يقول: لا تعقدها، هناك طريقة أقصر بكثير، لا تحتاج لأن تبحث بالتضخم النقدي، ولا بارتفاع الأسعار وضيق الشرائح، ولا نتائج الربا بشيوع البطالة في المجتمع، ورفع الأسعار، والثورات الاقتصادية في العالم، والدعارة، أنت بغنى عن كل هؤلاء، الذي خلق الكون قال لك: هذا حرام وانتهى الأمر.

أذكر عالماً من علماء دمشق سافر إلى أمريكا، والتقى مع إنسان من هذه البلاد أسلم حديثاً، ودار بينهما موضوع عن مضار لحم الخنزير، وهذا العالم الدمشقي أفاض ساعة أو أكثر في الحديث عن مضار لحم الخنزير، وعن الدودة الشريطية وعن وعن، فما كان من هذا الذي أسلم حديثاً إلا أن قال له: كان يكفيك أن تقول لي: إن الله حرمه.

أنت مع طبيب يقول لك هذه الأكلة لا تأكلها، لا تحتاج إلى تعليل منه، طبيب معه بورد يقول لك: هذه الطعام يؤذي قلبك انتهى، هذا البيت اتركه خذ بيتاً أرضياً، لا تحتاج إلى تعليل منه لأنك واثق من علمه فكيف خالق الأكوان ؟

قال الإمام الغزالي: " ويحك يا نفس لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها، لا شك أنك تمتنعين، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ إذاً ما أكفرك، أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله ؟ إذاً ما أجهلك ".

قال لك طبيب: هذه الأكلات تضر قلبك، والله وعد بجهنم، أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله؟ إذاً ما أجهلك.

فالإنسان حينما يعصي الله مدموغ بالكفر والجهل.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠١-١١٦) : كتاب البيوع وغيرها - الترهيب من منع الأجير أجره والأمر بتعجيل إعطائه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين ليس بالصلاة والصيام والحج والزكاة فقط ولكن الدين بإنجاز الوعد وحفظ العهد:

((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بي ثم غدر))

[البخاري عن أبي هريرة]

أي حلف بالله أيماناً مغلظة أن يفعل كذا أو ألا يفعل كذا ثم نقض عهده.

وفي حديث آخر:

((ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))

[أحمد عن أنس]

الذي ليس له عهد ليس له دين، نفى عنه الدين إطلاقاً، وهذه لا نافية للجنس، تنفي الجنس، ونفي الجنس أبلغ من نفي المفرد، قال لك إنسان: عندك رغيف خبز ؟ قلت له: لا خبز عندي، أي كل أنواع الخبر ؛ اليابس، والطري، والغالي، والرخيص، والطازج، والقديم، كل أنواع الخبر، إذا قلنا: لا طالب في الصف بل طالبة، نفينا جنس الذكور، أما إذا قلنا: لا طالب في الصف بل طالبان هذه لا الحجازية نفينا المفرد، هناك لا تنفي المفرد، و لا تنفي الجنس، و قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له))

[أحمد عن أنس]

نفي أصل الدين، جنس الدين، إذا إنسان عاهد ثم نقض العهد هذا خرج من الدين، معنى هذا أن الدين ليس بالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، ولكن الدين بإنجاز الوعد، وحفظ العهد، فهذا الرجل الذي أعطى موثقاً، وعهداً، وأيماناً مغلظة، ثم نقض عهده، قال: هذا خصمه الله يوم القيامة:

((ومن كنت خصمه خصمته))

[البخاري عن أبي هريرة]

((ورجل باع حراً فأكل ثمنه))

[البخاري عن أبي هريرة]

قبل ذلك الإنسان الآن النموذج الموجود يقول لك: ألف قلبة ولا غلبة، ينقض عهده مئة مرة، ويعطي وعداً، ويخالف عهداً، وينقض العهد، وهو يظن أنه يحسن صنعاً، حينما نقض عهده خرج من دينه، وغضب الله عليه، وكان خصمه:

((ومن كنت خصمه خصمته))

[البخاري عن أبي هريرة]

المصداقية أثمن شيء في حياة الإنسان:

لذلك: وعد الحر دين، لست مكلفاً أن توعد باستمرار، اقتصد بالعهود، أما إذا عاهدت يجب أن تنفذ وإلا فقدت أثمن شيء في حياة الإنسان وهي المصداقية، حتى مع طفلك الصغير، الطفل أساساً ينشأ على نقض العهد حينما يرى العهد ينقض:

((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حراً فأكل ثمنه))

[البخاري عن أبي هريرة]

إنسان حر باعه كعبد وأكل ثمنه هذه تعد جريمة:

((ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه، ولم يوفه أجره))

[البخاري عن أبي هريرة]

سأشرح هذا الحديث مع الحديث الثاني معاً:

((أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))

[ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

لو أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: أعطوا الأجير أجراً، لكان أي أجر، لكن قال: ((أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ)) أي الأجر المكافئ لعمله، الأجر الذي يتناسب مع حاجته، الأجر الذي يحقق له كرامته، أحياناً الإنسان يستطيع أن يعطي الأجير ربع أجره وهو ساكت مقهور، لأنه لا يوجد عمل، يعطيه خمسة آلاف، ثلاثة آلاف، الآن يمكن طبيب معه دكتوراه وبمستشفى يعطونه ألفي ليرة بالشهر، أما إنسان يبيع شطائر يحصل ما يقدر بثلاثين ألفاً في الشهر، طبيب متفوق أخذ علامات عالية، دخل الطب وتخرج يقول: طبعاً إذا لم يكن هناك طلب ينزل الأجر، فالإنسان إذا استطاع أن يتحكم يستغل كثرة العرض وقلة الطلب فينزل الأجر.

قال لي إنسان: أقسم بالله يعطيه صاحب العمل بالشهر ألفي ليرة، قال لي: و مصروفه في اليوم أربعة آلاف أو خمسة كل يوم عن طريقه، يعطيه قوائم حاجات، يمكن أن تعطي إنساناً ألفين وتنفق أنت باليوم خمسة آلاف ؟ فكل إنسان يعطي الأجير أقل من أجره أمامه حساب شديد، ومعنى ذلك أن

ربحك ليس فيه رفع الفائض النقدي، ربحك لإعطاء الناس حقوقها لو بقي لك مبلغ أقل مما تتوقع، أنت حينما تؤدي للناس حقوقهم أنت عند الله مرضي، لا تعدها شطارة أنني أنا أقدر طالما هناك عرض كثير أريد أن أدفع ألفين بالشهر أو ثلاثة آلاف، إنسان عنده زوجة وأولاد ماذا تفعل هذه الثلاثة آلاف ؟ تريد أن تحمله على السرقة، تحمله على خيانتك.

كلما اقترب الإنسان من الشرع الإسلامي حقق نجاحاً كبيراً:

لذلك هناك نقطة دقيقة ؛ أنا قرأت أكثر من مئة مقالة عن تجربة اليابان في النمو الاقتصادي، أنا أرجع السبب أن العامل عندهم معزز مكرم، يعطى حقه وزيادة، و هناك ضمان له، إذا كان في كساد، المعمل لا يستغني عن عماله، يغير الصناعة، إذاً يوجد في المعامل مرونة بالغة، يغير صناعة المعمل ولا يستغني عن عماله، والضمان الصحي مؤمن، والمواصلات مؤمنة، والطبابة مؤمنة، ويعطونه ما يساوي طعامه وشرابه وزيادة، أكثر العمال لهم نصيب من الربح، ونسب على المبيعات، لذلك السلعة اليابانية متقنة جداً ومع إتقانها رائجة جداً، تنافس أعرق الدول بالصناعة، لأنها اقتربت من الحديث.

الشيء الذي يلفت النظر الآن عالم الكفر بالمنطق، والتجربة، والدراسة العلمية، يجد أنه كلما اقترب من الشرع الإسلامي حقق نجاحاً كبيراً.

الآن يقولون: ماليزيا حققت مئة مليار دولار فائض نقدي، يقول المخططون الاقتصاديون لهذا البلد: إن السبب هو تخفيض الفوائد إلى درجة واحد بالمئة، ولو كان صفر بالمئة لكان النجاح أكبر.

أخ من أخواننا حدثني عن طريقة إدارة المعمل، العامل عنده مكرم جداً، و هناك تعويضات على الأعياد، ودائماً الرواتب عنده تبدأ بعشرة آلاف ـ معمل جرابات ـ تجد ولاء العمال، وإتقان العمل، صناعته رقم واحد في البلد، أول سلعة يقدمها متقنة كأنها أوربية، الإتقان سببه أن هذا العامل مرتاح، يأخذ حقه.

أنا أضرب لكم مثلاً عن ماكينات تطريز، حيث اطلعت مرة عليها عن طريق والد صديقي، الذي يملك معملاً، فيه آلة صنع سويسرا، تنتج في الشهر مثلاً في الشام أثواباً عدة ـ القصة قديمة ـ ثمن الثوب كان بمئتين وخمسين ليرة، الثوب نفسه إنتاج نفس الآلة في سويسرا ثمن المتر خمسمئة ليرة، الآلة هي هي، لكن الثلاثة عشر متراً في الشام ثمنهم مئتين وخمسين ليرة، والمتر الواحد صنع الآلة نفسها لكن في سويسرا خمسمئة ليرة، الفرق في الإتقان، تجد عندنا مئة غلطة في التوب، والآلة هي نفسها، والعامل مهمل.

رواج الصناعة بإتقانها وإتقانها بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه:

العامل إذا أخذ حقه، أمنته، أمنت له مستقبله، وسكنه، وضمانه الصحي، ومواصلاته، وكرامته، ويدرس أولاده، يعطيك كل شيء، وعندنا في الشام تجارب متواضعة جداً تلفت النظر، العامل شريك في المعمل، له نسبة، فإن اشتغل عشرة قمصان مقابل أجره، و القميص الحادي عشر الأجرة تتضاعف، كل عامل شريك بهذا المعمل، وجبة طعام صباحاً، ووجبة في الظهر، هناك مدرسة في المعمل لأولاده، و طبيب عام، وداخلي، ونسائي، مرة زرت هذا المعمل وجدت فيه شيء غير معقول، العامل كل حاجاته حتى هناك مؤسسة استهلاكية لتأمين مؤونته الشهرية، روضة أطفال، وطبابة، ومسبح، فعندما أنت تؤمن للإنسان حاجاته يعطيك كل طاقته.

إتقان العمل هو سبب رواج التجارة، الإتقان يحتاج إلى عامل يشعر أن هذا المعمل معمله. ذكر مرة التقينا بمندوب شركة بفندق أول لقمة يأكلها ترك الطعام، أنت جئت من اليابان، لماذا لم تقل لنا انتظروا ربع ساعة حتى آكل ؟ كأن المعمل له، هو موظف، يبدو أن ولاءه للمعمل كبير جداً، أنا أذكر أشياء تفصيلية ما معنى:

((أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))

[ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

عندما تستغل كثرة العرض وقلة الطلب ينزل الأجر للربع، للعشر، فإذا أعطيت الإنسان أجراً لا يتناسب مع حاجته، ولا مع تحقيق كرامته، لا يعطيك شيئاً، أخطاء كبيرة، صناعة غير متقنة، لا تنافس، لا تنافس إلا الصناعة المتقنة، المتقنة تحتاج إلى عامل له ولاء وإتقان، وهناك تجارب كثيرة في المعامل أساسها تنفيذ هذا الحديث، يمكن أن أقول لك: إن رواج الصناعة بإتقانها، وإتقانها بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه.

الربح الحقيقي أن تعمل وأن تعطي من حولك حقه وحاجاته:

أولاً: هناك نقطتان الكم، والزمن، تعطيه أجره المكافئ، وتعطيه الأجر بالوقت، بالمقابل أعرف رجلاً صاحب معمل فلس مرتين، مرة طلب مني موظفاً، اخترت له موظفاً ذهب لعنده، المعاش غير معقول إطلاقاً، والجهد غير معقول، جهد كبير جداً، متابعة شديدة، والأجر أقل من أربعة آلاف ليرة، قال لي: يوم العيد هرب صاحب المعمل لا يوجد عيديات، قبل العيد بيوم غادر المعمل حتى لا يدفع للعمال عيدية، هناك قانون، فهذا الحديث الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام أساس الاقتصاد كله، أساس رواج التجارة، أساس رواج الصناعة، أساس التكافل الاجتماعي، أساس استقرار المجتمع، أساس قلة الجريمة، قلة الدعارة، أنا أذكر أن باحثة اجتماعية زارت السجون

فوجدت أن أكثر المومسات عن حاجة لا عن فساد، بالمئة خمسة عن فساد أما بالمئة تسعون عن حاجة، فإذا المجتمع افتقر صار في جريمة، دعارة، و صار أشياء مخيفة، أساسها:

((أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))

[ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

الربح أن تعمل، وأن تعطي من حولك حقه وحاجاته، هذا الربح الحقيقي، لا تظن الربح كم المال الذي يزيد عن الكلفة، الربح عندما يكون حولك أناس يعيشون حياة كريمة مقبولة وولاءهم لك هذا الربح الحقيقي، لو كان دخلك قليلاً، العبرة أن تؤدي لكل ذي حق حقه، هذا الذي ينقذ الإنسان من عذاب الله عز وجل، والله بالمرصاد، فالإنسان عندما يقنن تقنيناً مزرياً، ويستغل العرض الكثير والطلب القليل، ويخفض الأجور، ويتوهم أنه بهذه الطريقة حقق ما يريد فقد خسر.

أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ ؛ هذا الحديث أساس رواج الاقتصاد:

أحياناً تجد شخصاً إنفاقه لا يتناسب مع ما يأخذ، إذا كان موظفاً أعطاه فضلة يؤيدها عليه، حساب مع الموظفين عسير وإنفاقه الشخصي بالملايين، هذا إنفاق تبذيري، يضيق على الموظفين وعلى العمال إلى درجة أنه يخرجهم من جلدهم، ثم ينفق على أولاده، وعلى بيته، وعلى انحرافاته الملايين المملينة هذه الحالة المرضية، المؤمن غير ذلك، المؤمن يكرم من حوله.

عندنا أخ عنده معمل، يعمل في هذا المعمل ثمانون عاملاً، قال لي: والله مثل أخوتي، كل يومين ثلاثة عزيمة، يجب أن يقدم لهم غداء من أرقى المطاعم، يعطيهم على العيد عيديات مجزية، على الشتاء ألبسة معينة، همه العمال، العمال لهم ولاء له عجيب، وبضاعته الآن بهذا الكساد، قال له: والله لو عندي ثلاثة معامل بثلاث ورديات لا ألحق بيع، عمله متقن جداً، إتقانه من ولاء عماله.

أنا عندي هذا الشيء واضح جداً، هذا الحديث أساس الاقتصاد:

((أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))

[ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

أعطِه الأجر المكافئ حتى يكون له ولاء شديد لك، وكثير الآن بإدارة الأعمال هناك حقائق ؛ أن أعطِ مندوب المبيعات نسبة أرباح ليشعر أنه شريك، لم يعد يحاسبك بالوقت، اشتغل اثنتي عشرة ساعة، أحياناً يعمل عشرين ساعة، إدارة الأعمال كمنهج علمي يتوافق مع منهج النبي عليه الصلاة والسلام، ادرس إدارة أعمال بأرقى دولة في العالم، وأحضر الحقائق تجدها متوافقة مع الأحاديث الشريفة، لأن العمل الذكي يتوافق مع العمل الأخلاقي، يتوافق معه في النتائج ويختلف معه في البواعث، البواعث عبادة، وهذه سلوك ذكي، فلو دققت تجد أن كل المناهج الذكية في العالم تتوافق مع الشرع، والشيء المؤسف أن الأجانب الذي لا يوجد فيهم دين، الفسقة، الزناة، الفجرة، بذكائهم

فقط كشفوا حقائق الإسلام، وطبقوها، وقطفوا ثمارها، لكن بالآخرة ليس لهم أجر، قضية مصلحة، والمسلمون الذين معهم الحق، والله اصطفاهم وجعلهم أمة وسطاً، هم يخالفون مبادئ دينهم.

منهج النبي عليه الصلاة والسلام يتوافق مع أرقى المناهج العلمية في إدارة الأعمال:

هذا الحديث يجب أن يكون عند كل أخ عنده عمل، موظفين، عمال، ولو عامل واحد، أعطه حقه. مرة قال لي شخص ـ عنده عمل صناعي تجاري حقق أرباحاً طائلة ـ قال لي كلمة ـ توفي رحمه الله: إذا عندك موظف خبير وأمين فقدر ما أعطيته أنت رابح وليس هو، و هو إنسان من أنجح ما يكون في عمله.

جمع بين الخبرة والأمانة:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ(٢٦))

(سورة القصص)

كل أصحاب المعامل إذا ألهمهم الله أن يعطوا الموظف حقه، و أن يؤمنوا له كرامته، و يؤمنوا له بيتاً، لا يوجد مانع، سيحققون ما يريدون، أدعو الله عز وجل أن يلهمنا الصواب لأن هذا منهج النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه يتوافق مع أرقى المناهج العلمية في إدارة الأعمال:

((أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))

[ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

والحمد لله رب العالمين

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الشهوة الجنسية التي أودعها الله في الإنسان حيادية:

((مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنْ الرِّجَالِ))

[ابن ماجه وصححه الحاكم عَنْ أبي سَعِيدٍ]

أيها الأخوة الكرام، الإنسان مخير، وما دام مخيراً كل شيء أودعه الله فيه من شهوات، وكل الحظوظ التي أتيحت له حيادية، يمكن أن تكون سلماً نرقى به أو دركات نهوي بها، فهذه الشهوة الجنسية أودعها الله في الإنسان، هو مخير إذاً هي حيادية ؛ بمعنى أنها توظف في الخير وفي الشر، وما ركب الله في الإنسان شهوة النساء إلا ليكون هذا الإنسان زوجاً، وله زوجة، وله أولاد، فكل الخير الذي ينتج عن الأسرة بسبب هذه الشهوة التي أودعها الله في الإنسان، وكل شرور الأرض الآن بسبب هذه الشهوة التي وضعها الله في الإنسان، هي حيادية إن مارستها وفق منهج الله سعدت بها، وإن حدت عن منهج الله شقيت بها، فالرجال:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[مسلم عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ]

الإنسان له مأخذان يؤخذ منهما، له نقطتا ضعف يقاد منهما ؛ المال والنساء، فإذا حصن نفسه تجاه النساء والمال فقد ملك دينه كله، فلذلك أكثر الشر يأتي من المرأة حينما تتفلت، ومن الرجل حينما ينصاع لها:

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي (٢))

(سورة النور)

بدأ بالزانية لأنها الأصل في إغراء الرجل، أما في السرقة قال تعالى:

(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ)

(سورة المائدة: الآية ٣٨)

في السرقة بدأ بالسارق، في الزنا بدأ بالزاني:

((مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنْ الرِّجَالِ))

[ابن ماجه وصححه الحاكم عَنْ أبي سَعِيدٍ]

أي نظام يتجاهل انجذاب الرجل للمرأة والعكس سيقع أمام مشكلات لا تنتهي:

الذي يلفت النظر أن هناك تجاهل لحقيقة خطيرة جداً ؛ هي أن الإنسان ينجذب إلى المرأة، فقد نسمح لامرأة تعمل مع رجل في غرفة واحدة، قد نسمح بالاختلاط، قد نسمح لإنسان بالسفر مع امرأة لا تحل له، فحينما نتجاهل هذه الشهوة المتغلغلة في أعماق الإنسان إلى أدق جزئيات جسمه، إذا سمحنا بالاختلاط، سمحنا بالتفلت، سمحنا بالتكشف من قبل المرأة، سمحنا بلقاءات ليست بريئة، يجب أن نتحمل النتائج الوخيمة، وأي نظام يتجاهل هذه الحقيقة انجذاب الرجل للمرأة والعكس و لا نعبأ بهذا نحن أمام سلسلة مشكلات لا تنتهي.

هناك رجل ببلد إسلامي ألف كتاباً، الكتاب وثائقي لم يأت من عنده بكلمة واحدة جاء بأخبار الصحف الغربية في أمريكا وأوربا عما يجري في الأماكن الذي فيها اختلاط في الجامعات، في المعاهد، في الدوائر، ما دام هناك امرأة ورجل في غرفة واحدة، ما دام هناك مدير عنده سكرتيرة، ما دام هناك صاحب منصب رفيع عنده موظفة، ما دام هناك اجتماع بين رجال ونساء لا على أساس الزواج بل على أساس العمل، فالنتائج الذي يذكرها هذا الكتاب تفوق حدّ الخيال ولم يأت من عنده بكلمة واحدة، جاء بأخبار في الصحف والمجلات، تبين أن الذي أمر المرأة أن تتحجب هو خالقها، وأن الذي أمر المرأة أن تكون مربية في البيت هو خالق البيت، وأنكل فساد ينتج من اختلاط المرأة بالرجل، إن كانت محجبة لا شيء عليها.

الله عز وجل أودع في الإنسان هذه الشهوة لتكون وقوداً دافعاً له إلى الخير لا إلى الشر:

أحد الكتاب المعاصرين ألف كتاباً عن المرأة، لفت نظري في هذا الكتاب هذه الحقيقة ؛ يقول: لو أن امرأة محجبة حجاباً كاملاً ألقت محاضرة أمام مئة ألف رجل، أو أمام ألف رجل، كل الرجال ينصرفون إلى كلامها، وإلى أفكارها، وإلى ما تنطوي عليه من مبادئ، أما حينما تلقي هذه المحاضرة نفسها وهي متكشفة تبرز مفاتنها من هؤلاء المئة ألف كم واحد يفكر في كلامها ؟ ولا واحد، الله عز وجل أودع في الإنسان هذه الشهوة، لتكون وقوداً دافعاً له إلى الخير، أما حينما يساء استخدام هذه الشهوة تكون هذه الشهوة أداة تفجير ذاتي، فالإنسان إذا عرف أن البارود ينفجر بالنار وقرب النار من البارود، هل هذا عمل بطولي ؟ لا.

مرة فرنسا قدمت محطة فضائية إباحية لشمال إفريقيا كهدية، تبث إلى شمال إفريقيا، إذا فجرت الإنسان انتهى، حينما تفجره من داخله بإثارة هذه الشهوة إلى أعلى درجة انتهى الإنسان.

والعالم الإسلامي الآن يعاني من غزو ثقافي عن طريق هذه الصحون، آلاف الأسر دمرت في بلدنا، طلاق مضى على الزواج ثلاثين سنة، انتهى بطلاق، لأن الإنسان تفجره من داخله، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنْ الرِّجَالِ))

[ابن ماجه وصححه الحاكم عَنْ أبي سَعِيدٍ]

الإنسان له مأخذان يقاد منهما ؛ المال والنساء:

المأخذ الكبير للرجل ؛ المرأة والمال، الإنسان متى يخضع ؟ متى يذل ؟ متى يلقى القبض عليه ؟ متى تكف يده ؟ أكثر الأشخاص المهمين إذا سافروا هناك مطب كبير أمامهم، تدس له امرأة ساقطة يخلو بها والقاعة مصورة، يبلغ أن هذه الجلسة مصورة، انتهى، لن يستطيع أن يتكلم بأي كلمة، حتى بلغني أن بعض البنوك في أوربا وأمريكا أصحاب الودائع الكبيرة يغرون بفتاة، ويصورون، فإذا طالب أن يسحب المبلغ أعطيت له هذه الصور و يهدد بالفضيحة، فالإنسان قوي إذا حصن نفسه تجاه المرأة والمال، أما إذا تساهل في هاتين انتهى، سقط، فالنبي يقول:

((وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[ابن ماجه وصححه الحاكم عَنْ أبي سَعِيدٍ]

أي الهلاك، هلاك المرأة بالرجل وهلاك الرجل بالمرأة، هذا إذا خرج عن منهج الله، أما إذا تزوج، هذه الشهوة التي أودعها الله في الإنسان لها قناة نظيفة تسري خلالها.

فلذلك لا تعجبوا أن تجدوا في القرآن الكريم أحكاماً كثيرة عن الاختلاط، والاستئذان، وغض البصر، وعدم التجاوزات، من أجل أن تبقى هذه الشهوة مضبوطة، أي البنزين، هذا السائل المتفجر إذا وضع في مستودعات محكمة، و سار في أنابيب محكمة، وانفجر في المحرك في المكان المناسب، وفي الوقت المناسب، ولّد حركة نافعة، هكذا الشهوة، البنزين حيادي قد يحرق بناء بكامله، وقد يسهم بنقل أسرة من مكان إلى آخر، هو نفسه هذا الوقود السائل، هكذا الشهوات.

كل إنسان يزني له عقوبة من الله لا محالة:

((كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ))

[متفق عليه عَنْ أبي هريرة]

الحقيقة أن الإنسان قبل أن يخلق كتب عليه أن يزني، مدرك ذلك لا محالة، هذا المعنى لا يستقيم مع أبسط مبادئ الدين، إلا أن العلماء فسروا هذا الحديث على الشكل التالي: الإنسان حينما يزني كتب عليه أن ينال نصيبه من عقوبة الزنا مدرك ذلك لا محالة، وقد تكون هذه العقوبة شقاق في زواجه، وقد تكون مرضاً خطيراً، هذا الزنا له عقوبة مدرك ذلك لا محالة:

((كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا))

أي أن ينال نصيبه من عقوبة الزنا

((أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَة فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ))

إطلاق البصر نوع من الزنا، والأذنان زناهما الاستماع والإصغاء إلى لأغاني الفاحشة المنحرفة، أو إلى حديث ساقط، أو إلى إنسان زان مغامر، الإصغاء إليه نوع من الزنا، ((وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ)). اللسان زناه الكلام، الكلام المعسول، أن تدير حديثاً لطيفاً مع امرأة لا تحل لك، زميلتك في العمل مثلاً، مسافرة في سيارة عامة، أن تكلمها كلاماً لطيفاً، ليناً، هذا نوع من الزنا، كما أن الله عز وجل قال:

(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢))

(سورة الأحزاب)

خير الكلام ما قلّ و دل:

الرجل أيضاً لا يكون كلامه مع امرأة لا تحل له، تطمع فيه وتتوهم أنه سيتزوجها، فتقدم له بعض التنازلات، وهذا أول الزنا، فالكلام المعسول نوع من الزنا:

(قَالَ مَا خَطْبُكُمَا)

(سورة القصص: الآية ٢٣)

كلمة واحدة، الآنسات لماذا يقفن هنا خير إن شاء الله ؟ لا يوجد:

(قَالَ مَا خَطْبُكُمَا)

(سورة القصص: الآية ٢٣)

(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)

(سورة القصص: الآية ٢٥)

لا تحتاج إلى جواب، والدي يدعوك، خير ما المناسبة ؟ ما جعلت حواراً إطلاقاً، ما المناسبة ؟ من والدك ؟

(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)

(سورة القصص: الآية ٢٥)

الابتعاد عن مقدمات الزنا لأنها تقود إلى الزنا المحرم:

صوت المرأة ليس بعورة إذا كانت جادة فيما تقول، يمكن امرأة شريفة تشتري حاجة، تسأل البائع بكم ثمن هذه الحاجة ؟ كل إنسان يعرف ما هو الكلام المعسول، والكلام الجاد، فالمرأة ليس من حقها أن تقول كلاماً معسولاً ليناً، راعينا نحن جيرانك، لا يكن قلبك قاسٍ علينا، هذه زانية، هذا رجل أجنبي، و هذا الكلام مرفوض، فالمرأة عليها ألا تخضع في القول لئلا يطمع الذي في قلبه مرض، و الرجل عليه ألا يخضع في القول لئلا تطمع التي في قلبها مرض

(وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢))

معروف أنها جادة فيما تقول.

فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، المصافحة، والرجل زناها الخطا، نحو مكان فيه مشكلة، نحو مكان فيه اختلاط، نحو مكان فيه امرأة:

((وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ))

[متفق عليه عَنْ أبي هريرة]

على كل: بدءاً من النظر، والاستماع إلى اللسان، إلى اليد، إلى الرجل، والزنا الكبير هو زنا الفرج، لكن كل هذه مقدمات الزنا، وهي وحدها زنا لكنه مخفف.

أفعال الكتابة إذا عزيت إلى الله عز وجل تدل على أن هذا قانون ثابت لا يتبدل ولا يتغير:

((كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ))

[متفق عليه عَنْ أبي هريرة]

كلمة كتب أي قانون، مع أن الله عز وجل ليس عنده كتابة إطلاقاً، يتكلم كلاماً على لسان النبي عليه الصلاة والسلام ليطمئننا، كتب ربكم على نفسه الرحمة، الله لا يوجد عنده ورق وقلم، كن فيكون، زل فيزول، لكن إذا قال: كتب حتى يطمئننا، هذا قانون ثابت، أحياناً الإنسان تخاطبه على قدر عقله، فكل أفعال الكتابة إذا عزيت إلى الله عز وجل تعني تطمين الإنسان على أن هذا قانون ثابت، لا يتبدل ولا يتغير:

((كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا))

[متفق عليه عَنْ أبي هريرة]

أي لابدّ أن ينال حظه من عقوبة الزنا، لا يوجد شيء يمر من دون عقوبة، صار في تجاوز، صار في كلمة غير لائقة، صار في نظرة غير بريئة، صار في حركة، صار في يد، صار في لمس، كل أنواع الزنا لها عند الله عقوبات دقيقة:

من يَزنِ يزنَ به ولو بجدارهِ إن كنْتَ يا هذا لبيباً فافهم

***

فالإنسان عندما يتفلت أيضاً هناك من يعتدي على عرضه، إذا اعتدى الرجل على أعراض الناس هناك من يعتدي على عرضه.

بطولة الإنسان ألا يسمح لنفسه بأن يخلو بامرأة لا تحل له:

((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم))

[الطبراني عَنْ ابن عباس]

أي إنسان إذا خلا بامرأة دخل الشيطان، فالبطولة ألا تسمح لنفسك بأن تخلو بامرأة.

((لئن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له))

[رواه الطبراني بسند صحيح عَنْ معقل بن يسار]

أحياناً أكثر الأسر من رواد المساجد، سهرات، واحتفالات، واختلاطات، ومزح، ونظرت غير بريئة، وأحياناً لمس، وبالاسم نحن أهل، مثل أختي إن شاء الله، أختك التي من أمك وأبيك فقط، هذه ليست أختك إطلاقاً هذا كلام الشيطان، إدخال الحق بالباطل والباطل بالحق، هذا نوع من الختل، أي المراوغة، هذه ليست أختك إطلاقاً:

((لئن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له))

[رواه الطبراني بسند صحيح عَنْ معقل بن يسار]

الترغيب في غض البصر والترهيب من إطلاقه:

والحديث الأخير:

((إياك والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما))

[رواه الطبراني بسند صحيح عَنْ أبي أمامة]

أكثر حالات الزنا أساسها خلوة، أي استقبلت قريب زوجها بغياب زوجها، دخلت إلى بيت فيه رجل لوحده، الآن تأتي أم فلان ادخلي، تفضلي، ارتاحي، من هنا، بدأ الموضوع، فالواحد بهذه الموضوعات لا يوجد مجاملة، طرقت أخت زوجتي والله ليس هنا، جاءت من الميدان، خير إن شاء الله ليست هنا، أو اخرج وقل لها: تفضلي، أما أن تلتقي بها في بيت واحد هذا شيء محرم.

((إياكم والخلوة بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا ودخل الشيطان بينهما ولأنْ يزحم رجلاً خنزير متلطخ بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكب امرأة لا تحلُّ له))

[رواه الطبراني بسند صحيح عَنْ أبي أمامة]

هذه كلها ترغيب في غض البصر، وترهيب من إطلاقه، ومن الخلوة بامرأة أجنبية ولمسها، المصافحة، هذا كله يسبب بدايات الزنا، ودائماً الوقاية خير، ودائماً بالقرآن قال تعالى:

(وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى)

(سورة الإسراء: الآية ٣٢)

نهاك عن أن تقترب لا عن أن تزني، يبدو أن هناك مشكلة، أنا قرأت عنها مقالة حلت لي مشاكل كثيرة، الإنسان إذا استثير، الدماغ يفرز مادة تعطل محاكمته، مادة غريبة يفرزها الدماغ حينما يثار جنسياً، هذه المادة تعطل محاكمته، تجد شخصاً له مكانة كبيرة، وعلمه كبير، كيف تورط بالزنا ؟ وهذه التي زنا بها أقل من زوجته بمئات المرات، لأنه صار في خلوة وتعطلت محاكمته، لأن هناك مادة يفرزها الدماغ، وينتج عنها تعطيل محاكمة الإنسان، لأن الإنسان قد يستغرب كيف فعل هذا ؟ هذا هو التفسير، فلذلك أنت منهي لا عن الزنا منهي عن مقدمات الزنا، لأنك إذا تساهلت بالمقدمات قد لا تستطيع أن تقف، أنا أقول: مثل صخرة برأس جبل أنت مخير أن تبقيها في رأس الجبل، أو أن تدفعها، أما إذا دفعتها لست مخيراً لأنها لن تستقر إلا في قعر الوادي إن دفعتها، فالمقدمات تتلاحق وتتعاون إلى أن تصل إلى النهاية التي ما كان الإنسان يتصورها في البداية، ما دام سمح لنفسه بالخلوة، بشيء لا يحل له، انتقل من حال إلى حال

فتنة العالم كله بالمرأة:

هذه بعض التوجيهات النبوية في موضوع النساء، والآن فساد العالم كله بالمرأة:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[مسلم عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ]

الآن فتنة العالم كله بالمرأة، والمرأة هي كل شيء الآن، وهي معبود البشر، وكل وسائل الإعلام، وكل الدعايات أساسها المرأة، لو أردت أن تروج أي بضاعة عن طريق امرأة، هكذا الغرب اكتشف أن هذه محببة، إذاً عن طريقها تفعل ما تشاء، هذا هو الفساد بعينه، وهذا خلف العالم الإسلامي، أن الإنسان ترك دينه، ضعف، صار مثل القماش من السهل جداً قهره، أما الإنسان باستقامته قوي، و عندما ترك الاستقامة ضعف.

أنا أتمنى على الأخوة الكرام بهذا العصر الفاسد أن يضبط نفسه من النساء هو وأولاده، وألا يدع وسائل مغرية في البيت أو يترك أي منافذ للشيطان، عندما الإنسان يسمح بمنافذ شيطانية في البيت، يكون قد أنهى بذلك أسرته، أنهى بناته، أنهى أولاده.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٣-١١٦) : كتاب النكاح وما يتعلق به - الترغيب في النكاح سيما بذات الدين الولود

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

النكاح من سنن المرسلين وأي سلوك يخالف منهج النبي تطرف و انحراف:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أغضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفرج وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ))

[متفق عليه عَنْ عَلْقَمَةَ]

النكاح من سنن المرسلين، والنبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيب الحق تزوج وما عرقل زواجه صلته بالله، بل كان وسيلة مسرعة إلى الله عز وجل، لذلك قال في بعض الأحاديث:

((أمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

فلذلك أي سلوك يخالف منهج النبي عليه الصلاة والسلام تطرف، والتطرف له ردود فعل سلبية وسيئة جداً.

أعرف جماعة دينية في بلد إسلامي شيخهم لا يتزوج، ويميل هؤلاء إلى عدم الزواج، هناك خلل، أية فتوى يصدرها هذا الشيخ وهو لم يتحمل مسؤولية الزواج، ولا تربية الأولاد، هذه الفتوى غير صحيحة، غير واقعية، الزواج من سنن المرسلين، إذا اجتهد الإنسان أن يدع الزواج، وفي وهمه أن يتفوق في الدين يحصل العكس، والدليل أن أهل الكتاب:

(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا)

(سورة الحديد)

ليست من دينهم هم ابتدعوها، ما كتبناها، هم حينما كتبوها على أنفسهم ابتداعاً:

(فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)

(سورة الحديد)

صار هناك خلل، إنسان ممنوع من الزواج، تنشأ عنده رغبات جامحة، بل الانحرافات التي تقع عند هؤلاء الذين حرموا على أنفسهم الزواج كبيرة جداً:

(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)

لأنها فوق طاقة البشر، هذا الميل أودع في الإنسان، وهو متغلغل في أعماقه، فإذا سرى به في القناة النظيفة، في الطريق المشروع، توازن الإنسان، أما إذا حرم نفسه شيئاً أودعه الله فيه اختل توازنه، فإذا اختل توازنه إما أن يكون قاسياً إلى درجة غير معقولة، وإما أن ينحرف إلى درجة غير معقولة:

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ))

[متفق عليه عَنْ عَلْقَمَةَ]

الباءة: النكاح والتزوج

((فَلْيَتَزَوَّجْ))

الأحكام الشرعية في الزواج:

لذلك قالوا: في الزواج خمسة أحكام شرعية، هو فرض لمن تاقت نفسه إلى الزواج وخشي العنت ـ أي خشي أن تزل قدمه ـ الحكم الشرعي فرض قبل أداء فريضة الحج وقبل كل شيء، لأنه لأن يتزوج أفضل ألف مرة من أن تزل قدمه، و من تاقت نفسه إلى الزواج ولم يخش العنت فالزواج عنده مندوب، ومن لم تتق نفسه إلى الزواج، ولم يخش العنت فالزواج عنده مباح، أما الذي إذا تزوج حمّل نفسه ما لا يطيق، وما تاقت نفسه إليه، فالزواج عنده مكروه، أما الإنسان المنحرف السفيه، هذا إذا تزوج أضاف إلى شقائه شقاء امرأة معه قال: هذا زواج محرم.

((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِرًا مُطَهَّرًا فَلْيَتَزَوَّجْ الْحَرَائِرَ))

[ابن ماجه عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ]

إنسان غير متزوج هناك استفهام، قد يكون بريئاً، وقد يكون طاهراً، وقد يكون مستقيماً، لكن لأنه غير متزوج صار هناك إشارات استفهام توضع عليه، فدفعاً لهذا التساؤل ولهذه التهم الزواج حصن، حصن لك وحصن لزوجتك.

ما يستفاد من الأحاديث التالية:

((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ طَاهِرًا مُطَهَّرًا فَلْيَتَزَوَّجْ الْحَرَائِرَ))

[ابن ماجه عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ]

((أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ الْحَيَاءُ وَالتَّعَطُّرُ وَالسِّوَاكُ وَالنِّكَاحُ))

[ابن ماجه عَنْ أَبِي أَيُّوبَ]

الذي يستفاد من هذه الأحاديث ؛ أن الحضارة الحديثة تؤخر الزواج إلى الثلاثين، أو إلى الأربعين، أو إلى الخامسة والثلاثين، هذه الشهوة استيقظت في الخامسة عشرة، ماذا يفعل هذا الشاب إلى

الثلاثين أو إلى الخامسة والثلاثين ؟ مشكلة كبيرة، مثيرات فوق المعقول، والأمل بالزواج ضعيف، هذا الذي يبحث عنه العالم اليوم، عقدت مؤتمرات عدة، مؤتمر وضع فيه كل وزن ثقيل في القاهرة، وفي بكين، من أجل أن تكون هناك ممارسات جنسية للشباب والشابات قبل الزواج، أو ضمن الأسرة، من أجل الفساد، ووضعوا ثلاثة هياكل للزواج، زواج تقليدي كأنه محتقر عندهم رجل وامرأة، وزواجان جديدان رجل ورجل، وامرأة وامرأة، كل هذا بدعوى عدم الإنجاب، والصهيونية من وراء هذا المؤتمر، لأن الشعوب حينما تنحرف انتهت، حينما تكون متماسكة فهي قوية جداً، والحمد لله مؤتمر القاهرة لم ينجح، ومؤتمر بكين لم ينجح، وكل المقررات التي وردت إلينا رفضت جملة وتفصيلاً والحمد لله، من هذا أن تعمل المرأة أي عمل من دون إذن زوجها، لو أن لها زوجاً وأحبت أن ترقص لا يستطيع الزوج أن يمنعها، لو أنها أحبت أن تسافر لا يستطيع الزوج أن يمنعها، حوالي أربعين مقرراً، الإنسان يفضل ألف مرة أن يطلق زوجته عن أن يبقي زوجة بهذا الشكل.

منهج الله لمصلحة سعادة الإنسان و منهج البشر لمصالح مادية محضة:

أي نظام في المجتمع يضعضع نظام الأسرة انتهى المجتمع، ومثل هذه المجتمعات المنحلة يسهل قيادتها، ويسهل اللعب بمصيرها، فتصوروا مؤتمراً أعدّت له عِدد كبيرة، هذا المؤتمر مهمته أن يكون هناك ثلاثة هياكل للأسرة، رجل وامرأة، رجل ورجل، وامرأة وامرأة، أي أبيح اللواط والسحاق، و صار معترفاً بهما، وأن يسمح الأب والأم لأولادهما بأي ممارسة جنسية ضمن الأسرة.

هذا منهج الله أما هذا منهج البشر، منهج البشر لصالح البشر، لمصالح مادية محضة، لكن منهج الله عز وجل لمصلحة سعادة الإنسان، وردت هذه التوصيات وألّفت لجنة من عشرين عضواً لدراسة هذه التوصيات وأنا مثلت وزارة الأوقاف، الذي أثلج الصدر أن كل المؤتمرين رفضوا هذه التوصيات جملة وتفصيلاً، تتناقض مع ديننا، ومع تقاليدنا، ومع قيمنا، وهذا كان فيه إجماع والحمد لله، وهذا وسام شرف لنا، ولم تقبل سوريا أن تستجيب لأية توصية من هذه التوصيات، هي بحسب ديننا لا تستطيع تحملها إطلاقاً.

أذكر أثناء المناقشة قام أخ من حلب و قال: جيد والله إذا زوجتي أحبت أن تكون راقصة أنا لا أوافق أطلقها لا أتركها، الزوجة تابعة لزوجها، إذا فرضنا أن الزوجة تملك مبلغاً من المال ـ انظر دقة الشرع ـ و هي من حقها أن تتملك المال، وهي مستقلة في تملك المال لا في التصرف به، التصرف تحتاج إلى أذن الزوج لو عقدت صفقة بمادة مهربة، وجيء لتعتقل، وتودع في السجن حسب القانون، ماذا تفعل بأولادها وزوجها ؟ لذلك لا يسمح للزوجة أن تتصرف بالمال إلا بعد إذن

زوجها، لها أن تتملك حيازة المال من حقها، ولها أن تستقل بمالها عن زوجها، لكن ليس لها أن تتصرف بمالها دون إذن زوجها، في القيادة هذه أسرة، مؤسسة، لها مدير عام، لها قائد.

ضبط الأسرة أهم شيء في الحياة:

الذي يلفت النظر في بعض البلاد في شمال إفريقيا ألغي نظام الأحوال الشخصية الإسلامي، و وضع نظام آخر، يقتضي هذا النظام أن الزوج إذا طلق زوجته تستحق نصف أملاكه كلها، يقول لي أخ كريم مقيم في هذا البلد: بارت سوق الزواج، إنسان أسس عملاً ضخماً، حتى وصل له بذل الغالي والرخيص، لأنه جرى خلاف بينه وبين زوجته طلقها فتملكت نصف معمله، فتوقف الزواج، وحلّ السفاح محل النكاح، ما الحل ؟ صار الأب يقدم لخاطب ابنته سند أمانة بمليون ليرة، بحيث إذا طالبناك بنصف ممتلكاتك أبرزت هذا السند، و لذلك فقد توقف سوق الزواج كلياً.

الآن الذي يجري في بلاد الغرب هناك عقد في الكنيسة، وعقد مدني، حتى العقد المدني ألغي و صار هناك معايشة، إنسان يعيش مع فتاة بدون عقد ولا التزام، ولأتفه سبب يفترقون، أين عقد الزواج الإسلامي ؟ أنا مرة كنت ألقي درساً حول الزواج، مرّ معي إحصاء لطيف أن نسبة الطلاق في أمريكا ٦٢%، أي كل مئة حالة زواج خلال سنة ينتهي منها ستون زواجاً إلى الطلاق، في ألمانيا ٣٧%، كان حاضراً في الدرس أحد أخواننا الكرام و هو قاض شرعي أول، مارس القضاء الشرعي ثلاثين عاماً فسألته أثناء الدرس قال: عندنا اثنان بالألف، تصور ٦٢%، ٣٧%، اثنان بالألف، ثم سألته حديثاً قال لي: ارتفعت النسبة من اثنين بالألف إلى خمسة عشر بالمئة عندنا، طبعاً هذه الدشات لا تترك زوجاً يعجب بزوجته، من اثنين بالألف إلى خمسة عشر بالمئة في بلدنا ونحن في هذا الطريق سائرون، كلما تفلت الإنسان كره زوجته، ونشب الخلاف بينهما.

أعرف رجلاً أيها الأخوة له زوجة داعية، وفي أعلى مستوى، وبعد ثلاثين عاماً من زواجهما طلقها، بعدما أحضر الصحن لم تعجبه، إفساد الأسرة، لو أن العدو جاء بكل ثقله أخف من أن تفسد أسرنا، وأن تكون عرضة للضياع، أهم شيء ضبط الأسرة، أهم شيء التماسك الأسري، الأسرة تعني البناء، والتفلت يعني الانهيار، والمجتمعات الغربية تفوقت في جانب، واختل توازنها في جانب آخر.

الزواج منهج الله عز وجل:

هذا الزواج منهج الله عز وجل، عندما خلق الذكر والأنثى مع الذكر والأنثى زواج، لا يوجد علاقة مشبوهة بين الذكر والأنثى في ظل الإسلام، الإسلام فيه أم، فيه أخت، فيه بنت، فيه زوجة، لا يوجد

امرأة بحياة الرجل بإمكانه أن يستمتع بها دون أن تكون زوجة، أما هذا النظام الحديث هناك موظفات مع مدير عام، سكرتيرات، هذا كله يخالف منهج الله عز وجل.

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ))

[ابن ماجه عَنْ أبي أُمَامَة]

بعد التقوى، لأن قبل التقوى هناك حماقات، وقسوة، وجهل لا يعلمها إلا الله، تسمع قصصاً لأتفه سبب طلقها ثلاث طلقات متتاليات، لأسباب تافهة، عندها ثلاثة أولاد بقيت في الطريق، الإنسان قبل أن يكون صاحب تقوى، أحمق، و هذا ليس أهلاً أن يتزوج، فيزوجونه، وتجده أرعناً، وصدّق نفسه أنه زوج، وتجده كما قال ابن عباس رضي الله عنه: " يرتكب أحدكم أحموقته ويقول: يا بن عباس يا بن عباس ".

الذي يلفت نظري في كل فتاوى الطلاق يحلف عليها بالطلاق ألا تزور أختها، لا يحلو لها في الدنيا شيء إلا أن تزور أختها، وتزور أختها، ويقع بموقف حرج، وتجده من شيخ إلى شيخ، راكبه شيطان بهذا الطلاق، ويركبها شيطانة بهذا الطلاق، حينما تحنث بيمين زوجها.

صفات الزوجة الصالحة:

لذلك الإنسان:

((مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ))

[ابن ماجه عَنْ أبي أُمَامَة]

هذه صفات الزوجة الصالحة، شعار الزوجة الصالحة تطيع إذا أمرت، وتحفظ نفسها ومال زوجها إذا غاب عنها زوجها، وتتزين لزوجه لا لغير زوجها، سبحان الله إذا كان البيت فيه شيطان كل ما في المرأة من سوء لزوجها، وكل ما فيها من رقة، وأنوثة، ونعومة، وتزين، للطريق وللآخرين، وهذا من أسباب فساد البيوت:

((ثلاثة حقّ على الله عَوْنُهم المجاهدُ في سبيل الله والمُكَاتِبُ الذي يريد الأداءَ والناكحُ الذي يريد العَفَافَ))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

حق على الله، هذه على إذا أنيطت بالذات الإلهية تفيد الإلزام الذاتي، أي الله عز وجل ألزم نفسه أن يعين كل شاب أراد العفاف، من لا شيء صار عنده كل شيء:

((قالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَنَهَاهُ فقالَ تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ))

[النسائي عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ]

ما نهى عن امرأة معينة لكنه رفض المبدأ، الودود الولود.

الأبوة مسؤولية كبرى:

لي تعليق سريع: إياكم ثم إياكم ثم إياكم أن تتوهموا أن النبي عليه الصلاة والسلام يباهي بنا بالكم فقط، أنجب عشرة أولاد وألقهم في الطريق، لا تربية، ولا أخلاق، ولا علم، ولا فهم، عبء على الأمة، إياكم أن تتوهموا هذا الفهم، يباهي بنا بالنوع لا بالكم، الأبوة مسؤولية فقبل أن تفكر بالزواج يجب أن تفكر كيف تربي أولادك ؟ لأن الابن الصالح عضو صالح في المجتمع، وهذا الذي ينفع المجتمع، كثير من الناس فهموا الحديث فهماً ما أراده النبي عليه الصلاة والسلام، عملية إنجاب أولاد فقط، أما العملية ليست كذلك، النبي عليه الصلاة والسلام يباهي بنا، يباهي بأمة متعلمة، يباهي بأمة أخلاقية، يباهي بمجتمع فريد من نوعه لا بمجتمع تافه، كم بشري لا يحتمل مشكلات ليس لها حصر ؟

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٤-١١٦) : كتاب النكاح وما يتعلق به - ترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها والمرأة بحق زوجها وطاعته وترهيبها من إسقاطه ومخالفته

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

حق الزوجة على الزوج:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ))

[أبي داود عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

الرجال أيها الأخوة الكرام حينما تطالبهم زوجاتهم بمال وفير من أجل الدنيا فيكسبون المال الحرام إرضاءً لزوجاتهم، عندئذ يستحقون نار جهنم، وهم في النار يرون أن أعدى أعدائهم زوجاتهم، لأن الله عز وجل يقول:

(إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ)

(سورة التغابن الآية: ١٤)

هذه عداوة مآل، لذلك الزوج المؤمن ليس مطالباً إلا أن يطعم زوجته مما يأكل، لو أن دخله يسمح له أن يأكل أخشن طعام ليس عليه أن يطعمها إلا مما يأكل، وأن يلبسها مما يلبس، وألا يضرب، وألا يقبح، وألا يهجر إلا في البيت، هذا من حق المرأة، أما ليس من حقها أن تكسب المال الحرام من أجل أن ترضيها، عندئذ تنقلب عدوة لك إلى أبد الآبدين:

((مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ قَالَ أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ))

[أبي داود عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

أما أن يطعمها أخشن الطعام، وأن يأكل هو في المطاعم مع أصدقائه أطيب الطعام، هذا ما أنزل الله به من سلطان، تأكل مما يأكل، وتلبس مما يلبس، مكانتها محفوظة عنده، لا يهينها، لا يضربها، لا يسبها، لا يقبحها، أما أن يغدو خادماً، أن تمتد يده إلى الحرام لترضى عنه، هذا هو المزلق الخطير الذي وقع به الأزواج، لذلك تقول له: يا فلان أعطني وأعطني، قال: اعلمي أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحي بك من أجلهن أهون من أن أضحي بهن من أجلك.

هذا موقف الزوج المؤمن، الشرع لم يكلفك أبداً أن تطعمها أكثر مما تأكل، وكل إنسان له دخل، والفقر ليس عاراً، الفقر قد يكون وسام شرف، والحلم خلاق، والقيم الأخلاقية التي تجدها عند الفقراء لا تجدها عند الأغنياء الشاردين، أما المؤمنين على العين والرأس.

من تعين زوجها على طاعة الله فأجرها عند الله كبير:

يا أيها الأخوة الكرام، أحد أكبر مزالق المسلمين أنهم من أجل إرضاء زوجاتهم يكسبون المال الحرام، مع أنهم ليسوا مكلفين إلا أن يطعموهن مما يأكلون، أما أن تضغط عليه بشيء فيه حرام، هذا لا يعترف به.

إلا أن هناك ملاحظة، الإنسان أحياناً يكون فقيراً فقر كسل لا فقر قدر، عندنا فقر كسل، فقر قدر، فقر إنفاق، فقر الإنفاق محمود، وفقر الكسل مذموم، وفقر القدر معذور، إنسان عنده عاهة طرق الأبواب كلها، نشيط جداً، ذكي جداً، و لكن الأمور معسرة، هذا فقر القدر، عندئذ يطعمها مما يأكل، أما يكره عمله يعمل يوماً ويرتاح عشرة أيام، هذا فقير فقر كسل، وفقر الكسل مذموم، والإنسان عندما يعمل عملاً جيداً، ويطعم أهله أطيب الطعام، ويلبسهم أجمل الثياب، هذا نوع من العبادة أيضاً.

كيف تستطيع أن تملك قلب أهلك ؟ بالإنفاق، لذلك لا يوجد صفة في الزوج منفرة كالبخل، و لا يوجد صفة محببة كالكرم، والإنسان بالمال يستعبد الرجال، عجبت لمن يشتري العبيد بماله لما لا يشتري الأحرار بإحسانه ؟ العبد يشترى بالمال أما الحر يشترى بالإحسان.

أحسن إلى الرجل تكن أميره، استغن عنه تكن نظيره، احتج إليه تكن أسيره، هذه أول نقطة لست مكلفاً إلا أن تطعمها مما تأكل، حتى الإنسان لا يمد يده إلى الحرام، هناك ضغوط داخلية هذا الضغط الداخلي يجب أن يوضع له حسم، والله لو قطعت إرباً إرباً لا أكسب قرشاً حراماً، الصحابية الجليلة التي كانت تودع زوجها وتقول: " اتق الله بنا، نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام " وأي زوجة تعين زوجها على طاعة الله لها أجر كبير.

الدنيا تطيب بطاعة الله وتُشقي بمعصية الله:

الحياة فيها أوهام كثيرة جداً، إنسان مع رضاء الله قد يأكل أخشن الطعام وهو عنده أطيب الطعام، ومع المعاصي والآثام لو أكل أطيب طعام هذا الأكل كالسم، إذا كان الكسب حراماً، إذا المال فيه اغتصاب، فيه عدوان، وأتيت بأهلك بأطيب الطعام لا يوجد سرور، ولا بركة، ولا راحة نفسية، قد تكون راحتك النفسية في طعام خشن جداً لكن مع رضوان الله، وقد يكون شقاؤك النفسي بطعام طيب لكن فيه سخط الله، إذا الإنسان سكن في بيت فخم لكنه مغتصب لهذا البيت، أو سكن بغرفتين

صغيرتين قميئتين لكنهما ملكه الشخصي، الغرفتان الصغيرتان يشعر فيهما براحة نفسية، أما في البيت الكبير هناك شعور بالاغتصاب، و قطيعة مع الله عز وجل، الدنيا تطيب بطاعة الله وتشقى بمعصية الله.

إنسان توفي والده وهو أكبر أخوته، اغتصب أموال أخوته، خجلوا منه مثل أبيهم كل شيء له، فبعد عشرين أو ثلاثين سنة صار معه أثناء قيادة السيارة جلطة، أخذوه إلى العناية المشددة مع أول صحوة طلب مسجلة قال: إن المحل الفلاني لأخوتي، والبيت الفلاني لأخوتي، اعترف بكل شيء اغتصبه من أخوته، وعندما شفي أو توهم أنه شفي طلب الشريط وكسره، وعاد إلى ما كان عليه، ثم جاءت القاضية بعد ثمانية أشهر.

الإنسان وهو يتمتع بالمال الحرام تنشأ القطيعة، والبؤس، والشقاء، وعندما تأكل أخشن طعام، وتسكن في أصغر بيت، لكن هذا ملكك، هذا من دخلك الحلال، تشعر بسعادة، هذه السعادة بيد الله، هذه واحدة.

المرأة علاقتها بزوجها فإن أطاعته ومات وهو راض عنها دخلت الجنة:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّة))

[الترمذي وحسنة وابن ماجه وصححه الحاكم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ]

شيء سهل، الزوج صدقوني أمامه أكثر من مئة ألف بند حتى يسمح له بدخول الجنة، أما الزوجة معفاة من كسب المال، من العلاقات مع الناس، معفاة من الضغوط الخارجية، معفاة من الإغراءات الخارجية، علاقتها بزوجها فإذا أطاعته ومات وهو راض عنها دخلت الجنة.

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّة))

[الترمذي وحسنة وابن ماجه وصححه الحاكم عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ]

فالزوجة إما أن تكون عبئاً على زوجها، أو أن تكون في خدمة زوجها، فهناك زوجة ضابطة، دائماً هناك نكد في البيت هذه من أسوأ الزوجات، وهناك زوجة صابرة معِينة، هذه من أفضل الزوجات، إذا صامت شهرها، وصلت خمسها، وأطاعت زوجها، وحفظت نفسها فقد دخلت جنة ربها، جنتها ثمنها أربعة بنود فقط.

((أي الناس أعظم حقاً على المرأة))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

امرأة لها أب، لها أخ، لها أخوات، لها أولاد أخوة، أولاد أخوات، لها عمات، لها جيران، لها صديقات:

((أي الناس أعظم حقاً على المرأة قال زوجها))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

والزوجة المقصرة الفاسقة أهون الناس عليها زوجها، لا تقوم بخدمته، ولا تبدو أمامه كما ينبغي، ولا تحسن الكلام معه بل تقسو عليه، وتريه أبشع ما عندها، بينما أنوثتها، وجمالها، وأناقتها للآخرين، هذه المرأة التي يغضب الله عليها، لا تحصن زوجها ولا تريحه.

أول إنسان بحياة الرجل أمه و أول إنسان بحياة المرأة زوجها:

((أي الناس أعظم حقاً على المرأة قال زوجها))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

((فأي الناس أعظم حقاً على الرجل قال أمه))

[أخرجه الحاكم عن عائشة أم المؤمنين]

يوجد بحياة الرجل أول إنسان بحياته أمه، بحياة المرأة أول إنسان بحياتها زوجها، هذا توجيه دقيق جداً، لا يوجد قلب فيه رحمة لشخص آخر كقلب الأم، الأم تتمنى أن تموت ليحيا ابنها، تتمنى أن تجوع ليأكل ابنها، تتمنى أن تعرى ليأكل ابنها، تتمنى أن يكون أحسن الناس، لا تنام الليل من أجله، فإذا ردّ عليها الرد القبيح حينما تكبر، فإذا رآها عبئاً عليه، فإذا خاطبها بلغة المفرد، فإذا فضل زوجته عليها، أنا أذكر قرأت في بعض كتب الحديث أن إنساناً لم يتمكن أن ينطق الشهادة في عهد رسول الله، ثم عُلم أن أمه لم تكن عنه راضية، أي أساء إليها، كان يفضل زوجته عليها، وهذه بالرجال من أكبر القبائح، أن امرأة انضمت للأسرة حديثاً تملك قلب زوجها فيقسو على أمه.

عِظم حق الزوج على الزوجة:

و عن قيس بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ ملك لهم لَهُمْ فَقُلْتُ رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَلَا تَفْعَلُوا لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ الْحَقِّ))

[أبي داود عن قيس بن سعد]

ما سمح النبي عليه الصلاة والسلام إطلاقاً أن يسجد أحد لأحد، فيما لو فرض فيما لو أمر أحداً أن يسجد لأحد لأمر المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها.

من تلكأت في تلبية حاجة زوجها غضب الله عليها:

((إِذَا الرَّجُلُ دَعَا زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ))

[الترمذي عَنْ قَيْس بْن طلق عَنْ أبيهِ طلق بْن عَلِيٍّ]

أيضاً حينما تتلكأ المرأة في تلبية حاجات زوجها هذه يغضب الله عليها يؤكد هذا الحديث الآخر، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

[متفق عليه عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

ابتعاد المرأة عن كفران نعمة المحسن:

آخر حديث:

((لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر زوجها وهي لا تستغني عنه))

[النسائي عَنْ عبد الله بن عمرو]

ليس لها أحد، ليس لها أهل، ليس هناك من ينفق عليها، ليس لها بيت يؤويها، ومع ذلك تقسو على زوجها، ولا تشكره، وتكون عبئاً عليه، هذه امرأة لا ينظر الله إليها، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع فاطمة و خديجة بنت خويلد وآسيا ومريم))

[أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي موسى الأشعري]

وما سوى ذلك:

((خلقن من ضلع أعوج وأعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقومه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستمتعوا بهن على عوجهن))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

جبلة المرأة مركبة من أشياء بعيدة عن طموحات الرجل، هي تريد المظاهر، هي تريد حظها من الدنيا، وقد لا تكون موافقة لزوجها فيما يرجوه.

ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بزوجتك بل أن تحتمل الأذى منها:

على كلٍّ: كما أوصى النبي عليه الصلاة والسلام، استمتعوا بهن على عوج، أنت القائد، وأنت الرجل، وأنت لك القوامة، ولك القيادة لكن بالمعروف، وحينما قال الله عز وجل:

(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)

(سورة النساء الآية: ١٩)

فهم السادة المفسرون على النحو التالي: " ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها ".

أيضاً الزوج الذي يصبر على أذى زوجته ويحتملها له عند الله أجر كبير، وفي درس آخر نتابع هذا الموضوع.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٥-١١٦) : كتاب النكاح وما يتعلق به - الترهيب من ترجيح إحدى الزوجات وترك العدل بينهم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

العدل بين الزوجات:

((من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط))

[الترمذي و الحاكم عن أبي هريرة]

المسلمون ضغطوا الدين إلى خمسة فروض ؛ صوم، وصلاة، وحج، وزكاة، بينما الدين عشرات ألوف الأحكام، هذا الدين لن تقطف ثماره إلا إذا طبقته كله، فهذا أمر من الكبائر، ألا تعدل بين زوجتيك من الكبائر، وكم من إنسان تزوج امرأتين ؛ الأولى معززة مكرمة، في أفخم بيت، أطيب معاملة، أحسن إنفاق، والثانية مهملة لا في الوقت، ولا في الإنفاق، ولا في المسكن، فالظلم ظلمات يوم القيامة، التعدد مباح وليس واجباً إلا أن أحد أكبر شروطه العدل، ما كلفك بالعدل المطلق، العدل المطلق لن يستطيعه أحد، أن تعدل بالميل، كلفك بالعدل التام، الإنفاق، والمبيت، والمسكن:

((من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط))

[الترمذي و الحاكم عن أبي هريرة]

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقسم، ويعدل، ويقول:

((اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك))

[أحمد و أبو داود عن عائشة]

الشيء الذي لا تملكه ربنا عز وجل يسامحك فيه، أما الشيء الذي تملكه ينبغي أن تقيمه، هذا عن العدل بين الزوجات، لكن أعداء المسلمين يتوهمون أن التعدد عندنا مشكلة، وجدت في الإحصاءات أن كل مئة زوج خمسة منهم عنده زوجتان، وكل ألف زوج زوج واحد عنده ثلاث زوجات، وكل خمسة آلاف زوج ثلاثة منهم عنده أربع زوجات، فمشكلة محدودة جداً، لكن الإسلام جعل التعدد صمام أمان، عندك امرأة لا تنجب الأولى أن تطلقها، أن تدعها في الطريق ؟ لا أبقها وتزوج امرأة ثانية، عندك امرأة مريضة أبقها وتزوج امرأة ثانية، عندك رغبة أكثر من الوضع الطبيعي لئلا تقع عينك على حرام تزوج امرأة ثانية، في الحروب، في حالات ضرورية سمح الشرع للإنسان بالتعدد، أما حينما سمح له ألزمه بالعدل.

الإنفاق المعتدل:

الآن:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ))

[مسلم عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

لكن المشكلة أن النصوص أحياناً تفهم على غير ما أراد صاحبها، ما أراد الإنفاق التبذيري إنفاق الزهو، إنفاق الكبر، الإنفاق الضروري، الابن بحاجة إلى معطف، بحاجة إلى قسط جامعة، بحاجة إلى أدوات، فحينما يلبي الأب حاجات أهله كلها فقد فعل شيئاً عظيماً لأن هؤلاء الأولاد أولاده، و لأن الناس أنت لهم وغيرك لهم أما أولادك من لهم غيرك ؟ هم الذين ألزمك الله بهم، هم الذين أناطهم الله بك، هم الذين جعلك الله قيّماً عليهم، هم الذين أكرمك الله برزق من أجلهم، فإذا حرمتهم وأعطيت غيرهم فقد وقعت في إثم كبير، أما قد نفهم هذا الحديث فهماً آخر، إنفاق بذخ في شراء الطعام، واللباس، والنزهات، هذا لا يجوز يجب أن تنفق الإنفاق المعتدل:

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)

(سورة الإسراء)

الدرهم الذي تنفقه على أهلك لجلبهم ولتمتين العلاقة معهم يفوق كل الدراهم الأخرى:

من صفات المؤمن:

(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧))

(سورة الفرقان)

فالإنسان حينما يلبي حاجات أولاده وزوجته المعقولة، والمعتدلة، والطبيعية، بالمعروف فهذا الدرهم الذي أنفقته على أهلك لجلبهم، ولتمتين العلاقة معهم، ولربطهم بك، هذا درهم يفوق كل هذه الدراهم، لأنك حققت الهدف من هذه الأسرة، لذلك أبغض أب عند أهله البخيل، الأب البخيل مبغوض، وأنا أذكر دائماً هذا المثل ولا أنطلق فيه من فراغ ؛ قد يأتي طبيب لمعالجة الأب، الأولاد يسعدون إذا قال لهم: مرضه خطير، ويتألمون أشد الألم إذا قال لهم: القضية بسيطة، هم لا يريدونها بسيطة، ينتظرون موته، أما الأب الكريم يسعدون بحياته، إذا كنت كريماً أولادك يسعدون بوجودك، وإن لم تكن كذلك يسعدون بموتك، فبين أن تكون بين أناس يتمنون بقاءك وبين أناس يتمنون موتك؟ هذا هو الفرق بين البخيل والكريم.

الإنسان حينما يسعد في بيته يعطي أكبر عطاء خارج البيت:

أنا لا أدعو إلى الإنفاق التبذيري، لا أدعو إلى إغراق الزوجة بلباس كي تزهو على مثيلاتها، لا أدعو إلى إعطاء الزوجة الحلي التي تزهو بها على مثيلاتها، هذا إنفاق تبذيري، أما الحاجات الأساسية لا بدّ من توافرها ولو لم تكن قانعاً بها، أحياناً الطفل تملأ سعادته، تملأ حياته، لعبة و الأب ليس قانعاً بها، دراجة أحياناً، فحينما تدخل الفرح على قلوب أولادك لك عند الله أجر كبير، بل إن في الجنة داراً اسمها دار الفرح، يدخلها من أدخل الفرحة على قلوب الصغار.

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

أعظم شيء أسرة متماسكة، أولاد مشدودون إلى أبيهم، زوجة تقدس زوجها، هذا يحتاج إلى إنفاق، يحتاج إلى إدارة، يحتاج إلى ضبط، يحتاج إلى اهتمام، يحتاج إلى وقت، الذي لا يسعد في بيته لا يسعد خارج البيت، أنا أدعو إلى أن تكون بيوت المسلمين عامرة بالسعادة، والسعادة لا تحتاج إلى مظاهر فخمة، قد تسكن أصغر بيت، أما هناك ود، هناك حب، هناك وئام، هناك عدل، هناك تفاهم، هناك تعاون، هناك تضامن، هذا يحتاج إلى جهد، يحتاج إلى علم، وإلى خلق، وإلى مبادئ، وإلى عبادات، وإلى أن يكون الله معكم في البيت، بيت فيه صلوات، فيه ذكر، فيه قرآن، لا يوجد فيه معاصٍ، ولا آثام، ولا انحرافات، البيت الطاهر فيه جو طاهر، فلذلك الإنسان حينما يسعد في بيته يعطي أكبر عطاء خارج البيت، لا ينجح الإنسان في عمله إلا إذا كان في بيته مرتاحاً، راحة البيت تأتي من إقامة الإسلام في البيت، إن أقمت الإسلام في البيت سعدت به.

الأبوة المثالية والبنوة المثالية والزواج المثالي طريق إلى الجنة:

الحديث الآخر يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((الْمُسْلِمُ إِذَا أَنْفَقَ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأنصاري]

ما معنى يحتسبها ؟ هو أنفق النفقة وهو يعلم علم اليقين أنه بهذه النفقة يجلب أهله إليه، يقربهم من الحق، يمتن العلاقة بينه وبينهم، يحتسبها هكذا، ليس إنفاقاً عشوائياً، يعلم تماماً حينما اشترى هذه الحاجة لابنته أو لابنه أنه أنفقها من أجل أن يشده إليه:

((يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ))

الإنفاق الداخلي صدقة، إن أنفقت على أهلك، مثلاً هناك أكلة يحبونها فاشتريتها لهم، لبيت رغباتهم في طعام فسعدوا بهذا الطعام، المؤمن يأكل بشهوة أهله، حينما يحرص الأب على أن يطعم أولاده

ما يحبون فقد يجهد، ويتعب كثيراً، وقد يسهر أحياناً، وقد يكون له عمل إضافي من أجل أن يجعل هذه الأسرة سعيدة، هذا عمل مقدس، وهذا العمل يوصلك إلى الجنة، الأبوة المثالية، والبنوة المثالية، والزواج المثالي، طريق إلى الجنة.

((الْمُسْلِمُ إِذَا أَنْفَقَ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأنصاري]

الإسلام دعم الأسرة، قوى بنيانها، جعل فيما بين أفراد الأسرة علاقة طيبة أساسها الإنفاق والإكرام:

((مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ))

[أحمد عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ]

العمل عبادة و هو من لوازم اليد العليا:

نحن عندنا مشكلة مثلاً يسمع مسلم أن العمل عبادة، يشتغل عشرين ساعة، وينسى أن يصلي، وينسى أن يحضر درس علم، ويقول لك: العمل عبادة، لا، ليس هذا القصد، بعد أن تؤدي واجباتك الدينية كلها، وتحقق وجودك الديني، وتطلب العلم، وتعلم العلم، لك أن تعمل والعمل عبادة، يأتي إنسان ثان يقول لك: الأحاديث صحيحة، كل دخله على أولاده بعمل معقول وغير معقول، وبذخ، وإنفاق، وعلو في الأرض، وثياب فخمة جداً، وثلاثين بنطالاً لابنه، وخمسين فستاناً لزوجته، وتباه، واستقبالات، وسفر، وتفلت من الدين كله، يقول لك هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام، ما قصد ذلك، هذا إنفاق تبذيري مقترن بمعاصٍ، نحن نتحدث عن مؤمن ملتزم، منضبط، وقاف عند حدود الله، إذا أكرم أهله إكرامه لهم صدقة عند الله، لأنه متن العلاقات بينه وبين أسرته:

((مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ))

[أحمد عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ]

((يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ مُخْتَصَرٌ))

[النسائي عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

تسلسل طبيعي، اليد العليا خير من اليد السفلى، تحتاج إذاً إلى أن تعمل من أجل أن تكون اليد العليا، إذاً ينبغي أن تعمل، العمل من لوازم اليد العليا، فالعمل مقدس في الإسلام، والعمل عبادة، لكن بشرط أن يكون العمل مشروعاً، والأساليب مشروعة، والنية أن تكتفي أن تطعم نفسك، وأولادك، وأن تنفق على المسلمين، وألا يشغلك عن فريضة، ولا عن واجب، ولا عن طلب علم، الآن أصبح العمل عبادة:

((يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ مُخْتَصَرٌ))

[النسائي عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

والله رجل أعرفه يملك الملايين، وأمه ليس في بيتها تمديدات ماء، فتحمل الماء من الطريق إلى البيت، فأقامت عليه دعوى نفقة، هناك حالات بقصر العدل مخيفة، لو سألت القضاة على الدعاوى بين الأقرباء، بين الأم وابنها، وبين الأخ وأخيه، وبين الأب وابنه، القلوب قاسية جداً، فالقلب يقسو بالبعد عن الله، أما في القرب من الله الإنسان يعطي الآخرين.

تسلسل الصدقة:

((تَصَدَّقُوا قَالَ رَجُلٌ عِنْدِي دِينَارٌ قَالَ تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ قَالَ عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ قَالَ تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجِكَ قَالَ عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ قَالَ تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ قَالَ عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ قَالَ: عِنْدِي دِينَارٌ آخَرُ قَالَ أَنْتَ أَبْصَرُ))

[النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

تسلسل ؛ نفسك، وزوجتك، وأولادك، وخادمك، الباقي أنت أبصر به، بالمقابل يمكن أن أُسأل برمضان وبعد رمضان كمية كبيرة من الأسئلة، يريد أن يدفع الزكاة ضمن البيت، ممنوع أن يدفع قرشاً للخارج، ابنتي لا يوجد عندها براد هل يمكن أن أشتري لها براد من أموال الزكاة ؟ ابنه عليه ديون، لا يترك قرشاً يخرج إلى الخارج، هو حلّ مشاكله الشخصية، حلّ مشاكل أسرته عن طريق الزكاة، أيضاً هذا لا يجوز، الواحد مكلف بأهله، أما يدخل الزكاة بهذا الموضوع ! يجعل زكاة ماله كلها تنصب على أقرب الناس إليه، معنى هذا حلّ مشاكله، و كأنه لم يدفع الزكاة، هذا أيضاً من الانحرافات المقابلة، أحاديث دقيقة، إنسان لا يدفع قرشاً لإنسان غريب ! مع أن العلماء أكمل شيء بالزكاة أن تكون لثمانية مصارف معاً، وكل مصرف ثلاثة أشخاص، فالإنسان إذا كانت زكاته كبيرة ينبغي أن يدفعها لأربع وعشرين جهة، أما أن يجعل كل زكاته لأقربائه.

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله)).

[الجامع الصغير عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٦-١١٦) : كتاب النكاح وما يتعلق به - الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال والترهيب من إضاعتهم وما جاء في النفقة على البنات وتأديبهن

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١١-٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل الذي تبتغي منه تمتين العلاقة بينك وبين أهلك هو لك صدقة:

لازلنا في الأحاديث الشريفة التي ترغب في الإحسان إلى الأهل، فقد قال صلى الله عليه و سلم:

((ما أعطى الرجل أهله فهو له صدقة))

[أحمد عن عمرو بن أمية]

وأخرجه الطبراني بقصة قال: " مرّ عثمان بن عفان أو عبد الرحمن بن عوف بمرط ـ المرط أي ثوب ـ فاستغلاه، فمر به عمرو بن أمية فاشتراه، فكساه امرأته سخيلة بنت عبيدة بن الحارث بن المطلب، فمر به عثمان أو عبد الرحمن فقال: ما فعل المرط الذي ابتعته ؟ قال عمرو: تصدقت له على سخيلة، فقال: أو كل ما صنعت إلى أهلك صدقة ؟ قال عمرو بن أمية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك، فذكر ما قال عمرو لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال النبي: صدق عمرو كل ما صنعت إلى أهلك فهو صدقة عليهم ".

يتضح من هذا الحديث أن العمل الذي تبتغي منه تمتين العلاقة بينك وبين أهلك من أجل أن يكون البيت متماسكاً فهو لك صدقة، وذكرت البارحة أيضاً أنه يمكن أن ينحرف الإنسان حتى في إكرام أهله، يكرمها كي تزهو على غيرها، كي تتباهى، كي تستعلي، إذا الإنفاق كان إنفاقاً تبذيرياً وفيه مباهاة واستعلاء هذا من عمل الشيطان، أما إنسان أراد أن يقدم إلى زوجته شيئاً يدخل على قلبها السرور بنية أن يكون هذا البيت متماسكاً، وأن يعود هذا على الأولاد بالخير هذا من نوع الصدقة.

((إنَّ الرَّجُلَ إذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنْ الْمَاءِ أُجِرَ قَالَ فَأَتَيْتُهَا فَسَقَيْتُهَا وَحَدَّثْتُهَا بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[أحمد عَن العِرْبَاض بْن سَارِيَة رضي الله عنه]

الابتعاد عن نقل الأحاديث التي تنفر بين الزوج و زوجته:

أحياناً هناك أحاديث أو هناك آيات فرضاً:

(إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ)

(سورة التغابن الآية: ١٤)

يأتي وينقل هذا الكلام لزوجته، هناك أشخاص لا يوجد عندهم حكمة، ينقل مثلاً ما يقال في المسجد إلى البيت، فينشأ نفور بينه و بين زوجته، وهناك حديث ليس له أصل يقول: شاوروهن وخالفوهن.

هناك أحاديث كثيرة النبي عليه الصلاة والسلام وضح وحكى الحقيقة، لكن الأنسب أن تختار الأحاديث التي تعمق المودة بينك وبين زوجتك، هذا الحديث:

((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنْ الْمَاءِ أُجِرَ))

[أحمد عَن العِرْبَاض بْن سَارِيَةَ رضي الله عنه]

هذا يعمق المودة، أما هناك أحاديث أن خلقن من ضلع أعوج و أعوج ما فيه أعلاه، ينقل السلبيات التي بيّنها النبي عليه الصلاة والسلام، فالإنسان مفروض أن ينقل الإيجابيات لزوجته حتى تميل إلى ذهابه إلى المسجد، أما إذا ذهب إلى المسجد ونقل لها السلبيات تنقم على المسجد، وتنقم على المتكلم، فالأولى أن تكون همزة وصل لا همزة فصل.

العمل الصغير مهما بدا لك صغيراً إذا لابسه الإخلاص أصبح كبيراً:

((دَخَلَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ))

[متفق عليه عَن عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]

أي بيت فيه بنات البنات ثمن الجنة، إذا الإنسان أحسن إلى البنات، ورباهن، وأدبهن حتى يزوجهن، أو يتوفى عنهن، فأنا كفيله في الجنة، قالوا: واحدة ؟ قال: واحدة.

((مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ))

[متفق عليه عَن عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]

وفي رواية للترمذي:

((فصبر عليهن كن له حجاباً من النار))

وفي رواية لمسلم:

((جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي

شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّارِ))

[متفق عليه عَن عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا]

هنا أريد أن أقف قليلاً، سألني البارحة أخ: هل من المعقول جنة عرضها السماوات والأرض يكون ثمنها إطعام تمرة أو سقاية كلب ؟ كيف نوفق بين عدالة الله عز وجل وبين عمل صغير جداً كان سبباً لدخول الجنة أو كان ثمناً لدخول الجنة ؟ الحقيقة الإجابة أن العمل الخالص الصادق له عند الله حجم كبير جداً، فهذه التي سقت الكلب لا أحد يراها، ولا تبتغي من هذا العمل لا مدحاً، ولا ثناءً، ولا أي شيء آخر، ابتغت وجه الله، معنى هذا أن أضخم عمل إذا دخله الرياء صار صغيراً، وأصغر عمل إذا لابسه الإخلاص صار كبيراً، أصغر عمل يبدو لك أنك أطعمت امرأة لقمة بنية أن تدخل عليها السرور، هذه اللقمة تراها يوم القيامة كجبل أحد، أطعمت هذه المرأة ابنتيها هذه التمرة الثالثة شقتها نصفين فقال النبي عليه الصلاة والسلام **((قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ))**

فالعمل الصغير مهما بدا لك صغيراً إذا لابسه الإخلاص أصبح كبيراً، والعمل الكبير مهما بدا لك كبيراً إنسان ألف تفسير قرآن أي اشتغل فيه أربعين سنة، وهو بأعلى درجة من العلم، لكن هدفه أن يكون مع كبار العلماء والمؤلفين، و أن يحصّل ثروة طائلة منه، وليقول الناس: هذا المفسر العظيم، وهذا يشار له بالبنان، تفسير كتاب الله بأكمله خلال أربعين سنة إذا داخله الرياء صار صغيراً، وإطعام تمرة واحدة إذا لابسها الإخلاص أصبحت كبيرة، هذا المعنى الأول.

من مشى بطريق الخير كل خطوة تقوده إلى خطوة أكبر:

المعنى الثاني هذه الأعمال الصغيرة مفتاح التشغيل، الإنسان بالأساس بالتعبير الأجنبي ديناميكي أي حركي، فإذا مشي بطريق الخير كل خطوة تقوده إلى خطوة أكبر، بدأ بضبط لسانه، تطور إلى غض بصره، تطور إلى ذكر الله، تطور إلى إنفاق المال، تطور إلى الدعوة، لذلك:

" جاء أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي عليه الصلاة والسلام فسأله: يا رسول الله ماذا ينجي العبد من النار ؟ فقال: إيمان بالله، فقال: أمع الإيمان عمل؟ قال: أن تعطي مما أعطاك الله، قال: فإن كان لا يجد ما يعطي ؟ قال: فليأمر بالمعروف ولينهَ عن المنكر، قال: وإن كان لا يستطيع ؟ قال: فليعن الأخرق ـ أي يكون له عمل صالح، عمل عضلي، إن كان لا يستطيع أن يتكلم فليكن له عمل عضلي ـ فقال: فإن كان لا يستطيع ؟ ـ لا يقدر أن يعمل عملاً صالحاً، لا ينفق، ولا يدعو، ولا يعاون إنساناً ـ قال: ليمسك أذاه عن الناس، فجاء السؤال المحرج أو إن أمسك أذاه عن الناس دخل الجنة ؟ إذا لم يؤذِ الشخص أحداً هل يدخل الجنة ؟ إذا قال له: نعم مشكلة، التغى العمل الصالح كله، فإذا قال له: لا، النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي قال له: ليمسك أذاه عن الناس، هنا الجواب

الدقيق، فقال عليه الصلاة والسلام: ما من عبد مسلم يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة ".

العمل مع الإخلاص يقود إلى عمل أكبر ثم يقود إلى الجنة:

العمل الصالح يجر إلى عمل أكبر والأكبر إلى أكبر، إلى أن تصل إلى أعلى درجة، فلذلك إذا قلنا أنها سقت كلباً فغفر الله لها، سقيا الكلب بالتعبير اليومي مفتاح التشغيل من هنا بدأ، انطلق من هنا، أحياناً الإنسان يقوم بعمل بسيط، هذا العمل يقوده إلى كل الخيرات، هناك أحاديث مثلاً: إذا إنسان دخل إلى المسجد وبنيته أن يلتقي بإنسان، ونزلت رحمة الله عز وجل، شملت هذا، هذا لم يأت ليصلي ويسمع الدرس، واعد شخصاً في المسجد، فصار في رحمة بالمسجد، هذه الرحمة تشمل كل الحاضرين، حتى ولو لم يأتِ إلى هذا المكان ليصلي ولا ليتلقى العلم.

إنسان بيته في مساكن برزة، في أثناء الجلوس معه سألته أنت متى تعرفت إلى هذا المسجد ؟ قال: والله أنا لي قصة، لي مع إنسان من أخوانك مال فلم أجده في البيت، قالوا لي: تجده في المسجد يوم الجمعة، قال: والله أتيت إلى هذا المسجد يوم الجمعة عند المغرب من أجل أن ألتقي به وأطالبه بالمال، وليس لي قصد آخر غير هذا، فلم أجده فجلست و سمعت الدرس، وهذه السنة الثامنة ما تركت الدرس ولا جمعة، سبحان الله هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، هو جاء ليطالب إنساناً بمبلغ من المال هذه نيته، لكن مادام دخل المسجد، وهذا بيت من بيوت الله، وصار في رحمة، هذه شملت كل الحاضرين.

هذا الدرس مفتاح التشغيل، هذا الدرس المنطلق، من هنا انطلق، ليس معنى هذا أنها إذا سقت كلباً دخلت الجنة مقابل سقيا الكلب، ولا معنى هذا أن هذه المرأة لأنها أطعمت ابنها هذه التمرة، ليس من المعقول إطعام تمرة ثمن الجنة، لكن يبدو أن هذا العمل بإخلاصه الشديد صار عند الله كبيراً، وشيء آخر كان هذا العمل منطلقاً وسبباً لعمل أكبر، والذي يشرحه كلام النبي عليه الصلاة والسلام: " ما من عبد مسلم يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة ".

من مشى بطريق الإيمان ارتقى عند الله عز وجل:

الإنسان حركي، انظر عندما ينحرف من نظرة، إلى كلمة، إلى لمس، إلى زنا، حتى الانحراف فيه تفاقم، إذا تساهل بواحدة، ثاني يوم يفعل الأكبر، وهكذا، وإذا مشى بطريق الإيمان مشى أول خطوة، ثاني يوم تقوده إلى خطوة أكبر، وهذا شيء ملموس وأنا عندي له ألف دليل، تجد أخاً بدأ بحضور درس، صار يريد أن يتصدق، ثم يريد أن يكون داعية، يتكلم بالحق، تجده انتقل من خير إلى خير، فأنت اجهد أن تبدأ في طريق الإيمان، طريق الإيمان يقودك، حتى في الدنيا الإنسان يفتح محلاً

صغيراً ليبيع الحلويات، أصبح الإقبال عليه شديداً، فيفتح فرعاً ثانياً، ثم ثالثاً، ثم رابعاً، ثم طموحه في بلد آخر، هناك الكثير من الأشخاص نجحوا بعملهم التجاري أو الصناعي، فانتقلوا من مكان إلى مكان، دائماً الإنسان أموره تتطور من وضع إلى وضع، فإذا مشى الإنسان بطريق الإيمان ارتقى.

أنا أعجب أن بنتاً في البيت يمكن أن تكون هذه البنت سبباً دخول الجنة لأبيها وأمها ؟ الفتيات المتفلتات هذه بالعكس حينما تستحق دخول النار تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل أبي وأمي قبلي، هم فلتوني، أكثر الفتيات لا يوجد انضباط، و لا التزام، و لا حجاب، ولا صلاة، أين كنت ؟ في الجامعة، كنت عند رفيقتي، سنذهب رحلة إلى طرطوس غداً، أين الرحلة ؟ أب متساهل، يقول لك: أنا أحب أن أعطي الحرية لابنتي، لكن هذه البنت تحتاج إلى ولي، وإلى إنسان يشرف عليها، هناك قصص الأب عندما ينتهي إلى سمعه أن ابنته سقطت في الزنا، ماذا يحدث له ؟ أعتقد أن هذا خبر صاعق، سببه إهماله، إهمال تربية البنت، و هناك حالات كثيرة أن الأب على درجة من الغباء وهو لا يدري المشكلة وإذا بلغه ذلك فهذه مشكلة أكبر.

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظ

***

هذه البنت تحير من جهة تكون سبباً للجنة، ومن جهة تكون سبباً إلى النار، هذه البنت لها خصوصية، فكل بيت فيه بنت إذا كان هناك إشراف، و عناية، و اهتمام، فالله عز وجل يكافئه.

((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))

[الترمذي عليه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

الأخت أيضاً سبب لدخول الجنة:

انتبه إلى هذه النقطة ؛ بنت عانس عند أخيها، هل تصدق أن هذه الأخت سبب دخول الجنة ؟ طبعاً هناك أسر الأخت العانس مهانة عندهم، والله هناك قصة قصها عليّ أحد أخواني قال لي: هناك شخص مضطجع يشاهد التلفاز، وزوجته شابة أمامه، وأخته أكبر من زوجته بعشرين سنة، حرك رجله وأشار لأخته أن هاتي كأساً من الماء بكتفها، وأخته عمرها أكبر من زوجته بعشرين سنة، تتلقى إهانات لا يعلمها إلا الله، في اليوم الثاني ذهب إلى حلب، فالرجل التي دفع بها أخته أمام زوجته ليهينها قطعت من أعلى الفخذ بحادث، هناك كثير من البيوت الأخت فيها مهانة، الكنة تتسلط عليها، تشغلها خادمة، تهينها، تجدها خائفة منها، انظر الحديث:

((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ))

الذي عنده أخت أيضاً سبب دخول الجنة، أقرب إنسان لإنسان الأخ لأخته، الذي عنده أخت لا يسمح لزوجته أن تسيطر عليها، الأخت لها مكانة، لها حدود، هذه النقطة دقيقة جداً:

((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))

[الترمذي عليه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

على كل إنسان أن يحرص ألا يكون سبباً في إهانة إنسان آخر:

ما عبد الله في الأرض بأفضل من جبر الخواطر، الإنسان أحياناً يجوع لا يتأثر، يعرى لكن لا يهان، أنت احرص ألا تكون سبباً في إهانة إنسان، الذي عنده أخت، والله سمعت قصة ثانية تألمت لها ألماً شديداً ؛ أب عنده بنات وعنده أولاد، لكن عنده بنت من زوجة سابقة، تأتي البنت إلى البيت العمل الصعب لهذه البنت، وإذا أخطأت يقام عليها النكير، فهذه البنت عندها عقدة نفسية، مريضة تحتاج إلى طبيب نفسي، تخاف من خالتها، سبحان الله ! أي أم و لو لم مؤمنة تجدها تتساهل مع بناتها، تتعاون معهم إذا أخطؤوا، أما بنت زوجها إذا أخطأت تقام الدنيا ولا تقعد، لذلك الإنسان ليس له أجر بأولاده، لأن هذه رحمة أودعها الله، أما أين أجره ؟ بالرحمة العامة، لأن رحمته بأولاده رحمة أودعها الله بالإنسان من دون جهد منه، من دون كسب، تجد الأم المستقيمة تحب أولادها، والمنحرفة تحب أولادها، والفاسقة تحب أولادها، والملحدة تحب أولادها، أما أية رحمة نرقى بها ؟ الرحمة العامة أن تحب الأم بنت زوجها، أن تحب الأم ابن زوجها، عندما أنت تحب إنساناً آخر لا يوجد علاقة نسبية معه هذا يرقى بك، فأنا أحب ألا يوجد في البيت إنسان مهان، هناك أخت، هناك بنت من زوجة سابقة، بنت زوجتك أو ابن زوجها، هذه دائماً في مشكلات، قسوة ما بعدها قسوة، لا يوجد رحمة، ينشأ الطفل معقداً، ينشأ خائفاً وينحرف، وتسمع قصصاً كثيرة جداً عندما يكون هناك قسوة بالغة أن الولد ينحرف عن الطريق المستقيم، و يلجأ إلى الأصدقاء المنحرفين، يسهر معهم إلى الساعة الثانية في الليل، فكل إنسان عنده في بيته بنت زوجته أو ابن زوجته أو بالعكس، عند الزوجة ابن زوجها، فهذا يجب أن يعامل كما تعامل الأولاد.

عندنا أخ كريم ربته خالته ـ امرأة أبيه ـ يقسم بالله إذا ذكر اسمها يبكي محبة لها، إذاً ليس من الضروري أن تكون امرأة الأب دائماً عدوة، لا، القصد الإيمان إذا وجد الإيمان وجدت الرحمة، هناك رحمة عامة، من دون إيمان يوجد رحمة خاصة، هذه رحمة خاصة غير كسبية فطرية، لذلك الأجر عليها قليل جداً، ما عملت شيئاً، الله أودع فيك هذه الطاقة:

((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ))

[الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

في رواية: فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوجهن، هذه رواية ثانية.

تربية الأولاد أكبر جزء من الدين:

آخر حديث:

((مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ أي بنتين حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ))

[مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

بنتان، و عند العوام وأنا والله أؤمن بذلك أن البنت مرزوقة، الإنسان يكون متزوجاً تأتيه بنت، الله عز وجل يفتح له باب رزق جديد لم يكن بالحسبان، لأن الله رزاق، فالإنسان إذا رغب أن يكون أباً كاملاً، أباً صالحاً، الله عز وجل يؤتيه من الرزق ما يكفيه، فالإنسان يكون مع الله دائماً، يتصل بالله، يجعل من تربية بناته بالذات سبباً لدخول الجنة.

والله كل بنت تربيتها عالية قلامة ظفرها تساوي مليون امرأة، و كل امرأة فاسدة تفسد أمة، العبرة في التربية، والشيء المربى غالٍ جداً، وأنا أعد تربية الأولاد أكبر جزء من الدين، أكبر شيء بدينك تربية أولادك لأنك أنت تستمر، الإنسان عندما يربي أولاده يستمر و لو مات.

قلت لكم: مرة كنت حاضراً تعزية، أحد علماء دمشق الأجلاء توفي، و تعزيته كانت بالأموي، ألقيت كلمات كثيرة، ثم قام ابنه فألقى خطبة، و الله شيء لا يصدق، خطاب من أعلى مستوى، وكان وزير الأوقاف جالس بالتعزية، فقام و ألقى كلمة وقال: تكريماً للعالم الجليل المتوفى عينت ابنه مكانه خطيباً في مسجده، معنى هذا أن الأب لم يمت، هذا العمل استمر، فالعبرة أن الإنسان يربي أبناءه تربية صالحة ليكونوا استمراراً له، وهذه صدقة جارية:

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٧-١١٦) : كتاب النكاح وما يتعلق به - الترهيب من إفساد المرأة على زوجها والعبد على سيده

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

إفساد العلاقة بين الزوجين من الكبائر:

((مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا))

[أحمد عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

خبب بمعنى خدع وأفسد، دائماً هناك عمل شيطاني وعمل رحماني، بالكون اثنينية، أي هناك خير وهناك شر، هناك استقامة وهناك انحراف، هناك حق وهناك باطل، هناك إخلاص وهناك خيانة، فالإنسان لا بدّ من أن ينحاز إلى أحد الخطين، المؤمن يجمع، الكافر يفرق، المؤمن يحبب، الكافر ينفر، المؤمن يصل، الكافر يقطع، فأي إنسان تكلم كلمة، أو أعطى ملاحظة، أو أشار إشارة من شأنها أن تبعد بين الزوجين، فهو عمل شيطاني، وأي إنسان طيب خاطر امرأة، أخته أقنعها بزوجها، حببها بزوجها، جعلها تزداد حباً له، هذا عمل رحماني: ليس منا من فرق

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا))

أحياناً امرأة تدخل إلى بيت تفسد العلاقة بين الزوجين بسؤال ؛ ماذا قدم لك على العيد ؟ ماذا قدم لك هدية عقب الولادة ؟ زوجها موظف، تقول: فلانة قدم لها قطعة من الذهب، فلانة قدم لها كذا، فلانة قدم لها.. صغر في عينها وشعرت أنها عنده مظلومة، وأنه يليق بها زوجاً آخر أغنى منه يعرف قيمتها.

الإنسان أحياناً لا ينتبه، مثلاً الأب يتكلم كلمة قاسية عن زوج ابنته، كلمة ترن بأذنها، أحياناً يتهمه ويصفه بأنه دابة، هذه زوجته والله جعله نصيبها، فكلما نظرت إليه تذكرت كلمة أبيها، كلما نظرت إليه تذكرت كلمة أخيها، فأي رجل، صديق، يتكلم كلمة من شأنها أن تبعد، أن تفرق، أن تنفر، أن تبغض، هذا عمل شيطاني إبليسي، وأي إنسان آخر يتكلم كلمة من شأنها أن توفق، أن تحبب، أن تمتن العلاقات، أن تصل بين زوجين، هذا عمل إيماني، والمؤمن رباني والكافر شيطاني، المؤمن رحماني والكافر شيطاني، والنبي عليه الصلاة والسلام عدّ هذا من الكبائر ومن أدلة الكبائر ليس منا، النبي عليه الصلاة والسلام حينما ينفي عن إنسان انتماءه للمسلمين فهذا من أكبر الكبائر.

الدين منهج تفصيلي يشمل كلّ نواحي الحياة:

((أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا))

أي صاحب محل زاره موظف يعمل عند تاجر آخر، كم يعطيك بالشهر ؟ أعطاه رقماً فقال له: قليل، وهذه يفعلها التجار بكل بساطة، وفاتهم أنهم ارتكبوا كبيرة، وفاتهم أنهم ارتكبوا شيئاً قطعهم عن الله عز وجل، وأخطر شيء في الدين أن يصبح فلكلوراً ـ أي مظاهر ـ أن يصبح طقوساً و حركات لا معنى لها، الدين مضمونه أخلاقي، منهجي، الدين منهج تفصيلي، الدين ضغط عند هؤلاء إلى أربعة فرائض أو خمسة فرائض وانتهى الأمر، بينما الدين مئة ألف فريضة، كل حكم شرعي، كل أمر نبوي، كل نهي شرعي، كل نهي نبوي منهج، هذا الحديث إذا طبقه الإنسان لا يجرؤ أن يقول كلمة من شأنها أن تفسد العلاقة ما بين الزوجين، بل إن الشياطين من مهمتهم الأساسية أن يفرقوا بين المرء وزوجه، أول مهمة من مهماتهم التفريق بين المرء وزوجه، لذلك هناك عمل شيطاني وعمل رحماني.

مرة شكت قريبة إلى قريبها ضيق منزلها، فقال لها: من أنت أمام رسول الله ؟ كان يسكن في غرفة لو أحب أن يصلي الليل لا تتسع لصلاته ونوم زوجته، فاطمأن قلبها، إنسان آخر يدخل إلى بيت صغير كيف تسكنون في هذا البيت لما لا تبدلونه ؟ هذا كلام مضحك، لأن هذا الإنسان موظف، دخله معروف ومحدود، فكيف يغيره ؟

المؤمن ينظر إلى الآخرة بينما الكافر يشق صفوف الناس:

كل إنسان يتكلم كلمة يصغر الناس، طبعاً الكافر دائماً يستعلي إذا شاهد شيئاً صغيراً درجة ثانية فوراً ينتقدها بقرف، تجد صاحب هذه الحاجة صغر، هذا الكلام الذي فيه فساد هو كلام إبليس، كلام المنفرين، كلام الشيطان، كلام الذي يشق صفوف الناس.

أما المؤمن ينظر إلى الآخرة، فمادام الشخص مستقيماً، وعلى هدى من الله، يثني عليه، ولا يعبأ بمتاعه، ومن علامات آخر الزمان أن قيمة الرجل بمتاعه، بمساحة بيته، بموقع بيته، بنوع مركبته، بالرقم الذي على المركبة، بالرقم يزهو كالطاووس، بمتاعه فقط وليس له من الفضل شيء لا علم، ولا أخلاق، ولا استقامة، ولا انضباط، ولا عمل صالح، فقط لأن بيته واسع، ومركبته فخمة، وثيابه أنيقة جداً، وعنده ألوان من المتع والمباهج في حياته الدنيا يعلو عند الناس.

((مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا))

موظف الآن لا يوجد مملوك بالمعنى الدقيق، الآن هناك موظف، صاحب محل عنده صانع، هما متفاهمان، يفسد العلاقة بينهما، هذا إن فعله أحد فعل الكبائر، أنت مهمتك التوفيق و الوئام، لذلك

الفرق بين المسلمين المعاصرين والصحابة كلهم يصلون، الآن عندنا مساجد جميلة جداً، مساجد مفروشة، ومكيفة، ومرافق المساجد رائعة جداً، والقرآن مطبوع ملون وسادة، وكاسيت، ومرئي وغير مرئي، كانوا يحبون بعضهم، المسلمون الآن يكرهون بعضهم بعضاً، دخل فيهم الشيطان:

((إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم ولكن رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم))

[الترغيب والترهيب عن سليمان بن عمرو عن أبيه]

عمل الشيطان هو التحريش بين المؤمنين و شقّ صفوفهم:

الآن الشيطان هل يقنع المسلمين أن يعبدوا بوذا ؟ مستحيل، لا يوجد بالعالم الإسلامي شرك جلي، في شرق آسيا يوجد بوذا، و هناك آلهة لا تعد ولا تحصى، شخص ذهب إلى بلد شرقي في آسيا و قابل مدير شركة هناك قال لي: هذا المدير صنمه صغير الحجم موجود أمامه ـ قياسه صغير ـ صباحاً يجري أمامه حركات عدة.

إذاً عند غير المسلمين هناك شرك جلي، هناك آلهة تعبد من دون الله، أما في العالم الإسلامي مستحيل أن يكون هناك إله غير الله، لا إله إلا الله، أين عمل الشيطان ؟ التحريش بين المؤمنين، شق صفوف المسلمين، إلى فرق، وإلى طوائف، وإلى ملل، وإلى نحل، وكل يدعي أنه مع الله، وكل يدعي أنه على حق، فمهمة الشيطان مع المسلمين التحريش بينهم، لذلك أحد أصغر المهمات أن تخبب امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده، هذا أحد مهمات الشيطان، والمؤمن يجمع ولا يفرق.

بالمناسبة أيها الأخوة الكرام:

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[البخاري عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

السيدة عائشة وصفت السيدة صفية رضوان الله عليهما بأنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((يا عائِشَةَ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْه))

[رواه أبو داود والترمذي، عن عائشة رضي الله عنها]

انظر إلى مجالس الناس ؛ غيبة، ونميمة، واستهزاء، ومحاكاة، وتجاوزات.

حديث آخر:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[أحمد عَنْ ثَوْبَانَ]

والله أنا أسمع هذا آلاف المرات، ليس لها أهل، ليس لها أحد، وزوجها جيد، ومؤمن، ومستقيم، ويسكنها في بيت، وتأكل، وتشرب، وتلبس، وتنام، طلقني، حمقاء، وهذا كفر للعشير، لأتفه الأسباب

تقول له: ما رأيت منك خيراً قط، إذا أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: لم أرَ منك خيراً قط.

الزواج من نعم الله الكبرى على الإنسان:

الإنسان أحياناً يعجب من سوء تربية الآباء لبناتهم، أنا أقول لكم: الزواج نعمة، الذي عنده زوجة، الزوجة حصن ونعمة كبرى، والشيء الأساسي في حياة الإنسان، محقق عند الزوج، فليصبر على زوجته، والذي عندها زوج، الزوج نعمة، أنا أعرف فتيات من قريبات فاتهن قطار الزواج تقول إحداهن: والله ـ ولها أب يملك الملايين المملينة ـ أتمنى أن يخطبني إنسان يعمل في أخس الأعمال، انظر شعور الفتاة التي فاتها قطار الزواج، ترى أماً لها أولاد، لها زوج، محترمة، معززة، فالتي عندها زوج، ولها بيت، ولها أولاد، هذه نعمة كبرى:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ))

[أحمد عَنْ ثَوْبَان]

كأنها كفرت بنعمة الزواج، وأي رجل أساء إلى زوجته ولأتفه الأسباب طلقها، هذا الزوج كفر بنعمة الزواج، فالزواج من نعم الله الكبرى على الإنسان، أولاً: محصن، ثانياً: هناك من يؤنسه، ثالثاً: هناك أولاد يعرفون قدره، لا أحد يكفر بنعمة الزوجة الصالحة، ولا امرأة تكفر بنعمة الزوج الصالح.

المرأة العفيفة لا تقدر بثمن:

أحياناً بحكم العمل في الدعوة تأتيني قصص كثيرة جداً وغريبة، أنا أشعر أن هناك أزواجاً كالوحوش، التي عندها زوج مؤمن يخاف الهب، لا ينظر إلى غيرها، هذا يجب أن يحترم في بيته كثيراً، تجد الزوجة أحياناً تجهل قدر زوجها، أو الزوج يجهل قدر زوجته، هناك نعمة لا أحد ينتبه إليها ولا بالألف واحد أن إنساناً خرج من بيته مطمئناً، سافر مطمئناً، أنه لم يدخل أحد إلى البيت، فهذه المرأة العفيفة لا تقدر بثمن، لكن بفضل الله أكثر المسلمين عندهم هذه المرأة، هذه نعمة، أما لو أن إنساناً شك بأخلاق زوجته، أو شك أنها كما ورد عن رسول الله لا ترد يد دانس، أو شكّ أن في غيبته قد يدخل أحد إلى البيت، تصبح حياته جحيماً، الإنسان كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر))

[أحمد عن أبي هريرة]

التعطر أحد أنواع إبراز المفاتن عند المرأة فعليها الابتعاد عنه:

إذاً:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[أحمد عَنْ ثَوْبَان]

((كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةً))

[الترمذي عَنْ أبي مُوسَى]

أيما امرأة تعطرت عطراً فواحاً ليجد الرجال ريحها، عملية لفت نظر، لأن قال تعالى:

(ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ (٥٩))

(سورة الأحزاب)

تؤذى بقدر ما تبرز من مفاتنها، تؤذى بكلمات قاسية، كلمات مخجلة، وكلمات بذيئة، وبنظرات شهوانية، المرأة إذا أظهرت بعض مفاتنها تؤذى بكلمات، وتعليقات، ونظرات، فبقدر ما تغطي مفاتنها في الطريق بقدر ما تضمن لنفسها الاحترام.

أحد أنواع إبراز المفاتن التعطر، التعطر لفت نظر، المرأة حينما تكشف عن مفاتنها لسان حالها يدعو الناس إلى النظر إليها، هي لسان حالها يقول: انظروا إليّ، حينما تبرز مفاتنها، أو حينما تستعطر، لسان حالها يقول: انظروا إلي، تحرشوا بي، أسمعوني كلمات نابية، املؤوا أعينكم من محاسني، هذا لسان حالها، فكل كلام خلاف ذلك دجل، المرأة إذا خرجت متزينة، متعطرة، ترتدي ثياباً فاضحة، لسان حالها يقول: انظروا إليّ أنا أريد أن ألفت نظركم إليّ، تحرشوا بي، أسمعوني كلمات مخجلة، أما المرأة حينما تتستر تضمن أنها لا تؤذى، لا أعتقد أن هناك إنساناً في الأرض يجرؤ أو يخطر في باله أن يسمع امرأة محجبة حجاباً محشوماً كلمة نابية أبداً، هذا من عظمة الإسلام.

((كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ وَالْمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ فَهِيَ كَذَا وَكَذَا يَعْنِي زَانِيَةً))

[الترمذي عَنْ أبي مُوسَى]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٨-١١٦) : كتاب اللباس والزينة - الترغيب في لبس الأبيض من الثياب والقميص والترهيب من طوله وطول غيره مما يلبس وجره خيلاء وإسباله في الصلاة وغيرها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

اللون الأبيض يُعلّم الناس النظافة و يعكس أشعة الشمس:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ))

[الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

يبدو أن النبي عليه الصلاة والسلام يحب اللون الأبيض، لأن هذا اللون في بلاد الحجاز يعكس أشعة الشمس أولاً، ويعلم النظافة ثانياً، الثوب الأبيض يجعل صاحبه في أعلى درجة من اليقظة، الألوان الداكنة لا تظهر عليها بعض الأشياء التي تثير اشمئزاز الإنسان، أما اللون الأبيض يعلم الإنسان النظافة البالغة، والذي يريد أن يدرب إنساناً على العناية بثيابه يجعله يرتدي ثوباً أبيض، ليحافظ عليه ثلاثة أيام، ينتبه لكل حركة وسكنة، كيف يجلس وكيف يمشي و كيف يصعد الدرج، فهذا يعلم الناس النظافة، اللون الأبيض للتدريب.

شيء آخر: اللون الأبيض يعكس أشعة الشمس، له أثر في المناطق الحارة واضح جداً، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب هذه الثياب البيض:

((فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ))

[الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

اللباس المعتدل هو الذي يناسب المؤمن:

هناك من يرتدي الثياب ليزهو بها أمام الناس:

(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ (٨٣))

(سورة القصص)

الإنسان أحياناً يعلو بثيابه، هو يتكلم هذه البذلة أجنبية، ثمنها كذا، كلفتني كذا، يعتني بها من أجل أن يزهو بها على الناس، هذا شيء محرم، لك أن ترتدي ثياباً جميلة، ولك أن تختار ألواناً أنيقة، ولك أن تتجمل عند الناس، لكن دون أن يأتيك الزهو والكبر، هنا المنطقة الخطرة أن تزهو بثيابك، وسيدنا عمر نهى عن لبستين، لبسة مشهورة ولبسة مهجورة، الإنسان من حقه أن يرتدي ثياباً

مقبولة عند الناس، أما أن يرتدي ثياباً مهجورة تنفر، أو يتتبع أحدث صرعات الأزياء، ليس من شأن المؤمن أن يرتدي أحدث نموذج في الأزياء، ولا أن يرتدي ثياباً مهجورة، ولا أن يأخذه الكبر، ممنوع الكبر، ممنوع أن ترتدي ثوباً مهجوراً، ممنوع أن ترتدي ثوباً مشهوراً، اللباس المعتدل هو الذي يناسب المؤمن، لذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

هناك عشرات الطرق كي تزهو بثيابك، العبرة ألا يأخذك العجب بهذه الثياب.

الثياب من ستر الله عز وجل فعلينا الابتعاد عن الخيلاء فيها:

كان عليه الصلاة والسلام تعظم النعمة عنده مهما دقت، كان إذا ارتدى ثوباً جديداً له دعاء خاص، وإذا شرب كأس ماء له دعاء، هذا كله إعلان عن شعوره بفضل الله عز وجل.

((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ جَانِبَيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِنِّي لَأَتَعَاهَدُ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلَاءَ))

[متفق عليه عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ]

الإنسان لو جرّ ثوبه خيلاء، أي أطاله إلى درجة يجر وراءه، هكذا كان العرب في الجاهلية يفعلون، الأغنياء المتكبرون يرتدون ثياباً فضفاضة طويلة جداً إلى درجة أنها تجري وراءهم، هذا ثياب أصبحت قذرة، وملوثة، وشيئاً ليس له فائدة ولا معنى، فهذا الذي يجر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه، فقال سيدنا الصديق:

((إِنَّ أَحَدَ جَانِبَيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِنِّي لَأَتَعَاهَدُ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلَاءَ))

[متفق عليه عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ]

((مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما]

((مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما]

إذا اشترى الإنسان ثوباً جديداً، أي رزقه الله عز وجل، ومكنه أن يرتدي الثوب الجديد، هناك أناس كثيرون لا يملكون ثمن ثوب جديد، يرتدون ثياباً مستخدمة مستعملة، فالذي يمكنه الله أن يرتدي ثوباً جديداً وثوباً مقبولاً هذه نعمة، النبي عليه الصلاة والسلام ـ قلتها قبل قليل ـ تعظم النعمة

عنده مهما دقت، اشتريت قميصاً جديداً، بدلة جديدة، ثوباً جديداً، لونه جميل، قياسه جيد، الله سترك فيه، الثياب من ستر الله عز وجل، هناك دعاء فقال:

((مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما]

ثوب المرأة متعلق بدينها:

أما فيما يتعلق بالنساء فالأمر له شأن آخر، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمْ بَعْدُ نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِنَّ أَمْثَالُ أَسْنِمَةِ الْإِبِلِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَرِجَالٌ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه]

الثوب للرجل يستره ويجمله، أما ثوب المرأة متعلق بدينها، ثوب الرجل يستره ويجمله، بينما ثوب المرأة كل شبر في ثوب المرأة متعلق بدينها، فكلما ازداد إيمانها سترت مفاتنها، وكلما قوي إيمانها ارتقت عند الله عز وجل، كان ثوبها فضفاضاً يمنع لون البشرة وحجمها، فإذا وصف الثوب حجم العضو في المرأة فكأنها عارية، وإذا شفّ الثوب عن لون جلدها فكأنها عارية، وهذا الكلام من أبلغ ما قيل، قال النبي عليه الصلاة والسلام: أوتيت مجامع الكلم.

أي كاسية عارية، ترتدي ثياباً غالية جداً، لكن هذه الثياب لا تستر جسمها بل تبرز مفاتنها:

((كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه]

إما أن يشف الثوب عن لون جلدها، وإما أن يشف عن حجم عضوها:

((نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه]

الارتباط الدائم بين القمع وبين إطلاق الشهوات:

المرأة حينما تبرز مفاتنها لسان حالها يقول: انظروا إليّ، تأملوا في محاسني، تحرشوا بي، فكل امرأة تبرز مفاتنها إنها تدعو الناس إليها، هناك دعوة بلسان القال، وهناك دعوة بلسان الحال، فالمرأة التي تبرز مفاتنها عن طريق ثيابها هي امرأة زانية بشكل أو بآخر، لأنها تدعو الناس إليها، والعين تزني، وزناها النظر، هي تدعو الناس إلى النظر إليها، تثير فيهم الشهوة، تحضهم على أن

يتأملوا محاسنها، هذه امرأة مريضة، جمال المرأة لزوجها، جمالها لمن جعلها الله له، أما أن تكون متاعاً لكل الناس، هذا هو النمط الجديد في الحياة الاجتماعية، جمالها لكل الناس، للطريق، للأجانب، لكل من ينظر إليها، أما الشيء الذي لا يلفت النظر هو هذا الربط بين أناس معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، لا يوجد أي علاقة بين الموضوعين، أناس ظلام يقمعون الناس بالسياط ونساء كاسيات عاريات، دائماً الظلم يقترن بتفلت النساء، الإنسان أحياناً حينما يثير الشهوات بالناس يسهل عليه قمعهم، هناك ارتباط دائم بين القمع وبين إطلاق الشهوات، الإنسان حينما يكون عبداً لشهوته يصبح ضعيفاً، مغلوباً على أمره، يسقط في يده، تضعف شخصيته، ينفلت عقده، حينما يتبع شهواته، فإذا أردت أن تملك إنساناً أثر فيه شهوته كي يسقط فيها، المتماسك ليس من السهل أن تقوده، المتماسك أخلاقياً ليس من السهل أن تقوده، أما إذا انفرط عقده، وحلت أخلاقه، يسهل عليك أن تملكه:

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤))

(سورة الزخرف)

كل إنسان ممتحن فيما أعطي وممتحن فيما منع:

متى استخف فرعون قومه ؟ وقال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)

(سورة النازعات)

وصدقوه ؟ لأنهم كانوا قوماً فاسقين، الإنسان حينما يفسق يضعف، حينما يفسق يغدو كالمنديل القذر، يسهل أن تملكه وأن تفعل به ما تشاء، هذا هو الربط بين:

((رِجَالٌ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ و نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِنَّ أَمْثَالُ أَسْنِمَةِ الْإِبِلِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا))

كما قلت من قبل الإنسان ممتحن مرتين، ممتحن فيما أعطي، وممتحن فيما منع، فالمرأة التي أعطيت جمالاً امتحانها بجمالها، فإما أن تحفظه عن أعين الذئاب، وإما أن تجعله كالكلأ المباح لكل الناس، المرأة المؤمنة تتستر، المرأة المؤمنة جمالها لزوجها، أما المرأة الفاسقة جمالها لكل الناس، مشاع بين كل الناس، وهناك شيء مهم جداً الإنسان مسموح له أن ينظر إلى باقة ورد وهي جميلة جداً، مسموح له أن ينظر إلى غابة خضراء، ليس هناك أمر بغض البصر عن الجمال النباتي، ولا عن الجمال الحيواني، قد ينظر إلى هرة جميلة جداً، قد ينظر إلى ببغاء طائر جميل، قد يمتع نظره بمنظر البحر وهو صاف، قد ينظر إلى السماء، قد ينظر إلى غابة، مسموح لك أن تنظر إلى كل شيء جميل.

تحريم النظر إلى المرأة:

لماذا حرم الله النظر إلى المرأة ؟ أيضاً شيء جميل، لأن في المرأة غريزة، لا تكتفي بالنظر إليها، لا بد من أن تنتقل إلى مرحلة أخرى، هذه الشهوة تدعو إلى شيء آخر بعد النظر، النظر للمرأة شيء، وللشيء الجميل شيء آخر، قد تنظر إلى هرة، أو إلى شجرة، أو إلى حقل أخضر، أو إلى باقة ورد، أو إلى بحر، أو إلى غابة، لكن لا تشتهي أن تضم هذه الغابة إليك، ليس هناك غريزة متعلقة بالغابة، هناك إدراك للجمال عام، إذاً ليس هناك ما يمنع أن تنظر إلى الجمال النباتي، والجمال الحيواني، أما إذا نظرت إلى امرأة لأن الله أودع في الإنسان هذه العلاقة الجنسية، النظرة تقود إلى ابتسامة، والابتسامة إلى موعد، والموعد إلى لقاء، واللقاء إلى زنا.

قال بعض العلماء: إن الأمر بغض البصر من نوع سد الذرائع، هو سد لذريعة الزنا، تغلق الأمر، فالمرأة التي ترتدي هذه الثياب التي تشف عن مفاتنها لوناً وحجماً، كاسية عارية، وهي بهذه الثياب مائلة إلى الزنا، مميلة إليها، أي أوتي جوامع الكلم، كاسية عارية، مائلة مميلة، فلعنوهم لأنهن ملعونات في رواية، والمؤمن يحرص على دينه، وإيمانه، فيبتعد عن المرأة الساقطة، ويكتفي بزوجته التي سمح الله له أن يمتع عينيه بها:

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦)فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ(٧))

(سورة المؤمنون)

من النساء كلهن بقي لك زوجتك، من المال كله بقي لك الدخل الحلال، كل شيء حيادي، هناك شيء محرم، شيء حلال، المؤمن يرضى بما بقي له، قال تعالى:

(بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٦))

(سورة هود)

أي الشيء الذي سمح الله به، هذا هو الخير، الخير فيما سمح لك لا فيما حرم عليك.

لا يوجد شيء محرم إلا و له سبب علمي:

((نبي الله صلى الله عليه و سلم أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي))

[النسائي عَنْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه]

سمعت أن هناك أبحاثاً دقيقة جداً متعلقة بالذهب، الذهب معدن مشع، والرجل إذا استعمله له تأثير سلبي على إنجابه، تأثيره على المرأة إيجابي و على الرجل سلبي، هذا الموضوع لم أقرأ تفاصيله،

لكن هناك طبيباً حدثني به، إن شاء الله نقرأ تفاصيله ونعلمكم به، أي لا يوجد شيء محرم إلا و له سبب علمي.

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَلْبَسْ حَرِيرًا وَلَا ذَهَبًا))

[أحمد عَنْ أبي أُمَامَة رضي الله عنه]

أي الرجل رجولته تتناقض مع الحرير، الثياب الناعمة جداً، الأنيقة جداً، الغالية جداً هذه للمرأة، أنت للعمل، للكسب، للجهاد، الرجولة تقتضي الخشونة، الحرير ثوب للنساء، النعومة تقتضي النعومة، أما الخشونة تقتضي الخشونة، أما أن يبالغ الرجل في لبس الثياب، طبعاً الحرير محرم فقط ما سواه غير محرم، أما الحرير يشف عن الرفاه الذي يليق بالنساء لا بالرجال.

طبعاً العلماء استثنوا أحياناً أن يكون للثوب حاشية للحرير، مثلما قلنا إناء الذهب محرم أما المذهب شيء آخر، إناء الفضة الخالص محرم أما المفضض شيء آخر، الثوب الحرير محرم أما حاشيته حرير، كلفة حرير مثلاً، هذه العلماء تجاوزوا عنها.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١٠٩-١١٦) : كتاب اللباس والزينة - ترهيب الرجال من لبسهم الحرير و من تشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل والترغيب في إقامة الحدود والترهيب من المداهنة فيها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

علة خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:

((رسول الله صلى الله عليه و سلم رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

العلاقة بين المؤمنين علاقة تناصح، وذكرت هذا في خطبة الجمعة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة سادسة، وحينما ضيّع المسلمون هذه الفريضة لم يصبحوا خير أمة أخرجت للناس، والعلماء لهم رأي في هذا قالوا: أمة النبي عليه الصلاة والسلام أمتان، أمة التبليغ وأمة التشريف، فالذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هم أمة التشريف، التي شرفت بالانتماء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، أما الذين لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر هم أمة التبليغ وليس لها أية ميزة، ولا ميزة تملكها عن بقية الأمم، هم كغيرهم من الأمم:

(وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ)

(سورة المائدة: من آية " ١٨ ")

والعرب حينما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم بشر ممن خلق الله عز وجل، يعذبون بذنوبهم، وليست لهم أية ميزة يمتازون بها عن بقية الأمم، أما حينما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كانوا خير أمة أخرجت للناس، فعلة الخيرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمة تستحق الهلاك إذا كان هناك تمايز بين أفرادها:

الأمة التي استحقت لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة هي أمة وصفت بأنها:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ (٧٩))

(سورة المائدة)

دقق بين الآيتين، أمة هي خير أمة أخرجت للناس، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأمة لعنها الله وغضب عليها إلى يوم القيامة لأنهم:

(كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ (٧٩))

(سورة المائدة)

دقق بين الآيتين، أمة هي خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر:

((إنَّما أهلك الذين قبلكم أنَّهمْ كانوا إذا سَرقَ فيهم الشَّريفُ تَرَكُوه وإذا سَرَقَ فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ وَأيْمُ اللَّهِ لَوْ أنَّ فاطمة بِنْتَ محمدٍ سَرَقَت لقطعتُ يَدَهَا))

[متفق عليه عن عائشة أم المؤمنين]

الأمة تستحق الهلاك إذا كان هناك تمايز بين أفرادها، فالشريف إذا سرق يترك، والضعيف إذا سرق يقام عليه الحد.

من غيّر خلق الله عز وجل استحق النار:

النبي عليه الصلاة والسلام:

((رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

الرجل كان ورعاً، مبالغة في الورع، الحكم الشرعي استرجعه وباعه، لمن يبيعه ؟ لامرأة، المرأة يحل لها أن تستعمل الذهب لكنه أراد أن يبالغ في طاعة رسول الله، فالذي طرحه في الأرض لا يستخدمه ولا ينفع به.

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

وفي رواية للبخاري:

((لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنْ النِّسَاءِ))

[البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ]

أي الله عز وجل خلق هذا الإنسان رجلاً، إذاً ينبغي أن يحقق صفات الرجولة، وخلق هذه امرأة ينبغي أن تحقق صفات الأنوثة، فإذا استرجلت المرأة، وتخنث الرجل، كأنه غيّر خلق الله عز وجل، الله عز وجل اختارك رجلاً وأعطاك صفات الرجولة، ينبغي أن تحافظ عليها، واختار هذه امرأة وأعطاها صفات الأنوثة، ينبغي أن تحافظ عليها، فالمرأة التي ليس عندها حياء وقحة مسترجلة، و المرأة التي تتكلم بكلام قاسٍ، وتحد النظر إلى الرجال، وتتصرف وكأنها رجل، هذه امرأة ملعونة عند الله عز وجل.

علامات آخر الزمان:

من علامات آخر الزمان كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: أن تُرفعُ النخوة من رؤوس الرجال، ويذهب الحياء من وجوه النساء، وتُنزع الرحمة من قلوب الأمراء، لا رحمة في قلوب الأمير أبداً، ولا حياء في وجه المرأة، ولا نخوة في رؤوس الرجال، الرجل بلا نخوة تمشي معه امرأته وهي في أبهى زينة، تعرض كل مفاتنها على الناس، وهو يزهو بها، لا يوجد فيه نخوة وهو عديم المروءة لا يغار على عرضه، وقد يرضى الفاحشة في أهله، فلذلك عندما سقى سيدنا موسى لهاتين المرأتين ثم تولى إلى الظل:

(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ(٢٤)فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ (٢٥))

(سورة القصص)

كأن الله عز وجل بيّن في هذه القصة أن الذي يلفت نظر الرجل في المرأة حياؤها، أي أجمل ما في المرأة الحياء:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ(٢٦))

(سورة القصص)

أبرز ما يلفت نظر المرأة بالرجل قوته وأمانته و أبرز ما يلفت نظر الرجل بالمرأة أنوثتها:

إن أبرز ما يلفت نظر المرأة بالرجل قوته وأمانته، فالذي يرفعك عند المرأة القوة والأمانة لا التخنث كما هو الآن، أي أناقة ما بعدها أناقة، تعطر، تكسر في الكلام، لين وكأنه امرأة، هي يعجبها في الرجل قوته وأمانته، وهو يعجبه في المرأة أنوثتها، وقد فرق العلماء بين الأنوثة وبين شيء آخر في المرأة، الأنوثة غير الجمال، قد تجد امرأة جميلة لكن عنصر الأنوثة فيها ضعيف جداً، مسترجلة، تنفر منها من استرجالها، من علامات آخر الزمان أن تنعدم النخوة من رؤوس الرجال، ويذهب الحياء من وجوه النساء:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ(٢٦))

(سورة القصص)

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ (٢٥))

(سورة القصص)

فالإنسان إذا ربى بناته على الاستحياء، ربى أولاده على الرجولة والفروسية، أبشع ما في الرجل خنوعه، واستخذاله، وتخنثه، وأبشع ما في المرأة استرجالها، امرأة رجلة، قاسية، عنيفة، كلامها قاس.

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاس]

وفي رواية للبخاري:

((لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنْ النِّسَاءِ))

[البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاس]

هذا الحديث من أسباب وروده أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى امرأة متقلدة قوساً وكأنها رجل فذكر الحديث.

أرقى عبادة أن تحقق ما أقامه الله فيك وأن تحقق الظرف الذي جعلك الله فيك:

أحياناً امرأة تهمل بيتها، تهمل زوجها، تهمل أولادها، وتسعى في طلب العلم من أجل أن ترتفع بين زميلاتها، العلم مطلوب لكن أيهما أولى أن تهمل ما أقامها الله به وأن تسعى لشيء يمكن أن تحصله في وقت لاحق ؟ حينما تهمل المرأة واجبها الأساسي كزوجة أو كأم فقد أغضبت الله عز وجل، وحينما يهمل الرجل عمله وما أقامه الله به فقد أغضب الله تعالى.

قلت لكم من قبل هناك عبادة مقيدة، وهناك عبادة مطلقة، العبادة المطلقة أن تحقق ما أقامك الله به، وأن تحقق الظرف الذي جعلك الله به، أنت أقامك غنياً، أول عبادة الغني إنفاق المال، هذا أقامه قوياً أول عبادة القوي إنصاف المظلوم، هذا أقامه عالماً أول عبادة العالم نشر العلم، الورع حسن لكن في العلماء أحسن، والعدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، أقامك بهذه المهمة، الآن وضعك في ظرف الأب مريض أول عبادة أن تعتني بأبيك، أقامك في ظرف الأولاد عليهم امتحان أول عبادة أن تعتني بامتحان أولادك، لك هوية وأنت بظرف معين، فأرقى عبادة أن تحقق ما أقامه الله فيك، وأن تحقق الظرف الذي جعلك الله فيك، هويتك وظرفك.

على الإنسان أن يرتدي ثوباً يليق بإيمانه لأن الإسلام وسطي ينهى عن إهمال الثياب:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ))

[أبي داود عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

الآن تجد بعض الألبسة الرجالية ألوانها عجيبة جداً، ألوان غريبة، مثلاً لون الورد، اللون الأصفر الفاقع، هذه ثياب منهي عنها، ألوان غير مألوفة، هذه ألوان النساء، الآن هناك كثير من الرجال

يرتدون ثياباً ألوانها ألوان نسائية محضة، ألوان تمايزها صارخ، هذا مما نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام، و نهى أيضاً عن الثياب المشهورة و الثياب المهجورة، لا مشهورة ولا مهجورة.

الحقيقة الإسلام وسطي ؛ ينهى عن الثياب المشهورة، وعن تخنث الرجل، وعن تشبهه بالمرأة في المبالغة بأناقته، واتخاذ الألوان التي لا تناسب رجولته، أنا الشيء الذي يلفت نظري ـ لكن قلة و الحمد لله ـ ألوان غير معقولة يرتديها الرجل، وكأنها ثوب نسائي.

((مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا))

[الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

الإنسان أذواقه رفيعة، قدراته المادية جيدة لكنه يرتدي ثوباً يليق بإيمانه، فالإسلام وسطي ينهى عن إهمال الثياب:

((أحسنوا لباسكم و أصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس))

[تخريج السيوطي عن سهل بن الحنظلية]

شامة، أما أن تبالغ في ارتداء الثياب التي تقترب من ثياب المرأة، أو أن تتبع أحدث صرعات الأزياء الرجالية هذا منهي عنه.

أحياناً تجد بعقد قران كم مثني بطانته ظاهرة، قال: هذه موضة، هذا الشيء ليس معقولاً، أو يجب أن يلبس حذاء من دون جوارب، بالعيد يأتي بحذاء من دون جوارب هكذا الموضة، هذا إنسان في عقله خلل، الذي يتبع أحدث صرعات الأزياء في عقله خلل، هنا النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ))

[الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

اللباس المشهور، صرعات الأزياء الأخيرة:

((وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا))

[الترمذي عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

((الْبَذَاذَةُ مِنْ الْإِيمَانِ))

[أحمد عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ الْحَارِثِيِّ عَنْ أَبِيهِ]

و البذاذة هي التواضع في اللباس.

قيمة الإنسان بعمله وإيمانه وعلمه وأخلاقه:

آخر حديث:

((كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

أي الإنسان قيمته في عمله، قيمته بإيمانه، قيمته بعلمه، قيمته بأخلاقه، وهذه الثياب لتستره إذا كانت أنيقة لا يوجد مانع، وإذا كانت مرتبة لا يوجد مانع، وإذا كانت متناسبة لا يوجد مانع، أما أن يكون عبداً كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((تعس عبد الدرهم والدينار تعس عبد البطن تعس عبد الفرج تعس عبد الخميصة))

[أخرجه البخاري في كتاب الرقائق]

أن يكون عبداً لثيابه، هناك أشخاص إذا ارتدى ثياباً جديدة جداً لا يصلي، يقول لك: مكوي، طبعاً هناك ركوع وهناك سجود وهناك قعود أخير و هذا يجعل البنطال بحالة مزرية، هذا عبد لخميصته، الذي يقصر في واجباته الدينية حفاظاً على أناقته هذا عبد لخميصته، هناك عبد لبطنه، وعبد لفرجه، وعبد للدرهم والدينار، وعبد للخميصة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١٠-١١٦) : كتاب الطعام - الترغيب في التسمية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الترغيب في التسمية قبل الطعام:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ لَكَفَاكُمْ))

[ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ]

وفي حديث آخر:

((إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ طَعَامِهِ لُقْمَةٌ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حَتَّى سَمَّى فَلَمْ يَبْقَ فِي بَطْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا قَاءَهُ))

[أحمد عَنْ أُمَيَّةَ بْنَ مَخْشِيٍّ]

من خلال هذين الحديثين الشريفين يتضح أنه لابدّ أن تسمي قبل أن تأكل، الحقيقة لو أردنا أن نفهم ما معنى التسمية أضرب لكم بعض الأمثلة، ماذا تأكل الدجاجة ؟ انظر إليها تأكل كل شيء، لو جمعنا ما أكلت في مكان، هل في الأرض كلها الآن أكبر معمل، أو أكبر مؤسسة، أو أكبر إدارة بحوث، بإمكانها أن تصنع من هذا الذي تأكله الدجاجة البيض ؟ لو جئنا بكلأ البقر ـ الحشيش ـ وضعناه في مكان، وعرضناه على أكبر مكان علمي في العالم ـ مخابرـ هل تستطيع أن تصنع من هذا الحشيش كأس حليب؟ هذه البذرة بذرة تين قد لا يزيد وزنها على عشر الغرام تزرعها فتنبت تيناً، جذر، وأغصان، وأوراق، وثمار، وطعم وسكر، انظر إلى الفواكه كل فاكهة بطعم، كل فاكهة لها حجم، كل فاكهة لها لون، كل فاكهة لها قوام، كل فاكهة لها شكل، ابحث عن مكونات هذه الفاكهة سكريات، فيتامينات، معادن، كالسيوم، حديد، هل في الأرض كلها جهة علمية تستطيع أن تصنع من التراب الذي تدوسه ومن الماء الذي يسقي التراب هذه الفواكه ؟

كيف يتوالد الغنم، باللقاح من نطفة، ثم علقة، ثم الجنين، تجد الغنم يتوالد بالملايين، لا يوجد جهة في الأرض بإمكانها أن تفعل هكذا، إلا الله، فإذا أمسكت تفاحة وقلت: بسم الله، أي الله عز وجل وليس الفلاح زرعها، الفلاح خدمها فقط، أنت إذا دفعت ثمن هذه الفاكهة تدفع ثمن خدمتها أما هي لا تقدر بثمن، هذه النقطة في البسملة مهمة جداً، كأس الماس الذي تشربه، لو أردنا أن نحلله وكان

ملحاً أجاجاً، كل لتر ماء يكلف خمسة عشر ريالاً، نحن نشرب هذا الماء من النبع مباشرة، المسطحات المائية الكبيرة أربعة أخماس الأرض بحار، شمس تتقد من خمسة آلاف مليون سنة حسب تقدير العلماء وتستمر إلى خمسة آلاف مليون سنة، وحرارتها على السطح ستة آلاف درجة، وفي الأعماق عشرون مليون درجة، وهذه الشمس تبعد عنا مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر، تسلط على هذه البحار يتبخر الماء، من وضع قانون التبخر ؟ أن الماء بالحرارة يتبخر، من سمح للهواء أن يحمل بخار الماء ؟ ومن سمح لبخار الماء أن يحمله بنسب متفاوتة بحسب حرارته؟ ومن جعل في الأرض مناطق صحراوية، الهواء فيها مخلل، الضغط ضعيف، مناطق باردة، الهواء فيها مكثف، والضغط عال، ومن تفاوت الضغطين يتحرك الهواء، ومع حركة الهواء تساق السحب، فإذا مشت السحابة وواجهت جبهة باردة تخلت عن بعض مكنوناتها من الماء فأصبح المطر.

أية جهة في الأرض لا تستطيع أن تصنع الذي يصنعه الله عز وجل:

أية جهة في الأرض تفعل هذا ؟ لو اجتمعت قوى الأرض بأكملها، واتخذت قراراً بإنزال المطر هل ينزل المطر ؟ فأنت إذا شربت كأس ماء وقلت: بسم الله، أي لا يمكن لجهة في الأرض أن تصنع لك هذا الكأس، وعلى هذا فقس، أنت تلبس حذاء تقول: بسم الله، هذا الحذاء مصنوع من الجلد، من جلد البقر أو الغنم، هذا الجلد من صنعه بهذه المسام ؟ لو أنك لبست حذاء من مادة بلاستيكية أو مطاطية تطبخ الرجل فيه، فيه مسام، الرجل تتنفس بالحذاء الجلدي الطبيعي، من صمم هذا الجلد متوافقاً مع حاجتك ؟ الله عز وجل، قد تلبس كنزة صوف في الشتاء، من جعل خيط الصوف مفرغاً من الهواء، لا يوجد خيط صناعي ينافس الخيط الطبيعي أبداً، تجد أي خيط صناعي على الاستعمال لا يعطي الهدف، أما الكنزة الصوف مئة بالمئة غالية جداً، لأن الصوف مصمم للإنسان، تجلس على سجادة عازلة من أعطى هذا الصوف القدرة على العزل الكامل.

ترتدي قميصاً قطنياً في الصيف يمتص كل ما في الجلد من عرق، من جعل هذا الخيط على أعلى درجة من الامتصاص ؟ من خلق القطن ؟ الله عز وجل، من خلق الصوف، الجلد، لو تابعت هذا الأمر، كل شيء تستعمله وقد تستعمل مليون حاجة، تركب سيارة، تمشي بطريق صاعد وخمسة ركاب وحاجاتهم، هذا الوقود السائل من أعطاه قوة الانفجار، من أجل أن تعرف قيمة البنزين، سيارة أثناء الصعود وفيها خمسة ركاب حاول أن تدفعها نحو الأعلى، لا تقدر لا أنت ولا خمسة رجال، البنزين يحترق في المحرك فيدفعها، من أودع هذا البترول في الأرض ؟ بعصور مطيرة، بعصور النباتات العملاقة، هذه دفنت تحت الأرض وأصبحت بترولاً، من جعل هذا ؟ بسم الله، أي أيّ حركة، أي سكنة، أي لقمة تأكلها، أي فاكهة تأكلها، وكأس الماء الذي تشربه، وكأس الحليب الذي تشربه.

البقرة تأكل حشيشاً، الحشيش بين أيدينا، هات بالعالم جهة تستطيع تصنيع الحشيش إلى حليب.

كل شيء صنع بفضل الله وبعلمه و بحكمته من غير حول الإنسان ولا قوته مثل:

١ ـ خلق الإنسان:

الحياة من أين تأتي ؟ يقذف الرجل خمسمئة مليون حوين، واحد منها يدخل إلى البويضة يلقح البويضة، هنا يد من تعمل ؟ تنقسم البويضة الملقحة إلى عشرة آلاف قسم، وهي في طريقها إلى الجنين، هذا الطفل تسعة أشهر صار عنده دماغ فيه أربعة عشر مليار خلية، على مئة وأربعين مليار خلية استنادية، على تسعمئة ألف عصب بصري بحبل واحد، على مئة وثلاثين مليون عصية ومخروط.

٢ ـ الأذن و الأنف و الحنجرة و البلعوم و المري:

موضوع الأذن، والأنف، والحنجرة، والعين، والبلعوم، والمري، المري شيء كبير جداً علق إنساناً من رجليه، وأطعمه الطعام يصعد إلى فوق، عضلات بشكل حلقات تنقبض بشكل متدرج.

٣ ـ القصبة الهوائية و البلعوم:

القصبة الهوائية، البلعوم، شرطي سير يعمل ثمانين سنة بلا كلل ولا تعب وأنت نائم، اللعاب كثر في الفم وأنت نائم، تصدر أوامر للدماغ أن اللعاب كثر فتبلع ريقك وأنت نائم، لسان المزمار يعمل ليلاً نهاراً يغلق القصبة الهوائية ويفتح المري، تريد أن تتكلم يغلق المري ويفتح الهواء.

٤ ـ البروستات:

البروستات على مجرى البول ومجرى الخصيتين، الآن البول سيخرج، البول حامضي، يخرش المجرى تفرز البروستات مادة قلوية تتعادل مع البول، الآن ماء الحياة يريد أن يخرج و الطريق فيه بول نجس، تخرج مادة مطهرة، ومادة معطرة، ومادة مغذية، وتغلق طريق الخصيتين وتفتح طريق البول وبالعكس، أيضاً غدة تعمل ثمانين سنة بلا كل ولا ملل، شرطي سير مع مغذيات، يد من ؟

٥ ـ المطابقة:

المطابقة: مثلاً تراقب لعبة كرة قدم، تتابع الكرة في أي مكان بحسب قوانين الضوء، الخيال ينطبع على المحرق بحالة واحدة، أما عندما يتحرك الشيء هذا شيء فوق طاقة البشر، معنى هذا الجسم

البلوري، في كل لحظة ترى بها الكرة هناك عضلات تضغط على الجسم البلوري، فتزيد احتدابه أو تقلصه، لتبقي الخيال على المحرق ثابتاً، يد من ؟ ما معنى بسم الله ؟ بسم الله أي هذا الشيء لا يفعله إلا الله.

تصور بيتاً كلف ما يقدر بخمسين مليوناً، في أعلى درجة من الكسوة، فهي كل الأجهزة ؛ تكييف، وتبريد، وتدفئة، وبرادات، أنت ما معك إلا ثمن المفتاح ست عشرة ليرة، فإذا قلت بسم الله هذا ليس عملك، أنت لم تدفع ثمنه دفعت ثمن مفتاحه، ثمن الطعام والشراب تدفع ثمن خدمة الطعام والشراب، الخدمة فقط.

٦ ـ الخلية الثديية في البقرة:

الخلية الثديية في البقرة، يمر فوق الخلية شبكة أوعية كثيفة جداً، كل ستمئة لتر دم يصنعون لتر حليب واحد، وحتى الآن لا أحد يعلم كيف تعمل هذه الغدة الثديية، والخلية الثديية متصلة بالأعلى بهذه الأوعية ويرشح من أسفلها قطرة حليب، كأن هذه الغدة كائن عاقل يأخذ من الدم ما يحتاج من بروتينات، شحوم، مواد دهنية، أملاح، صوديوم، اصطفاء بالغ، يصنع نقطة الحليب المتوافقة مع الإنسان، مع حاجته، غذاء كامل:

(وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ)

(سورة النحل الآية: ٥)

خصيصاً:

(مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦))

(سور النحل)

الفرث برأي بعض العلماء هو حمض البول، هناك فرث هواء غازي، غاز الفحم، وفرث سائل حمض البول، وفرث صلب الغائط، تأتي الخلية الثديية تنتقي من الدم والدم فيه حمض بول، هذا فرث:

(مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦))

(سور النحل)

إذا إنسان شرب كأس حليب وقال: بسم الله يتذكر أن هذا الشيء الذي يصنع في البقرة فوق طاقة البشر، وعلى هذا قس الماء، والخضراوات، والقمح.

٧ ـ القمح:

أكلت خبزاً قلت: بسم الله من صنع هذا القمح ؟ كم نوع قمح موجود في الأرض؟ أنا كنت أتصور أربعة آلاف وخمسمئة نوع، و تبين لي أن هناك خمسة وأربعين ألف نوع قمح، لأن القمح مادة أساسية يزرع في رووس الجبال، وفي الأغوار، وفي السهول، وفي المناطق الرطبة، وفي المناطق الجافة، في أي مكان ينبت القمح، بينما بعض النباتات تنبت في مكان معين، إما منطقة استوائية، أو منطقة باردة جداً، بعض النباتات غير الاستراتيجية، غير الأساسية لها صفات خاصة، أما القمح مادة أساسية ينبت في كل مكان في العالم، عندما إنسان يأكل قطعة خبز ويقول: بسم الله من صمم هذا ؟ ثم:

(مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

(سورة النازعات)

كما أن القمح غذاء كامل للإنسان، ساق السنبلة غذاء كامل للحيوان، التبن، القمح لنا والساق للحيوان:

(مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)

(سورة النازعات)

معنى البسملة:

معنى البسملة يعني كل شيء تستهلكه يجب أن تعلم أن الله هو الذي خلقه، وأن قوى الأرض مجتمعة لا تستطيع أن تفعل شيئاً، أنا ذكرت مرة في الخطبة، قلت: أضعف جرثوم حتى الآن، وأضعف فيروس حتى الآن فيروس الإيدز، إذا خرج من الإنسان خلال عشرة سنتمتر يموت، هذا الفيروس الضعيف الذي لا يستطيع أن يعيش خارج الجسم ولا عشرة سنتمتر، دول عظمى، جامعات كبرى، إمكانات غير محدودة، ملايين من الدولارات مملينة، من أجل أن تبحث عن مصل مضاد له لا تستطيع، الله عز وجل يضع سره في أضعف خلقه، يتحدى أمة، يتحدى عصراً، يتحدى تكنولوجيا، كله واقف حائر أمام هذا الفيروس، ليس له طريقة حتى الآن، أحدث إحصاء أذيع من خمسة أيام، ثلاثون مليون إنسان مصاب بالإيدز غير الحامل، وفي عام ألفان سيصبحون أربعين مليون، وكل يوم يصاب ستة عشر ألف، وكل عشر ثوان يموت إنسان بالإيدز في أمريكا، و لم يستطيعوا أن يصنعوا مصلاً مضاداً حتى الآن، الإنسان عاجز، هذا معنى البسملة، كل شيء تقول بسم الله أي هذا صنع بفضل الله، بعلم الله، بحكمة الله، بقدرة الله، بتوفيق الله من غير حول مني ولا قوة.

بسم الله هي شكر المنعم على نعمته وتطبيق منهجه في هذه النعمة:

ماذا يفعل المزارع ؟ يضع البذرة في الأرض، حقل نصف دونم، بيت بلاستيكي بذوره وزنها خمسة غرامات بندورة مثلاً يعطون عشرة طن، أو خمسة طن، بحسب عناية المزارع من خمسة إلى عشرة، إذا قلنا: خمسة الحد الأدنى، أي البذرة تعطي مليون ضعف، خمسة غرامات يعطون خمسة طن، أي خمسة آلاف كيلو والكيلو ألف غرام، أي تعطي البذرة ألف ألف، الكيلو مليون غرام، فخمسة غرامات من البذور تعطي خمسة طن بندورة، خمسة غرامات بذور تعطي مجموعاً خضرياً وزنه قريب من الطن أو الطنين، مجموع خضري بين ساق وأوراق صنع من هذا ؟

يقول لك: هذه البذرة تعطي خيارة طويلة، نحيفة، مضلعة، غامقة، كل كلمة عبارة عن خصائص في البذور، إذا إنسان قال لك: سمِّ بالله، اعرف أنك تستخدم نعم الله، و لا يوجد في الأرض قوة تستطيع أن تقدم لك الطعام والشراب والماء والهواء إلا الله.

الهواء له نسب معينة، من جعل الهواء، ٧٩، ٧١، ٢٩، بين أوكسجين وأزوت من جعله هكذا ؟ لو رفع الله الأوكسجين قليلاً لاحترق كل شيء، هناك نسب، إذا قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، هل تعرف أن الغابات كلها في الليل تأخذ غاز الفحم وتعطي الأوكسجين في النهار، من جعل النبات حاجته إلى غاز الفحم وأنت بحاجة إلى الأوكسجين ؟ الله عز وجل.

هذا معنى البسملة.

أيها الأخوة الكرام، بسم الله دخلت في هذه النعم، المعنى الثاني بسم الله استخدم هذه النعم وفق منهج الله، أريد أن أشرب بسم الله على ثلاث دفعات، أبعد القدح عن فيك، لا تتنفس في الإناء، إذاً هناك توجيهات نبوية يجب أن نطبقها في كل شيء.

البسملة تعريف بالمنعم وتطبيق للمنهج بالضبط، إذا شخص قال: بسم الله وشرب الماء خلاف السنة ما بسمل، إذا قال: بسم الله وما فكر بهذه النعمة ما بسمل، لا تكون البسملة صحيحة إلا إذا فكرت بالمنعم، وطبقت منهجه في استخدام هذه النعمة، شكرت المنعم على نعمته، وطبقت منهجه في هذه النعمة.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١١-١١٦) : كتاب الطعام - الترغيب في حمد الله تعالى بعد الأكل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقة المذهلة بين تركيب الطعام وتركيب جسم الإنسان:

عن أنس، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعامَ ورزَقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبهِ وَمَا تَأَخَّرَ))

[أبو داود عن أنس عن أبيه]

الإنسان كما تكلمنا في الدرس السابق حينما يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أي هذا الطعام صنع بسم الله، وليس في الأرض كلها قوة يمكن أن تصنع هذا الطعام، وأن ثمن الطعام هو ثمن خدمته، فحينما تعلم أن هذا الطعام خُلق خصيصاً لك، ما هذه العلاقة المذهلة بين تركيب الطعام وتركيب جسم الإنسان؟ الحليب غذاء كامل للإنسان، القمح غذاء كامل، ما العلاقة بين هذا الطعام وبين جسم الإنسان ؟ هذه البقرة التي تصنع الحليب، أو تعطي الحليب إنما تعطيه بسم الله، هذه الغدة الثديية في البقرة، يجول في أعلاها أوعية دموية كثيفة جداً، تختار هذه الغدة من هذه الدماء البروتينات، الشحوم، المواد الدسمة، والفيتامينات، والسكريات بنسب دقيقة جداً، وتصنع منها الحليب، ولا تعلم هي ما تعمل، فإذا شربت كأس حليب بسم الله، وإذا علمت هذا الطعام، هذا الماء، والحليب، وأنواع الخضار والفواكه إنما صنعت بسم الله.

الشكر الدائم ضمان لبقاء النعم:

إذاً:

((مَنْ أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعامَ ورزَقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة))

[أبو داود عن أنس عن أبيه]

ماذا يفعل المزارع ؟ يضع البذرة في الأرض ويسقيها، أما هذه البذرة كيف انشقت ؟ وكيف اتجهت نحو الأعلى ؟ وكيف نما لها الجذير ؟ وكيف نما السويق ؟ وكيف ظهرت الأوراق ؟ وكيف اشتد عودها؟ وكيف أزهرت، ثم أورقت، ثم أينعت ؟ ومن صمم هذه الفاكهة ؟ من أعطاها لونها، وحجمها، وقوامها، وطعمها، ولونها، وشكلها ؟ من جعلها متوافقة مع الإنسان ؟ من جعل هضمها سهلاً في معدة الإنسان ؟ الله جلّ جلاله.

كلما تناولت لقمة يجب أن تعلم أن هذا الطعام صنع بسم الله، وأنه صنع خصيصاً لك، إذاً:

((مَنْ أكل طعاماً، ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعامَ ورزَقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة))

[أبو داود عن أنس عن أبيه]

هذا معنى قوله تعالى:

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

(سورة المعارج)

أي هو يصلي دائماً، يصلي الصلوات الخمس، وما بين الصلوات إن أكل طعاماً شكر الله، وإن شرب الماء شكر الله، وإن خرج من بيته شكر الله، وإن دخل إلى دورة المياه وأفرغ ما في مثانته شكر الله، هذا الشكر الدائم ضمان لبقاء النعم، إن أردت أن تبقى هذه النعم، هذا معنى دعاء النبي:

((ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا))

الصحة نعمة لا يعرفها إلا من فقدها:

لاحظ أنت المتاعب التي لا تحتمل، لو أن هذه المثانة سُدت، إدخال وتفريغ المثانة، والتخدير، والعملية، لو أن هذه الكلية ضعُف عملها، لو أصيب الإنسان بفشل كلوي لأصبحت حياته جحيماً، عنده غسيل، في كل أسبوع مرتان، غير النفقات، غير ضياع الأوقات والآلام، إذا الإنسان أفرغ مثانته وقال: الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني، وأبقى لي ما ينفعني، دائماً هناك صلة بالله، عمل الأجهزة معقد جداً، المعجزة أن تكون سليماً، هذه المعجزة، يقول لك: مليون نترون بالكلية، الطريق طوله مئة كم، يقطعه الدم في النهار خمس مرات، هذه الكلية أخطر من أي جهاز آخر، لو تعطلت لأصبحت الحياة جحيماً لا يطاق.

مرة النبي صلى الله عليه و سلم، علمنا بالدعاء إذا أكل طعاماً كان يقول:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى في قوته وأذهب عني أذاه))

[ابن السني عن ابن عمر]

الطعام له لذة، وله قوة، وله فضلات، فاللذة أذاقك الله إياها، والقوة متعك الله بها، والفضلات صرفها عنك، فعليك شكر الله على هذا الجسد بما فيه من أعضاء وأجهزة طول الحياة.

هذه الصلاة الدائمة، أنت مع الله دائماً، مع الله إذا آويت إلى فراشك، النوم نعمة.

لنا أخ ـ شفاه الله و عافاه ـ إن كان يملك مئة مليون كان سيدفعهم نظير أن ينام فقط، لا ينام، لم يدع طبيباً، و لم يدع طريقة، أبداً، قلت له: امش، يمشي لا ينام، هل هذا كإنسان يستلقي على الفراش و ينام بسرعة ؟ هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، فالنوم نعمة.

نعم الله عز وجل على الإنسان لا تعد ولا تحصى:

تتحرك نعمة، تخدم نفسك نعمة، فالصلاة الدائمة أن تشكر الله على نعمه، فإن شكرته على نعمه هذه النعمة لن تزول عنك، وبالشكر تدوم النعم.

((إنك إذا ما ذكرتني شكرتني وإذا ما نسيتني كفرتني))

[الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة]

لاحظ شرب الماء نعمة، أحياناً خروج الفضلات نعمة، أن تذوق طعم الطعام نعمة، هناك أشخاص على السيروم دائماً، ملقى على السرير في مستشفى، سيروم، لا يستطيع أن يشرب كأس شاي، أو فنجان قهوة.

((مَنْ أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعامَ ورزَقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبهِ))

[أبو داود عن أنس عن أبيه]

سمعت قصة قديمة جداً، في الشام في العهد العثماني كان هناك والي، وله مدير أعمال، و كان مقر هذا الوالي بالمرجة، دخل مدير الأعمال إلى غرفة الوالي فوجده واقفاً على النافذة، ودمعة تنحدر من عينيه، سأله عن سبب بكائه ؟ فقال له: تعال وانظر، كان هناك إنسان ريفي يريد أن يرى ابنه المسجون في البناء نفسه، يبدو أنه لم يستطع ذلك، فجلس و أخرج صرة فيها خبز مع رأس بصل، وأكل خبزة وبصلة بنهم شديد، قال له: أتمنى أن آكل كما يأكل هذا الريفي، وأن أتخلى عن كل هذا المنصب، وعن كل هذه المظاهر، يبدو أن هذا الوالي كان محروماً من الطعام لسبب مرضي أو عنده مشكلة ما.

فأحياناً الإنسان يأكل صحن فول، صحن حمص، كأس شاي مع قطعة جبنة، صحته طيبة ويأكلها، يستمتع بها، هذه أيضاً نعمة كبيرة جداً.

المتشائم و المتفائل:

هناك شخص محروم الطعام والشراب، حمية دائمة، مشكلات دائمة، لا تنسى نعم الله عز وجل، دائماً علم نفسك ألا تبحث عن الذي ينقصك، ابحث عما عندك، هذا العلم النفسي اسمه " تفاؤل "، صحة نفسية، وهناك إنسان متشائم، المتفائل دائماً يشكر ما عنده من نعم، والمتشائم يبحث عن النقص، لا يملك سيارة، بيته ليس ملكه مثلاً، عنده بنات فقط، المتشائم، والسوداوي، والشقي هو الذي يبحث عن النواقص دائماً، أما المؤمن الصادق يبحث عما عنده، عنده نعم لا تعد ولا تحصى، ولو أمضى حياته كلها في شكرها لما وفى هذا الشكر، وأكبر نعمة الله خلقك، أنت موجود، هذه نعمة الإيجاد، لماذا خلقك؟

(إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

(سورة هود الآية: ١١٩)

السيارة لماذا صُنعت بالأساس ؟ لماذا هذا المعمل صنع السيارة ؟ من أجل أن تمشي، لا يوجد إنسان يشتري سيارة يوقفها بمكان ويتأمل فيها، يركبها ويمشي بها، لكن السيارة فيها مكابح، المكابح تتناقض مع سبب صنعها، المكبح يتناقض مع السير، لكن هذا المكبح لسلامتها، هو وإن تناقض معها إلا أنه لسلامتها.

الحكمة من تحريم الشرب أو الأكل بآنية الذهب و الفضة:

الحديث الثاني: أن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال:

((الذي يشرب في إناء الفضة يجرجر في بطنه نار جهنم))

[متفق عليه عن أم سلمة]

آنية من الفضة الخالصة، آنية من الذهب، ملاعق من الفضة الخالصة، إن الذي يأكل ويشرب، ومن شرب من إناء من ذهب أو فضة، هذه روايات الحديث، لذلك من المحرمات والنبي يقول:

((الذي يشرب في إناء الفضة يجرجر في بطنه نار جهنم))

[متفق عليه عن أم سلمة]

أولاً: فيها كبر، ثانياً: فيها استعلاء، ثالثاً: فيها بذخ، فيها استهلاك للمال، لأن الفضة هي نقد، مثلاً عملنا مجسماً بساحة عامة، وأتينا بخمسين أو ستين مليارا، ولصقناها سوية، بعد ذلك قمنا بدهنهم، فالستين ملياراً لو كانوا بين أيدي الناس، وأصبحوا نقداً متداولاً لحلوا مليون مشكلة، أنشئت معامل، أنشئت مزارع، أنشئت مدارس، نحن جمدناهم بمجسم جمالي، هذا خطأ كبير، هذا الورق من أجل التداول، لا من أجل الزينة، فالفضة والذهب نقد.

أنا لم أكن أعرف قيمة الذهب، حتى قرأت مقالة عن باخرة بين أوربا وأمريكا، غرقت في عمق البحر، محملة بخمسة طن من سبائك الذهب، قبل سنوات، الباخرة غرقت من ثمانين أو تسعين سنة فبعد أن أخرجوها بدا الذهب كأنه مصبوب الآن، ثمانون سنة بقاع البحر، ومياه مالحة، ما معنى معدن نفيس ؟ أي لا يتأثر لا بالرطوبة، ولا بالماء، ولا بالعوامل الجوية، ولا بالأملاح، هذا الذهب مغسول كأنه الآن مصبوب.

تحريم لبس الحرير و الشرب بآنية الذهب و الفضة:

الله جعل الذهب والفضة معادن ثمينة لتكون قيماً للأشياء فأنت بهذا جمدته، يمكن أن تستعمل المرأة الحلي، أما جمدته بأدوات كان من الممكن أن تكون في مجال آخر، هذا فيه كبر، وفيه استهلاك، وفيه استعلاء، و فيه زهو، وفيه نوع من البذخ، هذا الذي نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام.

وعن حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((لا تَلْبَسُوا الحريرَ ولا الدِّيباجَ ولا تَشْرَبوا في آنيةِ الذهب والفِضَّة ولا تأكلوا في صِحافها فإنَّها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة))

[متفق عليه عن حذيفة]

طبعاً نريد أن نفرق بين الآنية المفضضة، والآنية التي من الفضة، من فضة أي خالصة، أما المفضضة العلماء أعطوا بعض الإجازة مع الكراهة، تكون آنية مفضضة أي مطلية بالفضة.

قال لي شخص: ما الطريقة لنعرفها ؟ قلت: من سعرها، إذا كان سعر الصينية يساوي سعر الفضة الخالصة زائد تصنيعها تكون من الفضة، أما إذا كان واحد بالمئة من وزن الصينية معناها مفضضة، إذاً:

((لا تَلْبَسُوا الحريرَ ولا الدِّيباجَ ولا تَشْرَبوا في آنيةِ الذهب والفِضَّة ولا تأكلوا في صِحافها فإنَّها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة))

[متفق عليه عن حذيفة]

الأحاديث التالية من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((لا يأكلنَّ أحدُ منكم بشِمالِه ولا يشربَنَّ بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشربُ بها قال: وكان نافع يزيد فيها: ولا يأخذُ بها ولا يُعطي بها))

[رواه مسلم عن ابن عمر]

لا تأكل، ولا تشرب، ولا تأخذ، ولا تعطي بشمالك، هذه من السنة، اليمين للأكل، والشرب، والعطاء، والأخذ، والشمال لقضاء الحاجة، وتنظيف الجسم.

و للنبي الكريم كثير من التوجيهات في السنة أساسها توجيه صحي، هذه اليد مكرمة، اليد اليمين، مكرمة، مقدسة، تأخذ، وتعطي، وتأكل، وتشرب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم:

((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُتنفَّس في الإناء))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عباس]

وهذا الحديث من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه ثبت الآن أن هناك نوعاً من العدوى تتم عن طريق التنفس، فالإنسان إذا شرب كأس الماء، وأراد أن يجعل الشرب ثلاثاً ينبغي أن يجعل الإناء بعيداً عن فمه، لأن هناك حالات قليلة هواء الزفير إذا امتزج مع الماء نقلت بعض الأمراض، فكان صلى الله عليه وسلم:

((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُتنفَّس في الإناء أو يُنفخَ فيه))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عباس]

أدب النبي صلى الله عليه وسلم و ذوقه الرفيع:

مرة قرأت أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا أكل التمر من طبق ـ طبعاً أمسك التمرة، وضعها في فمه، فلما أكلها كاد أن يخرج النواة، ويمسكها بيده، ويضعها على الطبق، ثم أراد أن يأكل تمرة ثانية، فلامس لعابه التمرة الثانية، لو أنه أمسكها فرآها قاسية، فتركها إلى غيرها، ما الذي حصل ؟ لعاب الإنسان وصل إلى هذه التمرة ولم يأكلها، أكلها غيره ـ كان عليه الصلاة والسلام إذا أكل التمر وضع النواة على ظاهر إصبعيه، يجمع أصابعه الثلاثة يضع النواة هنا لتبقى باطن إصبعيه جافة، ولو أكل تمرة أو اثنتين أو ثلاث لا ينتقل لعابه إلى الطبق، هذه قد لا ينتبه لها أحد، لو إنسان أكل التمر، وأخرج النواة، وأمسكها، طبعاً النواة لامست لعابه، وأصابعه لامست النواة، ثم أمسك بعض التمر وضع يده على واحدة وجدها قاسية تركها وأخذ الثانية.

فهذه النقطة انتبه لها النبي عليه الصلاة والسلام، كان في أعلى درجة من الذوق، أعلى درجة من الرقة، قيل له: ما هذا الأدب ؟ قال:

((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

[ابن السمعاني في أدب الإملاء عن ابن مسعود]

أحياناً الإنسان يأكل البطيخ بعد أن ينحته ويتركه بشكل منفر، كان عليه الصلاة والسلام إذا أكل البطيخ وضع الحز على ظهره، منظره أجمل، إذاً يوجد عدد كبير من الطرق في الأكل فيها لطف، فيها أدب، فيها ذوق.

النهي عن شرب الماء من الإناء المكسور أو النفخ فيه:

إذاً:

((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُتنفَّس في الإناء أو يُنفخَ فيه))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عباس]

((نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يَشربَ من فيِّ السِّقَاءِ))

[أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة]

من فم الإبريق، مثل الآن يوجد كأس للشرب، ويوجد إبريق ماء، و لكن هناك شخص يشرب من الإبريق مباشرة هذا منهي عنه، أيضاً إذا إناء فيه ثلمة، كان ينهى أن يستعمل، لأن هذه الثلمة فيها جراثيم ـ الإناء المشعور ـ فالإناء ما دام فيه شق هذا يحمل الجراثيم.

قال لي أخ كان يعمل بمعمل أدوية ـ هو وكيل شركة أجنبية، معه امتياز ـ قام ببناء معمل له، فعندما أراد أن يأخذ مواد أولية ويصنع، جاءت الشركة لتفحص البناء، و إذ بالبناء لا يناسب، ما المشكلة ؟ البناء درجة أولى و قد رأيته أنا، قال: يجب ألا يكون به أي حدٍّ هكذا، فالبناء كله خطوط منحنية، و الجراثيم تقعد بالأماكن الحادة، فاضطر أن يغير كل هذه الحدود، والزوايا القائمة التغت و صارت زوايا منحنية، بالسقف، وبالأرض، وبالأطراف، وبالممرات، البناء كله أصبح زوايا منحنية، لا زوايا قائمة، الجراثيم لا تجد مكاناً ترتاح فيه إلا هذه الأماكن الحرجة.

فلذلك هذا شيء حديث جداً، الإناء إذا فيه كسر، أو شق، الجراثيم تعشش في هذا المكان، و أيضاً إناء فيه ثلمة نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن أن يستعمل.

أدب النبي صلى الله عليه وسلم في الطعام:

آخر حديث، عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال:

((كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قصْعةٌ يقال لها الغرَّاءُ يَحملها أربعة رجال فلما أضْحَوْا وسجدوا الضحى أتِيَ بتلك القصعة وقد ثُرِد فيها فيها طعام فيه مرقة فالتَّفُّوا عليها فلما كثروا جَثَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أعرابيٌّ ما هذه الجِلسةِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللَّه جَعلني عبداً كريماً ولم يجعلنى جَبَّاراً عنيداً))

[رواه أبو داود عن عبد الله بن بسر]

أي جلس جلسة العبد، والله حدثني شخص قال لي: والله كنت أحضر وليمة ـ أقسم بالله، وهو عندي صادق ـ بالخليج، أمير كبار الأمراء، دعا عشرة أشخاص، و أحضر منسفاً يحمله اثنا عشر رجلاً، عليه جمل مكتف ومحشو لحم وفستق، وعليه خروف مكتف، قال لي: هذا المنسف يطعم ألف شخص، هو لعشرة أشخاص ! أي أكلوا واحد من مليون منه، بعدما انتهوا الأمير غسل فوقه، قال لي: أنا لم أتحمل، فسألته بأدب: هل من المعقول ألا يوجد من يأكل هذا الأكل ؟ قال له: لا أحد يأكل بعدي.

النبي صلى الله عليه و سلم جلس أمام هذا المنسف جلسة العبد:

((فقال له أعرابيٌّ ما هذه الجِلسةِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اللّه جَعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جَّباراً عنيداً))

[رواه أبو داود عن عبد الله بن بسر]

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

((كلوا من جوانبها ودَعُوا ذِرْوَتها يبارَكْ فيها))

هذا أدب بالطعام، تأكل من أطرافها، أما رأس الطعام، وجه الطعام، هذا دعه، كُلْ من أطراف الطعام، هذه السنة.

((كلوا من جوانبها ودَعُوا ذِرْوَتها يبارَكْ فيها))

و في رواية ثانية:

((البَرَكةُ تَنْزِلُ وسط الطعام فكلوا من حافَّتَيْه ولا تأكلوا من وسَطه))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

وفي رواية ثالثة:

((إذا أكل أحدُكم طعاماً فلا يأكُلْ من أعلى الصَّحْفة ولكن ليأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس]

على الإنسان أن يجهد في أن يشكر ما عنده ولا يبحث عن الذي ينقصه:

إذاً ملخص الدرس: الأكل من أطراف الصحن، والإناء ينبغي ألا تشرب من فمه، وألا تنفخ فيه، وأن تبعده عن فيك، وعدم استعمال الحرير والديباج، ولا آنية الذهب ولا الفضة، وإذا أكلت الطعام فاحمد الله عز وجل، وقل: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام.

أنا كلما أجلس لطعام، وأكون بدعوة بوليمة، أتذكر قول سيدنا عمر، قال:

" ما عندك يا أم كلثوم ؟ ـ عنده ضيف من أذربيجان، ضيف مهم جداً ـ قالت له: والله ما عندنا إلا خبز وملح، قال: هاتيه لنا ".

خبز وملح، انظر ولائم الناس، الفواكه، الشراب، الحلويات، الفتات، الشوربات، الكبسة، الكبة، البرك.

" قالت له: والله ما عندنا إلا خبز وملح، قال: هاتيه لنا، بعد أن أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني وأشبعني، وأسقاني فأرواني ".

سيدنا عمر عملاق الإسلام، خليفة المسلمين، عنده بالبيت خبز وملح، لابأس، أما الحمد لله الذي أطعمني وأشبعني، وأسقاني فأرواني ؟!

لذلك أخواننا الكرام، وبالشكر تدوم النعم، أنت اجهد أن تشكر ما عندك، ولا تبحث عن الذي ينقصك، الله عز وجل قال في الأثر القدسي:

((ابن آدم كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك))

[ورد في الأثر]

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١٢-١١٦) : كتاب الطعام - الترغيب في أكل الخل والزيت ونهس اللحم دون تقطيعه بالسكين إن صح الخبر

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد الخل:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((سألَ أهلَه الإدامَ فقالوا ما عندنا إلا الْخَلُّ فدعا به فجعل يأكل به ويقول نِعْمَ الإدامُ الخلُّ نِعمَ الإدامُ الخلُّ قال جابرُ فما زلتُ أُحِبُّ الخلَّ منذ سمعتها من نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم))

[رواه مسلم عن جابر]

حدثني أخ طبيب قال: إن الذي يشكو من إقباله الشديد على الحلويات، والسكريات، لو استعمل الخل لصرفت نفسه عن هذه الأنواع من الأطعمة الضارة، فالخل يقلل شهية الإنسان نحو السكريات والحلويات.

شيء آخر: لو أردت أن تلمع شيئاً استخدم الخل، الخل مادة مذيبة، مشكلة المشاكل أن الإنسان عمره من عمر شرايينه، فكلما تضيقت الشرايين تعب قلبه، وتضخم، فالإنسان عمره من عمر شرايينه، ويبدو أن الخل مذيب ممتاز، وغير ضار.

فلذلك لعل النبي عليه الصلاة والسلام و هذا من دلائل نبوته، نبه أن على الإنسان أن يستعمل الخل من حين لآخر، حتى تخف شهوته نحو المواد السكرية، وثانياً لعل الخل يذيب ما علق بالأوعية من مواد دسمة وشحوم.

((نِعمَ الإدامُ الخلُّ قال جابرُ فما زلتُ أُحِبُّ الخلَّ منذ سمعتها من نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم))

أسباب الصحة و أسباب المرض:

مرة طبيب يقول كلمة: كلْ كلّ شيء باعتدال وابذل جهداً، ولا تحمل من الهموم ما لا تطيق، هذه عوامل الصحة، كلْ كلّ شيء، كل شيء يغطي شيء بالجسم وباعتدال حسب الآية الكريمة، وابذل جهداً، لأن أسباب الأمراض كلها الآن كسل عضلي، وشدة نفسية، كل شيء مريح، لكن لا يوجد راحة نفسية، كله كبس أزرار، إذا أراد الإنسان أن يرفع البلور بيده، سيارته أوتوماتيك، و كأنه نزلت قيمته إذا بذل هذا الجهد البسيط، كل شيء مريح، المصعد، الغسالات، الجلايات، لا يوجد حركة، يقابلها خوف، وقلق، وهم، وحزن، وهذه أسباب الأمراض كلها.

أجدادنا السلف الصالح حياتهم خشنة، عندهم جهد عضلي كبير، يقابل هذا الجهد راحة نفسية، وهذه أسباب الصحة، أسباب الصحة جهد عضلي وراحة نفسية، أسباب المرض كسل عضلات وشدة نفسية.

الوقاية خير من العلاج:

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة و أم سعد عندها، فقال:

((هل من غداء قالَتْ عِنْدَنَا خُبْزٌ وَتَمْرٌ وَخَلٌّ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي الْخَلِّ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ))

[أخرجه ابن ماجه عن محمد بن زاذان]

فيبدو أن هذه المادة مفيدة جداً، وأنا والله أستعمله كثيراً، والإنسان يمكن أن يستعمله مع السلطات، مع بعض الطعام، قال: هذه سنة، ولعل هذه السنة من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، أنا فيما يبدو لي أن الخل مادة مذيبة، كثير من الناس يبحث عن مادة تذيب الشحوم بالأوعية منها دبس الرمان، منها الخل، منها الغريفون، هذه كلها مواد تذيب الشحوم، والإنسان عمره من عمر شرايينه، فكلما ضاقت الشرايين ضاقت الحياة، وتألم الإنسان، و احتاج إلى قسطرة، و إلى عمليات، وهذا لا نهاية له، فالوقاية خير من العلاج.

من ذكر اسم الله عز وجل على طعامه بارك الله له به:

وعن وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده قالوا:

((يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال لعلَّكم تفترقون قالوا نعم قال فاْجتَمعوُا على طعامكم واذكروا اسْمَ اللَّه يُبَارَكْ لكم فيه))

[أخرجه أبو داود عن وحشي بن حرب [بن وحشي] عن أبيه عن جده]

هذا يحصل في كل أسرة، يتغدى الزوج لوحده، مستعجل يأكل وينام، يتأخر الابن يأكل لوحده، إذا أكل كل إنسان لوحده فالأكل لا يكفي، أما إذا اجتمعوا يبارك الله في الطعام، فمن السنة أن نأكل مجتمعين.

((فاْجتَمعوا على طعامكم واذكروا اسْمَ اللَّه عز وجل، يُبَارَكْ لكم فيه))

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((المسلم يأكل في معَيّ واحد والكافرُ يأكل في سبعة أمعاء))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أي قدر ما أكل لا يشبع، التفسير ندعه للنبي عليه الصلاة والسلام، وهناك أحاديث كثيرة منها في رواية للبخاري:

((أن رجلاً كان يأكل كثيراً فأسلم فكان يأكل أكلا قليلاً فذُكِرَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن المؤمن يأكل في مِعَي واحد وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

وفي رواية لمسلم:

((أضَافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفاً كافراً فأمَرَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فَحُلِبَت فشَرِبَ حِلاَبَها ثم أخرى فشربه ثم أخرى فشربه حتى شرب حِلاَبَ سبع شِيِاه ثم إنه أصْبَح فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب حلابها ثم أخرى فلم يَسْتَتِمَّه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

فإذا الإنسان سمّى الله بارك الله له، و إذا دخل الإنسان للبيت، وما سلم يقول الشيطان لإخوانه الشياطين: أدركتم المبيت، فإذا أكل ولم يسمِّ يقول لإخوانه: أدركتم العشاء، فإذا دخل ولم يسلم، وجلس ولم يسمِّ، يقول لإخوانه: أدركتم المبيت والعشاء.

شرب الماء مع الطعام يعين على تغلغل المادة الهاضمة في كل أنحاء المعدة:

ومن توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً قوله:

((ما مَلأَ آدميّ وعاء شَرّا من بَطْن بِحَسْب ابن آدم لُقَيْمَات يُقِمنَ صُلْبَه، فإن كان لا مَحَالة فثُلُث لطعَامِه وثُلث لشرابِهِ وثُلث لنَفَسِه))

[رواه الترمذي وحسنه عن المقدام بن معد يكرب]

والأطباء من ثلاثين أو أربعين سنة ينصحون الناس بعدم شرب الماء أثناء الطعام، إلا طبيباً واحداً أخذ هذا الحديث وجعله أصلاً في هذا الموضوع، ما دام النبي قال:

((ثُلُث لطعَامِه وثُلث لشرابِهِ وثُلث لنَفَسِه))

إذاً يصح أن نشرب الماء مع الطعام، وكان منفرداً في هذا الرأي، وكل الأطباء يتكلمون العكس، إلا أنه قبل سنتين بالضبط ظهرت دراسة عميقة جداً مفادها أنه ينبغي أن تكثر من شرب الماء مع الطعام، لأن الماء مع الطعام يسهل الهضم، لأن المادة الهاضمة تنحل بالماء، وتتغلغل في كل أنحاء الطعام، أنا شبهتها بوضع المسبحة بالخلاط، فالإنسان إذا وضع الحمص، ووضع الطحينة والليمون فالخلاط لا يعمل، يحتاج كأس ماء، كأس الماء يعين على تغلغل الحمض والطحينة بكل الأطراف، فيبدو أن هذا الرأي صحيح، هكذا النبي قال:

((وثُلث لشرابِهِ))

اشرب بالقدر الذي تريد، والماء مفيد، ويعين على تغلغل المادة الهاضمة في كل أنحاء المعدة.

((وثُلُث لنَفسِه))

أي ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه، إذاً هنا توجيه نبوي.

توجيهات النبي الكريم أثناء الأكل:

وهناك توجيه أخذه بعض العلماء من قوله تعالى:

(وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)

(سورة الواقعة)

و من توجيهات النبي الكريم في رمضان، مثلاً الإنسان عندما يكون جائعاً، ويأكل مادة سكرية، سكر الفواكه سهل الهضم، يصل إلى الدم بأقل من عشر دقائق، أما إذا أكل الإنسان تمرة أو تمرتين وعيّر الساعة بعد عشر دقائق تكون هذا المواد بالدم فيشعر بالشبع، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يأكل ثلاث تمرات برمضان، ويصلي المغرب، ويجلس إلى الطعام، طبّق هذه الطريقة أثناء العام بأكمله، كُلْ شيئاً حلوه طبيعي، أحياناً نصف تفاحة، عنب مثلاً، قبل الطعام كُلْ فواكه، اعكس الآية، الناس كلها تأكل لتشبع، يقول لك: أحضر الفواكه، ليس لها مكان، أنت عندما أكلت مواد دسمة حتى تهضم تحتاج إلى ساعة أو ساعتين.

لذلك قدر ما أكلت لا تشبع، كلها مواد دسمة، أما لو بدأت بالفواكه، تكون قد أكلت أكلاً طبيعياً، وعندما تجلس إلى الطعام تأكل من دون جوع.

فيبدو من السنة أن تأكل الفاكهة قبل الطعام، دخلت إلى البيت كلْ نصف تفاحة، أو عنب، أو تمرة.

((بَيتٌ لا تمر فيه جياعُ أهله))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

حاول أن تبدأ بشيء حلوه طبيعي، سكريات طبيعية، فواكه، بعدها كلْ، تجد أولاً السكر وصل إلى الدم، المادة السكرية لامست مركز الشبع عند الإنسان، فيشعر بالشبع، الآن يأكل باعتدال، أما إذا كان جائعاً، و بالأكل يوجد الدسم قدر ما يأكل لا يشبع، يشبع امتلاءً وليس تنبيهاً.

إذاً: عندك شبعان ـ قال: "والله ما شبعت لكنني مللت" ـ هناك شبع سببه امتلاء المعدة، لم يعد فيها أي مكان، وهناك شبع أساسه أن مركز الشبع بالإنسان يتنبه، فإذا أكل الإنسان حبتي تمر، أو ثلاث تمرات، يصل سكرها إلى مركز الشبع خلال عشر دقائق فيشعر الإنسان بالشبع، معدته فارغة بعدها، لكن السكر سكر الفواكه وصل للدم، والدم نبه مركز الشبع بالإنسان، كل أدوية الرجيم غير مستحب استعمالها، هي مواد تصل لمركز الشبع لم يعد يشعر بالجوع، فاستعمالها غير صحي، حبتا

تمر، حبتا عنب، أي شيء فاكهة بالبيت موجودة، أو سكرة فرضاً، أي شيء حلو أكله الإنسان وصل لمركز الشبع فيأكل باعتدال.

الصحة لا تكون إلا بالاعتدال في الطعام والشراب:

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال:

((أَكَلْتُ ثَرِيدَ بُرٍّ وَلَحْمٍ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَتَجَشَّأُ فَقَالَ اكْفُفْ عَنَّا أَو احْبِسْ عَنَّا مِنْ جُشَائِكَ))

[البيهقي عن أبي جحيفة]

فالإنسان عندما يكثر من الطعام تخرج الغازات من فمه، و هذا سلوك غير حضاري، غير أخلاقي.

((فَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُكُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

فأحد الصحابة، أو هذا الإنسان نفسه قال:

((فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا))

انظر الأدب مع رسول الله، غلط والنبي نبهه، قال:

((فَمَا أَكَلَ أَبُو جُحَيْفَةَ مِلْءَ بَطْنِهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَكَانَ إِذَا تَعَشَّى لَمْ يَتَغَدَّ وَإِذَا تَغَدَّى لَمْ يَتَعَشَّ))

وفي رواية ثالثة يقول:

((مَا مَلَأْت بَطْنِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً))

[البزار عن أبي جحيفة]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْجُوعِ فِي وجُوهِ أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُغْدَى عَلَى أَحَدِكُمْ بِالْقَصْعَةِ مِنَ الثَّرِيدِ وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بِمِثْلِهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ قَالَ بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ))

[مسند البزار عن عبد الله بن مسعود]

يعد حين، الآن أنتم بخير، لعل الصحة تكون في الاعتدال في الطعام والشراب.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال:

((اشْتَرَيْتُ بِدِرْهَمٍ مِنَ الْمَهْزُولِ، وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِدِرْهَمٍ سَمْنَاً فَأَرَدْتُ أَنْ يَتَرَدَّدَ عِيَالِي عَظْماً عَظْماً فَقَالَ عُمَرُ مَا اجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ إِلَّا أَكَلَ أَحَدَهُمَا))

[ابن ماجه عن ابن عمر]

اللحم مادة مفيدة دسمة، والسمن مادة مفيدة دسمة، أما لحم وسمن بآن واحد ؟

((مَا اجْتَمَعَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ إِلَّا أَكَلَ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ خُذْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَنْ يَجْتَمِعَا عِنْدِي إِلَّا فَعَلْتُ ذَلِكَ))

[ابن ماجه عن ابن عمر].

أحياناً أكلات دسمة، ثلاث أكلات دسمة، يجب أن تأكل واحدة دسمة فقط.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١٣-١١٦) : كتاب القضاء - الترهيب من تولي السلطنة والقضاء والإمارة سيما لمن لا يثق بنفسه وترهيب من وثق بنفسه أن يسأل شيئا من ذلك -١

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعور بالمسؤولية يتنامى مع الإيمان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ فالإمامُ رَاعٍ ومَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ والرجلُ رَاعٍ في أهله، وهو مَسئولٌ عن رَعِيَّتِهِ والمرأةُ في بَيْتِ زَوجِها رَاعية وهي مَسؤولة عن رَعيَّتها والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ))

[متفق عليه عن ابن عمر]

أيها الأخوة، كلما نما الإيمان في القلب نما معه الشعور بالمسؤولية.

سيدنا عمر يقول: " والله لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها لِمَ لمْ تصلح لها الطريق يا عمر؟".

فالمسؤولية، أو الشعور بالمسؤولية أن الله سيسأله يتنامى مع الإيمان، فكلما ضعف الإيمان ضعف مع ضعف الإيمان الشعور بالمسؤولية، وكلما نما الإيمان بالقلب نما معه الشعور بالمسؤولية، تبدأ من الأب، الأب مسؤول عن أولاده، الأبوة مسؤولية، لو أن أباً ميسور الحال، امتنع عن تزويج ابنه، وسقط الابن في فاحشة الزنا، فالأب مسؤول عنه، لو أن أباً أنجب بنتاً، ولم يعرفها بربها، ولم يحملها على طاعة ربها، أهمل شأنها فتفلتت، كل انحرافاتها في صحيفة أبيها، وعلى هذا فقس.

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ)

(سورة يس)

أثر أي عمل إهمال في الصنعة، نتج عنه حادث، إنسان ركّب شيئاً على السطح ولم يحكم تركيبه، وقع في أيام الرياح فقتل طفلين بتن وصبي، مسؤول عن هذا العمل.

فالإنسان إذا عرف الله عز وجل، وعرف أن الله سيحاسب استقام في حياته، أنت في دار ابتلاء، أنت في دار امتحان، أنت مكلف، الكون بأكمله مسخر لك، مُنحت العقل، مُنحت التشريع، مُنحت الفطرة، مُنحت الآيات الدالة، فالآيات، والعقل، والفطرة، والكون المسخر، هذا كله من أجل أن تشعر بالمسؤولية، فالأب مسؤول، طبيب أهمل مسؤول، مهندس أهمل البناء سقط مسؤول.

كلما ارتفع مقام الإنسان اتسعت دائرة مسؤوليته:

الإنسان إذا نما إيمانه ينمو مع إيمانه الشعور بالمسؤولية، لا يوجد إنسان ليس له ولاية على أحد، هل هناك أقل من خادم ؟ هذا الخادم أمين على مال سيده، هل هنلك أقل من زوجة في البيت ؟ هي راعية لبيت زوجها وأولادها، مسؤولة عن سلامة هذا البيت، عن تربية الأولاد.

فالتفلت أساسه ضعف الإيمان.

الإنسان من طبعه الهروب من المسؤولية، والآن أكثر الناس يلقون بأخطائهم على غيرهم، يحاول أن يلقي خطأه على غيره، وبعض المتدينين يلقي هذا على القضاء والقدر، كل أخطائه و يقول: الله يريد هذا، هذا ترتيب سيدك، أخطاؤه، ونتائج أخطائه الوبيلة يرميها على الله عز وجل، ويتوهم أنه نجا، لا لم ينجُ، الإنسان مسؤول، وكلمة مسؤول أحياناً الإنسان يترنم فيها، أنا مسؤول كبير، لو عرف معناها لوقع مغشياً عليه.

أنا معلم أحاسب عن صفي، عن ثلاثين طالباً، أما مدير المدرسة يحاسب عن سبع و عشرين شعبة، فيجب أن تكون إدارته حازمة، يتفقد شؤونه تماماً، يرعى المدرسين، يتفقد أحوالهم ويتابعهم، ويتابع الطلاب، وغياب الطلاب، أحياناً الطالب يغيب أسبوعين، ينحرف أخلاقياً، وعند أهله هو بالمدرسة، إن لم يكن هناك متابعة مع الأهل المدير مسؤول، لأنه مدير هو محاسب عن سبع و عشرين شعبة.

أما مدير منطقة محاسب عن محافظة بأكملها، أما وزير التربية محاسب عن التربية بالقطر في كل البلد.

كلما ارتفع مقامك اتسعت دائرة مسؤوليتك، فالأب مسؤول عن كل أولاده، أما الابن مسؤول فقط عما استُعمل، كلفه بعمل، يحاسب عليه.

لذلك سيدنا عمر بن عبد العزيز، دخلت عليه زوجته، رأته يبكي في مصلاه قالت له: مالك تبكي ؟ قال: دعيني وشأني، قالت له: ما لك تبكي ؟ قال: دعيني وشأني، في المرة الثالث، قال: نظرت إلى الفقير البائس، واليتيم، والرجل المسكين، والكبير، وذي العيال الكثيرة، وابن السبيل، ذكر أكثر من عشرين صنفاً، فعلمت أن الله سيحاسبني عنهم جميعاً، وأن خصمي دونهم رسول الله، فلهذا أبكي.

الإيمان بالقضاء والقدر لا يلغي المسؤولية:

إذاً كلما تنامى الإيمان، كلام سيدنا عمر ليس للتسلية، يقول: " لو تعثرت بغلة في العراق ـ هو في المدينة، أما العراق تحت ملكه، ليس إنساناً بقي بلا طعام، ليس إنساناً مظلوماً، لا ـ لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها، لِمَ لمْ تصلح لها الطريق يا عمر ؟".

اجعل هذه المقولة مقياساً، واعلم أن الله سيسأل كل راع عما استرعاه، معلم ما درس، طبيب ما اهتم، كم إنسان يموت بالمستشفيات بقسم الإسعاف من تأخر الطبيب ؟ يمكن أن يسعفه، يمكن أن

يعطيه صدمة كهربائية ويعيش، يقول لك: هذا انتهى أجله، انظر، الإيمان بالقضاء والقدر لا يلغي المسؤولية، والدليل:

(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ)

(سورة النور الآية:١١)

إذاً معنى الإفك خير.

(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

(سورة النور)

الشيء حينما يقع هذا قضاء وقدر، ولكل واقع حكمة، أما أن يكون لكل واقع حكمة لا يعفي الذي سببه من المحاسبة، طبيب أهمل المريض فمات، هذا لا يعفيه من المسؤولية، انتهى أجله، هذا أجله ليس له علاقة، لكن كان من الممكن أن يعيش لو أسعفه.

الدين شعور بالمسؤولية:

فالإنسان إذا فكر، أحياناً مهندس لا يحضر صب السقف، العمال جهلة، يمشون العجلات على الحديد، يأخذ موقعاً آخر غير موقعه، يكون موقعه بالأعلى فيصبح بالأسفل، فتختلف وظيفته، عندك حديد للشد، وحديد للحمل، اختلفت وظيفته، وقعت الشرف، ذهب ضحيتها خمس فتيات، مسؤول، بناء سقط، مريض مات، طفل انحرق، كثير من الحالات سببها عدم الشعور بالمسؤولية.

بدءاً من البيت، أب مهمل، أم مهملة، حتى في الأمور المادية، أي صناعة غير متقنة أحياناً تسبب الموت، أحياناً يكون هناك أسطوانات غاز غير متقنة، هناك إهمال أثناء التعبئة، لا يوجد إتقان في العمل فيتسرب الغاز فيُحدث انفجاراً، تمديد الكهرباء فيه مسؤولية أيضاً، مثلاً هناك وصلة داخلية ضمن التيب غير متقنة، يحدث احتكاك فيعمل حريقاً، إذا عليك أن تحاسب نفسك أن كل شيء تفعله تحاسب عليه، هذا الحديث شامل، حديث واسع جداً، أنت لك هوية، ولك موقع، هويتك طالب، محاسب، هويتك أب، الهوية أم، الهوية معلم، الهوية تاجر، الهوية يعمل في خدمات معينة، مثلاً القصة وقعت في الشام: إنسان شكّ بسلوك ابنته، توهم أنها حاملة من الزنا، لا يوجد عنده حل إلا أن يعمل لها تحليلاً، فذهب إلى المخبر لإجراء تحليل لها، و في المخبر وقعت الزجاجة من يد موظف العينة وانكسرت، خاف من معلمه، فكتب: النتيجة إيجابية، أي يوجد حمل، جاء الأب ثاني يوم، قال له: مبروك حامل، فذبح ابنته في اليوم الثاني، و البنت بريئة، ذُبحت لأن التحليل فيه خطأ، آلاف القصص، المخبر مسؤول يحاسب كقاتل.

طبيب بمصر أعطى وصفة دواء لطفل صغير، و لأنه مستعجل أعطاه عياراً يعطى لإنسان كبير، طبيب بمستوصف عام، بعد أن كتب الوصفة لم يأخذ اسم الأب، ولا اسم الابن، وبعدما غادروا ـ يبدو أن الدواء فعال وله تأثير خطير، والعيار الكبير يقتل الصغير ـ شعر هذا الطبيب بالمسؤولية،

توجه للتلفزيون وبلغهم أنه أنا بالمستوصف الفلاني، وصفت وصفة لطفل، وإذا أخذ هذه الجرعة يموت فوراً، بلغوا، فعلاً قطعوا البرامج، وبلغوا مصر كلها، ومن فضل الله أن الأب وصل له الخبر، إذاً ضحى هذا الطبيب بسمعته، لكنه أنقذ طفلاً، هذا الشعور، بكل حرفة يوجد مسؤولية.

أحياناً مادة غذائية غالية الثمن، يضع لها مادة مسرطنة، ليحفظ العلبة من الانتفاخ إن لم تباع، و هذه المادة هي بنزوات الصوديوم، مسموح بواحد بالألف فيضع ثلاثة بالألف، لماذا ؟ حتى يضمن عدم فسادها إن لم تباع، هذه مسؤولية كبيرة، ليبيع الطحينة فاتحة، وأغلى بعشر ليرات، يضع اسبداج، سيحاسب، يحاسب حساباً عسيراً، هؤلاء الناس في رقبة هذا الذي يصنع الغذاء، هناك غذاء مسرطن، مواد منتهية المفعول، دواء مفعوله منته.

من أدخل في حساباته محاسبة الله له عاش في سعادة كبيرة:

الدين شعور بالمسؤولية، لو الناس تدينوا جميعاً نعيش حياة في منتهى السعادة، كل واحد يعرف حدوده، كل واحد يدخل في حساباته محاسبة الله له، وهناك أخطاء في الصناعات الغذائية لا يعلمها إلا الله، أخطاء فاحشة.

يجوز أن تستغربوا، إذا باع الإنسان مئة فروج و كان عشرة منهم قد ماتوا قبل الذبح، يأتي إنسان فقير يشتري هذا الفروج، و هو بغاية السعادة أنه اشترى لأهله فروجاً ليأكلوا، هو لا يعلم أن الفروج كان ميتاً قبل أن يذبح فحرام أكله، ومعنى حرام أن فيه ضرر كبير، أحياناً المخبز في الليل لا يوجد فيه اهتمام، فالفران سيحاسب، أي صانع غذاء سيحاسب.

طبعاً الضبط البشري جيد لكن لا يمكن أن يؤدي الهدف، إذا عندك عشرة ملايين مواطن تحتاج إلى عشرة ملايين شرطي، ويجلسون معهم أيضاً، هذه مستحيلة، فلابد من أن ننمي الشعور بالمسؤولية.

قال له: بعني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال له: ليست لي، قال له: قل لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب، قال له: ليست لي، قال له: خذ ثمنها، قال له: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله ؟!.

أحياناً تقع فأرة في تنكة الزيت عند السمان، الزيت أصبح نجساً، يمكن استعماله للصابون، أما يباع على أنه زيت بلدي ؟ مستحيل !.

هذا موضوع المسؤولية، فلن تستقيم حياتنا إلا إذا أحسسنا بالمسؤولية، الإنسان أحياناً يؤوي إلى فراشه، يشعر أنه لم يوقع الأذى بأي إنسان، يحاسب نفسه حساباً دقيقاً، يتلف مادة مؤذية، فينام مرتاح البال.

الآن يمكن أن يكون عند الصيدلي دواء انتهى مفعوله فيحك محل الصلاحية و يبيعه، الدواء ثمنه ثلاثمئة ليرة، هو حلّ مشكلته، لكن عند الله وقع، وقع وبدأ الحساب.

والله أنا من يومين سمعت خبراً، شخص بإمكانه أن يصحح خطأه فلم يصححه، نُصح، استمرأ الانحراف، وإيذاء الناس، البارحة توقفت كليتاه عن العمل، الآن دخل في سلسلة جديدة، دخل بمتاهة، دخل للشقاء في الدنيا.

من هان أمر الله عليه هان على الله:

تبني ثروتك على أنقاض الناس ؟ تبني عزك على إهانتهم ؟ تبني مالك على ابتزاز مالهم ؟ وتنسى أن هناك إله يحاسب ؟

أقول لكم: من هو الأحمق ؟ الأحمق الغبي الذي يتجاهل وجود الله، يظن نفسه قوياً، الأمر سهل عليه.

قال طبيب لآخر بالضبط: ـ هذه سمعتها من ثلاثة أيام، يتفق طبيب مع مخبر ـ أول ثلاثة تحاليل لا تعملهم، الأجرة مناصفة، تبدأ من الرابع.

يأتي المريض لعند الطبيب، فيقول الطبيب له: أنا لا أثق بهذا المخبر، تذهب لعند فلان، وعند فلان يوجد ثلاثة تحاليل خلبيات و الطبيب له النصف، كل يوم عنده حساب دقيق، بعثت لك التحليل الفلاني أين أجرته ؟.

هذا نموذج، و بالمهندسين هناك نموذج آخر، و بالمدرسين نموذج ثالث، مثلاً المدرس يأتي بأسئلة صعبة فيخلق مليون مشكلة بالبيوت، يضع صفراً أو واحد، الأب يضرب ابنه فتنشأ مشكلة، حتى يؤمن لابنه دروساً خصوصية، يعمل امتحاناً خلبياً غير معقول.

فهؤلاء الناس هكذا يعيشون، لماذا هان الناس على الله ؟ لماذا هانت كرامتهم على الله ؟ لماذا هانت حياتهم على الله ؟ لماذا هناك ضائقة شديدة جداً ؟ لانعدام الإحساس بالمسؤولية، فالإنسان إذا أدى عمله كاملاً، وخاف من الله، فله عند الله حساب خاص و إكرام خاص.

يجب أن تتعامل مع الله، يجوز أن يكون القانون لطرفك، مثلاً المستأجر قوي جداً ببلادنا بحسب القوانين، و مالك البيت لا يستطيع شيئاً.

أعرف شخصاً ثماني سنوات بالمحاكم، استطاع أن يؤمن محامياً قوياً جداً، وانتزع البيت من امرأتين عوانس، و البيت موردهما الوحيد، انتزعه منهم، واشتراه، و وقع العقد، بعد ثلاثين يوماً توفاه الله، فلقي الله مغتصباً.

فوق الأرض يوجد قوانين، لكن تحت الأرض لا يوجد قوانين، يوجد شرع، فأنت لا تستطيع أن تحتج بأي مادة قانونية في القبر، تحتج بها في النهار، وأنت على سطح الأرض، أما تحت الأرض لا تحاسب إلا وفق الشرع، الاغتصاب اغتصاب.

وسائل الغش لا تعد و لا تحصى و العاقل من تجنب الحرام:

لذلك أخواننا الكرام، هذا الحديث مهم جداً ؛ بدءاً من الطفل الصغير يجب أن يشعر أن هذه مشكلة، تجد أحياناً شخصاً يجن، ضغط، ضغط، ضغط، يختل توازنه، عنده أسرة، تصور أسرة الأب في مستشفى الأمراض العقلية و لا يوجد أي دخل آخر لها فانحرف الابن.

أعرف شخصاً ظُلم، فقد حريته، فانحرف ابنه انحرافاً شديداً، هذا الذي ظلمه، وحرمه من حريته، ومن بقائه مع أهله، وانحرف ابنه، انحرافه بصحيفة من ؟ عندما انحرف الابن أخلاقياً حرف معه مئة، هذا الواحد سبب انحراف مئة لأن الأب كان غائباً، والأب بوضع لم يؤدِ العقوبة بشكل عادل، فنشأ مشكلة، لو تتبعت مشاكل الناس لوجدت مليون مأساة سببها عدم الشعور بالمسؤولية.

موظف بالمالية، ضع عليه هذه الضريبة، مات بالجلطة فوراً، من أسبوع شخص بلغوه بالضريبة المترتبة عليه فمات فوراً، سبعة ملايين باع بيته ثمنه بسبعة ملايين ليدفع ما ترتب عليه.

أحياناً تنشأ مشكلات، ترتكب جرائم، بسبب شيء فيه قهر للإنسان، من هو الملك ؟ الذي ينام في الليل على وسادته، لم يسبب أي أذى لأي إنسان، مبدئياً اترك الإحسان، الإحسان درجة ثانية، قبل أن تحسن لا تسيء، لأنك أنت ما جمعت مالك من حرام، ما جمعت مالك من غش، ما غششت الناس، و هذا أقل شيء.

يمكن أن تبيع خيطاً مستعملاً سابقاً، هناك ألبسة كاسدة ببلاد أوربا تفرم وتغزل مرة ثانية، هذا الخيط لا يوجد به قوة أبداً، تلبس الجوارب ثلاث مرات فيتمزقون، أخذ ثمنه ما يقدر بثمانين أو مئة ليرة على أساس أنه من الصوف، موظف دخله محدود، اشترى الزوج فكانت الخيوط مستعملة سابقاً، لبسه فمزق، هو ربح، الذي عنده معمل ربح، حقق ربحاً كبيراً، إذاً هناك وسائل للغش لا يعلمها إلا الله.

جمع الثروة على حساب أخلاق الشباب خسارة كبرى:

الناس يظنون أنهم ينفذون من الله، لا ينفذون، الله عنده فشل كلوي، عنده خثرة بالدماغ، عنده سوء عمل دسام، عند ألف عمل للذي يكسب ماله بالحرام.

أنا أعرف طالباً كان عندي من عشرين سنة، قال لي: لي خال صاحب سينما بالأربعينات صار معه سرطان، عندما دخلت عليه صار يبكي، قال له: أنا جمعت خمسة ملايين ـ القصة بالستينات ـ

حتى أتنعم بهم بحياتي، فلم أفلح، لأني جمعتهم على حساب أخلاق الشباب، كلما كان الفيلم فيه مناظر مثيرة أكثر عليه رواج أكثر، فكان همه أن تكون الصالة مليئة بالحفلة، فجمع الثروة على حساب أخلاق الشباب، الله عز وجل أخذه، أخذه بأوج حياته.

أنا لا أقول لكم أن تنفقوا أموالكم، قبل إنفاق المال، قبل العمل الصالح، قبل الدعوة إلى الله، يجب ألا تكون سبباً بإيذاء إنسان، لا بصحته، ولا بكرامته، ولا بحريته.

مثلاً في مخافر الشرطة هناك ظالم و مظلوم، الظالم يرشي، فالمظلوم فوق مشكلته يعاقب بشدة، يقول: أعطانا خمسمئة ليرة، و هو لا يعرف ما سيأتي أمامه، هذا أمامه عقاب شديد.

عدل ساعة يعدل أن تعبد الله ثمانين عاماً.

درء المفاسد مقدم على جلب المنافع:

إذاً: المفروض أن يكون الإنسان دقيقاً قبل أن يعمل أي عمل صالح، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، قبل أن تعمل عملاً صالحاً، اضبط أمورك، أتقن عملك، كن أباً صالحاً، لا تعطي شيئاً مؤذياً، لا تبع بيعة غير صحيحة، لا تتعامل بمادة غير جيدة.

والله هناك أخ من أخواننا أنا أكبره جداً، عنده معمل لصناعة غذائية، يقول لي: أتصور الأولاد كأنهم أولادي، قال لي: والله أحسن زبدة، أحسن فانيليا، أحسن شوكولا، لا نشتري إلا أحسن نوع، لأن هذا الطفل أخذ من أبيه عشر ليرات كي يشتري بها، هل تطعمه مادة مؤذية ؟ هل تطعمه مادة منتهية المفعول ؟ هذا مسلم، الذي عنده هذا الإحساس داخله لن يخسر أبداً، قال لي: والله على حساباتنا لا نربح، لأن المنافسين يضعون مواد سيئة جداً، على الحسابات لا نربح، لكن نربح، والله يطرح البركة، ونعطي.

فقط على الإنسان أن يحاسب نفسه، قبل أن تعمل عملاً صالحاً، يجب ألا يكون لك عمل سيء، لأنك بسبب هذا العمل لا تنام الليل و قد آذيت إنساناً، لا تنام و قد تسببت بمشكلة لإنسان، لا تنام وقد أفسدت، لأن هناك مليون عمل أساسه الفساد، أحياناً ببضاعة كلها محرمة، أساس البضاعة فيها فساد، أجهزة كلها أجهزة فساد.

أنا أعرف سوقاً بأكمله كان يبيع الدولات، أصبح يبيع الصحون، طبعاً الصحون التي فوق الأسطح، سوق بأكمله انقلب إلى بيع الصحون، هذا أربح، طبعاً أربح لكن فيه مسؤولية كبيرة.

فالقصد اليوم ألا تعمل عملاً فيه فساد، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسؤْولٌ عن رَعِيَّتِهِ فالإمامُ رَاعٍ ومَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ والرجلُ رَاعٍ في أهله وهو مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ والمرأةُ في بَيْتِ زَوجِها رَاعيةٌ وهي مَسؤولَةٌ عن رَعيَّتِها والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ))

[متفق عليه عن ابن عمر]

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة:

عن أبي ذر رضي الله عنه:

((قلتُ: يا رسولَ الله، ألا تَسْتَعْمِلُني ؟ ـ أي عينّي في منصب ـ قال: فضَرَبَ بيدِهِ على مَنْكِبي ـ تحبباً ـ ثم قال: يا أبَا ذرٍّ، إنَّكَ ضَعيفٌ، وإنَّها أمَانَة، وإنـها يومَ القيامةِ خِزيٌ وَنَدَامَة، إلا مَنْ أخذَها بحَقِّها، وَأدَّى الَّذِي عليه فِيهَا))

[رواه مسلم عن أبي ذر]

أي عمل قيادي ولو على عشرة أشخاص مسؤولية كبيرة أمام الله يوم القيامة ، لعله قصر في حقهم، لعله حاب بعضهم، لعله غفل عن حقوقهم، لعله ما أحسن قيادتهم ، لعله انحاز إلى بعضهم.

((وإنـها يومَ القيامةِ خِزيٌ وَنَدَامَة))

الإنسان لو يعلم كم هو مسؤول لو ولي أمر عشرة، بالخدمة الإلزامية عريف له حساب خاص، كلما ارتفعت في منصب كلما كانت المسؤولية أكبر.

(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤))

(سورة الصافات)

سيدنا عمر كتب كتاباً لأحد الولاة قال له: " خذ عهدك، وانصرف إلى عملك، واعلم أنك مصروف رأس سنتك، وأنك تصير إلى أربع خلال، أولاً: إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدلناك لضعفك، وسلمتك من معرتنا أمانتك، وإن وجدناك خائناً قوياً استهنَّا بقوتك، وأوجعنا ظهرك، وأحسنَّا أدبك، وإن جمعت الجرمين ـ الضعف والخيانة ـ جمعنا عليك المضرتين، وإن وجدناك أميناً قوياً زدناك في عملك، ورفعنا لك ذكرك، و أوطأنا لك عقبك "، أخذ من قوله تعالى:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦))

(سورة القصص)

هذه واحدة، فالإنسان لا يفرح بمنصب قيادي لأنه في حساب شديد، والله لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها، لِمَ لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟ طبعاً المنصب القيادي له ميزات، وعليه

تبعات، لو نظرت إلى تبعاته لزهدت في ميزاته، لو نظرت إلى تبعاته، وشدة المسؤولية، والحساب الشديد، لزهدت في ميزاته.

" من ولي أمر عشرة فلم يحسن ولايتهم لا يروح رائحة الجنة ".

طبعاً العدل أساس، الحكمة أساس، الرحمة أساس، الإنفاق أساس، الاهتمام ، التفقد.

الإمام العادل له شأن كبير عند الله لأنه حقق العدل وقرب الناس إلى الله:

حديث آخر: قال رسول صلى الله عليه وسلم:

((ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهم: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ـ لك عند الله دعوة مستجابة ـ والإِمَامُ العادلُ، ودعوةُ المَظْلُوم))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

الإمام العادل له عند الله شأن كبير، لأنه حقق العدل، العدل هو الله، فكل إنسان يقيم العدل يحقق هذا الكمال الإلهي، يقرب الناس إلى الله، وكل إنسان يفعل خلاف العدل يبعد الناس عن الله، الله هو العدل.

الأحاديث دقيقة جداً منها:

((يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً))

[أخرجه الطبراني عن ابن عباس]

إذا كل يوم ثلاثين ميلي ضرب أربعين، إذا إنسان مجرم أعدم في ساحة عامة وكان عبرة للناس، هذا الحد الذي يقام في مجتمع أفضل من مطر أربعين يوماً، لأن فيه ردع للآخرين، قال تعالى:

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)

(سورة البقرة الآية: ١٧٩)

أنا أذكر قصة عن سبعة أو ثمانية أشخاص ذهبوا إلى صائغ بالنبك، أو بيبرود، وأخذوه بالقوة، وأخذوا منه الذهب ـ يقدر بستة عشر كيلو ـ، وقتلوه، في أقل من أسبوعين كشفوا وشنقوا كلهم، بنفس ساحة يبرود.

إقامة العدل شيء مريح، الناس ترتاح كثيراً، هكذا يقول عليه الصلاة والسلام:

((يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحاً))

[أخرجه الطبراني عن ابن عباس]

العبادة نوعان: مطلقة ومقيدة:

هناك حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام:

((أَحَبُّ النَّاسِ إلى الله يوم القيامة وأدْنَاهُمْ منه مَجْلِساً: إِمَامٌ عَادِلٌ، وأبغَضُ النَّاسِ إلى الله تعالى، وأبعدهم منه مجلساً: إِمَامٌ جَائِرٌ))

[أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

هناك نقطة مهمة، نحن عندنا عبادة مقيدة، وعندنا عبادة مطلقة، العبادة المطلقة أفضل، أنت من ؟ أنت إنسان بمنصب معين، مدير ناحية، عندك خمس قرى تحت إشرافك، ما هي عبادتك ؟ السهر على مصالح هؤلاء الناس، إقامة العدل فيما بينهم، الحرص على مصلحتهم، الحرص على مصالحهم، أنت من أنت ؟ أنت غني، ما عبادتك ؟ إنفاق المال ، أنت من ؟ عالم، ما عبادتك ؟ إلقاء العلم، أنت من ؟

تحتل منصباً معيناً، ما عبادتك ؟ إحقاق الحق، أنت امرأة ما عبادتك ؟ رعاية زوجك وأولادك فقط، هذه أرقى عبادة، فكل إنسان له هوية، مهندس، طبيب، معلم، أنت معلم العناية بطلابك، طبيب العناية بالمرضى، الله أقامك طبيباً، التقرب إلى الله بإتقان عملك، وخدمة المسلمين، الله أقامك معلماً العناية بالطلاب، فأول عبادة أن تحقق المقام الذي أقامك الله به، أن تتقن المقام الذي أقامك الله به.

لذلك قالوا: " العدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن، والورع حسن لكن في العلماء أحسن ".

كل إنسان له هوية، إمام، عالم، غني، فقير، شاب، امرأة، أرقى عبادة للشاب غض بصره عن محارم الله، أرقى عبادة للغني إنفاق ماله، أرقى عبادة للمرأة الحياء والتستر، أرقى عبادة للفقير الصبر، والتدبر، أرقى عبادة للأمير العدل.

كل إنسان له عند الله هوية عليه أن يقيمها حق القيام:

الآن يوجد شيء ثانٍ: أقامك بمقام وضعك في ظرف طارئ، أبوك مريض أرقى عبادة العناية بالأب، ابنك يريد أن يتزوج أرقى عناية أن تعاونه، عندك هوية وظرف، فإذا أقمت مقامك بشكل متقن فهذه عبادة، وإذا استعملت الظرف بشكل متقن هذه عبادة أيضاً، هذه العبادة المطلقة.

أنا أضرب مثلاً قريباً، أم تستيقظ الساعة الثالثة بالليل، وتصلي قيام الليل، وتقرأ القرآن، وتتهجد، وعندها خمسة أولاد، الساعة السادسة تعبت، فذهبت إلى النوم، و قبل أن تذهب قالت لأولادها:

دبروا حالكم، لبسوا ثياباً غير متقنة، لم يأكلوا، أخذوا معهم سندويش، ذهبوا إلى المدرسة بوضع مذري، بمقياس الشرع هذه الأم لو لم تصلِ قيام الليل، واعتنت بأولادها لكانت أقرب إلى الله مما هي عليه، لو لم تصلِ، طبعاً الفرائض فرائض، لو صلت الفجر فريضتها، واعتنت بأولادها، أطعمتهم، وراقبت هندامهم، وأوصتهم، واعتنت بهم، لكانت أقرب إلى الله من قيامها بالليل، وإهمالها لأولادها.

وكل إنسان له عند الله هوية يجب أن يقيمها حق القيام، لذلك:

((أَحَبُّ النَّاسِ إلى الله يوم القيامة وأَدْنَاهُمْ منه مَجْلِسا: إمَامٌ عَادِلٌ، وأبغَضُ النَّاسِ إلى الله تعالى، وأبعدهم منه مجلساً: إمَامٌ جَائِرٌ))

[أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

العاقل من حاسب نفسه حساباً شديداً قبل أن يلقى الله عز وجل:

و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أيضاً:

((أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً، أو قتله نبي، أو إمام جائر))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

أحياناً تجد موظفاً يضع لك ضريبة لم يأمره أحد بذلك، من عنده، ثمانمئة ألف لا يملك قرشاً منهم، ماذا عملت معه و مع أسرته ؟ في حالات كثيرة تأتيه جلطة فيموت فوراً، لأن الضريبة فوق طاقته، هو يستطيع أن يخففها، يستطيع أن يفهم الأمر بشكل دقيق، يوجد حساب دقيق، إله عظيم، سوف يحاسبك على أنفاسك، وعلى خطراتك، وعلى حركاتك وسكناتك، إنسان تدمره وأنت لست مهتماً ؟ أحياناً كذب، إنسان من أجل ألف ليرة صار له ثلاث سنوات، أليست هذه جريمة ؟ قضية مدنية، انتبه له، انظر من يوجد عندك، من نسيته، هذا كله له حساب دقيق، فإذا وصل أحدنا إلى منصب صغير، أي منصب معلم مدرسة، مدير ناحية، أي منصب أمامه حساب طويل.

" من ولي أمر عشرة فلم ينصحهم ـ هناك عدة روايات ـ لم يرح رائحة الجنة "، أمر عشرة، أي عريف، لا يوجد أقل من عريف بالخدمة الإلزامية، عندك عشرة أنفار لك حساب خاص.

((أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي أو إمام جائر))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

((مَنْ طَلَبَ قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غَلَبَ عَدْلُهُ جَوْرَهُ، فلَه الجنة، وَمَنْ غَلَبَ جَورُه عَدلَه، فله النار))

[أخرجه أبو داود عن أبي هريرة]

قال له بالهاتف: يا بني الحق معك، أنا مقتنع أن هذا البيت لكم، لكن خصمك دفع لي ثلاثمئة ألف، تدفع لي مثلهم حتى أحكم لك بالبيت، أنا خطر في بالي هذا الإنسان لو عمل أي عمل آخر لكان يوم القيامة أشرف عند الله، أنت قاض ! ما دمت مقتنعاً أن البيت له، كيف تقول له: دفع لي خصمك ثلاثمئة ألف، ادفع لي مثلهم لأحكم لك ؟.

العدل يقرب الإنسان من الله عز وجل:

لذلك في آخر الزمان:

((قاضيان في النار وقاض في الجنة))

[أخرجه الحاكم عن بريدة بن الحصيب]

وفي تعبير للحديث: قاضيان إلى النار، وقاضٍ إلى جهنم، لم يعد هناك أحد، فقضية أن يكون لك عمل معلق بالجماعة، معلق بالأمة، تحتاج إلى حساب شديد جداً.

((دَخَلَت امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ: ربطتها))

[أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر]

دقق، لماذا هرة ؟ إذا كان هرة يقتضي الدخول إلى النار فكيف بغيرها ؟ حديث صحيح:

((دَخَلَت امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ: ربطتها، فلم تُطعِمها، ولم تَدَعْها تأكُل مِن خَشَاشِ الأرض))

فأنت لك عمل صغير، لا تبتعد، إذا لم تعدل بين أولادك ضمن الأسرة دعك ضمن الأسرة، إذا لم تعدل بين موظفيك، إذا لم تعدل بين ابنتك وصهرك، تأتي البنت وتتكلم على كيفها، لا تكلف خاطرك تسأل صهرك ماذا فعلت لك ابنتي ؟ أبداً، كل الحق على الصهر، وابنتك صادقة، فلم تكن عادلاً، كنت ظالماً، أنت الآن قاضٍ، ولو لم تكن قاضياً، لكنك الآن قاض، فما سمعت الطرف الثاني.

ساعة عدل أفضل من عبادة ستين سنة:

قضية العدل، لأن الله عادل، وساعة عدل أفضل من عبادة ستين سنة، ستون سنة عبادة قيام ليل وصيام نهار، ساعة عدل واحدة، اعدلوا بين أولادكم حتى في القبل، اعدلوا بين زوجاتكم، هذا الذي عنده زوجتين، تجد إنساناً ظالماً، واحدة جالسة بأرقى بيت، وأحلى معاملة، وكل الوقت معها، وكل سفرة يأخذها معه، والزوجة الثانية مهملة درجة عاشرة، لا أكل، ولا شرب، ولا اهتمام، ولا زيارة.

أنا أذكر مرة بنتاً زارت أباها في المصيف في العيد، أعطاها خمسمئة ليرة، وقال لها: لا تطيلي المكوث ـ لأن عنده زوجة ثانية ـ الزوجة الثانية سيأتي بناتها بعد حين، فقال لابنته: لا تطيلي المكوث هذه خمسمئة واذهبي، أما الثانية فقدم الغداء لبناتها على أرقى مستوى، هو يريد أن يرضي

زوجته الجديدة، إذا كان يريد أن يبقيها معه مع زوجها ستعمل له زوجته الجديدة مشكلة كبيرة.
ظلم، دعنا بالأسر فقط، ببيوتنا لا تبتعدوا، ضمن البيت تجد بنتاً مظلومة، أحياناً بنت يكون زوجها غنياً، تجده محترماً، والبنت الثانية زوجها أقل، لا يهتموا بها، ولا بأولادها، هذا سلوك الآباء، هناك حساب شديد، يجب أن تراعي العدل بين بناتك، جاءت لعندك هذه عزمتها، تعزم الثانية، أما لهذه العزيمة و كيف حالك ؟ والله يعطيك العافية، و الثانية لا تنتبه لها إطلاقاً لأن زوجها فقير، هناك أناس يفعلون هكذا، فأنت ضمن الأسرة عندنا ظلم، ضمن البيوت عندنا ظلم، بين الصهر والبنت، بين البنات، بين الأولاد، تجد ابناً أخذ كل الثروة، وعشرة أولاد لا يملكون ليرة !! لا يوجد عدل ، ولد بهلول يحابي أباه فيعطيه كل شيء، وأخوته في ضائقة مادية.

من حاب إنساناً على حساب إنسان أخر وقع في غضب الله عز وجل:

فالعدل هو الذي يقربك من الله عز وجل، ولو في القُبل، أحياناً يكون في البيت ولدان، أحدهما بشرته بيضاء و ذكي، والثاني ليس سيئاً، تجد الاهتمام بهذا، والتقبيل ، والاحترام، وتجد الثاني مهملاً، يتعقد، يصبح عنده مشكلة كبيرة.

كان رسول الله يضع على رجله اليمين أسامة بن زيد، أسود أفطس، وعلى رجله اليسار الحسن، وكان يشبهه، أزهر، كان يضمهما، ويقبلهما ويقول:

((اللهم إني أحبهما فأحبهما))

[الترمذي وابن حبان عن أسامة بن زيد]

أين مكانتك بالعدل ؟ حتى بالنظر، تجد شخصاً يهتم بواحد ويهمل الثاني، بجلسة، بمستوى، الله يحاسبك، عينك على واحد تهتم به دائماً، وتهمل الثاني، أنت بمنصب، أنت معلم، مدرس، عندك محل تجاري، عندك ثمانية موظفين، عندك معمل، عندما تحابي واحداً على حساب واحد تقع في غضب الله عز وجل، والأحاديث واضحة.

قال عليه الصلاة والسلام:

((عرض علي أول ثلاثة يدخلون النار، أمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله، وفقير فخور))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة]

فقير فخور، لا يوجد عنده شيء أبداً، لكن عنده كبر لا يعلمه إلا الله.

((أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله وفقير فخور))

الرفق أساس العدل:

آخر حديث، عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي:

((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أمْرِ أُمَّتي شَيْئا، فشَقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ منْ أمْرِ أُمَّتي شَيْئا فرَفَقَ بهم، فارفُق بهِ))

[رواه مسلم عن عائشة]

هؤلاء عباد الله عز وجل، الكلام أوجهه لكل إنسان له منصب، أب ترك خمسة أولاد أيتام، ترك محلاً، هذا المحل ضريبته نصف ثمنه، ما معهم ليدفعوا المبلغ ، فباعوه ضريبة انتقاله كانت نصف ثمنه، إذاً ذهب كله، مشكلة، هذا الذي يقيّم قيمة المحل يتحاسب، لم يأمره أحد أن يكون ظالماً، لكن هذه من عنده، من الصغير تبدأ، فكل إنسان لا يفرح بنفسه، أنا موظف مالية، له حساب شديد إن كان ظالماً، إنسان مات ترك خمسة أيتام، ذهب المحل كله، أين بقوا ؟ من أين يأكلون ؟ يقول لك: هكذا القانون لكن القانون مرن، يمكن أن يكون بالتقييم في رحمة، وهكذا.

فكل إنسان له عمل يمس مجموعة حتى لو ضمن بيته له حساب خاص عند الله

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١٥- ١١٦) : كتاب القضاء : الترهيب من الظلم ودعاء المظلوم وخذله والترغيب في نصرته .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الله عز وجل هو العدل وألزم نفسه بالعدل:

عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال:

((يا عبادي إني حَرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّما، فلا تَظالموا))

[رواه مسلم عن أبي ذر].

الله عز وجل هو العدل، وألزم نفسه بالعدل.

(ۚإنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦))

(سورة هود)

فلذلك الظلم يهتز له عرش الرحمن، والمظلوم دعوته ليس بينها وبين الله حجاب ولو كان كافراً، لأن العلماء قالوا: " إن نصرت المظلوم قد يكون كافراً لا بحسب حاله، ولكن بحسب أسماء الله الحسنى، هو العدل، فإذا دعاه مظلوم ولو كان كافراً استجاب له، دعوته تصل إلى الله من دون أي عقبة، المضطر والمظلوم، المضطر بحسب رحمته، والمظلوم بحسب عدله "، فالله عز وجل قال:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)

(سورة الزمر الآية: ٥٣)

شروط الدعاء:

كما قال تعالى:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦))

(سورة البقرة)

هذه الآية تبين شروط الدعاء المستجاب، يجب أن تؤمن بالله، ويجب أن تستجيب له مطيعاً، حتى ترشد إلى الدعاء المجاب، هذا الأصل في الدعاء، أما المضطر قال تعالى:

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)

(سورة النمل الآية: ٦٢)

من دون شروط، لا يوجد أي شرط، لأن المضطر يسأل الله الرحمة وهو الرحيم، والمظلوم يسأل الله العدل وهو العدل، فبحسب عدله يستجيب للمظلوم ولو كان كافراً، وبحسب رحمته يستجيب للمضطر ولو كان كافراً.

الأحمق من يتجاهل وجود الله عز وجل ويظلم إنسانا:

لذلك كما قال عليه الصلاة والسلام:

((الدُّعاءُ هو العبادة))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن النعمان بن بشير]

الإنسان أحياناً يُدمر بدعوة مظلوم، شركة قد تعلن إفلاسها بسبب ظلم أحد الموظفين، عمل عظيم قد يتلاشى وينتهي بدعوة مظلوم، فالإنسان أحياناً يستهين بدعوة المظلوم، يقول: ادعُ علي لست خائفاً، أما المؤمن ترتعد فرائصه إذا قال له أحدهم: شكوتك إلى الله، ترتعد فرائصه.

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢))

(سورة البروج)

هناك أخت ساكنة عند أخيها، زوجة هذا الأخ تبالغ في إذلال أخته، لدرجة أنه مرة ركلها بقدمه أمام زوجته لتأتي له بكأس ماء، أخته كبيرة في السن، ذهب بسفر إلى حلب، صار له حادث سير فقطعت رجله التي ركل بها أخته من أعلى الفخذ.

الظلم ظلمات، الذي يظلم إنساناً، ويتجاهل وجود الله، أحمق وغبي، الله هو العدل، سيدنا رسول الله أرسل خادم بحاجة وغاب طويلاً، فغضب عليه الصلاة والسلام فلما عاد الخادم قال:

((لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك))

[أبو يعلى عن أم سلمة]

كان معه سواك، ومع ذلك خاف قصاص الله عز وجل.

من ازداد إيمانه ازداد خزفه من الله عز وجل:

كلما ازداد إيمانك ازداد خوفك من الله، وكلما ازداد إيمانك ترى أن كل الخلق عباد الله، وأنه وليهم، وأنه خصمك أمامهم. الباعة أحياناً يتكلمون كلمات أحياناً لا يعرفون قيمتها، الله وكيلك لم نربح منك شيئاً، هل تعرف ما معنى الله وكيلك ؟ توكل الله وهو الذي لا تخفى عليهم خافية، هو العدل، هو الرحيم، هو العليم.

فالإنسان كلما ازداد إيمانه ازداد خوفه من الله.

((دَخَلت امْرَأةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ: ربطتها))

[أخرجه أبو يعلى عن أم سلمة]

هرة، يمكن إنسان يدمر بهرة ؟ نعم.

((في هِرَّةٍ: ربطتها، فلم تُطْعِمها، ولم تَدَعْها تأكُل مِن خَشاشِ الأرض))

الإسلام أخلاق واستقامة وإنصاف وأمانة:

هذا الحديث أيها الأخوة الذي سأرويه لكم لا أرى حديثاً المسلمون في أشد الحاجة إليه كهذا الحديث، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ ؟ ـ مفلس لا يملك شيئاً ـ قالوا: المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع ـ لا يملك شيئاً ـ لا أموال منقولة، ولا غير منقولة، ولا سائلة، ولا جامدة، قال: إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة ـ يصلي ـ وصيام ـ يصوم ـ وزكاة ـ يزكي ـ ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه، أخِذَ من خطاياهم فطُرحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

يصلي، ويصوم، ويزكي، إن أردت أن تقيس على ذلك ويحج، وكل سنة عمرة:

((قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه، أخِذَ من خطاياهم فطُرحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النار))

لذلك الإسلام أخلاق، والإسلام استقامة، والإسلام إنصاف، والإسلام أمانة ، والإسلام صدق، والإسلام عفة، والإسلام رحمة، والإسلام ورع، هذا هو الإسلام، وأي فهم للإسلام على أنه شعائر تؤدى، وصلوات تقام، شهر رمضان يأتي نصوم، ونسهر حتى ساعة متأخرة من الليل، اختلاط، وتفلت، ومتابعة مسلسلات، و سهر للساعة الثالثة حتى نتسحر، وننام، والصبح نصليه بعد الشمس، هذا ليس صياماً، هذا فلكلور، هذا تراث، هذه عادات وتقاليد، أما الصيام عبادة له شأن آخر.

من صام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

الذي يلفت النظر أنه لا يوجد شهر تستهلك فيه المواد الغذائية على الإطلاق كشهر رمضان، مع أن هذا الشهر أراده الله أن يكون شهر تخفيف للطعام والشراب، عملية عكس، كان الطعام من الصباح

وحتى المساء، صار من المساء وحتى الصباح، عملية عكس، يقول لك: والله لا أستطيع أن أصلي التراويح..

النبي قال:

((مَنْ قام رمضانَ إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ وما تأخر))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومالك عن أبي هريرة]

أخواننا التجار يعرفون الدَّين ما أصعبه، الدَّين صعب جداً، إذا عليك حساب ثلاثة ملايين مع إنسان، موقع سندات، ولا تملك قرشاً منهم، جاء لعندك وقال لك: هات الدفتر لأراه، الماضي كله أنساه، أولنا اليوم، هذه قليلة ؟ ثلاثة ملايين ينصرفون عنك، هات السندات لنمزقهم.

فالإنسان إذا صام رمضان إيماناً واحتساباً، وقام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، الله أعطاك فرصة، تلغي حساب الماضي كله، وتعفى من كل حساب سابق، تفتح مع الله صفحة جديدة.

لذلك: لماذا يقول الإنسان بالعيد الله أكبر ؟ فرحاً بهذا العطاء، أنه غفر لك الذنوب كلها، وعدت كيوم ولدتك أمك.

لذلك النبي اللهم صل عليه صعد المنبر فقال:

((آمين، آمين، آمين، فقيل: يا رسول الله، إنك حين صعد المنبر قلت: آمين، آمين، آمين ؟ قال صلى الله عليه وسلم: إن جبريل عليه الصلاة والسلام أتاني، فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له إن لم يغفر له فمتى ؟))

[أخرجه أبو يعلى عن أبي هريرة]

فنحن أمام فرصة، نفتح مع الله صفحة جديدة، أمام فرصة إن صمنا رمضان إيماناً واحتساباً، وقمنا رمضان إيماناً واحتساباً، غفر الله لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر.

الإنسان بالدعاء أقوى إنسان على وجه الأرض لأن الله معه وإليه مصير كل شيء:

كما قال عليه الصلاة والسلام:

((ثلاثة تستجاب دعوتهم: الوالد والمسافر والمظلوم))

[أخرجه الطبراني عن عقبة بن عامر الجهني]

المسافر، والمسافر كان فيما مضى مظنة هلاك، أي أغلب الظن أن المسافر هالك، المسافر مظنة هلاك، فهو في رحمة الله، فالمسافر له دعاء مستجاب، والأب الذي ربى أولاده تربية عالية، وتعب من أجلهم، وأفنى شبابه من أجل سعادتهم، له دعوة مستجابة، وكذلك المظلوم، المظلوم له دعوة.

و هناك مسلمون كثر لا يقدرون هذه العبادة، أنت بالدعاء أقوى إنسان على وجه الأرض، لأن الله معك، والله بيده كل شيء، وإليه مصير كل شيء، و بيده ملكوت كل شيء.

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ)

(سورة هود الآية: ١٢٣)

هو الذي يعطي، هو الذي يمنع، هو الذي يرفع، هو الذي يخفض، هو الذي يمد، هو الذي يمنع، هو الذي يقبض، هو الذي يبسط، هو الذي يعز، هو الذي يذل، أنت بيده، فالإنسان يعتمد على الدعاء. مرة أحد العارفين بالله " إبراهيم بن الأدهم " ذهب إلى سوق البصرة، فقيل له: يا إبراهيم، ما لنا ندعوه فلا يستجيب لنا ؟ قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء، ذكر عشرة أسباب، منها: " أنكم آمنتم بالجنة ولم تعملوا لها، ادعيتم خوفكم من النار فلم تتقوها، قلتم: نحب رسول الله فلم تتبعوا سنته، دفنتم موتاكم فلم تتعظوا، ذكر لهم عشرة أسباب، فلهذا تدعوه فلا يستجيب لكم ".

قانون التولي والتخلي:

و عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إذا تخوف أحدكم السلطان فليقل: اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، كن لي جاراً من شر فلان بن فلان ' - يعني الذي يريد - ' وشر الجن والإنس وأتباعهم أن يفرط علي أحد منهم، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

من بعض الأدعية: يا رب كيف نضام في سلطانك ؟ وكيف نفتقر في غناك ؟ وكيف نذلُ في عزك؟ والجواب: لن تضام وأنت في سلطان الله، ولن تذل وأنت في عز الله، ولن تفتقر وأنت في غنى الله عز وجل ، المؤمن غني بالله، وعزيز بالله، وقوي بالله، وعالم بالله، وفي أية لحظة تدعي على شيء فأنت لست على شيء، أما في أية لحظة تفتقر إلى الله فأنت أقوى إنسان.

لذلك يوم حنين ما اجتمع في الجزيرة العربية جماعة قوامهم عشرة آلاف كهذه الغزوة، كان الصحابة حينما فتحوا مكة، ورسول الله عليه الصلاة والسلام على رأسهم عشرة آلاف مقاتل، أقوى قوة ضاربة في الجزيرة، قالوا:

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥))

(سورة التوبة)

أما في بدر:

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية: ١٢٣)

هذا قانون، تفتقر يتولاك، تستغني عنه يستغني عنك، تفتقر يتولاك، تستغني عنه يتخلى عنك، فأنت بين التولية والتخلية، بافتقارك إليه يتولى أمرك، وباعتمادك على نفسك يكلك إلى نفسك، وهذا قانون مطبق، والمسلمون بأمس الحاجة إلى هذا القانون، افتقر إلى الله يتولاك الله، قل أنا على علم، أو على فهم، أو على خبرة، أو على مال، يتخلى الله عنك ويؤتى الحذر من مأمنه.

والحمد لله رب العالمين

شرح الحديث الشريف - الترغيب والترهيب - الدرس (١١٦- ١١٦) : كتاب القضاء : الترغيب في الشفقة على خلق الله تعالى من الرعية والأولاد والعبيد وغيرهم ورحمت

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٢-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من لا يرحم الناس لا يرحمه الله:

قال عليه الصلاة والسلام:

((مَن لا يَرحم الناسَ لا يَرحمهُ اللهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن جرير بن عبد الله]

كم نحن مفتقرون إلى رحمة الله ؟ الله عز وجل أعطى الإنسان كليتين بلا صوت، بلا نفقات، بلا جلوس ثماني ساعات، يعملان بانتظام، لو تعطلتا لأصبحت حياة الإنسان جحيماً، فالكلية من رحمة الله بالإنسان، أعطانا القلب يضخ له الدم، لو ضاقت أوعية القلب، لو تعطل دسام القلب، كم يعاني هذا الإنسان ؟ فنحن مفتقرون لرحمة الله، قلبنا سليم، مفتقرون لرحمة الله بزوجاتنا، بأولادنا، برزقنا، بمكانتنا، فإذا كنت مفتقراً إلى رحمة الله ارحم الناس، و إلا لن يرحمك الله.

((مَن لا يَرحم الناسَ لا يَرحمْهُ اللهُ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن جرير بن عبد الله]

كلام دقيق، إن أردت رحمة الله، إن أردتم رحمتي فارحموا خلقي، لا تفرق كل الناس خلق الله، لا تقل له من أنت ؟، هذا عبد لله عز وجل ارحمه.

((مَن لا يَرحم الناسَ لا يَرحمْهُ اللهُ))

أوسع كلمة لعطاء الله عز وجل هي رحمته:

الحديث الثاني:

((الرَّاحِمُونَ يرحمهم الرحمن، ارحَمُوا مَن في الأرض، يرحمْكم من في السماءِ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

أنا أتيت بأمثلة قريبة، أما رحمة الله أوسع، رحمة الله الطمأنينة، رحمة الله شعور بالأمن، رحمة الله شعور بالسعادة، رحمة الله تيسير الأعمال، رحمة الله أن ترزق عملاً صالحاً ترقى به في الجنة، هذه رحمة الله عز وجل، أي أوسع كلمة لعطاء الله عز وجل هي رحمته، والنبي كان أديباً مع الله، قال:

((اللهم إني أسألكَ موجباتِ رحمتكَ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن أبي أوفى]

يا رب ارحمني، و أنت لا ترحم أحداً ؟ موجبات الرحمة، أي يا رب أكون عابداً، أكون مطيعاً، أكون محسناً، ارحم خلقك حتى ترحمني.

فالإنسان يقدم ثمن الرحمة، أنا أذكر أشياء، قال لي إنسان: والله أنا ما أكلت حراماً بحياتي، ولا أعرف الحرام من النوع الثاني ـ موضوع الزنا ـ عمره ست و تسعون سنة عمل تحليلاً كاملاً، الآن الإنسان بالأربعين عنده خمسين علة، ست و تسعون سنة لا يوجد عنده أي مشكلة.

((مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ))

[أخرجه زيادات رزين عن جابر بن عبد الله]

ثم يقول أبو هريرة:

((سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ ـ لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِن شَقيٍّ))

[الترمذي و أبو داود و ابن حبان عن أبي هريرة]

الشقي هو الذي لا يوجد في قلبه رحمة.

أقول لكم كلمة دقيقة: يكاد يكون مؤشر الإيمان هو الرحمة، أنت ترحم الناس بقدر إيمانك، وكلما خفّ الإيمان تخف الرحمة.

امرأة جاءت لعندي تشكو لي زوجها الذي طردها و أولادها ـ أربع بنات وصبيان ـ هو يشرب خمر فيريد البيت فارغاً من أجل ملذاته، فطرد أولاده، و عندما ذهبوا إلى بيت جدهم طردهم، فذهبوا إلى بيت جدتهم فلم يجدوا مكاناً، طرقوا بعض الأبواب فلم يرد أحد عليهم، فجاؤوا لعندي و طلبوا مني أن يناموا في الجامع ؟ هذا الأب وحش، كل إنسان قاس شقي.

الأنفضاض والألتفاف:

لذلك سأقول لكم كلمة دقيقة:

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية: ١٥٩)

لينك لأنك رحيم، ورحمتك لأنك موصول، عندما وصلت بالله صار في قلبك رحمة، كنت ليناً معهم، فأحبوك، والتفوا حولك، بالعكس، لو كان الإنسان مقطوعاً يصبح قلبه قاسياً، يصبح فظاً، غليظ القلب، ينفض الناس من حوله، قانون، تتصل رحمة، لين، التفاف، تنقطع قسوة، فظاظة، انفضاض، هذا القانون، فأنت مؤمن بقدر ما أنت رحيم، وكلما امتلأ قلبك إيماناً يمتلئ رحمة.

(فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة الزمر الآية: ٢٢)

قاسي القلب هذا له ضربة قوية جداً من الله عز وجل:

((لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِن شَقِيٍّ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء:

سيدنا معاوية يقول: رجل سأل النبي قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: " إن رحمتها يرحمك الله".

وابن عباس يقول: رجل أضجع شاة وهو يحد شفرته، فقال له النبي:

((أتريد أن تميتها موتات هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس]

تدري الشاة أنها ستذبح، فأنت مرة واحدة اذبحها، أما أضجعها جهزها للذبح ثم بدأ يسن السكين أمامها، وإنسان آخر ذبح شاة أمام أختها فالنبي نهاه عن هذا و قال له: هلا حجبتها عن أختها.

آخر حديث:

((مَا مِن إنسان يَقْتُلُ عُصْفُورا فما فوقها بغير حَقٍّ إلا سَأَلَهُ اللهُ عز وجل عَنها قيل: يا رسولَ الله، وما حَقُّها ؟ قال: يَذْبَحُها فيأكُلُهَا، ولا يَقْطع رأسها ويَرمِي بهَا))

[أخرجه النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

كم صياد يذهب ليصيد وكل الذي يصيده يرميه بالطريق ؟ طير يسبح الله عز وجل، ذبحه ورواه ! إذا أكلته لا يوجد مانع، أما إذا كان للتسلية، هواية الصيد بالإسلام غير مشروعة، قتل الحيوان أولاً: إتلاف للمال، ثانياً: إزهاق روح بلا سبب، الإنسان مكرم لو جاع وكاد يموت جوعاً يصطاد ويأكل لا يوجد مانع، فالحيوان له أجر، أنت عاملته بدون أجر.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الدرس ٠١ - الترغيب في الإخلاص والصدق والنية الصالحة ١

الدرس ٠٢ - الترغيب في الإخلاص والصدق والنية الصالحة والترهيب من الرياء ٦

الدرس ٠٣ - الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء - ١ .... ١٢

الدرس ٠٤ - الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء - ٢ .... ١٨

الدرس ٠٥ - الترغيب في البداءة بالخير ليستن به والترهيب من البداءة بالشر ٢٦

الدرس ٠٦ - الترهيب من المراء والجدال والمخاصمة والمحاججة والقهر ٣٤

الدرس ٠٧ - الترهيب من التخلي في طرق الناس أو ظلهم أو مواردهم ٤٢

الدرس ٠٨ - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء - ١ ..... ٤٩

الدرس ٠٩ - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء - ٢ ..... ٥٧

الدرس ١٠ - الترغيب في سماع الحديث وتبليغه ونسخه والترهيب من الكذب ٦٤

الدرس ١١ - الترغيب في إكرام العلماء وإجلالهم وتوقيرهم والترهيب من إضاعتهم ٧٠

الدرس ١٢ - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء - ٣ .... ٧٧

الدرس ١٣ - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء - ٤ .... ٨٣

الدرس ١٤ - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء - ٥ ... ٩٠

الدرس ١٥ - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء - ٦ ... ٩٧

الدرس ١٦ - الترغيب في نشر العلم والدلالة على الخير ١٠٤

الدرس ١٧ - الترهيب من كتم العلم ١١١

الدرس ١٨ - الترهيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه ويقول ولا يفعل ١١٧

الدرس ١٩ - الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه وما جاء في فضل العلماء - ٧ ... ١٢٥

الدرس ٢٠ - الترغيب في الرحلة في طلب العلم ١٣٣

الدرس ٢١ - الترهيب من إصابة البول الثوب وغيره وعدم الاستبراء منه ١٣٩

الدرس ٢٢ - الترغيب في الوضوء وإسباغه ١٤٧
الدرس ٢٣ - أحاديث مختلفة في تربية الأولاد ١٥٤
الدرس ٢٤ - الترغيب في المحافظة على الوضوء وتجديده ١٦٦
الدرس ٢٥ - الترغيب في بناء المساجد في الأمكنة المحتاجة إليها ١٧٣
الدرس ٢٦ - الترغيب في تنظيف المساجد وتطهيرها وما جاء في تجميلها ١٨١
الدرس ٢٧ - الترغيب في الأذان وما جاء في فضله ١٨٧
الدرس ٢٨ - الترغيب في لزوم المساجد والجلوس فيها -١ .... ١٩٣
الدرس ٢٩ - الترغيب في لزوم المساجد والجلوس فيها -٢ .... ٢٠٠
الدرس ٣٠ - الترغيب في المشي إلى المساجد سيما في الظلم وما جاء في فضلها -١ .... ٢٠٧
الدرس ٣١ - الترغيب في المشي إلى المساجد سيما في الظلم وما جاء في فضلها -٢ .... ٢١٤
الدرس ٣٢ - الترغيب في صلاة العشاء والصبح خاصة في جماعة والترهيب من التأخر .. ٢١٩
الدرس ٣٣ - الترهيب من ترك حضور الجماعة لغير عذر ٢٢٦
الدرس ٣٤ - الترغيب في جلوس المرء في مصلاه بعد صلاة الصبح وصلاة العصر ٢٣٢
الدرس ٣٥ - الترغيب في الإمامة مع الإتمام والإحسان والترهيب منها عند عدمهما ٢٣٨
الدرس ٣٦ - الترغيب في الصف الأول وما جاء في تسوية الصفوف والتراص فيها ٢٤٤
الدرس ٣٧ - الترهيب من عدم إتمام الركوع والسجود وما جاء في الخشوع ٢٥٢
الدرس ٣٨ - الترهيب من رفع البصر إلى السماء في الصلاة ٢٦٠
الدرس ٣٩ - الترغيب في المحافظة على ثنتي عشرة ركعة من السنة في اليوم والليلة ٢٦٥
الدرس ٤٠ - الترغيب في قيام الليل -١ .... ٢٧١
الدرس ٤١ - الترغيب في قيام الليل -٢ .... ٢٧٧
الدرس ٤٢ - الترغيب في قيام الليل -٣ .... ٢٨١
الدرس ٤٣ - الترهيب من صلاة الإنسان وقراءته حال النعاس ٢٨٥
الدرس ٤٤ - الترغيب في صلاة التوبة والحاجة والاستخارة ٢٩٠
الدرس ٤٥ - الترغيب في صلاة الجمعة والسعي إليها وما جاء في فضل يومها وساعتها ٢٩٦

الدرس ٤٦ - الترغيب في قراءة سورة الكهف وما يذكر معها ليلة الجمعة ٣٠٢
الدرس ٤٧ - الترغيب في أداء الزكاة وتأكيد وجوبها ٣٠٧
الدرس ٤٨ - الترغيب في العمل على الصدقة بالتقوى والترهيب من التعدي فيها ٣١٢
الدرس ٤٩ - الترغيب في أداء الزكاة وتأكيد وجوبها والترهيب من منع الزكاة ٣١٨
الدرس ٥٠ - الترهيب من المسألة وتحريمها مع الغنى وما جاء في ذم الطمع ٣٢٣
الدرس ٥١ - ترغيب من جاءه شيء من غير مسألة ولا إشراف نفس في قبوله ٣٢٨
الدرس ٥٢ - الترهيب من المسألة وتحريمها مع الغنى وما جاء في ذم الطمع ٣٣٣
الدرس ٥٣ - الترغيب في شكر المعروف ومكافأة فاعله والدعاء له ٣٣٨
الدرس ٥٤ - ترهيب السائل أن يسأل بوجه الله غير الجنة وترهيب المسؤول بوجه الله . ٣٤٥
الدرس ٥٥ - الترغيب في صدقة السر ٣٤٩
الدرس ٥٦ - الترغيب في الصدقة والحث عليها ٣٥٥
الدرس ٥٧ - الترغيب في القرض وماجاء في فضله - الترغيب في التيسير على المعسر .. ٣٦٢
الدرس ٥٨ - الترغيب في الإنفاق في وجوه الخير كرما والترهيب من الإمساك ٣٦٧
الدرس ٥٩ - ترغيب المرأة في الصدقة من مال زوجها إذا أذن وترهيبها منها ٣٧٢
الدرس ٦٠ - الترغيب في إطعام الطعام وسقي الماء والترهيب من منعه ٣٧٧
الدرس ٦١ - الترغيب في شكر المعروف ومكافأة فاعله والدعاء له والترهيب من جحده . ٣٨٤
الدرس ٦٢ - الترغيب في الإكثار من ذكر الله سراً وجهراً والمداومة عليه ٣٩٠
الدرس ٦٣ - الترغيب في الترغيب في الإكثار من ذكر الله سراً وجهراً والمداومة عليه .. ٣٩٨
الدرس ٦٤ - الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى ٤٠٤
الدرس ٦٥ - الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى ٤١٠
الدرس ٦٦ - الترغيب في كلمات يكفرن لغط المجلس ٤١٧
الدرس ٦٧ - الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها - ١ .... ٤٢٣
الدرس ٦٨ - الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها - ٢ .... ٤٣١
الدرس ٦٩ - الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها - ٣ .... ٤٣٦

الدرس ٧٠ - الترغيب في التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد على اختلاف أنواعه -١ . ٤٤٠
الدرس ٧١ - الترغيب في التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد على اختلاف أنواعه ٢... ٤٤٥
الدرس ٧٢ - الترغيب في قول لا حول ولا قوة إلا بالله ٤٥١
الدرس ٧٣ - الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى -١ .... ٤٥٨
الدرس ٧٤ - الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى -٢ .... ٤٦٥
الدرس ٧٥ - الترغيب في آيات وأذكار يقولها إذا أصبح وإذا أمسى -٣ .... ٤٧٢
الدرس ٧٦ - الترغيب في كلمات يقولهن حين يأوي إلى فراشه ٤٧٩
الدرس ٧٧ - الترغيب في آيات وأذكار بعد الصلوات المكتوبات ٤٨٦
الدرس ٧٨ - الترغيب فيما يقول إذا خرج من بيته إلى المسجد وغيره وإذا دخلهما ٤٩٢
الدرس ٧٩ - الترغيب في الإستغفار ٤٩٩
الدرس ٨٠ - الترغيب في كثرة الدعاء وما جاء في فضله -١ .... ٥٠٦
الدرس ٨١ - الترغيب في كثرة الدعاء وما جاء في فضله -٢ .... ٥١٧
الدرس ٨٢ - الترغيب في الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه ٥٢٤
الدرس ٨٣ - الترغيب في الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه ٥٢٩
الدرس ٨٤ - الترغيب في الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه ٥٣٦
الدرس ٨٥ - الترغيب في طلب الحلال والأكل منه والترهيب من اكتساب الحرام ٥٤٤
الدرس ٨٦ - الترغيب في طلب الحلال والأكل منه والترهيب من اكتساب الحرام ٥٥١
الدرس ٨٧ - الترغيب في الورع وترك الشبهات وما يحوك في الصدور -١ .... ٥٥٦
الدرس ٨٨ - الترغيب في الورع وترك الشبهات وما يحوك في الصدور -٢ .... ٥٦٢
الدرس ٨٩ - الترغيب في السماحة في البيع والشراء وحسن التقاضي والقضاء ٥٦٩
الدرس ٩٠ - الترغيب في إقالة النادم ٥٧٦
الدرس ٩١ - الترهيب من الغش والترغيب في النصيحة في البيع وغيره -١ .... ٥٨٣
الدرس ٩٢ - الترهيب من الغش والترغيب في النصيحة في البيع وغيره -٢ .... ٥٩١
الدرس ٩٣ - الترهيب من الاحتكار ٥٩٦

الدرس ٩٤ - ترغيب التجار في الصدق وترهيبهم من الكذب والحلف ٦٠٢

الدرس ٩٥ - ترغيب التجار في الصدق وترهيبهم من الكذب والحلف ٦٠٨

الدرس ٩٦ - الترهيب من الدين وترغيب المستدين والمتزوج أن ينويا الوفاء ٦١٤

الدرس ٩٧ - الترغيب في كلمات يقولهن المديون والمهموم والمكروب والمأسور ٦١٩

الدرس ٩٨ - الترهيب من اليمين الكاذبة الغموس ٦٢٥

الدرس ٩٩ - الترهيب من غصب الأرض وغيرها ٦٢٩

الدرس ١٠٠ - الترهيب من الربا ٦٣٤

الدرس ١٠١ - الترهيب من منع الأجير أجره والأمر بتعجيل إعطائه ٦٤١

الدرس ١٠٢ - الترغيب في غض البصر والترهيب من إطلاقه ومن الخلوة بالأجنبية . ٦٤٧

الدرس ١٠٣ - الترغيب في النكاح سيما بذات الدين الولود ٦٥٤

الدرس ١٠٤ - ترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها والمرأة ٦٦٠

الدرس ١٠٥ - الترهيب من ترجيح إحدى الزوجات وترك العدل بينهم ٦٦٦

الدرس ١٠٦ - الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال والترهيب من إضاعتهم ٦٧١

الدرس ١٠٧ - الترهيب من إفساد المرأة على زوجها والعبد على سيده ٦٧٨

الدرس ١٠٨ - الترغيب في لبس الأبيض من الثياب والقميص والترهيب من طوله ٦٨٣

الدرس ١٠٩ - ترهيب الرجال من لبسهم الحرير و من تشبه الرجل بالمرأة ٦٨٩

الدرس ١١٠ - الترغيب في التسمية ٦٩٥

الدرس ١١١ - الترغيب في حمد الله تعالى بعد الأكل ٧٠١

الدرس ١١٢ - الترغيب في أكل الخل والزيت ونهس اللحم دون تقطيعه بالسكين ٧١٠

الدرس ١١٣ - الترهيب من تولي السلطنة والقضاء والإمارة سيما لمن لا يثق بنفسه ... ٧١٦

الدرس ١١٤ - الترهيب من تولي السلطنة والقضاء والإمارة سيما لمن لا يثق بنفسه ... ٧٢٤

الدرس ١١٥ - الترهيب من الظلم ودعاء المظلوم وخذله والترغيب في نصرته ٧٣١

الدرس ١١٦ - الترغيب في الشفقة على خلق الله تعالى من الرعية والأولاد والعبيد ٧٣٧

الفهرس ٧٤٠